موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

الزواج في ظل الإسلام

د.محمد راتب النابلسي



www.nabulsi.com info@nabulsi.com

مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الروم- 21)



إن أقدس عقد على وجه الأرض عقد الزواج، لأن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الذكر والأنثى جعل العلاقة بينهما من خلال الزواج فقط، وليس ثمة علاقة أخرى، فعلاقة الذكر بالأنثى علاقة زواج، لا علاقة صداقة، ولا علاقة مخادعة، ولا علاقة عشق، ولا علاقة تسلية، وهناك عشرات العلاقات الآن في جاهلية القرن العشرين بين الذكر والأنثى لا على أساس الزواج، بل على أساس التسلية أحياناً، أو على أساس الحب، على أسس ما أنزل الله بها من سلطان، في خضم كل هذا القناة الوحيدة النظيفة في العلاقة بين الجنسين هي الزواج.

طبيعة الحياة الدنيا بأكملها طبيعة أساسها الابتلاء، وكل ما ركب في الإنسان حيادي في الأصل، يمكن أن يوجه توجيهاً صحيحاً أو توجيهاً خاطئاً، لذلك أراد ربنا سبحانه وتعالى حينما خلقنا أن نعمر الأرض، والدافع الجنسي يحقق بقاء النوع الإنساني.

من رحمة الله أنه جعل الإسلام وسطيا فهو لم يكبح هذه الغريزة التي أودعها الله فينا، فهو خلق فينا حب الشهوات من النساء والبنين، وهذا ليس خطأ منا، إنما هو مركب في أصل فطرتنا، فلم يكبح هذه الغريزة كما فعلت الرهبانية، ولم يطلقها كما أطلقتها العلمانية، فالرهبانية تطرفت بكبح هذه الغريزة، والعلمانية تطرفت بإطلاق هذه الغريزة، بينما وقف الإسلام في الوسط، وهذه الغريزة التي أودعها الله فينا رسم لها قنوات نظيفة.

الزواج هو القناة النظيفة الوحيدة لتحقيق بقاء النوع والزواج أقدس عقدٍ على الإطلاق بين رجلٍ وامرأة، وهذا العقد يحتاج إلى محافظة، ويحتاج إلى تدعيم، فتدعيمه يكون بتطبيق الشريعة.

الحياة تحتاج إلى علم حقيقي، علم عميق، يجب أن تعرف من أنت؟ لماذا ركبت فيك هذه الشهوات؟ ماذا ينبغي أن تفعل؟ لأن الشيء الخطير أنه يمكن لإنسان أن يفقد دينه بامرأة، أو أن يفقد اتصاله بالله بخروجه عن منهج الله، أو أن يفقد سعادته كلها بشهوة منحرفة.



فلا تعجب إذا رأيت في القرآن الكريم آيات كثيرة تنظم علاقة المرأة بالرجل، ولا تعجب أن الذين سلموا من العطب هم الذين طبقوا منهج الله عز وجل،ولا تعجب أن البيوت التي انهارت بسبب مخالفة لمنهج الله، فالمجتمع يقاس تماسكه وقوته بتماسك أسره، فقد شاءت حكمة الله أن يكون هذا المجتمع، هذا الصرح الكبير مؤلف من خلايا، فالأسرة هي الخلية، ولذلك أي نظام يرعى الأسرة، ويقويها، ويدعمها ويزيل العقبات أمام إنشائها هو نظام يسهم في تقوية المجتمع، وأي نظام يسهم في تحلل الأسرة، وفي تفككها، وفي انحرافها هو نظام يهدم المجتمع.



جعل الله الزوجة من طبيعة الزوج الإنسانية تفكر كما يُفكر وتشعر كما يشعر وتحب كما يحب وتتمنى كما يتمنى وتؤمن كما يؤمن وترقى كما يرقى ويُسعدها ما يُسعده ويؤلمها مايؤلمه ويُغضبها ما يُغضبه ويُرضيها ما يُرضيه، ومن رحمة الله أنه سوى بين الرجل والمرأة مساواة تامة من حيث التكليف ومن حيث التشريف، لكن جعل الله للرجل طبيعة جسمية وعقلية ونفسية تختلف عن طبيعة المرأة الجسمية والعقلية والنفسية، فهما ليسا متشابهين لكنهما متكاملان وخصائص أحدهما شرط لازم غير كاف لاستمرار الحياة البشرية فما نقص من قوة إدراك المرأة وضعف اهتمامها بالقضايا العامة وهو كمال فيها وضروريٌ لِحُسنِ أداءِها لوظيفتها التي أنيطت بها وما زاد من قوة انفعالها وشدة اهتمامها بأولادها كمال فيها وضروري لحسن تربيتها لأولادها وما زاد في قوة الرجل قوة إدراكه ونقصٍ في شدة انفعاله كمال فيه وضروريٌ لأداء مهمته التي أُنيطت به فهما متكاملان كل منهما يكمّل الآخر.

من المسلمات أن الزواج الإسلامي فيه عوامل استمراره، وأن الزواج غير الإسلامي فيه عوامل انهدامه فحينما يُبنى الزواج على حسن الاختيار تكتب له الديمومة، فالزوج الذي يتمنى أن يسعد بزوجته، وأن تسعد به زوجته، والزوج الذي يتمنى أن يدوم هذا الزواج، وأن تتنامى العلاقة بين الزوجين على مرِّ الأيام والشهور، هذا الزوج عليه أن يغضَّ بصره عن محارم الله، لأن الإنسان إذا أطلق بصره دفع الثمن باهظاً، فإطلاق البصر يؤدِّي إلى فساد ذات البين، وغضُّ البصر يؤدي إلى الموافقة فيما بين الزوجين حيث أن الله يلقي في قلب الزوجة حبَّ زوجها، ويلقي في قلب الزوج حبَّ زوجته.



أيضا من عظمة الزواج الإسلامي أن الله يكون بين الزوجين، فكل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر، فليست البطولة أن تتزوج بل أن تبقى متزوجاً، والبطولة أيتها المرأة لا أن تتزوجي بل أن تكوني تحت رجل صالح.

المشكلة الأولى في العالم الإسلامي والتي تكاد تقع على سلم الأولويات، مشكلة الشباب، فالشاب قنبلة متفجرة، فإما أن نرعاه، ونحقق طموحه وفق منهج الله، وإما سيكون هذا الشاب أحد أسباب دمار هذه الأمة.



نحن نعيش في زمن الفساد، وزمن الفتن اليقظة، وزمن الشهوات المستعرة، وزمن التفلُّت، وزمن الشوارع المفعمة بالنساء الكاسيات العاريات، وزمن أن كلَّ شيءٍ أريد له أن يروج، لا بدَّ أن يكون عليه صورة امرأةٍ متبذلة .

في مثل هذا الزمن الصعب يكون كهف الإنسان هو بيته، وكهفه مسجده، وملجؤه اسرته، فالمؤمن يفرُّ بدينه حفاظاً على سلامة اتصاله بالله عزَّ وجل وسلامة قلبه، لكن ربنا سبحانه وتعالى من عظيم كرمه أن كلَّ مؤمنٍ آثر رضوانه على شيءٍ مألوفٍ عند الناس، ومباحٍ عند معظم الناس يعوضّه الله عزَّ وجل عطاء وسكينة ورحمة يجد حلاوتها إلى يومٍ يلقاه، من أجل هذا لابد من يُسارع المرءِ في الزواج لأن الشاب إذا اكتملت رجولته وتوفر له عمل يُدرُّ عليه بعض المال لابد من أن يحفظ دينه بالزواج والنبي عليه الصلاة والسلام وصف الزواج بأنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، أما إذا لم يمكن أن يتزوج لأسباب أو لأخرى فعليه بالصبر لكن الزواج أولى فأخوف ماخاف النبي على أمته من بعده هي النساء، والشاب أخطر شيء يمكن أن يودي به إلى الهاوية أن تزل قدمه فيتحرك بعمل لايرضي الله عز وجل

فمن تزوج ملك نصف دينه فمن اكتملت رجولته وتوفر له عمل يُدِرُّ عليه بعض الكسب أصبح أهلاً للزواج وعلى المجتمع أن يسعى لتوفير هذا المطلب المشروع لكل شاب.

كلَّ إنسان له مأخذ أو نقطة ضعف يؤخذ منها، وأن الشباب وغير الشباب في زمن الفتنة أكبر مأخذٍ يؤخذون منه، وأكبر مزلة قدمٍ يزلّون فيها موضوع البصر، ومن لوازم المؤمن غض بصره عن محارم الله، لذلك أمر الشرع الحنيف بحفظ الفروج، كما أمر بغض الأبصار، وجعل غض الأبصار ثمناً لحفظ الفروج.

إذا لم نتحرك جميعاً، ونذلل العقبات، ونيسر السبل، إذا لم نتساهل مع الخاطبين، إذا لم نقبل بشروط دون طموحاتنا، يحل السفاح مكان النكاح، وتكثر دور
الدعارة، وتكثر وسائل المتع الرخيصة.


كلفة كل حفلة زواج يمكن ان تزوج خمسين شابا

لايخفى على أحد أنه من الظواهر المنتشرة في المجتمعات الإسلامية إقامة أعراس عالية التكلفة فهذا الذي يزوج ابنه وهو في يسر ، ليته يتبرع في تزويج شاب آخر ، هذه الحفلات التي تُنفق فيها مئات الألوف ، بل عشرات الملايين ، كل حفلة من الممكن أن تزوج خمسين شاباً وتحصنهم.

وبعد... فإن نجاحك لا يسمى نجاحا إلا إن كان شاملا، ونجاحك في زواجك ينعكس على المجتمع لأن هذا المجتمع الكبير أساسه أسر ، فإذا تماسكت الأسرة تماسك المجتمع ، إذا تفوقت الأسرة تفوق المجتمع ، إذا قويت الأسرة قوي المجتمع ، وكل شرائع السماء تدعم الأسرة بينما كل النظم الأرضية تدعو إلى تقويضها، فإذا بني الزواج على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بين الزوجين ، ولو توافرت لهذا الزواج كل أسباب النجاح ، وإذا بني الزواج على طاعة الله ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين .

هذا الكتاب مهم لكل شاب وشابة مقبلان على الزواج كي يكون لهم كتاب إرشاد ومرجعا في كل أحوالهم كي تستقيم أسرتهم على ما يرضي الله عز وجل.

يتألف الكتاب من أكثر من ألف صفحة تتناول كل ما يتعلق بمسألة الزواج في الإسلام ، حيث يبدأ من ما قبل الزواج من خلال خمسة فصول هي:

مفهوم الزواج في الإسلام – أهمية الزواج و عوائقه – أحكام الزواج – الخطبة – العقد .

ثم ننتقل للحياة الزوجية من خلال خمسة فصول أيضاً و هي :

إعلان الزواج – السعادة الزوجية – آداب المعاشرة – الشقاق الزوجي و نتائجه – الحقوق .

ثم يتناول الكتاب بعض القضايا المتعلقة بالزواج و هي عبارة عن خمسة فصول و هي :

حقوق الآباء على الأبناء – حقوق الأبناء على الآباء – أحكام العورة – انحراف الاولاد – أحكام الطلاق .

والحمد لله رب العالمين

الباب الأول : ما قبل الزواج

الفصل الأول : مفهوم الزواج في الإسلام

الفصل الثاني : أهمية الزواج و عوائقه

الفصل الثالث : أحكام الزواج

الفصل الرابع : الخطبة

الفصل الخامس : العقد

الفصل الأول : مفهوم الزواج في الإسلام

الباب الأول : ما قبل الزواج

الفصل الأول : مفهوم الزواج في الإسلام

الدرس (1-5) : الفروقات بين الرجل والمرأة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام، نعود إلى دروسنا المتسلسلة إلى درس الترغيب في النكاح، ولا سيما بذات الدين الولود.

ليست المرأة كالرجل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))

(صحيح البخاري)

من الخطأ الفادح أن تظن أن المرأة كالرجل، هذا ينطلق من قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

(سورة آل عمران)

مواضع الفروق بين الرجل والمرأة:

1 – بنية المرأة:

بنية المرأة الفكرية والجسمية والنفسية والاجتماعية تختلف كلياً عن بنية الرجل، وما ميل كل منهما للآخر إلا لأن كل واحد يكمل نقصه في الآخر، فالنقص الانفعالي والعاطفي عند الرجل يكمله بزوجته، المرأة دائماً متأججة العاطفة محبتها اهتمامها غيرتها عطفها، بل إن الرجل يعد زواجه أحد فصول حياته، أما المرأة يعد زواجها كل فصول حياتها، فلذلك حينما قال الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾

(سورة الروم)



علة السكن أن المرأة تكمل نقصها بالرجل، فتسكن إليه وأن الرجل يكمل نقصه بالمرأة فيسكن إليها وحينما نفهم أن النساء والرجال متشابهون وقعنا في خطأ كبير.

يروى أن قضية المرأة والرجل ثارت في مطلع عصر النهضة في مصر، وثار نقاش عميق وخلافات وكل إنسان أدلى برأيه وبقت المعركة طاحنة سنوات عديدة ثم عقد مؤتمر بجامعة القاهرة لكي يحسم هذا الموضوع، إنسان حسم الموضوع لا بمحاضرة، جاء بكيس فيه بضع فئران وأطلقهم فالنساء كلهن خافت! فرق واضح بين المرأة والرجل، حينما كنا في جامعة دمشق كلية التربية درسنا كتاب يسمى الكتاب الأول في الفروقات الدقيقة بين النساء والرجال، والموضوع حول الأطفال، الكتاب ثمانمائة صفحة يدرس حول جامعات العالم تقرأه لا تجد عنواناً له أفضل من قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

(سورة آل عمران)

2- اهتمامات المرأة:

قضية الذاكرة عند المرأة غير الرجل، قضية التفكير والمحاكمة والانفعال والاهتمامات ، المرأة نمطها جمالي، يهمها ترتيب البيت، وتنظيفه، وتجديد الأثاث، والدهان، اهتمامات كبيرة، لو كنت تأتي البيت فتجدها متابعة للأخبار كلمةً كَلمةً، تفهم تماماً مراكز القوى، لكن البيت في حالة فوضى، ولا يوجد طعام، تكاد تخرج من جلدك، هي ليس لها ميول للأخبار ، لكنها جمالية، الله برمجها هكذا.

فكل إنسان ينتظر أن تكون زوجته مثله يكون جاهلا، لذلك قالوا: دارها تعش بها.

((وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ))



يوجد انحناء لكن بسيط، فقد يكون الانحناء هو الكمال ! لاحظ عظام القص لو لم تكن منحنية لا تحتمل كمالها في انحنائها، هكذا قالوا، النقص كمال! السيارة الشاحنة مكان الركاب مكان ضيق، وأكبر مكان للبضاعة، أليس هذا هو الكمال في الشاحنة ؟ لأن مهمتها نقل البضاعة، سيارة الركاب أكبر مكان للركاب، وأقله للبضاعة، وهذا كمال فيها، فما نقص من مكان الركاب، وزاد من مساحة الشحن كمال في الشاحنة، وما نقص من كمال البضائع، وزاد في مكان الأشخاص كمال في السيارة السياحية، فقد يكون النقص كمالا والكمال نقصًا، على كل المرأة والرجل متكاملان، وهي مساوية له في التكليف والتشريف، والمسؤولية.

أما الآية:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

والدليل:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة)

هذه درجة القيادة، قد يكون ضابطان في رتبة واحدة، لا بد من تميز أحدهما بالقيادة، فالقيادة تحتاج قرارًا واحدًا، لذلك حينما فضل الرجل على المرأة فضل بدرجة القيادة.

وكان عليه الصلاة والسلام فيما ورد في الأثر:

((إذا دخل بيته كان بساماً ضحاكاً، وكان يقول: أكرموا النساء فما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم))

((وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ))

أعلى مكان بالضلع هو الرأس، صعب أن تقنعها، فكل إنسان يتخيل زوجته عندها قوة تفكيره واهتماماته يكون على خطأ.

دخل ملك بستانًا فوجد صاحب البستان أحضر حصانًا، وأعصب له عينيه، ويدور ليخرج الماء من البئر، فالملك ذكي جداً، لفت نظره أن هذا الحصان معصوب العينين، وفي عينه جرس، فاستدعى صاحب البستان، وقال له: لِمَ عصبت عينيه ؟ قال: لئلا يصاب بالدوار، قال: ولِمَ وضعت في عنقه الجلجل ؟ قال: لئلا يقف، فإذا وقف الصوت عرفت أنه توقف الحصان، فكر الملك، ثم قال: وإذا توقف وهز رأسه ؟ قال الفلاح: وهل له عقل كعقلك!

أحياناً يريد الإنسان أن تكون زوجته مثله، لا ليست مثلك، اهتماماتها غير اهتماماتك، ورغباتك وبنيتك وتوجهك..... فحينما تضع المرأة في مكانها الصحيح فأنت على حق، أما حينما تتمناها أن تكون مثلك فأنت جهلت الحقيقة.

((وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ))

وفي رواية:

((كسرهن طلاقهن، فاستمتعوا بهن على عوج، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ))

قضية العمر رجل ذكي يداري زوجته وهي تداريه تمشي الأمور، والعياذ بالله عدد الأزواج المخفقين في زواجهم عدد كبير جداً، هي عنيدة، وهو عنيد كل عمرهم مشاكل.

جاء أخ قال: والدتي مطلقة، وتسكن عند أبي، كل يوم يتشاجرون، عندها ثلاثة شباب، فالشجار بشكل دائم، هذا يسبب ضياع الأولاد، الطفل يلزمه جو من الأنس والمحبة حتى ينشأ على هذه القيم، فأخطر شيء أن ينشأ الشباب في بيت فيه خصومات، فالنبي وجهنا توجيه رائع جداً قال:

((وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))

مدارة الرجل لامرأته من تمام الحكمة والعقل:

ثلاثة تداريهم: زوجتك دارها تعش بها، قلبك تداريه تعش به، وسيارتك، زوجتك وقلبك وسيارتك، والعاقل يداري.

إخواننا الكرام، يمكن أن تكون سعيدًا مع زوجة من الدرجة الخامسة بالحكمة، ويمكن أن تشقى بزوجة من الدرجة الأولى بالحمق، المداراة بذل الدنيا من أجل الدين، والمداهنة بذل الدين من أجل الدنيا.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا))

(صحيح مسلم)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

(صحيح مسلم)



لا يفرك أي لا يكره، مرة زارني أخ يريد أن يطلق زوجته، فأنا استدرجته قلت له: هل تخونك ؟ قال: أعوذ بالله، أنقى من ماء السماء ! قلت له: قذرة ؟ قال: لا والله هي نظيفة ! هل تطهو لك الطعام ؟ قال: طعامها لذيذ جداً، ثم خجل بنفسه، لم يكمل، قال: لا يوجد مشكلة أستاذ، لا يوجد مشكلة !!!!!! عندما وجد طبخا جيدًا، وأخلاقها عالية، ونظيفة يجب أن يختصر.

فلذلك:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً))

إذا كره الرجل زوجته يتذكر ميزاتها، والله إذا أصاب الرجلَ شكوكٌ بزوجته صارت حياته جحيمًا، فمن عنده زوجة شريفة وعفيفة وطاهرة لا تقدر بثمن، لا أحد دخل البيت وأنت في عملك، يوجد بعض الناس هذه مشكلتهم الكبيرة، فإذا كره الرجل زوجته يذكر ميزاتها، يعطيها إجازة، قال:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

هكذا علمنا النبي، وهو نوع من التوجيه النبوي، فالمداراة وأنصاف الحلول وقليلاً منك، و منها تحل المشكلة.

يوجد شخص كلامه قاس عنيف، يده والضرب، وزوجة عنيدة.

يوجد حديث خطير جداً: من عنده امرأة لسانها طويل لا تحترمه، تسيء له، وأبقاها عنده لا يقبل دعاءه ! الله قال لك: انتهي منها، لا ينتهي منها، أنت حر، لن أرد عليك أنا ! إذا كان هناك نساء . والعياذ بالله . سيئات جداً فألف واحدة تتمنى زوجًا.

هذه الأحاديث الثلاثة بمعنى واحد:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

والله عز وجل قال:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء)

معنى المعاشرة بالمعروف:

وقال علماء التفسير: ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تتحمل الأذى منها.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته كان بساماً ضحاكاً، وقال: أكرموا السناء، فما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم.

والمرأة بالمدح والإكرام والمودة يزيد جمالها، وبالقسوة والتدقيق والتفتيش الدائم يصفر لونها، دائماً خائفة، وأسوأ عادة الرجل أن يتكلم بكلمة الطلاق، سأطلقك، أنت تمزح، لكن هي صدقت، جعلتها تعيش بقلق دائم ! هذا الموضوع يكون مغلقًا، مادامت إجمالاً جيدة فطمئنها، يوجد أزواج لا يحلو لهم المزح إلا بالطلاق.

والله أتألم أشد الألم، تمزح بكيانها وبمصيرها، قد يكون أبوها متوفي وإخوتها مسافرين، ولا أحد لها، سأطلقك، أو أتزوج عليك، إما افعلها أو اسكت، وهذا نوع من الحمق، عندما يتكلم بهذا الموضوع تبقى هي نافرة وخائفة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 5) : علاقة الرجل بالمرأة وكيفية التعامل معها ضمن السنن الكونية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة:

أيها الإخوة المؤمنون، في دروس سابقة تحدثنا عن موضوع الربا، وعن الكسب الحرام، وعن بديل الربا، وهو القرض الحسن، وعن شركة المضاربة، وبيّنا أن تسعة أعشار المعاصي تكون من كسب الرزق، وكان في نيتي أن أنتقل إلى موضوع كبير لا يقلّ أهمية عن الموضوع الأول، وهو موضوع علاقة الإنسان بالمرأة، فالحديث عن الزواج حديث ضروري جداً، لأنه سنة من سنن الله الكونية، هذا الحديث يحتاجه المتزوج وغير المتزوج. قبل أن نتحدث عن الأمراض والعلل والانحرافات سوف نتحدث عن المنهج الذي رسمه القرآن الكريم في موضوع الزواج.

الزواج سنة كونية عامة في المخلوقات:

بادئ ذي بدء، قد تستغربون أن الزوجية سنة من سنن الله في الخلق والتكوين، وهي سنة عامة ومطردة، لا يشذ عنها لا عالَم الإنسان، ولا عالَم الحيوان، ولا عالم النبات، الزوجية في النبات، والزوجية في الحيوان، والزوجية في الإنسان، إذاً: هي سنة كونية مطرَدةٌ أو مطرِدةٌ، بمعنى واحد في الخلق والتكوين، لقول الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(سورة الذاريات)

النبات كيف يتكاثر ؟ عن طريق التزاوج، الحيوان كيف يتكاثر ؟ عن طريق التزاوج، والإنسان كيف يتكاثر ؟ عن طريق التزاوج، فالزوجية سنة مطردةٌ في عالَم الإنسان، والحيوان، والنبات، وهي أصل في الخلق والتكوين، والله سبحانه وتعالى يقول:



﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة يس)

حتى إن المادة، حتى إن الجماد لو حللناه لوجدناه مؤلفًا من ذرات، وكل ذرة فيها نواة وكهارب، وهذه الكهارب بعض شحناتها إيجابي، وبعضها سلبي، إذاً هناك تكامل، وربنا سبحانه وتعالى اختص الإنسان بنظام رفيع في الزوجية، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(سورة الحجرات)

انظر إلى الطفلة الصغيرة التي لا يزيد عمرها على عام واحد، إذا أرادت أن تلهو تأخذ الوسادة، وتجعلها بنتًا صغيرةً، تربط على ظهرها، وكأنها تبكي من علمها ذلك ؟ ابنة عمرها سنة واحدة أو سنة وزيادة تأخذ دور الأم، والطفل الصغير أيضاً له ألعاب تشبه ألعاب الرجال، يأخذ قضيباً ويركبه، وكأنه حصان، معنى ذلك أن ربنا عز وجل حينما خلق الذكر والأنثى جعل فيهما صفات نفسية، واجتماعية، وعقلية، وجسمية أودعها الله في الذكر والأنثى، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(سورة الحجرات)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

(سورة النساء)

هذه الآية من أدق الآيات، لأن المرأة والرجل خلقا من نفس واحدة، من طبيعة واحدة، من جبلة واحدة، من خصائص واحدة، وكل إنسان يرى أن المرأة أقلّ من الرجل هو إنسان لا يفهم هذه الآية الكريمة، المرأة كالرجل مشرفةٌ، ومكلفةٌ، ومحاسبةٌ، ومكرمةٌ.

علاقة الذكر بالأنثى علاقة منظَّمة:

لكن من كرامة الإنسان على الله أن علاقة الذكر بالأنثى علاقة منظمة، كان من الممكن أن تكون علاقةً عشوائية، كلما الإنسان ارتقى طبق منهج الله عز وجل في علاقته بالمرأة، وكلما تخلف نشأت الإباحية والتفلت، وعدم الانضباط في علاقة الذكور بالإناث في عالم البشر، وهذه جاهلية، وتخلف شديد، قال تعالى:

﴿ يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

(سورة الأعراف)

فالتعري عودة إلى الهمجية، والتستر رقي وحضارة، فاللباس يواري سوءات الإنسان، وخلع الثياب دليل التوحش، ودليل البعد عن منهج الله عز وجل.

إذاً علاقة الذكر بالأنثى ليست علاقةً إباحية، ليست المرأة كلأً مشاعاً يأكل منه من يأكل، لكرامة الله على الله هناك نظام دقيق للتعامل معها، ولكرامة الرجل على الله هناك قيود دقيقة في تعامله مع المرأة، أنت أيها الإنسان مخلوق مكرم، أنت مخلوق مكلَّف، الحركة منظمة، هناك ممنوعات، ومباحات، وواجبات، وفرائض، ومحرمات، هناك شيء يجوز، وشيء لا يجوز، أما هذا الذي ينطلق وراء غرائزه كالحيوان تماماً، كالدابة المتفلتة من عقالها فلا إيمان له، أما المؤمن فهو منضبط.

ما الذي رفع سيدنا يوسف عليه السلام إلى هذه المكانة العلية ؟ انضباطه، وما الذي جعل الإنسان الزاني يسقط من عين الله ؟ تفلته، أنت بهذه الغريزة التي أودعها الله فيك إذا ضبطتَها وفق منهج الله تنقلب هذه الغريزة إلى درجات ترقى بها، أما إذا لم تضبطها وفق منهج الله تنقلب الغريزة إلى دركات تهوي بها، إذا صعدت درجة يقال لها: درجة، فإذا نزلت يقال لها: دركة، والآية الكريمة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾

(سورة النساء)

عقد الزواج ميثاق غليظ:

لذلك لا يتم اتصال بين الذكر والأنثى إلا وفق نظام، وفق عقدٍ فيه إيجاب، وفيه قبول، وفيه شهود، وفيه مهر، وهذا العقد له مقدمات، فلابد من خطوبة، لابد من البحث والتحري لابد من التدقيق ،لابد من التأني، لابد من الكفاءة الزوجية، لابد من أن تختار امرأةً صالحة إذاً عقد الزواج أقدس على الإطلاق في عالم البشر سماه الله الميثاق الغليظ، قال تعالى:



﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

(سورة النساء)

مخالفة نظام الزواج واتباع الهوى مآله الدمار الدنيوي:

وهو عقد الزواج، إذاً هذه الغريزة غريزة الجنس الذي وضعها الله في الإنسان ليرقى بها مرةً شاكراً، ومرةً صابراً نظمها أدق تنظيم، فالمؤمن يتبع هذا النظام، المؤمن ينضبط بهذا التشريع، المؤمن يقف عند حدود الله، غير المؤمن يطلق بصره بالحرام، كلما سمحت له فرصة يروي هذه الغريزة بطريق مشروع، أو غير مشروع، لكن الله بالمرصاد، هناك أمراض كثيرةٌ، وعضالة ومدمرة فتاكةٌ تنتظر الذي يشذ عن منهج الله، فإذا أردت السلامة، إذا أردت لهذه الغريزة، أن تنتفع بها، وأن يبارك الله لك بها، وأن تسعد بها فاتبع فيها منهج الله عز وجل.

أنواع الأنكحة في الجاهلية:

1 – نكاح الخدن:

نحن نشأنا في ديار الإسلام . والحمد لله . ونشأنا من أم وأب، ولكن لو تعلمون كيف كان الجاهليون قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام يتعاملون مع المرأة لرأيتم الشيء الذي لا يصدق.

فأول أنواع الأنكحة التي كانت للجاهلية نكاح الخدن، أي نكاحٌ سري، العرب كانت تقول: ما استتر فلا باس به، وما ظهر فهو لؤم، يعني افعل في السر كل شيء، أما في الظاهر فإياك أن تفتضح، أما إذا استطعت أن تصل إلى أية امرأة سراً فهي مباحةٌ لك، هكذا انطلق الجاهليون في علاقتهم بالمرأة، هذا النكاح نكاح العشيقات، نكاح السر نكاح غير مشروع، لكن أخطر من هذا النكاح وربنا عز وجل أشار إلى هذا النكاح في القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة النساء)

الخدن العشيق، للمرأة صاحب، وللرجل صاحبة، هذه الآن موجودة في العالم الغربي، له زوجة، وله عدة عشيقات، لها زوج، ولها عدة أصدقاء، طبعاً هذه جاهلية، وربنا عز وجل أشار إلى هذا فقال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

(سورة الأحزاب)

وكأن في هذه الآية إشارةً إلى أن هناك جاهلية أخرى هي أشد وأنكى من الجاهلية الأولى.

2 – نكاح البدل:

وهو أن يقول الرجل للرجل: انزل لي عن امرأتك، وأنزل لي عن امرأتي وأزيدك، هي سلعة يتبادل بها، وهذا هو الفرق، هذا النكاح كان في الجاهلية، هذه الجاهلية جهل وانحراف، وفسق، وفجور.

3 – نكاح الاستبضاع:

وقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها أنواعًا كثيرة من أنكحة الجاهلية، من هذه الأنكحة أن يقول الرجل لامرأته إذا طهرت من طمسها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، يعني: اذهبي إلى فلان لتحملي منه، هكذا كانت العرب في الجاهلية، هذا النكاح نكاح الاستبضاع، فلان على مستوى عالي من الذكاء نجيب، شجاع، فيه صفات جيدة لتحسين النسل.

3 – نكاح الرهط:

ونكاح آخر هو نكاح الرهط ما دون العشرة، يدخلون على المرأة جميعاً فيصيبون منها، فإذا حملت، ووضعت، ومرت عليها ليالٍ أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل أن يمتنع عن أن يأتيها حتى يجتمع عندها، فتقول: قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، وتختار واحدًا لا على التعيين، هو حظه، هذا نكاح آخر كان سارياً في الجاهلية، انظروا كيف كنا قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام.

4 – نكاح البغايا:

أما النكاح الرابع هو نكاح البغايا: يدخلون على المرأة فلا تمتنع ممن جاءها، هؤلاء البغايا ينصبن على أبوابهن راياتٍ تكون عَلَماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن، ووضعت جمعوا لها الرجال الذين دخلوا عليها، ونظروا أقرب الوجوه شبهاً لهذا الرجل، فينسب إلى هذا الرجل.

نكاح البغايا، نكاح الرهط، نكاح الاستبضاع، نكاح البدل، نكاح الخدن، هكذا كانت أنكحة الجاهلية، وقد أكرمنا الله بالإسلام فنظم هذه العلاقة.

حضُّ الإسلام على الزواج وأدلة ذلك:

أولاً: موضوع الزواج يجب أن يكون هدف كل شاب، وفي أقرب وقت، وعلى الآباء والأولياء تقديم كل تسهيل، وكل معونة، وكل تبسيط، وعليهم إن لم يفعلوا ما أمرهم به الشرع أن يتحملوا تبعة امتناعهم فسقاً وفجوراً وفضائح ومآسي لا حصر لها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[الترمذي]

الآن أضع بين أيديكم نماذج كثيرة جداً من نصوص الكتاب والسنة كي تعرفوا كيف حض الشرع على الزواج، لأن الحقيقة أن نظام المجتمع البشري أساسه الزواج، هذا المجتمع الكبير بناء ضخم، اللبنة الأولى فيه هي الأسرة، وأي نظام اجتماعي يكرم الأسرة، ويشجع على بنائها، ويسهل لها إنشائها، هذا نظام جيد، وأي نظام يحل السفاح مكان النكاح، ويمتنع عن إنجاب الأولاد.

لي قريب ذهب إلى أمريكا ليزور أخاه هناك، البيت الملاصق رأى بأم عينه على الشرفة ألبسة أطفال صغار قد نشرت بعد أن غسلت، فتيقن أن في هذا البيت أطفالاً، بعد حين سكن هذا البيت صديق أخيه، فتمت زيارة بينهما، فلما سأله: كم ولدًا عندك ؟ لأنه رأى ألبسة في الشرفة، فقال: ليس عندي أولاد، فقال له: كيف ذلك ؟ قال له: عندي كلاب، وهذه ألبسة الكلاب، إذاً: رغب القرآن الكريم في الزواج به.

مثلاً: قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآَيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

(سورة الرعد)

هل يوجد أعلى من الأنبياء والمرسلين ؟ أعلى طبقة في المجتمع، نخبة البشر، صفوة البشر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحاً وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة آل عمران)

الأنبياء والمرسلون وهم قمم البشر، ربنا ﷻ قال:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآَيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

(سورة الرعد)



الزواج إذاً شيء مشرف.

وفي حديث الترمذي عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: الْحَيَاءُ وَالتَّعَطُّرُ، وَالسِّوَاكُ، وَالنِّكَاحُ))

هذا الكلام ينبغي أن يترجمه الآباء، أولياء الفتيات، إذا كنت ميسور الحال، وأمّنت بيتًا لصهرك فهذا عمل عظيم، هذا عمل ضروري.

يا أولياء الشباب، إذا أعنت ابنك على الزواج، أوجدت له بيتًا، أمّنت له حاجاته، فهذا عمل عظيم.

يا معشر الشباب، إذا وفّرت، واشتغلت بنية الزواج فهذا عمل عظيم.

إن الفتاة إذا أعدت نفسها لتكون زوجة فاستقامت على أمر الله، وحفظت كتاب الله، وتفقهت في دين الله، وهيئت نفسها لكي تكون أماً فإنّ الله سبحانه وتعالى لابد من أن يكرمها بمؤمن يجعل منها ومنه بيتاً إسلامياً.

الآن حض آخر على الزواج، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

(سورة النحل)

من فضل الله عليكم أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً، تارةً وصف الأنبياء والمرسلين، وهم قمم البشر، وصفوة البشر بأن لهم أزواجًا وذرية، وتارة منّ الله على بني الإنسان بأن خلق له بنين وحفدة، وكيف لا نصدق ذلك، وقد جعل الله نظام الزوجية آية من آيات الله الدالة على عظمته ؟ قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الروم)

من آياته الليل والنهار، من آياته الشمس والقمر، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها.

أنا أذكر قصة، هي توضح هذه الآية، أعرف رجلاً كان مقيمًا في بلد نفطي، يعمل هناك، يأتي كل عام كإجازة شهر يبحث عن زوجة فلا يهتدي، ويعود إلى عمله في البلد النفطي، العام الأول لم يتمكن من أن يتزوج، والعام الثاني لم يتمكن، والثالث لم يتمكن، والرابع بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين، كما يقال في المثل العربي، وبلغ السكين العظم، إلى متى ؟ فأول يوم وصل، ثاني يوم أرسل والدته للخطبة، ثالث يوم لا يوجد شيء مناسب، مضى أول أسبوع، والثاني، ومضى الثالث، ومضى الرابع، وسفره الخميس، ويوم الأربعاء والدته عثرت له على فتاة مناسبة، شيء جميل، أجرى عقدًا الخميس بالمحكمة، وسفره الساعة الرابعة، فذهب إلى المطار، وخرجت

زوجته التي عقد عقدها في اليوم نفسه إلى المطار لتودعه، فلما خرج من قاعة المسافرين إلى بهو المطار الداخلي بكت بكاءً مُرًّا، فقلت: سبحان الله ! البارحة لا تعرفه، ولا يعرفها، ما الذي حصل ؟ هذه من آيات الله، الذي عنده بنات لما تتزوج البنت صار زوجها أغلى عليها من أي إنسان، تريد أن تأخذ أغراض البيت كلها إلى بيت زوجها، ومن آياته الدالة على عظمته، والأب يسّر، والأب عندما يرى زوج ابنته في تفاهم مع ابنته فهذه سعادة كبرى له، ينام قرير العين، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

(سورة الفرقان)

إذا قال الإنسان: أنا لا أملك من أين أحضر المال ؟ البيت ثمنه كبير، ولا إمكانية للإيجار، الزوجة تريد مصروفًا، والذهب ثمنه باهظ، وغرفة النوم أيضًا، وكذا غرفة الضيوف، من أين أحضر الأموال ؟ أنا إنسان دخلي وسط، هكذا يقول، ثم يقرأ قوله تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة النور)

هذه الآية يجب أن نتمسك بها، وهي كلام ربنا، وعندما تتزوج يرزقك الله، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا))

[ورد في الأثر]

إذا أحجم الرجل عن الزواج أو عن التزويج، وقال: ماذا يملك هذا الذي خطبك بنتي ؟ لا نقبل، تقول لي: ماذا يملك ؟ هذا كلام ليس له معنى، يجب أن تعينه، وتقبل معه باليسير، وإلا يحل السفاح مكان النكاح، وإلا ترى نصف بيوت الشام أصبحت بيوت دعارة، لا خيار غلا في الزواج، فالمسلمون إما أن يستيقظوا، ويحلوا هذه المشكلة، وإما . والله. هناك أيام سوداء لا يأمن الرجل على ابنته أن تخرج من البيت،

((... إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

إذا قال لك ابنك: يا أبي، تعطيني غرفة مِن عندك فقل له: أعطيك، تقسم لي البيت، نعم، أقسم لك البيت، والله هناك آباء الآن . أقسم بالله . إني أكبرهم أشد الإكبار، يبيع بيته في الشام بعشرة ملاين، ويأخذ لأول ابن بيتًا، وللثاني بيتًا، ويسكن هو خارج دمشق، أو بحي من أحد أحياء دمشق القديمة البعيدة، وهذه بطولة.

هناك آباء يقول أحدهم: لا أخرج من البيت إلا وقت الموت، وهو في بيت مساحته أربعمئة متر، ثمنه ثلاثون مليونًا، وأنت وزوجتك، وعندك شباب يتحرقون على زواج، بع هذا البيت، وصغّره، ماذا يحدث ؟ هذه بطولة الآن.

أنا أقول كلامًا واقعيًا: الأب البطل الذي يهيئ تزويج أولاده بأي شكل، يصغّر بيته، يقطع عن فمه بالتعبير العامي حتى يؤمّن أولاده، لأن الابن إذا انحرف فهو في رقبة الأب، إذا لم يكن ابنك في الإيمان الكافي زلّت قدمه، آية كريمة أنا كنت في حيرة شديدة معها، قال تعالى:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة النور)



هل يمكن لإنسان على وجه الأرض . والله يخاطب المؤمنين . أن يجبر ابنته على البغاء ؟ ما أدري لهذه الآية من معنى ؟ لكن معنى هذه الآية: أنّ الأب الذي يضع العراقيل أمام تزويج ابنته، فتارةً لا يوجد بيت، وتارةً لا يوجد له دخل ثابت، وثالثاً مدخل بيتهم مُزرٍ، هذه أصبحت علة، كل إنسان يضع عراقيل أمام تزويج ابنته كأنه يدفعها إلى البغاء من حيث لا يدري، فلذلك قال تعالى، وهذا الأمر إلهي:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة النور)

الأيامى مفردها أيّم، والأيّم هو الرجل أو المرأة الشاب، أو الشابة الذي لا زوجة له، أو لا زوج لها، اسمها أيّم، قال تعالى: (أَنْكِحُوا)، افتحوا الجامع الصغير على حرف الحاء، حق المسلم على المسلم، حق الأب على ابنه، حق الابن على أبيه، حق الأخ على أخيه، حق الجار على جاره، حوالي ثلاثة عشر حديثًا، هناك حديث واحد إن قرأته اقشعر جلدك، ولا يوجد غيره:

((ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتِب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف))

[الترمذي، والنسائي ‘ن أبي هريرة]

أيها الشباب لكم عند الله حق، إذا أردت الزواج أن يعنيك الله، كيف لا أعلم ولكن يوجد معونة ادخرها لك، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

(سورة الطلاق)

أنا سمعت قصة تركت في نفسي أثراً بليغاً لشاب ناشئ عنده مكتبة صغيرة، وأمام المكتبة سبعة أبنية، وكل بناء فيه اثنا عشر طابقًا، وكل طابق ثمنه ثلاثون مليونًا، وفي هذه المنطقة تسكن طبقة غنية، السيارات والفتيات، فقال لوالدته: اخطبي لي من هذه الأبنية، أنا إنسان آدمي، فأمه تعرف ما ابنها، وما يملك، فقالت له: أنت ماذا تملك ؟ من يعطيك من هذه الجماعة ؟ فقال لها: والله أنا إنسان آدمي، ومستقيم، ولا أعرف الحرام، وهذا الكلام غير مقبول، فألحّ عليها مرة ثانية، ومرة ثالثة، وبعد ذلك كذبت عليه، وقالت: ذهبت، ولم يقبلوا بك إطلاقاً، وقالوا: هل يوجد لديك بيت ؟ فتألم ألمًا شديدًا، ويبدو أنه صادق مع ربه، يقف على مكتبته رجل من أصحاب هذه البيوت، فقال له: يا بني ما اسمك ؟ هل أنت متزوج، فقال له: لا والله يا سيدي، فقال له: أنا عندي ابنة للزواج، فألهم الله أحد الآباء، وهذه القصة واقعية، وهناك قرابة، وأنا أعرفها جيداً، هذا الشاب المستقيم الذي أراد العفاف،

ألقى الله في قلب أحد الآباء محبته، شاهده مستقيمًا، يغض بصره، صادق في بيته، ونظيف ومرتب، فقال له: أرسل والدتك، والبنت مناسبة جداً، وفي هذه الأبنية نفسها، فأرسل والدته، وصار الاتفاق والعقد، والله وفقه.

هناك كلمة يقولها العوام أنا تهز مشاعري . هل أنت أكرم من الله عز وجل ؟ ضع ثقتك بالله عز وجل، من تزوج ملَك نصف دينه فليتقِ الله في النصف الآخر، يجب أن نسهّل، بيت خارج الشام، هل من المعقول أن أسكن خارج الشام ؟ نعم معقول، وأنت أنتَ، ومكانتك كما هي، يجب أن تتساهل أيها الأب، البيت ثمنه ثمانية ملايين، وخارج الشام ثمنه مليون، والمواصلات جيدة جداً الآن، يجب أن تتساهل بمكان البيت، وبحجم البيت، يجب أن تحقق شرع الله عز وجل، شرع الله بتيسير الزواج.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ))

أيها الشاب لك عند الله حق أن يعينك إذا طلبت العفاف، أنا أنصح كل شاب، كلما بالغ في غض بصره، وحفظ فرجه، والبعد عن المزالق كلما قرب الفرَج عليه، الله عز وجل ناظر إليه، إن الله ليباهي الملائكة في الشاب المؤمن، يقول: انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي، لأن الطرقات فيها نساء كاسيات عاريات.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ))

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ:

((لَمَّا نَزَلَتْ: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أُنْزِلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا أُنْزِلَ لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ...))

الذهب والفضة كنزه مشكلة، هل يوجد مال آخر إذا جمعناه لنا فيه الخير ؟ فقال، ودققوا:

((... فَقَالَ: أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ))

كيفما تحرك يثني على الله، يا رب، لك الحمد، والزوجة كنز من كنوز الدنيا، وقد روى الطبري بسند جيد عن ابن عباس رضي اله عنهما أن النبي ﷺ قال:

((أربع من أصابهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدنًا على البلاء صابراً، وزوجةً لا تبغيه حوباً في نفسها ولا ماله))

لسان شاكر، وقلب ذاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة مؤمنة لا تظلمه لا في نفسها ولا في ماله، لا تتلف ماله، ولا تتساهل مع غيره، عفيفة، أحيانا الإنسان في ساعات إشراقه الروحية يقول: لا أريد أن أتزوج، وإذا فكر الإنسان هذا التفكير يكون قد خالف السنة، لأن هناك حديثًا صحيحًا رواه البخاري ومسلم عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَي وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري ومسلم]

هذه سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يسعنا إلا اتباع سنة النبي.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

[سنن ابن ماجه]

أعظم شيء تناله بعد تقوى الله عز وجل زوجة صالحة، بعد طاعة الله عز وجل وبعد التقوى الزوجة المؤمنة.

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ، مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ))

[رواه أحمد بإسناد صحيح]



تزوج رجل صالح امرأة سيئة جداً، فلما قيل له: طلقها قال: والله لا أطلقها فأغشّ بها المسلمين.

وروى الطبراني والبزار و الحاكم وصححه، وقد جاء تفسير هذا الحديث في حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال:

((ثلاثة من السعادة المرأة الصالحة، تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك))

أنتم تعيشون في نعمة لا تعرفونها أبداً، والمفروض أن الإنسان يعرفها وهي في حوزته، إذا كان لرجل منكم بيت وزوجة، وذهب إلى عمله مطمئنًا أشد الطمأنينة، وهذه نعمة لا تقدّر بثمن، ولا يعرفها إلا من فقدها، إلا من شك في زوجته، إلا من خشي أن يدخل عليها أحد في غيبته، أما الذي يطمئن لها ولعفتها، ولإخلاصها، ولحرصها على نفسها، ولتسترها وتحجبها فهذه نعمة لا تقدر بثمن.

((... وثلاث من الشقاوة، المرأة تراها فتسوءك، وتحمل لسانها، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك))

دائماً هي مهملة لنفسها، كل زينتها وأناقتها لغير زوجها، هذه حال نساء اليوم، كل نعومتها ولطافتها لغير زوجها، أما لزوجها فالكلام القاسي، والهيئة المهملة، والنظرة القاسية.

هناك امرأة كثيرة الشر، فمن شدة قسوة لسانها على زوجها، من شدة تأنيبها له، من شدة انتقادها المستمر ضاق بها ذرعاً، فرجاها أن تسلك هذا السلوك يوماً، وتدعه يوماً، ففي اليوم الذي عاهدته أن لا تقول شيئاً تقول له: غداً.

الزواج عبادة:

آخر شيء في فضل الزواج، الزواج عبادة يستكمل بها الإنسان نصف دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حال من الطهر والنقاء، أحياناً تشاهد امرأة ورجلا في الطريق، فإذا كان معهما ولد ترتاح، معنى هذا أنها زوجته، دائماً الطفل يوثق العلاقة، الطفل يعطي البراءة، وحسن السلوك، فالنبي ﷺ يقول:

((من رزقه الله زوجةً صالحةً فقد أعانه على شطر دينه، وليتّقِ الله في بالشطر الباقي))

[رواه الطبراني والحاكم وقال صحيح إسناده]

لما يتزوج الإنسان، وينظر يمنةً ويسرةً، وشرقاً وغرباً مشكلته كبيرة جداً، وهذا عقابه أليم، لأنه أصبح محصناً.

ذهب رجل إلى أوربا، ويظهر أنه أطلق لنفسه العنان، شاهد أشكالا وأنواعًا، فلما عاد ساءت علاقته مع زوجته جداً، فلما سئل قال: ما أحسنَّا اختيار زوجته، طبعاً كل إنسان متزوج، ويبحث عن متعة خارج بيت الزوجية معنى هذا أنه إنسان لا يعرف الله إطلاقاً، ولا يعرف أحكام الشرع أبداً، وهذا أكبر عقاب له، شقاء زوجي ما بعده شقاء.

عنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِرًا مُطَهَّرًا فَلْيَتَزَوَّجِ الْحَرَائِرَ))

[ابن ماجه]

أحيانا يموت الإنسان أعزب، هناك تساؤلات، ظنون، شكوك، يدع هناك سؤالا كبيرًا، أما الإنسان المتزوج فسمعته نقية، معه شهادة حسن سلوك.

قال ابن مسعود، وهذا ليس حديثاً شريفاً: **<< لو لم يبقَ من أَجَلِي إلا عشرةِ أيام، وأعلم أني سأموت في آخرها، ولي طول نكاح فيهن لتزوجت مخافة السنة >>.**

يبقى الزواج شرعيًا، وأي سلوك خارج الزواج سلوك فيه معصية كبيرة جداً.

الحكمة من الزواج:

الحكمة الأولى: الزواج هو القناة النظيفة للغريزة الجنسية:

بقي علينا موضوع قصير في موضوع الزواج، وهو حكمة الزواج، الحقيقة أن أكبر غريزة في الإنسان، وأعنفها هي الغريزة الجنسية، هذه الغريزة حينما تفرغها في القناة النظيفة التي شرعها الله عز وجل فكأنها قنبلة نزعت عنها الفتيل، كان هناك شيء متفجر، فوضعت عليه صمام الأمان، يمكن أن يكون هناك تفجر، وانحراف، وزلة قدم، وزنا، فلما تزوج الإنسان فهذه الطاقة الكبيرة، وهذا الاندفاع الشديد، وهذه الغريزة المتأججة انتهت، وهذا المسلك الطبيعي لها، لذلك قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الروم)



لتسكنوا، معنى هذا أن هناك اضطرابًا، وقلقًا، ورغبة، وشعورًا بالحرمان، كله انتهى، إنه أغض للبصر، وأحصن للفرج.

إذاً أول حكمة أن هذه الغريزة الطبيعية التي أودعها الله في الإنسان من خلال الزواج هذه الغريزة تسلك سلوكاً طبيعياً، وتغدو حياة الإنسان طبيعيةً، ويصبح

له توازنًا، وطمأنينة، وسكونًا، كلمة سكن تشير إلى هذا المعنى، السكن معنى أنه يوجد اضطراب.

عَنْ جَابِرٍ

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ...))

[أبو داود والترمذي]

المرأة رمز الدنيا، فإذا نظر الإنسان إلى امرأة مقبلة فهي شيطان، طبعاً إذا كانت سافرة، فإذا نظرت إليها فكأنما شيطان يدعوك إلى معصية.

((... فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّهُ يُضْمِرُ مَا فِي نَفْسِهِ))

[مسلم، وأبو داود والترمذي]

المرأة الأجنبية الكافرة شيطانة تدعو إلى الفتنة، تدعو إلى الانحراف.

ثمة موضوع ذكرته سابقاً، حينما تسفر المرأة، وحينما تبرز مفاتنها فلسان حالها يدعو إلى التحرش بها، أما حينما تتحجب فلسان حالها يدعو إلى البعد عنها، واحترامها وتقديسها، وزيّ المرأة ينطق عنها، زيها المحتشم ينطق بعفتها وحشمتها، واستقامتها وطهارتها، وزيها غير المحتشم ينطق عنها برغبتها بالانحراف، ودعوتها للذئاب لينهشوا منها.

عندما ربنا قال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

(سورة الأحزاب)

المرأة المؤمنة الحد الأدنى الذي يؤكد أنها مؤمنة حجابها، أما الأعلى فأن تعرف الله، أن تعرف منهج الله، أن تعرف حق الزوج، أن تعرف حق أولادها عليها، أن تكون محسنةً، أن تكون عفيفةً، لكن حدها الأدنى أن تكون محجبةً، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، معنى ذلك أن المرأة إذا لم تتحجب، وآذاها من آذاها فكأنما أعطتهم المبرر.

عندنا في اللغة لسان المقال، ولسان الحال، وقد يكون لسان الحال أبلغ من لسان المقال، فلباس المرأة لسان ينطق عنها، فإن كانت محتشمة كأنها تقول: أنا امرأة مسلمة، فابتعدوا عني، أنا لي زوج، أما إذا ارتدت لباساً فاضحةً فلسان حالها يدعو إلى التحرش بها، من زيها لا تؤذيها، ومن زيها تؤذيها.

الحكمة الثانية: الزواج أفضل وسيلة للإنجاب:

الحكمة الثانية أن الزواج أفضل وسيلة لإنجاب الأولاد، وتكثير النسل، واستمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب.

إنّ رجلا خبيرًا من دولة أجنبية أقام حفلا كبيرًا جداً لأصدقائه بمناسبة أنه أنجب مولوداً، وهو له في هذه البلدة سنتين، لا يهمه هذا، وزوجته أرسلت له رسالة أنها أنجبت مولوداً فأقام احتفالاً كبيراً، لأنه أنجب مولوداً، لكن هذا الغلام من غيرك، هذا لا يهمّه.



هناك قصة مشهورة تُروى عن إنسان خطب فتاة، فلما استشار والده قال له: لا يا بني، هذه أختك، وأمك لا تدري، فلما اختار فتاة أخرى قال له: هذه أيضاً أختك، وأمك لا تدري، فلما أشار إلى فتاة ثالثة قال: يا بني، هذه أختك أيضاً، وأمك لا تدري، فلما ضاق ذرعاً بأبيه شكا إلى أمه، فقالت له: خذ أياً من هؤلاء، فأنت لست ابنه، وهو لا يدري.

هذا مجتمع الغرب، لكن مجتمع المسلمين مجتمع الطهر والعفاف، مجتمع النظافة مجتمع العفة، نحن نحمد الله على أننا في مجتمع نظيف، وما زال فينا بقية من طهر وعفاف، هذه بلدة مباركة، الشيء الذي يوصف به أهل الغرب شيء لا يوصف، انحلال خلقي، تبادل زوجات، زنا محارم، أمراض وبيلة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

هذا مقياس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يبدو أن أعظم ما في المرأة مودتها لزوجها، وإنها تنجب له أولاداً أطهاراً.

دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان ويزيد بين يديه، وهو ينظر إليه إعجاباً به، فقال: **<< يا أبا بحر، هذه كنية الأحنف بن قيس، ما تقول في الولد ؟ فعلم ما أراد، فقال: يا أمير المؤمنين، هم عماد ظهورنا، و ثمرة قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نطول على أعدائنا، وهم الخلف منا لمن بعدنا، فكن لهم أرضاً ذليلة، وسماءً ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك فيملّوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك >>.**

الأب البخيل . والعياذ بالله . إذا مرض، وجيء له بالطبيب، وقال الطبيب: اطمئنوا، لا يوجد شيء، ينزعج الأولاد جداً، أما الأب الكريم فحياته أغلى عليهم من حياتهم أنفسهم.

أيها الآباء هذا الكلام لطيف، **<< فكن لهم أرضاً ذليلة، وسماءً ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك فيملوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك، فقال: لله درك يا أبا بحر >>.**

هل تصدقون أن إنسانًا في غرفة العمليات، وعملية خطيرة جداً يأتي أشد الناس قرباً منه ليفاوض الطبيب على قتله في أثناء العملية على مبلغ كبير.

أنا معجب بكل أب أعطى أولاده وهو في حياته ما يريدون، حتى شعروا أن أباهم شديد العطف عليهم، طبعاً بالعدل فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَلَكَ بَنُونَ سِوَاهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فلا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

[متفق عليه]

أن تعطيهم في حياتك، وأن تعدل بينهم في حياتك، هذه من واجبات الآباء.

الحقيقة أن في الإنسان غريزة الأبوة والأمومة، هذه الغريزة الراقية جداً لا تظهر إلا في الزواج، وإنجاب الأولاد، ترى الشاب طائشًا، فعندما يأتيه ولد يصبح إنسانًا آخر، نشأ في قلبه العطف والحب، فغريزة الأبوة، وغريزة الأمومة لا تظهر إلا من خلال الولد، هذه الغريزة فضيلة في الإنسان، الزواج يشعر الزوج بالتبعة، بالمسؤولية، عنده زوجة، وعنده أولاد يحتاجون إلى مصروف، تراه ينصرف إلى عمله دؤوباً، يبذل ويضحي، صار إنسانًا مقدسًا، أما الذي ليس له زوجة، ولا أولاد أكثر أيامه يقضيها في النوم، كسول، أما الذي له زوجة وأولاد، وعليه تبعات هذا ينطلق إلى عمله، والنبي ﷺ أثنى على كل شاب فقال: إذا خرج هذا الشاب يرعى أهله فهو في سبيل الله.

خروج الشاب من بيته إلى عمله يرعى أبويه، أو أهله، أو أولاده فهو في سبيل الله.

كلكم يعلم أن المرأة التي شكت إلى النبي عليه الصلاة والسلام زوجها، قالت:

((يا رسول الله، إن فلان تزوجني وأنا شابة ذات جمال وأهل ومال، فلما كبرت سني، ونثرت له بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي قال: أنت علي كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام))

[ابن ماجه عن عائشة]

موطن الشاهد أن الأم مهمتها تربية الأولاد، وأن الأب مهمته كسب الرزق، وهذا اختصاص، هناك تكامل بين الزوجين، المرأة في الداخل، ولها كل الخصائص والمشاعر، وهو في الخارج، وله كل الخصائص والمشاعر المتعلقة بعمله خارج المنزل.

حقيقة علمية: الأزواج أطول عمرا من غير المتزوجين:

آخر شيء في الدرس أن تقريرًا لهيئة الأمم المتحدة نشر في الشهر السادس من عام تسعة وخمسين وتسعمئة وألف، هذا التقرير مبني على دراسة إحصائية مطولة جداً، يثبت أن المتزوجين أطول أعماراً من غير المتزوجين، لأن طبيعة الإنسان تتوافق مع الزواج، التقرير طويل، ومعه أدلة كثيرة، وإحصاءات، ولكن ملخصه أن المتزوجين أطول أعماراً من غير المتزوجين، لأن الزواج عمل وفق عضوية الإنسان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : الزواج الإسلامي ومكانة المرأة وأهميتها في المجتمع الإسلامي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة :

بسم الله، بسم الله نستفتح بالذي هو خير، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

أيها الأخوة المستمعون؛ يسر إذاعة الشرق أن تلتقي في دمشق مع فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، لنتابع وإياه سلسلة لقاءاتنا مع العلماء الأجلاء ضمن بحثنا عن الأسرة في الإسلام.

حديثنا اليوم سيكون عن مفهومات الزواج الصحية وشروطه انطلاقاً من قوله تبارك وتعالى في سورة الروم:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم: 21]

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً وسهلاً بكم معنا في إذاعة الشرق، هل لنا بداية أن نلقي بعض الومضات لفلسفة الزواج في الإسلام؟

فلسفة الزواج في الإسلام :

الدكتور راتب :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾

[سورة الروم: 22]

﴿ وَمِنْ آيَاتِه اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم: 21]



الآية في اللغة هي العلامة الدالة على وجود الله، ووحدانيته، وكماله، فكما أن خلق السموات والأرض مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، وكما أن الشمس والقمر والليل والنهار آيات دالة على عظمة الله تعالى، كذلك خلق الإنسان من ذكر وأنثى آية كبرى دالة على حكمته وعلمه ورحمته، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾

[سورة الروم: 21]

فالزوجة من طبيعة الزوج الإنسانية تفكر كما يُفكر، وتشعر كما يشعر، وتحب كما يحب، وتتمنى كما يتمنى، وتؤمن كما يؤمن، وترقى كما يرقى، ويُسعدها ما يُسعده، ويؤلمها ما يؤلمه، ويُغضبها ما يُغضبه، ويُرضيها ما يُرضيه، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

[سورة الروم: 21]

فلو أنها كانت على شاكلته ومن طبيعته لم يسعد بها، ولم يسكن إليها، وأية نظرة إلى المرأة تنطلق من طبيعة غير طبيعة الرجل أو أنها دونه هي نظرة جاهلية لا تَمُتُ إلى الإسلام بصلة، سواء أكانت من الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام، أو التي بعد الإسلام، جاهلية العنصرية والطبقية والظلم.

مساواة المرأة للرجل في التكليف و التشريف :

بل إن الإسلام يقرر أن المرأة مساوية للرجل تماماً من حيث التكليف، ومن حيث التشريف، فهي كالرجل مكلفة بأركان الإسلام، وأركان الإيمان، وهي مسؤولة أمام الله عما استرعاها الله به من زوج وأولاد، فقد ورد في الحديث الصحيح:

((.. فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا؟ فالتفت النبي ﷺ إليها ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله. فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً))

[مسلم عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

وفي حديث آخر:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[كنز العمال عن أنس]

وهذا ما يؤكده قوله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل : 97]

انظر إلى كلمة من ذكر أو أنثى ثم انظر إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[سورة الأحزاب: 35]

هنا المساواة التامة من حيث التكليف، ومن حيث التشريف.

الذكر و الأنثى مختلفان لكنهما متكاملان :

لكن أقول: إن الرجل له طبيعته الجسمية والعقلية والنفسية، وإن المرأة لها طبيعتها الجسمية والعقلية والنفسية، إنهما ليسا متشابهين لكنهما متكاملان، وخصائص أحدهما شرط لازم غير كاف لإسعاد الأولاد، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة صراحة:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

[سورة آل عمران: 36]



الذكر والأنثى ليسا متشابهين لكنهما متكاملان

وقد ألّف واحد من أكبر علماء النفس الفرنسيين كتاباً عن خصائص الذكور والإناث النفسية والعقلية والسلوكية، وبيّن الفرق الواضح بينهما، وما من عنوان أصدق على مضمون هذا الكتاب من قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

[سورة آل عمران: 36]

وهناك آية كريمة أشارت إلى هذه الحقيقة تلميحاً لا تصريحاً قال تعالى:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى *وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى *وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾

[سورة الليل 1-4]

يا ترى ما علاقة الذكر والأنثى بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى؟ ففي الأول الضياء والحركة، وفي الثاني الخفاء والسكون .



إنهما مختلفان لكنهما متكاملان، في الأنثى السكينة والحياء والتستر، وفي الذكر العمل والإقدام، إنهما مختلفان لكنهما متكاملان، كما أن الليل والنهار مختلفان لكنهما متكاملان، وكُلٌّ منهما شرطٌ لازمٌ غير كافٍ لاستمرار الحياة البشرية، فما نقص من قوة إدراك المرأة، وضعف اهتمامها بالقضايا العامة وهو كمال فيها، وضروريٌ لِحُسنِ أدائها لوظيفتها التي أنيطت بها، وما زاد من قوة انفعالها وشدة اهتمامها بأولادها كمال فيها، وضروري لحسن تربيتها لأولادها، وما زاد في قوة الرجل قوة إدراكه ونقصٍ في شدة انفعاله كمال فيه وضروريٌ لأداء مهمته التي أُنيطت به، كما قلت قبل قليل: إنهما متكاملان كل منهما يكمّل الآخر. جاءت امراة إلى النبي ﷺ تشكو إليه زوجها قالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال: أنت عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، أشارت إلى دور كل واحد منهما، لقد أشارت هذه المرأة أن دورها الأساسي هي تربية أولادها، وإلى أن دور زوجها الأساسي في كسب الرزق.

إذا مع أن المرأة والرجل متساويان تماماً في التكليف والتشريف إلا أن لكل منهما وظيفة أنيطت به، وقد وهب الله عز وجل الرجل الخصائص العقلية والنفسية والجسدية والسلوكية والاجتماعية كي يقوم بواجبه وبوظيفته أكمل

قيام، وكذلك خصّ الله المرأة بقوام وبطبيعة نفسية وجسدية واجتماعية وسلوكية من أجل أن تقوم بمهمتها خير قيام، وأي نظام اجتماعي يلغي هذه الفوارق بين الذكور والإناث تلك الفوارق التي أرادها الخالق الحكيم لكي تنتظم الحياة ويسعد البشر نظام فاسد.

الإسلام لم يَحُد من دور المرأة في خوض المجتمع، والعمل، والاحتكاك مع الآخرين في كسب المال والرزق، وإلى ما هنالك من نشاطات اجتماعية أخرى تصب لمصلحة الأسرة ومصلحة المجتمع.

إباحة عمل المرأة دون مخالفة منهج الله :

بشرط ألا تخالف المرأة منهج الله، لها أن تعمل من دون أن تخالف منهج الله لا في اختلاطها، ولا في كشف زينتها التي أمرها الله أن تسترها، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[سورة الأحزاب: 33]

أي إذا خرجتن لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى.



هل إذا قلنا للطيار مثلاً: اجلس في غرفة القيادة لتوصل الركاب إلى محط رحالهم سالمين هل يعد ذلك تقييداً لحرية هذا الطيار أم أنه أداء لمهمته؟ حينما خُلِقَت المرأة على ما هي عليه من أنوثة واستحياء خلقت لتكون أُماً، أو زوجةً، أو أختاً، أو بنتاً، وليس في حياة الرجل امرأة غير هؤلاء. سُئِلت فنانة فرنسية يبدو أنها صادقة مع نفسها وقليلات من هن كذلك، ما شعورك وأنت على خشبة المسرح؟ قالت: شعور الخزي والعار، وهذا شعور كل أنثى تعرض مفاتنها على الجمهور، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين، وفي غُرفٍ مغلقَة، هذه هي نظرة الفِطرة

التي لم تشوّه، وفي قصة ابنتي سيدنا شعيب مع سيدنا موسى عليهما السلام إشاراتٌ دقيقةٌ إلى خصائص المرأة والرجل، قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

[سورة القصص: 23-25]

فما كان لابنتي سيدنا شعيب أن تخرجا إلا لسببٍ قاهر

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

وحينما خرجتا لم تختلطا بمجتمع الرجال:

﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾

وأخص خصائص المرأة في هذه القصة حياؤها

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

وأخص خصائص الرجل في هذه القصة قوته وأمانته

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ ﴾

كأنَّ الله سبحانه وتعالى لفت نظرنا إلى أن الذي يُعجب المرأة بالرجل قوته وأمانته، وأن الذي يُعجب الرجل بالمرأة حياؤها، فمن علامات آخر الزمان أن الحياء يرفع من وجوه النساء، وأن النخوة تنزع من رؤوس الرجال.

شروط الزواج الصحيّة :

واللهِ أنا أرى ولِاسيما في هذا الزمان أن يُسارع المرء إلى الزواج، لأن الشاب إذا اكتملت رجولته، وتوفر له عمل يُدرُّ عليه بعض المال، لابد من أن يحفظ دينه بالزواج، والنبي عليه الصلاة والسلام وصف الزواج بأنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج، أما إذا لم يمكن أن يتزوج لأسباب أو لأخرى فعليه بالصبر، أما الزواج فأولى، والصوم فيه وِجاء كما قال عليه الصلاة والسلام، لكن أنا من أنصار الزواج المبكر، ولا سيما في زمن الفتنة، فقد خاف النبي على أمته من بعده من النساء، والشاب أخطر شيء يمكن أن يودي به إلى الهاوية أن تزل قدمه فيتحرك بعمل لا يرضي الله عز وجل، فمن تزوج ملك نصف دينه، فليتقِ الله في نصفه الآخر، اكتمال رجولته، وتوفر عمل له يُدِرُّ عليه بعض الكسب، هذا ما يجعله أهلاً للزواج، وأنا أرى أن المجتمع كله ينبغي أن يسعى لتوفير هذا المطلب المشروع لكل شاب، يستنبط هذا من قوله تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة النور: 32]



عدم تيسير الزواج يؤدي إلى تفشي السفاح بدل النكاح

هذا أمر موّجه إلى الأمة بأكملها، ولا سيما لأولي الأمر، عن طريق توفير البيوت، وتوفير الحاجات الأساسية للزواج، فحينما نُيسّر البيوت والأعمال عندئذ كأنما يسرنا سُبُل الزواج، فإما أن يكون الزواج مشروعاً نظيفاً يحمي المجتمع من الفساد، وإما ان يكون سِفاحاً يودي بنا إلى الهاوية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[الترمذي، ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

فحينما يوّجه الأمر الإلهي إلى مجموع الأمة هو موّجهٌ إلى مجموعها كأولياء الأمور، وموّجهٌ إلى أولي الأمر بالذات، ليعملوا على توفير الحاجات، وتذليل العقبات، كي يستطيع الشاب أن يرى الطريق إلى الزواج سالكاً، كما أنه ليس هناك عقبات كثيرة، كما أنني أنصح آباء الفتيات أن ييسروا على طالبي فتياتهم سُبُل الزواج، لأن الآية الكريمة التي وردت في قصة شعيب يقول هذا النبي الكريم لسيدنا موسى:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[سورة القصص: 27]

وعلى كل والد فتاة أن يتمثل هذه الآية، وما عليه أن يَشُقَ على خاطبِ ابنته لأنه إذا وضع أمامه العراقيل أصبح الطريق مسدوداً، وعندئذ يفشو السِفاح مكان النِكاح.

شروط استمرار الزواج و نجاحه في المستقبل :

أنا أعتقد أنه ما من عقد على وجه الأرض أقدس من عقد الزواج:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

[سورة النساء: 21]



ولأنَّ هذا العقد هو أقدس عقد لابد أن يكون الزواج على التأبيد، وأي زواج ليس على التأبيد هو عند بعض العلماء أو عند جُلِّ العلماء زواج غير شرعي، التأبيد وتقديس هذا العقد الزوجي، وحينما يُبنى الزواج على حسن الاختيار تكتب له الديمومة:

" قيل: الندم مقلوب الدمن، والدمن اللزوم؛ ومنه فلان مدمن الخمر. والدمن: ما اجتمع في الدار وتلبد من الأبوال والأبعار؛ سمي به للزومه. والدمنة: الحقد الملازم للصدر، والجمع دمن. وقد دمنت قلوبهم بالكسر؛ يقال: دمنت على فلان أي ضغنت. "وقضي بينهم بالقسط" أي بين الرؤساء والسفل بالعدل. "وهم لا يظلمون "

إذا بني الزواج على اختيار متعجّلٍ أو سيئ فإن أغلب الظن أن هذا الزواج لا يستمر.

شيء آخر؛ إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فالنبي عليه الصلاة والسلام نصح أولياء الفتيات أن يتخيّروا لبناتهم الزوج المؤمن الكفء:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة البقرة: 221]

ووجه الفتيان إلى أن يتخيروا الزوجة النقية الطاهرة التي رُبيت في مجتمع نظيف سليم، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تُنْكَحُ النِّسَاءُ لأَرْبَعٍ لِلدِّينِ وَالْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالْحَسَبِ، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

من تزوج المرأة لجمالها أذله الله – أي لجمالها فقط– ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة، فعليك بذات الدين تربت يداك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : الزواج فطرة إنسانية ومصلحة اجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي، ولا اعتصامي، ولا توكّلي إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم، رسول الله سيّد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ، سمعت أذنٌ بخبر، اللهمَّ صلِ وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وصلِ وسلم عليهم يا رب العالمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الحاجة إلى البيت المسلم المنضبط:



أيها الإخوة المؤمنون... في خطبٍ سابقة تحدَّثت عن موضوع العبادة في اثنتي عشرة خطبة، وعن موضوع الصَبْر في خطبٍ تقترب من العَشر، وعن موضوع الوقت، وها أنا ذا اليوم أطرق موضوعاً أساسياً في حياة المسلم، إنه موضوع " البيت المسلم ". إذا صلح البيت صلح المجتمع، هذا البيت المسلم لو تتبعنا القرآن الكريم، وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام لوجدنا في القرآن الكريم آياتٍ كثيرةً جداً تتحدَّثُ عن البيت ؛ عن الزواج، عن الطلاق، عن التربية، والنبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة يتحدَّث عن البيت المسلم، عن حقوق الأب، عن حقوق الابن، عن حقوق الزوجة.

فيا أيها الإخوة المؤمنون... نحن في أمسِّ الحاجة لأن نضبط بيوتنا، نحن في أمسّ الحاجة لأن نجعل من بيوتنا بيوتاً مسلمة قلْباً وقالَباً، إذا صلح البيت صلح المجتمع.

طرق تأسيس البيت المسلم:

1 – الزواج:

يا أيها الإخوة الأكارم... نبدأ بتأسيس هذا البيت المسلم، حيث يتأسس بالزواج، والزواج كما هو معروفٌ فطرةٌ فطر الله الإنسان عليها، خلق في نفس الرجل حاجةً إلى الزوجة، وخلق في نفس المرأة حاجةً إلى الزوج، فالزواج فطرةٌ فطر الله الناس عليها، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنفية السمحة))

(من مجمع الزوائد: عن " عثمان بن مظعون ")

هذا الشرع الحنيف، هذا الشرع المنطبق على الفطرة، هذا الشرع الذي ينبع من الواقع، هذا الشرع الذي يألَفه الإنسان، ولا يرتاح إلا له، الله سبحانه وتعالى يقول متُحَدِّثاً عن هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية، قال:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة الحديد: من آية " 27 ")

هم حينما كتبوها على أنفسهم مبتدعين ما رعوها حق رعايتها.

كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار:

هذا الموضوع أيها الإخوة ينقلنا إلى موضوعٍ في الدين خطير ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار))

(مسلم عن جابر)

فأيّ شيءٍ أُحْدِثَ في الدين ما ليس من الدين فهو بِدْعَة، وكل بدعةٍ ضلالة، والضلالة في النار ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾

(سورة المائدة: من آية " 3 ")

والإكمال من حيث النَوْع، والإتمام من حيث العَدَد، فمجموع القضايا التي عالجها الدين هي قضايا تامَّة، تُغَطِّي كل حاجات الإنسان في رحلته إلى الله عزَّ وجل، ومستوى مُعالجة أي موضوع مستوىً كامل..

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾

لذلك لا يستطيع كائنٌ من كان على مرِّ الأزمان أن يضيف على الدين شيئاً، لأنه دين الله عزَّ وجل، ولاسيما في العقائد والعبادات، ولكن أمور المُعاملات أعطانا الله سبحانه وتعالى آياتٍ عامةً، وسمح للفُقهاء أن يستنبطوا أحكاماً تفصيلية تتعلَّق بأحكام الزمان والمكان.

يا أيها الإخوة الأكارم:

((كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار))

(مسلم عن جابر)

لكن النبي عليه الصلاة والسلام في شأن الدنيا، أو فيما ليس من الدين قال:

((من سنَّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَن سنةً سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة))

(مسلم عن جرير)

أيْ أنه مَن حقق بعض مصالح المسلمين ؛ في مساجدهم، هذه سنةٌ حسنة، له أجرها وأجر من عمل بها، من ابتدع بدعةً مخالفةً لأوامر الدين، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

محاربة الإسلام للرهبانية:

فالإسلام يا أيها الإخوة حارب الرهبانية، والله سبحانه وتعالى أنكرها على من ابتدعوها، قال:

﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة الحديد: من آية " 27 ")

وحينما كتبوها على أنفسهم تجاوزاً..

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من كان موسراً فلم يتزوج فليس منا))

[الترغيب والترهيب عن أبي نجيح]

ليس في الإسلام رهبانية.

أيها الإخوة المؤمنون... وهؤلاء النفر الذين قدموا إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وسألوا عن عبادته، فاستقَلّوا عبادتهم إلى عبادته، فَعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

(متفق عليه)

يا أيها الإخوة المؤمنون... الزواج فطرةٌ إنسانية، هكذا فطر الله الناس عليها.

الزواج مصلحة اجتماعية:

شيءٌ آخر، الزواج مصلحةٌ اجتماعية، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾

(سورة النحل: من آية " 72 ")

إذا تناولت الطعام والشراب تحفظ بقاء جسمك، وإذا تزوَّجت تحفظ بقاء نوعك، وإذا عمِلت الصالحات تحفظ بقاء ذِكْرِك، فالإنسان مفطورٌ على حب البقاء جسماً ونوعاً وذِكْراً، تأكل لتعيش، لتبقى مستمر الحياة، وتتزوج ليبقى النوع البشري مستمراً، وتعمل الصالحات ليبقى ذِكْرُك مستمراً..

دقات قلب المرء قائلةٌ لـه إن الحياة دقائقٌ وثوان
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر لـلإنسان عمرٌ ثان

* * *



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾

(سورة النساء: من آية " 1 ")

علماء السُكَّان . في علم الجُغرافيا . اكتشفوا أن نِسَبَ الذكور إلى النساء أعلى بقليل، لأن الرجال مُعَرَّضون للقتل في الحروب، وللحوادث في الأعمال، بينما نِسَب النساء تكون أقل من ذلك بقليل، لذلك الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾

فجاءت كلمة كثيراً مُضافةً إلى الرجال، على كلٍ الزواج مصلحةٌ اجتماعية، حفظاً لبقاء النوع، والزواج يحافظ على الأنساب، الإنسان إذا خالف قواعد الصحة في الطعام والشراب يؤذي نفسه فقط، أما إذا خالف شرع الله في علاقته بالنساء يفسد المجتمع كلَّه، يَنْحَطُّ المجتمع، ينحلّ المجتمع، لذلك الزواج يحفظ الأنساب. والزواج يؤكد الذات، والزواج يهيِّئ الاستقرار النفسي لكلا الزوجين، ويحقق الكرامة الإنسانية، هذا من فوائده المعنوية.

الزواج مطهِّر من الآفات الاجتماعية:

ويا أيها الإخوة المؤمنون... الزواج الذي جاء به الإسلام يُطَهِّر المجتمع من أكبر آفةٍ تعاني منها المجتمعات اليوم ؛ ألا وهي الانحلال الخلقي، الإباحية، اختلاط الأنساب، انحطاط الإنسان، قذارة الإنسان، إن الزواج قناةٌ نظيفة تُفَرَّغ فيها تلك الشهوة التي أودعها الله في الإنسان، إن الزواج هو الطريق الصحيح لإرواء هذه الرغبة، إن الزواج قوةٌ محرِّكة، فإذا ابتعدنا عن النكاح، واتجه المجتمع إلى السفاح، كان السفاح قوةً مدمرة، بعد أن شرعه الله عزَّ وجل ليكون قوةً محرِّكة.

يا أيها الإخوة المؤمنون... يقول عليه الصلاة والسلام مؤكداً هذا المعنى:

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))

أي وقاية.

(متفق عليه عن ابن مسعود)

أيها الإخوة المؤمنون... والزواج أيضاً يُطَهِّر المجتمع من الأمراض الوبيلة التي نسمع عنها في الأخبار، والتي نقرؤها في الصُحُف، هذا المرض الخطير الذي دمَّر الحياة الإنسانية، والذي يزداد الذين يصابون به يوماً بعد يوم بسبب الانحلال الخلقي، بسبب ترك الزواج والاتجاه إلى السفاح.

الزواج سَكنٌ:

أيها الإخوة المؤمنون... والزواج فضلاً عن كل ذلك يهيّئ للزوج سكناً تَسْكُن نفسه إليها، وتسكن نفسها إليه، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

(سورة الروم: من آية " 21 ")

هذه لام التعليل، هكذا فُطِرَ الإنسان..

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

شيءٌ آخر، هؤلاء الأطفال الصغار الذين هم رجال الغَد، هؤلاء الأطفال الصغار الذين هم مَعْقِدُ أمل الأمة، هؤلاء الأطفال الصغار مَن يربيهم ؟ لن ينجح في تربيتهم إلا الأم والأب، ولا شيء يعوِّض عن الأم والأب، فلذلك الزواج ضمانٌ لسلامة الصغار، ولِحُسن تربيتهم، وحسن توجيههم.

أيها الإخوة المؤمنون... يقول بعض الشعراء:

الأم مدرسةٌ إذا أعدتها أعددت شعباً طَيِّبَ الأعراقِ

* * *

عاطفة الأبوة والأمومة أقدس العواطف:

شيءٌ آخر، الله سبحانه وتعالى أودع في قلوب الرجال عاطفة الأبوة، وأودع في قلوب النساء عاطفة الأمومة، وهاتان العاطفتان من أقدس العواطف في النَوْعِ البَشَري، بل من أشدها تأثيراً .


عاطفة الأمومة من أقدس العواطف في النوع البشري

هناك دوافع كثيرة؛ دافع الأمومة، دافع الطعام والشراب، ودافع الجنس، ودافع الأمومة، كان دافع الأمومة أقوى هذه الدوافع، عن طريق الزواج تتفجَّر هذه الدوافع، تتفجر هذه العواطف المُقدسة، لا يحس الإنسان بهذه العاطفة المُقدسة إلا إذا تزوج، وعرف معنى الأبوة، وعرفت الأم معنى الأمومة، تُصبح امرأة أخرى، ويُصبح الشاب بعد الزواج إنساناً آخر، انتقل من ذاتيَّته إلى الغَيْرِيَّة، كان مهتماً بنفسه فأصبح مهتماً بأولاده، كانت مهتمةً بزينتها فأصبحت مهتمةً ببناتها.

يا أيها الإخوة المؤمنون... يؤكد هذا المعنى النبي عليه الصلاة والسلام، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

[ابن ماجه]

ما معنى صالحة ؟ قال:

((إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ))

فأحياناً يحلف الزوج على زوجته يميناً مُعَظَّمةً، لا يروق لها إلا أن تخالف يمينه، هذا أمرٌ عجيب !! المرأة الصالحة إن أمرها أطاعته...

((وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

هذه المرأة الصالحة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

(أحمد)

كيف نختار الزوجة ؟ وما عوامل الاختيار ؟

يا أيها الإخوة المؤمنون... شيءٌ آخر، هذه مقدمةٌ عن أن الزواج فطرة، وعن أن الزواج مصلحةٌ اجتماعية، وعن أن للزواج فوائد لا تعد ولا تحصى، لأنها سنةٌ نبوية، ولكن الشيء الخَطير الآن الذي يعنينا في هذه الخطبة، كيف نختار الزوجة ؟ وهذا الكلام موجةٌ بادئ ذي بَدْء للشباب، أو موجَّهٌ لأولياء البنات، وأولياء الشباب، إما أن تتزوج، وإما أن تزوج، فكل من له بنتٌ أو له شابٌ، أو كل شابٍ وشابةٍ معنيٌ بهذا الخطب.

الدِّين:

النبي عليه الصلاة والسلام جعل العامل الأول والحاكم في اختيار الزوجة هو الدين، فقال عليه الصلاة والسلام:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

(متفق عليه)

في حديثٍ آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((من تزوج المرأة لعزّها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءةً، ومن تزوج امرأةً لم يُرِد بها إلا أن يغض بصره، ويحّصِّن فرجه، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه))

(من الدر المنثور عن أنس)

لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول إذا التقى بزوجٍ:

((بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ))

(ابن ماجه عن أبي هريرة)

كيف يتم الزواج ؟

شيءٌ آخر، كيف يتم الزواج ؟ يتم بسؤالٍ عارض، استقصاءٍ ساذَج، بمعلوماتٍ محدودة، بوقفةٍ عارضة، هذا خطأٌ كبير، دققوا معي، وهذه القصة أتلوها عليكم كثيراً، ولكن الآن أتلوها عليكم بشكلٍ تفصيلي:

سيدنا عمر جاءه رجلٌ يشهد لرجلٍ آخر، فقال عمر:

. أتعرف هذا الرجل ؟

. قال: نعم.

. قال: هل أنت جاره الذي يعرف مُدْخَلَه ومُخْرَجَه ؟.

. قال: لا.

. قال: هل صاحبته في السفر الذي تُعرف به مكارم الأخلاق ؟

. قال: لا.

. قال: هل عاملته بالدرهم والدينار الذي يُعرف فيه ورع الرجل ؟.

. قال: لا.

. فصاح فيه عمر وقال: لعلَّك رأيته قائماً وقاعداً يصلي في المسجد، يرفع رأسه تارةً ويخفضه أخرى؟

. قال: نعم.

. قال له عمر: اذهب فأنت لا تعرفه.

كم من زواجٍ بُنِيَ على شهادةٍ عابرة، على شهادةٍ ساذجة، على قولٍ سخيف: أنه آدمي، فإذا به رجل خبيث، بعيد عن الدين، منحرف الأخلاق، يشرب الخمر. فلذلك إذا تحققت من أخلاق الشباب الخاطب يجب أن تتحقَّق فعلاً لأنه قبل أن تقول: نَعم، يجب أن تبحث جيداً وإلا تندم ندماً شديداً.

يا أيها الإخوة، هكذا فعل عمر، قال له: هل صاحبته في السفر ؟ في السفر تُعْرَف مكارم الأخلاق، هل عاملته بالدرهم والدينار؟ بالدرهم والدينار يعرف ورع الرجل، هل جاورته ؟ إذا جاورته تعرف مدخله ومخرجه ؟ قال: لا، قال: لعلك رأيته يصلي في المسجد يرفع رأسه تارةً، ويخفض أخرى ؟ قال: نعم، قال: أنت لا تعرفه، يا رجل ائتني بمن يعرفك، هذا لا يعرفك.

هكذا إذا طرق بابك خاطب، ابحث عنه جيداً، لأن هذه البنت أمانةٌ في عُنُقِك، ولن ترتفع عنك المسؤولية إلا إذا أحسنت اختيار زوجها، لن ترتفع عنك المسؤولية إلا إذا أحسنت اختيار الزوج المؤمن لها، لأن البنت التي يسرع أبوها في تزويجها من رجلٍ منحرف تأتي يوم القيامة وتقول: " يا رب، لن أدخل النار حتى أُدخِلَ أبي قبلي، لأنه كان السبب في انحرافي "، فالإنسان قبل أن يزوِّج عليه أن يبحث جيداً.

إن الله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم:

شيءٌ آخر، إن الله عزَّ وجل لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وكلما تقرأ القرآن الكريم تقول: صدق الله العظيم، ألم يقل الله لك:

﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

ألم يقل الله لك:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

(سورة البقرة: من آية " 221 ")

هذا مقياس القرآن الكريم، لذلك اختيار الزوجة يجب أن يتمَّ على أساس الدين، فإذا تم على أساس الدين فنعمت الزوجة.

يسّروا سبل الزواج:

شيءٌ آخر: هذا الخطاب موجَّهٌ للشباب، أما إذا وجَّهنا الخطاب إلى أولياء الفتيات، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

(الترمذي)

يحل السِفاح مَحَلَّ النكاح إذا أرهقت الزوج، الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، في إشارات دقيقة جداً، ماذا قال سيدنا شعيب لسيدنا موسى حينما زوَّجه ابنته، قال:

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾

(سورة القصص: من آية " 27 ")

هذه إشارةٌ بليغةٌ من الله عزَّ وجل في هذا الموضوع.

اختيار الأم الصالحة:

الشيء الآخر، يجب أن تختار لأولادك الأم الصالحة، من أسرةٍ صالحة، من بيئةٍ طيّبةٍ طاهرة، من تربيةٍ راقية، من أصلٍ شريف، لذلك سيدنا عمر سُئِلَ مرةً: ما حق الابن على أبيه ؟ ياله من عبقري ! فقال عمر رضي الله عن عمر: " أن يحسن انتقاء أمه . أول حقٍ يترتَّب للابن الذي لم يولَد بعد على أبيه أن يحسن اختيار أمه . وأن يحسن اسمه، وأن يعلِّمه القرآن "، هذا من حقوق الابن على أبيه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ...))

(متفق عليه)



اختر البيت الراقي، اختر البيت الذي فيه تربيةٌ عالية، البيت الهادئ، البيت الذي فيه عِلْم، فيه خُلُق، فيه حياء ...

((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ...))

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ))

(ابن ماجه)

يجب أن تختار لابنتك من هو كفء لها، وبحث الكفاءة في الزواج بحثٌ طويلٌ في الفقه..

((تخيَّروا لنطفكم، فإن العرق دسَّاس))

(من تخريج أحاديث الإحياء عن السيدة عائشة)

هذه كلها أحاديث شريفة:

((تخيَّروا لنطفكم، فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن))

(من الجامع الصغير عن السيدة عائشة)

((تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس))

(من تخريج أحاديث الإحياء عن أنس)

شيءٌ آخر، أحد الصالحين نصح ابنه فقال: " يا بني، الناكح مُغْتَرِس، فلينظر المرء حيث يضع غَرسَهُ، والعِرْقُ السوءِ قلَّما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين "، لو تأخر الزواج، لا تُسرع في هذا الموضوع، تخيروا ولو بعد حين.

الاغتراب في الزواج:

أيها الإخوة المؤمنون... عاملٌ آخر في نجاح الزواج، الاغتراب في اختيار الزوجة، قبل سنواتٍ عِدَّة عُقِدَ في دمشق أسبوعٌ للعلم، وهذا يعقد كل عام، وقد كان موضوع الاختصاص في الطب " تحسين النسل "، وقد جاء أطباءٌ كُثُر ومتفوقون من شتى أنحاء العالم، وألقوا محاضراتٍ في أحدث ما توصل إليه العلم في تحسين النسل، في نهاية كل هذه المحاضرات وقف رئيس المَجْمَع العلمي العربي رحمه الله تعالى، وصاح صيحةً قال: مُلَخَّص كل هذه المحاضرات حديثٌ واحدٌ قاله النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((اغْتَرِبُوا، لاَ تُضْوُوا))

(من مجمع الأمثال)

أيْ لا تضعفوا، لأن الأقارب إذا تزاوجوا ؛ الضعف في البنية يكرَّس، بينما إذا تباعدوا، إذا تباعد الزوجان الأقوى يغلب الأضعف، لذلك إذا شئنا جيلاً قويَّ البُنْيَة، نجيباً، ذكياً فليكن الزواج من الأباعد، فنجابة الولد ضمانٌ لسلامة جسمه من الأمراض السارية، والعاهات الوراثية، وتوسيعاً لدائرة التعارف، وتمتيناً للروابط الاجتماعية، قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تنكحوا القرابة، فإن الولد يُخلق ضاوياً))

(من تخريج أحاديث الإحياء)

ضعيفاً، هزيلاً، فيه أمراضٌ كثيرة..

((اغْتَرِبُوا، لاَ تُضْوُوا))

(من مجمع الأمثال)

هذا عاملٌ ثالث، عامل الدين، وعامل الشرف والأصالة، وعامل الابتعاد والاغتراب في الزواج.

اختيار الأبكار:

بقي كما قال عليه الصلاة والسلام:

((تفضيل الأبكار))

لأن المرأة الأيّم لها زوجٌ سابق، وللزوج السابق أقرباء، وهناك خصومات ومشكلات كثيرةٌ جداً، فالنبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا، وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ ؟ قَالَ: فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا، تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا))

(صحيح البخاري)

فهي أرادت بهذا المثل أن تبرز للنبي عليه الصلاة والسلام فضلها على بقية زوجاته، شأن كل امرأةٍ تَغار على زوجها.

عَن عُتْبَة بْنِ عُوَيْمِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ، فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا . أي لهنَّ كلامٌ طيبٌ مع أزواجهن . وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا . أي يلدن، هذه أكثر احتمالاً في الولادة من غيرها . وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ))

[ابن ماجه]

أربع صفاتٍ تتميز بها البِكر عن الثيب ؛ أعذب أفواهاً، أي لها كلامٌ طيبٌ مع زوجها، هذا تفسير الحديث، كلامها كالعسل، وأنتق أرحاماً، وأقل خباً . أي خبثاً . وأرضى باليسير.



شيءٌ آخر، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ:

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا ؟ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَنَهَاهُ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ))

[النسائي، أبو داود]

الولود الودود، أي أجمل ما في المرأة ودُّها لزوجها، والتي تقسو عليه في الكلام، وتُهمل حاجاته هذه امرأةٌ لا ترضي أي زوجٍ، مقياس النبي عليه الصلاة والسلام " الولود الودود "، هذا الكلام موجهٌ إلى كل شابٍ أعزب، وإلى كل أبٍ عنده فتياتٍ للزواج، أو إلى كل أبٍ عنده شبابٍ للزواج، هذه مقاييس الزواج.

أيها الإخوة المؤمنون... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطَّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

ثمن غضّ البصر:

أيها الإخوة المؤمنون... أما المتزوجون فالله سبحانه وتعالى شرع في كتابه ما يُسَمَّى بِحُكْمِ غض البصر، فقال الله تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

(سورة النور: من آية " 30 ")

الثمن الأول: الوفاق الزوجي:

كأن الله جعل ثمن الوفاق الزوجي، والسعادة الزوجية، جعل ثمن هذا غض البصر، فمن غضَّ بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه، هذا الثمن الأول.

الثمن الثاني: الرضا بقسمة الله في الزوجة:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

(سورة النساء)

إذاً هذه الآية الكريمة:

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة)

هذا الذي يرضى بقسمة الله له، والزوجة من قِسمة الله له، هذا الذي يرضى يكتشف النواحي الإيجابية، من علامات الأذكياء، من علامات الموفَّقين في حياتهم، من علامات أولئك الرجال الناجحين أنهم يكتشفون النواحي الإيجابية في زوجاتهم، فإذا نظرت إلى النواقص فأنت أشقى الأزواج، أما إذا نظرت إلى الميّزات والفضائل وتغاضيت عن النواقص فأنت أسعد الأزواج، ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ . أي لا يكره . مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

[مسلم]

اكتب على ورقة الميزات، واكتب المَثالب، فإذا رجحت فهي صفقةٌ رابحة.

الثمن الثالث: الاستقامة ثمة المودة:

شيء آخر، كلَّما حَسَّنت صلتك بالله عزَّ وجل، وكلما استقمت على أمره، وكلما أقمت الشرع في بيتك، خَلَقَ الله لك المودة بينك وبين زوجك، هذه تُخلَق خلقاً، والدليل:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ﴾

مَن فاعل جَعَل ؟ الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من آية " 21 ")



فإذا ائتمرت بأمر الله، وانتهيت عما عنه نهى في بيتك، تولَّى الله في عليائه هذا الوفاق الزوجي، تولى الله في عليائه هذا الوفاق الزوجي. وإذا بُنِيَ الزواج على معصية الله، إذا أرضيت الزوجة وعصيت الله، إذا استحييت من الناس ولم تستحِ من الله، إذا تساهلت في أوامر الدين، إذا تساهلت في خروج زوجتك بشكلٍ لا يرضي الله عزَّ وجل، عندئذٍ تُخْلَق المشكلات في البيت خَلْقَاً، عندئذٍ يتولى الشيطان التفريق بينهما، يتولى الشيطان الخلاف الزوجي، والشقاق الزوجي، والمُشاحنات، والكراهية، والبغْضاء، والسُباب، والشتائم، والكلام الكبير، ويدفع الصغار ثمن كل هذا، لذلك إذا بني الزواج على طاعة الله تولّى الله التوفيق بين الزوجين، وإذا بني على معصية الله تولى الشيطان التفريق بينهما، وفي القرآن الكريم آية تبثُّ الطمأنينة في كل زوج والبشرى. قوله تعالى:

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

(سورة الأنبياء: من آية " 90 ")

إذاً الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يُصلح لك زوجك، مِن هنا قال أحد الأئمة، وأظنه الإمام الشعراني، قال: " **إنني أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي** ".

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5 – 5) : مهر المرأة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الثالث من الدروس الاجتماعية المتعلقة بشأن الزواج، تحدثنا في الدرس الماضي عن معالجة الفقر الحقيقي، واليوم ننتقل إلى موضوعٍ آخر وهو معالجة الفقر المفتعل.

عقبات الفقر المفتعل

الفقر المفتعل معناه أنك إذا كنت بحاجة ماسة إلى مدفأة تتقي بها البرد، وثمن المدفأة المعتدل ألف ليرة، ومعك ألف ليرة، فتوجهت إلى بائع المدافئ، فإذا ثمنها عشرة آلاف ليرة، هذا الثمن غير صحيح، وغير معقول ومفتعل، أنت كنت قادراً على شراء هذه المدفأة، لكنك الآن أصبحت عاجزاً، فهذا بشكلٍ مبسط هو الفقر المفتعل. أولاً: حينما شرع الشرع الحكيم المهر للمرآة شرعه تكريماً لها، فالمرآة شيء ثمين، وشيء نفيس، لا يمكن أن تأخذها بلا شيء.

من أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

***

مشروعية المهر لضمان كرامة المرأة

أحياناً لسبب أو لآخر يقال لك: المهر درهم فضة، شيء جميل، لكن من مضاعفات هذا التصرُّف أن الزوج إذا غضب من زوجته لسبب تافهٍ جداً طلّقها، ومفارقة الزوجة أو تطليقها أمرٌ يسير، لا يكلف شيئاً، دائماً يكون

الطلاق سيفًا فوق رقبتها، فحينما يكون لها مهر، والمهر معقول، فقبل أن يقول لها: طلقتك، أو قبل أن يهددها بالطلاق، أو قبل أن يستهين بها عليه أن يفكر مرات كثيرة، لذلك جعل الله المهر للزوجة تكريماً لها.



المهر تكريم للمرأة لكن يجب الا يكون عقبة بالمغالاة به

لكن الشرع الحكيم ما أراد أن يكون المهر عقبةً دون الزواج منها، في الأصل هو تكريمٌ لها، لكن مع الممارسات الخاطئة صار المهر عقبةً تمنع الزواج منها، لذلك كانت المغالاة في المهور أحد بنود الفقر المفتعل.

شيء آخر، سألني أخ كريم: أليس من واجب الزوجة أن تخدم زوجها ؟ قلت: نعم، إلا أن هذا إذا نُصَّ في العقد، في عقد الزواج صار هذا عقد خدمة لا عقد زواج، فمن باب تكريم المرأة التكريم الأمثل أن موضوع الخدمة لا يدخل في عقد الزواج.

لكن الأعراف، وهي أحد مصادر التشريع تقتضي أن الرجل يكسب الرزق، والمرأة تقوم بشؤون البيت، أما إذا أدخلنا هذا في صلب العقد فقد قلبناه من عقد زواجٍ إلى عقد خدمة.

هناك قصة توضح هذا المعنى، رجل كريم يحمل إجازة في اللُّغة، يترجم، فعمل عند مكتبٍ تجاري، فهذا الأخ المترجم لكرم أخلاقه ولتواضعه ولحبه لأصحاب هذا العمل كان إذا جاءهم ضيف كان يقوم، ويبادر إلى صنع الضيافة المناسبة لهم، تواضعاً ومحبةً وتبرعاً، وتفانياً في عمله، لكنه إنسان يحمل إجازة مترجم، وهم تقبلوا هذه المبادرة بكل امتنان، بعد حين تغيَّر مدير المكتب، فأراد أن يضع عقوداً يوضّح بها، أو قرارات تنظيمية ينظم فيها أعمال من في المكتب، فهذا الذي كان يقدم الضيافة طوعاً ومحبةً وتواضعاً لأصحاب المكتب التجاري عندما رأى في مهماته الأساسية صنع هذه الضيافة ترك العمل كله، ومعه الحق.

الموضوع دقيق جداً، إذا نص في عقد الزواج على وجوب الخدمة انقلب العقد من عقد زواجٍ إلى عقد خدمةٍ، وهذا امتهانٌ للمرأة، لكن المرأة الكريمة لا تستنكف أن تطبخ، وأن تنظف، وأن تعتني بأولادها، وأن تعتني بزوجها، وأن تهيئ لزوجها اللباس والطعام والشراب، وكل ما يؤمِّن له راحته، هو خارج البيت يكسب الرزق، وهي داخل

البيت تعتني بشؤون زوجها وأولادها، أما إذا نُصَّ هذا في العقد فقد صار عقد خدمةٍ، وعقد الزواج أشرف من هذا بكثير، إنه أقدس عقد بين إنسانين على الإطلاق.

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

(سورة النساء)

إذاً: شُرِعَ المهر في الأصل تكريماً للمرأة، وتعبيراً عن مكانتها، وعن كرامتها، أما أن يكون المهر عقبةً يمنع زواجها فهذا ما أراده الشارع الحكيم، ولا قضت به السنة النبوية الشريفة، إنه من انحراف المسلمين في عصور تخلُّفهم، ومن جعل الفتاة سلعة يُبتز بها الرجال.

أفضل الصداق أيْسره

الآن ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ؟ أخرج أبو داود والحاكم وصححه، وقد ورد هذا الحديث في نيل الأوطار، يقول عليه الصلاة والسلام:

((خير الصداق أيسره))

[أبو داود بلفظ: خير النكاح أيسره]

الصداق هو المهر، وقال عليه الصلاة والسلام للرجل الذي قد طلب منه أن يزوجه بامرأة قد وهبت نفسها للنبي ﷺ قال له:

((اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

من منكم يستطيع أن يعرب خاتماً، كان، فل ماض ناقص، فما الذي حذف إذاً ؟ حذفت كان واسمها وبقي خبرها، أي اذهب والتمس، ولو كان الملتمس خاتماً من حديد.

إذاً الفكرة الأولى: إن أفضل الصداق أيسره، هذا الكلام موجَّه إلى أولياء الفتيات.

أوهام منتشرة والرد عليها

الوهم الأول: عِظَم المهر يحول دون الطلاق

بالمناسبة، إذا كنت أيها الأخ الكريم ولياً، كنت أو زوجاً أو أباً، إذا توهمت أن عِظَم المهر يحول دون طلق المرأة فأنت واهم، لأن الزوج بإمكانه أن يكاره زوجته مكارهةً لا تحتمل حتى تطلب الخلع، وأن تهب له كل شيء .



لا يمكن أن تقوم سعادة زوجية على ضمانات مالية أبداً، لا يمكن أن يكون الزواج الناجح مبنيًّا على ضمانات مالية، السعادة الزوجية أساسها حسن الاختيار والثقة المتبادلة بين الزوجين، فهذا الذي تسمح له أن يتزوج ابنتك إن كنت واثقاً من أخلاقه، ومن دينه، ومن أمانته، إياك أن تحاسبه يسيرا، وإياك أن تعُدَّ المال ضمانة لنجاح الزواج، أما إذا لم يكن موضع ثقة، لو كتب لها خمسة ملايين فلا يكفي هذا ضماناً لسعادتها.

إذاً المهر شرع تحقيقاً لكرامة المرأة، ولم يشرَّع عقبة يحول بينها وبين الزواج وإذا توهم الإنسان أن المهر يحول بين الزوج والطلاق، فالذي يعتقد هذا واهم، لأن الزوج بإمكانه أن يكاره زوجته حتى تطلب المخالعة، ومعلومٌ عندكم أن التي تطلب المخالعة ليس لها شيء.

الوهم الثاني: ارتفاع المهر يضمن مستقبل الفتاة

عندنا اعتقاد خاطئ آخر، أن ارتفاع المهر يضمن للفتاة مستقبلها، ماذا قال الله عزَّ وجل ؟

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾

(سورة الكهف)

بعضهم قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، إذا قلنا لأن ثمة تفسيرًا لهذا، فالإنسان إذا سبَّح الله، وحمده، وكبره، ووحده فقد عرفه، وإذا عرفه سار على منهجه، وإذا سار على منهجه سعد في الدنيا والآخرة.

هناك تفسير آخر وجيه:

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾

أي الأعمال الصالحة، لكن أدق ما في الآية:

﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾

أي إذا كنت تتأمل أن المال يسعد فأنت واهم، عملك الصالح وتطبيق السنة، هو ضمان نجاح هذا الزواج، فنجاح الزواج لا يكون بالمال أو البيت، فأحياناً الأهل يقولون لك: بيت بالحي الفلاني بالمساحة الفلانية بالفرش الفلاني بالحلي الفلانية، بتحديد قيم الحلي ونوع الحلي، ثم العمل، فالعمل يجب أن يكون لك اسم في الشركة، فلا نقبل العمل عند أبيك، يتوهم الآباء أن هذه الضمانات تضمن لفتاتهم السعادة الزوجية، وهي في الحقيقة لا تضمن، العمل الصالح وتطبيق منهج الله عزَّ وجل هو الضمان، (خَيْرٌ أَمَلا)، أي: لا تعقد الأمل لا على المال، اعقده على توفيق الله عزَّ وجل، اعقده على حفظ الله، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الأنفال)

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(سورة البقرة)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(سورة البقرة: آية رقم " 153 ")

هذه المعية معيةٌ خاصة، فالله عزَّ وجل مع المؤمنين بالتأييد والنصر، والتوفيق والحفظ، هذه معية خاصة، ولكن إذا قال الله عزَّ وجل:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

(سورة الحديد: آية رقم " 4 ")

فهذه معيةٌ عامة مع كل الخلق، معهم بعلمه، لكنه مع المؤمنين بحفظهم وتأييدهم، ونصرهم وتوفيقهم، وهذه المعية الخاصة لها ثمن، وقال الله:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾

(سورة المائدة: رقم الآية " 12 ")



لذلك الاعتقاد الخاطئ أن المهر الغالي أو أن المغالاة في المهر تضمن مستقبل الفتاة، هذا وهمٌ كبير، لا يضمن مستقبل الفتاة إلا أن تكون في طاعة الله، وإلا أن يكون زوجها، وأهل زوجها صالحين، فالله سبحانه وتعالى يتجلى على كل بيتٍ تقام فيه شعائر الله، وفي هذا البيت يقام فيه الإسلام.

يقول عملاق الإسلام عمر رضي الله عنه: **<< ألا وإن أحدكم ليغالي بصداق امرأته حتى يبقى له في نفسه عداوة >>.**

أحياناً يُضغَط على الزوج ضغطًا مع ضغط مع ضغط مع تعنت، نريد كذا، حفلة فلانية، ضيافة فلانية، الحلي الفلانية، البيت الفلاني، وهو متعلِّق بهذه الفتاة، لكن مع تتالي الضغوط ينشأ الحقد، لذلك حينما تأتي هذه الفتاة إلى البيت ينتقم منها أشد الانتقام، يقمعها قمعاً شديداً، يمارس عليها كلَّ ألوان الشدَّة، ويحدث الحقد، فالضغط

الشديد على الخاطب من أجل الظهور بمظهر فخم أمام الأسر وأمام الناس، هذا من شأنه أن يولِّد الحقد في نفوس الخاطبين، **<< ألا وإن أحدكم ليغالي بصداق امرأته حتى يبقى له في نفسه عداوة >>.**

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده:

((إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً))

هذا الاعتقاد الثاني أيضاً خاطئ.

الوهم الثالث: المغالاة في المهور مظهرٌ للافتخار والشرف

الاعتقاد الثالث: أن المغالاة في المهور مظهرٌ للافتخار والمباهاة والشرف، وهو عكس ذلك، لكن مِن أين يأتيك الشرف ؟ من البذل لا من الأخذ، الأخذ اسمه ابتزاز، وهو خُلق دنيء، فإذا أردت أن ترفع ثمن البضاعة، وأن تستغل حاجة الشاري إليها، وأن تستغل أن هذه البضاعة مفقودة، وليست موجودة في السوق، وهي عندك وحدك، وأن الذي يطلبها في أشد الحاجة إليها، إذا رفعت السعر عليه أضعافاً مضاعفة ألا تشعر بالدناءة ؟ هذا هو الابتزاز، فالشرف ليس في الأخذ، الشرف في العطاء، في البذل، الأخذ ابتزاز، أما العطاء فهو الشرف، فكل من يتوهم أننا لو فرضنا على الخاطب مئتي ألف، ومئتي ألف، ونصف مليون، ونصف مليون، وهناك في العملة الصعبة ضمان للتضخم النقدي، فإن أكثر الآباء يحسب حساب طلاق ابنته قبل أن يزوجها، وكأن الأصل هو الطلاق، لذلك إذا قال: أريد مئتي ألف بالعملة الصعبة، ويحسبها على العملة الصعبة أو على الذهب، استبدله بالعملات الأخرى، فهذا ليس فخراً، وليس شرفاً، الشرف في البذل وفي التساهل.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى))

[البخاري]

فطبعاً هذا ليس بيعًا وشراء، لكن يقاس عليه التعامل مع الخاطب.

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه، يقول: **<< ألا لا تغالوا في مهور النساء، فإنها لو كانت مكرمةً في الدنيا، وتقوى عند الله عزَّ وجل، لكان أولاكم بها نبي الله، ما علمت أن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم نكح شيئاً من نسائه، ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية >>.**



أي ألف وخمسمئة ليرة، فلا تزوج بمهر أعلى، ولا زوج بناته بمهر أعلى، والآن هناك مهر المثل، وإخواننا القضاة الشرعيون جزاهم الله عنا خيراً يعرفون مهر المثل، فكل فتاة بحسب مستواها، ومستوى أبيها لها مهر، هذا المهر مقبول، أما إذا رفعنا المهر بلا سبب، أو إذا ألغيناه، وبالمناسبة إلغاء المهر يجعل العقد فاسداً، لا أقول: باطلاً، يجعله فاسداً، لذلك هذا العقد الفاسد، يصحح بمهر المثل، فالمهر تعبيرٌ عن كرامة المرأة.

هناك أولياء أمور وآباء يسعون إلى التكسُّب عن طريق تزويج بناتهم، لذلك هذا الولي ليس من شأنه أن يقبل خاطباً فقيراً، لا يقبل إلا خاطباً غنياً يحل مشكلات الأسرة، وفي الأعم الأغلب أن الولي الفقير لا يأتيه خاطبٌ غني، فالناس يميلون دائماً إلى المشابه لأحوالهم حين زواجهم، فغالباً الذي يطلب المهر الغالي ليغتني عن طريق ابنته لا يأتيه هذا الخاطب، ما الذي يحصل ؟ هذه الفتاة يفوتها قطار الزواج، والحقيقة في آية قرآنية ذكرتها لكم كثيراً حار فيها العلماء، حينما قال الله عزَّ وجل:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾

(سورة النور: آية " 33 ")

فأنا لا أصدق أن في الأرض كلها أدنى المؤمنين إيماناً يمكن أن يجبر فتاته، أي ابنته، أو جاريته، كما يقول بعض المفسرين، لا يمكن أن يجبر فتاته على الزنا من أجل أن يكتسب منها، لكن بعض المفسرين قالوا: " إن عضل الفتاة وعدم تزويجها، ربما قوّى فيها، دافع الشهوة "، ربما قوى فيها دافع الخروج من البيت.

أعرف قصصاً كثيرة أن آباء متعنتين غالوا في مهور فتياتهم، وضعوا الشروط التعجيزية لخاطبين فتياتهم، حتى انتهى به الأمر إلى أنه استيقظ فلم يجد ابنته في البيت، هربت مع فتى أحلامها، ما الذي قوى فيها دافع الشهوة؟ تعنته ووضعه الشروط القاسية، هذا معنى قول الله عزَّ وجل:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾

عادة سيئة: أخذ الولي من مهر الفتاة

شيء آخر، في عادات سيئة جداً في بعض المناطق في البلاد الإسلامية، أن المهر هو للأب، يقبض الأب مهر ابنته كاملاً، ويضعه في جيبه، وانتهى الأمر، لذلك قال الله عزَّ وجل:

﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

(سورة النساء، آية " 4 ")

المهر تستحقه المرأة، المرأة التي تزوجت المهر لها وحدها، قال بعض المفسرين: أضاف الله سبحانه وتعالى صدقاتهن، أي المهور، إضافة ملك، أحياناً الإضافة تكون إضافة تشريف، الدليل:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

(سورة الطلاق: آية " 1 ")

البيت لزوجها، وفي السجلات باسم زوجها، لكن الله أضافه إليها لا إضافة ملك، ولكن إضافة إشراف، فالزوجة بيتها مملكتها، هي الآمرة الناهية في البيت، وفي شؤون البيت، وهذا مما يؤكد شخصيتها، ويثبت أنوثتها. شيء آخر، هذه الآية نزلت في مناسبة، أنَّ بعضاً ممن كان في عهد النبي عليه الصلاة والسلام يأخذ مهرّ ابنته، فجاءت الآية لتنهى عن أن تُؤخذ المهور، بل أن تدفع إلى الزوجات، لأن المهر في الأصل تمليكٌ لها.

لقد قضى سيدنا عمر بن الخطاب في وليّ زواج امرأةٍ، واشترط على زوجها شيئاً لنفسه، و قد يكون وليّ المرأة عمها، قد يكون أخاها، قد يكون أبعد من ذلك، فلما جاءها الخاطب قال له: هذه المرأة مهرها مئة ألف، وخمسين ألف لي، هذا هو الشرط، فرفعت هذه القضية لسيدنا عمر، بماذا حكم، ذكر الأوزاعي أن سيدنا عمر قضى أن هذا المبلغ الذي دفع إلى ولي الزوجة، وقبضه هو للزوجة، وأعاده إليه "، فالمهر كلُّه للزوجة.

ورجل آخر زوج ابنته على ألف دينار، وشرط على الخاطب ألف دينارٍ أخرى، فقضى عمر بن عبد العزيز للمرأة بألفين.

إذاً تأتي النصوص والأحكام لتؤكِّد أن المهر للمرأة.

لكن كما قال الله تعالى عزَّ وجل:

﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾

(سورة النساء: آية " 4 ")

المهر للمرأة.

جواز أخذ الأب خاصة من مهر الفتاة

لكن إذا كان أبوها فقيرا فدفعت له جزءاً منه هذا موضوع ثانٍ، لأن العبد عندما يسامح الشرع لا يتدخل، لو أنها وهبت أباها بعض مهرها فهذا شيء آخر، لو أنها أعطت زوجها بعضاً من مهرها فهذا شيء آخر أيضًا. لكن بعض الأئمة ذكر أن الأب وحده يمكن أن يأخذ جزءاً من مهر ابنته، ولأسبابٍ، وهي مقبولة عند الله عزَّ وجل، أما العم، أو الأخ، أو ولي الزوجة، هؤلاء جميعاً لا يمكن أن يأخذوا شيئاً، لكن الأب جاز أن يأخذ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَجُلا قَالَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَالا وَوَلَدًا، وَإِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي، فَقَالَ: أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ))

[ابن ماجه]

أحياناً هناك ضرورة، والفتاة تأذن وتهب، أصبح هذا موضوعاً آخر، على ألا يجحف بهذا الأخذ، إن كانت هي في أشد الحاجة إليه، ينبغي ألا يظلمها في هذا الأخذ، والحديث معروف:

((من أكل من مال ابنه شيئاً فليأكل بمعروف))

[ورد في الأثر]

الأثر السيئ في المغالاة في المهور

حينما نغالي في المهور تكسد سوق الزواج، وتنشأ سوق السفاح، دائماً وأبداً، إما نكاحٌ أو سفاح، إذا وضعنا العراقيل، والسدود، والمثبطات أمام سبيل الزواج، فالبديل هو السفاح، وإن لم يكن السفاح يصبح الناس أَيامى، معنى أيامى أي لا أزواج لهم، ولا أزواج لهن، وهذا شعور بالحرمان، شعور بالوحشة، ثم إن هذه المهور إذا غلت أنفقت إسرافاً وتبذيراً، وهذا منهيٌّ عنه.

وحينما يرفع المهر، ماذا يفعل الأب حينما يرفع مهر ابنته ؟ كأنه يغشها بوضع العراقيل أمام زواجها، لأنه قد ينفر الخاطب، قد يعود خائباً، قد لا يستجيب، قد يشعر بالابتزاز فيرفض، فأحد أسباب عضل الفتاة، وعدم تزويجها المغالاة في مهرها.

والله أنا أقول لكم: إن عشرات القصص، وأعرف أن زواجاً ناجحاً موفقاً لشاب مؤمن، مكتفٍ، ولطلبات أهل الزوجة غير المعقولة، انصرف عن هذا البيت، وانصرف خاطبٌ ثانٍ وثالثُ ورابع، وأصبحت الفتاة كاسدةً فاتها قطار الزواج.

ومرةً ثانية، وثالثة أقول: إن أقوى دافعٍ على الإطلاق في الجنس البشري دافع الأمومة، والذي يحرم ابنته حقها في الزواج، وحقها في أن تكون أماً فقد أساء إليها أبلغ إساءة.

فبعض الآباء السذج يقول: يا بنيتي، صدر البيت لك، هذا كلام ليس له معنى أبداً، إنه يطعمها، والأكل موجود.

الإسراف في تجهيز البيت وتأثيثه

ثم إن عقبةً ثانيةً ترد في موضوع الفقر المفتعل، هو الإسراف في تجهيز البيت وأثاثه.

والحقيقة كلَّما بالغنا في المظاهر سدَّ طريق الزواج، وكلكم يعلّم أن غرفة الضيوف أحياناً لا تستخدم إلا مرةٌ أو مرتين في العام.



غرفة في البيت ثمنها مليونان، ثمن الغرفة خمسمئة ألف، غرفة جلوس جيدة تصلّح لاستقبال الضيوف، غرفتين كانطلاق للزواج جيد، غرفة نوم، وغرفة جلوس تصلح لاستقبال الضيوف، ممكن .

لكن تجميد غرفة لاستعمالها في العام يوم أو يومين أو خمسة أيام بملايين الليرات هذا لا يجوز، لذلك المغالاة في المساحات و المغالاة في الفرش، والأساس، و المغالاة في غرف الطعام، في غرف طعام، بمئات الألوف، والزوج بخيل، ما دعا شخصا لتناول الطعام، لا يوجد داعٍ، مادام ليس هناك نية لإقامة ولائم مثلاً فلمن هذه الغرفة إذاً ؟.

سيدنا علي رضي الله عنه، يقول: **<<في آخر الزمان قيمة المرء متاعه >>.**

فالإنسان لضعف إيمانه، ولانحرافه عن الطريق السوي، ولضعف دينه، وقلّة أعماله الصالحة يستنبط مكانته من مساحة بيته، ومن أثاث بيته، ومن نوع مركبته، ومن موقع بيته، فقيمة المرء متاعه، لكن قيمة المرء في الحقيقة هي إيمانه وعمله الصالح.

النبي عليه الصلاة والسلام جهز فاطمة الزهراء فلذة كبده وريحانة فؤاده، جهزها في خميلةٍ وقُربةٍ ووسادةٍ، الخميلة من نوع المخمل، خميلة، وقربة ووسادة، وقال:

((إنما فاطمة بضعةٌ مني، يؤذيها ما يؤذيني))

كان النبي e قدوة، ولما طلبت السيدة فاطمة خادماً قال لها كلمة لو عرفنا أبعادها لسعدنا، قال:

((والله يا فاطمة لا أوثركِ على فقراء المسلمين))

[ورد في الأثر]

ما عدَّ نفسه وأسرته فئة والناس فئة ثانية، بل عدَّ النبي الكريم نفسه وأسرته والمسلمين أسرة واحدة، فأن يخص ابنته بخادمة لعل هذا على حساب فقراء المسلمين، قال لها:

((والله يا فاطمة لا أؤثركِ على فقراء المسلمين))

ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وأبو داود:

((أَحَقُّ مَا يُكْرَمُ الرَّجُلُ بِهِ ابْنَتُهُ أَوْ أُخْتُهُ))

إكرام أهل الزوجة من إكرامها

أي أن إكرام الفتاة وإكرام الأخت كما فسر العلماء هذا الحديث بإكرام أهل زوجها، فالعلاقات الطيبة مع أهل الزوجة، فقد تجد أسرٌ كثيرة لا يوجد أي علاقة بين أهل الزوج وأهل الزوجة، فبينهم عداوة، و بغضاء، وهذه العداوة لا بدَّ أن تنتقل إلى الفتاة، لذلك إكرام أهل الزوجة، والعناية بهم، والترحيب بهم، وزيارتهم، هذا من إكرام الفتاة.



فمن عنده بنت زوجها فإن أحد أكبر أبواب إكرامها إكرام أهل زوجها، يدعوهم، يزورهم، تستأنس، أحياناً لا ينتبه الإنسان إلى هذه النقطة، الزوج يقسو على زوجته في شتم أهلها، وفي بيان نقائصهم، تتمزق الفتاة، هم أهلها، أمها وأبوها، وزوجها يكرههم. إخواننا الكرام، نصيحةٌ لوجه الله، الزوج العاقل الذي يريد ولاء زوجته له أحد أسباب ولاء الزوجة إكرام أهلها، لو لم تكن قانعاً بمواقفهم، يوجد عندنا قاعدة

رائعة جداً، " أدِ الذي عليك، واطلب من الله الذي لك "، فأنت كنْ كاملاً، هذه أمها، وهذا أبوها، وهذا أخوها، فإذا أكرمتهم فإكرامهم ليس لهم، إنما إكرامهم لزوجتك، فلذلك من إكرام الزوجة أن تكرم أهلها، يوجد أزواج و أصهار يحاسبون أهل زوجاتهم حساباً عسيراً، قناص للكلمات، كل غلطة بكفرة، هكذا أبوك قال لي، هذه لم تناسبني، لن أدخل إلى بيته بعد الآن، ولأتفه سبب، وضعوا الخبز، ولم يكن ساخناً، هذا إهمال، فيتخذ حجة واهية جداً في الضيافة، أو في الزيارة، ويقطع العلاقة نهائياً، الزوج من عدم حكمته عندما قطع العلاقة مزَّق زوجته، الأب أب، والأم أم، وغضب الزوج من أهل زوجته لا يحيل هذه العلاقة مقطوعة.

لذلك أيها الإخوة إن من إكرام المرأة إكرام أهلها، إكرام أهلها إكراماً لها، وإكرام أهلها يعود خيره على الزوج، فتطمئن الزوجة، أما الذي أظنه أن أسعد زوجةٍ في الأرض هي التي تشعر أن أهلها وأهل زوجها على وفاق، ترتاح، لأن هذا زوجها، وهؤلاء أهلها، ومن الصعب جداً أن تميل بجانبٍ على جانبٍ آخر.

من عقبات الفقر المفتعل: بذل الأموال الطائلة في الولائم

الآن العقبة الثالثة من عقبات الفقر المفتعل، بذل الأموال الطائلة بمناسبة الولائم.

الحقيقة أني أشعر بوجود ظاهرة الآن ليست وسام فخر، البذخ والإسراف الشديد في ولائم الأعراس، وفي الاحتفالات، لدرجة أن نفقة عرسٍ واحد، أو عقد قرانٍ واحد مع الإسراف والتبذير، يكفي لتزويج عشرة رجال، أو مئة أحياناً، ومرة خمسمئة، شاب يحتاجون أشدَّ الحاجة إلى غرفةٍ تؤويهم، وإلى زوجةٍ تكفيهم، فلا يجدون، وعرس واحد في فندق فخم تزيد نفقته على تزويج مئة شاب. إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ

لذلك إخواننا الكرام،(إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)، أي أن إنفاق الأموال كأن تحضر الزهور بالطائرة من هولندا، والثياب من فرنسا، والطعام من مكان كذا والعرس مختلط، ووزعت فيه الخمور، وجلبت الراقصات، وعلى بطاقة الدعوة: الطيبون للطيبات.

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾

(سورة الإسراء)

الآن النبي عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الصحيح الذي أورده الترمذي يقول عليه الصلاة والسلام:

((طَعَامُ أَوَّلِ يَوْمٍ حَقٌّ، وَطَعَامُ يَوْمِ الثَّانِي سُنَّةٌ، وَطَعَامُ يَوْمِ الثَّالِثِ سُمْعَةٌ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ))

فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يريدنا أن ننزلق إلى إطعام الطعام من أجل التفاخر، وليمة العرس سنة، أن تدعو الناس إلى طعامٍ بمناسبة الزواج هذا سنة، والآن بعد الطعام الاحتفال، عقد قران تتلى فيه المدائح النبي e، تلقى كلمات توجيهية، يوزَّع نوع من الحلوى في الصيف، وفي الشتاء نوع آخر، فإطعام الطعام من السنة، والاحتفال من السنة، وأنا أفضل ألف مرة أن يكون هناك حفل عقد قران، أولاً ما الفرق بين النكاح والسفاح ؟ النكاح إعلان، حينما تدعو مئتي رجل لحضور عقد قران، وتتلى في هذا العقد قصة المولد، وتتلى مدائح النبي عليه الصلاة والسلام، تلقى كلماتٌ توجيهية، هذا اسمه إعلان، فالإعلان من لوازم النكاح، لكن من دون إسرافٍ ولا مخيلة، والآن في هناك تقليد والله أنا أشجعه كثيراً، يوزع كتاب قيم، وما من بيت ما فيه مصحف بل فيه عشرون مصحفا، خمسين، مع أنه أعظم الكتب على الإطلاق، لكن لما توزع مصحفا ما أضفت شيئاً جديداً، البيت فيه مصاحف، لكنك إذا وزعت كتاباً في الحديث الشريف، كتاباً في الفقه، اسأل أهل العلم في اختيار هذا الكتاب، أحياناً كتاب قيم جداً، هذا الكتاب إذا وزع مع مضي الزمن تتشكل مكتبات إسلامية في البيوت، الآن تتشكل مكتبات كلها صحون، فلو وزع كتاب قيم بثمن الهدية تتشكل مكتبات في البيوت جميعاً، شيء جميل جداً، وأنا أفضل إذا كان أحب أخ أن يوزع كتابا يسأل أهل العلم عن أي كتاب يشتري، كتابا في الأدعية، كتابا في الأحاديث، كتابا بالفقه مختصر، كتابا ملخص إحياء علوم الدين، الآن له ملخصات جيدة، كتاب قيم جداً يوزع هدية.

وقد أعجبني جداً تقليداً آخر، فقد حضرت عقد قران لم يوزع شيء، العادة توزع الهدية مع بطاقة الدعوة، والذين يدعون إلى هذا العقد من أغنياء البلد، لم يوزعوا شيئا ففوجئت وقلت: لعل التوزيع في أثناء الحفل، وفي الحفل لم يوزعوا شيئا، لكن خطيباً قام يخطب وقال: "أصحاب الدعوة توقعوا أن يكون ثمن هذه الهدايا قريباً من سبعمئة ألف ليرة، والحاضرون يبلغون ألف شخص، وكل شخص هديته ثمنها سبعمئة ليرة، فالمبلغ سبعمئة ألف، أودعت عند رجل موضع ثقةٍ، ليزوج بها الشباب المسلمين ".

حضرت أربع عقود مثل هذا العقد، المبلغ تسعمئة، أو ألف، أو مليون تقريباً كل عقد، هذا المبلغ هو ثمن الهدايا، رصد لتزويج الشباب المسلم، هذا أيضاً تقليد، إلى متى نحن نتباهى بهذه العلب، وهذه الصحون، ونشتريها من بلادٍ بعيدة، ويذهب ثمنها من إنتاجنا ومن قوتنا ؟ إما أن تقدم كتاباً يسهم في تشكيل مكتبة في بيوت المسلمين، أو أن تسهم بتزويج شابٍ.

لذلك المتباريان، من هما المتباريان ؟ اللذان يصنعان الولائم للتباهي وللتنافس، المتباريان لا يجابان، ولا يؤكل طعامهما.


الأطعمة التي توزع في الأعراس تنتهي إلى القمامة وهذا حرام

روى أحد أصحاب رسول الله ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم أولم على بعض نسائه، بِمُدَّيْنِ من شعير، ويروي لنا أنسٌ رضي الله عنه قصة وليمة أخرى لرسول الله ﷺ، قال: أقام النبي عليه الصلاة والسلام بين خيبر والمدينة ثلاثاً يبني عليه لصفية بنت حييّ، فدعوت المسلمين إلى وليمته، ما كان فيها إلا خبزاً ولحماً.

إنه طعام طيب، لكنه معقول، أحياناً ترى شيئًا يدمي القلب، أربعة أخماس الطعام ألقي في القمامة، طعام نفيس جداً، وسمعت الآن خبرا سارا، أن جمعيةً تعمم على كل المحتفلين بأعراسهم، وإقامة الولائم في بيوتهم، أو في بعض الصالات، يخبرونها، فتأتي عند انتهاء الوليمة، فتأخذ كلّ ما على الطاولات، وبأساليب جيدة جداً توضع في أطباق، وفي أكياس محكمة، وتوزع على بيوتاتٍ فقيرةٍ فوراً.

مرة حضرت دعوة عقد قران مع طعام عشاء، دهشت أن هذا الطعام كثير جداً، والضيوف لم يأكلوا خمسه، بقي في نفسي تساؤل، في اليوم التالي سألت أحد المقربين من الداعي، قال لي كلمةً والله أثلجت قلبي، قال لي: والله ما ضاع من هذا الطعام حبة رزٍ، كلِّ هذا الطعام وضع في علب، وفي أطباق، وذهب به إلى بعض المياتم، وأكل هؤلاء الأيتام، أطيب الطعام، أسبوعاً بأكملّه.

فإذا أحب إنسان أن يقيم وليمة، وحفظ الباقي من الطعام في عناية فائقة، يوزع على بيوتات فقيرة فلا مانع، بل هذا شيء جميل جداً، القصد أن تُحفَظ هذه النعمة، دققوا في قول النبي عليه والسلام:

((يا عائشة، أكرمي مجاورة نعم الله، فإن النعمة إذا نفرت قلما تعود))

والله أيها الإخوة، أعرف أشخاصاً كانوا يلقون الطعام في القمامة، والله وصل بهم الفقر إلى أنهم ينقبوا في القمامة، فإتلاف الطعام، إلقاء الطعام في القمامة، الترفُّع عن بقايا الطعام هذا لا ينبغي.

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

(سورة الأعراف: آية " 31 ")

قال: ما أولم النبي ﷺ على شيءٍ من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة.

ويا أيها الإخوة، لا زلنا في مبحث الفقر المصطنع الذي يضعه أولياء الفتيات أمام خاطبي فتياتهم، بحيث تغدو هذه الطلبات تعجيزية، وبحيث تجعل الزواج شبه مستحيل، عندئذٍ ينحرف الشباب، كما هو موجودٌ في واقعنا. الموضوع الذي سنأخذه في الدرس القادم موضوعٌ مهمٌ جداً، كيف أن أولياء الفتيات يكونون عقبةً أمام زواج فتياتهن ؟ وما حكم الشرع حينما يغدو الولي عقبةً كأداء أمام زواج الفتات ؟ كيف أن القاضي هو ولي من لا ولي له، أو ولي من كان وليه متعنتاً، موضوعٌ دقيق جداً نحاول أن نأخذه في درسٍ قادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : أهمية الزواج و عوائقه

الفصل الثاني : أهمية الزواج و عوائقه

الدرس (1-6) : توجيهات حول موضوع الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :



في ظلال حديث النبي ﷺ :

((إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[الترمذي عن أبي هريرة]

الحقيقة موضوع الزواج موضوع مؤرق ، وطبعاً النبي ﷺ القدوة والأسوة لنا ، سيد البشر لم يترك الأمة دون توجيه مهم في هذا الموضوع المهم ، فنبدأ بهذا الحديث :

((إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[الترمذي عن أبي هريرة]

المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل :

قبل هذا الحديث يقول الله عز وجل :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم : 22]

والسموات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون ، والكون ما سوى الله .



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

﴿ وَمِنْ آيَاتِه اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

ومن آياته الدالة على عظمته :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

فالمودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل ، أما السكنة فالإنسان يسكن إلى ما يفتقده ، فكأن خصائص الرجل الأولى القيادة ، فالمرأة تسكن إلى قيادته ، وخصائص المرأة الانفعالات الصادقة وزوجها يسكن إلى انفعالاتها ، فهناك تكامل بين الزوجين :



﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم : 22]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

﴿ وَمِنْ آيَاتِه اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

وهناك ملمح دقيق في الفرق بين المودة والرحمة ، فإن كانت الزوجة ملء سمع الرجل وبصره كما هي ضمن طموحه يركن إليها ، ويحبها بدافع الحب ، وإن كان الزوج ملء سمع زوجته وقلبها تسكن إليه .

فلذلك النبي في نقطة البداية قال :

((إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه ...))

[الترمذي عن أبي هريرة]

أبرز الخصائص في اختيار أو في الرضا بالزوج أن يكون صاحب خلق ودين ، لذلك ميز النبي ﷺ بين الدين والخلق .

الفرق بين الخلق و الدين :



الحقيقة أنا أفهم الدين بهذا النص بالذات يصلي ويصوم ويحج ويزكي ، أي عبادات ، الخلق لا بد منه لكن الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك بالإيمان . فلذلك ما الذي ينعكس من المؤمن ؟ أخلاقه ، النبي ﷺ يتمتع بمئات الخصائص التي ينفرد بها ، فلما أراد الله أن يثني عليه أثنى على خلقه ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم: 4]

والذي ينتفع الناس به من المؤمن أخلاقه ، فالخلق شيء مهم جداً في حياة المسلمين. الدين كمعلومات أو كأفكار قضية بيد كل إنسان .

الأخلاق الحقيقية تتجلى في المنزل :



هناك ملمح ثان ؛ الإنسان خارج بيته يتزين ، يرتدي أجمل ثيابه ، يرجل شعره، يتعطر ، يصافح ، هذا خارج البيت ، لكن أين تبدو أخلاقه حقيقة ؟ أخلاقه الحقيقة تبدو في البيت ، حيث لا سلطان لأحد عليه في البيت ، النبي ﷺ قال :

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة]

بالتعبير المعاصر خارج البيت بزنس أما داخل البيت فأخلاق ، فالأخلاق في البيت.

الأخلاق داخل البيت تكشف عن المعدن الأصيل ، ولذلك النبي ﷺ اعتنى بمسألة الخلق ، ولا سيما أن يكون أصيلاً ، و لاسيما إذا ارتبط الخلق بالدين ، فإن الدين يرفع الأخلاق كما علمنا النبي ﷺ ، ولذلك قال النبي :

((...إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[الترمذي عن أبي هريرة]

تشجيع الزواج و تيسيره كي لا يحلّ السفاح محله :



هناك ملمح بالحديث دقيق جداً ، أحياناً تمنع شيئاً فيمتنع هذا فعل مطاوعة ، لكن حينما تمنع الزواج العلاقة لا تقف ، كان ينبغي أن تكون نكاحاً فأصبحت سفاحاً ، قوة هذا الدافع في الإنسان قوة كبيرة جداً فإن لم يكن لها قنوات نظيفة هي النكاح تسلك قنوات قذرة هي السفاح .

الشاهد :

((...إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[الترمذي عن أبي هريرة]

فلذلك :

((إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[الترمذي عن أبي هريرة]

أما إلا تفعلوا فلا تعني أنه إذا ما فعلتم توقفت هذه العلاقة ، لا تقف .

بطولة الإنسان أن يتزوج امرأة لا يحتاج لتطليقها :



الإنسان حينما يبحث عن زوجة ولا يعلق آمالاً على أخلاقها يقع في مطب كبير جداً ، وحينما تقبل هي زوجاً لا تعلق آمالاً على أخلاقه تقع في مطب كبير جداً ، لذلك البطولة أن تتزوج ولا تطلق والحديث دقيق جداً :

((تزوجوا ولا تطلقوا))

[الديلمي عن علي]

الطلاق مباح ، بعضهم قال في معنى هذا الكلام : تزوج امرأة لا تحتاج إلى أن تطلقها ، تكن دراسة كافية وعميقة ، فلا بد من أن تكون الدراسة كافية كي تختار هذه الزوجة.

أخلاق الزوج الضمان الوحيد لسعادة المرأة :

خير النساء أقلهن مهراً ، ينبغي ألا يكون المهر عقبة أمام الزواج ، والذي يظن أن المهر هو الضمانة خاطئ خطأ كبير ، الضمانة أخلاق الزوج ، ابحث لابنتك عن مؤمن إذا أحبها أكرمها وإن لم يحبها لم يهنها.

القصة التالية هي دستور السعادة بين الزوجين :

روت كتب الأدب و السيرة أن القاضي شريح لقيه صديقة الفضيل ، فقال له : يا شريح كيف حالك في بيتك ؟ قال : منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي ، قال : وكيف ذلك يا شريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة ، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ، يقصد صلاحاً في دينها وكمالاً في خَلقها ، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة ، فلما سلّمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها ، فقالت لي : على رسلك يا أبا أمية، فقامت فخطبت ، قالت : أما بعد ، يا أبا أمية إني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره ، فقل ما تحب حتى آتيه ، وما تكره حتى أجتنبه ، ويا أبا أمية قد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك ، وكان لي من رجال

قومي من هو كفء لي ، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتقِ الله فيّ وامتثل قوله تعالى الله :

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

ثم قعدت ، قال : فألجأتني إلى أن أخطب ، وقف وقال : أما بعد ، فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا ، وما وجدت من حسنة فانشريها ، وما وجدت من سيئة فاستريها . قالت : كيف نزور أهلي وأهلك ؟ قال : نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين حتى لا يملونا . وفي الحديث الشريف :

((زر غِبّاً تزدد حبّاً))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو]



الزواج المبني على طاعة الله يتولاه الله أما المبني على معصية الله يتولاه الشيطان

قالت : فمن من الجيران تحبَّ أن أسمح لهنَّ بدخولِ بيتك ومن تكره ؟ قال : بنو فلان قومٌ صالحون ، وبنو فلان قومٌ غير ذلك ، قال : ومضى عليّ عامٌ جئت إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا ، فلمَّا دخلت رحَّبتُ بها أجمل

ترحيب ، وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال ، قالت لي أمها : يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت : والله هي خير زوجة ، قالت : يا أبا أميَّة ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدلَّلة فوق الحدود ، فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب ، وهذِّب ما شئت أن تهذِّب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة ، ومضى عليّ عشرون عاماً لم أجد ما يعكر صفائي إلا ليلة واحدة كنت فيها أنا الظالم .

التعليق على هذه القصة إذا بني الزواج على طاعة الله ، تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني على معصية الله فيتولى الشيطان التفريق بينهما .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : التعاملات المتعلقة بالزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون الذكر فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

حياة الإنسان مبنية على أساس الابتلاء :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس العاشر من سلسلة دروس: "الحلال والحرام في الإسلام" .

وقد وصلنا في الدرس الماضي إلى الحلال والحرام في أمر الزواج والعلاقات الأسرية.



أيها الأخوة، بادئ ذي بدء: طبيعة الحياة الدنيا بأكملها طبيعة أساسها الابتلاء، وكل ما ركب في الإنسان حيادي في الأصل، يمكن أن يوجه توجيهاً صحيحاً أو توجيهاً خاطئاً، لذلك أراد ربنا سبحانه وتعالى حينما خلقنا أن نعمر الأرض، لذلك نحن جميعاً مقهورون، بمعنى أن دافع الجوع الذي أودعه الله فينا من أجل أن يبقى أفرادنا، دافع الجوع يحقق بقاء الفرد، والدافع الجنسي يحقق بقاء النوع.

نحن شئنا أم أبينا، لابد من أن نأكل حتى نبقى أحياء، ولابد من أن نتزاوج حتى يبقى النوع البشري، فهذا الدافع يدفعنا إلى الزواج، دافع الجوع يدفعنا إلى تناول الطعام من أجل أن نبقى، ودافع الغريزة يدفعنا إلى الزواج من أجل أن يبقى النوع.

لكن كما قلت قبل قليل: الحياة الدنيا بأكملها، بكل مظاهرها، بل إن حياة الإنسان بالذات مبنية على أساس الابتلاء.

اتجاهات العالم الغربي في موضوع الشهوات :

الدافع الجنسي يمكن أن يكبت، وليس هذا من الدين، ويمكن أن يطلق، وليس هذا من الدين، هناك اتجاهات في العالم الغربي إلى إطلاق هذا الدافع من غير قيد أو شرط، أيّ علاقة حققت اللذة فهي مباحة عندهم، زنا، شذوذ، زنا محارم، تبادل زوجات، أي علاقة تحقق اللذة مشروعة في العالم الغربي، فهي مباحة عندهم، والآن يدفعون الثمن في أعلى درجات الغرامات، يكفي أن مرض الإيدز منتشر في العالم برقم فلكي، سبعة عشر مليون إنسان مصاب بهذا المرض، وهذا المرض الآن يتكاثر، وعندنا سلسلة حسابية وسلسة هندسية، والآن اخترعوا سلسلة انفجارية، كل نصف ساعة يموت إنسان بهذا المرض، وسببه إطلاق الشهوة، وبعض المذاهب الأخرى في آسيا كبتت الغريزة الجنسية كلياً، شيء قذر، ليس هذا من الدين، إذا كبتت هذه الغريزة تعطل هذا الهدف النبيل منها، وإذا أطلقت تفلتتْ.

الإسلام وسط بين طرفين :

أيها الأخوة، الإسلام وسطي، وقالوا: الفضيلة وسط بين طرفين، لو ذهبنا هذا المذهب لوجدنا أن كل الفضائل تقع في منطقة متوسطة بين طرفي رذيلة، يمكن أن يكون الإسلام في مجمله وسطاً، لقوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

[سورة البقرة: 143]



والآن أيها الأخوة، الذي يلفت النظر أن العالم انقسم إلى شرق وغرب، إلى شرق يؤمن بالمجموع، وإلى غرب يؤمن بالفرد، إلى شرق يؤمن بالمجموع ولو سحق الفرد، وإلى غرب يؤمن بالفرد ولو سحق المجموع، ما الذي حصل؟ الشرق عاد عن تطرفه إلى الوسطية مقهوراً لا عن إيمان، والغرب عاد عن تطرفه مقهوراً إلى الوسط، لذلك أشار ربنا سبحانه وتعالى إلى أن هذا الدين يكون هو الدين الذي يظهره الله عز وجل على الدين كله، بسبب أنه وسطي، فالرهبانية التي ابتدعها غير المسلمين]

مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ [، ولأننا ما كتبناها عليهم]فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا [، لذلك تجد انحرافات لا حصر لها فيمن نذروا أن يدعوا هذه الغريزة بدافع ديني فيما يدعون، الانحرافات الجنسية تتفاقم في أوساطهم. فلذلك لا أحد يتحرك حركة مخالفة لمنهج الله في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نذروا أن يدعوا الطعام، وبعضهم يدع الزواج، فلم علم النبي قال:

((أنا أشدكم لله خشية، أنا أنام وأقوم، أصوم وأفطر، أكل اللحم، وأتزوج النساء ، هذه سنتي، فمن رغب عنها فليس من أمتي))

[البخاري عن عائشة]

المنهج الذي جاء به النبي من عند الله يؤهل الإنسان ليصل إلى أعلى مرتبة :

أريد أن أقول: يمكن أن تصل إلى أعلى مراتب الإيمان وأنت في الوسطية، الطرق التي تقول: لابد من خلع الدنيا كلياً، لابد من ترك الزواج، لابد من ترك العمل، لابد من التجرد، لابد من الزهد، الزهد الغير معقول، هذا تطرف وغلو في الدين، يمكن أن تتزوج، وأن تعمل، وأن تتوازن، وأن تأكل، وأن تشرب، وأن تلبس، وأن تكون إنساناً طبيعيَّاً، وأنت في أعلى درجات الإيمان، هذا المنهج الذي جاء به النبي يؤهلك إلى أعلى مرتبة عند الله، فلا تبحث عن منهج آخر، لا تبحث عن بديل غير واقعي، لا تبحث عن بديل فيه تطرف، لا تبحث عن بديل فيه

غلو، ولا يستطيع إنسان كائناً من كان على وجه الأرض أن يضيف على الدين شيئاً أو أن يحذف منه شيئاً. فلذلك الفرق الإسلامية والطرق التي ابتدعت، هذه على العين والرأس إذا غطيت بالقرآن والسنة، أما إذا كان فيها توجيهات ليست مغطاة بالقرآن والسنة فلا نأخذ بها، قال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾

[سورة المائدة:4]

لا مرتبة في الدين بترك العمل :

لا تعتقد أن هناك مرتبة تنالها بتجاوز الكتاب والسنة، ليس هناك مرتبة تنالها بترك الزواج، ليس هناك مرتبة بالدين تنالها بترك العمل، تكون عالة على غيرك، لا، سيدنا النبي كان راعياً للغنم، وعمل تاجراً، تجارة داخلية وتجارة خارجية، وكان أول شريك مضارب في الإسلام، أخذ المال من خديجة، وتاجر به، لها نصف الربح نظير مالها، وله نصف الربح نظير جهده، علمنا النبي، نحن نريد عودة إلى ينابيع الدين، كيف هؤلاء المسلمون فتحوا العالم؟ فتحوه لأنهم جلساء متكئون؟ لا والله! زاهدون مهمشون في الحياة؟ خرجوا من الحياة؟ لو فعلوا هذا ما فتحوا العالم.

سيدنا عمر دخل إلى بلدة فرأى معظم من يعمل فيها ليسوا من المسلمين، التجارة والصناعة بغير يد المسلمين فعنفهم أشد التعنيف، وقال لهم -ودققوا في قوله-: كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم؟

سيدنا عمر هذا الصحابي الجليل، العملاق من عمالقة الإسلام رأى أن في الحياة منتجاً ومستهلكاً، وأن المنتج هو السيد، وأن المستهلك هو المسود، أن المنتج هو الغني، وأن المستهلك هو الفقير، المنتج هو القوي، والمستهلك هو الضعيف، ولا يريدنا أهل الغرب إلا مستهلكين، لا يريدون إلا أن نكون سوقاً رائجة لمنتجاتهم. لذلك المؤمن يبحث في مشروع ينفع المسلمين، يرفع من معيشتهم، يحل مشكلاتهم، هذا إنسان في أعلى درجات العبادة، ديننا منهج كامل، لا يوجد تطرف، لا يوجد انسحاب من الحياة، ولا تقوقع، ولا هروب، هذا مجتمع مسلم، يجب أن ننهض جميعاً في خدمة وتربية أبنائنا، لتأمين فرص عمل ولحل مشكلات.

الإسلام نهى عن التبتل واعتزال النساء وأمر بتيسير الزواج :

لذلك الإسلام وسطي لم يكبح هذه الغريزة التي أودعها الله فينا، شيء الله خلقه فينا، زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين، هذا ليس خطأ منا، إنما هو مركب في أصل فطرتنا، فلم يكبح هذه الغريزة كما فعلت الرهبانية، ولم يطلقها كما أطلقتها العلمانية، الرهبانية تطرفت بكبح هذه الغريزة، والعلمانية تطرفت بإطلاق هذه الغريزة، الإسلام وسطي، هذه الغريزة التي أودعها الله فينا رسم لها قنوات نظيفة.

في الإسلام هناك زوجة فقط، العلاقة التي تروى بها هذه الغريزة لا يمكن أن تكون إلا عن طريق الزواج. لذلك أريد أيها الأخوة أن أشير إلى ناحية، لو أن الرجل زنا كل يوم بامرأة سراً لا شيء عليه، أما إذا تزوج امرأة أخرى لضرورة قاهرة تقام عليه الدنيا، هذا خلاف المنهج الإلهي، امرأة لا تنجب، امرأة مريضة، امرأة لا تكفي زوجها، هل نسمح للزوج أن يذهب يمنة ويسرة لكي لا تخدش مكانته الاجتماعية أم نسمح له بتنفيذ شرع الله عز وجل؟ هل يعقل أن يبقى في كل بيت ست أو سبع بنات في سن الزواج لا خاطب ولا من يطرق الباب وإنسان يعاني ما يعاني من مشكلة الزواج؟ زوجته العقيم أو المريضة أو... فيجب أن نطبق الإسلام كما أراده الله عز وجل، لا كما يعجبنا، يعجبنا منه ما يعجبنا، ونرفض منه ما نرفض.

الموضوع الأولي أن هذه الغريزة لن تكبح كما فعلت الرهبانية، ولن تطلق كما فعلت العلمانية، ولكن رسمت لها قنوات نظيفة تروى من خلالها.

الإسلام نهى عن التبتل، ونهى عن اعتزال النساء، وأمر بتيسير الزواج، كيف يرضى الله عنا ونحن نعطل كلامه؟، ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة النور: 32]

الأمر لمن موجه؟ لمجموع المسلمين، أو لأولي الأمر، أو لأولياء الأمور، أو لأولياء الفتيات والفتيان، أنكحوا، أي زوجوا، خففوا القيود، أزيلوا العقبات، فهذا إنسان أودع الله فيه هذه الغريزة، ولم يتمكن من الزواج إلى سن الأربعين، ماذا يفعل في نفسه من العشرين حتى الأربعين؟

التساهل مع الخاطب وسيلة للقضاء على المتع الرخيصة :

أخواننا الكرام، أقول: إذا لم نتحرك جميعاً، ونذلل العقبات، ونيسر السبل، إذا لم نتساهل مع الخاطبين، إذا لم نقبل بشروط دون طموحاتنا، يحل السفاح مكان النكاح، وتكثر دور الدعارة، وتكثر وسائل المتعة الرخيصة. هناك نقطة دقيقة أحب أن تكون بين أيديكم، شاب من يومين ذكر لي مشكلته يسكن في بيت، والبيت فيه صحن هوائي، ذكر لي أشياء أكاد لا أصدقها، شاب في ريعان الشباب، والده يرى هذه المناظر التي لا يعقل أن تكون في بيت إسلامي، خمس عشرة محطة تركية تبث برامج يستحي الإنسان أن يراها بمفرده، فكيف أمام زوجته وأولاده؟ هكذا بيوت المسلمين الآن، تعرف البيوت من الأسطحة، كم شمسية في هذه البيوت على الأسطحة؟! القضية خطيرة، يلعب أحدنا بالنار، ويلعب بقنابل في أيّ لحظة تتفجر.

الذي أرجوه من الله عز وجل أن نتحرك، وأن تسعى بتزويج شاب بفتاة، إذا عندك فتاة في سن الزواج، لا تعرقل زواجها، لا تضع العراقيل أمامها، لا تضع المستحيلات،

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

الحكمة من الأوامر القرآنية بغض البصر وعدم إظهار الزينة :

الحقيقة هناك سؤال: لماذا هذه الأوامر القرآنية بغض البصر وعدم إظهار الزينة؟ قال تعالى:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) ﴾

[سورة الأحزاب: 32]

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: 53]

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور :30]

هذه الأمور موجودة في القرآن، ليست حديثاً ضعيفًا، ولا تعليق صحابي، ولا رأي عالم، إنها آيات محكمة في كتاب الله واضحة كالشمس.


القرآن من عند الخبير الذي خلقنا وفيه ما ينفعنا

[قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ]، لأن هذا القرآن من عند الخبير الذي خلقنا، والذي أودع فينا هذه الغريزة، والذي صممها لتكون حيادية، إما أن ترقى بها إلى الجنة، بهذه الغريزة بالذات، وإما أن تكون دركات إلى النار، درجات إلى الجنة أو دركات إلى النار، الغريزة نفسها كحب النساء.

تصور إنساناً روى هذه الغريزة وفق منهج الله، خطب فتاة مسلمة من أسرة مسلمة، من أسرة مؤمنة، إسلامي، فيه ورع، فيه علم، فيه حياء، فيه أدب، فيه حجاب، فيه صون، وأنجب منها أولاداً، ورباهم تربية إسلامية، سعد بها، وسعد بأولاده، وسعد ببناته وأصهاره، هذا التصميم الإلهي.

وتصور إنسانًا من ملهى إلى ملهى، من مرقص إلى مرقص، يروي هذه الغريزة من دار إلى دار، هنا تروى، وهنا تروى.

العقل أداة معرفة الله :

قلت قبل قليل في أول الدرس: إن كل شيء خلق في الإنسان مصمم بشكل حيادي، إما أن ترقى به، وإما أن تهوي به، فالعقل أداة معرفة الله، يمكن أن تصل من خلاله إلى الله، ويمكن أن تصل من خلاله إلى أكبر عمل إجرامي، العقل نفسه، الشهوة نفسها، يمكن أن تغدو هذه الشهوة معراجاً لك إلى الله، والشهوة نفسها دركات إلى النار، حب العلو في الأرض، يمكن أن تهب حياتك للحق، فيرفع الله لك ذكرك، فتعلو في الأرض عن غير قصد منك، ويمكن أن تجعل علوك في الأرض أحد أهدافك الكبرى، فترقى عن طريق إتلاف الآخرين، وسحقهم، وأخذ أموالهم، واغتصاب حقوقهم.

حاجة الحياة إلى علم حقيقي :

أيها الأخوة الكرام، الحياة تحتاج إلى علم حقيقي، علم عميق، يجب أن تعرف من أنت؟ لماذا ركبت فيك هذه الشهوات؟ ماذا ينبغي أن تفعل؟ لأن الشيء الخطير أنه يمكن لإنسان أن يفقد دينه بامرأة، لأن المعاصي دليل الكفر، أو أن يفقد اتصاله بالله بخروجه عن منهج الله، أو أن يفقد سعادته كلها بشهوة منحرفة، فلا تعجب إذا رأيت في القرآن الكريم آيات كثيرة تنظم علاقة المرأة بالرجل، ولا تعجب أن الذين سلموا من العطب هم الذين طبقوا منهج الله عز وجل، لا تعجب، ولا تعجب أن البيوت التي انهارت بسبب مخالفة لمنهج الله.

كلّ المشكلات والمصائب بسبب الخروج عن منهج الله :

هناك نقطة أحبّ أن أذكرها بشكل واضح، بحكم عمل الدعاة تأتيهم مشكلات، تعرض عليهم قضايا الإنسان، من تقاطع هذه المعلومات يتضح أن كل مشكلاتنا بسبب خروجنا عن منهج الله، والإنسان أحياناً بكل بساطة يسافر إلى بلد آخر، ويترك زوجته في البيت مع أخويه الشابين، الذي حدث أنه اعتدى أحدهما على امرأة أخيه، وكانا في خلوة، زوجة بمفردها في البيت ومعها شابان في ريعان الشباب، والزوج غائب في بلد آخر، هذا هل يعرف منهج الله عز وجل؟ هذه الخلوة سببت الزنا، لو كان لديه وقت ونفَس طويل يتتبع كل مشكلة يجد أول خيط المشكلة من مخالفة منهج الله.

الأمثلة كثيرة جداً، عندما ترى أمراً ونهياً يجب أن تعلم علم اليقين أن هذا النهي يؤكده ألف قصة، ألف قصة وقعت، ودمرت الأسرة بسبب التساهل في هذا النهي.

من ثمرات إطلاق عنان الشهوة المحرمة :

1 . اختلاط الأنساب :

لو أن هذه الشهوة التي أودعها الله في هذا الإنسان أطلق عنانها بلا قيد، بلا ردع، بلا قيمة، بلا منهج، بلا مبدأ، ما الذي يحصل؟

في المجتمعات الغربية احتمال كبير أن تكون زوجته أخته، وهو لا يدري.

خطب شاب فتاة، واستشار والده، قال له: لا يا بني، إنها أختك، وأمك لا تدري، فخطب فتاة ثانية، قال له: لا يا بني، إنها أختك، وأمك لا تدري، خطب الثالثة، قال له: إنها أختك، وأمك لا تدري، اشتكى لأمه، قالت له: خذ ما شئت، إنك لست ابنه، وهو لا يدري.

هذه أول ثمرة من ثمار إطلاق هذه الشهوة بلا قيد، في بلادنا – والحمد لله –الأسرة فلان زوجته وأولاده، الأمور واضحة وضوحاً تاماً وشديداً بسبب بقية الدين الذي عندنا .

صدقوني أيها الأخوة، خبير من دولة أجنبية يقيم حفلاً بمناسبة أنه رزق بمولود، وبقي في الشام سنتين متتاليتين، وزوجته في هولندا، كيف أنجبت هذا المولود؟ ليس شرطًا أن يكون منه، ولكن جاءه مولود، شيء طبيعي عندهم، فأول جريمة من التفلت اختلاط الأنساب.

2 . الجناية على النسل :

ثم الجناية على النسل، هذا الذي ينجبه الإنسان مشكوك بنسبه إنسان ضائع.

أنا لي صديق أخذ شهادة طب من أمريكا، يرسل إلى والده رسالة يقول له: عندي مناوبة في مستشفى شيكاغو خمس عشرةِ حالة تأتينا لأطفال صغار رضع، يأتون إلى المستشفى، إسعاف، لأنهم تلقوا ضربات بآلات حادة من والديهم، عندما يتبع الإنسان الجنس بشكل أرعن يصبح وحشاً.

وهناك تفسير آخر، هم يعتقدون أن هؤلاء ليس منهم من غيرهم، لذلك جنوا اختلاط الأنساب والجناية على النسل وانحلال الأسرة.

3 . انحلال الأسرة :

مرة قلت لكم: هناك إحصاء، ستة وثلاثون بالمئة من الزيجات تنتهي إلى الطلاق في ألمانيا، وأربعة وستون بالمئة من الزيجات تنتهي إلى الطلاق في أمريكا، واثنان من ألف في سوريا تنتهي إلى الطلاق. مرة القاضي الشرعي الأول قال لي: نسب الطلاق اثنان من ألف، هذا من آثار الدين، لأن الزوجة ليس لها

تجربة سابقة، والزوج كذلك، ويوجد طاعة لله، كذلك يوجد استقرار في الحياة الزوجية، وتفكك الروابط وانتشار الأمراض، الأمراض التي تظهر النبي الكريم له حديث أعدّه من دلائل النبوة قال:

((وما فعل قوم الفاحشة حتى يعلنوا بها إلا ابتلاهم الله بالأمراض التي لم تكن في أسلافهم))

[ابن ماجه عن ابن عمر]

الآن هناك مرض اسمه آكلة لحوم البشر، هذا أسرع من الإيدز، ينتهي الإنسان في أربع وعشرين ساعة، والأسباب انحراف جنسي، وهناك مرض الآن في إفريقيا جديد أيضاً مخيف، ومرض في اليابان، والأول في إنكلترا غير الإيدز، فلذلك الأمراض تستشري، وتنهار الأخلاق، وتظهر الشهوات، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

[سورة الإسراء: 32]

لكن كلام خالق الكون كلام دقيق، قال تعالى: [وَلاَ تَقْرَبُوا] ، لم يقل: لا تزنوا، لأن الزنا لا يكون مباشرة، هناك تمهيدات، استثارت، قراءات، مشاهدة أفلام معينة، أصدقاء، خلوة، إطلاق بصر، هذه كلها أسباب الزنا.

الحرام في علاقة المرأة بالرجل :

الآن دخلنا في الدرس الحرام في علاقة المرأة بالرجل.

1 . الخلوة بالأجنبية :

البند الأول الخلوة بالأجنبية، النبي لم يقل: ما خلا فاسق بفاسقة، ولم يقل: ما خلا مؤمن بمؤمنة، قال:

((أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ))

[سنن الترمذي عن ابن عمر]

أيّ رجل مع أي امرأة.

عند الخلوة تجتمع خواطر.

حكم الخلوة بالأجنبية :

الحكم الشرعي: الإسلام حرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، من هي المرأة الأجنبية؟ هي التي لا تكون زوجة له، ولا إحدى قريباته التي يحرم عليه الزواج منها حرمة مؤبدة، إذا خلا رجل بامرأة لها زوج، حينما تطلق تصبح حلالاً له، ويتزوجها، إذًا هي أجنبية لا يحق له أن يخلو بها مع أنها أجنبية ومحرمة عليه، لأنها متزوجة، ولكن هذه الحرمة ليست أبدية، بل حرمة مؤقتة لهذا الزواج.

من هي المرأة الأجنبية و كيف تعامل ؟

التعريف الدقيق: الخلوة بالمرأة الأجنبية التي لا تكون زوجته، ولا إحدى قريباته التي يحرم عليه زواجه منها حرمة مؤبدة، كالأم والأخت والعمة والخالة، يمكن أن تخلو مع أمك، وأختك، وعمتك، وخالتك، وابنة أخيك، وابنة أختك فقط، أما امرأة أخيك فأشد حرمة، لأنه إذا طلقها تبح له، فالحرمة غير مؤبدة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس معها محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان))

[صحيح عن ابن عباس]

أما الآية الدقيقة فقال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: 53]

الأكمل ألا تعلّم امرأة إلا من وراء حجاب، الهاتف قد يكون حجاباً، يمكن أن تستمع إلى شكواها على الهاتف، أو من وراء حجاب، أو أن تجيبها عن سؤال من وراء حجاب، أما اللقاء المباشر ولو كان لعلة نبيلة وشريفة فلا يجوز.

لا تخلُ بامرأة ولو لتعلمها القرآن، ولا تدخل على ذي سلطان ولو تقول: آمره وأنهاه.

الآية الكريمة قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: 53]

قال الإمام القرطبي: " يريد الله عز وجل أن ذلكم السؤال والمتاع من وراء حجاب أن هذا الموقف أطهر للقلب "، من ماذا؟ قال: " من الخواطر التي تعرض للرجال من أمر النساء، وللنساء من أمر الرجال ".

تكون الخواطر الغريزية بالمشاهدة، وإلا فلا:

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

" من الخواطر التي تعرض للرجال من أمر النساء، وللنساء من أمر الرجال، أي أن ذلك أنفى للريبة، وأبعد للتهمة، وأقوى في الحماية ".

وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه، ولا أن يقول: أنا واثق من نفسي.

الابتعاد عن الاختلاط لأنه أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية :



أحدث موضوع علمي قرأته، والله هذا الموضوع حلّ لي ألف مشكلة، حينما يثار الإنسان جنسياً الدماغ يفرز مادة يعطل محاكمته، وهذا يفسر أن الإنسان إذا خلا بامرأة تكون أقل بكثير جداً من زوجته، ومع ذلك تزل قدمه، لأنه خلا بامرأة، وخرق الحدود، وتجاوزها.

قال:

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

" أي أنفى للريبة، وأبعد للتهمة، وأقوى في الحماية ".

سيدنا يوسف هذا النبي العظيم الذي هو القدوة لكل شاب في عفته، وفي بعده عن الحرام، ماذا قال هذا النبي الكريم؟

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) ﴾

[سورة يوسف]

لا يقل الواحد أنا أثق بنفسي، أكبر إنسان قد تنهار مقاومته حينما يخرق منهج الله عز وجل، عندما تطبق المنهج الله يحميك.

الحمو الموت :

وهناك حالة خاصة، قال: ويحذر النبي أشد التحذير من خلوة المرأة، بيت الحمو أشد، أي أقارب زوجها، كأخيه وابن عمه، لأن الأخ له مدخل، وله كلام، وله مداخلة، وله سؤال، النبي الكريم يحذر المرأة من الخلوة بأقارب زوجها أشد التحريم، لأن هذا قد يجر إلى عواقب سيئة.

في هذا المسجد بالذات وصلني أكثر من خمسين قصة خلال عدد من السنوات عن حالات لا يمكن أن تصدق جرت بين المرأة وأخ زوجها، من الحرام الشنيع بسبب الخلوة، يقول لك: هل معقول ألا يدخل أخي في غيابي؟ نعم معقول ونصف ألا يدخل في غيابك، هنا لا يوجد مجاملات، قال عليه الصلاة والسلام:

((إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الحمو الموت))

[البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر]

ماذا فسر المفسرون هذه الكلمة: "الحمو الموت" فسرها المفسرون بأن الخلوة تؤدي إلى الخطر والهلاك، أي هلاك الدين، الإنسان في بحبوحة، أما عندما يقترف جريمة الزنا فيقع في حجاب مع الله كبير جداً، نحن في نعمة لا أحد يعرفها، أنك لم ترتكب كبيرة، فأنت في بحبوحة مع الله، هناك تقصير وأخطاء صغيرة، أما إذا ارتكب

الإنسان كبيرة أو شرب الخمر يشعر بالضيق، فهذه البحبوحة تشعرك أن الطريق إلى الله سالك، والصغائر يعفو الله عنها، أما الكبائر:

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كريمًا ﴾

[سورة النساء :31]



هلاك الدين إذا وقعت هذه المعصية، وهلاك المرأة بفراق زوجها.

امرأة متزوجة لها أولاد، ولها مكانة، تطلق، وتفضح بين الناس، تصبح قصتها مثاراً للسخرية بين الناس، هذا هلاك ثان، هدرت كرامتها الاجتماعية، وهدرت مكانتها الدينية، والقريب كالأخ إذا ارتكب الفاحشة مع زوجة أخيه يصير الأمر إلى دماء وقتل.

حدثني أخ في بعض البلاد أن أخاً اعتدى على زوجة أخيه، والأخ كان لحاماً، عندما بلغه ذلك قطعه مئة قطعة، أحضر السيخ وقطعه، هلاك المرأة وهلاك دينها، هلاكها كزوجة وفضيحتها، ثم تقطيع العلاقات الاجتماعية، وسبب ذلك الخلوة الحمو، قال عليه الصلاة والسلام:

((إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الحمو الموت))

[البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر]

هذا حديث متفق عليه في أعلى درجة من الصحة، رواه الإمام البخاري ومسلم:

تهلك لاقترافها المعصية، وتهلك لطلاقها وفضيحتها، وتهلك الأسرة بتفتيت العلاقات المقدسة بينهم.

أول شيء في المحرمات الخلوة، أنت في البيت، وجاءت زوجة أخيك، وأنت في البيت بمفردك، لا تدخلها، ولا تستحِ، هذه مجاملة الشيطان، الأهل غير موجودين، أو سأخرج ادخلي، أما أنك أنت وزوجة أخيك بمفردكم فلا يجوز، وكلام الناس أن هذا مثل أخي، لا يوجد بارود لا ينفجر، قال تعالى:

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

هي مثل أمي، هذا كله كلام الشيطان، لا معنى له.

2 . تحريم نظر الجنسين بعضهما إلى بعض :

أولاً: العين مفتاح القلب، والنظر رسول فتنة الزنا:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

***

في ذهني آلاف القصص، انهيار بيوت، تطليق زوجات، تشرد أولاد، جرائم قتل، عداء أبدي بين أخوين بسبب خلوة ونظر.

من شأن المسلم ألا يخلو بامرأة أجنبية إلا أن تكون زوجته، أو إحدى محارمه الذين يحرم له الزواج منها تحريماً مؤبداً لا مؤقتاً.

وقوف عند قوله تعالى –مِنْ أَبْصَارِهِمْ –:

قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنّ إِلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلَى جُيُوبِهِنّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ أَبْنَائِهِنّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنّ أَوْ إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنّ أَوْ نِسَائِهِنّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرّجَالِ أَوِ

الطّفِلِ الّذِينِ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة النور:30-31]

هذه الآية أساسية في هذا الموضوع، ويجب أن نقف عندها كلمةً كَلمةً.

1 . من للتبعيض :

أولاً: في هذه الآية توجيه مشترك للرجال والنساء في غض البصر، غض البصر مدرسة، لابد من غض البصر، امرأة كانت أو رجل.

الآية لم تقل: غضوا أبصاركم، قال: يغضوا من أبصارهم، لك أن تنظر إلى زوجتك، لك أن تنظر إلى أمك وأختك، إلى ابنتك، إلى عمتك، إلى خالتك، وبنت أخيك، وخالتك، هذه هي المحارم، والغض على غير هؤلاء، من للتبعيض، هذا أول معنى من معاني من.

2 . عدم التدقيق في التفاصيل عند النظر إلى المحارم :

إذا نظرت إلى المحارم مثلاً إذا نظرت إلى أختك، ينبغي أن تغض البصر، أي لا تدقق في التفاصيل، ألا تنظر بشهوة، ألا تدقق بخطوط الجسم، المرأة تتحرك، ومن حركتها يظهر شيء من جسمها، تغض بصرك، مع العلم أنها أختك، لك أن تراها بكل بساطة وبكل وضوح، لو أنها نائمة ومكشفة يجب أن تغض بصرك عنها، وألا تدخل عليها إلا بإذن، وعلى أمك أيضاً، كيف أستأذن وهي أمي؟ فقال النبي: أتريد أن تراها عريانة؟

أختك في الغرفة، تقرع الباب ادخل، الاستئذان موضوع ثانٍ، في البيت الواحد يستأذن على أمه، وأخته، وابنته، لأن له أن ينظر إليهم بأوضاعهم الطبيعية، لباس الخدمة نصف كُمّ، تحت الركبة، بلا كم، هذه مشكلة، القصير مشكلة، لذلك ثياب الخدمة هي ثياب المحارم، فالغض على المحارم مع عدم التدقيق في التفاصيل، ولا في خطوط الجسم، لا تنظر في حالات خاصة، ولو كانت أمك أو أختك يجب غض البصر، هذا المعنى الثاني.

3 . لك النظرة الأولى و ليس لك الثانية :

لو أنك واجهت امرأة فجأة في منعطف فوقعت النظرة الأولى، فغضّ عن الثانية، الأولى لك، والثانية عليك، فهذه ثلاث معان لـ [من]، عن نساء دون نساء، وعن نظرة دون نظرة، وعن مرة دون مرة.

أيها الأخوة، أنا حريص جداً أن يكون معكم نصوص صحيحة، هذا دين، لذلك النص الصحيح يجب أن نعض عليه بالنواجذ، قال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي:

((يا علي، لا تتبع النظرَةَ النظرةَ، فإنما لك الأولى، وليس لك الثانية))

[أحمد وأبو داود والترمذي عن علي]

وهذا معنى [من] الثالث.

معنى [من] الأول: لك أن تنظر إلى المحارم، وأن تغض عن غير المحارم.

المعنى الثاني: نوع النظر، إذا نظرت إلى المحارم فعليك أن تنظر نظراً إجمالياً، نظر عاديًّا بريئاً، أما لو دققت بالتفاصيل، وفي الجزئيات، وفي الخطوط، وفي بعض الحركات والحالات فيجب أن تغض البصر.

المعنى الثالث: لو أنك نظرت فجأة إلى امرأة أجنبية لا تحل لك، الأولى لك، والثانية عليك.

الحديث الذي رواه الإمام البخاري لقد جعل النبي ﷺ النظرة إلى المرأة بشهوة من الزنا فقال عليه الصلاة والسلام:

((العينان تزنيان وزناهما النظر))

[البخاري عن أبي هريرة]

النظر بريدٌ إلى الزنا :

هناك نقطة دقيقة، إذا اكتفى الواحد بالنظر، وقال: أنا لا أفعل شيئاً، هناك مشكلة كبيرة قالها الشاعر:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

***



هذه الشهوة تتطور، ليس نظر فقط، الوردة تنظر لها، وتكتفي بالنظر إليها، شيء جميل تنظر إليه، وتكتفي بالنظر إليه.

الناحية الثانية: إذا نظرت إلى امرأة لا تحل لك الأمر لا يبقى عند حدود النظر، هناك تطور.

عندما أمرنا الله بغض البصر كما قال بعض العلماء فهو من باب سد الذرائع، لأنك بغض البصر تسد الذريعة إلى الزنا، قال عليه الصلاة والسلام:

((العينان تزنيان وزناهما النظر))

[البخاري عن أبي هريرة]

وفي درس آخر ننتقل إلى تحريم النظر إلى العورات، وحدود إباحة النظر إلى الرجل والمرأة، وهذا كله متعلق بشأن الزواج، وشأن العلاقات الأسرية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : الحث على تزويج الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، و نسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله، سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه، و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، لا أزال أردد حديث رسول الله ﷺ الصحيح المتعلق بالشام، فقد ورد عنه أنه:

((بينما أنا نائم إذا عمود هذا الدين قد سلّ من تحت رأسي، فأتبعته بصري، فإذا هو بالشام، فعليكم بالشام في آخر الزمان))

[أحمد في المسند]

تأتي الوقائع المتجددة لتؤكد مصداقية رسول الله ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

الشهوات حيادية:

أيها الإخوة الكرام، من نافلة القول، ومن المسلمات أن الله عز وجل أودع في الإنسان الشهوات، وما أودع الشهوات في قلبه إلا ليرقى بها مرتين صابراً وشاكراً إلى رب الأرض والسماوات.



أيها الإخوة الكرام، الشهوة حيادية، إما أن تكون سلماً نرقى بها، أو دركات نهوي بها، لأن الإنسان مخير، فكل شهواته حيادية، قد يرقى بها وقد يسقط بها، من هذه الشهوات المتغلغلة في أعماق النفس كما قال الله عز وجل:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة آل عمران: 14]

الحقيقة الدقيقة أنه ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها، وتأكدوا أيها الإخوة الكرام، أنه ليس في الإسلام حرمان إطلاقاً، لكن فيه تنظيم، وطهر، ورقي، وسمو.

انتشار الفساد في العالم بشكل خطير:

أيها الإخوة الكرام، العولمة التي أتتنا من الغرب، والتي فرضت علينا، وكنت أقول لكم دائماً: كانوا يجبروننا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريدون، لكنهم الآن وجدوا بالإمكان أن يجبروننا بالقوة الناعمة، المرأة، لا على أن نفعل ما يريدون، بل على أن نريد ما يريدون، وهذا الفساد العريض الذي عمّ الأرض، قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة الروم: 41]

أيها الإخوة الكرام، الأرقام والإحصائيات يكاد الإنسان لا يصدقها، أروج تجارة الآن تجارة الرقيق الأبيض، سبعمئة ألف امرأة كل عام تدخل تجارة الدعارة عن رضى، أو عن احتيال، أو عن إجبار، وقد عمّ الفساد الأرض، وتنادى بعض إخوتنا الكرام، وأسسوا جمعية سموها جمعية الإعفاف، وحضرت قبل يومين افتتاحها، والذي رأيته والله من الخير العميم في هذه البلدة الطيبة ما لا يصدق، هذا مصداق قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره))

[الترمذي عن أنس]

من الأولويات تحصين الشباب بالزواج:

لذلك أيها الإخوة الكرام، هناك مشكلة في العالم الإسلامي تكاد تقع على سلم الأولويات، في الرقم الأول مشكلة الشباب، الشاب قنبلة متفجرة، فإما أن نرعاه، ونحقق طموحه وفق منهج الله، وإما سيكون الشباب أحد أسباب دمار هذه الأمة، لذلك أيها الإخوة الكرام، ما لم يفكر عقلاء الأمة، وأغنياء الأمة، وأقوياء الأمة، وعلماء الأمة بهذه الشريحة الكبيرة التي استثيرت استثارة لا حدود لها، لأن ثمة ثلاثة وعشرين مليون موقع إباحي في الإنترنت، و ثمانمئة محطة فضائية ربعها يبث الدعارة والفحش، فإن لم نحصن شبابنا فالويل لنا.

أيها الإخوة الكرام، في المنطق والعقل لا بد من سلم الأولويات، والذي رأيته في هذا اللقاء الأول ومن السخاء الذي بذله المحسنون ما لا يصدق ما لا يصدق، ذلك لأن الأمة بشبابها، ولأن مستقبل الأمة بشبابها، ولأن قوة الأمة بشبابها، ولأن مجد الأمة بشبابها، والشباب كما وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

((ريح الجنة في الشباب))

[ورد في الأثر]

وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من شاب تائب.

صيحة إلى عقلاء وعلماء الأمة:

أنا أصدر هذه الصيحة لأقوياء الأمة، ولعلمائها ولعقلائها، ولمفكريها، ولأولياء الأمور وللأباء والأمهات، ما لم ترع قضية الشباب فنحن في طريق الدمار.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت أخلاقهم فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا

***

أيها الإخوة الكرام، من نافلة القول أن أوضح لكم أن الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام ليس من بيئته، وليس من ثقافته، وليس من اجتهاده، وليس من تفكيره، وليس من استنباطاته، ما قال الذي قال إلا عن وحي يوحى:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم]

أول قضية في هذا الموضوع أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه:

((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا))

[الترمذي عن أبي حاتم المزني]

أي إن لم تفعلوا، هل تلغى علاقة الذكر بالأنثى ؟ أبداً، الجواب: لا، ولكنها تأخذ مساراً آخر، مساراً غير شرعي، فإما أن تلبى هذه الحاجة وفق المسار الشرعي، وإما أن تلبى عند ضعاف المؤمنين بمسار غير شرعي، لذلك:

((إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

وما تمنيت في حياتي أن يكون الرقم غير صحيح إلا في اجتماع عقد في إحدى الوزارات، ونطق أحد المسؤولين بأن عدد بيوت الدعارة يقترب من سبعين ألف بيت في دمشق، ألف بيت.

((إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

ووصلنا إلى الفساد الكبير.

الزواج من سنة الأنبياء:

أيها الإخوة الكرام، بادئ ذي بدء الزواج من هدي الأنبياء والمرسلين، قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾

[سورة الرعد: 38]

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

((... أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[متفق عليه عن عائشة]

هذه سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ويقول الله عز وجل:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾

[سورة النور: 32]

أي زوجوا، من هم الأيامى ؟ الأيّم كلمة تعني أي شخص ذكرًا كان أو أنثى لا قرين له، قال تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾

[سورة النور: 32]

ما معنى الآية الكريمة إذا وجهت إلى المجموع ؟ هي موجهة حكماً إلى من يلي أمر المجموع، الأقوياء والأمراء مسؤولون عن عقبات توضع أمام زواج الشباب، ومسؤولون أيضاً عن صوارف كثيرة تصرف الشباب عن طاعة الله عز وجل، << وإن الله يَزَع بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن >>.

أعظم عبادة المرأة إعفاف الشباب:

أيها الإخوة الكرام، ما من عبادة تعبدها الفتاة لربها أعظم من أن تعف الشباب بستر مفاتنها، لذلك هذه التي تبدي كل مفاتنها في الطريق يظن أنها بريئة، ولكن إنما تساير صرعات الأزياء الأخيرة، ولو علمت كم من الشباب فتن

بها، وكم من الشباب انحرف، إما أنه انحرف فيما بينه وبين نفسه، أو انحرف بتعاطي الفاحشة، والسبب هذه التي أبدت مفاتنها.



أنا أذكر لكم قصة رواها لي بعض الإخوة الكرام، وهذه القصة من صميم الواقع، رآها في مقابلة بين شاب في بلد عربي إفريقي أدمن على اغتصاب الفتيات وقتلهن، بلغ عدد الفتيات اللواتي قتلهن ما يزيد على اثنتي عشرة فتاة، إحدى الباحثات الاجتماعيات طلبت من وزير الداخلية هناك أن يسمح لها بإنشاء لقاء على الشاشة بينها وبين هذا الشاب المجرم، هو جاهل جهلاً مطبقاً، لا يقرأ، ولا يكتب، بل لا يحفظ سورة الفاتحة، بل لا يعرف أن ينطق بالشهادة، فلما سئل عن هذه الجرائم الكثيرة التي اقترفها قال: كل هذا بسبب ما ترتديه هذه الفتيات، إذاً هناك مصطلح جديد اسمه تحرش المرأة بالرجل، لا عن طريق لسانها، بل عن طريق ثيابها، قال تعالى:

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة الأنفال: 73]

لذلك حينما تستر الفتاة مفاتنها عن الأجانب هي والله قديسة، وهي والله مكرمة عند الله، وهي والله تنافس الرجال دخول الجنة.

أنقل لكم ما في بعض الكتب الصحيحة من قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهن))

[ورد في الأثر]

إنها تنازع رسول الله دخول الجنة، لذلك إذا كان للرجال عبادة خاصة بهم كعبادة الجهاد فللنساء عبادة خاصة بهن، أنا أسميها عبادة إعفاف الشباب عن طريق الحجاب.

أيها الإخوة الكرام، يمكن أن ترقى المرأة بحجابها وستر مفاتنها عن الأجانب إلى أعلى درجات الجنة.

((اعلمي أيتها المرأة أعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

دعوة لأهل اليسار بالمساعدة في الزواج:



أيها الإخوة الكرام، وهؤلاء الميسورون يستطيعون أن يصلوا إلى أعلى درجات الجنة ببذل ما لهم لتزويج الشباب، إلى أعلى درجات الجنة، لأن هذه مشكلة كبيرة جداً من مشكلات المجتمع الإسلامي .

فهذا الذي يقيم عقد قران في فندق من ذوي الخمس نجوم، ويدفع عشرات الملايين كان بإمكانه أن يزوج مئة شاب بما ينفق في ليلة واحدة، وهذه الهدايا التي تقدم في الأعراس، وفي عقود القران يمكن أن نستبدلها بمساعدات لصندوق يرعى الزواج في بلدنا، وهذه الورود التي قد تزيد على بضعة ملايين لليلة واحدة يمكن أن تفرح بها مئة فتاة خطبها شاب مؤمن وسترها.
أيها الإخوة الكرام، ما لم نغير فالله لا يغير ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد: 11]

هذه الجمعية جمعية إعفاف الشباب، والفتاة يمكن أن تكون عضداً لجمعية إعفاف الشباب بأن تستر مفاتنها عن الشباب فتسهم في إعفافهم، والأغنياء بإنفاق أموالهم بإنشاء المساكن بترويج حاجات الزواج بأسعار معتدلة، بإلغاء العقبات الكأداء التي توضع أمام الشباب، بإبعاد الشباب عن الصوارف الفاتنة إلى المعاصي والآثام يسهمون جميعاً في إعفاف الشباب.

أيها الإخوة الكرام، سيدنا عمر سأل أحد ولاته: **<< ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟ قال: أقطع يده، قال: فإن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإن وفّينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً >>** .

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان:

أخ كريم سألني سؤالاً مصيرياً: قال عندي معمل، والمواد الأولية ليست متوافرة، وأنا لا أربح شيئاً، وعندي ما يكفيني حتى آخر عمري، فعزمت على إغلاق المعمل، وتسريح العمال، قلت: كم من عامل عندك ؟ فقال: ثمانون عاملا، فقلت له: أنت باستمرارك ولو لم تربح تفتح ثمانين بيتاً، وهذا أكبر ربح عند الله، أنت تهيئ فرص عمل لثمانين أسرة، هذا أكبر ربح عند الله عز وجل، وجزاه الله خيراً فقد استجاب لي، وتابع العمل، وقد حلت مشكلته.

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، أحياناً هناك أعمال يصل بها الإنسان إلى أعلى عليين، والذي لفت نظري من حضور افتتاح هذه الجمعية أن كل القائمين عليها من الشباب المثقفين الواعين الملتزمين.

وثمة خبر آخر أثلج صدري، أن عدد الجمعيات التي أسست من أربع سنوات إلى الآن يزيد على ألف جمعية من أجل خدمة المجتمع.

أيها الإخوة الكرام، يجب أن نقول بملء أفواهنا: انقضى عهد النوم، ويجب أن نقول أيضاً بملء أفواهنا: انتهى عهد الكلام، نريد الأفعال، الذي جمع في حفل واحد الرقم لا يصدق، وهذا يؤكد مصداق النبي عليه الصلاة والسلام:

((الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة))

[ورد في الأثر]

ماذا يمنع أن تلغي هذه الهدية، قطعة من الزجاج أو صحن، أو شيء تقدمه في عقد قران ابنتك، لو ألغيت هذا، وأديت لكل من دعوته إيصالاً لجمعية ترعى تزويج الشباب بألف ليرة، وقد فعلها بعض المؤمنين، ما الذي يمنع أن تقدم كتاباً لا أقول: مصحفاً، كل بيت فيه الآن مئة مصحف، كتاب في الفقه، كتاب في السيرة، كتاب في الحديث، بدل قطعة الزجاج الذي ليس لها محل في البيت، ماذا يمنع أن ترجو المدعوين بعدم إرسال الزهور، يكفي باقة أو باقتين، وتنفق الباقي في تزويج الشباب ما الذي يمنع ؟ إلى متى ونحن تحكمنا عادات وتقاليد بالية إلى متى ؟ إلى متى يئن الشباب والشابات، والله الذي لا إله إلا هو كلما اتصلت بي أخت تسألني على استحياء أن أبحث لها عن زوج يتقطع قلبي ألماً، من حقها أن تتزوج، من حقها أن تكون أماً، لكن الزواج أصبح قاصراً على من عنده بيت، على من يؤمن نفقات ليست معقولة.

أيها الإخوة الكرام، لا تنسوا هذا الحديث الشريف:

((إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

والفساد الكبير حصل، والآن نريد أن نخفف أخطاره، نريد أن نحصن الشباب والشابات.

من صفات المؤمن حفظ الشهوة:

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

[سورة المؤمنون]

إذاً من صفات المؤمن أنه يحفظ شهوته من أن تساق في غير قناة الزواج، لذلك قد لا يملك بعضكم معلومات دقيقة جداً عن الفساد في الأرض، لأن الطرق الشرعية مغلقة الآن، وهناك زواج عرفي تتفق فيه فتاة مع زميلها، ويعقدان عقداً لا أصل له في الشريعة، لأن الطرق إلى الزواج مغلقة، اخترعوا عقد زواج عرفي، واخترعوا زواج (

الفرند)، والآن نحن أمام أنواع من الزواج لا يعلمها إلا الله، كلها غير شرعية، لأن الطرق الشرعية مغلقة، ما لم ندع المظاهر، ما لم ندع كلام الناس، ما لم ندع افتخارنا بأزواج بناتنا، وبدخلهم وبموقع بيتهم، وبأثاث بيتهم فلن يرضى الله عنا.

أيها الإخوة الكرام، أحد التابعين الكرام خطب ابنته الوليد بن عبد الملك الذي بنى الجامع الأموي، فاعتذر، وزوجها لأخ عنده فقير، وفي اليوم نفسه طرق بابه، في يوم خطبتها، وعقد القران طرق باب تلميذه، فقال: من الطارق ؟ قال: سعيد، فقال هذا الشاب: والله تصورت كل من حولي من اسمه سعيد، فلم يخطر على بالي أن شيخي هو الطارق، فلما فتح الباب فوجئ، دفع إليه ابنته، وقال له: هذه زوجتك يا بني.

ما لم نضع تحت أقدامنا التقاليد والعادات والخزعبلات، والتي تدعو إلى الفخر فلن تصلح أمورنا.

دعوة الإسلام إلى الزواج:

أيها الأخوة الكرام، يقول سيدنا عمر :**<< من دعاك إلى غير الزواج فقد دعاك إلى غير الإسلام >>**.

ورأى رجلاً لم يتزوج على كبر سنه فقال: << لا يدع النكاح إلا من فجور، أو من مرض >>.



أما الإنسان السوي فينبغي أن يتزوج، وأن المجتمع السوي ينبغي أن يخفف أو يزيل العقبات أمام الزواج. هل تصدقون أيها الإخوة الكرام أن النبي عليه الصلاة والسلام ارتقى بالزواج إلى مستوى العبادة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((وفي بضع أحدكم صدقة))

[مسلم عن أبي ذر]

أنت إذا تزوجت، وسترت فتاة، وهي سترتك أيضاً فهذا العلم عند الله عبادة، وهو صدقة

((وفي بضع أحدكم صدقة))

وهل تتصورون أن المال الذي تنفقه على زوجتك هو عند الله صدقة قال: وإنك لا تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فم امرأتك من طعام، هذا الطعام الذي تأتي به، وتأكله زوجتك هو عند الله صدقة، أي عبادة.

أيها الإخوة الكرام، ليس هناك مجال للحديث عن فقرات الزواج، هذه الموضوعات أشبعت، ولكن الحديث عن حركة من أولياء الأمور، ومن أولياء الشباب، ومن أولياء الفتيات، ومن أغنياء الأمة، ومن عقلاء الأمة، ومن مفكري الأمة، ومن خطباء الأمة للحث على تخفيف العقبات، وتسهيل المهمات، وتقديم المساعدات، لأنه ما من شفاعة أفضل عند الله من شفاعة النكاح، وقد ورد في بعض الآثار: **<< من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة يقولها، وبكل خطوة يخطوها عبادة سنة، قام ليلها وصام نهارها >>.**

لا تلتفتوا إلى كلام الشياطين، " امشِ في جنازة ولا تمشي في زواج "، هذا كلام الشياطين، **<< من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة يقولها، وبكل خطوة يخطوها عبادة سنة، قام ليلها، وصام نهارها >>.**

أيها الإخوة الكرام، مهما تحدثنا عن المفاسد، أنا أطمئنكم أن هذه المفاسد لا تصل إلى المؤمنين، قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾

[سورة النحل: 99]

أنا أخاطب الشباب بحديث رسول الله، افتحوا الجامع الصغير، هناك مجموعة أحاديث تزيد على عشرين حديثاً تبدأ بكلمة حق، حق الوالد على ولده، حق الولد على والده، حق الزوج على زوجته، حق الزوجة على زوجها، إلى أن تصل إلى حديث إذا قرأته يقشعر جلدك حق المؤمن على الله أن يعينه إذا طلب النكاح، هذا حق شرعي للشاب، إذا سأل الله في صلاته، يا رب، هيئ لي فتاة مؤمنة تسرني إذا نظرت إليها، وتحفظني إذا غبت عنها، وتطيعني إن أمرتها، هذا شاب يستجيب لدعوة الله له، لك حق على الله، أن يعفك إذا طلبت العفاف.

أيها الإخوة الكرام، آلاف القصص التي قد لا تصدق سببها أن شاباً مؤمناً اتقى أن يعصي الله، فغض بصره عن الحرام، وهيأ الله له زوجة صالحة تسعده، ويرتاح من ضغوط كثيرة أمامها.

أيها الإخوة الكرام، بقي أن ننشر وعيًا أمام إخوتنا، مفاده أن الله إذا أمر المجموع فقال تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾

[سورة النور: 33]

طبعاً هذا الأمر يرقى إلى مستوى الندب، وقد يصل إلى الفرض، وقد يقترب من الفرض فيكون واجباً، ذلك لأن الفساد إذا استشرى عمّ الفساد المفسد والفاسد ومن رضي بالفساد، فحينما أرسل الله الملائكة لإهلاك قرية قالوا: يا رب، إن فيها صالحاً، قال: به فابدءوا، لمَ يا رب ؟ قال: لأن وجهه لا يتمعر إذا رأى منكراً.

فلذلك لا بد من حركة المجتمع، لا بد من تخفيف العقبات، والله لقد سمعت عن بلدة في الغوطة أكبرت أهلها إكباراً لا حدود له، أن عقلاءها اجتمعوا، واتخذوا قراراً بأن أي مهر لأية فتاة لا يزيد على خاتم ذهب، وعن ساعة، فقط هذا المطلوب من الفتى، وغرفة فقط، وما لم نفعل هكذا فالطريق مسدود إلى سلامة المجتمع.

العولمة هي نشرُ الإباحية:

أيها الإخوة الكرام، العولمة تعني فرض الإباحية، وهناك أخبار سارة جداً، وهناك أخبار سيئة جداً، السيئة سببها أن العالم الغربي بعد أن أصبح قوياً، وبعد أن أصبح القطب الأوحد، وبعد أن أصبح يملي إرادته على كل الشعوب أراد أن ينقل إلينا إباحيته فقط، لكنني أعلم علم اليقين أن هذا منع منعاً كلياً.



قبل زمن قصير كان في بعض الفنادق حوار بين النظراء في موضوعات لا نستطيع سماعها، ولا رؤية المشاهد التي اقترفت في أثناء الحوار، من أجل تعميم الوعي الجنسي عند الشباب ذكوراً وإناثاً، وقد تنادى العلماء جزاهم الله خيراً إلى إنكار هذا، وقد استجيب لهم فوراً، ومنع، وكان الذي حصل من دون ترخيص، ومن دون إذن، ولكن سوف يلقى هؤلاء جزاءهم العادل.

أيها الإخوة الكرام، الغرب يريد أن يفرض إباحيته علينا تحت اسم العولمة، ولم أجد تعريفاً جامعاً مانعاً لكلمة العولمة سوى الحيونة، أي أن نعود بالإنسان إلى حيوانيته فقط.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

كثرة العزوف عن الزواج ورواج الطلاق وسوق الدعارة:

أيها الإخوة الكرام، ثمة إحصاء سمعنا به، والحقيقة أنه مؤلم جداً، وهو أن نصف سكان سوريا من النساء غير متزوجات، والأصل أن يكون عدد المتزوجات من النساء تسعين بالمئة أو خمسة وتسعين بالمئة من هن في سن الزواج، لكن الإحصاء الدقيق أن نصف سكان هذا البلد الطيب بدون أزواج، امرأة تعيش وحدها تنتظر من يطرق بابها ليخطبها، و سوق الزواج بائرة، وسوق الدعارة رائجة، وهذه مشكلة كبيرة:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة الروم: 41]



إخواننا الكرام، في هذه العجالة الصغيرة أريد أن أبين أن بعض الحالات التي تمّ فيها الزواج سريعاً ما ينتهي إلى الطلاق بسبب أم جاهلة، أو أب جاهل، أو بسبب حمق من الزوج، أو حمق من الزوجة، فنعمة الزواج نعمة كبيرة، والزوجة التي لا تقدر نعمة الزواج قد تعاقب بالطلاق، والزوج الذي لا يقدر نعمة الزواج يعاقب بأن هذه المرأة طلبت الخلع منه بمحض اختيارها، فالذي عنده زوجة، وعنده أولاد هذه نعمة ينبغي أن يرعاها.

وأنا والله أيها الأخوة الكرام، أقول دائماً حينما ترفع بعض الشكاوى في موضوع الخلافات الزوجية: إن الطلاق لا تحل به المشكلة، بل تبدأ به المشكلات، و لاسيما إذا كان هناك أولاد لهذين الزوجين الذين قررا الانفصال عن بعضهما.

أيها الإخوة الكرام، ما من أب أعقل ممن يحسن صورة صهره أمام ابنته، وما من أم أعقل من التي تحسن صورة الزوج أمام ابنتها، وما من أب آخر أعقل ممن يحسن صورة الزوجة أمام زوجها، وما من أم أعقل من التي تحسن صورة الزوجة أمام ابنها، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس منا من فرق))

[ورد في الأثر]

وهناك آلاف حالات الطلاق بسبب كيدي، والفتاة هي الضحية، والشاب هو الضحية، حينما يركب الآباء رؤوسهم، ويصروا على تطليق أولادهم أو بناتهم من أزواجهم كي يشفوا غليلاً، أو يحققوا مأرباً، هؤلاء لا يرتقون إلى مستوى الآباء الصالحين،

والطلاق يهتز له عرش الرحمن.

أيها الإخوة الكرام، قد تتعلم البنت كل شيء، تدرس هندسة أحياناً، وقد لا تستخدم هذا الاختصاص إطلاقاً، لأنه متعلق بالإسمنت والبناء، وما شاكل ذلك، ولكن الأم والأب لا يعلمانها شيئاً من آداب الزواج، ومن واجبات الزوجة.

أنا سمعت عن بلد إسلامي في شرق آسيا أُعجبت به أيما إعجاب، حينما أسس مدرستين، الدراسة فيهما تستمر ستة أشهر، ولا تقتصر الدراسة على الكتب وإلقاء المحاضرات، بل على تدريبات عملية، لا يعقد عقد زواج في هذا البلد الإسلامي إلا لشاب دخل هذه المدرسة، ونجح في الامتحان، ولشابة دخلت مدرسة الإناث ونجحت في الامتحان، يُعلم الشاب مهمات الأب، وواجبات الأب، وحقوق الزوجة، وأصول المعاملة، وحسن المعاشرة، وكيف يتلافى الخطأ، وكيف لا يفرط بهذا الزواج، وتعلم الفتاة كيف ترعى حقّ زوجها، و حقّ أهله، و كيف تكون مطيعة، و كيف تسعد به، ويسعد بها.

أنا أرى أن هناك حماقات ترتكب لا حدود لها من زوج جاهل، أو زوجة شابة مغرورة، ينتهي هذا إلى الطلاق، وبالطلاق تبدأ المآسي والأحزان.

البطولة في الحفاظ على الزواج والمعاشرة بالمعروف:

أيها الإخوة الكرام، ليست البطولة أن تتزوج، والله لا أبالغ إن أكثر من ستين أو سبعين بالمئة من حالات الزواج تنشأ مشكلات بسبب الجهل، والحمق قد تودي إلى انهيار هذه الأسرة، يوجد جهل، و ما من عقد قران حضرته إلا قيل فيه على كتاب الله و سنة رسوله، فهل الزوج أو الزوجة تعلمت ما في كتاب الله، وما في سنة النبي عليه الصلاة والسلام من أحكام الزواج، قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[سورة النساء: 19]

ومن أدق ما قاله المفسرون في هذه الآية: " ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها "، هذه المعاشرة بالمعروف.

فيا أيها الإخوة الكرام، إذا أردتم الدنيا فعليكم بالعلم، إذا أردتم بيتاً سعيداً فعليكم بالعلم، هناك خمسة وخمسون حالة تسهم في إسعاد الزوجين، هناك موضوع آخر تسعون حالة تسهم في إسعاد الزوجين، هناك سبع عشرة حالة تسبب الشقاء الزوجي، هذه قضية مشبعة دراسة وعلماً بأدلة قرآنية ونبوية وعلمية ونفسية واجتماعية وبيولوجية. الحياة تحتاج إلى علم، الجاهل عدو نفسه، ويفعل الجاهل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4 – 6) : تعريف الكفاءة في الزواج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمات مهمة:

المقدمة الأولى: ما مشكلة في الأرض إلا بسبب الخروج عن منهج الله:

أيها الإخوة المؤمنون، في دروس كثيرة ومناسبات كثيرة كنت أشير إلى موضوع الكفاءة في الزواج، وهذا الموضوع دفعني إلى معالجته في درس من دروس الأحد، لأن حالات كثيرة من الشقاق الزوجي أساسها عدم الكفاءة بالزواج.

وقبل أن نمضي في الحديث عن هذا الموضوع لابد من مقدمةٍ دقيقةٍ تلقي ضوءًا على محوره، وعلى جوهره. يجب أن نعلم علم اليقين أيها الإخوة أنه ما من مشكلةٍ صغيرةٍ أو كبيرة، مادية أو معنوية، جليلةٍ أو حقيرةٍ في الأرض إلا ووراءها خروج عن منهج الله، خالق الكون هو الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

(سورة فاطر)

وخبرة الله عز وجل ليست خبرةً حادثة مكتسبة، إنما خبرته قديمة، خبرته قديمة قدم ذاته، إذاً كل تعليماته هي الصواب، فإذا خرجت عنها وقعت في مشكلة، فهذا القانون أردده كثيراً: ما من مشكلةٍ تقع على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل.

المقدمة الثانية: منهج الله كامل وتمام:

أنتقل إلى مقولة أخرى، وهي أن الجاهل يفعل في نفسه ما لا يفعله أعداءه به، لذلك ما من طريق إلى سلامة الدنيا وسعادتها، وسلامة الآخرة وجنتها إلا اتباع منهج الله عز وجل، إلا طاعة الله عز وجل، ويجب أن تعتقد اعتقاداً يقينياً أن تشريع الله سبحانه وتعالى كامل، قال الله عز وجل:

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة المائدة)

مجموع القضايا التي عالجها الدين مجموع تام، فالذي عالجه أمراً أو نهياً العدد تام، والذي تركه وأغفله لحكمةٍ لا تقلّ عن حكمة معالجة غيره.

هناك شيء تتوقف عليه سلامتك وسعادتك هي الفرائض، فأمرك به، وهناك شيء يحسن هذه الفرائض، هذا الواجب والسنة، وهناك شيء أحد سبب هلاك الإنسان في الدنيا والآخرة، هذا هو الحرام، وهناك شيء يقربك من الحرام، هذه المكروهات، كراهة تحريمية، وكراهة تنزيهية، وهناك شيء ليس له علاقة بسلامتك ولا بسعادتك، لا في الدنيا ولا في الآخرة، هذا سكت عنه الشرع، وتركه للظروف والبيئات والمعطيات، وما إلى ذلك، هذا معنى قول الله عز وجل:

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة المائدة)

الإتمام عددي والإكمال نوعي، مجموع القضايا التي عالجها القرآن والسنة تام لا يوجد نقص، لذلك أي إضافة على الدين اتهام له مبطن بالنقص، وأي إضافة على الدين بدعة مردودة، الآن طريقة المعالجة التي عالجها الله طريقة كاملة ليست ناقصة، مجموع القضايا تام، وطريقة المعالجة كاملة.



الحرام أحد أسباب هلاك الإنسان في الدنيا والآخرة

ما من مشكلة تقع على وجه الأرض مادية ومعنوية، جليلةٍ أو حقيرةٍ، عامةٍ أو خاصةٍ، آنيةٍ أو مستمرةٍ إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل، ودواء الجهل العلم، فكل إنسان ليس له مشرب علمي، منهل علمي، كل إنسان لا يطلب العلم الشرعي، لا يطلب معرفة الله ومعرفة منهجه فلابد من أن يتخبط، فإذا أردتم التمثيل لذلك فكمثل راكب مركبة في الظلام، يسير على أرض قاحلة فيها حفر، فيها أكمات، فيها منزلقات، فيها مضائق، جسور، شرع الله عز وجل هو النور الذي تهتدي به، فإذا أعرضت عن شرع الله عز وجل فالحادث حتمي، فإن لم يطلب الإنسان العلم فالخطأ حتمي، والضرر حتمي، والهلاك حتمي، والشقاء حتمي، هذا معنى: طلب الفقه حتم لازم عن كل مسلم.

الكفاءة في الزواج:

حينما يتوجه الإنسان إلى أن يخطب امرأةً، وهذا الكلام موجّه أكثر ما يوجَّه إلى الشباب، أما الذين تزوجوا فموجّهٌ إليهم كي يدفعوا أولادهم، أو يقيّموا من طلب بناتهم تقييماً وفق الكتاب والسنة.

موضوع الكفاءة في الزواج موضوع أشرت إليه كثيراً في أثناء حديثي عن موضوع الزواج، أو في بعض الموضوعات الأخرى، وقد رأيت أن حالاتٍ كثيرةٍ جداً من الشقاق الزوجي الذي انتهى بالطلاق وتشريد الأسر أساسها عدم اختيار الزوجة المكافئة، أو عدم كون الزوج مكافئاً للزوجة، هذا موضوع يحتاج إن شاء الله تعالى إلى درسين، كما أن موضوع الخطبة عرض في درسين، فموضوع الكفاءة الزوجية يحتاج إلى درسين.

الكفاءة: تعريفها وآراء الفقهاء فيها ومقوماتها:

ففي هذا الدرس حديث عن معنى الكفاءة، وآراء الفقهاء فيها.

1 – تعريف الكفاءة:

الكفاءة لغةً المماثلة، قال تعالى:

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾

أي لم يكن له مثيل، ولا شريك ولا ند، ولا مساوٍ، فلان كفء لفلان، أي مساوٍ له، ماذا قال عليه الصلاة والسلام؟

((المسلمون تتكافأ دماءهم))

[رواه الإمام أحمد والنسائي وأبو داود عن علي]

لو فرضنا إنسانًا يحمل أعلى شهادة، في ساعة غضب قتل إنساناً جاهلاً، هذا الذي يحمل أعلى شهادة، وقد يكون معه شهادة نادرة في العالم يُقتَل بهذا الجاهل، لأن المسلمين تتكافأ دماءهم، إنسان ذو مرتبة رفيعة، إنسان غني يقيم نفسه تقييماً آخر، أيّ إنسان اعتدى على حياة أي إنسان يُقتل به.

2 – مقومات الكفاءة:

لكن تعريف الكفاءة الزوجية باصطلاح الفقراء لها تعريف آخر، الكفاءة الزوجية: المماثلة بين الزوجين دفعاً للعار في أمور مخصوصة، هذه الأمور المخصوصة موضوع الدرس القادم:

هي عند المالكية الدين والحال.

وعند الجمهور الدين، والنسب والحرية، والحرفة.

وعند الحنابلة والأحناف اليسار.

فالدين، والحال، واليسار، والحرية، والحرفة، واليسار أو المال هذه موضوعات الكفاءة، وهناك موضوعات لا علاقة لها بالكفاءة، هناك موضوعات تلغي الكفاءة كلياً، هذا موضوع الدرس القادم إن شاء الله نفصل به تفصيلاً جيداً إن شاء الله.

3 – القصد من الكفاءة:



القصد من الكفاءة تحقيق المساواة في أمور اجتماعية من أجل توفير استقرار الحياة الزوجية.

كلمة استقرار كلمة رائعة، أحيانا يستقر الإنسان في عمل، فإذا استقر في عمل ينمو، والثبات نبات، وأحيانا يستقر الإنسان في علاقته الزوجية، وهذا الاستقرار يثمر سعادةً يقطف ثمارها الأولاد، أحيانا ترى أسرة متوازنة، وأنا لا أعني الأسرة الغنية، قد تكون الأسرة الغنية ليست متوازنة، الأسرة المتوازنة الزواج الشرعي الذي بني على توخي الدين والصلاح في الزوجين، وبني على الكفاءة بين الزوجين، فإذا أردت لهذا الزواج أن يستقر، وأن يستمر فابحث بالكفاءة بين الزوجين.

موقف الفقهاء من الكفاءة وأدلتهم فيها:

قد ترون معي أن الفقهاء وقفوا في موضوع الكفاءة مواقف متباينة، وجدير بنا ولو من باب الفقه المقارن أن نقف على مواقفهم وعلى آرائهم وعلى أدلتهم، وعلى أدلة الطرف الآخر، هذا ينمي الفكر الفقهي عند الإنسان، إذا رأيت الدليل، وكيف ردوا على هذا الدليل، ودليل الطرف الآخر، وكيف رد على الطرف الأول، هذا ينمي عند الإنسان ما يسمى الفكر الفقهي.

الرأي الأول:

الرأي الأول يتزعمه الإمام الثوري والحسن البصري، والكرخي من الأحناف، يرون أن الكفاءة ليست شرطاً، ما هي أدلتهم ؟ أدلتهم كثيرة:

أول دليل عَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى....))

هذا الحديث يعد أصلاً في تأكيد المساواة المطبقة بين الناس، يستنبط أن الكفاءة ليست ضروريةً في الزواج، يؤكد هذا الحديث قول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(سورة الحجرات)

بالمناسبة هذه الآية لو وقفنا عندها وقفةً متأنية، فما من مقياس يجب أن يعتمد في تفضيل زيد على عبيد إلا مقياس التقوى الذي اعتمده القرآن، وأي مقياس آخر اعتمدته أنت فقد خرجت عن منطوق القرآن، وإذا اعتمدت مقياس المال، إذا اعتمدت مقياس الوسامة والجمال، إذا اعتمدت مقياس الجمال، الذكاء فقد خرجت عن مقياس اعتمده القرآن الكريم في تقييم الأشخاص، يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(سورة الحجرات)

والحديث الذي رواه أحمد ورجاله ثقاة:

((... فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إلا بِالتَّقْوَى...))

الذين قالوا: الكفاءة شرط في الزواج كيف فهموا هذه الأحاديث ؟

رأوا أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وأنهم لا يتفاضلون إلا بالتقوى، أما فيما عدا ذلك من الاعتبارات الشخصية التي تقوم على أعراف الناس وعاداتهم، فلا شك أن الناس متفاوتون، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

(سورة النحل)

هل من المعقول من امرأة تعيش في بحبوحة كبيرة جداً، والدها من أصحاب الدخل غير المحدود، لباسها له أثمان باهظة جداً، طعامهم، نزهاتهم، بيوتهم، حركاتهم، سكناتهم، احتفالاتهم، معينة من الطبقة الغنية، خاتم الخطبة ثمنه مئتان وثلاثون ألفًا، ثم يخطبها رجل صاحب دخل محدود، فإذا خطبها ووافق أهلها عليه فهذا الزواج لا يستقر، ولا يستمر، ولا يتحمل الزوج امتنان زوجته عليه بفضل أبيها، لأن هذا الزواج ما روعيت فيه الكفاءة، فأي زواج لا تراعى فيه الكفاءة لا ينجح.

موضوعات الكفاءة في الدرس القادم، لكن اليوم مبدأ الكفاءة، إن لم تراعَ الكفاءة في الزواج فأغلب الظن أن هذا الزواج لا يستقر، ولا يستمر، وكثيراً ما ينتهي بالفراق والطلاق.

رد الفقهاء على أصحاب الرأي القائل " لا كفاءة بالزواج "، نحن متساوون بالحقوق الواجبات، متساوون في التكليف والتشريف، يفضل بعضنا بعضا بالتقوى، لكن يوجد غني وفقير، وهناك حرف بالسلم الاجتماعي عالية، وحرف أقلّ منها، طبعاً هذا عند الناس، لكن والله الذي لا إله إلا هو ربما كان الذي يكسح القمامة في الطريق أفضل عند الله من عشرات ألوف ذوي المراتب العلية، هذا معنى حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ وَأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ أَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَكُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، أَشْعَثَ، ذِي طِمْرَيْنِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَكُلُّ جَعْظَرِيٍّ، جَوَّاظٍ، جَمَّاعٍ، مَنَّاعٍ، ذِي تَبَعٍ))

نحن إذا بحثنا في موضوع الزواج فليس البحث علاقة الإنسان بالله، طبعاً كل إنسان له عند الله مكانة أساسها طاعته، وإخلاصه، وحبه، وتضحيته، وبذله، وعمله الصالح، الآن نحن نريد أن نقيم زواجاً مستمراً ومستقراً، إن لم نلحظ موضوع الكفاءة في الزواج فأغلب الظن أن هذا الزواج ينتهي إلى الفراق، والفراق مقبول إن لم يكن هناك أولاد، فإذا كان هناك أولاد صار الفراق جريمة في حق الأولاد، أساسه أننا لم نلاحظ موضوع الكفاءة في الزواج.

التفاوت في الدنيا لحكمة بالغة:

هناك تفاضل في الرزق، أحياناً يكون الأب معتنٍ بابنته كثيراً، وحفّظها القرآن الكريم، ودرست الحديث الشريف فرضاً، أحكام الفقه، ورعة تقية نقية، يأتيها زوج شاب والده من أغنياء البلد، لكنه جاهل، فهذا الزوج لا يقيم قيمة لعلم هذه الفتاة، ولا لدينها، ولا لقرآنها، ولا لفقهها، هذا الزواج لا يستقر، ولا يستمر، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(سورة المجادلة)

العلم ورد في القرآن، والمال ورد في القرآن، فالتفاوت قائم، وهناك آية أخرى:

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾

(سورة الإسراء)

الله عز وجل لحكمةٍ أرادها وأفعاله كلها حكيمة، جعل الناس مراتب، هناك معلّم بقرية، ومدرّس، وأستاذ جامعة، والثلاثة معلمون، هناك ممرّض، وطبيب مبتدئ متمرن، وطبيب يحتل كرسي في الجامعة، وطبيب يحمل خبرات عالية جداً، وهناك أحياناً طبيب يشار إليه بالبنان، يقول لك: هذا له سمعة دولية، أجرى عملية سميت باسمه في كل أنحاء العالم، هناك مراتب، هناك مجنّد، جندي، رئيس أركان، كله في الجيش، لكن المسافات كبيرة جداً بينهما، قال تعالى:


التفاوت بين حظوظ الناس في الدنيا قائم لحكمة أرادها الله

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾

(سورة الإسراء)

لحكمةٍ أرادها الله عز وجل جعل الحظوظ متفاوتة في الدنيا، وأهم جواب في هذا الموضوع أن هذه الحظوظ وزعها الله في الدنيا توزيع ابتلاء، وسوف يوزعها في الآخرة توزيع جزاء.

هناك أحاديث تؤكد موضوع الكفاءة، أن بلالًا رضي الله عنه خطب إلى قوم من الأنصار فأبوا أن يزوجوه لعدم الكفاءة، لكن بعد قليل ترون أن طالب العلم كفء لأية فتاة، مرتبة العلم مرتبة عالية جداً، وسيدنا بلال صحابي، طبعاً طالب علم يطلب رضاء الله عز وجل، فلما أبى الأنصار أن يزوجوه قال عليه الصلاة والسلام: قل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني، فزوجوه فوراً، لماذا أمرهم ؟ لأنه ما كان هناك كفاءة، وعندما لا يكون هناك كفاءة أرجح الأقوال أن الأهل يرفضون.

الرأي الثاني:

أما الرأي الثاني الذي يرى أن الكفاءة شرط في لزوم الزواج فهم جمهور الفقهاء، أربعة مذاهب ترى أن الكفاءة شرط أساسي في عقد الزواج، لكن الشروط أنواع، هناك شروط صحة، وشروط لزوم.

أولاً: عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ:

((يَا عَلِيُّ، ثَلاثٌ لا تُؤَخِّرْهَا، الصَّلاةُ إِذَا آنَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا))

[الترمذي]

الأيم المرأة التي لا زوج لها، أرملةً كانت أو عزباء، يوجد حديث آخر رواه الدار قطني والبيهقي عن جابر:

((لا تنكحوا النساء إلا الأكفاء))

بالمناسبة، الأكفاء جمع كفء، والأكفاء جمع كفيف، هناك بعض المثقفين يقول لك: هؤلاء رجال أكفاء، يتحذلق، معنى أكفاء عميان، الأكفاء جمع كفيف، والأَكفاء جمع كفء.

أحيانا يقال لك: طبيب أَخصائي، معه بورد، يعني يخصي، الأَخصائي هو الذي يخصي، أَخصى يخصي إخصاءً، فهو أَخصائي، أما صوابها الإختصاصي.

أحيانا يقال لك: فلان عنده تَجَارُب، يضم الراء، ويفلسف بها، يعني عنده عدوى بالجرب، صوابها تجارِب، جرب، يجرب تجربةً، أما التجارُب فهي العدوى بالجرب.

يقال لك: فلان مولع بكذا، المُوَلع هو الثور الأحمر، صوابها مولع.

أسيادنا، إياك أن تقول: أسيادنا، وهي جمع سيد، والسيد هو الذئب، والصواب سادتنا، السيد جمعها سادة، والسّيد جمعه أسياد، أسياد غلط.

يقال لك: التواجد في الساعة كذا، وهذا تعبير شائع جداً، ولا سيما في الجيش، التواجد في اللغة معناها أن يبث كل منا وجده للآخر، يعني يبكون، هذا هو التواجد، اللغة دقيقة جداً، وأحياناً كلمة واحدة وحرف واحد يغير. صدقوني، كنت في تعزية من فترة، هناك رجل اشتبه علي مظهره من أهل العلم، ولكن أنا أعرف أحد علماء الحديث الكبار في البلد، دخل علي أنه هو عالم الحديث، بعد أن ألقيت كلمة قدمته للدعاء، وكلي إكبار لعلمه، صدقوني غلط غلطة واحدة نصب الفاعل، جزمت أنني مخطئ، ليس هذا فلانًا، لأنه لا يمكن، فلما انتهت التعزية سألت: من فلان ؟ قالوا: فلان الفلاني، غير الذي توهمته، وصدق ظني، أحيانا يكشف الإنسان من كلمة

واحدة.

ذهب رجل إلى الأزهر، ولم يتعلم، قضى الوقت خارج الأزهر، وعاد إلى القرية، ظنوا أنه معه شهادة الأزهر، احتفلوا به، وكرموه، وأجلسوه في صدر المجلس، وهو جاهل، فقال له: رجل لا ترتبك، أي سؤال قل: للمسألة قولان، وهناك رجل خبيث، قال له: أفي الله شك ؟ قال له: في المسألة قولان، فانكشف فوراً.

على كلٍ طالب العلم كفء لأية فتاة،

((....ثَلاثٌ لا تُؤَخِّرْهَا، الصَّلاةُ إِذَا آنَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا))

[الترمذي]

ولا تنكحوا النساء إلا الأكفاء، والأكفاء جمع كفء، وهو الند.

بالمناسبة قالوا: احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغنِ عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره.

يمكن أن تساوي أعظم إنسان إذا لم تحتج إليه، لذلك الدعاء: اللهم لا تجعل حوائجنا إلا إليك، شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناءه عن الناس، فإذا احتجت إلى إنسان أصبحت أسيره، سيدنا علي قال، تعرفون قوله المشهور: << والله، والله، مرتين، لحفر بئرين بإبرتين، شيء مستحيل، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين، أشد استحالة، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين، أهون علي من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين >>.

لا تنكحوا النساء إلا الأكفاء، ولا يزوجوهن إلا الأولياء.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ))

وفي الحديث الشريف عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَإِنْ كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ))

[الترمذي]

والعلماء كما قال عليه الصلاة والسلام ورثة الأنبياء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا، تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ))

[متفق عليه]

تنبيه إلى فهم وتفسير خاطئ:

أحياناً بعض الإخوان الكرام يفهمون آية ما أرادها الله عز وجل، يقول لك:

﴿ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَات ﴾

(سورة النور)

الطيبون للطيبات، ماذا تفهم من هذه الآية ؟ يفهمون أن كل زوجين متماثلين مع أن الواقع لا يؤكد هذا المعنى، قد تجد زوجةً صالحةً عندها زوج شرير، وقد تجد زوجاً صالحاً له زوجة شريرة، وأحياناً الزوجة بلاء من الله، الله عنده بلايا كثيرة، وأحياناً الزوج، فالذي يريده الله عز وجل من هذه الآية:



﴿ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَات ﴾

يعني أنتم خلفائي في الأرض إذا زوجتم أو تزوجتم، أو أذنتم في الزواج، أو قبلتم الزواج، فليكن الطيبون للطيبات، حملت هذه الآية على معنى ينبغي أن يكون الطيبون للطيبات.

كلكم يعلم أنّ التركيب في اللغة إنشائي وتركيب خبري، التركيب الخبري يحتمل الصدق والكذب، فلان سافر، قد يكون ما سافر، أما التركيب الإنشائي فلا يحتمل الصدق ولا كذب، الأمر، تقول لرجل: كم الساعة ؟ هل يستطيع أن يقول لك: أنت كاذب، الكذب لا ينسحب على الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والحض، والنداء، هذه كلها أساليب إنشائية، وعندنا أساليب خبرية، العادة، الأمر والنهي يأتي في القرآن بصيغة الإنشاء،

﴿ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾

أمرٌ

﴿ لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾

نهيٌ، فغالباً الأمر والنهي في القرآن يأتي بصيغة الأمر والنهي، لكن أحياناً يأتي الأمر والنهي بصيغة الخبر. قال تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾

(سورة البقرة الآية: 233)

هنا سؤال دقيق في البلاغة: لماذا عدل الله عز وجل عن صيغة الأمر ؟ يعني أيتها الوالدات أرضعن أولادكن حولين كاملين، لما جاء بهذا الأمر بصيغة الخبر ؟ يخبرنا عن أن الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين، قال العلماء: هذا أبلغ بالأمر من صيغة الأمر، لأنك إذا أمرت إنساناً تصور العكس، فلو أنّ أبًا قال لابنه: اذهب واشترِ هذه الحاجة، وإياك أن تتأخر، لم يكن الطفل في باله التأخر، وعندما قال له: إياك أن تتأخر وجد احتمال أن يتأخر، وخطر في باله التأخر، فكل أمر يقتضي عكسه، يتصور عكسه، وكل نهي يتصور عكسه، فإذا أردت أن تنفي تصور العكس فأتي بالتركيب الخبري، قال تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾

(سورة البقرة)

يعني من شأن الوالدات، وهذه طبيعة فيهن، أن يرضعن أولادهن حولين كاملين.

إذاً: أحياناً تأتي صيغة الخبر مكان صيغة الأمر والنهي، وهذا أبلغ، وأحياناً يقول أب لابنه: إياك أن تتأخر ليلاً، أعطاه نهيًا، وهناك أب أشد حزماً يقول لابنه: أنا لا ليسد عندي ابن يتأخر: هذه الحالة غير موجودة عندي إطلاقاً، هذا خبر جاء بصيغة النهي، الذي نقلنا إلى هذا أن قول الله عز وجل:

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

يعني يا عبادي اجعلوا الطيبون للطيبات، في أمر الزواج تخيروا، اختر هذه الزوجة المؤمنة الصالحة الطيبة: ابحث لها عن زوج مؤمن يعرف قيمتها، وهذه الزوجة الشريفة ابحث لها عن زوج عفيف يعرف قيمتها، أما إنْ زوجت امرأة عفيفةً لزوج منحرف مطلاقٍ، فهذا الزواج لا يستمر ولا يستقر.

الأدلة العقلية على اعتبار الكفاءة:

الآن هذه الأدلة كلها نقلية، كلكم يعلم أن الشرع هو نقل أمر إلهي، ولكن هذا الأمر يتوافق مع العقل، ويتوافق مع الواقع، ويتوافق مع الفطرة، ففي أكثر الموضوعات التشريعية استقر العلم على أدلة من نوعين، أدلة نقليةٍ وأدلةٍ عقلية، إنسان يقول لك: أعطني الأدلة النقلية على أن الوجه عورة، تأتيه بالآية الأولى، وجاء تفسيرها عند القرطبي، وابن كثير، والخازن، وعند البيضاوي، وجاء الحديث الشريف، ومعنى الوجه كذا، ومعنى الجلباب كذا، ومعنى الجيب كذا، أنت الآن دخلت في الأدلة النقلية، أما أحياناً فتخاطب الإنسان لا بالدليل النقلي، بل بالدليل العقلي، تقول له: يا إنسان، بربك أي شيء في المرأة أكثر فتنةً ؟ يقول لك: وجهها، بالمنطق، أحياناً الدليل العقلي قوي جداً، لكن يجب أن تعلموا علم اليقين أن الأدلة النقلية يجب حتماً أن تتوافر مع الأدلة العقلية، لأن المصدر واحد، العقل مقياس أودعه الله بنا، والنقل شرع أنزله الله علينا، والمصدر هو الله، ليس من المعقول الله أن يعطيك عقلًا يخالف الشرع، ليس هناك تناقض، في الكون وحدة، أنت بائع أقمشة، سوف نسلمك ثلاثين

قطعة، على كل قطعة قياسها، وهذا مصطلح عند بائعي الأقمشة، هناك لصاقة على القماش، يقول لك: هذه ثلاثة وثلاثون مترا وربع، هذا يسمونه قياس الثوب، قال لك: أنا لست قانعاً بهذه القياسات، ماذا يقول لك البائع: هذا متر تفضل، وقسه، هل من الممكن أن يعطيك البائع مترًا تكشف بهذا المتر خطأ قياسه ؟ ربنا عز وجل أعطاك أحكامًا، وقال لك: هذه حرام، وهذه حلال، هذه مؤذية وهذه نافعة.

البارحة في درس الدعاة أحد إخواننا الأكارم طلاب الطب ألقى محاضرة قصيرة حول الخمر، الخمر أول عمل تفعله أن الأهداب التي في القصبة الهوائية تشل، فإذا شلت كل المواد الغريبة تدخل إلى الرئة، فأمراض الرئة الإنتانية أساسها أن هذه الأهداب مشلولة، ويدخل في الرئة مواد من الخمر عن طريق الدم، هذه تعطل جهاز المناعة في الإنسان، وذكر أشياء كثيرة، وكيف أن الكحول يتلف خلايا الكبد، الخمر تشارك بعض الأمراض، وتسهم في بعضها الآخر منفردةً، فسبعون بالمئة من أمراض تشمع الكبد هي بسبب الخمر والكحول. أنا استنبطت من هذا الكلام أن هناك علاقة علمية بين الأمر ونتائجه، معنى علاقة علمية يعني علاقة سبب بنتيجة، إذا قال رجل لابنه: أغلق الباب، أو: لا تغلق الباب، فأغلقه، فالأب ضرب ابنه، فهل هناك علاقة علمية بين الضرب والإغلاق ؟ لا يوجد علاقة علمية هذه علاقة أمر بنهي، أما إذا مسّ الإنسان المدفأة تحترق يده، يوجد علاقة علمية بين المس والاحتراق، فالسبب والنتيجة أحيانًا يتلازمان تلازماً علمياً، و أحيانًا تلازماً رمزياً، العقل يوافق النقل قولاً واحداً.

الآن: الأدلة العقلية على الكفاءة الزوجية، وننتقل من أدلة نقلية إلى أدلة عقلية:

اعتبار الكفاءة من جانب الرجل:

إنّ انتظام الحياة بين الزوجين لا يكون في العادة إلا إذا كان هناك تكافؤ بينهما، فالشريفة تأبى العيش مع الخسيس، فلابد من اعتبار الكفاءة من جانب الرجل لا من جانب المرأة.

بالمناسبة الموضوع دقيق جداً، وقد ورد في بعض الأثر: الزواج رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته.



أنت زوجت ابنتك لفلان فصار سيداً لها، قد يقسو عليها، قد يهينها، قد يفعل بها ما لا يرضي، فإذا زوجتها جعلتها رقيقةً لهذا الزوج، في حكم أن الزوج هو القيم على البيت، إذاً فلينظر أحدكم أين يضع كريمته، الكفاءة ليس من جانب الزوج، بل من جانب الزوجة، الزوج آمر، الزوج متصرف، الزوج صاحب قرار، الزوج له القيادة، له القوامة، فمن المتضرر بعدم الكفاءة ؟ الزوجة.

يقولون: إن إنسانًا شاهد زوجًا وزوجته غير متكافئين إطلاقاً، فعجب من هذا الزواج، فقالت له الزوجة: إن الله يدخلني الجنة بصبري عليه، ويدخله الجنة بشكره على أن تزوجني، أحدهم يدخلها شاكراً، والثاني صابراً. فالدليل العقلي أن الشريفة تأبى أن تعيش مع الخسيس، والتي تحمل القرآن تأبى العيش مع الجاهل، والتي من أصل رفيع تأبى العيش مع من كان دنيئاً في معاملاته، فإن لم يكن الزوج كفئاً للزوجة فالحياة لا تستمر بينهما. عندنا شيء آخر، ليس الموضوع موضوع الزوجة فقط، موضوع أهل الزوجة، مثلاً: شاب يلتقي بفتاة قبل أن يعرف الله عز وجل، ويتزوجها بقرار ارتجالي طارئ، فتكون هذه الفتاة ليست شريفةً، العار يلحق من ؟ بالعكس لو كان الزوج سيئًا جداً العار يلحق أهل الفتاة، لذلك الكفاءة يجب أن تكون واقعة لئلا يلحق العار للزوجة، أو لأهل الزوجة، طبعاً في أغلب البلاد الإسلامية يعمل بالكفاءة سبباً للتفريق، لو فرضنا القاضي لم يجد كفاءة يفرق بين الزوجين، لأن هذا الزواج لا ينجح، ولا يستمر.

كيف أن القانون أحياناً يأخذ من الشرع، ففي القانون مجموعة بنود متعلقة بالكفاءة، أول مادة: يشترط في لزوم الزواج أن يكون الرجل كفئاً للمرأة، أما إذا زوجت الكبيرة نفسها من غير موافقة الولي فإن كان الزوج كفئاً لزم العقد، وإلا فللولي طلب فسخ النكاح.

مثلاً: يخطب إنسان فتاة، فقد يكون غير كفء لها، وفقد الكفاءة في هذا الزواج يلحق العار بأهل الفتاة، في الشرع الإسلامي من حق ولي الفتاة أن يطالب القاضي بفسخ هذا الزواج.

اعتبار الكفاءة بحس العرف:

الآن العبرة بالكفاءة بعرف البلد، والأعراف معتبرةٌ شرعاً، أحياناً يقول لك: أنا لا أعطي العامل تعويضًا، تقول: لماذا ؟ يقول لك: ليست واردة في الشرع، ليس لك حق، كل العمال إذا عملوا عند أرباب العمل في الأعراف الاجتماعية التي تنظمها القوانين العامل يستحق تعويض تسريح عن كل سنة راتب شهر، فهذا عرف ثبته القانون، فأنت لا تستطيع أن تنكره، لأن العرف معتبر شرعاً، كل شيء جرى عليه العرف.

مثلاً: إنسان يبيع حاجة، يبيع قفلًا، ولمفتاحه سعر آخر، لا أحد قال: يباع القفل بسعر، والمفتاح بسعر آخر، والمفتاح تابع للقفل، فبأي خصومة الأعراف حتى في الأيمان الأعراف معتبرة، كرجل حلف أن لا يأكل لحمًا، في عرف بلدنا اللحم يعني الغنم، فذهب، وأكل السمك، لا شيء عليه، أما في بعض البلاد يقول لك: أكلنا اللحم، يعني السمك، أنت عندما تحلف يميناً فعُرف البلد هو الذي يحدد مضمون اليمين، فالأعراف معتبرةٌ شرعاً، وكل بلد له أعرافه، فإذا لا يوجد تناسب بين البلدين هذا لا يعد كفاءةً.

لعظم حق الفرد على الله عز وجل، لعظم حق الصغير على الله يسقط حق الكفاءة لعدم الكفاءة إذا حملت المرأة، كل هذا الكلام قبل الحمل، وإذا حملت فموضوع الكفاءة انتهى، لماذا ؟ لأنه صار هناك مخلوق، والطلاق في حقه جريمة، لو طلقت المرأة لفسد، ألم تقل هذه المرأة، وقد بكت، واشتكت للنبي عليه الصلاة والسلام: إن فلانا تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال، فلما كبرت سني ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال: أنت علي كظهر أمي، ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، فالعرف معروف، أو إنسان يقول لك: لا أقبل المرأة أن تعمل شيئاً في البيت، ليست مكلفة، اقرأ الكتب، الأعراف تقول: إن الزوج يعمل خارج المنزل، والزوجة تعمل داخل المنزل، هذا عرف معتبر شرعاً وقانوناً، لكن إذا حملت ينتهي موضوع الكفاءة إطلاقاً، لعظم حق هذا الصغير على الله.

مراعاة الكفاءة عند العقد

الآن تراعى الكفاءة عند العقد فقط، أحياناً يتزوج إنسان امرأة، وبعد أن يتزوج يصاب بمرض عضال، لم يعد كفئاً لها، ولكن هذه قلة مروءة، وقت العقد كان كفئاً، وبعد هذا قضاء وقدر، هناك أشخاص بعد الزواج صار معهم

مرض، الزوجة أو في الزوج يندب حظه، أخي هذه لا تناسبني، إذا كانت لا تصلح للزواج بعد المرض هناك حل شرعي، أن يتزوج امرأة ثانية، هذه أبقِ عليها كزوجة وفاءً، أو أردت ولدًا يأتيك من الثانية.

الكفاءة تراعى عند العقد فقط، فلا يؤثر زوالها بالعقد.

الآن عندنا قاعدة: إذا اشترطت الكفاءة حين العقد، أو أخبر الزوج أنه كفء، ثم تبين أنه غير كفء كان لكلٍ من الولي والزوجة طلب فسخ العقد، إذا وجد تصريح، وظهر أنه كاذب يفسخ العقد، والكفاءة تراعى عند العقد فقط، وإذا حملت المرأة يسقط حق الكفاءة، لعلة عدم الكفاءة، والكفاءة الجهة الوحيدة المتضررة منها المرأة وأهلها، لأن العار يلحقهم بذلك، والعبرة بالكفاءة عرف البلد.

هناك كاتب مصري اسمه إبراهيم مويلحي له كتابات أدبية قبل خمسين عامًا، كتب نصًّا على الموظفين، يقول: يا ليت آباءنا كانوا التفتوا إلى تعليمنا في المدارس، دققوا كيف يتغير العرف، فكنا استغنينا عن ممارسة التجارة، وذل البيع والشراء، وترويج السلعة بالأقسام والأيمان، فما العيش إلا عيش الموظفين، قبل خمسين سنة كان أعلى مرتبة اجتماعية الموظف.

الآن امرأة خطبت لابنها، فقالت لها: ماذا يعمل ابنك، قالت لها: مهندس، فقالت لها: من أين تعيشون أنتم، مرتبة الوظيفة الآن هبطت، وحل محلها مرتبة التجارة، قبل خمسين سنة ما العيش إلا عيش الموظفين، الآن اختلف الأمر، هناك حرف في زمن معين تروج، وحرف تصبح متدنية.

مختصر درس الكفاءة:

إذاً بشكل مختصر تراعى الكفاءة بالزوج لصالح الزوجة ولأهلها، لئلا يلحقهم العار، والكبيرة إذا زوجت نفسها من دون ولي، وظهر أن الزوج غير كفء يطلب وليها فسخ العقد لعدم الكفاءة، والعبرة بالكفاءة لعرف البلد، والكفاءة حق خاص للمرأة وأهلها، وتراعى الكفاءة عند العقد، فإذا حملت المرأة سقط حق الكفاءة لعلة عدم الكفاءة، وإذا اشترطت الكفاءة، وصرح الزوج أنه كفء، ثم تبين أنه غير ذلك أيضاً فسخ هذا الزواج.

هذا بعض ما وردِ في أحكام الكفاءة، وفي الدرس القادم إن شاء الله الحديث عن موضوعات الكفاءة. فهذه الموضوعات على الشكل التالي، الكفاءة أولاً في الديانة، والعفة، والتقوى، والكفاءة في الحرية، والكفاءة في الإسلام، والكفاءة في النسب، والكفاءة في الحسب، والكفاءة في المهنة والحرفة والصناعة، والكفاءة في السلامة من العيوب، هذا موضوع دقيق جداً، إن شاء الله كل أخ يريد أن يخطب يختار حسب توجيهات الشرع، فإذا خطب الإنسان، أو إذا خطبت الفتاة، وكان هذا الخاطب تتوافر فيه الكفاءة الشرعية هذا معنى قول النبي:



((... إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ...))

[الترمذي]

لكن أخس الناس كفاءةً هو الكافر أو الفاسق، وأعلى الناس كفاءةً طالب العلم الشرعي، هذه نقطتان أفصل فيهما بالدرس القادم إن شاء الله، أعلى درجة في الكفاءة مؤمن طالب علم شرعي، يعرف ما له، وما عليه، يعرف حق الزوجة، وحقه على زوجته، يعرف كيف يربي أولاده، هذه أعلى درجة في الكفاءة، وأقل درجة في الكفاءة أن يكون ليس فيه دين، لأنه يتحرك بحسب شهواته ونزواته، لابد من أن يقع في مغبة عمله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5 – 6) : عوائق الزواج ومشكلاته وطرق معالجتها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

عوائق الزواج ومشكلاته



أيها الإخوة والمؤمنون، مع الدرس الثاني من دروس موضوع الزواج الذي أردت أن يكون غِطاءً للمشكلات التي يعاني منها المجتمع المسلم وقد وعدتكم في الدرس الماضي أن أتحدث عن العوائق التي تقف أمام الشباب إذا أرادوا الزواج.

الحقيقة أن من أكبر هذه العوائق موضوع الفقر، فالإسلام بادئ ذي بدء لم يكتف بالترغيب في الزواج، بل أمر بتعجيله، فقد روى الإمام الترمذي عن عليٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له:

((يَا عَلِيُّ، ثَلاثٌ لا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلاةُ إِذَا آنَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا))

الترمذي]

إذا آنت أي آن أوانها، أي دخل وقتها.

ينبغي أن نكون جميعاً من أنصار الزواج المبكر لشبابنا وشابَّاتنا على حدٍ سواء، بل إن تأخير الزواج له مخاطر كبيرةٌ جداً، ليس أقلّها الانحراف:

((يَا عَلِيُّ، ثَلاثٌ لا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلاةُ إِذَا آنَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا))

[الترمذي]

أيها الإخوة الكرام، من بعض مضار تأخير الزواج الوقوع في الحرام، الزواج حصن للفتى وللفتاة.

العائق الأول: الفقر – معالجته

الآن العائق الأول الذي يقف أمام الشباب هو الفقر، فكيف نعالج هذا العائق ؟

أولاً: ينبغي أن يُعالج بما يسمَّى الدعم المعنوي للفقير، والدعم المعنوي يحتاج إلى دعم مادي أيضاً، فماذا نعني بالدعم المعنوي ؟

الحقيقة أن الإنسان إذا افتقر إلى المال ربما فقدَ ثقته بنفسه، وربما جنح إلى الظن أنه عاجزٌ عن أن يُقدِم على هذا المشروع الكبير، وربما توهَّم أن الإحجام عن الزواج خيرٌ له من هذه الورطة الكبيرة، هذه كلها مشاعر نفسية تنتاب من افتقر إلى المال، فتضعف ثقته بنفسه، ويتوهم أن الإحجام عن الزواج خيرٌ له، يشعر أنه يعجز عن الإقدام على هذا المشروع الكبير، بل إن الذي تضيق ذات يده يفقد كثيراً من خصائصه النفسية، فالإنسان له خصائص، وله قدرات، فإذا ضاقت يده عن أن تملك ما يقيم أوْده فَقَد كثيراً من خصائصه الأساسية التي أكرمه الله بها، والناس لضعف إيمانهم ولضعف تفكيرهم لا ينظرون إلى الفقير إلا على أنه فقير، وينسون أن هذا الذي أمامكم إنسان يتمتع بالفكر والعقل، والإدراك والنفس والمشاعر، والمبادئ والقيم، لذلك الناس التائهون الشاردون عن منهج الله عزّ وجل يحجمون عن تزويج الفقير لتوهمهم أنه لا يستطيع أن يُسعد ابنتهم، وقد تكون الحقيقة عكس ذلك.

نحن نعود إلى كتاب الله:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

(سورة النساء: آية " 65 ")

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 36 ")

ماذا قال الله عزّ وجل في القرآن الكريم ؟ قال:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة النور)

وأمام هذه الآية وقفةٌ طويلة، [أَنْكِحُوا] فعلُ أمرٍ، و [الأَيَامَى] جمعُ أيّمٍ، والأيِّم أيّ شخصٍ ذكراً كان أو أُنثى لا زوجة له،]أَنْكِحُوا الأَيَامَى[، والأمر موجه إلى مجموع الأُمة، وإذا وجِّه الأمر إلى مجموع الأمة فهو موجهٌ بالتبعية إلى أُولي الأمر، لأنهم ينوبون عن مجموع الأمة في إدارة أمورهم.

ماذا يقول العلماء الكبار في هذه الآية ؟ يقول ابن العربي في تفسيره: " في هذه الآية دليلٌ على تزويج الفقير، والفقير ليس له الحق أن يقول: كيف أتزوج وليس لي مال ؟ فإن رزقه ورزق عياله على الله عزّ وجل "، وفي القرآن الكريم:

﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

طرق معالجة الفقر: (1) الدعم المعنوي

نبدأ الآن بالدعم المعنوي: يجب على من لا يملك مقومات الزواج أن يشعر أن هذا العمل يغنيه، فإنْ يكونوا فقراء قبل الزواج يغنِهم الله من فضله، والنبي عليه الصلاة والسلام زوّج صحابيةً من بعض أصحابه، وليس له إلا إزارٌ واحد، وقد زوَّج النبي ﷺ بعض أصحابه على سورةٍ يحفظها من كتاب الله.

القاضي أبو مسعود يقول: " اطلبوا الغنى في هذه الآية "، أيْ إذا أردت أن تكون غنياً فتزوج، لأنه ما شكا أحدٌ إلى النبي ضيقَ ذاته إلا قال له: " اذهب فتزوج ".

القصد أن الإنسان الذي لا يملك ما يكفي للزواج أن يشعر أن الله سبحانه وتعالى سوف يغنيه إذا أقدم على هذا الزواج، لكنك إذا أردت أن تكون واقعياً، هذا الغنى الذي يكون بعد الزواج ربما شاءه الله، وربما لم يشأه سبحانه، لكي تكون واقعيًّا، إنْ شاءه فلحكمةٍ بالغة، وإن لم يشأه فلحكمةٍ بالغة، لذلك قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

الأصل أن الذي يقدم على الزواج يغنيه الله سبحانه وتعالى إن شاء.

أحياناً الأب يكون غنياً، وهذا ابنه، والأصل أن يعطيه ما يريد، لكن إذا ثبت للأب أن هذا العطاء ربما أضرَّ مستقبله، ربما استخدمه فيما لا يرضي، قد يمنع الأب ابنه من عطاءٍ لحكمةٍ يراها، لذلك الغنى هنا الذي وعد الله به من يقدم على الزواج مرتبطٌ بمشيئة الله عزَّ وجل، ماذا يقول الصديق رضي الله عنه في هذه الآية ؟ يقول: << أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى >>.

ماذا يقول سيدنا عمر عن هذه الآية ؟

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾

(سورة النور: آية " 32 ")

يقول عمر رضي الله عنه: **<< ما رأيت مثل من يجلس أيماً بعد هذه الآية: (أَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُم) >>.**

ما رأيت: أي أنا أعجب أشدَّ العجب مما يبقى أيماً بعد هذه الآية، هذا قول سيدنا عمر.

ويقول أيضاً: **<< التمسوا الغنى في الزواج >>.**

الإمام البخاري في صحيحه عقد باباً تحت عنوان تزويج المعسر لقوله تعالى:

﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

في شرح ابن حجر العسقلاني لصحيح البخاري، يقول ابن حجر: " إن الفقر في الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال في المآل ".

هناك مناقشة دقيقة أرجو أن تكون واضحةً لديكم، الله عزَّ وجل يغني الأعزب أو يفقره، ويغني المتزوج أو يفقره، مادام الغنى الذي وعد الله به منوطاً بمشيئة الله معنى ذلك أن يمكن للإنسان أن يتزوج ولا يغتني، أو يكون أعزب وهو فقير، وقد يكون أعزب وهو غني، ومادام هذا منوطاً بمشيئة الله عزَّ وجل فلماذا ربط الله الغنى بالزواج ؟ حسب المعنى الدقيق للآية يمكن أن يغني الله الأعزب أو يغني المتزوج، أو يفقرهما معاً، فلماذا ربط الله عزَّ وجل الغنى بالزواج ؟



يجيب العلماء بأن الإنسان في الأعم الأغلب يتوهم أن الزواج إنفاق المال وإنجاب الأولاد، وتأمين الطعام والشراب والكساء، ففي توهم بعض الناس أن الزواج يعني المزيد من المال، وأن العزوبة ربما كانت أخفُّ إنفاقاً من الزواج، لأنه نظر إلى الأسباب، ولم ينظر إلى المسبِّب، فلذلك طمأننا ربنا جلَّ جلاله وقال: لا تربطوا بين الزواج والفقر ولا بين الغنى وترك الزواج، فالله سبحانه وتعالى هو المغني، وهو المعطي، وهو الذي يرفع الإنسان من حالٍ إلى حال.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثةٌ حقٌ على الله...))

بالمناسبة إذا وردت كلمة على مع لفظ الجلالة فهي تفيد الإلزام، لكن الله من يلزمه ؟ قال العلماء: إذا قال الله عزَّ وجل:

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة هود)

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(سورة هود: آية " 6 ")

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ))

أي أن الله جلَّ جلاله ألزم نفسه إلزاماً ذاتياً أن يعين كلَّ طالب عفاف من دون استثناء، أفلا يكفي هذا الحديث:

((ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ))

[الترمذي]

هذا الذي أريده من كلمة دعم الفقير الدعم المعنوي، أي أن الفقير ينبغي أن يقدم ينبغي ألا يحجم، لأنه من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا، بل يجب أن يأخذ بالأسباب، وأن يتوكل على رب الأرباب، لا ينبغي أن يتردد، أما بالحساب فربما عزف الإنسان عن الزواج كلياً، أما بالتوكل على الله اعتماداً على هذه الآية العظيمة:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة النور)

فإنه يقدم على الزواج.

((ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ))

و: << ما شكا إلى النبي أحدٌ ضيق ذات يده إلا قال له: اذهب فتزوج >>.

لقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، وقد قال سيدنا سعد بن أبي وقاص: << ثلاثةٌ أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحدٌ من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلا علمت أنه حقٌ من الله تعالى...>>.

هذه الفقرة الأولى من الدرس.

الفقر لا ينقص من قدر الإنسان

الفقرة الثانية، الفقر ليس ينقص من قدر الإنسان، دققوا لماذا جعل الله بعض الأنبياء فقراء ؟ لماذا جعل الله بعض الأنبياء أولادهم ليسوا على مذهبهم ؟ سيدنا نوح، ولماذا جعل الله بعض الصديقات آسية امرأة فرعون صديقة وزوجها فرعون نبيٌ كان ملكاً، ونبيٌ كان راعي غنم، ونبيٌ كانت له زوجةٌ سيئةٌ:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾

(سورة التحريم)



إنّ الفقر لا يزري بصاحبه، بل إن النبي كان عليه الصلاة والسلام كان فقيراً، وقد كان يدخل إلى البيت فلا يجد أكلا، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ:

((يَا عَائِشَةُ، هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ))

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

[الترمذي]

مر رجل على رسول الله وكان عليه الصلاة والسلام مع أصحابه، ويبدو أن هذا الرجل غني، فعَنْ سَهْلٍ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ـ أن يزوَّج ـ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ ـ يبدوا أنه فقير ـ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا ـ يعني الفقير ـ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا))

[البخاري]

الفقر لا يقدم ولا يؤخر، ولا يرفع ولا يخفض، ولا يعز ولا يذل، هذا عند التائهين، عند الشاردين عند الماديين، عند أهل الدنيا، لكن الفقر في عالم الإيمان شيءٌ عرَضي، قدَّره الله عزَّ وجل لحكمةٍ بالغة، إما امتحاناً، وإما تأديباً، وإما حفظاً.

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْمِي عَبْدَه الْمُؤْمِنَ مِنْ الدُّنْيَا وَهُوَ يَحْمِيهِ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ))

[أحمد]

هذا الحديث يكفي، إن هذا، وأشار إلى الفقير، خيرٌ من ملء الأرض من هذا، وهذا الحديث ورد في صحيح البخاري وهو من أصح الأحاديث.

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[الترمذي]

كيف ؟ كلما طرق بيت المسلم خاطبٌ فقير ردَّ لفقره، هذه الفتاة بقيت بلا زواج، وكلما طلب فتىً فقير للزواج رد لفقره فبقي هذا الفتى بلا زواج، ما الذي سيحصل ؟ نحن أمام أعداد كبيرة جداً من الفتيان والفتيات فاتهم قطار الزواج، لا لشيء إلا لأنهم فقراء، وحينما يفوت الإنسان قطار الزواج يصبح أكثر عرضةً للفساد مما لو تزوج، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))

(صحيح البخاري عن ابن مسعود)

تعريف دقيق:

((أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ.. إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

من رغب في الفتاة لأنها غنية، ما الذي يحصل ؟ روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ `

[البخاري]

في حديث آخر أرويه لكم دائماً:

((من تزوج المرأة لجمالها أذله الله، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً، فعليك بذات الدين تربت يداك))

[ورد في الأثر]

ويقول ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: " يليق بالمؤمن الدين والمروءة، أن يكون الدين مطمحه في كل علاقاته الإنسانية، ولا سيما إذا كانت العلاقة مديدةً، وهل من علاقةٍ أطول من علاقة الزواج ؟ ". عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، وَلا تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ، وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ))

طبعاً لو قلنا: لحسنهن أي لحسنهن فقط، أي أنه لم ينتبه للدين، انتبه إلى الجمال فقط، خرماء أي أنها مقطوعة الأنف، مثقوبة الأذن.. ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ، كيف لا و الله عزَّ وجل يقول في القرآن الكريم:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

(سورة البقرة: آية " 221 ")

الآن هذا هو الدعم المعنوي.

طرق معالجة الفقر: (1) الدعم المادي

لكن نحن نريد الدعم المالي للفقير، هذا الدعم موزع على ثلاث جهات: موزعٌ على عاتق الآباء، وموزعٌ على عاتق المجتمع الإسلامي، وموزعٌ على عاتق أولي الأمر، أي واجب الأولياء، وواجب المسلمين جميعاً، وواجب أولي الأمر أن يقدموا يد العون لتزويج الشباب، وبعضهم يقول: ينبغي أن يكون الدرس مؤصلاً، ومعنى مؤصلاً، أي معتمداً على أصول، وهي الكتاب والسنة، لأنه درس دين هذا، فالأصل الكتاب والسنة.

واجب الآباء في تزويج الأبناء

الآن كيف أن تزويج الأبناء من واجب الآباء، هذا شيء نحن نقبله، ونرحب به، ونثني عليه، لكن النبي أوجب الآباء أن يزوِّج الأبناء ؟ استمعوا قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ وَلَدَ لَهُ وَلَدٌ...))

نسميه مثلا عبد الله، أو عبد الرحمن، أو محي الدين، هناك أسماء لطيفة جداً أسماء دينية، أسماء جمالية، أسماء فيها مكارم أخلاق، صالح مثلاً، عمر.

((مَنْ وَلَدَ لَهُ وَلَدٌ فَلْيُحْسِنْ اِسْمَهُ وَأَدَبَهُ، فَإِذَا بَلَغَ فَلْيُزَوِّجْهُ، فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إِثْماً فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى أَبِيهِ))

[ورد في الأثر]

أن يسميه جعيفص مثلاً، فما هذا الاسم ؟!! سمِّه عبد الله، عبد الرحمن، محي الدين، فهناك أسماء لطيفة جداً، أسماء دينية، وأسماء جمالية، أسماء فيها مكارم أخلاق كصالح مثلاً، أو عمر.

هذا كلام النبي الذي لا ينطق عن الهوى.

أيها الآباء دققوا، وقبل أن ترفض أن تقدم لابنك المساعدة فكِّر في هذا الحديث، أنا عصامي يا بني، وأنت كن عصاميًّا مثلي، اذهب واشتغل، لا يجوز هذا، فالآن الأمور معقدة جداً، الأمور معقدة إلى درجة لا يمكن أن يتم زواجٌ من دون مساعدة من الأهل.



والله هناك أب أنا كلما ألتقي به والله في قلبي احترام له لا حدود له، سكن في بيت في أحد أحياء دمشق الراقية، اشتراه قبل أربعين أو خمسين سنة، والبيت أصبح ثمنه غاليًّا جداً، وهو موظف ودخله محدود، وعنده أولاد شباب، فباع البيت، واشترى لأولاده جميعهاً بيوتاً، وسكن معهم خارج دمشق، هذه بطولة كبيرة جداً، أن يؤمِّن الإنسان أولاده كلهم، طبعاً هيأ لأولاده بيوتاً على حسابه، خرج من هذا البيت الفخم، ومن هذه المساحة الكبيرة، ومن هذا الحي الراقي، وسكن خارج دمشق، واشترى لكل ولدٍ بيتاً.

وفي روايةً أخرى للإمام البيهقي عن عمر بن الخطاب وأنس بن مالك:

((مَنْ بَلَغْتْ ابْنَتُه اثنتي عشرة سنة ولم يزوجها فأصابت إثماً فإثم ذلك عليه))

قلت لكم مرةً، وَوالله لا أتمنى أن أعيد هذه الكلمة لأنها خشنة، لكنها وقعت: أبٌ على فراش الموت تقول له ابنته: والله لا أسامحك، والله لا أسامحك، والله لا أسامحك، وربما قالت: حرمك الله الجنة كما حرمتني الزواج، كلما جاء خاطبٌ رده لسببٍ تافه فبقيت بلا زوج.

وذكرت لكم سابقاً أن أقوى دافعٍ في الجنس البشري دافع الأمومة، لذلك الأب يجب أن يفكِّر ملياً، وأن يسعى حثيثاً، وأن يأخذ بالأسباب في تزويج بناته، أما أن يكون هو مرتاحاً ليس عنده هذا الضغط الذي أودعه الله في الأنثى وفي الرجل على حدٍ سواء، فبدأ يحاسب هذا الخاطب، أين سوف تسكن لي ابنتي ؟ يقول له: والله أنا عندي بيت خارج الشام، فيجيبه: لا.. لا.. نحن نريد في الشام، فإذا أمّن بيتاً في الشام، قال: كم مساحته ؟ لا، هذا صغير مثل اللعبة، كلما قدم شيئًا رفضه، والبنت على أحرَّ من الجمر، والأب قاسٍ وجبار، إلى أن فاتها قطار الزواج.

في المذهب الشافعي يجب على الرجل إعفاف ابنته إذا احتاجت إلى النكاح، كيف يجب عليه إعفاف ابنته ؟ أي إذا كنت ميسور الحال جداً، وأمَّنت لها بيتًا، وأنت في كامل قواك العقلية والشرعية، يأتيك أحسن الخطّاب لهذه الفتاة، هذا حل كبير، أنت حينما قدمت لها البيت، جاءك من تثق بدينه، وانحلّت عقبة، لكن لا تقدم لها بيتاً، وأنت غنيٌ كبير، لماذا ؟ لماذا قدمت لابنك ولم تقدم لابنتك بيتاً ؟

مسؤولية المجتمع في تزويج الأبناء

أما مسؤولية المجتمع الإسلامي عن تزويج الأيامى فلقول الله عزَّ وجل:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة النور)

علماء الأصول لهم توجيهٌ لطيف في هذه الآية، الآيات التي توجه إلى مجموع المؤمنين هي موجهةٌ حكماً إلى أولي الأمر، لأن أولي الأمر هم الذين يديرون شؤون المسلمين، إذاً الحاكم المسلم مكلفٌ أن يسهِّل سُبل الزواج. كنت في أحد عقود القران، وطُلِب مني أن أتكلم في الحلول العملية، أي لو هيأنا بيوتًا لا للبيع، بل للإيجار، شاب متفوق نال شهادة عليا، له راتب يكفيه طعاماً وشراباً ولباساً، لكن هذا الراتب لا يكفيه شراء بيت، فإذا أخذنا منه ثلث دخلّه كأجرة بيت حُلّت القضية، أنا أقول: الآن القضية متمركزة في البيت، لذلك أرجو الله عزَّ وجل أن ينهض المسلمون بتأمين البيوت الإيجار، فالبيع صعب، أقل بيت ثمنه ثلاثة ملايين، كيف يجمع هذا الشاب هذه الملايين الثلاثة ؟ هذا شيء فوق طاقته، لكن لو قلنا له: لك دخل ستة آلاف هات ألفين منها، يقول لك: حباً

وكرامة، أتمنى أن تنشأ بيوت من غرفتين فقط، غرفة ومنافعها بأقل كسوة ممكنة، وأن تؤجر هذه البيوت للشباب المؤمنين الطيبين.

قلتُ سابقاً إنني سمعت عن رجل في قرية من قرى دمشق عمَّر أربع بنايات، وطوابق عديدة، وشققًا عديدة، وقال: هذه لن أبيعها إطلاقاً سأؤجرها للشباب المؤمن، آخذ على كل بيت ألفين في الشهر، هذا عمل صالح وكبير جداً، أنت لا تعرف مقدار السعادة.

أرو لكم هذه القصة: أعرف أخًا سكن في بيت مستأجر، فقالت له صاحبة البيت: أتعدني أنني إذا طلبت البيت أن تخرج ؟ قال: نعم، تركته في البيت سنوات عشرًا، وفجأةً طالبته بالبيت، هو يروي لي هذه القصة، قال لي: والله استجبت لها، وجئت في الموعد المخصص، فرأيت محاميًّا من ألمع محامي دمشق، كتبت التنازل، قال لي بعد أن وقَّعت التنازل: أمجنونٌ أنت ؟ أنت صرت في الطريق، والقصة طويلة طبعاً لا يتسع الدرس لسردها بتفاصيلها، لكن بقدرة قادر، وبشيء يعدُّ خرقاً للعادات يسَّر الله له بيتاً جيداً مفتوحاً على أربع جهات في طابقٍ مرتفعٍ يكشف الشام كلّها، ولم يكن يملك من ثمن هذا البيت شيئاً، ولأن القصة طويلة فلن أرويها كاملة، اشترى هذا البيت، وسكن فيه، وآوه الله فيه، ولكن القصة أين عبرتها ؟ أن صاحبة البيت لماذا طلبت البيت ؟ لها ابنة فاتها قطار الزواج، ثم جاءها خاطب، لكن ليس له بيت، قالت البنت لأمها: يا أمي اطلبي من فلان المستأجر أن يعطينا البيت، فلعل البيت يكون سبباً في هذا الزواج، فلما لبى دعوتها، وأعطاها البيت، ذهبت هذه الفتاة إلى أداء العمرة، وطوال الطريق وفي مكة المكرمة وعند رسول الله صلى الله عله وسلم تدعو وتقول: اللهم هيئ لفلان بيتاً خيراً من بيتي، لأنه جبر خاطري، فأكرمه الله ببيت.

عندما تهيئ بيتًا لإنسان فيتزوج، وتطمئن نفسه، ويتزوج فتاة مؤمنة تطمئن نفسها، أنت عملتَ عملا عظيمًا. لذلك أيها الإخوة، المشكلة الآن متركزة في البيوت، إن شاء الله يتعدَّل قانون الإيجار، وقد علمت أنه سيعدل، وثمة سبعمئة ألف شقة في الشام مغلقة تنتظر تعديل قانون الإيجار، فإذا أصبح القانون ساريًا فالعقد ينفَّذ بشروطه ولمدته، فجأةً تجد سبعمئة ألف بيت في الشام معروضة للإيجار، ولا تحلُّ هذه المشكلة إلا بتوافر بيوت للإيجار لا للبيع، فالبيع طريقه مسدود.

إذاً:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾

أي أن هذا طلب من أولي الأمر أن يسهّلوا سبل الزواج لتيسير البيوت لطالبي الزواج.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: " زوجوا من لا زوج له منكم، فإنه طريق التعفف ".

ويقول مفسر آخر: " هذا أمرٌ للجماعة بتزويجهم "، وبالطبع الأمر أمر ندب كما قلت قبل قليل، فهو أمر ندب وأمر وجوب، أمر ندب في حق طالبي الزواج، لكنه أمر وجوب في حق أولي الأمر، أي أن أي إنسان رغب في الزواج يجب على أولي الأمر أن ييسروا له الزواج.

لما خطب سيدنا علي فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى اله عليه وسلم عَنِ بُرَيْدَةَ قَالَ: لَمَّا خَطَبَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعُرْسِ مِنْ وَلِيمَةٍ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: عَلَيَّ كَبْشٌ، وَقَالَ فُلَانٌ: عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا مِنْ ذُرَةٍ))

[أحمد]

معنى ذلك أنه كان بينهم تعاون إلى أن أصبحت الوليمة جاهزة.

قصة بليغة

ثمة قصة بليغة جداً حول هذا الموضوع، فقد روى الإمام أحمد عن ربيعة الأسلمي قال:

كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ أَلا تَزَوَّجُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَخَدَمْتُهُ مَا خَدَمْتُهُ، ثُمَّ قَالَ لِيَ الثَّانِيَةَ: يَا رَبِيعَةُ أَلا تَزَوَّجُ ؟ فَقُلْتُ: مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ، مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُصْلِحُنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَعْلَمُ مِنِّي، وَاللَّهِ لَئِنْ قَالَ: تَزَوَّجْ لَأَقُولَنَّ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ أَلا تَزَوَّجُ ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ، قَالَ: انْطَلِقْ إِلَى آلِ فُلانٍ حَيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ فِيهِمْ تَرَاخٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فُلانَةَ لامْرَأَةٍ مِنْهُمْ، فَذَهَبْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فُلانَةَ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ وَبِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهِ لا يَرْجِعُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِحَاجَتِهِ، فَزَوَّجُونِي، وَأَلْطَفُونِي، وَمَا سَأَلُونِي الْبَيِّنَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزِينًا فَقَالَ لِي: مَا لَكَ يَا رَبِيعَةُ ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْتُ قَوْمًا كِرَامًا فَزَوَّجُونِي، وَأَكْرَمُونِي، وَأَلْطَفُونِي، وَمَا سَأَلُونِي بَيِّنَةً، وَلَيْسَ عِنْدِي صَدَاقٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بُرَيْدَةُ الأَسْلَمِيُّ، اجْمَعُوا لَهُ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَجَمَعُوا لِي وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ فَأَخَذْتُ مَا جَمَعُوا لِي، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَذَا إِلَيْهِمْ فَقُلْ: هَذَا صَدَاقُهَا، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُلْتُ: هَذَا صَدَاقُهَا، فَرَضُوهُ، وَقَبِلُوهُ، وَقَالُوا: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزِينًا فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ مَا لَكَ حَزِينٌ ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَكْرَمَ مِنْهُمْ رَضُوا بِمَا آتَيْتُهُمْ، وَأَحْسَنُوا، وَقَالُوا: كَثِيرًا طَيِّبًا...

(من سنن أحمد)

جمعوا له، وهذا الذي أتمناه على كل إخوتنا، في مثلِ شابٍ أقدم على الزواج ضمن الإمكانات، يجب أن تقدم له شيئًا ضمن إمكاناتك، عشرة قدموا سجادة، خمسة عشر قدموا برادًا جيدًا، كل إنسان يقدم شيئًا، أنا أكاد أن أقول: هدية الزواج واجبة، واجبة لا مندوحة منها من أجل التعاون.

ماذا ألبسك ؟ الذهب، من الآن الذي يلبِّس الذهب !!!، هكذا الناس الآن، إلى أن جمع ثمن الذهب تكون روحه قد خرجت، وفرح كثيراً، وقدم الإسوارتين، فتقول لها عمتها: من الذي الآن يلبس ذهب، الآن يعتبر الذهب غير كافٍ . ماذا قالوا ؟ قالوا: كثيرٌ طيب.

والله أيها الإخوة الموقف الكامل لا يقدَّر بثمن، شاب فقير خطب، وأخلاقه عالية، ومؤمن، قدم شيئًا، فالمؤمن الكامل يثني على هذا الشيء على طول، والله شيء جميل، الله يجزيك الخير، رائع، جميل، لطيف، هكذا المؤمن، قالوا: كثيرٌ طيب.

((ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَزِينًا فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ مَا لَكَ حَزِينٌ ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَكْرَمَ مِنْهُمْ رَضُوا بِمَا آتَيْتُهُمْ، وَأَحْسَنُوا، وَقَالُوا: كَثِيرًا طَيِّبًا، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُولِمُ، قَالَ: يَا بُرَيْدَةُ اجْمَعُوا لَهُ شَاةً. قَالَ: فَجَمَعُوا لِي كَبْشًا عَظِيمًا سَمِينًا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبْ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْ لَهَا فَلْتَبْعَثْ بِالْمِكْتَلِ الَّذِي فِيهِ الطَّعَامُ . من بيته . قَالَ: فَأَتَيْتُهَا فَقُلْتُ لَهَا مَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: هَذَا الْمِكْتَلُ فِيهِ تِسْعُ آصُعٍ شَعِيرٍ لا وَاللَّهِ إِنْ أَصْبَحَ لَنَا طَعَامٌ غَيْرُهُ . قدمت له الشعير . خُذْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرْتُهُ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَذَا إِلَيْهِمْ فَقُلْ: لِيُصْبِحْ هَذَا عِنْدَكُمْ خُبْزًا، فَذَهَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَذَهَبْتُ بِالْكَبْشِ، وَمَعِي أُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ، فَقَالَ: لِيُصْبِحْ هَذَا عِنْدَكُمْ خُبْزًا، وَهَذَا طَبِيخًا، فَقَالُوا: أَمَّا الْخُبْزُ فَسَنَكْفِيكُمُوهُ، وَأَمَّا الْكَبْشُ فَاكْفُونَا أَنْتُمْ، فَأَخَذْنَا الْكَبْشَ أَنَا وَأُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ، فَذَبَحْنَاهُ، وَسَلَخْنَاهُ، وَطَبَخْنَاهُ، فَأَصْبَحَ عِنْدَنَا خُبْزٌ وَلَحْمٌ، فَأَوْلَمْتُ، وَدَعَوْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي أَرْضًا...))

هكذا فعل النبي ﷺ ، فلا شيء عنده، أمره: اخطبْ من بيت فلان، واجمعوا له المهر، واجمعوا له ثمن الوليمة. إخواننا الكرام... الذين يبحثون عن السعادة والله لو عرفوا أن هذه السعادة في إكرام الناس لسعدوا أضعافًا مضاعفة مما لو استهلكوا هذا المال في شهواتهم ومتعهم، فالذي يعطي يشعر بسعادة كبيرة جداً.

مسؤولية أولي الأمر في تزويج الأبناء

بقيت فقرة أخيرة في الدرس: مسؤولية أولي الأمر عن تزويج الشباب.. جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال:

((إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا ؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا ؟ قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا ؟ قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ . النبي ما رضي أن يكون هذا المهر غالياً، أربع أواق من الفضة . مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ، قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ))

(مسلم)

لذلك أعظم النساء بركةً أقلهن مهرا.

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً))

(من سنن أحمد)

طلباتها قليلة.

((كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ ؟ وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ، قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ))

النبي عليه الصلاة والسلام في هذه القصة لا يمثل النبوة، بل يمثل أولي الأمر، فقد هيَّأ له عمل كي يكون قواماً له على الزواج.

إذاً واجب أولي الأمر: تيسير الأعمال، ماذا قال عمر رضي الله عنه ؟ قال: **<< إن هذه الأيدي خُلِقتْ لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية >>.**

توفير فرص العمل من أعظم الأعمال، لماذا كان الربا حرامًا ؟ أنت معك مثلاً خمسة ملايين لو وضعتها في مصرف، وأخذت الفائدة تكفيك مصروف سنة، أما لو أسست بها مشروعاً، فأنت بحاجة إلى محاسب، بحاجة إلى دفتر فواتير، شغلت المطبعة، أنا لا أبالغ أنّ أيّ مشروع مهما كان صغيرًا يشغّل خمسمئة جهة، بحاجة إلى نقل البضاعة، إلى مستودع، إلى أمين مستودع، بحاجة إلى ورق المراسلات، إلى طبع، بحاجة إلى أجهزة اتصال مثلاً.



مرة قرأت عن معمل من معامل السيارات يشغِّل مئتي ألف معمل، لذلك طرحُ المال في الأعمال التجارية والصناعية والزراعية يؤمِّن فرص عمل.

الأخبار بالصحف، يقول لك: هذا المعمل يؤمن خمسمئة فرصة عمل، معنى ذلك أن أكبر مهمة من مهمات أولي الأمر توفير فرص العمل للشباب، فإذا صار للشاب له عمل، وأصبح له دخل يقول لك: أريد أن أخطب، أول عمل بعد العمل يريد أن يخطب، ومعه حق، لكن بلا عمل هذا مشكلة، فمسؤولية أولي الأمر في توفير الأعمال.

هناك قصة مهمة جداً، سيدنا عمر رضي الله عنه أعطى ابنه من بيت مال المسلمين، وليس كعمر إنسان بورعه، ومع ذلك رأى أن واجب أولي الأمر أن يعينوا على تزويج الشباب، فقد روى أبو عبيد القاسم عن عاصم بن عمر رضي الله عنه، قال: **<< لما زوجني عمر . أي أبوه . أنفق علي من مال الله شهراً، ثم قال: يا يرفأ احبس عنه، ثم دعاني، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني لم أكن أرى أن هذا المال يحل لي إلا بحقه، ولم أحرمه عليك حين وليت هذا الأمر، وقد أنفقت عليك من مال الله شهراً، ولن أزيدك عليه >>.**

فسيدنا عمر رأى أن من واجبه أن يزوج ابنه من بيت مال المسلمين، وقد أنفقت عليك من مال الله شهراً، ولن أزيدك عليه، أي أنه أعانه، إذاً هذا الشيء يجب أن يكون لكل شباب المسلمين، إذاً من واجب أولي الأمر الدعم المادي المباشر، إما توفير الأعمال أو الدعم المادي المباشر.

هناك قصة أخرى، سيدنا عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وهو بالعراق: << أن أخرج للناس أعطياتهم، فكتب عبد الحميد: " إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال . أي أنه أعطى رواتب لكل الموظفين . فكتب إليه: " انظرْ كلَّ من أدان من غير سفهٍ، ولا سرفٍ فاقضِ عنه . كل إنسان غارم استدان مبلغًا من المال من غير سرفٍ، ولا سفهٍ فاقضِ عنه . فكتب إليه: " أني قد قضيت عنهم وبقي في بيت المال مالٌ، فكتب إليه: انظرْ كل بكرٍ ليس له مالٌ فشا . أي نما . فزوِّجه، فزوجت الشباب والفتيات >>. هذا توجيه من سيدنا عمر.

أولاً: أعطي الأعطيات، ودفع الرواتب، قال له: بقي مال قاله له: اقضِ عن الغارمين من غير سفهٍ ولا سرفٍ، قال له: قضيت عنهم، وبقي مال قال له: زوج الشباب منهم بمال بيت المال.

أيها الإخوة، إلى هنا ينتهي الموضوع اليوم، وهو إزالة العقبات الكبيرة، ومن أكبر العقبات الفقر، ندعم الفقير معنوياً نبيِّن له الآيات والأحاديث، ثم ندعمه مالياً عن طريق والده، وعن طريق مجموع المؤمنين، وعن طريق أولي الأمر.

وفي الدرس القادم نتحدث إن شاء الله عن الفقر المفتعل، الفقر المصطنع، فهذا هو الفقر الحقيقي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-6) : معايير اختيار الزوج والزوجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :



موضوع الزواج من الموضوعات الهامة جداً التي نحتاج فيها إلى توجيهات مستمرة ، ومعايير اختيار الزوج ومعايير اختيار الزوجة ربما كان واضحاً نظرياً لكن على أرض الواقع التطبيقات بل التضييقات هي السائدة ، ولذلك أنتج تأخر سن الزواج عند كثير من الشباب والفتيات أعداداً هائلة جداً من العوانس التي نشهدها في كل عواصمنا العربية ، حقيقة إعادة تفعيل هذه التعليمات النبوية أصبح إلزامياً أو أصبح مهماً جداً لحلّ هذه المشكلات ومحاولة ترميم ما أنتجه البعد عن منهج النبي ﷺ في اختيار الأزواج .

قاعدة جامعة مانعة لأسباب الشقاق بين الزوجين :

إن أردت قاعدة جامعة مانعة لأسباب الشقاق بين الزوجين هذه الكلمة :

((ما تواد اثنان، ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أحمد عن ابن عمر]

فأنا أقول : في كل مأساة بين زوجين ابحث عن المعصية من الزوج أو من الزوجة أو من كليهما ، لأن هذا العقد مبارك ، هذا ميثاق غليظ باركه الله عز وجل :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم : 22]



ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما

﴿ وَمِنْ آيَاتِه اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾

[سورة الروم : 21]

تيسير أمر الزواج :



بركة المرأة قلة مهرها ، أنا أبيع وأشتري بالزواج أنا تاجر ، هذا الزوج قيمه ومبادئه اشتريتها ، ما اشتريت ماله اشتريت مبادئه وقيمه ، لذلك قالوا : زوج ابنتك للمؤمن إن أحبها أكرمها ولا سمح الله ولا قدر إن لم يحبها لم يظلمها .

عظمة هذا الدين أنه مبني على الوازع الديني :

نحن عندنا وازع وعندنا رادع ، عظمة هذا الدين مبنية على الوازع ، الرادع قد يخرق، فحينما تضع إشارات مرور، وتضع رادر يكشف السرعة الزائدة ، فما دام هناك رادار هناك انضباط ، لو استطعنا أن نكتشف الرادر قبل وقت نرفع السرعة إلى أعلى درجة ، إذاً الحياة الدنيا إما أن تقوم بوازع من الداخل ، أو برادع من الخارج ، لذلك سيدنا عمر أراد أن يمتحن راعياً ، فقال له : بعني هذه الشاة وخذ ثمنها ؟ قال: ليست لي ، قال : قل لصاحبها ماتت ؟ قال: والله إنني لفي أشدّ الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله؟!.




الحياة الدنيا إما أن تقوم بوازع من الداخل أو برادع من الخارج

أقول : هذا الراعي لم يحصّل شهادات عليا ، ولا عنده مكتبة عامرة ، ولم يحضر دروس دين ، هذا الأعرابي وضع يده على جوهر الدين ؛ ولكن أين الله ؟ ففي اللحظة التي يقول فيها الإنسان : أين الله ؟ فهو مؤمن ورب الكعبة ، لأن أي شيء ممكن أن تتحايل عليه ، فلذلك قضية الزواج قضية مصيرية ، والبطولة أن هذه أم أولادك، وهذا والد أولادك ، أيتها المرأة نقول: البطولة في الزوجين بعد الإنجاب أن يضعا حظيهما من الزواج تحت أقدامهما .

الحقيقة أكبر انحراف في اختيار الزوجة بعد أن أبعدنا الشروط الصحيحة إعلاء شرط واحد ألا وهو الجمال ، وأكبر انحراف في اختيار الزوج أننا أهملنا كل التعليمات النبوية واهتممنا فقط بشرط واحد وهو المال ، الحقيقة هذا الانحراف يحتاج إلى جهود كبيرة لإعادة رسم خطوطه الصحيحة ، والعودة إلى النبي ﷺ ، نريد أن نتبين هل هذا في نطاق المباحات أن نركز فقط بالنسبة للزوج على المال ؟ وأركز فقط بالنسبة للزوجة على الجمال ؟ هل هذا من المباحات ؟ لماذا يلام الإنسان إذا فكر بهذه الطريقة ؟



أكبر انحراف في اختيار الزوجة والزوج الاهتمام بشرط الجمال والمال

الأمة العاقلة أمة تهتم بتزويج شبابها :

والله أنا أرى رؤية شخصية أن هؤلاء الشباب قوام الأمة ، الشباب والشابات قوام الأمة ، و لهم طلبات متواضعة جداً ، ما من شاب في الأمة إلا له ثلاثة طموحات ؛ فرصة عمل وزوجة ومسكن ، حينما نهتم بتأمين فرص عمل لهم ، وتأمين مساكن ولو شعبية صغيرة ، وتأمين زواج ، نكون قد لبينا حاجاتهم الكبرى ، أما إذا لم تلبَّ هذه الحاجات ، الشاب إن لم يجد فرصة عمل ، ولا بيتاً يسكنه ، ولا زوجة تؤنسه ، دخل في التطرف ، التطرف نوعان ؛ تطرف تفلتي إباحي تشددي التكفير ثم التفجير ، نحن حملناه على ذلك ، فالأمة حينما تهتم بتزويج شبابها أمة عاقلة ، وتسعى لبناء ذاتها بناء عظيماً .



(لابد من الاهتمام بالشباب بتأمين فرص عمل ومساكن وزواج

في القرآن الكريم يقول الله تعالى :

﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

[سورة النور: 32]

تيسير الزواج و هو أمر إلهي موجه لأولي الأمر :



﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾

[سورة النور: 132]

أمر إلهي ، و كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، وهذا الأمر موجه لأولي الأمر ، مثلاً تيسير البيوت بتقسيط مريح ، تأمين فرص عمل ، فلا بد أن تتدخل الدولة لتيسير الزواج وإلا كانت فتنة، والله مرة سمعت عن بلدة عربية إسلامية عدد

بيوت الدعارة رقم فلكي ، طرق الزواج مغلقة .

الانحراف لم يصل إلى هذا الحد التفلتي ، ولكن الانحراف في غاية الخطورة وهو تفلتي كذلك ، ولكنه على ألسنة بعض من ينتسبون للعلم ، فقد درس بعض الباحثين أنواعاً كثيرة للزيجات التي ظهرت في العقود الأخيرة مثل الزواج فريند ، هناك محاولات لتشويه هذه الرابطة حتى تصبح لتنتقل من حالة تأبيد إلى توقيت ، أو يصبح الزواج لثلاث ساعات أو ربما علاقة بائدة .

محاولات لتشويه الرابطة الزوجية :


الرابطة الزوجية ما لم تكن على التأبيد فالزواج باطل

هذا اجتهادي ويقيني والله أعلم ؛ ما لم يكن على التأبيد الزواج باطل ، ممكن أن يصير طلاقاً ما كان في الأصل ، أما حينما يطلق الإنسان وهو ناوي التأبيد لا يوجد مشكلة ، يكون في شيء لم يكن ظاهراً ، أما حينما يتزوج ليطلق فهذه مشكلة كبيرة جداً ، هذا غدر ، ومن يرضى لابنته أن يكون زواجها مؤقتاً ؟ لا أحد يرضى ، وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك .

الزواج هذا الرابطة العظيمة يجب أن تقوم على أسس ثابتة ، وربما الحديث عن المال وعن أهميته لا يكفي لاختيار الزوج ، لأن الأصل هو استخدام المال لا وجود المال ، فكم من غني حارس لماله وليس مستمتعاً به ؟! لذلك الحديث :

((إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه ...))

[الترمذي عن أبي هريرة]

الزواج رابطة عظيمة تقوم على أسس ثابتة :

زوج أراد أن ينصح زوجته في الخطبة قال : إن في خلقي سوءاً ، أجابته إجابة مذهلة ، قالت : إن أسوأ خلق منك من حاجك لسوء الخلق .



الزواج رابطة عظيمة تقوم على أسس ثابتة

الحقيقة أنا أجتهد وأقول : إذا كان الإيمان متوافراً للزوجين فالقضية سهلة جداً ، الزواج الإسلامي الصحيح الله بين الزوجين ، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، مثل هذا الزواج وجد ليبقى ، ما دام الطرف الأول يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، والطرف الآخر يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الأول فمثل هذا الزواج بني ليبقى .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : أحكام الزواج

الدرس (1 – 3) : أنواع الزواج

الدرس (2 – 3) : نكاح غير المسلمات

الدرس (3 – 3) : شروط الزواج

الفصل الثالث : أحكام الزواج

الدرس (1 – 3) : أنواع الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة تذكيرية:

أيها الإخوة الأكارم، في الدرس الماضي بدأنا موضوع الزواج، وكنت قبل أسابيع عدة عالجنا موضوع فقه المال، والذي أراه أن أخطر موضوعين يمسان كل إنسان من دون استثناء، كسب المال وموضوع الزواج، وإن تسعة أعشار المعاصي من كسب المال ومن علاقة الرجل بالنساء.

وقد تحدثنا ملياً عن طرق كسب المال، وعن الطريق المحرمة، وعن الطريق التي أراده الله عز وجل، وانتقلنا إلى موضوع الزواج.

حاجة الناس إلى موضوع الزواج:

قد يقول قائل: إن موضوع الفقه موضوع جاف، حقيقة موضوع الفقه موضوع جاف، وموضوع شائك، يكون جافاً إذا عالج موضوعات بعيدةً عن حياة الناس، مثلاً: موضوع العبيد والإيماء، الآن لا يوجد شيء من هذا، موضوع بعيد عن حياتنا، وعن واقعنا، وعما يحيط بنا، هناك موضوعات في الفقه كثيرة جداً، إذا عالجتها يشعر الناس أنهم ليسوا بحاجة إليك، لكن هناك موضوعات الناس جميعاً في أمسّ الحاجة إليها، لأنه لا يخلو إنسان إن كان شاباً هو في طريق الزواج، وإن كان متزوجاً بإمكانه أن يحسن علاقته الزوجية، يرفع من مستواها، بإمكانه أن

يحل المشكلات القائمة بينه وبين زوجته، لأنه إذا رجع إلى الله عز وجل، ووقف عند حدوده صار زوجاً ناجحاً، وإذا عرفت زوجته ربها ووقفت عند حدوده أصبحت زوجةً ناجحة .



والحقيقة انه لا يوجد قرار يتخذه الإنسان في حياته أخطر من قرار زواجه، لأن أي شيء آخر غير الزوجة يكون التبديل والتغيير فيه سهلاً، هذا البيت غير مناسب يباع، هذه المركبة غير مناسبة تباع، هذه الحرفة غير مناسبة تستبدل، لكن الزوجة شريكة الحياة، وأم الأولاد، وعلاقات وفي بناء، هذا الطفل هذه أمه، وهذا أبوه، فإذا افترقا مزّق الطفل تماماً، فما قولك بإنسان ربطت يده ورجله في مركبة، ومركبة في مركبة، والمركبتان تباعدتا عن بعضهما البعض، صدقوني هذا المثل لا يبتعد كثيراً عن الطلاق، فالبناء يتمزق، هذا أبوهم، وهذه أمهم، وقد افترقا، لذلك الطلاق يهتز له عرش الرحمن، لأنه تهديم أسرة، وتشريد أولاد، وتقطيع أوصال، وما دام الطلاق بهذه الخطورة فينبغي أن يكون الزواج في تأنٍ كثير، بدراسة طويلة، ببحث عميق، بحث دقيق، بتريث، بسؤال، لذلك يعد موضوع الزواج، وموضوع كسب المال من أخطر الموضوعات التي يعالجها الفقه الإسلامي، لأن كل واحد من الحاضرين، وأنا معكم إن كان أعزب مقدم على زواج يحتاج إلى نور، كيف يختار الزوجة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

الزوجة إما أن تكون مصدر سعادة لا حدود له لزوجها وأولادها، وإما أن تكون مصدر شقاء لا حدود له لزوجها وأولادها، إذاً أخطر ما في الزواج حسن اختيار الزوجة، الآن فلان تزوج، إذا كنت متزوجاً هذا الموضوع يفيدك في تزويج بناتك، وفي تزويج أولادك، وإذا كنت متزوجاً فهذا الموضوع يفيدك في رفع العلاقة الزوجية من علاقة رتيبةٍ لا معنى لها، من علاقة مصلحية إلى علاقةٍ مفعمةٍ بالود، كل هذا يرفع، لذلك هذا الموضوع من الموضوعات الخطيرة في حياة المسلمين.

وهناك عامل آخر، هو أن الذي يدعو إلى الله عز وجل شاء أم أبى تعرض عليه مشكلات إخوانه، أعجبه أم لم يعجبه، هذا قدره، فالأخ الذي له من يعلمه، وهذا مرجعه، يا سيدي، هكذا حصل معي البارحة، حصل بينهما خلاف، تفعل معي هكذا، وقد يأتي والد الزوجة يتحدث حديثاً مخيفاً عن الزوج، وعن فظاظته، وقسوته، وعن، وعن، هذه المشكلات ترجع في أغلب الأحيان إلى مخالفة الشرع في اختيار الزوجة، لذلك أيها الشباب هذا موضوع دقيق جداً.

مرة ثانية أقول لكم: أخطر قرار يأخذه الشباب من دون استثناء قرار الزواج، لأن الزوجة ليس من السهل أن تفارقها، لأنه بينكما أولاد وبناء، وفي الدرس الماضي تحدثنا عن الزواج وعن زواج الجاهلية.

حُكم الزواج:

واليوم درسنا عن حكم الزواج، هناك زواج واجب يرقى إلى مستوى الفرض، وهناك يوجد زواج مستحب، وزواج مباح، وزواج مكروه، وزواج محرم، وكل واحدٍ له وضع خاص، كل واحدٍ له حكم خاص في زواجه، فما الزواج الواجب ؟ ومتى يكون الزواج فرضاً ؟

1 – الزواج الواجب:



قال العلماء: يجب الزواج على من قدر عليه، صحته طيبة، له دخل، وله بيت، أول شرط يجب الزواج على من قدر عليه، وتاقت نفسه إليه، وخشي العنت، مقاومته هشة، ويخاف أن تزل قدمه، ولاسيما الذين يتعاملون في مهنهم مع النساء، فأن تزل قدم هؤلاء احتمال كبير، لذلك من قدر عليه، وتاقت نفسه إليه، وخشي العنت، هذا الإنسان الزواج فرض في حقه، لماذا ؟ لأن الشريعة لها خمسة مقاصد أساسية، والشريعة مصلحة كلها، رحمة كلها، عدل كلها، أول مقصد صيانة الدين هذا، أول مقصد في الحياة، ومن صيانة الدين الزواج، لأنه إذا زلت قدم الإنسان سقط من عين الله، ولأن يسقط من السماء إلى الأرض أهون

من أن يسقط من عين الله، وإذا زلت قدم الإنسان، وشعر أن بينه وبين الله حجباً كثيفة يوشك أن يضل وتحبط معنوياته.

أنا أعلم أن بعض الشباب الذين زلت أقدامهم يتمنون أن يجلدوا في المسجد، لعل الله يغفر لهم، لا أحد يهون من مغبة الانحراف، إذا زلت قدم الإنسان شعر أن بينه وبين الله حجباً كثيرةٍ، وأن التوبة أصعب عليها من كل شيء، لذلك صيانة النفس من معصية الله، ومن زلة القدم هذا مقصد كبير يهون أمامه كل مقصد، لذلك الزواج الواجب، وهذا الكلام بحق الشباب، وبحق الآباء، أقول هذا الكلام مرات عديدة، لأنّ الآن نظراً لما يطفح به الطريق من فساد ومن فتن، ومن نساءٍ كاسيات عاريات، من نساءٍ يبرزن كل ما عندهن في الطريق لهؤلاء الشباب، الأب الذي بإمكانه أن يزوج ابنه، ولا يزوجه إمساكاً وحرصاً، إذا زلت قدم ابنه أقول لكم ولا أبالغ: والله الذي لا إله إلا هو إن زلة قدم ابنه في رقبته يوم القيامة، وربما قال الابن: يا رب، إن أبي كان قادراً على تزويجي، قادراً على أن يحصنني، يا رب لا أدخل النار قبل أن أدخل أبي قبلي، الذي عنده فتاة، وبإمكانه أن يساعد شاب بتأمين مأوى لهذا الشاب إذا تزوج هذه الفتاة فلم يفعل قوى، في نفس ابنته الانحراف، وهو لا يدري، وهو لا يريد، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة النور)

يجب أن يكون في ذهن أي أب أن يزوج أبناءه وبناته، أن يقدم ما يستطيع، هذا أعظم عمل، والأبوة الكاملة تؤهل الإنسان لتدخله الجنة، الزواج فرض على من قدر عليه، وتاقت نفسه إليه، وخشي العنت، هذا الإنسان الزواج فرض في حقه، لماذا ؟ لأن إعفاف النفس، وتحصينها من المعصية مقصد أساسي من مقاصد الشريعة، ولا يتم إحصان النفس ولا يتم إعفافها، ولا يتم للرجل غض بصره إلا بالزواج، كما ورد في بعض الأحاديث مِن قَوْلِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، لأَنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَهَلْ يَتَزَوَّجُ مَنْ لا أَرَبَ لَهُ فِي النِّكَاحِ))

[مسلم]

لذلك الآباء والأمهات والشباب يجب أن يكون هذا ماثلاً أمامهم، أما إذا تاقت نفسه إلى الزواج، وعجز عنه، وخاف العنت ماذا يفعل ؟ هذا قدر الله سبحانه وتعالى، ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة النور)

ما حكمُ من تاقت نفسه للزواج ولم يقدر عليه ؟

تاقت نفسه إلى الزواج، وعجز عنه، وخاف العنت، وهو مؤمن، يا رب إن لم تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن، مثل هذا الإنسان عليه أن يصبر، وعليه أن يصوم، لقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ، أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))

معنى هذا أن الشاب إلى أن يتزوج إذا ملأ وقته في الأعمال الطيبة، في حفظ القرآن الكريم، في العلم الشرعي، في طلب العلم الدنيوي، في تحصيل الشهادات، في إتقان الصنعات، يجب على الشاب المؤمن أن يملأ وقته بالعمل الدنيوي والأخروي، لأن إملاء هذا الوقت، وغض بصره، والابتعاد عن أماكن الشبهات، ومواطن الفتن، وعن رفقاء السوء، وعن قراءة الموضوعات التي تثير الغرائز، والابتعاد عن أجهزة اللهو، وعن المسلسلات، وعن الاختلاط هذا كله يجعله في حصن حصين، وفي حرز حريز، يجعله في طمأنينة ما بعدها طمأنينة، ومتفرغاً

لبناء ذاته، هذا الحل الثاني، تاقت نفسه إليه، وخشي العنت، ولم يقدر عليه، فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء، هذا الزواج الواجب.

2 – الزواج المستحب:

أما الزواج المستحب، فإن كان تائقاً له، وقادراً عليه، لكنه يأمن على نفسه من اقتراف ما حرم الله عليه، فإن الزواج مستحب له، تاقت نفسه إليه، وهو يقدر عليه، لكن بعيد عن أن تزل قدمه، ولا يخشى على نفسه العنت، مثل هذا الإنسان الزواج في حقه مستحب، لكن هو أولى من التفرغ للعبادة، لأنه سنة، هذه سنتي، فمن رغب عنها فليس من أمتي، هذه سنة الله في خلقه، هي أولى من الرهبانية التي ابتدعها النصارى.

نقطة مهمة جداً في آية دائماً أذكرها، وليس لها علاقة بالزواج، لكن سبحان الله ! كلما أقرأ هذه الآية أشعر أن معناها شامل، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾

(سورة النساء)



إنّ الزوج المؤمن الصادق له أهداف من الزواج نبيلة جداً، أحد أكبر أهدافه إنجاب الذرية الصالحة، أحد أكبر أهدافه أن يكون لك ولد ينفع الناس من بعدك، أن يكون لك ولد يعلم الناس الخير، أن يكون لك ولد يقرب الناس إلى الله عز وجل، لأنّ امتداد الذرية امتداد للآباء، لذلك من أقلّ أهداف الزواج الاستمتاع، لكن أعظم أهدافه الكبرى في نظر المؤمن هي العمل الصالح، الإنسان يتقرب إلى الله بالزوجة الصالحة، بالأخذ بيدها إلى الله عز وجل، بتوجيهها الوجهة الصحيحة، بتربيتها التربية الصحيحة.

روى الطبراني عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال:

((إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنفية السمحة))

[ورد في الأثر]

الرهبانية ليست تقرباً إلى الله عز وجل، الله عز وجل لا يتقرب إليه بالحرمان، ولكن يتقرب إليه بتنفيذ أمره ونهيه، الشقاء أو بذل الجهد، والحرمان ليس مطلوب لذاته، المطلوب لذاته أن تطبق منهج الله عز وجل. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَتَزَوَّجُوا، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأمَمَ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ))

عندنا زواج محرم، وزواج فرض لمن قدر عليه، وتاقت نفسه إليه، وخشي العنت، من تاقت نفسه إليه، وخشي العنت، ولم يقدر عليه فعليه بالصبر والصوم، ومن قدر عليه، وتاقت نفسه إليه، ولم يخش العنت فالزواج مستحب، لكنه أولى من التفرغ للعبادة، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((... أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري]

3 – الزواج المحرَّم:

أما الزواج المحرم فيحرم الزواج على كل رجل يخل بحقوق الزوجة في المعاشرة والإنفاق، الزوجة لها مطلبان أساسيان، المطلب الأول: أن تعاشرها كزوجة، والثاني: أن تنفق عليها، فمن أخل بحقوق الزوجة في المعاشرة والإنفاق هذا حرم عليه الزواج، لأن يفضي إلى ظلم، امرأة تعيش بين أبويها عيشةً رغيدةً هادئةً، طيبةً، فلما أخذتها من بين أهلها، وظلمتها، وقسوت عليها، وحرمتها، وأهنتها، وضربتها، أنت ظلمت، والظلم ظلمات يوم القيامة، أخطر شيء في الحياة أن تكون سبباً لشقاء إنسان، الإنسان بنيان الله، وملعون من أهان بنيان الله، والله

أنا أستمع من بعض الإخوة ممن زوجوا بناتهم لأشخاص ليسوا أكفاء، أستمع عن قسوتهم في المعاملة، وعن وحشيتهم في معاملة الزوجة، وعن ظلمهم لها الشيء الكثير.

هناك أشخاص وحوش، والإنسان من دون علم وحش، إذا تحرك وفق نزواته وشهواته أصبح كالوحش تماماً، قسوة ما بعدها قسوة، قلب كالصخر، كلام أقسى من الحجر، بخل لا يحتمل، بعد عن الله، فظاظة ما بعدها فظاظة، وقد قيل: الزواج رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته.

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((فاطمة بضعة مني، من أكرمها فقد أكرمني، ومن بغضها فقد بغضني))

[الجامع الصغير عن المسور بن مخرمة]



البنت غالية جداً، فإذا كان يسلم ابنته لزوج يضربها، لزوج يجيعها، لزوج بخيل كل الخزن مقفلة، الطعام مقفول عليه فقد أهانها، وما من صفة أشد في الرجل من البخل.

يحرم الزواج على كل رجل يخل بحقوق الزوجة في المعاشرة والإنفاق إذا علم أن الزوج أنه يعجز عن الإنفاق على الزوجة، أو يعجز عن أن يؤدي لها حقها، فالزواج في حقه محرم، وإذا علمت الزوجة أنها لا تستطيع أن تحصن زوجها، ولا أن تقوم بواجباته فقبولها بهذا الزواج فيه حرمة، يجب أن تنصح، وإذا أخفى الإنسان العيب، ثم كشف العيب فهذا تدليس، وهذا تغرير، وهذا كذب، وهذا يستوجب رد الزواج بدعوى التدليس أو إخفاء العيب. أحيانا يكون مرض خطير في أحد الزوجين، أو مرض يمنع الزوج من أن يعاشر زوجته، لكن هناك أشياء بسيطة لا داعي أن تذكر، أما العيوب الخطيرة التي تسبب شقاءً زوجياً فهذه يجب أن تعلم، وإلا كان الزواج محرمًا.

4 – الزواج المكروه:

يكره الزواج في حق من يخل في حقوق الزوجة في المعاشرة والإنفاق، لكن لا يقع ضرراً كبيراً بالمرأة، امرأة غنية ليست بحاجة إلى الزوج، ونفسها لا تتوق إلى معاشرته، فتزوجت، وهو أخل بحقها في المعاشرة وبالإنفاق، لكن هذا الإخلال لطبيعتها ولغناها لن يؤثر فيها تأثيراً بليغاً، فهذا الزواج بحق هذا الزوج مكروه، وليس محرماً، أما إذا انتفت الدواعي والمحظورات فالزواج مباح.

فعندنا خمسة أحكام، الحكم الأول الزواج الواجب والمستحب، والمحرم والمكروه، والمباح، من دون دوافع، ومن دون محظورات مباح، بدافع شديد، وهناك قدرة، وهناك طوق، وهناك خوف العنت فهو واجب، هناك قدرة، وهناك توق، لكن لا يخشى العنت، هذا الزواج مستحب.

هناك فروق فردية أيها الإخوة، الإنسان توقه للنساء، وتوق النساء للرجال فيه درجات، هناك حد إن لم يروَ هذه الرغبة، ربما وقع في الزنا، أو وقعت في الزنا، وهذه درجات، كل إنسان له درجة معينة في هذا الموضوع، وهو أعلم بنفسه، لكن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن التبتل، والتبتل ترك الزواج، والانقطاع للعبادة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ:

((ائْذَنْ لِي أَنْ أَخْتَصِيَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خِصَاءُ أُمَّتِي الصِّيَامُ))

[الجامع الصغير]

هذا تغيير لخلق الله عز وجل، الخالق العظيم خطط، وصمم، وقنن، احترامك لسننه، ولقوانينه، وللفطرة التي فطر الناس عليها، هذا من العبادة، أحد الصحابة أراد التبتل، فنزل قرآن في حقه، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(سورة المائدة)

بالمناسبة، لو فرضنا أن إنساناً تأخر زواجه، أو أن امرأة مؤمنةً كريمةً فاتها قطار الزواج، أو أنها زوجت وطلقت، لكن إذا كانت تعرف الله عز وجل فالله عز وجل يجعل لها من الأنس بقربه ما يغنيها عن الزواج، وليس بيدها،

وهي عليها أن تسعى، فإذا سعت ولم تفلح بالزواج ماذا تفعل ؟ إذا كانت راضية بقضاء الله وقدره ربما كان هذا أنسب شيء لها، والله أعلم، ولو كشف الغطاء لاخترتم الواقع، وسيدنا علي يقول: << والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً >>، يعني لشدة إيمانه بالله عز وجل يقينه قبل كشف الغطاء كيقينه بعد كشف الغطاء، قال تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة)

أحيانا ربنا عز وجل يفرغ هذا الإنسان تفريغاً إجبارياً، وأحيانا يفرغ هذه المرأة تفريغاً إجبارياً، الزواج مشغلة، مجبنة، مبخلة، لا تعرف أين الخير، المؤمن راض بقضاء الله.

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا فليس عنهم معدل وإن عدلوا

والله وإن فتتوا في حبهم كبدي باق على حبهم راض بما فعلوا

أنا علي أن أسعى، فإن فاتتني قطار الزواج ماذا أفعل ؟ أحتسب هذا عند الله، وأشتغل بالصلوات، وقيام الليل، والذكر، وطاعة الله، والدعوة إلى الله، ونشر العلم، فإذا كشف الغطاء كانت هذه المرأة التي فاتها قطار الزواج، واشتغلت بطاعة الله أكرمها الله بجنة عرضها السماوات والأرض، لا تعرف الله عز وجل إذا رحم إنساناً يرحمه، وهو أعزب، فيسعد سعادة تفوق المتزوجين، وإذا رحم امرأةً وهي عزباء، أو وهي عانس، ربما رحمها رحمةً تفوق كل ما رحمت به المتزوجات، فعلى الإنسان أن يرضى بقضاء الله وقدره.

عَنْ سَمُرَةَ

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ))

[الترمذي، ابن ماجه، النسائي]

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(سورة المائدة)

هل يُقَدَّم الزواجُ على الحج ؟!

عندنا بحث صغير جداً، وهو هل يقدم الزواج على الحج، أم يقدم الحج على الزواج ؟ وإذا قلنا: الحج، نقصد به حج الفرض ؟ فإذا لم يتزوج الإنسان، ولا يخاف، ويتحمل المسؤولية، لا يعمل، يخاف من المال الحرام، هذا صار عضواً أشلَّ، صار إنساناً سلبياً، والجنة لا تدخلها إلا بالعمل، والعمل مجاله التعامل مع الناس، لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

((المسلم إذا كان مخالطا الناس، ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم))

[الترمذي، ابن ماجه عن ابن عمر]

فالسؤال الآية الكريمة:

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(سورة النور)

ألا تجدون في المجتمع إنسانًا ملكًا، وعنده زوجة شريرة، أو العكس، امرأة طيبة طاهرة، مؤمنة طائعة لله عز وجل، وعندها زوج كالوحش، فما معنى هذه الآية ؟ وفي المجتمع أمثلة كثيرة ؟ قل: هذه الآية صيغت صياغةً خبرية، لكن المراد منها إنشائي، يعني ينبغي أن يكون الطيبون للطيبات، يا عبادي أنتم خلفائي في الأرض، أنتم مخيرون، دققوا، ينبغي أن يكون الطيبون للطيبات.

أحيانا يكون عند إنسان بنت طاهرة حافظة للقرآن الكريم، متعلمة العلم الشرعي، يخطبها إنسان جاهل، لكنه غني، فيوافق الأب على هذا الزواج، وافق وما علم أن هذا الزواج قطعة من الجحيم، هو يحتقر علمها، ويحتقر دينها، ويحتقر ورعها، ويعاملها بفظاظة، هذه تحتاج إلى إنسان ديّن يعرف قيمة حفظها لكتاب الله، وقيمة دينها، فالكفاءة في الزواج موضوع مهم جداً، لذلك يقدم الزواج على الحج إذا خشي الزوج العنت، وبعض العلماء قال: يقدم على حج الفرض، إذا خاف أن تزل قدمه، لأنه من تزوج ملك نصف دينه، فليتقِ الله في النصف الآخر.



الحقيقة كلما تعقدت الحياة تأخر سن الزواج، وأبناء الريف يتزوجون في العشرينات، أبناء المدن في الثلاثينات، وكلما تعقدت الحياة ارتفع سن الزواج، وكلما ارتفع سن الزواج كثر خطر الفسق والفجور، فلذلك ما من عمل أطيب من الدعوة إلى الزواج في وقت مبكر، وما من سبيل إلى ذلك الزواج المبكر إلا تذليل الصعاب.

مرة قلت لكم: هناك قرية من قرى دمشق أنا أكبرها، هذه القرية اجتمع كبراءها، وقرروا أن مهر البنت في هذه القرية خاتم وساعة فقط، ولا نريد سوى ذلك، وما من عمل أعظم من تسهيل الزواج، ابنتك خطبت لبسها الزوج سوارا رفيعًا فلا بأس، أو خاتمًا رخيصًا فلا بأس، لا تدقق إطلاقاً، الحياة جوهرها الوفاق الزوجي، هذا الذهب لا يقدم ولا يؤخر، أما إذا شرط ثلاثمئة ألف ذهبًا، وغرفة النوم نحن نختارها، فذهبوا، واختاروا غرفة بثلاثمئة وخمسين ألفًا، فهذه العقبات هي التي تدعو إلى إحلال السفاح محل الزواج، وكلما الطلبات كثرت، وتعقدت صار طريق الزواج مسدودًا، ولحم النساء رخيصًا، وكلما رخص لحم النساء غلا لحم الضأن، وكلما قل ماء الحياء قل ماء السماء، هذه قاعدة، أما إذا غلا لحم النساء رخص لحم الضأن، وإذا كثر ماء الحياء كثر ماء السماء، هذه قاعدة، فلذلك هذه دعوة صارخة إلى تخفيف أعباء الزواج، وهناك آية قرآنية تؤكد هذا المعنى، سيدنا موسى حينما تزوج بنت سيدنا شعيب قال تعالى:

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(سورة القصص)

هذه الآية يجب أن تكون شعار كل والد فتاة اتجاه من يخطب ابنته، (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ)، كلما كبر عقل الأب والأم لا يدققون لا بغرف النوم، ولا في الذهب، ولا بموقع المنزل، وكلما صار التعلق بالمظاهر والبعدِ عن جوهر الحياة يصير التدقيق، وينتهي هذا الزواج إلى طلاق، ولا يزال في فترة الخطوبة.

قال أب لصهره: أنا سوف أطلب منك النقد بالتقسيط، فقال له: كيف هو هذا التقسيط ؟ قال له: كل يوم تكلم ابنتي كلمة طيبة، كلامك الطيب، ومعاملتك الطيبة، رحمتك بزوجتك هذا هو النقد الذي تملكه.

هناك أشخاص يضعون عقبات، يضع مهرًا كبيرًا، وهو ليس عقبةً، لأن الزوج الفاسق الفاجر يعاملها معاملة تطلب منه بعد حين أن تعفيه من المهر، ليفتح لها الخلاص، فالمهر ليس عقبةً، ابحث عن زوج مؤمن، إن أحب ابنتك أكرمها، وإن لم يحبها لم يظلمها، المؤمن وقاف عند كتاب الله، المؤمن يخاف الله، يخشى عقاب الله عز وجل.

أحاديث من السنة في اختيار الزوجة:

الآن بعض البنودِ التي وردت عن رسول الله ﷺ في اختيار الزوجة، وهذا كما قلت قبل قليل يتخذه الشاب في حياته.

الحديث الأول:

الشيء الثاني: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، وَلا تَزَوَّجُو هُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ، وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ))

[ابن ماجه]

الجمال مطلوب، لكن إذا تجاوز حداً معيناً يصبح هذا الجمال عبئاً على الزوج، هناك مشكلات، هناك تطلعات، نظرات، قلق، والمقصود لحسنهن فقط، الخرماء هي مشقوقة الأذن، أو مشقوقة الأنف.

هناك شيء سوف أقوله لكم، وهذا لا يعلمه إلا الله، سر المودة بين الزوجين بيد الله، فعندما يختار الإنسان الزوجة المؤمنة، ولو كان مستواها أقلّ من غير المؤمنة، الله عز وجل يخلق الود بينهما، وهذا ليس في يد أحد، وعندما يختار الإنسان الزوجة الأجمل، وأقلّ ديناً يختار هذا الذي يخلقه الله من الود لا يكون بين الزوجين، لذلك يألف جمالها، وتبقى فظاظتها وكبرها، وعنتها وانحرافها، المحصلة سعادة، وهي غير حاصلة.

كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((بارك الله لكم، و بارك عليكم، وجمع بينكما في خير))

[أبو داود، ابن ماجه عن أبي هريرة]

أحياناً يبارك الله عز وجل لكل من الزوجين في صاحبه، ما معنى يبارك ؟ أي ينشر الحب والود، وإنجاب أولاد بركة في البيت ومحبة، وأحيانا تكون مساحة البيت أربعمئة متر، فيه أثاث بخمسة ملايين، ثلاث مركبات على الباب، ولا سعادة فيه، بل هو جحيم، السعادة بيد الله عز وجل، تأتي بالطاعة، إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال للكثيرين من خَلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، حتى الوفاق الزوجي والسعادة الزوجية تحتاج إلى طاعة لله عز وجل.

في كل عقد قران أقول: إذا بني الزواج على طاعة الله، ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه، لا بيت، ولا الدخل كبير، ولا الجمال،، تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، وإذا بني الزواج على معصية الله، ولو توافرت له كل أسباب النجاح تولى الشيطان التفريق بينهما.

فمن يبحث عن السعادة الزوجية فليبحث عنها في طاعة الله، في البيت المسلم، ليبحث عنها في أن يقف كل من الزوجين عند الحدود التي أرادها الله عز وجل، أين الصحابية التي كانت تقول لزوجها: يا فلان، اتق الله فينا، نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام، الآن الزوجة تظل تضغط على زوجها، وتضغط إلى أن يضطر إلى أن يكسب المال الحرام إرضاءً لها، فيفقد دينه وآخرته من أجل زوجته ز

الحديث الثاني:

حديث ثالث، وهذا الحديث رواه ابن حبان:

((من تزوج امرأة لمالها لم يزده الله إلا فقراً))

أحيانا يكون أب البنت غنيًّا، ويطمع الخاطب في مالها، ولا يناله شيء يذكر، تساهل في شروط كثيرة، وغض بصره عن هذا العيب، وعن هذا العيب، وعن قلة الدين، وعن الشكل، وطمع في المال، والمال لم يأتِ، وبقيت

تلك العيوب، هذا معنى من تزوج امرأة لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، هو ارتقى بالزواج بهذه المرأة فسيطرت عليه، من أبوك أنت ؟ وأين كان بيتكم ؟ كل يوم تقول له: أبي، فلا يتحمل الزوج.

ومن تزوج امرأة ليغض بها بصره، ويحصن فرجه، أو يصل بها رحمه بارك الله له فيها، وبارك لها به. أروع شيء في الزواج النية الطيبة، أن تطلب من الله زوجة مؤمنة، لكن أعتقد أنه لا أحد فهم منكم أن الجمال غير مطلوب، والحسب غير مطلوب، لا، هما مطلوبان، لكن أول طلب أن يكون فيها دين، ومع الدين جمال، دين، ومع الدين حسب، أما أن تطلب الجمال وحده والحسب وحده والمال وحده ولا يكون في دين.

الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

الحديث الرابع:

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

ليس أن تكون هي فائقة الجمال، ولكن تعتني بشكلها، بهندامها، أما هذه التي تعتني بمظهرها للناس كلهم إلا زوجها فهذه امرأة ضعيفة الإيمان وزوجها تهمله.

((... إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

يغضب الزوج، ويحلف طلاق، لا يحلو لهذه الزوجة إلا أن تقع في هذا اليمين كي تحرجه، أما المرأة المؤمنة إذا أمرتها أطاعتك، هذه المرأة التي وصفها النبي ﷺ.

والنبي عليه الصلاة والسلام خطب امرأةً اسمها أم هانئ، فاعتذرت، وقالت: إنها صاحبة أولاد، فلعلها تخشى أن لا تقوم بحقه.

الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ))

كثير من النساء عندما يكبر زوجها تهمله، سوف أذهب إلى ابني أزوره سبعة أيام، لا تخبرني بالهاتف، تفتعل الذهاب إلى بلد أجنبي، وتتركه، كلما زاد إيمان المرأة يزداد عطفها على زوجها إذا تقدمت سنه، أما المرأة الدنيوية إذا كان زوجها شاباً تحبه، فإذا تقدمت به السن أهملته.

ثمة رجل خطب امرأة ذات جمال، لكنها عقيم، فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام.

الحديث السادس:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

النبي اختار الولود الودود يعني الذي فيها جمال وسط مع مودة، مع طيب، نظرة حانية، مع طاعة هذا يغلب كل الجمال، أما الجمال البارع، والكلمة القاسية، والنظرة المستعلية، والإهمال الشديد، عندئذ يعاف الزوج هذا كله، ويتمنى أقل منها، ولكنها أحناها عليه.

الحديث السابع:

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))

حق الزوج أن ينظر إلى مخطوبته، والنبي عليه الصلاة والسلام حبذا البكر لماذا ؟ لأن البكر ليس لها تجربة، كل قلبها لزوجها، أما هذه الذي لها خبرة سابقة، تتكلم عن المرحوم في اليوم مئة مرة، تهلكه للزوج، فقال: له هلا بكراً.

الحديث الثامن:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا فَاطِمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّهَا صَغِيرَةٌ، فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ))

موافقة السن مهمة جداً، لا يوجد أعظم من سيدنا الصديق، والتقارب في الزواج شيء مهم جداً، كيف أن الرجل من حقه أن يختار، وللمرأة من حقها أن تختار، قال تعالى:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة البقرة)



إذا خطبت المرأة من الشاب، فعلى الأب أن يخير ابنته، هل تريدينه ؟ وأن لا يضغط عليها، لأنه من حقها أن تقول: لا، هذا مأخوذ من قوله تعالى:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة البقرة)

لذلك الآن لا يتم عقد الزواج إلا إذا سمع الموظف المأذون بأذنه موافقة الفتاة، تقول السيدة عائشة: **<< النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته >>.**

ويقول ﷺ:

((من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها))

[روي في الأثر]

أحيانا يكون الزوج فاسقًا، أهلها ابتعدوا عنها، وسعادة المرأة أن يزورها أهلها، أحيانا يزورها أخوها، يزورها عمها، خالها، سعادة المرأة أن ترى أهلها في بيتها، أما إذا زوّج ابنته من فاسق، والأسرة كريمة كلها تبتعد عنه، والمقاطعة انتقلت إلى الزوجة.

يقول أحد العلماء: " من كان مصراً على الفسوق فلا ينبغي أن يزوج "، إذا كان مصراً على ترك الصلاة، مصر على ارتياد أماكن اللهو، هذا لا يمكن أن يزوج، يقول لك: آدمي، يعني يشبه بني آدم، هذا معنى كلمة (آدمي).

سأل رجل سيدنا الحسن بن علي: **<< إن لي بنتاً، فمن ترى أن أزوجها له ؟ قال: زوجها لمن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها >>.**

يقول الإمام الغزالي: " من زوج ابنته ظالماً أو فاسقاً، أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد جنى على دينه، وتعرض لسخط الله عز وجل، وقطع رحمه ".

آخر فكرة في الدرس أن النبي الكريم قال:

((من جاءه بنتان، فزوجهما أو مات عنهما فأنا كفيله في الجنة))

معنى زواجهما أن يختار لهما الزوج الصالح، أما إن لم يختر لهما الزوج الصالح فلا تنتهي مسؤوليته، يبقى مسؤولا عن كل معصية في بيت ابنته إلى أن يتوفاها الله، أما إذا اختار لها الزوج الصالح تنتهي عندئذ مسؤوليته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 3) : نكاح غير المسلمات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

شرح لبعض مفردات الآية التالية :

أيها الأخوة الكرام: مع الدرس الخامس من: "شرح آيات الأحكام"، والآية اليوم قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة البقرة: 221]

أيها الأخوة الكرام، كما هي خطة الدرس مع مفردات هذه الآية:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾

أي لا تتزوجوا الوثنيات، اللواتي يعبدن الأوثان، والمشركة في التعريف الدقيق هي التي تعبد الأوثان، وليس لها دين سماوي، ومثلها المشرك وقال بعضهم: إن المشركات تعم الكتابيات لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

[سورة التوبة: 30]

إلى قوله تعالى:

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[سورة الطور: 43]

الأمة المؤمنة؛ المملوكة بملك اليمين، وهي التي تقابل الحرة، هذه الكلمة وردت في آية أخرى جمعاً، قال تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة النور: 32]

هذا أمر، لكن العلماء قالوا: هو أمر ندب.

أنواع الأمر في القرآن الكريم :



هناك أمر وجوب، وأمر ندبٍ، وأمر إباحةٍ، وأمر تهديد، أمر الندب أي أن هذه الآية وجهت إلى مجموع الأمة .

إذاً ينبغي أن تعمل الأمة مجتمعةً وأولي الأمر معاً على تزويج كل من لا زوج ولا زوجة له، يعني أي فرد ليس له طرف آخر، امرأة كانت أو رجلاً، فالمرأة يجب أن نعمل على تزويجها، ثيباً كانت أو بكراً، والرجل أرملاً كان أو أعذباً، يجب أن نعمل على تزويجه، والحقيقة العمل على التزويج يكون بتسهيل سبل الزواج، تسهيل سبل الزواج لمن لا زوجة له، أو لمن لا زوج لها، أمر ندب من خلال هذه الآية:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾

[سورة النور: 132]

الأيامى؛ جمع أيم؛ والأيم هو الشخص الذي لا طرف آخر له، شاب أعذب، أيم فتاة عذباء، أيم رجل أرمل، أيم امرأة أرملة، أيم كل رجل لا زوجة له، أو امرأة لا زوج لها، يجب أن نسعى لتزويجه أو لتزويجها، لأن الزواج سنة الله في خلقه هذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾

إذاً يجب أن نسعى جميعاً لتحقيق هذه الآية، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أفضل شفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح))

[أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي رهم السمعي]

الأمة المؤمنة بالله ورسوله أفضل من الحرة المشركة :

الآية أيها الأخوة،

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾



أي: أيها المؤمنون لا تتزوجوا المشركات، إلا أن يؤمن بالله ورسوله، فإذا آمن بالله ورسوله لك الحق أن تتزوجها

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

أي أمة، جارية، مؤمنة بالله، تعرف ربها، تعرف حق زوجها، تعرف حقائق دينها، تتحجب عن الأجانب، تصدق بلسانها، ترعى زوجها، ترعى أولادها، هذه الأمة المؤمنة تأخذ بيد أولادها إلى الله، تأخذ بيد أولادها إلى الجنة، تعين زوجها على طاعة الله، تحصنه، تكون في عونه .

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ﴾

أي مؤمنة بالله وبرسوله أفضل من حرة مشركة، المشركة بجمالها

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

كل المسلمين يقرؤون القرآن الكريم، فإذا قرأ الإنسان القرآن الكريم، وانتهى من قرأته، وقال: صدق الله العظيم، ثم أراد أن يتزوج فبحث عن امرأة ذات منصب، وجمال ولم يعبأ برقة دينها، ولم يهتم بتركها الصلاة، و لم يهتم أنها نشأت في بيت غير مؤمن، في بيت متفلت، هذا الذي يفعل هذا، ويقرأ القرآن الكريم، ما قال حقيقة: صدق الله العظيم، سلوكه لا يؤكد أنه صدق ربه، ربنا عز وجل يقول:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

لأنه: "من تزوج المرأة لجمالها – كما ورد في بعض الأحاديث – أذله الله، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً، فعليك بذات الدين تربت يداك".

من اتخذ قراراً ارتجالاً في ساعة غفلة جرّ عليه متاعب لا تعد و لا تحصى :

أيها الأخوة الأكارم، في الحياة شيء اسمه قرار مصيري، أي قرار تتبعك تبعاته إلى نهاية الحياة، ساعة من ساعات اتخاذ القرار اتخذت قراراً أن تتزوج مشركة، أنت مسافر في بلد غربي تزوجت مشركة، هذا القرار المرتجل ربما جرّ عليك عواقب لا تنتهي إلى نهاية الحياة، لك من هذه الزوجة أولاد، وأولادك شيء ثمين جداً، إنهم فلذات أكبادك، فإذا سلكت في تربيتهم طريقة غير إسلامية لا تحتمل، وإذا أرادت أن تعود إلى بلدها وتأخذهم لا تحتمل، وإذا سايرتهم فيما تفعل لا تحتمل، وإن أقررتها على عملها لا تحتمل، وإن رأيت أولادك يعادونك بسبب توجيهاتها لا تحتمل، وإن رأيت أولادك قد سلكوا ديناً آخر لا تحتمل، فهذا القرار الذي تتخذه ارتجالاً في ساعة غفلة تجر عليك متاعبه متاعب لا تعد ولا تحصى، لذلك ربنا عز وجل يقول:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

لي صديق ذهب إلى بلد شمالي، ودرس هناك الرياضيات، وتزوج من هناك، جاءني مرة مع أولاده إلى المسجد، وعينه مليئة بالدموع قال لي: إنها تربيهم على الإلحاد، ماذا أفعل؟ هي أمهم، والطفل يتعلق بأمه وتأخذهم كل عام إلى بلادها تمضي شهراً أو أكثر، تلقنهم مبادئ الإلحاد، وتربيهم تربية لا تتصل بمبادئ الإسلام، وهو لا يستطيع لا أن يطلقها، ولا أن يبقيها، ولا أن يربي أولاده، ولا أن يهملهم، ولا أن يدعهم.

قرار الزواج هو أخطر قرار يتخذه الإنسان في حياته :

أخواننا الكرام، لعلي لا أبالغ إذا قلت: إن أخطر قرار تتخذه هو قرار الزواج، البيت تبيعه، والحرفة تغيرها، والمركبة تستبدلها، أما الزوجة أم أولادك، أم فلذات أكبادك، فماذا تفعل بها؟ لذلك ربنا عز وجل يقول:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

أي الذي عنده زوجة تعينه على طاعة الله، تطيعه إذا أمرها، تحفظه إذا غاب عنها، تحفظه في نفسها، و ماله، تسره إذا نظر إليها، هذه نعمة كبرى من نعم الله عز وجل، لذلك لا ينبغي أن نفرط بزوجة مؤمنة، ولا أن نستهين بها، ولا أن نقسو عليها، ولا أن نحملها ما لا تطيق، لأننا إذا فعلنا ذلك كفرنا بنعمة الزوجة الصالحة، والدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

زواج الإنسان من فتاة مؤمنة هو أحد أكبر الأسباب التي تقربه من الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام: البارحة زارني صديق، قال لي: خطبت امرأة تروق لي، رأيت من سوء أخلاقها، ومن رقة دينها، ومن تفلتها، ومن هبوط مستوى أهلها ما لا يطاق، و أنا الآن أبحث عن مؤمنة ولا أزيد عليها صفة واحدة، أية فتاة بصرف النظر عن شكلها، وعن قوامها، لا أطالب إلا بصفة واحدة أن تكون مؤمنة، دفع الثمن باهظاً وله منها ولدان، يا أيها الأخوة الكرام: القضية خطيرة جداً، ومصيرية:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

طبعاً كل واحد منكم وأنا معكم حولنا قصص كثيرة جداً عن أناس ذهبوا إلى بلاد الغرب وتزوجوا مشركة، وهم يئنون من الألم، يكاد قلبهم يتفطر من الندم، تكاد نفسهم تنسحق من القهر.

الزوجة المشركة تقود زوجها إلى النار :

إذاً:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

لماذا ؟ قال:

﴿ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾

[سورة البقرة: 221]



هذه الزوجة المشركة تقود زوجها إلى النار، تفلتها، تكشفها، إباحيتها.

لي قريب له ابن درس في بلاد الغرب، وجاء بامرأة، قال لي: و الله الشيء الذي لا أحتمله أن هذه المرأة تحاول أن تمارس حمام الشمس على السطح، والبيوت كلها حولها تشرئب إليها، حمام شمسي شبه عارية، على سطح البناء، وحولها أبنية مرتفعة، والنوافذ كلها مطلة عليها، هكذا، هذه المشركة التي جاء بها ابنه من بلاد الغرب، بلاد الغرب لهم عادات لا يحتملها إنسان مسلم ولا ثانية، أي شيء طبيعي جداً أن تخونه مع أي إنسان آخر، قضية بسيطة وكأنها لم تفعل

شيئاً، ويخونها وكأنه لم يفعل شيئاً، وهناك قصة مشهورة تعد نموذجاً لهؤلاء الذي يعيشون متفلتين من منهج الله. في هذه البلاد البعيدة التي تفلتت من كل منهج سماوي، شاب رأى فتاة أعجبته فاستأذن والده من الزواج منها، قال له: يا بني إنها أختك وأمك لا تدري، فلما رأى فتاة ثانية فأعجبته، استأذن أباه ثانية، قال: لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري أيضاً، فلما رأى فتاة ثالثة أعجبته فاستأذن أباه ثالثة، قال: لا يا بني إنها أختك أيضاً وأمك لا تدري، ضجر الشاب أشد الضجر من والده، فشكا إلى أمه، قالت له: خذ ما شئت ولا تبالي فإنك لست ابنه وهو لا يدري.

هكذا، هكذا يعيشون، سمعت من أحد الأصدقاء عن خبير مقيم في بلدنا، مضى على إقامته سنتان ونصف، أقام حفلة لأصدقائه في العمل بمناسبة أنه أنجب طفلاً، بقي هنا سنتان ونصف أخبرته زوجته أنها وضعت طفلاً، فقالوا له: هذا ليس منك، قال: ليس مشكلة، لقد أنجبت غلاماً وها أنا أدعوكم للاحتفال بهذا الغلام، فوضى لا تنتهي، قلت لكم قبل درسين أو أكثر: في الوزارة البريطانية الجديدة أحد وزرائها وزير الصحة، يقول في مؤتمر صحفي أنه شاذ جنسياً، في مؤتمر صحفي ولا يستحي بذلك، هؤلاء.

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

[سورة البقرة: 221]

أنت كمؤمن عندك شيء واحد يجب ألا يعلو عليه شيء، أي شيء يقربك من الله يجب أن تفعله، وأي شيء يبعدك عن الله يجب أن تتركه، وزواجك من فتاة مؤمنة هو أحد أكبر الأسباب التي تقربك من الله عز وجل.

أسباب نزول الآية السابقة :

هناك بعض العلماء الذين يتحدثون عن سبب نزول هذه الآية، قال: روي أن هذه الآية نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي الذي كان يحمل الأسرى من مكة إلى المدينة، وكانت له في الجاهلية صلة بامرأة تسمى عناقاً، فأتته و دعته إلى الخلوة؟ قال: ويحك إن الإسلام قد حال بيننا، قالت: فانكحني، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد شيئاً، فنزلت هذه الآية:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾

[سورة البقرة: 221]

هذه مشركة، الإمام السيوطي يقول: لا ليست هذه قصة هذه الآية، ولكن سبب نزولها ما روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن رواحه، وكانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع فأتى النبي صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره خبرها، فقال له النبي صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما هي يا عبد الله؟ قال يا رسول الله: هي تصوم، وتصلي، وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله، فقال يا عبد الله: هذه مؤمنة، فقال الصحابي الجليل: والذي بعثك بالحق لأعتقنها، ولأتزوجنها، وفعل، فعابه ناس من المسلمين، فقالوا: نكح أمة وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رغبة في أحسابهن فنزلت هذه الآية، هاتان القصتان وردتا في أسباب نزول هذه الآية.

الفرق بين نكح فلان فلانة و نكح فلان امرأته :

طبعاً لاحظتم في الآية:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾

[سورة البقرة: 221]

أما الثانية:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾

[سورة البقرة: 221]

الحقيقة لا تنكحوا بضم التاء هنا لأنه رباعي، الفعل الرباعي أنكح نكح وأنكح، نكح ثلاثي مضارعه ينكح:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾

[سورة البقرة: 221]



أما أنكح فلان فلانة فصار فعلاً متعدياً رباعياً، مضارعه:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾

[سورة البقرة: 221]

قال:

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

الواو للحال، لو هنا بمعنى إن، وإن أعجبتكم، من لطائف التفسير، المراد بالنكاح هنا العقد بالإجماع، كلمة نكح امرأة أي عقد عليها عقد الزواج، نكح بمعنى عقد، المراد بالنكاح هنا العقد بالإجماع، أي لا تتزوجوا المشركات، والمراد بالنكاح العقد لا الوطء أي إجراء العقد اسمه عقد نكاح، وقيل إنه لم يرد في القرآن الكريم بمعنى الوطء أصلاً، لأن القرآن يكني وهذا من لطيف ألفاظه، قال ابن جني: سألت أبا علي عن قولهم نكح المرأة فقال: فرقت العرب بالاستعمال فرقاً لطيفاً حتى لا يحصل الالتباس، إذا قالوا: نكح فلان فلانة أرادوا أنه تزوجها وعقد عليها، أما إذا قالوا: نكح امرأته، أو زوجته فأرادوا المجامعة، الوطء، فإذا ذكر: نكح فلان فلانة أي عقد عليها عقد زواج، أما نكح امرأته أي اقترب منها.

مراعاة الخلق و الدين في الزواج :



اللطيفة الثانية في قوله تعالى:

﴿ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

إشارة لطيفة إلى أن الذي ينبغي أن يراعى في الزواج الخلق والدين، لا الجمال ولا الحسب و المال:

﴿ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 221]

لأن هذا الشيء الذي يعجب بالمرأة يستهلك سريعاً، وتبقى أصالتها، وأخلاقها، وتربيتها، ودينها، وعفتها، ووفاءها، الشيء الذي يعجب الرجل بالمرأة يستهلك سريعاً، وتبقى الأشياء الأصيلة هي التي تحكم نجاح الزواج، لذلك ورد عن رسول صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ، فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ وَلا تَزَوَّجُوهُنَّ لأمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ، وَلأمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ))

[ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

المغفرة قبل دخول الجنة إلا في الآية التالية من باب مراعاة النظير في البلاغة :

اللطيفة الثالثة: من المعلوم أن المغفرة قبل دخول الجنة، لذلك قال تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[سورة آل عمران: 133]

أما في هذه الآية فقدمت الجنة هنا برعاية مقابلة النار قال تعالى في هذه الآية:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة البقرة: 221]

هنا تأخرت المغفرة على الجنة خلافاً لنظام القرآن الكريم، تأتي المغفرة أولاً ثم الجنة ثانية، هذه مراعاة النظير في البلاغة.

المطابقة و المقابلة :

هناك شيء سادس في هذه الآية ما يسمى بالمقابلة، عندنا مطابقة وعندنا مقابلة، فالمطابقة مثلاً في قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾

[سورة النجم: 43]

هذه مطابقة:

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾

[سورة النجم: 44]

أما المقابلة فتداخل طباقين أو أكثر:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة البقرة: 221]

المقابلة: الأمة يقابلها العبد، والجنة تقابلها النار، هذه المقابلة بالبلاغة، إذاً هناك مقابلة، وتقديم الجنة على المغفرة، في قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا تنكح النساء لحسنهن لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ وَلا تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ، وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ))

والفرق بين نكح بمعنى عقد العقد، ومعنى اللقاء الزوجي.

الأحكام الشرعية لهذه الآية :

1 . يجوز الزواج من الكتابيات :

الآن مع الأحكام الشرعية لهذه الآية: الكتابيات يجوز الزواج منهن، والدليل قول الله عز وجل:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾

[سورة المائدة: 5]

أي أحل لكم أن تتزوجوا:

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾

[سورة المائدة: 5]

ففي نص هذه الآية يجوز الزواج من الكتابيات، لكن هناك سؤال الآن: هل المرأة التي تعيش الآن في أوروبا وأمريكا هل هي كتابية أم وثنية ؟ يغلب على الظن أن انتماء هؤلاء النسوة في الغرب إلى الدين المسيحي انتماء معدوم أو شكلي لذلك هناك فتوى تحرم الزواج من الكتابيات لأنهن لسن كتابيات.

2 . ارتباط هذه الآية بقوة الدين :

الشيء الثاني: حينما كان الإسلام قوياً، هذه الآية مرتبطة بقوة الدين، لأن الابن يتبع أقوى الأبوين، أما إذا كان أقوى الأبوين هي المرأة، ودينها هو المسيطر والأقوى وهو في بلادهم، ففي الأعم الأغلب أن الأبناء ينشؤون على دين أمهم، هذا خطر كبير، عندنا في الفقه حقيقة، هي باب سد الذرائع، أي زراعة العنب لا يمكن أن تكون محرمة، إلا في حالة واحدة إذا زرع العنب ليباع لمعاصر الخمر، عندئذٍ يحرم العنب وتحرم زراعته لا لذاته بل لعلة خارجة عنه هو أنه يزرع ليباع في معاصر الخمر.

إذاً المرأة الكتابية، إذا كان من الممكن أن يتبع أولادها دين أمهم، أو أن يتبع الأولاد دين أقوى الأبوين، أو أن هذه المرأة ليست كتابية إطلاقاً، إنما هي ملحدة، علمانية، وثنية، إذاً هناك تحريم للزواج منهن من باب سد الذرائع. على كلٍّ ابن عمر رَضِي اللَّه عَنْهما ذهب إلى تحريم نكاح الكتابيات، وكان إذا سئل عن نكاح رجل الكتابية؟ قال: حرم الله المشركات على المسلمين، ولا أعرف شيئاً من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى، أو عبد من عباد الله تعالى، أما حجة الجمهور في إباحة الزواج من الكتابية هو أن لفظ المشركات لا يتناول أهل الكتاب لقوله تعالى:

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

[سورة البقرة: 105]

فقد عطف المشركين على أهل الكتاب، والعطف يقتضي المغايرة، أي هؤلاء شيء، وهؤلاء شيء آخر.

الأخطار التي تتأتى من زواج المسلم بكتابية أكبر بكثير من الإيجابيات :

إذاً ظاهر لفظ المشركات لا يتناول الكتابيات، هذه حجة جمهور العلماء، واستدلوا لما روي عن السلف في إباحة الزواج بالكتابيات فقد قال قتادة في تفسير الآية: إن المراد بالمشركات مشركات العرب، اللاتي ليس لهن كتاب يقرأنه، أي وثنيات العرب، وعن حماد قال: سألت إبراهيم عن تزوج الكتابية فقال: لا بأس به، فقلت: أليس الله سبحانه وتعالى يقول: "ولا تنكحوا المشركات"، فقال إنما تلك المجوسيات، وأهل الأوثان، هذا رأي جمهور الفقهاء.

وقالوا: لا يجوز أن تكون آية البقرة ناسخة لآية المائدة، لأن البقرة من أول ما نزل في المدينة، والمائدة من آخر ما نزل، والقاعدة أن المتأخر ينسخ المتقدم لا العكس، هذه حجة أخرى لجمهور العلماء الذين يجيزون الزواج بالكتابيات.

واستدلوا بما روي أن حذيفة تزوج كتابية، فكتب عمر إليه خلِّ سبيلها، فكتب إليه أحرام أن أتزوجها فأخلي سبيلها؟ قال: لكن لا أزعم أنها حرام، ولكن أخاف أن تتعاطوا المنحرفات منهن.

وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، لقوله عليه السلام:" سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ".

أيها الأخوة: موضوع الزواج بالكتابية موضوع خلافي، هناك من يحرم، وهناك من يحلل، ولكل فريق أدلته، إلا أن الذي يهمنا الآن أن الأخطار التي تتأتى من زواج المسلم بكتابية أكبر بكثير من الإيجابيات، أكبر خطر إلا أن الأولاد يتبعون أقوى الأبوين، وربما نشأ الأولاد على دين أمهم، وعلى انحراف أمهم، وهذا شيء خطير.

المشركون الذين يحرم تزويجهم :

من هم المشركون الذين يحرم تزويجهم؟ قال تعالى:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾

[سورة البقرة: 221]

دلت هذه الآية على حرمة تزويج المشرك بالمسلمة، أي المسلمة لا يمكن أن تتزوج بمشرك، والمراد هنا بالمشرك كل كافر لا يدين بدين الإسلام، فيشمل الوثني، والمجوسي، والكتابي، والمرتد عن الإسلام، كل هؤلاء يحرم تزويجهم بالمسلمة، والعلة في ذلك أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فللمسلم أن يتزوج بالكتابية، وليس للكتابي أن يتزوج بالمسلمة، وقد بين الله ﷻ السبب بقوله:

﴿ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾

[سورة البقرة: 221]

أي يدعون إلى الكفر، والذي هو سبب دخول نار جهنم، فالرجل له سلطة وولاية على المرأة، فربما أجبرها على ترك دينها، وحملها على أن تدين بالإسلام، والأولاد يتبعون الأب، فإذا كان الأب غير مسلم رباهم على غير الإسلام، فيصير الولد تابعاً للأب، وهذه مشكلة كبيرة، طبعاً هذه الحجة بالإجماع لا يجوز للمسلمة أن تتزوج لا بكافر، ولا بوثني، ولا بكتابي، ولا بمرتد، لأن للزواج نظاماً، الرجل هو الأقوى، وهو المسيطر، لو أن الأقوى هو المسلم ربما حمل امرأته على الإسلام، أو ربما ربى أولاده تربية إسلامية، وفي الأعم الأغلب قد لا يستطيع، فكيف بالعكس؟ لا يجوز إطلاقاً.

عندنا نقطة دقيقة جداً هي أن المسلم يؤمن بسيدنا موسى، ويؤمن بسيدنا عيسى، ويعظم سيدنا موسى، ويعظم سيدنا عيسى، لذلك لو أن مسلماً تزوج كتابية، ليس هناك تناقضاً، هو يؤمن بالأنبياء الذين جاؤوا بالتوراة والإنجيل، بينما هي لا تؤمن بالذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، أي اختلاف الدين، إذا كان الزوج غير مسلم فهناك أذى كبير أما العكس فليس فيه أذى، لأن المسلم يؤمن بدين زوجته، وبنبي زوجته، إذاً يحترمها من جهة، وهو القائد، وهو صاحب القوام.

خمسة أحكام مستنبطة من الآية التالية :

نصل من هذا الدرس إلى هذه النقاط التالية:

أولاً: حرمة الزواج بالمشركة الوثنية التي ليس لها كتاب سماوي.

ثانياً: حرمة تزويج الكفار من النساء المسلمات، أيضاً هذا حرام.

ثالثاً: إباحة الزواج من الكتابية إذا لم يخش الضرر على الأولاد، أي عندنا إباحة وعندنا سد ذرائع، إذا أدى الزواج بالكتابية إلى ضياع الأولاد، وإلى انحرافهم، وإلى اتباع دين أمهم، لا يجوز.

رابعاً: التفاوت بين الناس بالعمل الصالح فالأمة المؤمنة أفضل من الحرة المشركة.

خامساً: المشرك يجهد نفسه لحمل المؤمنة على الكفر بالله فلا يليق أن يقترن بها.

هذه خمسة أحكام مستنبطة من هذه الآية التي هي قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة البقرة: 221]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 3) : شروط الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريم الزواج بالمشركة :

أيها الأخوة المؤمنون : وصلنا في الدرس الماضي في موضوع الزواج إلى المحرمات مؤقتاً من النساء . من هذه المحرمات مؤَقتاً المشركة ، اتفق العلماء على أنه لا يحل لمسلم أن يتزوج من الوثنية ولا الزنديقة ، ولا المرتدة عن الإسلام ولا عابدة البقر ، ولا المعتقدة بمذهب الإباحة أي هذا اللانمطي ، اللاديني ، الذي لا يؤمن بشيء ، ويفعل كل شيء ، هذه الإباحية ، من تعتقد بمذهب الإباحية لا يحل لمسلم الزواج منها .

فالوثنية من تؤمن بالوثن ، من تعبد صنماً ، والزنديقة التي تنكر الأديان السماوية، والمرتدة التي أسلمت ثم كفرت، وعابدة البقر والمعتقدة لمذهب الإباحة كالوجودية ، ونحوها من مذاهب الملاحدة ، هؤلاء النساء كلهن لا يحل لمسلم الزواج منهن . ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

[سورة البقرة : 221]



أي الزوج أم الزوجة إن كانا مؤمنين بالله فهما يدعوان إلى الله والدار الآخرة وإلى الجنة ، وإن كانا على خلاف ذلك ، إن كانت امرأة دعت زوجها إلى جهنم ، وإن كان رجل دعا زوجته إلى جهنم .

الحقيقة هناك سبب أو علة بليغة لتحريم الزواج بالمشركة ، هذا الإنسان الذي لا دين له . . ماذا يفعل الدين ؟ الدين فيه مجموعة أوامر ومجموعة نواه ، فيه نظام ، فيه ما يجوز وفيه ما لا يجوز ، فيه ما هو مباح وفيه ما هو غير مباح ، فاللاديني لا يحرم شيئاً ويبيح لنفسه كل شيء ، أي اللاديني قد يقارب امرأته في أثناء الحيض ، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[سورة البقرة : 222]

خطر في بالي مرةً أن بحثاً عليماً قيماً يمكن أن يُبحث فيه وهو تقصي علل الأوامر والنواهي في القرآن الكريم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة : 183]

هذه العلة ، السبب ، الهدف . .

﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾

[سورة البقرة : 222]

فالزوج المشرك أو المرأة المشركة لا ترحم حلالاً ، ولا تفعل شيئاً مما يأمر الله به . هذه العلة ، فالإنسان الذي لا دين له ، لا كتاب سماوي لديه ، لا يخاف من الله ، لذلك جاء في الحديث القدسي : " ياموسى خف ثلاثاً ؛ خفني ، وخف نفسك ، وخف من لا يخافني " .

هذا الذي لا يخاف الله يخيف ، ليس عنده رادع ، ليس عنده شيء لا يجوز ، ليس عنده شيء حرام ، ليس عنده شيء مخالف للإنسانية ، للرحمة ، للقيم . دابة فلتانة .

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف : 28]

علة الزواج بكتابية :

أما الكتابية فشيء آخر ، الكتابية تؤمن بالله ، تؤمن بكتاب مقدس نزل على سيدنا عيسى ، تؤمن بشيء لا يجوز وشيء يجوز ، فالكتابية شيء ، والمشركة شيء آخر ، ولا يُجمع بينهما لأن الله سبحانه وتعالى سمح للمؤمنين بالزواج من الكتابية لعلة سوف نراها .

يحل للمسلم أن يتزوج الحرة من نساء أهل الكتاب .

الحقيقة يوجد آيتان ، آية تبيح وآية لا تبيح ، وبعضهم جمع بينهما ، لأن هناك حالات تبيح ، وهناك حالات لا تبيح ، أي إذا كان دين الكتابية أقوى من دين المسلمين ، فالأولاد يأتون لأقوى الأبوين ، فإذا كان الدين المسيحي أقوى من الإسلام في العالم ، وله مركز الصدارة ، فأولاد الزوجة الكتابية يميلون لأقوى الأبوين ، أو لدين أقوى الأبوين ، أو للدين الأقوى، ففي هذا الظرف لا ينبغي للمسلم أن يتزوج بالكتابية لأنه إذا تزوج بالكتابية نشأ الأولاد على حب غير المسلمين .

شيء عانيته بنفسي ، زرت صديقي ، هو متزوج من كتابية رأيته يلح على أولاده لحضور خطبة الجمعة في هذا المسجد إلحاحاً غير طبيعي فلما سألته عن السبب ، قال لي: أولادي على دين أمهم ، يميلون إلى أمهم . حتى طالب كان ديانته الإسلام ، أدى الفحص تربية مسيحية بالشهادة الثانوية بتوجيه أمه ، أي إذا الإنسان تزوج كتابية في هذا الزمان فهناك احتمال كبير أن يكون الأولاد على دين أمهم . أما إذا كان الإسلام هو الأقوى ، وهو الأعز . الإسلام عزيز دائماً ، لكن المسلمين هناك مراحل يكونون فيها في مركز الصدارة ، وفي مركز القوة ، و مراحل أخرى ينتابهم الضعف ، فإذا كان الإسلام هو الأقوى ، وهو مركز الصدارة ، ويُدار به دفة العالم لا مانع من أن تأخذ كتابية لأنها سوف تسلم قطعاً ، دينك هو الأقوى .

هناك شيء آخر : الإسلام حكيم إلى أبعد الحدود ، حينما سمح للرجل المسلم أن يتزوج من الكتابية فلأن في الزواج علاقات متينة جداً ، هذه العلاقات المتينة تكون عن طريق الزواج ، فلعل هذه المرأة الكتابية إذا تزوجها المسلم وصار بينه وبين أهل زوجته خبز وملح كما يقولون وزيارات وأخذ وعطاء ، ربما كان هذا المسلم سبباً في هداية هؤلاء جميعاً ، في هداية زوجته وأهل زوجته . أي لابد من هدف أخلاقي سامٍ حينما يقرر الرجل المسلم الزواج من الكتابية لسبب عالٍ ، لسبب وجيه ، أن يأخذ بيدها ، أو أن يكون هذا الزواج سبباً لهداية أهلها ، أو

إذا كان دينه هو الأقوى . أما في بعض الحالات فلا ينبغي للمسلم أن يأخذ الكتابية بسبب أن الأولاد قد ينشؤون تنشئة لا ترضي الأب ، وهذا ما يحصل كثيراً ، كثيرون هم الأشخاص الذين تزوجوا كتابية ففي ليلة لا قمر فيها كما يقولون افتقد الزوجة فإذا هي في بلدها وقد أخذت الأولاد معها .

تحريم زواج المسلمة بغير المسلم :



أما زواج المسلمة بغير المسلم فهذا لا يجوز قطعاً ، هناك حكمة بالغة ، لأن للرجل القوامة ، الرجال قوامون على النساء ، مسلمة تخاف من الله ، تحب أن تطيع الله عز وجل ، يأتي زوجها غير المسلم فيأمرها بالفجور ، لا يمكن هذا ، يأمرها أن تختلط مع الرجال، يأمرها بما لا يرضي الله ، قد يعاملها معاملة خلاف الشرع ، لذلك إذا أبيح للمسلم أن يأخذ الكتابية فلأن القيادة بيده ، أما لا يباح للمسلمة أن تتزوج الكتابي إطلاقاً كيفما كان دين هذا الكتابي ضعيفاً كان أو قوياً لأن القيادة بيده ، والولاية له ، والقوامة عائدة للزوج ، فقد يأمرها وكثيراً ما يأمرها بما يغضب الله عز وجل .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾

[سورة الممتحنة :10]

هذه الآية مدلولها قطعي في تحريم زواج المسلمة بغير المسلم .

تعدد الزوجات :

أما الزيادة على الأربع فطبعاً ربنا عز وجل قال :

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾

[سورة النساء : 3]



طبعاً منطوق هذه الآية مثنى وثلاث ورباع ، بعضهم أصلحهم الله فهم هذه الآية فهماً على خلاف اللغة ، مثنى وثلاث أي اثنتان زائد ثلاث صاروا خمس ، ورباع زائد أربع صاروا تسع ، بعضهم فهم مثنى على اثنتين اثنتين أي أربع ، وثلاث ست صاروا عشر ، ورباع ثماني صاروا ثماني عشرة . طبعاً لغة العرب واضحة كالشمس ، العرب ليس من عادتهم ولا في لغتهم أن تعبر عن التسعة بكلمة اثنتين ، ثلاث ، أربع ، ما أحد فعلها إطلاقاً ، هذا الأسلوب ليس وارداً في لغة العرب إطلاقاً ، أما مثنى وثلاث ورباع أيضاً مثنى مثنى ، ثلاث ثلاث ، رباع رباع ، إذا أردت التكرار تكرر .

الشيء الرابع الواو هنا للتخيير ، ولكن لو استخدمنا حرف أو بدل الواو ماذا ينتج عن هذه الآية ؟ لا يحل لمن عنده اثنتان أن يقترن بالثالثة ، مثنى أو ثلاث أو رباع ، لو استخدمنا أو فهذه للتخير ، ولا يجوز الجمع بينهما ، إما اثنتان وإما ثلاث ، أما كان عنده اثنتان فصاروا ثلاث ، لذلك لا ينبغي أن تكون هذه الآية بهذا الشكل ، هي أوضح شيء مثنى وثلاث ورباع ، فقال الإمام الشافعي : بلغ سنة رسول الله ﷺ أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع أكثر من أربع نسوة ، وهناك أدلة أخرى . النبي الكريم قال لغيلان بن أمية الثقفي وقد أسلم وتحته عشر نسوة اختر منهن أربعاً وفارق سائرهن ، وفي كتاب أبي داود عن الحارث بن قيس قال : أسلمت وعندي ثماني نسوة ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ قال : اختر منهن أربع . إذاً لا يجوز الاقتران بأكثر من أربع نساء في حكم الشرع ، أما في هذه الأيام فالواحد ليس بمقدوره أن يأخذ أكثر من واحدة .

وسوف ننتقل إن شاء الله إلى موضوع العدل بين الزوجات ، وهذا موضوع دقيق العدل بين الزوجات هو حكمة تعدد الزوجات .

المعروف لا يصلح إلا لذي دين أو لذي حسب أو لذي حلم :

والآن إلى بعض الأحاديث الشريفة .

((إن المعروف لا يصلح إلا لذي دين أو لذي حسب أو لذي حلم))

[الطبراني عن أبي أمامة]

هذا الحديث له معنيان ، المعنى الأول : أن المعروف لا يمكن أن يصدر إلا عن رجل يعرف الله عز وجل ، وإلا لماذا يفعل المعروف ليس له تفسير ؟ تنتظر إكراماً من إنسان مقطوع عن الله ، تنتظر إنساناً لا يعرف الله أن ينصفك ، مستحيل ، تنتظر إنساناً يضحي من أجلك ولا يعرف الله عز وجل ؟ مستحيل ، المعروف لا يصلح إلا لذي دين أو لذي حسب . . الناس يستخدمون عبارة أن فلاناً ابن عائلة أي ابن أسرة عريقة ، يبدو أن الأسرة الدينة لها تربية ثابتة ، لها تقاليد ، لها عادات مقتبسة من الدين ، فالإنسان يردعه دينه ، أحياناً في بعض الأسر العريقة التي لها باع طويل في العلم والدين أولادها على مستوى راق من التهذيب ، الدين بحكم العقل دين ، أما أولاد الأسر الراقية فبحكم العادة ، ألفوا عادات راقية ، فالمعروف لا يصدر إلا من رجل دين ، وأن هذا الدَّيّن يعرف مهمته في الحياة ، وأن الله سبحانه وتعالى خلقه للعمل الصالح ، وهذا العمل هو بغيته ، والإيمان يحرك الإنسان نحو العمل الصالح إلى أبعد الحدود ، هذا الدين ، أما بالحسد لو كان من أسرة راقية ، هذه الأسرة كما قلنا : لها تربيتها ، لها عاداتها ، فيها الحياء ، فيها الوقار ، الصغير يحترم الكبير ، الكبير يحنو على الصغير ، العمل المشين لا يفعله أفراد هذه الأسرة ، القبائح يترفعون عنها يخافون على سمعتهم .

أذكر أنه وقع خلاف بين شخصين ، أحد هذين الشخصين من أسرة راقية الأب له مكانة دينية في المجتمع ، فقلت لابنه : ألا تغار على سمعة أبيك ؟ قال : نعم ، وأخاف على سمعتي واحكم كما تشاء ولا أخالف أمرك ، أنا أردت أن أثير عنده هذا الشعور ، أي يخاف على سمعته ، يخاف على سمعة أبيه ، يخاف على اسم أبيه ، فهذا ليس بداع ديني ولكن بداعي الحفاظ على مكانة الأسرة ، فهذا قد يفعل خيراً بحكم العادة ، أما الأول فبحكم العقيدة . أو بذي حلم ، الحلم من عُرف عنه أخلاق فاضلة ، أي إنسان أحياناً يكون تفكيره ناضجاً جداً يجد أن

مكارم الأخلاق أليق به من ترك هذه المكارم ، حتى إني أقول كلمة : إن العمل الأخلاقي يلتقي مع العمل الذكي في النتائج ، ويختلف عنه في البواعث .

مثلاً مدير دائرة مؤمن ، ومدير دائرة ذكي ، المؤمن يرى أنه إذا عدل بين الناس يطبق أمر الله بحكم محبته لله عز وجل ، بحكم ورعه ، بحكم خوفه من الله عز وجل ، يعدل بين الموظفين ، يتواضع لهم ، يبحث في مشكلاتهم ، يعين ضعيفهم ، يقبل العذر من المقصر، لطيف ودود ، هذه صفات المؤمن .

وإنسان إذا عنده ذكاء من درجة عالية يرى أنه من أجل أن يكون له مكانة كبرى في هذه الدائرة يعدل بين الموظفين ، لا حباً بالله ، ولا خوفاً من عقاب الله ، ولا يبتغي بهذا العمل رضا الله أبداً ، ولكنه يبتغي بهذا العمل أن تكون له مكانة كبيرة عند الناس ، قد يسأل من كان بحاجة إلى مساعدة ، هذا الذي ساعده ينشر هذه القصة بين الموظفين ، فيأتيه الثناء فيحبه الجميع ، هو يسعى إلى أن ينتزع إعجاب الناس ، ينتزع محبتهم ، ينتزع مودتهم وتكون له هذه ، ولكن مثل هذا الإنسان الذكي ليس له عند الله في الآخرة من خلاق . هذه المشكلة التي تحير المؤمن . يا أخي الجماعة في أوربا صادقون . . نعم ، لا يغشون . . نعم ، بضاعتهم درجة أولى صحيح ، يصنفونها لك تصنيفاً صحياً ، الشحن ، المواعيد كلها مضبوطة ، لا يوجد عندهم غش ، لا يوجد عندهم خداع ، نعم ، العمل الذكي يلتقي مع العمل الأخلاقي في النتائج ويختلف عنه في البواعث ، شتان بين من طهرت نفسه فهو لا يفعل إلا هذا الموقف الكامل ، وبين من خطط فرأى أن هذا الموقف أنفع له في الدنيا ، فرق كبير .

هذا الذي يعانيه بعض المسلمين . الإنسان الذكي لا يكذب ، الذكي لا يخلف وعده ، الذكي لا يتكبر . .

الآن إذا رجل تكبر ، اسمع ماذا يقولون عنه في غيابه ، لو تتبع ما يُقال في غيبته وتهكمات الناس ، وسخريتهم لا تحتمل . يأتي إنسان يتواضع ، إذا تواضع يثنون عليه ، يا أخي ما هذا ؟ متواضع ، نفسه هنية مثلاً ، لا يتكبر ، عطف علينا ، فإذا دخل مدير دائرة والآذن وقف له فقال له : الله يعطيك العافية ، كيف صحتك ؟ كيف أولادك ؟ هل يلزمك شيء ؟ هذا العمل يقوم فيه ذكي ، حتى ينتزع إعجابه ، الآذن يتكلم ، يقول لك : ما هذا ؟

مديرنا متواضع ، مديرنا الجديد ابن حلال ، هو هكذا يريد ، يريد السمعة وقد حصلت له لذلك يوم القيامة يقول : " يا رب ، قرأنا القرآن من أجل رضاك ، يقول لهم : كذبتم ، قرأتم القرآن ليقال عنكم قراء وقد قيل، تعلمت العلم ليقال عنك عالم وقد قيل ، جاهدت في سبيلي ليقال عنك شجاع وقد قيل " لما الإنسان يكون ذكياً يفعل عملاً يلتقي مع عمل المؤمنين ، أما بالنوايا فشتان بينهما أين الثرى من الثريا ؟


الموقف الكامل أن تفعل الخير بإخلاص وليس لتنتزع إعجاب الناس

التعليق هذا على أن المعروف لا يصلح إلا لذي دين، أو لذي حسب ، أو لذي حلم ، طبيب مثلاً راكب سيارته ورأى رجلاً جريحاً ، ورأى جمهرة من الناس حوله ، وهذه الجمهرة من الناس أبناء حيه ، فيوقف سيارته ويأخذ هذا الجريح ، ولا يبالي بالدماء التي ستلوث السيارة، يأخذه إلى المستشفى ، إذا كانت نيته تكثير الزبائن – لأن الناس يثنون عليه – فإذا كانت نيته هكذا فهذا العمل فيه رحمة ، ولكن قد يكون الطبيب خال من الرحمة ، عمله رحيم وهو خال من الرحمة . أحياناً قاض يأتيه مواطن عادي ، يأتيه شخص له قيمته ، فيرى الحق مع هذا المواطن العادي ، وهذا الشخص الوجيه الكبير الحق ليس معه ، يحسب إنه إذا حكم لهذا الفقير والحكم انتشر وبلغ الناس ، ووصل هذا الحكم لقضاة الاستئناف والتمييز من رؤسائه تيقنوا من نزاهته ، إذاً يصير له مستقبل باهر في القضاء ، فيحكم بالعدل لا حباً في العدل وليس عادلاً ، حكمه عادل وهو ليس بعادل . لذلك النوايا دقيقة جداً ، الإنسان يتفحص نيته لماذا أفعل هذا الخير ؟ هل أبتغي به السمعة والجاه ؟

((عن عمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّه عَنْهِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))

[متفق عليه عن عمر]

((يا معاذ أخلص دينك يكفك القليل من العمل))

[شعب الإيمان عن معاذ]

إذاً : " إن المعروف لا يصلح إلا لذي دين أو لذي حسب ، أو لذي حلم " .

هذا أخلاقي ، أخلاقه جاءت من ذكائه ، وهذا أخلاقه جاءت من عاداته ، وهذا أخلاقه جاءت من تدينه ، هذا متدين ، نفسه سمت واتصلت بالله عز وجل ، فأصبح المعروف من قبله عفوياً ليس متصنعاً . إذا إنسان رأى ابنه اقترب من المدفأة ، وكاد يضع يده عليه أيقول يا ترى أوبخه أم لا أوبخه ؟ بشكل لا شعوري يصرخ فيه ، توبيخ الأب أو نهي الأب عن اقتراب ابنه من مدفأة ليس عملاً إرادياً ، عمل لا إرادي عفوي .

المعروف عفوي عند المؤمن :

المعروف بالمؤمن عفوي ، غير مقصود ، لا يفكر ، رجل بحاجة إلى مساعدة يساعده فوراً ، شخص استجار به يجيره ، استغاث به يغيثه ، والدته بحاجة إلى مساعدة يساعدها فوراً ، لا يناقش الأمور . أعمل أم لا أعمل ؟ ماذا سيتكلمون عني ؟ هذا شيء بالمؤمن غير وارد ، أما أهل الدنيا فعلهم للمعروف بعد دراسة طويلة ، بعد دراسة طويلة وجد أن يدفع السند لأنه ذمة عليه ، فإذا لم يدفعه قد يضطر أن يشتري شقة ثانية منه ، فإذا لم يدفع له أول دفعة يجوز ألا يبيعه شقة ثانية ، ليس من باب وفاء دين ، لا ، لكن إذا أعطيناه الدفعة الأولى يثق بنا ، الآن نستطيع أن نأخذ منه بضاعة بمئة ألف ، حسابه معي عشرون ألفاً سأدفعه قبل أسبوع ، إن دفعته قبل أسبوع سيحس هذا البائع الكبير أنني أنا إنسان موثوق هو أعطاني عشرة آلاف فقط ، أما أنا فمتأكد إذا أعطيته الحساب قبل أسبوع و طلبت منه مئة ألف سيعطيني ، ولكن بعد أن آخذ هذه المئة ألف أماطله . يقول لك :

دخل في قلبي غرقنا ، وفاء السند في الوقت المناسب ليس فضيلة عند هذا الإنسان ، يسمونه تكتيك ، بالتعريف الحديث مناورة . أحياناً يعجب هذا الإنسان ولكنه يناور عليك ، مخادعة ، مناورة ، تكتيك . عندك تكتيك واستراتيجية

المؤمن أخلاقه استراتيجية ، أي ثابتة ، لا يغير ، لا تحت ضرورة ولا تحت إغراء ولا تحت ضغط ، أخلاقه هي هي ، أما الكافر فأحياناً يعمل خطة مرحلية ، أحياناً إنسان يقول لك : أتضع أموالي عندك ؟ تقول له : نعم ، أنا أعطي بالمئة ثمانية وأربعين أرباحاً ، ما هذا الكلام ؟ مبلغ مذهل ، أين ما كان بالمئة عشرة ، أو بالمئة خمسة عشر ، بالمئة عشرون إذا كان الإنسان موفقاً جداً ، هذا الدفع المغري حتى تأتيه الأموال الطائلة ، عندئذ يأخذها ويهرب بها . وهذا شيء يقع باستمرار . هذا المعنى الأول : أن المعروف لا يصدر إلا عن إنسان دين بسبب سمو النفس وعقيدته الراقية ، والمعروف لا يصدر إلا عن إنسان من أسرة راقية ، أن هذه الأسرة لها عادات راقية بحكم العادة ، والمعروف لا يصدر إلا عن إنسان صاحب خلق ، صاحب أخلاق وهذه الأخلاق الثانية ناتجة عن

ذكاء . والمعنى الآخر لهذا الحديث أنك إذا صنعت المعروف مع غير هؤلاء فإنهم يفسرون هذا المعروف تفسيراً سيئاً ، فإنهم يردون على معروفك بإساءة بالغة ، وهناك شكاوى كثيرة تصلني ، أنه فعلت معه كذا وكذا وكذا ، وفعل معي كذا وكذا وكذا ، كان الرد بمنتهى الوقاحة ، بمنتهى اللؤم ، كيف فعلت معه هذا المعروف وقابلك بهذه الإساءة ؟ لأن هذا ليس صاحب دين ، وليس صاحب نسب رفيع ، وليس صاحب ذكاء عال . . لا ذكاء يهديه للمواقف المقبولة ، ولا عنده عادات أصيلة ثابتة في أسرته ، ولا عنده مخافة من الله عز وجل فشيء طبيعي إذا فعلت معروفاً مع أحد غير هؤلاء أن تلقى رداً وقحاً ، أو رداً سيئاً ، أو رداً فيه مقاومة ، فالإنسان لا يُفاجأ ، و قد جاء في الحديث الشريف :

((اصنع المعروف إلى من هو أهله ، وإلى غير أهله ، فإن أصبت أهله أصبت أهله، وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله))

[ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه إلى الخطيب في تاريخ]

أي الإنسان يريد أن يعمل موازنة بين الحديثين ، إذا كنت تريد أن تضحي تضحية كبرى ، وتضيع أولادك من أجل إنسان لئيم ، لا ، أولادك أولى ، أحياناً إنسان يقول لك : أنا مستجير بك ، فتعطيه من قوت أولادك ، تعطيه من حصة أولادك ، وتنجده ، ثم يعاملك معاملة في منتهى اللؤم .

المكثرون في الدنيا الذين يتبجحون بأموالهم الطائلة هم المقلون يوم القيامة :

و:

((عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ قَالَ : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ قَالَ فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ فَالْتَفَتَ فَرَآنِي فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ أَبُو ذَرٍّ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهْ قَالَ : فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ : إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا قَالَ فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ : لِي اجْلِسْ هَا هُنَا قَالَ فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ فَقَالَ لِي : اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ قَالَ : فَانْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى لَا أَرَاهُ فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللُّبْثَ ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ وَهُوَ يَقُولُ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ مَنْ تُكَلِّمُ فِي

جَانِبِ الْحَرَّةِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا قَالَ : ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ قَالَ : بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِي اللَّه عَنْه]

إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . طبعاً الحديث طويل ، وهذه أول فقرة منه ، المكثر يقول : عندي مال لا تأكله النيران ، أهلكت مالاً لبداً ، هؤلاء المكثرون في الدنيا الذين يتبجحون بأموالهم الطائلة ، وبأن أموالهم لا تفنى ، وأن أموالهم بازدياد ، وأنهم لا يخشون شيئاً في الدنيا ، هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام هم المقلون يوم القيامة ، هم الفقراء ، لأن هذا المال يفيد الجسد في هذه الحياة الدنيا ، فإذا جاء الأجل انقطع هذا المال ، وهناك بعد الموت شيء آخر هو العمل الصالح ، هو الذي يجدي .

((. . .إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . .))

[متفق عليه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِي اللَّه عَنْه]



لذلك قال الله تعالى :

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[سورة الزخرف : 32]

النبي الكريم استثنى ، قال :

((إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا . .))

[متفق عليه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِي اللَّه عَنْه]

هنا في الحديث دقة بالغة ، إلا من أعطاه الله تعالى خيراً . لذلك قال العلماء : لا يُسمى المال خيراً إلا إذا أنفق في طاعة الله ، قال تعالى :

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا﴾

[سورة الفجر : 15-17]

قال ربنا له : كلا . . ليس هذا إكراماً إلا إذا أنفقته في طاعتي فهذا إكرام ، أي لا يُسمى المال إكراماً إلا إذا أنفق في طاعة الله عز وجل .

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي . .﴾

[سورة الفجر : 15]

أي أدخل إلى بيته كل وسائل الراحة .

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي . . كلا﴾

[سورة الفجر : 16-17]

ربنا عز وجل قال : كلا . . وكلا أداة ردع ، أي لا هؤلاء على حق ولا هؤلاء على حق ، لا هذا القول صحيح ، ولا هذا القول صحيح ، ليس إعطائي المال إكراماً بل هو امتحان، فإذا أنفق في طاعة الله انقلب إكراماً ، وليس حرماني لهذا العبد من المال إهانة ، إنه معالجة ، الحرمان معالجة ، والعطاء إكرام . النبي الكريم قال : " إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا – لماذا سماه النبي خيراً – قال : فَنَفَحَ – نفح أي أعطى – فنفح فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا " . .

أي سأله عن يمينه شخص فأعطاه ، عن شماله فأعطاه ، سأله شخص قرضاً لثمانية أشهر دفع له ، سأله شخص عطاء من دون قرض ، فدفع له . أي اليمين والشمال والأمام والوراء كناية عن شتى وجوه الخير . وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا . . قال : هذا الإنسان المكثر هنيئاً له ، هذا قد يسبق المقل ، لأن المال قوة ، وفي المال طاقة كبيرة جداً على اكتساب مرضاة الله . وحبذا المال أصون به عرضي ، وأتقرب به إلى ربي .

وفي حديث آخر :

((إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصنع))

[الترمذي عن زر بن حبيش]

من المعاني المستفادة من هذا الحديث الشريف أن الملائكة وهم جنود الرحمن يضعون أجنحتهم لطالب العلم ، بعضهم فهم هذا الحديث على أنها تكرم طالب العلم ، الملائكة تكرم طالب العلم ، إن الملائكة في السماء والحيتان في البحر لتصلي على معلم الناس الخير .



هذا المعنى معنى تكريم ، أي الملائكة تكرم طالب العلم ، بعضهم توسع في هذا المعنى ، فقال: الملائكة تكيد لأعداء طالب العلم فتمنعهم من أن يؤذوه ، الملائكة تتكفل بحاجات طالب العلم ، ما الذي جعل أبو حنيفة ينقطع للعلم والدراسة ؟ هو أنه مرّ في الحج بشيخ يدرس في الحرم ، وقد سمع منه هذا الحديث :" من طلب العلم تكفل الله له برزقه " يلهمك إذا كنت تاجراً يلهمك الصفقات الرابحة ، فيكون عملك قليلاً وربحك كثيراً . إذا كنت صانعاً يرسل إليك زبائن درجة أولى ، أخلاقهم عالية ، شراؤهم سهل ، دفعهم جيد . إذا كنت موظفاً تنتزع ثقة رؤسائك ، يعطونك إضافات ليست لغيرك . أي مادام الإنسان طالب علم يتكفل الله عز وجل برزقه . أب عادي يكون راغباً أن يكون ابنه طبيباً ، والابن يكلفه بأعمال فوق طاقته ترى الأب إذا شاهد ابنه متفوقاً بدراسته ، وأحياناً عنده فحص لا يدع أحداً يكلفه بشراء غرض حتى شراء خبز يقول له : أنا أحضر الخبز ، اجلس وادرس ، إذا جاءه ضيوف ، ويريدون غرضاً إذا قالوا : أوصل فلانة خالتك ، الأب ينهى الأم يقول : دعيه يدرس ، أي إنسان عادي إذا رأى ابنه متفوقاً يريحه من أعباء البيت ، يمكن أن يعطيه غرفة خاصة ، يمكن أن يبالغ بإكرامه . فربنا عز وجل خلقنا لنعرفه . معقول إذا اتجه إنسان إلى الله يتعب بحياته ؟ العكس هو الصحيح . الإنسان عندما يتجه إلى غير الله عز وجل ، يذيقه الله مرارة الدنيا . الدنيا

تغر ، وتضر ، وتمر . . أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمني فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه . تسمع من الناس قصصاً ، ترى رغم ذكائهم ، رغم تقديرهم للأمور ، تأتيهم مشكلة لم تكن في الحسبان ، تأتيهم مزعجات ، يتورطون تورطات ما كان لهم بها .

البعد عن الله عز وجل يسبب تضييقاً في الدنيا ، والقرب من الله عز وجل يسبب تيسيراً ، والتيسير والتعسير لهما قانون في كتاب الله .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

[سورة الليل : 5-7]

تلقى شخصاً تريده ، بيته بعيد ، الحاجة لا تجدها فوراً . آلة منتجة تعطلت ، تحضر خبيراً فيخربها ، يكسر قطعة فيها ، بدلاً من أن يصلحها . إذا كنت موفقاً تحضر شخصاً يلهمه الله إلى الحق ، يقول لك : العطل من هنا ، ولكن إذا أنت موفق تحضر شخصاً بدل أن يعطلها خمسة أيام يصلحها في ساعة ، إن كان في التجارة ، أو في الصناعة ، أو في الزراعة فالإنسان عندما يكون مع الله عز وجل يتكفل له برزقه . ليس معنى هذا أن يمد يده إلى الناس ، لا ، ليست واردة ، معنى يتكفل له برزقه يلهمه أعمالاً مريحة ، ودخلها معقول ، انظر أهل الدنيا لا يعرفون الله عز وجل ، يقول لك : آه ، يخرج منه آهة محروقة حرقاً ، يقول : اشتغلنا ثلاث سنوات بلا مقابل ، يدخل بمشروع ، يدفع ، يسهر ، يركض ، بعد ذلك يعمل حسابه جمع طرح خسران ثمانية آلاف ليرة بعد ثلاث سنوات عمل ، انظر إلى الدنيا ما أصعبها الخسارة مؤلمة جداً . إنسان يتعب ، يحضر بضاعة ، يبيعها ، يشحنها ، يحصل ثمنها ، يشتغل فيها سنتين ، بعد ذلك تظهر النتيجة خسارة ثمانية آلاف بضاعة ، هذا عمل بلا مقابل ، فالله عز وجل قادر أن يشغل الإنسان بلا مقابل طول عمره ، يقول لك التجار كلمة مضحكة : مثل مطحنة الجن ، خرير وعجيج على الفاضي ، يشغله ، يشغله ، بالآخر لا يوجد محصول ، لا يوجد نتيجة ، أما المؤمن فموفق .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

[سورة الليل الآيات : 5-9]

إعانة الملائكة طالب العلم على أمر معاشه :

((إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصنع))

[الترمذي عن زر بن حبيش]

أي أول شيء تعينه على أمر معاشه ، أنا أدعو هذا الدعاء : " اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا – الإنسان ينضبط بالدين ، يعرف الحرام من الحلال ، الخير والشر، ما يجوز وما لا يجوز ، عنده منظومة قيم ينضبط فيها – وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا – أيضاً الدنيا إذا إنسان بحاجة إلى المال ، ما عنده قوام الحياة شيء صعب – وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر " فالملائكة تعينه على حوائجه ، الملائكة ترد كيد أعدائه عنه ، الملائكة تكرمه . .

على الإنسان أن يسعى للدار الآخرة :

انظروا إلى الحياة الدنيا ، انظروا إلى عمارة ترتفع ، نشاط ، اليوم جبل إسمنت ، ثاني يوم جاء الإسمنت ، ثالث يوم جاء نجار الباطون ، ترى الذي يبني العمارة كتلة انتباه ، كتلة يقظة ، نشاط البناء ، نشاط التجارة ، نشاط الصناعة ، نشاط العلم ، دراسات في الجامعة، أي هناك نشاطات عديدة ، أقدس نشاط على وجه الأرض أن تطلب العلم الشرعي ، لا يوجد نشاط عند الله أكثر قدسية منه ، تذهب تزور أقرباءك ، تحصّل مبلغاً ، تفكر بمشروع، تعقد صفقة ، تشتري بيتاً ، تبيع بيتاً ، تبدل سيارتك ، تعمل نزهة ، هذه نشاطات مشروعة ، مباحات ، لكن أقدس نشاط تقوم به أن تتعلم ، أن تعرف الله عز وجل ، خُلقت من أجل أن تعرفه ، وأي نشاط مناقض لهذا النشاط فهو خسارة كبرى . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُغَسِّلُهُ وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

حقيقة كبيرة جداً إنسان يظن أن هذا مات ، لذلك النبي الكريم قال :

((كسر الرجل ميتاً ككسره حياً))

[التمهيد لابن عبد البر عن عائشة]

إذا وضعوه بالقبر ورموه رمياً ، أحياناً يكون أطول من القبر يحصروه به ، هذا عمل فيه إهانة ، لا يجوز كشف عورة الميت أثناء التغسيل ، إهانة له . حينما خاطب النبي الكريم قتلى بدر من المشركين . قال : يا أمية بن خلف ، يا هشام بن عيينة ، يافلان ، يا فلان سماهم بأسمائهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ؟ كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس . . الحديث طويل ، الصحابة تعجبوا، قالوا : يا رسول الله أتخاطب قوماً جيفوا ، قال : ما أنتم بأسمع لي منهم ولكنهم لا يجيبونني – يسمعون مثلكم – فهذا الحديث إذا توفي الإنسان فمن بكى ، ومن فرح ، و من أهانه يرى الميت كل ذلك، ويسمع ما يقولون ، فالنبي الكريم يقول : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُغَسِّلُهُ وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

وقال :

((إن العبد إذا وضع في قبره , وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ..))

[البخاري عن قتادة عن أنس رضي الله عنه]

أما هذا الشعور الذي لا يوصف فهو اشترى البيت ، هو فرش البيت على ذوقه ، قال لي أخ قصة من يومين يبيع مفروشات درجة أولى ، جاءه تاجر ، قال له : أريد غرفة نوم من خشب الجوز ، قال له : والله لا يوجد جوز عندنا زان . . قال : أريدها جوزاً ، قال له : إذاً اشتر لي خشب جوز ، اشتروا خشب جوز ، قال : هذا الجوز يتخمر سنة صحيحة ، يكون أبيض بعد تخميره سنة يصير أسود ، أخذنا له خشب الجوز ، وخمرناهم سنة اثنا عشر شهراً ، قال : ما مرّ بحياته كهذا الزبون ، زار الخشبات وقت التخمير مرتين أو ثلاث ، بعد ذلك صنعوا غرفة النوم ، قال لي : هناك عقدة بالخشب بالرجل من الداخل ، فرفض و قال : بدل لي إياها ، كل

أسبوعين أو ثلاثة له زيارة ، يتفقد غرفة النوم ، الخزانة ، البخ ، المسكات ، المرايا . هذا معه وسواس . وبعد ذلك ، قال له : اترك لي إياها حتى ندهن الغرفة ، ثم دهنوا الغرفة واعتنوا بالغرفة ، ورتبوها ودوكروها ، قال له :

أما تريد أخذ الغرفة إنها حاجزة محل عندنا ؟ قال له : غداً إن شاء الله ، خبرته ليأتي ليأخذها رفعت السماعة سمعت ضجيجاً ثم جاء إلى التلفون من يكلمني فكانت امرأة قلت لها : أختي الغرفة ، قالت : لا نريد الغرفة مات صاحبها . غضبت . سبحان الله ، فعلى الإنسان أن يسعى للدار الآخرة .

((إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُغَسِّلُهُ وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

((العبد إذا وضع في قبره, وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم. . .))

[البخاري عن قتادة عن أنس رضي الله عنه]

هو عمر هذا البيت ، هو فرش هذا البيت ، هو رتب هذا البيت ، دفنوه بنفس اليوم، قال لي شخص : شاهدت جنازة تشيع بعد العشاء ، مع أنه مكروه ، ما الدليل ؟ معنى هذا أن هناك مشكلة بالبيت ، هو اشترى البيت !! المشكلة الإنسان يعلق آماله كلها بزوجته تخيب له ظنه ، يعلق آماله بولده . . قال رجل لشاب : أين ذاهب ؟

قال له والله حرفياً : رايح أسكر على روح أبي . أبوه خلف له مالاً كثيراً ومات ، فهذا الابن يشرب خمراً على روح والده . قال : " يا عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت به ؟ قال : يا رب لم أنفق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدي ، قال له : عبدي أما علمت أني أنا الرزاق ذو القوة المتين ، إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم – أي جعلتهم فقراء ، وأنت تظن أنك تجمع المال لهم – والثاني قال له : ماذا صنعت في المال ؟ قال له : يا رب أنفقته على كل محتاج ومسكين ، لثقتي أنك خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين . فقال :

عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك ". اطلب من الله يحفظ لك الأولاد من بعدك فقط . الله عز وجل يرزقهم ، ويعافيهم ، ويهديهم ، ويجعلهم قرة عين ، ويجعلهم خلفاء لك ويجعل لهم أعمالاً صالحة مستمرة .

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له))

[مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

المؤمن يستمد قيمته من أن الله سبحانه وتعالى راض عنه :

الحديث قبل الأخير :

((إن الناس لا يرفعون شيئاً إلا وضعه الله تعالى))

[البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب]

أحياناً الناس يقدرون شيئاً من الأشياء ، طبعاً لا يرفعون شيئاً بغير حق ، أحياناً يقدرون شيئاً لا يرضي الله عز وجل ، وأحياناً يتهافتون على معصية تغضب الله ، هناك أشياء غالية كثيراً ، معنى هذا أن عليها طلباً كثيراً ، وقد تكون تغضب الله عز وجل ، هناك أجهزة لهو عليها طلب شديد ، إن الناس لا يرفعون شيئاً إلا وضعه الله تعالى ، قرأت مقالة لكاتب أن حجزاً برأس السنة لا يوجد ، كل الأماكن لا يوجد بها محلات ، معنى هذا أن الطلب كثير على الفنادق ، سهرة بالفندق الفلاني ، والفلاني ، والفلاني ، عشاء مع أعمال لا يعلمها إلا الله ، فيها مخازي لا يعلمها إلا الله ، ألف ليرة على الشخص وطاولات درجات أولى وثانية وثالثة ، لا يوجد محلات ، واضطر أن يعملها بالبيت ، أحضر رفاقه وعملها بالبيت . قال :

((إن الناس لا يرفعون شيئاً إلا وضعه الله تعالى))

[البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب]

أي أنت تعلق بالذي رفعه الله ، الله رفع قراءة القرآن ، رفع فهم القرآن ، رفع أن تكون أديباً متأدباً بآداب القرآن ، رفع أن تكون عالماً بالله عز وجل ، رفع أن تكون محسناً ، رفع أن تكون محباً لله ورسوله ، ولم يرفع الإنسان لما عنده من متاع ، لكن في آخر الزمان تكون قيمة الرجل بما عنده من متاع . أي يستمد قيمته بين الناس من أثاث بيته ، وأجهزته فقط . لكن المؤمن يستمد قيمته من أن الله سبحانه وتعالى راض عنه .

((إن الناس لا يرفعون شيئاً إلا وضعه الله تعالى))

[البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب]

الأولاد مجبنة و مبخلة :

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((إن الولد مبخلة ، مجبنة ، مجهلة ، محزنة))

[صحيح الجامع عن الأسود بن خلف و خولة بن حكيم]

أي هذا الحديث فيه توجيه نبوي شريف ، أن الإنسان إذا رزقه الله أولاداً يجب أن يعتدل ، أن يعاملهم معاملة راقية تتيح له أن يقبل على الله عز وجل . أما معنى مبخلة أي قد يشد الإنسان على نفسه باختياره أبواب خير كان يفعلها خوفاً على أولاده ، أو خوفاً على أولاده من بعده كما قلنا قبل قليل ، فكأن النبي ﷺ لا يريد أن نتهرب من العمل الصالح والإنفاق في سبيله خوفاً على الأولاد من بعدنا ، لأن الله عز وجل قال :

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة 272]

فأحد أسباب البخل بالعمل الصالح ، بالخير ، بالإنفاق ، بالمال الخوف على الأولاد من بعده . مبخلة ، أي إن الأولاد يسببون البخل أحياناً وهذا بخل غير مشروع ، لم يرضه النبي ﷺ . وسيدنا الصديق أعطى كل ماله ، فلما قال له النبي الكريم : يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال : الله ورسوله . ممكن أتصور إنساناً ينفق ماله ثم يفقره الله ؟ هذا الشيء أنا أعده من خامس المستحيلات ، أنفق أنفق عليك ، أنفق بلالاً ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً . لا يمكن ، فالذي يتخذ أدنى حجة بعدم الإنفاق غلطان . جعله بخيلاً ، الابن جعل أباه بخيلاً ، هذا معنى مبخلة .

مجبنة : أي الإنسان أحياناً يقف مواقف مشرفة ، ابنه تزوج مثلاً لا يريد أن يخزي بيت عمه ، يقف موقفاً لا يليق به ، لولا هذا الابن كان وقف موقف الحق ، هذا العمل لا يجوز، أي شخص دين يصلي يعمل عرساً مختلطاً بفندق ؟ هذه مشكلة ، هكذا طلبوا بيت العروس ، طلبوا عرساً مختلطاً بالذات ، أي رجال ونساء ، المرأة بأبهى زينة ، أثناء العرس يعرفهم على بعضهم ، فلان وزوجته ، هذه زوجته ، هذه زوجة فلان ، جاؤوا بأحدث طرز ، كلها فتنة ورجال ونساء . دين وتصلي وتعمل عرساً مختلطاً بفندق !! جبن أن يرفض بسبب الابن ، فالأولاد

مبخلة مجبنة ، الإنسان أحياناً يسافر في طلب العلم ، من أجل أولاده لا يسافر إذاً يبقى جاهلاً ، هذه على موضوع الفقر فسرها الفقهاء . لها تفسير آخر : إذا الإنسان جالس مع أولاده ، وحان درس العلم و تريد ابنته أن تأتي إليه هي و زوجها ، يتخلى عن الدرس ، عليه أن يقول لها : لا يا ابنتي أهلاً وسهلاً هذا بيتك ، أنا سأغيب ساعة وأرجع ، مكانتك محفوظة أما هذا فمجلس العلم لابد منه . فأحياناً الإنسان من أجل أولاده يجهل أي يصير جاهلاً هذا معنى مجهلة .

أما محزنة : إنسان قبل الزواج ، أو قبل أن ينجب أولاداً ، تهمه صحته ، بعدما أنجب أولاداً ، وابنه ارتفعت حرارته يا ترى التهاب سحايا ؟ يا ترى التهاب أمعاء ؟ صار الأب لا ينام الليل ، طبعاً صار معه متاعب ، ومشاغل ، وأسباب للحزن عن طريق أبنائه ، الحديث ليس فيه نهي ولا أمر ، الحديث فيه تقرير ، أي من خصائص الأولاد أنهم يحملون على البخل ، وعلى الجهل ، وعلى الحزن ، فخذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدرها هماً . سبحان الله الإنسان غير المؤمن لايرضى ، قالت ممرضة : دخلت لبيت فولدت المرأة بنتاً فبكوا كثيراً ، من غرائب الصدف بنفس اليوم دُعيت إلى بيت آخر ، البيت الآخر جاءهم صبي بكوا كثيراً لأن هذا الصبي السابع، فهذا الحديث فيه تقرير ، تقرير لحقيقة أن الذي عنده بنات الحمد لله ، والذي عنده بنات وذكور الحمد لله ، والذي لا يوجد عنده أي الله فرغه لطاعته ، الحمد لله .

والله هناك دعاء هذا الدعاء من أدق الأدعية ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب ، وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

[الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : الخطبة

الدرس (3-1) : أحكام الخطبة وتعريفها

الدرس (3-2) : رؤية المخطوبة في أي مرحلة من مراحلها يجب أن تكون ؟

الدرس (3 - 3) : حقوق الخاطبين

الفصل الرابع : الخطبة

الدرس (1-3) : أحكام الخطبة وتعريفها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة مهمة:

أيها الإخوة المؤمنون... لازلنا في موضوعاتٍ أشعر أننا في أمسِّ الحاجة إليها، فما من بيتٍ إلا وفيه فتياتٌ في سنِّ الزواج، أو على وشك بلوغ سنِّ الزواج، ما من شابٍ إلا وهو يفكِّر في مخطوبته، ما من شابةٍ إلا وهي تفكِّر في من سيتقدَّم لخطبتها، ما من أمٍ إلا وتنتظر أن يخطب ابنتها شابٌ كفءٌ لها، ما من أبٍ إلا ويتمنَّى على الله عزَّ وجل أن يعينه على تزويج بناته من شبابٍ أطهارٍ مؤمنين.

بين الخُطبة والخِطبة:

موضوع الخِطبة: الخُطبة أن تلقي على الناس خُطْبَة، موضوع الخِطبة بكسر الخاء، أن تتقدَّم لخطبة فتاةٍ تظنُّ فيها الصلاح، فالحركات في اللغة دقيقة جداً، فرقٌ كبير بين مَنْصَب ومَنْصِب، الخُطبة شيء، والخِطبة شيءٌ آخر، البَر غير البُر غير البِر، البَر يعني اليابسة، والبُر هو القمح، والبِر هو الإحسان، وقَدَمَ غير قَدُمَ غير قَدِمَ، قدَم أي سبقه بقدمه، وقدُم أي أصبح قديماً، قَدِمَ أي حضر، وحَسَبَ غير حَسِبَ غير حَسُبَ، حسُبَ أي أصبح حسيباً، افتخر بحسبه أما حَسِبَ أي ظنَّ، أما حَسَبَ أي عدَّ، فاللغة العربية دقيقة جداً.

سبب اختيار موضوع الخطبة:

على كلٍ موضوع الدرس اليوم: الخِطْبَة، ولماذا اخترت هذا الموضوع ؟ لأن المسلمين في موضوع الخِطبة يرتكبون أخطاء لا تعدُّ ولا تُحصى، عند أكثر الناس لمجرَّد أن تقرأ الفاتحة يدخل عليهم الخاطب مِراراً، وانفرد بابنتهم تكراراً، ثم وقع الذي لا تُحْمَد عُقباه ، وولَّى الخاطب، ولم يعد، ووقعت الطامَّة الكُبرى، هذا خطأ الخطبة، من قال لك: إن قراءة الفاتحة عقد ؟ ليس عقداً، لذلك لأني وجدت أن هناك أخطاءً كثيرةً كثيرة، وخطيرةً خطيرة يقع فيها المسلمون إما لجهلٍ، أو لتسرُّعٍ، أو لضغطٍ ولا يدرون من أمر هذه الأغلاط شيئاً اخترتُ موضوع الخطبة.

أهمية الدعوة وتعليم الناس:



على كلٍ، مرَّة ذكرت لكم أن الإنسان إذا كان في صحراءٍ موحشةٍ مخيفةٍ، فيها وحوشٌ ضارية، فيها قَفْرٌ ، فيها جفافٌ، فيها قلقٌ، فيها بردٌ لا يُحتمَل، فيها حرٌّ لا يُحتمل .

هذه حياة الإنسان قبل أن يعرف الله كأنه في صحراء، قلقٌ على غلطٍ، على ارتباكٍ، على تمزُّقٍ على نفاقٍ، على حيرةٍ، على قهرٍ، على تملقٍ، على تشوّقٍ، لكنك إذا دعوته إلى الله فكأنك دعوت هذا الإنسان الشارد في الصحراء الذي يخاف أن يموت جوعاً أو عطشاً، أو أن يفترسه وحشٌ مفترس، إذا دعوته إلى الله فكأنك أدخلته بستاناً له حصنٌ حصين، وحرزٌ حريز. فالدعوة إلى الله في الأعمِّ الأغلب تمر بمرحلتين: مرحلة التعريف بالله، فإذا عرفته، واستقمت على أمره، ودخلت في دائرة المؤمنين فالدعوة بعد هذه المرحلة تأخذ منحاً آخر، إن دعوت هذا الإنسان الضائع الشارد، المعذَّب الفقير، الجائع، الخائف القلق إلى هذه الواحة، بعد أن دخل الواحة دعوتك يجب أن تأخذ منحاً آخر، يجب أن تعرِّفه بمرافقها، وأماكنها، ومغانمها، وثمراتها، وجداولها، ومائها، إذاً: إذا تعرَّف الإنسان إلى الله، لا أقول أحاط..

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

(سورة البقرة: آية " 255 ")

لكن إذا تعرَّف إلى الله، أو إذا وصل إليه الآن تنشأ عنده حاجة ملحَّة أن يتعرَّف إلى أمره ونَهيه، من هنا يأتي الفقه بعد الإيمان بالله، من هنا جاءت المرحلة المدنية بعد المرحلة المكيّة، من هنا كانت آيات القرآن المكيَّة آياتٍ قصيرةً دالةً على الله، ومن هنا كان آيات القرآن المدنية آياتٍ طويلةً تشريعيَّة، فنحن إن شاء الله أجهد أن أختار لكم موضعاً نحن في أمسّ الحاجة إليه .

اختيار الموضوع المناسب المصحوب بالحاجة:

إذا كنت ماشيًا في الطريق مثلاً، ورأيت محلا ضخمًا يبيع طعاماً لأسماك الزينة، ولا يوجد عندك حوض لأسماك الزينة، ولا تفكِّر في أن تشتري هذا الحوض، هذا المحل لا يعنيك، أما إذا كنت في أمسّ الحاجة إلى الخبز، ورأيت فرناً فهذا شيءٌ آخر، فموضوعات الفقه قد تشتد الحاجة إليها، وقد تضعف الحاجة إليها، قد نعالج موضوعاً يهتم له كل الحاضرين، وقد نعالج موضوعاً يعني بعض الحاضرين، فأنا أحاول وبالله المستعان أن أختار لكم موضوعاً تشتدُّ الحاجة إليه، ويغطّي حاجة كل الحاضرين.

الإنسان بين عظمة تشريع الخالق وعجز قوانينه:



وجدت أن أخطاءً فاحشةً كبيرةً جداً تُرتَكب في موضوع الخِطبة، وقبل أن أمضي في أحكام الخِطبة وتعريفها، وملابساتها، وحكم رؤية المخطوبة، وحكم فسخ الخطبة، وحكم الهدايا التي تقدَّم إلى المخطوبة قبل أن أمضي.. سمعت قبل يومين أن دولةً كُبرى انتُخِبَ رئيسها قبل أيام، قبل ثمانين يوماً، هذا في أثناء حملته الانتخابية وعد الناخبين أن يبيح لهم الإجهاض، والبارحة برَّ بوعده، وأصدر قانوناً بإباحة الإجهاض، أنا وقفت عند هذا الخبر وقلت: متى كان الإنسان مشرّعاً ؟ من أجل أن يُنتَخب وعدهم بهذا القانون،

ماذا يعني هذا القانون ؟ الإجهاض جريمة قتلٍ، الإجهاض إخفاء معالم جريمة الزنا، جريمة الزنا من مضاعفاتها الحمل، فإذا أبحنا الإجهاض فقد سترنا معالم هذه الجريمة، لم يعد هناك مشكلة، وأصبحت مخابر الدولة تعطي إخباراً للحاملات القاصرات الزانيات أنكِ حامل، وبإمكانك أن تجهضي.. فشيء خطير جداً أن يشرِّع الإنسان، أنا ما ضربت هذا المثل إلا لأبين لكم إن التشريع لله الواحد القهَّار.

إذا كان لديك آلة معقَّدة جداً، بربك لو عندك جهاز كمبيوتر وتعطَّل، أو اضطربت شاشته تذهب إلى من ؟ إلى جارك السمَّان ؟ مع أنه رجل طيّب جداً، أخلاقي، ومستقيم، وهو ملء السمع والبصر، صالح، يصلي في المسجد، هذا موضوع ثان، هل تذهب إليه ؟ أم تذهب إلى جارك بائع القِماش ؟ وهو رجل طيّب وطاهر، لا تذهب إلا إلى الشركة، ولا تسأل إلا الخبير، وأنت أيها الإنسان أعقد كائن على وجه الأرض، لا تعقيد عجز، بل تعقيد إبداع، أنت معقَّد، ليس معنى هذا أن في الخلق ضعفًا، بل لعِظَمِ هذا الإنسان..

أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ

قلت لكم مرَّة: الغدَّة النخاميّة هذه ملكة الغدد، هذه آمرةٌ على كل الغدد، سمّيت ملكة لأنها تأمر ؛ تأمر الدرقية، تأمر الكظر، تأمر الغدد الجنسيّة، تأمر الثديين، تأمر كل الغدد الصمَّاء، ولا يزيد وزنها عن نصف غرام، وهي مرتبطة بالجهاز العصبي بمئة وخمسين ألف عصب، وبعض مفرزاتها هرمون النمو، هذا الهرمون مؤلَّف من مئة وثمانية وثمانين حمض أميني.. وإخواننا طلاَّب الشهادة الثانويّة، الفرع العلمي، درسوا تركيب الحمض الأميني، من أعقد الجزيئات، ولازم يكون في الدم دائماً في عشرة ميكروغرامات من هذا الحمض الأميني، أو هذا الهرمون لئلا يتعملق الإنسان، أو يصبح قَزَمَاً، الإنسان معقَّد جداً، جسمه معقَّد، فيه دوافع نفسية، فيه اضطرابات نفسية، فيه صراعات، له جانب اجتماعي، جانب عقلاني، جانب بيولوجي، فالإنسان كائن معقَّد، تسأل من عن مشكلاته، وعن علاقاته ؟ قال الله عزَّ وجل:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

(سورة فاطر)



في بعض البلاد العربية في شمال إفريقيا صدر قانون بأن كل رجلٍ يطلّق امرأته تستحقُّ نصف ثروته فوراً، أحجم أصحاب الأعمال، وأصحاب المتاجر، وأصحاب المعامل عن الزواج، وعدلوا عنه إلى السِفاح، لأن المرأة غير الشرعية لا تطالبه بشيء إذا هجرها، أما إذا تزوَّج زواجاً شرعياً، وطلَّقها تستحقُّ نصف أملاكه، لذلك حدَّثني من أثق به من كان في تونس، أن الوالد يقدِّم لمخطوب ابنته شيكاً بمبلغٍ كبيرٍ كبير، فيما لو طالبناك بنصف أموالك، هو سند أمانة لكي يزوج ابنته.

في بلاد الصين ألزموا الناس أنه لا يجوز للأسرة إلا أن يكون لها ولدان فقط، لذلك كلَّما جاءت بنتٌ يخنقونها إلى أن يأتي الغلام، فيسجِّلونه في السجلات الرسميَّة، فوجئوا بأن بعض الأماكن الريفية ليس فيها إلا الذكور، فعندما يلعب، بالشرع ، ويشرِّع يخسر، فهنا أبيح الإجهاض، وهذا أمرٌ خطير جداً، في بلاد في شمال أوروبا أبيح اللِواط، هنا أُجبِر الإنسان على أن يكون له ولدٌ أو ولدان فقط، في شمال إفريقيا المطلِّق عليه أن يدفع نصف أمواله لمطلَّقته، إذاً أي لعبٍ بكلام الله عزَّ وجل، أو أي تعديلٍ فالأمر كبير جداً، فلذلك أنت إنسان يجب أن تسمع كلام الخبير، يجب أن تأتمر بأمر الخبير.

خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ

نسأل الله جلَّ جلاله أن يهب كل الشباب الذين لم يتزوَّجوا زوجاتٍ طاهراتٍ مؤمنات، قال ربنا عزَّ وجل:

﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾

(سورة التحريم)

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

(مسند أحمد عبد الله بن عمرو بن العاص)

التي إذا نظرت إليها سرَّتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك وفي نفسها وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرَّتك.

فإخواننا الشباب الذين يقدمون على خِطبة فتياتٍ مؤمنات، أو أخواتنا المؤمنات اللواتي يتقدَّمنَ بعض الشباب لخطبتهن، أو أيها الآباء، أو أيتها الأمهات، الموضوع يمس الآباء والأمهات، والفتيات والشباب، موضوع الخِطبة، وما أكثر الأغلاط الفاحشة التي يرتكبها المسلمون في موضوع الخِطبة.

ما هي الخِطبةُ ؟ ومتى يسمى الرجل خاطبًا ؟

الخِطبة هي إظهار الرغبة في الزواج، الإعلان عن رغبتك في الزواج من امرأةٍ بعينها، والرغبة في الزواج، ولكن أنت لست بخاطب الآن، رغبتَ أن تتزوَّج، وكل إنسان يريد أن يتزوَّج في سن الزواج، لكن إذا رغبت أن تتزوَّج بامرأةٍ بعينها فأنت خاطب، وينبغي أن تُعْلِم المرأة، أو أن تعلِم وليّها، وقد يتمّ هذا الإعلان مباشرةً من الخاطب، أو بوساطة أهله .

تعريف الخطبة إذاً: إعلان رغبةٍ من قِبَلِ شابٍ بالزواج من امرأةٍ إعلاناً مباشراً، أو بالواسطة، ولكن إذا قال أحدهم: أنا خطبت بنت الملِك، والقضيَّة سهلة جداً، فلا توجد عقبات أبداً، فقط توجد عقبة صغيرة جداً، أنا وأمي وأبي موافقون، وبقيت عقبةٌ صغيرة، وهي أن توافق هي وأمها وأبوها.

أردت من هذا أن أذكِّركم أنه لا تسمَّى خِطبة إلا إذا وافق أهل الفتاة على خطبتك من ابنتهم، ليس كل إنسان بعث والدته إلى بيت يقول: أخي أنا خطبتُ من عندهم، هل أجابوكم بالقبول ؟ إن أجابوك فأنت خاطب، نحن لا نريد أن ندخِل موضوع أنه أنا خطبت فأنا خاطب ، في الشرع لا تتم الخطبة إلا بموافقة ولي الفتاة، الفتاة ووليّها، إن وافقت الفتاة ووليها فهي توافق لأسباب، ووليها لأسباب، هي من حقِّها أن تُخَيَّر في اختيار الزوجِ، لعلَّه لا تسعد به، ولكن أباها موافقته لسببٍ آخر، هو أعلم بالرجال، أعلم ما في داخلتهم، أعلم بزيفهم أحياناً، أعلم بدجلهم، فهو يوافق لعلَّة، وهي توافق لعلَّة، إذاً إن وافقت المخطوبة أو أهلها فقد تمَّت الخطبة بينهما، وترتَّبت عليها أحكامها وآثارها الشرعية.

ما هي الخِطبةُ ؟ ومتى يسمى الرجل خاطبًا ؟

حكمة الخِطبة: أحياناً يشرب الإنسان كأسًا من شراب العرقسوس فلا يعجبه، ما الذي حصل ؟ ثمنها نصف ليرة، يقول لك: غير مركَّز، إنه خفيف، لكن في شراء سيَّارة فإنه يسأل أشخاصًا عديدين، يأخذها على التجريب، يريها إلى صوَّاج ليكشف عليها، هل هي جيدة ؟ أم مصلَّحة سابقاً ؟ يريها الميكانيكي، لأن السيارة غالية، الأمر أخطر من شرب كأس عصير مثلاً، فكلَّما كان الشيء تافهًا فإنه لا يحتاج إلى مقدِّمات، كلَّما صار الشيء غاليًا فإنه يحتاج إلى مقدِّمات كثيرة جداً.

أنا أعتقد أن أخطر حدثٍ في حياة الإنسان، ولا أبالغ هو زواجه، لأنه ألصق شيءٍ بحياته زوجته وعمله، فإذا وفِّق فيهما سَعِدَ في دنياه، وإن لم يوفَّق في زواجه ولا في عمله فقد شقي في الدنيا، فما دام الزواج خطيراً إلى هذا الحد، وما دامت خطبة المرأة وإعلان رغبتك بالزواج منها أمرًا يدخِلُها في عالمٍ آخر، فينبغي قبل أن تُقْدِم على الزواج أن تخطب، والخطبة مرحلةٌ إعداديةٌ الهدف منها نجاح الزواج.

التحذير من تقاليد الكفار في الخِطبة:

لكن أيها الإخوة الأكارم... أنا لا أدري كيف أن بعض المسلمين ينساقون في خطبة بناتهم كما يفعل الكُفَّار، يجب أن يتعرَّفوا على أخلاق بعضهم شهرًا، شهرين، وثلاثة، نزهات خارج البلد لكي يعرف أخلاقها، وتعرف أخلاقه، وفي أغلب الأحيان تنطفئ الرغبة من كليهما، ويذهب الخاطب ولا يعود، والأخطر من هذا أن يخلِّف حملاً، هذه أخطاء يقع فيها المسلمون، فلذلك خطبة أهل الكفر والفسوق والفجور يجب أن تبتعد بعداً كليّاً عن خطبة أهل الإيمان، خطبة أهل الإيمان تقويةٌ لهذا العَقْد العظيم، لهذا الميثاق الغليظ، إعدادٌ له.

أنواع الخِطبة:

إما أن تكون بإبداء الرغبة فيها صراحةً، كأن يقول الخاطب: أريد الزواج من فلانة، وإما أن تكون مفهومةً ضمناً بالتعريض، كأن يقول: والله أنا أبحث عن امرأةٍ صالحة، تسمع هذا الكلام امرأةٌ صالحة، هذا تعريض بالخطبة، وإما مباشرةً، إما تصريحاً أو تلميحاً، إما مباشرةً من قِبَلِك، أو عن طريق أهلك كلاهما مقبول.

مِن أحكام الخِطبة:

1 – الخِطبة ليست زواجا:


الخطبة ليست زواجاً لذلك لا تبيح أي شيء مما هو مباح بعد العقد

يا أيها الإخوة الأكارم... الخطبة ليست زواجاً، وليست عقد زواج، قراءة الفاتحة ليست زواجاً، وليست عقد زواج، الخطبة بالتعريف الدقيق: وَعْدٌ بالزواج، ليست زواجاً، ولا عقد زواج، لذلك لا يترتَّب عليها أي شيءٍ يباح بعد العقد إطلاقاً، لو أنك خطبت فلانة فأنت أجنبيٌّ عليها، وهي أجنبيّةٌ عليك، هذا حكم الشرع، في قانون الأحوال الشخصية السوري نُصَّ على ما يلي: الخطبة والوعد بالزواج، وقراءة الفاتحة، وقبض المهر ، وقبول الهديَّة لا تكون زواجاً.

أحياناً شخص يدفع مبلغًا من المال، لو دفعت مليون ليرة فهذه ليست زوجتك، لا قبول هديَّة، ولا قبض مهر ، ولا قراءة فاتحة، ولا وعد بالزواج، ولا الخطبة بمعناها المعروف، هذا كلُّه لا يسمى زواجاً ولا عقد زواج، ولا يترتَّب عليه أي شيء.

2 – تحريم الخِطبة على خطبة الأول:

عندنا شيء دقيق جداً، هذا الشيء هو أن العلماء استناداً إلى حديثٍ شريفٍ صحيح، وهو قول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم:

((لا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ))

(مسند أحمد: ابن عمر)

وما أكثر ما يفعل هذا المسلمون، من أين اشتريت هذه ؟ أنا عندي أرخص، الله يصلحك، لماذا لم تسألني ؟ هو ليس عنده أرخص، ولكن يريد أن يحرق قلب جاره، فنزل عن رأس ماله، هذا بيع الضرر، فالنبي الكريم نهانا أن نبيع على بيع إخواننا.

((لا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ))

كان السلف الصالح يفتح أحدهم الدكان، ويأتي الرجل ليشتري، وإذا جاء الثاني فيقول له: لا يوجد عندي، اذهب إلى جاري، أنا استفتحت، هذا مجتمع المسلمين، مجتمع المسلمين مجتمع المؤاثرة، مجتمع الحُب، مجتمع التعاون، مجتمع الوفاء، لا يرضى البائع أن يبع مرَّتين حينما يفتح دكَّانه، باع شيئاً يقول للشاري الآخر: اذهب إلى جاري، أما النبي الكريم قال:

((لا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ))

بلغه أن أخاه خطب فلانة، فبادر سريعاً إلى خطبتها، هذا محرَّم، إذا بلغك أن أخاك المؤمن، أو أن رجلاً خطب فتاةً فلا ينبغي أن تتقدَّم لخطبتها على خطبته، إلى أن ينجلي الأمر ، فإذا انسحب من الخِطبة، أو إذا رفضوه، أو إذا أذن لك جاز، فإما أن ينسحب هذا الخاطب، وإما أن يُرْفَضَ طلبه، وإما أن يأذن لك، أما أن تخطب على خطبة أخيك فهذا محرَّمٌ شرعاً، حتى يترك الخاطب قبله، أو يأذن له الخاطب.

أنا أعرف أسرةً تقدَّم لخطبة فتاتهم شابٌ يحمل شهادة في الهندسة، ويعمل في بلد عربي ثري، وهذا الشاب ملء السمع والبصر، أخلاقه عالية، ناشئ، ودخله جيد، بعد أن تقدَّم لخطبة ابنتهم، وعُقِد العقد الشرعي، وعاد إلى مكان عمله ليهيِّئ نفسه لجلبها إلى بلده، تقدَّم رجل ثري لخطبة هذه المرأة المتزوِّجة، أسرة مسلمة، فلمَّا رأوا هذا ثرياً فضَّلوه على الخاطب الأول، فأوحوا إلى ابنتهم أن إذا اتصل هاتفياً فلا تجيبيه، إن أرسل رسالة فلا تجيبيه، بعد حين، بعد قلق شديد، بعد إرسال رسائل عديدة، بعد اتصالات هاتفية كثيرة أُرْسِلَت للزوج رسالة: أننا عدلنا عن هذا الزواج، فطلِّق، فاضطر أن يطلِّق تحت الأمر الراهن، تقدَّم هذا الثري لخطبة ابنتهم، وخطبها، وعُقِدَ القِران، وتزوَّجها، وبعد حينٍ طَلَّقها، شاءت حكمة الله أن تُطَلَّق، وتزوجها رجلٌ ثالث وطلَّقها، وهي الآن مُطَلَّقة، هذه أصعب، الشرع نهى أن يخطب أحدكم على خطبة أخيه، فكيف وهي متزوِّجة، وفي أول عهدها بالزواج،

وقبل أن يدخل بها يُفسخ هذا الزواج لتأخذ هذه الفتاة ذاك الثري ؟! إذا الله عزَّ وجل يعاقب، وعقابه شديد، هذه أفعاله التكوينيَّة.

الحكمة من تحريم الخطبة على خطبة الأخ:

طبعاً لماذا حرَّم الشرع أن تخطب على خطبة أخيك ؟ لأن في هذا إيذاءً لأخيك، فهذا الشاب مثقَّف ورجل طيّب لا بأس، دخله جيد، جاء شاب آخر يملك أموالا طائلة، فلمَّا خطب شوَّش على أخيه، وضعَّف مركز أخيه، وآذى أخاه، الشرع حرَّم ذلك.

لكن كما قلت لكم: إذا تقدَّم إنسان لخطبة فتاةٍ، ولم يأخذ الجواب، لم يوافق أهلها على هذا الجواب، ما أعطوه الضوء الأخضر، هذه الخطبة لم تتم بعد، لكن العلماء يفضّلون أنه إذا خطب خاطبٌ فتاةً أن لا تتقدَّم لخطبتها إلى أن ينتهي الموضوع، إلى أن ينجلي الموضوع، إما بانسحاب الخاطب، أو برفض الفتاة وأهلها، أو بإذن الخاطب، الأدب الإسلامي يقتضي ذلك ، إلى أن تنتهي فترة التردد، والمفاوضات، والمشاورات التي تحدث عادةً حفاظاً على صلة المودَّة والمحبَّة بين الناس.

3 – ما كلاًّ امرأةٍ تُخطب:

ما كل امرأةٍ تُخطَب، فإذا تزوج الرجل امرأةً سيئة، وأنجب منها أولاداً عاقّين، فلمَّا اشتكى الأبُ إلى سيدنا عمر، اشتكى عقوق ولده، جاء ولده، وبيَّن لسيدنا عمر وضع أبيه، فقال له عمر رضي الله عنه:

((لقد عققت ولدك قبل أن يعقَّك حينما اخترت له أماً سيئة))

لذلك أول حقوق أولادك عليك، قبل أن تنجبهم، ابنك أيها الأخ الذي لم يُنجَب بعد، ابنك الذي في وهمك، في مخيّلتك له حقٌّ عليك، وهو أن تُحْسِنَ اختيار أمه، الولد ينبغي أن يفتخر بأمه، أن يفتخر بدينها، أن يفتخر بتربيتها، أن يفتخر ببيت أهلها، أي جده، بيت علم، بيت فضل، بيت كرم، بيت أصيل، بيت نسب، فمن حقوق أولادك عليك أن تحسن اختيار أمهم.

4 – تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ:

قال عليه الصلاة والسلام:

((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)).

(من صحيح البخاري عن أبي هريرة)

المرأة الغنية تحل مشكلة الزوج، لا يوجد عنده بيت، دبرنا حالنا، أحياناً إذا شعرت امرأته أنه خطبها لبيتها تملأ أذنه طوال الحياة منةً عليه، تذكره، هذا بيتي، انتبه، أنت ليس لك فيه شيء، يمكن أن تنشأ متاعب كثيرة جداً إذا تزوجت امرأةً لمالها، بعض الأحاديث التي رويت عن رسول ال له:

((من تزوج المرأة لمالها أفقره الله))

[ورد في الأثر]

يتكئ على مالها، ولا يتوكَّل على الله، فيفقد كرامته، ويفقد سعادته.

((من تزوج المرأة لمالها أفقره الله)).

ومن تزوجها لجمالها، السادة الشافعية يكرهون الزواج من امرأةٍ فائقة الجمال، متعبة جداً، أغلب الظن أنها متكبرة، وأغلب الظن أن هناك من يحوم حولها كثيراً، السادة الشافعية كرهوا الزواج من امرأةٍ فائقة الجمال، وسبحان الله ! كأن المجموع ثابت، فإذا زاد الجمال نقص العقل أحياناً، هناك تناسب، فالوسط أفضل شيء.

لمالها ولحسبها: أحياناً ترغب بها لا لجمالها ولا لمالها، ولكن لأنها بنت فلان، فلان إنسان أنت تحبه، وهو يحبك، من أهل الفضل والعلم.

اسمع نصيحة رسول الله قال:

((فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

(من صحيح البخاري عن أبي هريرة)

إن لم تفعل فما نلت شيئاً، ما نلت إلا التراب، تربت يداك، أي ما قبضت إلا على التراب الذي لا قيمة له، لأن الحسب تصم أذنيك طوال الحياة: أن أنا أبي فلان، أبي فلان ، أنت من أبوك ؟ هذا الشيء يقع إذا تزوج الإنسان امرأةً أعلى منه نسباً، لا تحتمل، وإذا تزوجها لمالها أيضاً أذلته أحياناً، وإن تزوجها لجمالها حامت حولها الشبهات، وتكبَّرت عليه، أما لدينها فأنت نفذت وصية رسول الله، النبي الكريم نهى صراحةً عن زوج المرأة لغير دينها، قال:

((لا تنكحوا النساء لحسنهن))

[ورد في الأثر]

طبعاً الحسن مطلوب، لكن أن يكون الحسن فقط فلا، إذا نُهينا عن الزواج لحسنهن حتى تكونوا في الصورة، النهي عن الزواج لحسنهن فقط، أي أنه تساهل بأشياء كثيرة من أجل الحسن فقط.

((لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يرديهن))

لعل هذا الحسن يردي المرأة ويردي معها زوجها.

((ولا لمالهن فلعله يطغيهن))

تطغى المرأة.

((وانكحوهن للدين، ولأمةٌ سوداء خرقاء ذات دينٍ أفضل))

هذه وصية الله عزَّ وجل:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

(سورة البقرة: آية " 221 ")

5 – اختيار الدين في الزواج والتزويج:

أحياناً يقرأ الإنسان القرآن، ويقول: صدق الله العظيم، مرة شخص في الطريق له محل تجاري، وأنا أمشي بالطريق خرج من دكانه، واستوقفني، قال لي: يا أستاذ، خطب ابنتي شاب غني جداً، وأحواله المادية ممتازة، وعنده بيت، ومعمل وسيارة، ولكنه لا يصلي، يا أستاذ، ولا يوجد عنده دين أبداً، فماذا أفعل ؟ قلت له: قال الله عزَّ وجل:

﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

قال لي: هذا صحيح، ولكن الأمر صعب، ابنتي رغبتْ فيه، بعد ذلك تزوجها هذا الشاب، فخطر في بالي خاطر؛ أن إذا الإنسان قرأ القرآن، وقال: صدق الله العظيم، الذي يزوج ابنته لإنسان فاسق، ولكنه غني هذا لم يقل: صدق الله العظيم، لم يصدق الله عزَّ وجل، وهذا الرجل طلَّقها بعد حين، لحكمةٍ عجيبة إذا بني الزواج على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بين الزوجين، وإذا بني الزواج على طاعة الله يبارك الله في هذا الزواج، بارك الله لها فيه، وبارك الله له فيها.

أسمع أحياناً أزواجًا متقدمين في السن يقول أحدهم: والله عشت معها خمسين سنة، الله يرضى عليها، لم أغضب منها يومًا.



مرة عزّينا صديقًا لنا توفيت والدته بأحد أحياء دمشق، والده عمره ثمانون سنة الله وأمه توفيت في السبعين، لفت نظرنا بكاء الزوج، زوج في الثمانين يبكي بكاءً مراً في وقت التعزية، فنحن بقينا إلى آخر التعزية، خففنا عنه بعض الشيء، قال: والله يا عشت معها عدد أربعين سنة، ما نمت يومًا غضبان منها، الآن يقول لك الزوج: لم أنم يومًا مرتاحًا.

خطب رجل امرأة، وأراد أن ينصحها فقال: " إن في خلقي سوءًا "، قالت: " إن أسوء خلقاً منك من حاجك لسوء الخلق "، المرأة السيئة من أي مكان يتألَّم زوجها؟ الذي يغضبه تفعله هي ؛ تأخير الأكل مثلاً، إهمال الأولاد، أي شيءٍ يزعجه تفعله، ولا تبالي، هذه امرأة سوء.

الحديث الآخر: سئل النبي: " يا رسول الله أي النساء خير ؟ " قال:

((الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ...)).

(مسند أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)

تعتني بهندامها، الشيء الغريب أن النساء في آخر الزمان هي لكل رجل إلا لزوجها ؛ زينتها، صوتها الناعم، لطافتها، أما في بيتها فتجدها تصرخ بأعلى صوتها، نعومتها لغير زوجها، أناقتها بالاستقبالات، كل شيء فيها محبوب لغير زوجها، هذه امرأة سيّئة، أنا أعرف أن نساء السلف الصالح كانت المرأة لا تجرؤ على أن ترتدي ثوباً لم يره زوجها أول الناظرين، هو آخر من ينظر للثوب، قيل يا رسول الله: أي النساء خير؟ قال:

((الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

(مسند أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)

النظر مطلقة، لم يقل النبي: إذا نظر إليها، معناها إن نظر إلى أي شيءٍ في البيت تسره، إن نظر إلى أولاده تسره، مرتبين، نظيفين، إن نظر إلى الغرف تسره، الغرف نظيفة ومرتبة، يسر منها إذا نظر إلى أي شيء.

مقومات المرأة المخطوبة:

نحن لا نزال في مقومات المرأة المخطوبة، وقد لخّص العلماء هذه المقومات في ثمانية شروط، هذا الكلام لإخواننا الشباب:

1 – الدِّين:

أن تكون المرأة دينةً: بنص الحديث السابق.

((... فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

(من سنن الترمذي عن جابر)

ذكروا أن سلطانًا جاء إلى الشام، ولم يضرب الوالي المدافع، فأمر بإعدامه، من حلاوة الروح قال له: اسألني ما هو السبب يا سيدي ؟ قال له: ما السبب ؟ قال له: هناك سبعة عشر سبباً، قال له: ما هي ؟ قال له: لا يوجد بارود، قال له: لا تكمل، فهم الموضوع..

((فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ..))

هناك ميزات أخرى، لها بيت، يكون عندها قصر، أبوها فلان، من كان أبوها يكون..

((فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

إذاً أول شرط أن تكون دينةً، انظر كله بالدليل، للحديث السابق:

((فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ))

2 – أن تكون وَلودا:

أن تكون ولوداً لحديث رسول الله:

((تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ))

(من سنن أبي داود عن معقل بن يسار)

النبي الكريم اللهم صلّ عليه أعطاك مقياسين للزوجة التي تسعد زوجها منها:

أن تكون ولوداً ودوداً، إذا كانت أرملة فتعرف بأن لها أولادًا، تنجب، وإذا كانت بكر فهذه الأسرة ليس فيها عُقْم بغلبة الظن، قال:

((تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ))

الشرط الثاني أن تكون ولودًا، لأن الطفل يجمع ويقوي العلاقة، والطفل يدخل البهجة في البيت.

3 – أن تكون بِكرًا:

وأن تكون بكراً، هذا ليس شرطاً، لأن البكر مفضلة، لأن هذه المتزوجة سابقاً كلما عملت شيئًا تقول لك: المرحوم لم يكن يفعل ذلك، المرحوم لم يكن هكذا، المرحوم لم يكن هكذا، تهلكه بالمرحوم، أن تكون بكراً لقوله ﷺ:

((فهلاَّ بكراً))

4 – أن تكون مِن بيت معروف بالدين والقناعة:

وأن تكون من بيتٍ معروفٍ بالدين والقناعة، لأنها مظنة دينها وقناعتها، نحن نريد المنبت.

﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾

(سورة آل عمران: آية " 37 ")

من شابه أباه فما ظلم، والبنت إذا شابهت أمها ما ظلمت، فالأم مهمة جداً في تربية البنات.

5– أن تكون مِن بيت حسب ونسب:

وأن تكون حسيبةً، وهي النسيبة، أي طيبة الأصل، يعبر عنها العوام بقولهم: ابنة عائلة، لها أهل، لها جدّ راقٍ، جدها وأبوها وعمها لا يسمحون بالغلط، لو أنها انحرفت يقيمون قيامتها، أسرة فيها تربية، فيها أخلاق، فيها مبادئ، الزوج مقدّس، حقوقه واضحة، الحكم هو القرآن الكريم، يقبلون بالحق.

والله مرة قال لي شخص: اشتكيت إلى أخي زوجتي عن أخته قال له: طلَّقها أحسن لك، استنصحه، هذه ليست أسرة راقية، أن تكون حسيبةً، وهي النسيبة، أي طيبة الأصل ليكون ولدها نجيباً.

6 – أن تكون على شيء من الجمال:

وأن تكون على جانبٍ يرضيه، أن يكون شكلها يرضيه، لأنه أسكن لنفسه، وأغض لبصره، اخطب امرأةً ترتاح لك نفسك، وتغض بها بصرك، لأنها إن كانت كذلك فهي أسكن لنفسه، وأغض لبصره، وأكمل لمودته، هل عندنا هنا دليل ؟ ليس عندنا شيء من دون دليل، هذا موضوع شرعي، على أن الإنسان إذا خطب امرأةً ينبغي أن يخطبها لتحفظه، لتجعله يغض بصره عن غيرها، لتكون أسكن لنفسه، والدليل:

((إن نظرت إليها سرتك)).

7 – أن تكون أجنبية غير ذي قرابة قريبة:

وأن تكون أجنبيةً غير ذات قرابةٍ قريبة.

قلت لكم مرة: عقد أسبوع العلم في دمشق قبل عشر سنوات، وجيء بأربعة عشر عالماً من بلادٍ بعيدةٍ متفوقةٍ في الطب، من بعض الموضوعات التي عولجت موضوع تحسين النسل، فجاء هؤلاء المحاضرون، وألقوا محاضراتهم العميقة والدقيقة، وآخر بحوثهم العلمية، وقام عميد مجمع اللغة العربية، وقد توفي . رحمه الله . قام بعد كل هذه المحاضرات، وقال: كل هذه المحاضرات لخَّصها نبينا عليه الصلاة والسلام، فقال:

((اغتربوا لا تضووا)).

[ورد في الأثر]

من صفات المرأة المخطوبة أن تكون أجنبيةٍ غير ذات قرابةٍ قريبة، لا تكون قرابة قريبة، لأن ولدها يكون أنجب، لأن إذا في قرابة يزداد الضعف، أما إذا في التباعُد فتغلب القوة الضعف، هذا موضوع المورِّثات:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾

(سورة الإنسان)

مثلاً: في مورثات البويضة ضعف بالكبد، بالمورثات المني في قوة بالكبد، القوة تغلب الضعف، يأتي الطفل قوي، أما إذا في القرابة فهنا المورث ضعيف بالكبد، وهنا ضعيف بالكبد، ضعف مع ضعف، هذا شيء كشفه الآن العلم، فكلما كان هناك تباعد كان الطفل أكثر نجابةً، وقيل: إن الغرائب أنجب، وبنات العم أَصْبَر، بنت عمه تعرف كل البيت، لا تتفاجأ، القريبة لها ميزة، أصبر على أزواجه، البعيدة أنجب، والقريبة أصبر، النبي يقول:

((لا تنكحوا القرابة القريبة، فإن الولد يخلق ضاوياً)).

[ورد في الأثر]

أي ضعيفاً.

8 – الاكتفاء بواحدة إن حصل الإعفاف:



آخر شرط أن لا يزيد على واحدة إن حصل الإعفاف بها، لما فيه من التعرُّض للحرام، قال تعالى:

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾

(سورة النساء: آية " 129 ")

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ))

(من سنن أبي داود عن أبي هريرة)

إذاً أن تكون دينةً، أن تكون ولوداً، أن تكون بكراً، أن تكون من بيتٍ معروفٍ بالدين والقناعة، أن تكون حسيبةً، أن تعينه على غض بصره، أي أن تروق له.

ألم نقل لكم عن شخص اشترط ثلاثين شرطا، وبعث والدته، دارت سنة، ولم تجد له امرأة وفق شروطه، الشروط كلها تعجيزية، تخلى عن شرط، دورة ثانية تخلى عن شرط، بعد ذلك أصبح على شرط واحد، أن تقبل به امرأةٌ، هذا الشرط بقي عليه.

من تباح خطبتها ؟

الآن من تباح خطبتها ؟

1 – ألاّ تكون من المحارم:

ألا يحرم بها الزواج شرعاً، من المحارم ؛ الأخت، والعمة، والخالة، هذا تحريم مؤبَّد، أخت الزوجة تحريم مؤقَّت، زوجة الغير تحريم موقَّت، ألا يكون الزواج بها محرماً على التأبيد أو على التوقيت، هذه امرأةٌ لا ينبغي أن تخطب.

2 – ألاّ تكون معتدة:

خطبة المعتدَّة، من حالات التحريم الموقَّت، إذا خطبت امرأةً في عدتها فهذا حرام، لماذا ؟ من يجيب عن هذا السؤال ؟ إنسان طلَّق امرأة طلاقاً رجعياً فدخلت في العدة ثلاثة قروء، في هذه الفترة لا يجوز أن تخطبها، لماذا ؟ لأن من حق زوجها أن يسترجعها بكلمة، فخطبتها عدوانٌ على الزوج، إذاً لا يجوز خطبة امرأةٍ معتدةٍ من زواجٍ سابق، هذا التحريم باتفاق الفقهاء، أما إذا كانت العدة بسبب وفاة الزوج فيمكن التعرض بالخطبة، التعريض، زوجها توفي لم يبق في هناك عداون، يمكن أن تبعث خبرا أنني رغبتُ بفلانة، أو أن يبعث الله لي زوج صالحا مثلي، يجوز ، هذا تعريض، وهي تطمئن، وتنتظر العدة، أما إذا كانت العدة سببها الطلاق، الآن إذا كان الطلاق رجعيا فلا يجوز أبداً، إذا كان بينونة صغرى أيضاً لا يجوز ، لأن الزوج في البينونة الصغرى يحق له أن يعقد عقده عليها بمهر وعقد جديدين، أما في البينونة الكبرى، طلقها ثلاثاً، فبانت عنه بينونةً كبرى، فلايجوز أن يخطبها لا تعريضاً ولا تصريحاً إلا أن تنتهي عدتها.

حكم العقد على المعتدة:

هناك في حكم شرعي دقيق جداً، إذا عقد على معتدة الزواج في العدة، ودخل الزوج بها، فُسِخَ الزواج بالاتفاق، وحرِّمت عليه تأبيداً عقوبةً له، هناك قاعدة فقهية: (من تعجَّل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه)، إذا خطب الإنسان امرأة في عدتها ودخل بها يفسخ القاضي هذا العقد، وتحرم عليه تأبيداً عقاباً له، كما لو قتل وارثٌ مورِّثه يحرم من الإرث عقاباً له، لأنه: من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

الشرط الثاني: أن لا تكون المخطوبة مخطوبةً سابقاً لخاطبٍ آخر، تكلمنا عنها.

إذاً الشروط: الدين، الولود، البكر.. البكر شرط محسن، لكن الثيِّب تتزوج بفضل.. من بيت معروف بالدين والقناعة، أن تكون حسيبة، أن تكون تعف زوجها، أن تكون أجنبية غير ذات قرابة قريبة، ألا يزيد على واحدة إذا حصل الإعفاف بها، ويحرَّم خطبة من يحرم الزواج منها تأبيداً أو توقيتاً، ويحرَّم خطبة المعتدة بطلاقٍ رجعيٍ أو بائنٍ بينونةً صغرى وأما الكبرى فيجوز أن تخطبها تعريضاً لا تصريحاً، أما إذا كان العدة بسبب وفاة الزوج أيضاً يجوز تعريضاً، وأن لا تكون مخطوبةً لخاطبٍ سابق لنهي النبي ﷺ.

عندنا موضوعات في الدرس القادم إن شاء الله تعالى: رؤية المخطوبة، الآن أكثر الأسر تظهر المخطوبة أمام خطيبها بأبهى زينةٍ.

بقي علينا موضوع ما يباح النظر إليه عند النظر، تحريم الخلوة بالمخطوبة، وقت الرؤية وشروطها، العدول عن الخِطبة وأثره، حكم فسخ الخطبة، حكم هدايا الخطبة، التعويض عن الضرر، هذه كلها موضوعاتٌ إن شاء الله تعالى نأخذها في درس قادم.

هذا الموضوع كما قلت يحتاجه الشباب والفتيات والآباء والأمهات، وهذا هو الشرع، ولا تقبل شيئاً من دون دليل، ولا تقبل شيئاً من دون دليل، لا تقبل لا تحريم ولا تحليل إلا بالدليل، إن كان مباحا فلحديث رسول الله، وإن كان محرَّما فكذلك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : رؤية المخطوبة في أي مرحلة من مراحلها يجب أن تكون ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة:

أيها الإخوة المؤمنون، لازلنا مع الموضوعات الفقهية التي نحن في أمسّ الحاجة إليها، والموضوع الذي طرح شطره في الدرس الماضي موضوع الخُطُوبَة، وقد قلت لكم في درس سابق: ما من بيت فيه فتيات في سن الزواج إلا وهذا البيت في أمسّ الحاجة إلى هذا الموضوع، وما من بيت فيه فتيان في سن الزواج إلا وهم في أمسّ الحاجة إلى هذا الموضوع، وهذا الموضوع يشمل الفتيان والفتيات، ويشمل الأولياء آباءً وأمهات.

تحدثنا في الدرس الماضي عن الخطوبة، عن تعريفها، وعن مراحلها، ووصلنا إلى موضوع دقيق، وهو التعرف على المخطوبة، أي رؤيتها.

ليست رؤية الخاطب المرأة المخطوبة في أول لقاء:

وبادئ ذي بدء، أكثر الأسر في أول زيارة قبل أن يبحثوا في أي شيء يطلبون رؤية الفتاة، والحقيقة أن رؤية الفتاة ينبغي أن تكون آخر مرحلة، فإذا كان هناك موافقةٌ مبدئية على الشاب، وإذا كان هناك موافقةٌ مبدئية على الشروط، أين تسكن هذه الفتاة، في بيت مستقل، مع أهله، في بلد خطبتها، في بلد آخر .

هذه موضوعات حساسة، أين تسكن ومع من تسكن، ومن هو الخاطب، ما سنه، ما مؤهلاته العلمية، ما مؤهلاته الاقتصادية، ما مؤهلاته الاجتماعية، مباشرةً من أول لقاء يطلبون رؤية الفتاة، ليست الفتاة سلعةً ترى، وتقلب، ثم يبحث في أسعارها وأثمانها، هذا ليس وارداً إطلاقاً، الإنسان له كرامته، له قيمته، وفضلاً عن ذلك هناك من يأتي ليخطب فتاةً، يأتي الخاطب والأب والعم والخال ليروا المخطوبة، ما هذا؟ هذا كله خلاف الشرع.



لابد من القبول المبدئي لكل الظروف قبل رؤية الخاطب للمخطوبة

التعرف على المخطوبة يجب أن يأتي في مرحلة أخيرة، الشاب مقبول، السكن مقبول، المستوى الاجتماعي مقبول، المستوى الاقتصادي مقبول من الطرفين، هو قبل وهي قبلت بقيت عقبة وهي أساسية أن تكون هذه المخطوبة مما يرغب بها الخاطب، لذلك أتمنى على كل الأخوة الأكارم في موضوع الخطبة أن يرجئوا موضوع النظر إلى المخطوبة إلى آخر مرحلة بعد أن يتفقوا على كل شيء.

ما الذي يحدث في الأسر غير المنضبطة ؟ أن هذا الشاب يرى هذه الفتاة تتزين له، ويراها في أبهى زينة، وتعلق آمالاً عريضة، ثم يكتشف أن الزواج ليس في بلدها، بل في بلد آخر، يرفضون، وكان قد رآها، يأتي خاطب آخر يرى الفتاة، ثم يختلفون على المهر، ويأتي خاطب ثالث، يرى الفتاة، ثم يختلفون على السكن، يطلبون سكنًا في بيت مستقل، وأهل الخاطب يلزمونها أن تسكن معهم، لا ينبغي أن تكون الشروط الأساسية لاحقة للرؤية، يجب أن تكون سابقةً للرؤية، فإذا تم الاتفاق على كل شيء، وتوضح كل شيء، وصار كل فريق يقبل الفريق الآخر بكل الشروط التفصيلية فلابد عندئذ من الرؤية، ومن حق الخاطب أن يرى مخطوبته، ومن واجب ولي الأمر أن يسمح له برؤية مخطوبته، وهناك أحاديث كثيرة تؤكد ذلك سوف نستعرضها.

مرحلة ما قبل الخطوبة والرؤية:

لكن هناك نقطة مهمة جداً، وأرجو الله عز وجل أن تكون واضحةً عندكم: هناك مرحلة تسبق الخطوبة، ما رأيكم؟ لأنه حينما يأتي بيت فلان ليخطبوا من بيت فلان ، وبيت فلان معروفون، وبيت فلان معروفون، فإذا جاؤوا ليخطبوا، ولسبب أو لآخر لم تعجبهم الفتاة، ماذا يقال بعد ذلك ؟ والله ما أعجبتهم الفتاة، فالذي لا يرى الفتاة يتوهم شيئًا آخر، إنها ليست في المستوى المطلوب، أو لسبب اجتماعي، أو لسبب أخلاقي، لذلك يوجد مرحلة قبل الخطوبة، لا ينبغي أن يعرف من الخاطب، ولا من الأسرة، لذلك ورد في الفقه أنه يمكن أن تتعرف على من ستكون مخطوبتك قبل أن تتعرف مخطوبتك من أنت، هذا ما تفعله بعض الأسر في دمشق، تأتي امرأة أم الخاطب، تدخل البيت، وتتكتم عن اسم الأسرة، أو تعطي اسماً خلبياً، فإذا كانت الشروط المطلوبة مقبولة أخبرت الخاطب، وعندئذ تقدموا بشكل رسمي لخطبة الفتاة، لا الأسرة التي رفضت محرجةٌ، ولا الأسرة المخطوبة محرجة، ما عرفوا من خطب، ولا من طلب، ولا من استنكر، هذه مرحلة في الفقه تسبق الخطوبة، لأن الخطوبة مرحلة تقريباً فيها موافقة بين الطرفين، فكيف توافق إذا ذهبت إلى أن ترى، لذلك قالوا: يجوز التعرف على المخطوبة مباشرةً، أو عن طريق جهةٍ ثانية، الطريقة الأولى أن يرسل الخاطب امرأة يثق بها، وقد تكون المرأة أمه، أو أخته، وقد تكون خالته أو عمته، وقد تكون امرأة إنسان يثق بدينه وعلمه، فهذه المرأة لا تقول من الخاطب، ولا من الأسرة تنظر إلى الفتاة، فإن كانت في الحد المطلوب أعلنت ذلك، هذا كله حفاظاً على كرامة الأسر، وحفاظاً على مشاعر الفتاة، حفاظاً على قدسية الزواج.

إذاً يجوز للخاطب أن يرسل امرأة يثق بها تنظر إلى مخطوبته، وتخبره بصفاتها، فإن كانت صفتها على خلاف ما يريد طوي الأمر، وكأنه لم يكن، وإن كانت المخطوبة في الصفة التي يرغب فيها الخاطب عندئذ جاؤوا مرةً ثانية، وسموا الأسرة، وقالوا: نحن بيت فلان، نريد التقدم لخطبة ابنتكم، طبعاً كل الكلام من الشرع. عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))

[الترمذي، ابن ماجه، النسائي]

طرق الخطبة:

1 – إرسال المرأة الموثوقة جلبا للمصالح ودفعا للمفاسد:

النبي عليه الصلاة والسلام بعث أم سليم، وقال: انظري إليها، أن يرسل الخاطب امرأة يثق بدينها، هناك حالات الأهل لهم اتجاه، والشاب له اتجاه، فإذا أرسل هذا الشاب ليخطبوا له، فالفتاة التي تعجبه بدينها وخلقها قد لا تعجب أهله، لذلك يبخسون بها، قد يتناقض الخاطب مع أهله، فلذلك لابد من أن يرسل الخاطب امرأة يثق بدينها، يثق بصدقها، يثق بنصحها، يثق بأنها لا تحيد، لا تبالغ، لا تطمس الميزات، أنا أعلم علم اليقين أن هناك حالات كثيرة من الزواج لم تنجح، لا لأن الفتاة ليست بالمستوى المطلوب، بل لأن أهل الشاب لا يرغبون أسرةً متدينة، الأسرة التي تعجب الشاب يضعون العلل كثيراً في فتيات هذه الأسرة، فالشاب يجب أن يرسل امرأة قد تكون أمه، أخته، عمته، خالته، أو امرأة أخ مؤمن يثق بدينه وعلمه، لابد من أن تكون المرأة صادقةً موثوقةً حتى تنقل له الصورة الصحيحة، فإن جاءت الصورة مطابقةً لطموح الشاب الآن أعلنا الخطوبة.

إنّ هذه مرحلة يجب أن تسبق الخطبة، وللمرأة أن تفعل مثل ذلك، هل في الإسلام عدالة أدق من هذه العدالة ؟ كما أن للشاب له الحق أن يرسل من تخبره عن صفات الشابة قبل إعلان الخطبة كذلك للفتاة أن تكلف أخاها أو أباها أو قريباً لها من محارمها أن ينظر إلى حال الشاب، وأن يخبرها عنه، وهذا من أين استنبط ؟ من قول الله عز وجل:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة البقرة)

إنّ المرأة لها شخصيتها، ولها اختيارها، ولها استقلالها، كما أن الشاب يجب أن يتأكد من مستوى مخطوبته، كذلك للمرأة أن تفعل ذلك بإرسال أحد محارمها لينظر إلى خاطبها، فإن أعجبه نقل إعجابه لمخطوبته فتمت الخطبة.

اتضح لكم الآن أنه قبل أن تعلن الخطبة بشكل رسمي، وقبل أن تتقدم الأسرة لتخطب فتاة من بيت فلان ينبغي أن تسبق هذه المرحلة مرحلة فيها تكتم شديد، فيها بُعد عن إظهار الأسماء حفاظاً على كرامة الأسر، وحفاظاً عن القيل والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة الوقت، لماذا لم يأخذوا ؟ من الرافض ؟ هم يدعون أنهم رفضوه، وهي تدعي أنها لا تعجبه، هذا كله نهش في أعراض المسلمين لا يرضي الله عز وجل أبداً.

أنا أعلم علم اليقين أنه ما من خطبة لم تنجح إلا سمعت رأيين متناقضين، سمعت من أهل الفتاة أنه شاب سيئ جداً، رفضوه، ولن يلتفتوا إلى مثل هذا الشاب، وإذا سألت أهل الشاب يقولون: هذه امرأة تصاب بالدوار، ومعها مرض، ومعها كذا، هذا لا يجوز، هذه أسرار المسلمين، هذه معلومات لا ينبغي أن تنشر، لذلك عندما يتكلم الإنسان فيما لا يعنيه يتحمل مغبة عمله.

2 – نظر الخاطب إلى مخطوبته وأدلة ذلك:

الطريقة الثانية: أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته فوراً، ينظر إلى الوجه والكفين والقامة، إذ يدل الوجه على الجمال والكفان على الخصوبة والنحافة، والقامة على الطول والقصر، الوجه له دلالة، والكفان لهما دلالة، والقامة لها دلالة، وقد دل الشرع الحنيف على جواز من يريد الرجل خطبتها.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ، قَالَ: فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا، وَتَزَوُّجِهَا فَتَزَوَّجْتُهَا))

[أبو داود، ابن ماجه]

الدراسة المتأنية للزواج من عوامل نجاحه

رؤية الخاطب لمخطوبته حق شرعي له، جاءت به السنة المطهرة، فلا يحق للأب أن يمتنع، ولا يحق للشاب أن يرفض، لأن الزواج قضية مصيرية، وليست قضية سهلة، لذلك كل إنسان يتسرع بالزواج هذا الزواج ينتكس، وكل إنسان تزوج بعد دراسة متأنية أغلب الظن أن هذا الزواج ينجح، لذلك الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(سورة النور)

يفهمها بعض المؤمنين فهماً خطأً، هذه الآية لا تعني أنه بالضرورة كل مؤمن زوجته مؤمنة، ولا كل مؤمنة زوجها مؤمن، هذه آية جاءت بصيغة الخبر، لكنها تفيد الإنشاء، كما قال المفسرون: ينبغي أن يكون الطيبون للطيبات.

الكفاءة:

هذا ينقلنا إلى موضوع في الفقه، وهو موضوع الكفاءة، الإنسان له مستويات عديدة له مستوى معاشي، له مستوى ثقافي، له مستوى علمي، له مستوى في التدين، فلا ينبغي أن تزوج فتاة دينةً صالحةً حافظةً لكتاب الله عز وجل أن تزوجها لشاب بعيد عن الدين، إن هذا الزواج جحيم، هي في مستوى وهو في مستوى، هي يعنيها حفظ القرآن، وتعنيها صلواتها وعبادتها، وطاعتها لربها، وهو يعنيه منها ما يشيع بين الناس من اختلاط وفساد، ونزهات مختلطةٍ، لذلك تنشأ الخصومات، والشقاق، وهذا الزواج لن ينظر فيه إلى الكفاءة بين الزوجين، يوجد كفاءة دينية، ثقافية، اقتصادية، اجتماعية.

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))

يؤدم بينكما، أي أن يوفق بينكما.

وقد أرسل النبي صلى الله المغيرة إلى رؤية خطيبته قبل الخطبة، لكن أحياناً هناك مَن يقول لك: مشكلة الزواج أن كل الخبرات التي يحصلها الزوج من زواجه لا يستفيد منها، لأن الزواج مرة واحدة في الأعم الأغلب، فترى كل رجل يقول لك: لو عملت كذا، لذلك إذا سأل الإنسان، وبحث، وكون خبرات قبل الزواج هذه يستفيد منها، أما أن يستفيد من خبراته الشخصية فأغلب الظن أنه لا يستفيد، منها لأن الزواج مرة واحدة، وهذا المزواج المطلاق

هذا إنسان مجروح العدالة، يتزوج ويطلق لأسباب تافهة، ويتزوج ليذوق امرأة أخرى، لعن الله الذواقين والذواقات، كما قال عليه الصلاة والسلام، الزواج عملية مقدسة جداً، وهي أقدس عملية في الأرض، قال تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

(سورة النساء)



هو أقدس عقد، وأخطر حدث في حياة الإنسان، يولد، ينشأ، ثم يتزوج، هذه امرأة ستكون معه طوال حياته، في خلوته وجلوته، في مسراته وأتراحه، في ارتفاعه وانخفاضه، في قوته وضعفه، ملازمة له، فالمرأة التي لا تستطيع أن تعيش معها كيف تخطبها؟

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ حُمَيْدَةَ الشَّكُّ مِنْ زُهَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا، إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخِطْبَتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ لا تَعْلَمُ))

هنا نقطة مهمة سأوضحها لكم، أحياناً يطرق خاطب باباً من أبواب المسلمين فلا يعود، وخاطب آخر لا يعود، وخاطب ثالث لا يعود، فهذه الفتاة ربما تأثرت لهذه الإخفاقات المتتالية، فإن جاء خاطب رابع بإمكان ولي الأمر أبًا كان أو أخًا، أن يسمح للخاطب أن يرى مخطوبته من دون أن تشعر، من دون أن تعلم، وهذا يغطي حالة أخرى ، هذه الفتاة حدثت معها مشكلة، أول خاطب وثاني خاطب، والثالث.

مرة كنتُ في ندوة في إذاعة عربية، ندوة دينية، وهذه الندوة كانت تتلقى أسئلة على الهاتف، وهناك مفتٍ في بلد عربي مسلم، جاء هاتف من فتاة، والله أنا بكيت، قالت لهذا المفتي: كلما جاء خاطب لا يعود وأجهشت بالبكاء، معنى هذا أن الإنسان عندما يخطب، ويقلب هذا كسر للفتاة، الفتاة لها كرامتها، لها مشاعرها، هذه البنت كلما جاءها خاطب ولى مدبراً ولم يعقب، معنى هذا أنه لا يجب أن نضيف الحالات الكثيرة، الأولى في مثل هذه الحالة أن نسمح للخاطب أن يرى هذه الفتاة دون أن تشعر، هذا يغطيه حديث لا يرقى إلى مستوى الصحة:

((إذا أراد أحدكم أن يتزوج فليولج بصره))

[ورد في الأثر]

معنى يولج بصره أنه أن يرى دون أن يُرى.

وفي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام:

((... فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخِطْبَتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ لا تَعْلَمُ))

فإذا تتالى الخطاب ربما يورث إحراجاً للفتاة، وجرحاً لها، فالأولى أن نسمح للخاطب الجديد أن يرى مخطوبته من دون أن تشعر.

مقدار ما يباح النظر إليه في الخِطبة:

يرى أكثر الفقهاء، وأنا أقول لكم دائماً: يجب أن نكون مع مجموع الفقهاء، مع الجمهور لا مع رأي الفرد. مرة حدثني أخ كريم أنه كان طالباً بمدرسة، فقال لهم أستاذ التربية الإسلامية: يجوز للخاطب أن يرى مخطوبته كما خلقها الله، قلت: من قال هذا ؟ قال: هكذا قال أستاذنا، قلت: ما دليله، فسأله فقال: قول النبي

((انظر إليها))

والمطلق على إطلاقه، شيء جميل، ما هذا الاستنباط المضحك، قلت له: لو عرضت هذا الأمر على ألف ملحد لا يقبل واحد أن يرى الخاطب مخطوبته كما خلقها الله، هذا الكلام مستحيل، ونحن لا نريد أن نتبع الآراء الشاذة، ولا الآراء الأحادية، نريد أن نتبع جمهور الفقهاء، قال أكثر الفقهاء:

((على أن للخاطب أن ينظر إلى من يريد خطبتها إلى الوجه والكفين فقط))

وأنا أعلم، صدقوني عدة حالات رفض الخاطب مخطوبته لأنها بدت له في أبهى زينة، فعد هذا ضعفاً في دينها، هي ماذا أرادت، أو ماذا أراد أهلها ؟ أن تظهر فتاتهم بأبهى زينة أمام الخاطب، لعل هذا يؤكد قبولها، الذي حدث هو العكس، أن الخاطب حينما رأى مخطوبته ليست ملتزمةٍ رفضها لضعف التزامها.

لهذا أيها الإخوة الأكارم، لا تنسوا هذا الحديث الشريف، وأنا أعد هذا الشريف مقياس:

((من ابتغى أمراً بمعصيةٍ كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى))

[ورد في الأثر]

أنت أردت هذا الشيء بهذه المعصية، ابتعد منك هذا الشيء، أنت أردت بهذا الشيء، وخفت من هذا الشيء، سلكت طريق المعصية، هذا الشيء الذي تخافه اقترب منك، لذلك الأهداف النبيلة لها وسائل نبيلة، اعلم علم اليقين أن كل شيءٍ، وهنا نقطة دقيقة جداً ، عندما يعيش الإنسان مع الناس يستنبط قواعد، هذه القواعد ربنا عز وجل أحياناً يعطلها إذا أنت أردت أن تستخدمها من دون طاعةٍ لله.

أحد إخواننا الكرام تعاقد مع شركة أجنبية ومعه سيارته، أول ما قام بالعمل أو يوم، هؤلاء الخبراء اشتروا خمراً، فلما شعر أن هؤلاء يستخدمون سيارته لنقل المشروبات، والأجر كبير جداً وضخم جداً، قال: لا أسمح لأحدٍ أن يستخدم مركبتي للمشروبات، فمنطق الناس، ومنطق العصر أن هذا يرفض، والذي حدث هو العكس أن هذه الشركة وثقت بهذا الموظف إلى أعلى درجة، ومنحته تعويضات وإضافات وميزات ما كان يحلم بها، لأنه وقف الموقف الشريف.

هناك نقطة أرجو الله أن أوضحها لكم، البشر يخططون، البشر لهم قواعد تحكم تحركاتهم، وهذه قواعد مستنبطة من الحياة الاجتماعية، لما يؤثر المؤمن جانب الله عز وجل، فالله عز وجل له خطة أخرى، قد يعطل بها قواعد البشر، أنت بحسب منطق الأحداث، إذا رفضت معصية، ورب العمل أقوى منك يطردك، لكن من قال لك: إن الله عز وجل يسمح له بذلك، ربما رفضك لهذه المعصية كما جاء بالحديث أن الله عز وجل يزرع في نفسه توقيرك وتعظيمك، فهذه النقطة غير موضوع الخطبة في التجارة والصناعة والعلاقات الاجتماعية، في الصفقات، في كل شيء، حينما تؤثر جانب الله عز وجل يغير ربنا لك القواعد المألوفة في التعامل، وهذه كرامة لك، وإذا كنت مع الله كان الله معك، كان الله معك بالتأييد، والنصر، والتوفيق، والحفظ.

يرى الفقهاء للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته إلى وجهها وكفيها فقط، لأن رؤيتها تحقق المطلوب من الجمال، وخصوبة البدن وعدمها، فالوجه يدل على الجمال، والكفان تدلان على خصوبة البدن، والقامة تدل على الطول، والحنابلة أجازوا إلى ما يظهر عند القيام بالأعمال، أجازوا الوجه والرقبة واليد والقدم والساق، هذا رأي الحنابلة،

نحن إذا كان هناك آراء عديدة نأخذ بالأحوط، أليس كذلك ؟ أما عند الضرورة فنأخذ بالأسهل، وعند عدم الضرورة نأخذ بالأحوط.

شروط الرؤية ووقته

ينبغي أن يكون نظر الخاطب إلى مخطوبته قبل الخطبة، إما مباشرةً أو عن طريق امرأةٍ يثق بها، ويرجح أن تكون بغير علم المرأة . كما قلت في مستهل الدرس . مراعاةً لكرامة المرأة، ولكرامة أسرتها، فإن أعجبته تقدم لخطبتها من غير إيذاء لها، ولا إحراج لأسرتها، وهذا هو المعقول.

ماذا يحدث في بعض الأحيان ؟ تقام زيارة لأقاربها، في حضور مجلس علم، هناك من ينظر إلى أدبها، إلى ورعها.



مرة أخ كريم قال لي: لا يوجد فتاة تحضر في هذا المسجد إلا خطبت، قلت له: الحمد لله، عندنا نعمة ثانية غير الهدى، فتاة في مجلس علم، طبعاً الحاضرة هذه لها أخ، هذه أخت، هذه ابن أخ، ورأى البنت مناسبة محجبة، فيها حياء، خجل، تسأل عنها، يمكن أن يكون اللقاء في مجلس العلم مناسبة أيضاً، يمكن في زيارات الأقارب أيضاً مناسبة، فهذه المرحلة تسبق الخطبة النظامية الرسمية، وأنا أعتقد أن كل أم في ذهنها، وتبحث عن فتاة لابنها، فإن رأت فتاة في أي مكان مناسبة من حيث الأخلاق والشكل تبحث عن أهلها، ثم تقصد بيتها.

فقلت لهذا الأخ: والله لقد سررت بهذا الخبر، لأن بنات إخواننا الكرام بناتنا ، وهذه نقطة مهمة جداً، إذا لم يكن هناك حب، ومحبة الآباء تستوجب محبة الأبناء، هذه قاعدة، الأخ في المسجد له حق على هذا المسجد، ابنه يجب أن يتعلم، ابنته أن تتزوج، هذا من حقه، نحن في معهد تحفيظ القرآن الهدف منه أن يحفظ أطفال إخواننا القرآن، نحاول أن نرغبهم بنزهات، وبأشياء إسلامية مشروعة، حتى هذا الأخ ينشد إلى المسجد، ابنه ابننا، وابنته ابنتنا، والله يدخل إلى قلبي فرح لما أشعر أن أخاً كريماً له بنت تزوجت من شاب مؤمن، أشعر براحة كبيرة، وهذا

شيء طبيعي جداً، والحد الأدنى من الإيمان أن المؤمن للمؤمن أخ له يفرح لفرحه، ويتألم لألمه، وإذا كان لأخ ابنة ما خطبها أحد أشعر بألم، وأبحث بكل طاقتي، وهذه الأشياء نصيب، وليس باليد، ولا شيء أملكه، فهذا الأخ الذي أخبرني أن كل الفتيات خُطبنَ قلت له: الله يجبر بخاطرك.

تحريم الخلوة بالأجنبية:

عندنا موضوع دقيق جداً، وهو تحريم الخلوة بالمخطوبة، الخطبة ليست زواجاً، نحن مسلمون، نحن يحكمنا شرع الله عز وجل، مرجعنا كتاب الله وسنة رسوله، عندنا منهج نسير عليه، عندنا قانون نتبعه، قانون هو الله عز وجل، ترى إنسانًا متفرنجًا، والاسم مسلم، ونمط حياته نمط غربي، من عادات الغرب أن الخطوبة تستمر سنوات وسنوات، حتى يتعرف على أخلاقها، ويأخذها عدة سنوات، حتى ينفرد بها عدة مرات، وحتى يفعل كل شيء ثم لسبب تافه يتركها.

سمعتم مرة في الشام بجريمة وقعت، أن شابًا خطب فتاة أربع أو خمس سنوات، وهي طالبة في الطب، ولما تخرجت يظهر أنها وجدته دون مستواها، والخطبة طويلة جداً، فهذا الشاب امتلأ حقداً فقتل أباها وأخاها وأختها وأمها ومخطوبته، وقتل نفسه.

هذه كلها مخالفات للشرع، فالخطبة لا ينبغي أن تطول، وينبغي أن تعلم أن النبي الكريم قال: أخفوا الخطبة، وأعلنوا النكاح، وبالإعلان الشديد والصارخ للخطبة أقاويل، والعقد لم يتم، يأتي إنسان تافه يقول له: ماذا نريد بهذا البيت ؟ ليس من مزاجك، ما هو الدليل ؟ هكذا رأيت، هذا الكلام فيه خراب بيوت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

أنا سمعت أن مَخبر جاءه تحليل حمل، فيظهر أن هذه العينة كسرت، وهذا الموظف خاف من صاحب العمل، وأحضر عينة ثانية، وحللها فجاء الأب، وقال له: هنيئاً، ابنتك حامل، والأب ابنته لها مشكلة، وهي مخطوبة، ولم يحدث عقد ، فعندما قال له حامل قتل ابنته، والأب جاهل، هل تعلمون من قتلها حقيقةً ؟ المَخبر هو الذي قتلها

حقيقةً، فالذي يهمل، ويراقب موظفيه يخسر، هذا الموظف مهمل، أحضر عينة أخرى، وقال له: مبروك، البنت حامل.

هناك أشياء خطيرة جداً، فلذلك كان تحريم الخلوة بالمخطوبة، لأن الخطبة ليست زواجاً، إنما هي وعد بالزواج، كما أسلفنا في الدرس الماضي في تعريف الخطبة: وعد بالزواج، فلا يترتب عليها شيء من أحكام الزواج، لا الخلوة، ولا المعاشرة بالانفراد، لأنها ما تزال أجنبيةً عن الخاطب، وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة عن الخلوة بالأجنبية، وعن الجلوس معها إلا مع محرمٍ، كأبيها، أو أخيها، أو عمها، ومن تلك الأحاديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَامِرٍ يَعْنِي ابْنَ رَبِيعَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ مَاتَ وَلَيْسَتْ عَلَيْهِ طَاعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، فَإِنْ خَلَعَهَا مِنْ بَعْدِ عَقْدِهَا فِي عُنُقِهِ لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَيْسَتْ لَهُ حُجَّةٌ، أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لا تَحِلُّ لَهُ، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، إِلا مَحْرَمٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ))

لم يقل: مؤمن، كافر، قال رجل، أيّ رجل لا يجوز أن يخلو رجل بامرأة لا تحل له، والمخطوبة امرأة لا تحل لك، هذا وعد بالزواج، الشرع أباح لك أن تنظر إليها في حضرة محرم، إذا رآها في حضرة أمها، وأمها أجنبية عنه، أخي هذه حماتي، لا، هي حماتك في المستقبل، ينبغي أن تنظر إلى مخطوبتك فقط، من المحرم والدته، يأتي هو ووالدته، ويرى المخطوبة، يمكن أمام أبيها، إما امرأة من محارمه هو، أو رجل من محارمها.

وأما المعاشرة والذهاب معها إلى أماكن عامة فلا يجوز، وهناك كثير ممن يخطب، ويعقد، ويطلبها إلى نزهة، فيرفض الأهل، ما هو الجواب ؟ إذا تم العقد فهي زوجته، لكن لماذا يرفض الأهل ؟ هناك عرف، والعرف كما تعلمون أحد مصادر الشرع، العرف أن هذه الفتاة كتب كتابها، ولكن لم تدخل، فإن نشب خلاف عنيف في أثناء الفترة بين العقد والدخول، وكانت قد ذهبت معه في نزهات كثيرة، وأماكن كثيرة، والأمر قضي، معه حجة قوية جداً، أنها ليست بنتاً، أما حينما لا يسمح له بأن ترافقه إلا بعد الدخول، ومعروف أنه عند الدخول يتأكد أنها فتاة عفيفة طاهرة، كذلك العرف يأخذ به، إذا انفرد بها دائماً قبل الدخول يمكن أن يحدث الأمر النهائي، إذا حدث هذا الأمر، وصار خلاف يقول لك: هذه ليست فتاةً، هناك مجال أن يكيد كيداً كبيراً للأسرة، فلذلك نحن مع الشرع، ومع العرف الذي أقره الشرع، أما المعاشرة قبل الزواج، والذهاب معاً إلى الأماكن العامة فهذا كله ممنوع شرعاً،

بل إنه لا يحقق الغاية المرجوة، إذ كل منهما يظهر بغير حقيقته، هؤلاء النساء القدامى عندهم خبرات، الآن كل شاب يخطب فتاة يأتي، ويمدحها لأمه، يا أمي ما هذه البنت، هذه ملَك، فهذه الأم تعرف الحقيقة، تقول له: على رسلك، بعد سنتين تعرفها كما هي، لا يوجد إنسان في الخطبة إلا ويظهر في أعلى درجة من اللطف والأناقة واللين والحلم، الخاطب والمخطوبة، لكن بعد الزواج يظهر الوضع الحقيقي، فالشاب يندفع اندفاعاً شديداً، ويكيل المديح جزافاً لمخطوبته، وهي بالمقابل تكيل المداح جزافاً لمخطوبها، لكن بعد الدخول يصبح الزواج عاديًا، مثله مثل أي زواج، فالإنسان له ميزات، وله نقائص، له إيجابيات، وله سلبيات، إنسان كله سلبيات غير موجود، وإنسان كله إيجابيات غير موجود.

كان هناك ملِك من ملوك الأندلس اسمه المعتمد بن عباد، كان مرة يتنزه في حديقته، فنظم شطر بيت، ثم سمع صوتاً من خلف يكمل له شطره الآخر، هي جارية، وشاعرة، أعجب بها، وتزوجها، وأكرمها إكراماً ما بعده إكرام، مرةً حنّت هذه الجارية إلى حياتها الفقيرة، يوم كانت تمشي في الطين، وتحمل الحاجات، فلما طلبت منه ذلك جاء بالمسك والعنبر، وجبله كالطين، من أجل أن تدوس فيه، فسمي هذا اليوم يوم الطين، فلما نحي عن منصبه، وجاء ابن تاشفين، وأزال ملوك الطوائف جميعاً، وتولى عنهم قيادة البلاد ضد الإسبان، فهذا الملك ابن عباد دخل السجن، وافتقر، فمرة قالت له هذه الجارية التي أكرمها إكراماً ما بعده إكرام، قالت له: لم أرَ منك خيراً قط، فقال لها: ولا يوم الطين، هكذا بعض النساء يكفرن العشير، إذا أحسنت إلى إحداهن الدهر كله الملك ابن عباد ثم رأت منك شيئاً قالت: لم أرَ منك خيراً قط.

العدول عن الخِطبة:

بما أن الخِطبة ليست زواجاً، وإنما هي وعد بالزواج فيجوز في رأي أكثر الفقهاء للخاطب أو المخطوبة العدول عن الخطبة، هي ليست زواجاً، ولكنها وعد بالزواج، إذاً يجوز، لكن المؤمن الراقي يقول: لا يوجد نصيب، أسرة كريمة، وهم أفضل مني، ولكن الظروف قاهرة، أنا عندي دراسة، وأهلها قالوا: إنها صغيرة، وأحبوا أنها تكبر، المؤمن يختار سبباً لطيفاً جداً، إذا سئل: لماذا لم تتابع ؟ وكلما كان مستواك أرقى لا تخلق مشكلة، ولا تتهم، ولا تشير، بالاتهام إليهم، وهم بريئون منه، فأجمل كلمة: لا يوجد نصيب، وهذه الأسرة طاهرة وكريمة، ولكن يوجد ظروف خاصة، يوجد عندي سفر، هكذا المؤمن، أما أهل الدنيا المتفلتون من شرع الله عز وجل فيقول أحدهم ما يحلو له بحق أو بباطل، وهذا كله محاسب عليه.

هناك حديث:

((قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة))

[مسند الفردوس]

الإنسان قبل أن يغلط في أعراض الناس، قبل أن ينهش، أنا لم أقل شيئاً سوى أني هززت القميص، هذا قذف محصنة، أحيانا يرفع حواجبه، هذا أيضاً اتهام، أحيانا يغمز بإشارة، كل هذه اتهامات.

هناك تعليق لطيف، وأكثر الناس يستخيرون الله عز وجل، يقول لك: استخرتُ ولم أجد شيئًا، ماذا تريد أن ترى ؟

هل تريد وحياً أن يقول لك شيئًا ؟

بعضهم لم يفهم ما هي الاستخارة، لما يستخير الإنسان الله عز وجل يقول: يا رب، إن كان هذا الأمر خيرًا لي في ديني ودنياي، وعاجل أمري فيسره لي، إذاً ما هو الجواب ؟ عندما يتيسر الأمر معنى هذا أن الله يريد هذا الأمر، خطبت، وقلت: أنا عندي بيت غرفة واحدة فقط، فقالوا: نحن نريد بيتًا كبيرًا، معنى ذلك أنهم رفضوا، وهذا الزواج، لن يتم، وعندما قبلوا فقبولهم تيسير من الله عز وجل، فلا أحد ينتظر منامًا.

الآن هناك طريقة جديدة، أنا كلفت فلاناً أن يصلي لي الاستخارة، من قال لك: إنه يجوز لإنسان آخر أن يجري استخارة لك، هذا ما ورد إطلاقاً، وما فعلها النبي، تستخير أنت لنفسك، والدعاء معروف، تصلي ركعتين وتقول: اللهم إن كان هذا الأمر فيه خير لي في ديني ودنياي، وآجل أمري وعاجله فيسره لي، وإن لم يكن كذلك فاصرفه عني، واصرفني عنه، أما أروع ما في الدعاء: واصرفني عنه، لا أبقى معلقًا به، كمن خطب فتاة، ولا يوجد فيها خير، وبقي قلبه معلقًا بها، هذه مصيبة، من كرم الله عز وجل أن الشيء الذي لا خير فيه أن يصرفك عنه، لكن أطمئنكم هناك حديث:

((ما كان الله ليعذب قلباً بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

إذا تركت شيئاً في سبيل الله إكراماً لك من الله عز وجل لن يعذبك بهذه الشهوة.

رجل خطب في الجاهلية فتاة في أعلى درجة من الجمال، فلما اهتدى إلى الله، واصطلح معه رآها لا تليق به، مع أنها في غاية الجمال، ثم خطب فتاةً مؤمنة أقلّ منها جمالاً، فإكرامًا له لا يمكن أن يتعلق قلبه بهذه الفتاة، لماذا؟ لأنه آثر جانب الله عز وجل.

لذلك إذا لم يكن العقد فلا إلزام ولا التزام، لا يستطيعون أن يلزموك، وأنت لا تلتزم، ولكن يطلب خُلقاً أي ديانةً، كمالاً ألاّ ينقض أحدهما وعده إلا لضرورة أو حاجة شديدة، كامرأة بعد أن خطبها رجل أصلحت سنًّا في فمها، يتركها لأسباب تافهة، هذا لا يجوز، مراعاة لحرمة البيوت وكرامة الفتاة، لا ينبغي للخاطب أن يعدل عن خطبته إلا لسبب وجيه.

هناك أمر آخر متعلق بالعدول، إذا أردت أن تعدل عجل بالعدول، كمن خطب وبعد يومين قال: لا يوجد نصيب، لا مشكلة، بعد أسبوع أصعب، بعد أسبوعين لا تنام المخطوبة، أين سوف نسكن ؟ أريد أن آخذ غرفة نوم لونها زهر، تجعلها تسير في خيالات، أما إذا رفضت فبلّغهم ثاني يوم، ولا تتركهم شهرًا، في هذا الشهر تكون قد بنت قصوراً شاهقة، فالسُّنة إذا أردت أن تعدل فليكن إبلاغك لعدولك سريعاً جداً حتى لا تتأزم الأمور.

الآثار المترتبة على فسخ الخطبة:

1 – لا أثر لانفساخ الخطبة:

لا يترتب على انفساخ الخطبة أي أثر مادام لم يحصل العقد، و يكونون قد قدّموا خاتم خطبة.

2 – حكم رد الهبات والهدايا:

أما ما قدمه الخاطب من مهر فله أن يسترده، سواء أكان هذا الشيء الذي قدمه قائماً أم هالكاً أم مستهلكاً، قائماً كخاتم، هالكاً كالعطر، وتعطرت به، وتبخر، وبقيت الزجاجة فارغة، وهو أريدها، أو مستهلكاً.



هنا في هذه المسألة اختلاف في المذاهب، ففي حال الهلاك أو الاستهلاك يرجع بقيمته إذا كان قيمياً، وبمثله إذا كان مثلياً، أياً كان سبب العدول هذا رأي. هناك رأي ثانٍ، السادة الأحناف قالوا: هدية الخطبة هبة، وللواهب أن يرجع بهديته إلا إذا وجد مانعاً من موانع الرجوع بالهبة، كهلاك الشيء أو استهلاكه، أساس الشيء هبة.

والمالكية قالوا: إذا كان العدول من جهة الخاطب ينبغي أن لا يسترد شيء، وإذا كان من جهة المخطوبة له أن يسترد كل شيء هذا رأي المالكية.

أمّا رأي الشافعية والحنابلة ليس فللخاطب الرجوع في شيء مما أهداه، سواء أكان موجوداً أو هالكاً، لأن الهدية حكمها حكم الهبة، ولا يجوز عندهم للواهب أن يرجع في هبته، إلا إنسان واحد يحق له أن يسترجع هبته، والنبي الكريم قبح استرداد الهبة:

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ))

انظر هذه إلى هذه الصورة التي نفرنا النبي منها، رجل وهب شيئًا، ثم استرده كمن قاء، ثم أكل قيئه، هذا شيء بشع جداً، إلا أن الوالد فقط إذا وهب ابنه مركبة، ثم اكتشف أن هذه المركبة تعينه على الضلال، تعينه على الفجور، لا يستخدمها بالحق، يستخدمها بالباطل، فيجوز للأب أن يسترد هذه الهبة، الأب وحده، لأن رحمته تغلب عليه، فإذا استرد هبته فالمصلحة راجحة، أما سوى الأب فإنه:

((... كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ))

3 – حكم التعويض عن الضرر:

عندنا آخر بحث في الخطبة، هو التعويض عن الضرر، هذا البحث مستجد ، أحياناً يكون من العدول ضرر كبير، كامرأة عندها مشغل خياطة، وتعيش منه هي وأهلها، وخُطبت، فقال لها: أنا لا أريد مشغل خياطة، فباعت الآلات، وباعت البضاعة بأبخس الأسعار، وبعد هذا عدل الخاطب عن رأيه، فحدث ضرر، يجب أن يتحمل الضرر، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((قَضَى أَنْ لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ))

أو مثل امرأة لها حصة في بيت، فقال لها: أنا لا بيت لي، وإذا بعت هذه الحصة لأهلك، ونشتري بيتًا في الحي الفلاني، فأهلها أعطوها هذه الحصة بأبخس الأثمان ، الحصة تساوي ثلاثمئة ألف، وأعطوها مئة ألف فقط، هذه من فرحها بالزواج قالت لهم:؛ قبلت، أعطوني مئة ألف، وبعد هذا قلب هذا الشاب لها ظهر المجن، فإذا سبب العدول خسارة كبيرة أو ضررًا فلها أن تطالبه بتعويض هذا الضرر.

أعرف شابًا خطب من أسرة، وهذه الأسرة نمطها تحب الظهور، فاشتروا ملابس العرس من فوق الخمسين ألفًا، والأب دخله محدود، ثم قلب هذا الشاب خطبته، هذه الألبسة لها ذهبت، فقبْل أن يتحرك الإنسان الله كبير، فانتبهوا، قبل أن يعدل عن خطبته ينبغي أن ينظر إلى وضع المخطوبة، فإذا أحدث في عدوله ضررًا يجب أن يعوض.

على كلٍ، الخطبة ليست بعقد ملزم، فللخاطب أن يعدل عن خطبته، لكن مجرد العدول لا يكفي ليكون سبباً للتعويض، إلا إذا اقترن العدول بضرر ألحق بالمخطوبة أو بالخطيب.

أحيانا تلغي المرأة إقامتها، وهي تعيش مع أهلها في بلد خليجي، فألغت إقامتها، وجاءت إلى بلد الخاطب، وبعد ذلك عدل عن الخطبة، فصارت تحتاج إلى إقامة جديدة ، هناك ظروف صعبة جداً، فكلما كان الإنسان أرجح عقلاً كان أكثر حكمةً، وقد قال الله عز وجل:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(سورة البقرة)

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتزوج كل إخواننا الشباب والفتيات، بالطريق الصحيح، وبالأسلوب الشرعي، من دون مغامرات، ومن دون إخفاق، وهذا مما يعود عليهم بالخير، والله عز وجل يقول في آية يجب أن تكون في أذهانكم:

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾

(سورة الأعراف)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 3) : حقوق الخاطبين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الخامس من دروس الزواج، وقد ترون معي أن هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي ينبغي أن يعالج في هذا الوقت، وقد وصلنا في الدرس الماضي، إلى نظر المخطوبة إلى الخاطب، وتحدثنا أن هناك تصرفاتٍ يمكن أن تمتِّن العلاقة الزوجية، هناك تصرفاتٌ قبل الزواج، تمتن هذه العلاقة، وأخرى بعد الزواج تمتن هذه العلاقة، فأما التي قبل الزواج فنظر الخاطب إلى مخطوبته، وقد تحدثنا عن هذا في الدرس الماضي.

نظر المخطوبة إلى الخاطب

وأما الإجراء الثاني أو التصرف الثاني، نظر المخطوبة إلى الخاطب، فيسن للمرأة أن تنظر إلى الرجل إذا أرادت أن تتزوجه، فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها، ولها أن تستوصف الرجل أي أن تسأل عن بعض صفاته، هذا من حقها، كما مر في بحث أن الزوج له أن يستوصف زوجته.

يقول أحد العلماء يذكر قصةً وهي: " أن المغيرة بن شعبة وفتىً من العرب خطبا امرأةً، وكان الفتى جميلاً، فأرسلت إليهما المرأة وقالت: لا بد من أن أراكما، وأن أسمع كلامكما، فاحضرا إن شئتما، فعلم المغيرة أنها تؤثر عليه الفتى، فقال للفتى: لقد أوتيت حسناً وجمالاً وبياناً، فهل عندك سوى ذلك، قال: نعم، فعدد عليه محاسنه ثم سكت، فقال المغيرة: فكيف حسابك، قال: لا يسقط علي منه شيء، وإني لأستدرك منه أقل من الخردلة، فقال المغيرة: لكني أضع البدرة في زاوية البيت، فينفقها أهل بيتي على ما يريدون، فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها، فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني، أحب إلي من الذي يحصي علي أدنى من الخردلة، فتزوجت المغيرة ".

طبعاً هذه قصة، لكن قد يؤخذ منها أن المرأة من حقها أن ترى الخاطب، كما أنه من حقه أن يرى مخطوبته، ولها أن تستوصفه، أي أن تطلب أوصافه، كما له أن يطب أوصافها، فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها، وأصل هذا الكلام.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة البقرة: آية " 228 ")

إذاً المرأة مساويةٌ للرجل في هذا، لكن هذه الرؤية سواء كانت من قِبل الفتاة إلى خاطبها، أو إن كانت من قِبل الخاطب إلى مخطوبته، هذه الرؤية تتم مرةً أو مرتين، أما أن يفعل الخاطبان كما يفعلُ بعضهم من دون قيود، ومن دون حدود، أشهر، بضعة أشهر زيارات، سهرات، خروج خارج المنزل، هذه إباحيةٌ لا يقبلها الإسلام. على كلٍ، إن كانت هذه الخطبة بهذه الطريقة التي لا يرضاها الإسلام، آتت أكلها، فلنصغِ قليلاً إلى الإحصاءات:



إنّ نسب الطلاق في ألمانيا خمسة وثلاثين بالمئة، أي أن من كل مئة زواج خمسة وثلاثين بالمئة من هذه الزيجات تنتهي إلى الطلاق، ونسبة الطلاق في أمريكا اثنان وستون بالمئة، أي أن من كل مئة زواج اثنين وستين بالمئة من هذه الزيجات تنتهي إلى الطلاق، أما عندنا في سوريا فالقاضي الشرعي الأول يقول: ثلاثة بالألف، ففي ألمانيا خمسة وثلاثون، واثنان وستون في أمريكا، وثلاثة بالألف في بلاد المسلمين، هذا هو الشرع الحكيم.

شيءٌ آخر، وهي دراسة لطيفة أسوقها لكم، وزير الهاتف الفرنسي أصدر قرارًا بالسماح لمن يطلب أن يراقب خطه الهاتفي، وأن يعطى مَن المتكلِّم، ويعطى تسجيلاً للمكالمات الطويلة التي تتم في غيبته، إلا أن رئيس الجمهورية جسكار ديستان ألغى هذا القرار حفاظاً على أسرار البيوت، لأن نصف نساء فرنسا يخُنَّ أزواجهن، لذلك الجمعيات النسائية أثنت على قرار إيقاف هذا الإجراء الذي يسمح للأزواج بطلب معرفة رقم هاتف من يتصل

بزوجاتهن في غيبتهن، لأن الخيانة الزوجية في بعض الإحصاءات بلغتْ ثلاثين بالمئة، وفي بعض الإحصاءات بلغت خمسين بالمئة، وهذه الأرقام كلها قديمة قبل عشر سنوات، ويبدو الآن أنها تزيد على السبعين أو الثمانين بالمئة، فهذه الخطبة المطولة التي لا قيود فيها ولا فيها حدود لم تؤتِ ثمارها، بل بالعكس أدت إلى طلاقٍ مخيف، وأدت إلى خياناتٍ زوجية، فيما لو بقي الزوجان على عهدهما أو مع بعضهما بعضاً.

استئذان البنت في الزواج وعدم إكراهها

الذي يلفت النظر في الشرع الحكيم أن البنت ينبغي أن تُستأمر، فقد روى الإمام مسلمٌ في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت:

سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَارِيَةِ يُنْكِحُهَا أَهْلُهَا أَتُسْتَأْمَرُ أَمْ لا ؟ فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((نَعَمْ تُسْتَأْمَرُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّهَا تَسْتَحْيِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذَلِكَ إِذْنُهَا إِذَا هِيَ سَكَتَتْ))

أي أن سكوتها إذنها.

وقد روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تُنْكَحُ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَإِذْنُهَا الصُّمُوتُ))

لكن هناك شيء يلفت النظر في المذهب الظاهري، هذا المذهب يأخذ بظاهر النص، يقول أصحابه: " لو أنك استأمرت فتاةً في زواجها، أي استأذنتها وقالت: أنا أريد هذا الزوج وأنا أرحب به، وأنا موافقٌ عليه، فالزواج باطل، لماذا ؟ لأن أذنها صمتها، وهي تكلَّمت .

وهذا من باب الطرفة، فبعض المذاهب الظاهرية ترفض أن تتكلَّم الفتاة إذا استُئْمِرت، لأن إذنها صمتها، والكلام أبلغ من الصمت.

وقد روى الإمام الترمذي كما قلت قبل قليل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تُنْكَحُ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَإِذْنُهَا الصُّمُوتُ))

اختلف العلماء فيما إذا كان استئذانها مستحبٌ أو واجب، إلا أن الأغلب والصحيح أن استئمارها أو استئذانها واجب.

يقول بعض العلماء: " لا يجوز أن يحكم الأولياء فقط، لأنهم لا يعرفون ما تعرف المرأة من نفسها ".

الآن هناك موضوع آخر في سياق هذا الموضوع، لا يجوز إجبار البنت على الزواج، فقد ثبت في الصحيح أنه قال:

((لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، قَالُوا: كَيْفَ إِذْنُهَا قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ))

(صحيح البخاري)

وفي صحيح مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا))

الحكم إذاً: لا يجوز أن تجبر البكر على النكاح، ولا أن تزوج إلا برضاها.

وكلكم أيها الإخوة الكرام، لا شك أنكم حضرتم عقود قران، وحضرتم جانباً من هذه العقود، كيف أن الموظف الموكَّل بكتابة العقد، بعد أن يسمع الإجابة والقبول من الزوج ومن والد الفتاة، ينهض ليسمع بإذنه موافقة الفتاة من وراء الحجاب، هذا من شرعنا الحنيف.



يقول بعض العلماء: " تزويج الفتاة مع كراهتها للنكاح مخالفٌ للأصول والعقول، والله لم يسوِّغ لوليها أن يكرهها على بيعٍ أو إجارةٍ إلا بإذنها، ولا على طعامٍ أو شرابٍ إلا بإذنها، فكيف يكرهها على مباضعة من تكره مباضعةً ومعاشرةً، والله قد جعل بين الزوجين مودةً ورحمة، فإذا كان هذا لا يحصل إلا مع بغضها له ونُفورها منه، فأية مودةٍ وأية رحمةٍ تكون بين الزوجين؟!".

إذاً أن يجبر الولي ابنته على الزواج من شخصٍ ما وهي رافضة ولا تريد، هذا مما نهى عنه الشرع الحنيف.

أما من تزوجت بغير رضاها فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الْأَنْصَارِيَّةِ

((أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا، وَهْيَ ثَيِّبٌ، فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ نِكَاحَهُ))

إذاً ردُّ النكاح إذا كانت ثيباً، ولم تكن راضيةً به، من الأحكام الشرعية التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

وروى الإمام ابن ماجة عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: جَاءَتْ فَتَاةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ:

((إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ النِّسَاءُ أَنْ لَيْسَ إِلَى الْآبَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ))

إنه ما لم توافق الفتاة فالزواج ليس مشروعاً، لأنها هي الزوجة، وهي التي تعيش مع هذا الزوج طوال حياتها، فإن لم تكن راضية ففي الأعم الأغلب يكون الشقاق والخصام بين الزوجين.

الخلاصة.. ألاّ تزوج المرأة بكراً كانت أو ثيباً إلا بموافقتها، ولو تزوجت بالإجبار، كان لها طلب فسخ النكاح. فالذي يرِد في هذا الدرس من أحكام شرعية فيها أحكام خلافية، هناك أحكام أُخرى، فهناك أحكام تُجيز، وهناك أحكام تمنع، القصد أن نعرف عظمة هذا الشرع الحنيف.

استشارة الأم في زواج ابنتها

وهناك تدبير آخر قبل الزواج، مما يمتِّن العلاقة الزوجية، هذا التدبير أن تُستأمر، أو أن تُستشار أُمّ الفتاة بزوج ابنتها، الولي يوافق، والفتاة توافق، وينبغي أن تُستأذن، أو تُستشار أُم الفتاة بذلك، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ))

(سنن أبي داود)

يقول بعض العلماء في شرح هذا الحديث، وهذا الحكم: " يُستحب استئذان المرأة في تزويج ابنتها، لقول النبي ﷺ: "آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ "، ولأنها تشاركه في النظر لابنتها، وتحصيل المصلحة لها لشفقتها عليها، وفي استئذان الأم تطييبٌ لقلبها، وإرضاءٌ لها، فتكون أولى، وربما كان من مزايا استشارة الأم في تزويج ابنتها، أن البنت قد لا تفصح عما يدور في صدرها من التردد والاضطراب إلا لأمها، فاستشارة الأم إذاً هي الطريقة المفيدة لمعرفة رأي البنت، والله أعلم.

إذاً: استشارة الأم في تزويج ابنتها، لأن الأم إن استشرتها طيَّبت قلبها، وإن استشرتها جعلتها شريكة حياتك، وإن استشرتها فهي تشفق على ابنتها، وتريد لها الخير وإن استشرتها، ربما باحت البنت لأمها ما لم تبح لأبيها، فكأنك إذا استشرت الأم، عرفت رأي البنت الحقيقي في هذا الزواج، إذاً: الأم تُستأذن.

حكم إكراه البنت على الزواج

ومن تزوجت بغير رضاها، ثيباً كانت أو بكراً فلها أن تفسخ عقد الزواج، ولا يجوز إجبار الفتاة على التزوج ممن لا تريد، وإن رفضت فليست عاقةً لوالديها، ولا علاقة للعقوق بهذا الموضوع، ويجب استئمار البنت، كما قلت في أول الدرس، لأن البنت هي الزوجة، وإذنها صبها، وللبنت أن ترى خاطبها، وهذا من حقها، لقوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة: آية " 228 ")

ولقد يُعجبها منه ما يُعجبه منها، ولها أن تستوصفه، أن تسأل عن بعض صفاته الخاصة، كل هذه التدابير، ينبغي أن تتم قبل الزواج، لأنها من شأنها أن تمتِّن الزواج.

الحقيقة أن للإنسان أن يتزوج، وله أن يطلق، لكن البطولة أن تتزوج، وأن لا تطلق، فكيف لا تطلق ؟ إذا اتبعت منهج الله في الزواج، إذا اخترت الفتاة المؤمنة، لأنه من تزوج المرأة لجمالها أذله الله، والمقصود بجمالها فقط، الجمال مطلوب، أما لجمالها فقط أذله الله، ومن تزوجه لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً، فعليك بذات الدين تربت يداك.

إذاً: أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته، وأن تنظر المخطوبة إلى خاطبها، وأن تُستأمر البنت، في خاطبها، وأن تُستأذن أُمها، وألا تُكره على الزواج ممن لا تحب، وبيان حكم الشرع، في من أُكرهت على الزواج ممن لا تحب، هذه بعض التدابير التي ينبغي أن تكون قبل الزواج، من حيث أنها تمتِّن العلاقة بين الزوجين، وربما تعصم الزواج من أن ينفسخ بعد أمدٍ قريب.

التدابير التي ينبغي أن تكون بعد الزواج

الآن ننتقل إلى موضوعٍ آخر، وهو التدابير التي ينبغي أن تكون بعد الزواج والتي من شأنها أن تمكن العلاقة بين الزوجين، ولعلي أضع يدي على جراح يعانيها كثيرٌ من الأزواج، وهذا الكلام يجب أن يصل إلى الزوجات.

1 – ظهور المرأة بمظهر لائق أمام الزوج

من التدابير التي تمتِّن العلاقة بين الزوجين أن تظهر المرأة أمام زوجها، بمظهرٍ لائق، لأن المؤمن لا ينبغي أن يعرف غير زوجته إطلاقاً، فإذا أهملت مظهرها قوَّت في نفسه دافع التطلع إلى غيرها، هي التي تقوي دافع التطلع إلى غيرها إذا أهملت مظهرها، والأخطر من ذلك أن تعتني بمظهرها في الحفلات النسائية، وفي كل المناسبات، بينما الاعتناء بمظهرها ينبغي أن يكون في الدرجة الأولى لزوجها، لأن الزواج حِصنٌ للزوج.

عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْه فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))

[متفق عليه]



إنه لا ينبغي أن يكون الزوج محروماً من أناقة زوجته، ومن مظهرها الحسن، هذا يعينه على العفاف، ويعينه على أن يقنع بها، ويعينه على عدم التطلع إلى غيرها، هذا كلام وإليكم الأدلة: إن الإنسان أحياناً يعاني من مشكلة في البيت، ويظل ساكتاً، والزوجة بريئة، ولا تعلم، أحياناً يكاد هذا الزواج ينفصل، وينتهي بالطلاق، هو ساكت، وهي ساكتة، هو لا يدري ماذا يقول لها، وهي لا تعلم ماذا ينبغي أن يُقال لها، فالجهل أحياناً يكون سبباً لفصم هذه العلاقة الزوجية، فلذلك الزوج المؤمن يوضِّح، ويبين، ويذكر لزوجته ما قاله النبيّ عليه الصلاة والسلام، وقد يقول الزوج: أنا والله أستحي أن أقول لزوجتي: عليك أن تتزيني أمامي، طيب يا أخي عليك أن تُسمعها هذا الشريط، هذا موضوع الدرس الماضي.
" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ))

(سنن النسائي)

تسره إذا نظر، فهل غابت عنه صلَّى الله عليه وسلم أن يقول:

((إليها))

فالنبي حكمته في إلغاء كلمة (إليها).

((تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ))

إليها وإلى أشياء في البيت، إذا نظر إليها تسره، وإذا نظر إلى أولادها تسره، وإذا نظر إلى غرفتها تسره، وإذا نظر إلى غرفة الجلوس تسره، وإذا نظر إلى المطبخ تسره، وإذا نظر إلى المائدة كلها صحون، وعليها أكل من يومين، خذ كل تفضل، لم يُسَرّ بهذا، فالطعام يجب أن يكون في صحون جديدة، والطعام جيد وساخن، تسره إذا نظر إلى المائدة، وإلى غرفة النوم، وإلى غرفة الاستقبال، وإلى غرفة الجلوس، وإلى نظافة الجدران، والبلور والنوافذ والستائر.

((وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ))

لأن أكثر شيء يدعو إلى العجب في ساعة غضب يحلف الزوج يمين طلاق على زوجته ألا تذهبي إلى بيت أختك، سبحان الله ! لا يحلو للمرأة إلا أن تكسر يمينه بحماقة، فلا تحلو لها إلا أن تخرج من بيتها إلى بيت أختها وعندئذٍ تقع المشكلة، وفي حيص بيص كما يقولون، ثم نقف على أبواب المشايخ نستفتيهم، فشيخ يقول لك: طلقت، يا بني أخرج، وشيخٌ آخر يعطيك فتوى قد لا تطمئن إليها، وقد كنت في غنىً عن كل هذا، لذلك المرأة الصالحة تسره إن نظر، وتطيعه إن أمر، وكذلك إذا أردت أن تُطاع فأمر بما يستطاع، فعدم حكمة الزوج أن يعطي أوامر غير معقولة، لما تحرمها من أمها ؟ هي عليها أن تطيع، وأنت أيها الزوج الكريم عليك أن تعطي أمراً معقولاً.

روى الإمام البخاري رضي الله عنه عن جابرٍ قال:

((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا يُعْجِلُكَ ؟ قُلْتُ: إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَبِكْرًا تَزَوَّجْتَ أَمْ ثَيِّبًا ؟ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ: أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلا، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ))

أي انتظروا حتى تتهيَّأ زوجاتكم لكم، حيث إن المطلوب إذا كان الزوج مسافرًا أن تتهيأ الزوجة كما ينبغي في أعلى درجة لتستقبل زوجها.

يقول الإمام النووي رضي الله عنه: " هذا الحديث الشريف الذي فيه هذا التوجيه مما يمتِّن العلاقة بين الزوجين "، هذا هو الحق، لكن المشكلة أن كل الزينة، وكل العناية، وكل الأناقة، وكل الهندام الحسن، لغير الزوج، هذه من مشكلات بيوت المسلمين، أية امرأةٍ تهمل مظهرها أمام زوجها تقوي في نفس زوجها رغبة النظر إلى غيرها، فإذا نظر إلى غيرها فهي آثمة وربِّ الكعبة، وجزءٌ من عبادتها أن تحصِّن زوجها، جزءٌ من عبادتها أن تجعل زوجها قانعاً بها.

وروى الإمام البخاري عن جابرٍ رضي الله عنه أيضاً قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلا يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلا))

سأقرأ لكم ما جاء في فتح الباري في شرح أحاديث البخاري عن هذا الحديث، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلا يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلا))

قال: " لأن طول الغيبة مظنة الأمن من القدوم، فيقع الذي يقدم بعد طول الغيبة غالباً على ما يكره "، فإذا غاب الإنسان طويلاً عن بيته، ودخل فجأةً، في الأعم الأغلب يقع على ما يكره، " فقد يجد أهله على غير أُهبةٍ من التنظُّف والتزين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبباً في النفور منها ".

وفي الحديث أيضاً إشارةٌ أخرى إلى أن المرأة كما قلت قبل قليل، عليها أن تكون مستعدة لاستقبال زوجها دائماً، أما إذا طالت غيبته فقد أمِنت أن يأتيها فجأةً، أما إذا جاء فعليه ألا يأتيها فجأةً، بل أن يعلمها قبل أن يأتي، والنبي الكريم كان يدخل المسجد، ويصلي، ويرسل لأهله خبراً أنه قَدِم، والآن بالهاتف، ونحن في المطار، وبعد ساعتين نكون في البيت، مثلاً.

وهناك قصة، روى الإمام البخاري والإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((كانت امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنها تخضب وتطيِّب . أي تخضب شعرها وتعطِّر نفسها . فتركته . أي أهملت شعرها وتطييب بدنها . فدخلت علي، فقلت لها متعجِّبةً: أشاهدٌ زوجك أم غائب ؟))

النبي عليه الصلاة والسلام مشرع، وأصحابه طبقوا منهجه، فما فعله الصحابة الكرام فعلوه تنفيذاً لأمر النبيّ e، وهذا دليلٌ على وجوب ما سأقوله لكم، فقالت عائشة: أشاهدٌ زوجك أم غائب ؟ قالت: بل هو شاهد، قالت: فما هذا ؟!! لماذا أنت تهملين نفسك، قالت: عثمان لا يريد الدنيا، ولا يريد النساء، انصرف عنها إلى عبادته، وإلى قيامه، وصيامه فأهملت نفسها، والقصة لها تتمة، النبي عليه الصلاة والسلام استدعى عثمان، وقال:

((يا عثمان، أليس لك بي أُسوة ؟ ألست قدوةً لك ؟))

أعطاه توجيهاً كي يهتم بزوجته، وكي يجلس معها، وكي يعطيها حقها، لأنها محبوسةٌ له في الشرع، بعد حين جاءت امرأة عثمان ابن مضعون، قالت عائشة: نضرةً عطرة، فسألتها عن حالها، فقالت: أصابنا ما أصاب الناس، يعني أصبحت زوجة كبقية الزوجات، رضي الله عنهم.

إن هذا كلام مهذب جداً، تحتار أين درسوا ؟ يعبرون عن أدق المعاني بأجمل الألفاظ، يعبرون عن المعاني المحرجة بكلمات لطيفة جداً، أصابنا ما أصاب الناس، لماذا أنت هكذا ؟ إن زوجي صوامٌ قوام، قائم الليل، صائم النهار.

يقول الإمام الشوكاني: " استنكار عائشة رضي الله عنها بترك زينتها وزوجها شاهد حكمٌ شرعي "

السيدة عائشة زوج النبي عليه الصلاة والسلام استنكرت فعل امرأة عثمان بن مظعون من إهمال نفسها وزوجها شاهد، هذا حكم شرعي، والمعنى أنه يجب على الزوجة أن تعتني بهندامها ومظهرها لزوجها قبل كل شيء. والله مرة سمعت من امرأةٍ قريبةٍ لي متقدمةٍ في السن، قالت لي: " حرام، حسب فهْمها، أن ترتدي المرأة الثوب أول مرة لغير زوجها حرام "، يعني إذا اشترت ثوباً جديداً لا يجوز أن ترتدي الثوب أول مرةٍ إلا لزوجها، والآن قد لا يرى الزوج إطلاقاً الثوب الجديد.

بعد الزواج ربما كان أحد أكبر ما يمتن العلاقة بين الزوجين، ويديم المحبة والمودة، أن تبدو الزوجة دائماً بالمظهر اللائق الحسن أمام زوجها، من أجل أن تعينه على غض بصره، من أجل أن تعينه على تحصين نفسه، من أجل ألا تقوي في نفسه الرغبة في غيرها، إذا فعلت المرأة هذا فهي عابدة لله.

والله قد تفهمون مني شيئاً لا أريده، لكن والله إن المرأة التي تسهم في إعفاف زوجها، وفي إحصانه، وتجعله يقنع بها وحدها، عن طريق ما تبذل من عنايةٍ فائقةٍ بمظهرها وهندامها، ربما كانت وهي تفعل هذا في أعلى درجات عبوديتها لله عزّ وجل، لأنها تقوم بالمهمة التي أناطها الله بها، طبعاً هي تصلي، وتصوم، وتقوم الليل، وتقرأ القرآن، ولكن من دون أن يشغلها ذلك عن وظيفتها الأساسية، لأن الصحابيات الجليليات رضوان الله تعالى عليهن كانت الواحدة منهن على أشد الشوق إلى قيام الليل، وعلى أشد الشوق إلى الصلاة، لا تقوم إلى الصلاة إلا بعد أن تسأل زوجها: ألك بي حاجة ؟ فإن قال: لا، ذهبت إلى مصلاها، هذه المرأة المؤمنة.

أما هذه التي تبالغ في العبادة، وزوجها يغلي غضباً، وضجراً، وتأففاً، هذه لا تعبد الله، هذه تعبد الله على مزاجها، لا وفق ما أراد الله عزّ وجل، هذا الحق، فكلما طبقنا هذه الناحية صار الوئام، والوفاق، والمحبة والمودة.

2 – اهتمام الرجل بمظهره أمام زوجته

البند الثاني، أو التدبير الثاني الذي يمتن العلاقة بين الزوجين بعد الزواج: أن يهتم الرجل بمظهره أمام زوجته، انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة البقرة)



فأنت ترى، وهي لا ترى ؟ أنت تريد هنداماً حسناً، ومظهراً أنيقاً، ونظافةً أنيقة، وعطراً، وهي ليس لها نظر ؟ ليس لها شم ؟ هي عمياء، ولا تشم ؟ لا هي مثلك، لذلك قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: << إني لأحب أن أتزيَّن للمرأة كما أحب أن تتزيَّن لي، لأن الله تعالى يقول:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

هنا حديث لطيف للإمام القرطبي، فأحياناً كل سن له زينة، وكل عمر من أعمار الرجال له زينة تناسبه، فإذا تجاهل أحد سنه، وتزين بزينة لا تليق به أصبح مبعثًا للضحك، امرأةً كانت أو رجلاً، المفروض أن تراعي الزوجة وضعها العام، ويراعي الزوج وضعه العام.

وبالمناسبة، هذه المرأة التي قدَّمت لأبنتها وصيةً يوم زفافها، قالت: " يا بنيتي خذي عني عشر خصال تكن لكي زخراً وأجراً، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتفقُّد لموضع عينه، والتعهُّد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحُسْن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود ".

ثبت أن للجلد البشري رائحةً عطرة، فإذا لم يكن مع الجل ثمن عطور أبداً، وكانت غالية، فقد يبلغ ثمنها خمسة آلاف ليرة، أو ثلاثة آلاف، فعندنا روائح رخيصة نستعملها، فإذا تنظف الإنسان، وجلده له رائحةٌ عطرة، والماء أطيب الطيب المفقود، والكحل أحسن الحسن الموجود، هذه وصية امرأةٍ توصي بها ابنتها ليلة زفافها، قال:

3 – إجابة المرأة زوجها إذا دعاها

وعلى المرأة أن تجيب زوجها إذا دعاها، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما روى الإمام الترمذي، قال: قال عليه الصلاة والسلام::

((إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ))

وقد أكدت الشريعة الإسلامية أن عدم إجابة المرأة لطلب زوجها معصيةٌ كبيرةٌ موجبةٌ لغضب الله تعالى، ولعنة الملائكة، ولا تقبل صلاتها حتى ترجع، وذلك لأنها تسدُّ على زوجها طريق الحلال، وتدفعه إن كان ضعيف الإيمان إلى اختيار السبل المحرمة، فقد روى الإمام مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إلا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ . وهو الله جلَّ جلاله . سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا))

وأما لعن الملائكة الزوجة بسبب عدم استجابتها فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

إذا كان الزمنُ شتاء كان الليل طويلا، وطول الليل تلعنها الملائكة، وفي رواية أخرى:

((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ))

الشيء الذي يلفت النظر حديث جابر رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ:

((ثلاثةٌ لا تقبل لهم صلاةٌ، ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة، العبد الآبق حتى يرجع، والسكران حتى يصحو، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى))

[الجامع الصغير بسند فيه ضعف]

وهل تصدقون أن المرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها، نصف دينها أن تحفظ نفسها عن غير زوجها، وأن ترضي زوجها، معنى ذلك أن نصف دينها زوجها، بالضبط، إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت نفسها أي كانت عفيفة وورعة، وأطاعت زوجها فيما يريد، دخلت جنة ربها.

دين الرجل فيه ألف بند، أو خمسة آلاف، أو مئة ألف بند، ففي البيوع أربعمئة حالة، فإذا كان الإنسان تاجرًا فعنده مزالق كثيرة جداً، دين الرجل يحتاج إلى دقة بالغة، في كسب المال، في إنفاق المال، أما هي في البيت.

4 – لا يجوز للمرأة الاشتغال بالعبادات عن زوجها في غير الفريضة

عندنا حكم شرعي دقيق جداً، هذا الحكم هو أنه: " لا يجوز للمرأة أن تشتغل في العبادات بغير الفريضة، مهملةً حق زوجها عليها، فقد أمر النبيّ ﷺ، ألا تطيل صلاتها النافلة، إذا تضرر زوجها بها ".

قد يحضر الزوج إلى بيته جائعًا وغضبان، ويغلي من الداخل، وهي تصلي صلاة النفل عشرين ركعة، فيخرج من جلده، وتكرّهه في الصلاة، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر ألا تصوم المرأة صوم النفل وزوجها شاهد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...))

[البخاري]

فقد تحب أن تصوم بعض الأيام غير الواجبة، أما إذا سافر زوجها وصامت فلا مانع، أما أن تصوم وزوجها شاهد فلا بد من إذن، فهي تحتاج إلى إذنه، وإلا تعتدي عليه بهذا الصيام، هكذا ورد عن النبي عليه ﷺ. روى الإمام أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال:

((جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، وَيُفَطِّرُنِي إِذَا صُمْتُ، وَلا يُصَلِّي صَلاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، قَالَ: وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ، قَالَ: فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ، وَقَدْ نَهَيْتُهَا، قَالَ: فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ سُورَةً وَاحِدَةً لَكَفَتِ النَّاسَ، وَأَمَّا قَوْلُهَا: يُفَطِّرُنِي، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلا أَصْبِرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ: لا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلا بِإِذْنِ زَوْجِهَا...))

أرأيتم إلى الشرع الحكيم ؟ من أجل أن يكون البيت جنة يتحمل الإنسان متاعب كثيرةً في الحياة، أما إذا كان في البيت منزعجًا فالقضية كبيرة جداً، فقد يتحمل كسب الرزق، ويتحمل تعقيد الحياة، ويتحمل مشقة العمل، ويتحمل المنافسة في كسب المال، أما إذا جاء إلى البيت أيضاً في البيت انزعاج ونفور ومشاكسة وإهمال، عندئذٍ يغدو البيت جحيماً لا يطاق.

روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلا بِإِذْنِهِ))

أما في شهر رمضان فمستحيل، فالفرض لا تحتاج فيه إلى إذن، وكذا صلاة الفرض لا تحتاج لإذن، ولا استئذان، ولا لشيء، فالحديث عن النفل فقط.

وأيضاً هناك حق للزوجة، كما أن عليها ألا تتردد في تنفيذ طلبه وتلبية حاجته، ولو كانت على التنور، هو عليه أن يقوم بوظيفته الزوجية، أما أن يهملها، أما أن ينسى هذا الموضوع، أما أن ينشغل بشيء آخر، وهي محبوسةٌ له، وهي لها حقٌ عليه فلا يليق، لذلك قال بعض المفسرين، في قوله تعالى:

﴿ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾

(سورة النساء: آية " 129 ")

أي لا فارغة فتتزوج، ولا ذات زوج بالمعنى الحقيقي، لا هي متزوجة كغيرها من الزوجات، ولا هي غير متزوجة فتتزوج، فهذه المعلقة التي أهملها زوجها.

وهناك قصة تعرفونها فيما أذكر، أن امرأةً جاءت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالت: << يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله . ما هذا الأدب ؟ . فقال: نِعْمَ الزوج زوجك . سيدنا عمر يظهر أنه كان مشغولاً، فأجابها بهذا القول، وجعلت تكرر عليه القول، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، لأنه في طاعة ربه، فقال: نعم الزوج زوجك، وقد كان عنده صحابي اسمه كعب الأسدي، قال: يا أمير المؤمنين، هذه امرأةٌ تشكو زوجها، وليست تثني عليك، أديبة كثير، ومهذبة، رقيقة تشكو زوجها، إنها لا تثني عليه، وأنت تقول لها: بارك الله لك في زوجك، هي تشكو زوجها، فقال عمر: هكذا فهمت من كلامها ؟ إذاً فاقضِ بينهما، فقال كعبٌ: عليّ بزوجها، فأوتي به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، قال: أفي طعامٍ ؟ البراد مليء، هي لا تريد البراد، تريدك أنت، أفي طعامٍ ؟ أم في شرابٍ ؟ قال لا، قالت:

ألهى خليلي عن فراشي مسجده زهَّده في مضجعي تعبده

فاقض القضا كعباً ولا تـردده نـهاره وليلـه ما يـرقده

فلست في أمر النساء أحمده

فقال الزوج: أنا زهدني في فرشها وفي الحجل، أني امرؤٌ أذهلني ما قد نزل.

فقد دهش من القرآن الكريم، يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، صلى فاتصل بالله عزَّ وجل، فأهمل زوجته.

وفي سورة النحل وفي السبع الطول وفي كتاب الله تخويفٌ جلل

فقال كعب:

إن لها عليك حقاً يا رجل نصيبها في أربعٍ لمن عقل

لو أن عندك أربع نساء لها حق في يوم، فأنت ليس عندك إلا واحدة، يوم لها وثلاثة لربك، فكان حكم هذا القاضي كعب الأسدي أنه حكم لها أن يتفرَّغ لها يوماً في الأربعة أيام، كما لو كان زوجاً لأربعة نساء، لها يوم، سيدنا عمر رضي الله عنه، قال:

" والله ما أدري من أي أمريك أعجب ؟ أمن فهمك أمرها، أم في حكمك بينهما، اذهب فقد ولَّيتك قضاء البصرة ". جعله قاضياً لفهمه الدقيق جداً، ولحكمه الدقيق جداً، فهم أنها تشكوه، وأما عذره فلم يقبله، إذا كنت هائماً بربك، لها عليك حق، كما لو أنك على أربع نسوة، للواحدة عليك حق في يومٍ من هذه الأيام الأربعة. أيها الإخوة الكرام، إن شاء الله نتابع هذا الموضوع في الدرس القادم، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تترجم هذه الأحكام الشرعية إلى واقع، والله الذي لا إله إلا هو، إن مما يرضي الله عزَّ وجل، أن تكون بيوتات المسلمين جنة، ولا تكون بيوتات المسلمين جنة إلا إذا طبِّق فيها شرع الله عزَّ وجل، ولا تنسوا هذه الآية:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

(سورة الأنفال: آية " 33 ")

معنى: (وَأَنْتَ فِيهِم) ، أي وسنتك مطبقةً في بيوتهم، وسنتك مطبقةً في أعمالهم، وفي تجارتهم، وفي وظائفهم، وفي مداخلهم، وفي مخارجهم، وفي نزهاتهم، وفي أفراحهم، وفي أتراحهم، وفي حلهم، وفي حضرهم، وفي سفرهم. فنحن في درسنا اليوم عندنا أربعة تدابير قبل الزواج تمتن العلاقة، وأربع تدابير بعد الزواج تمتن العلاقة، والتي قبل الزواج:

أن تنظر إلى مخطوبتك، فذلك أحرى أن يؤدم بينكما.

وأن تنظر هي إليه، لها مثل الذي عليه، أو عليها مثل الذي له.

وأن تستأمر البنت في زواجها.

وألا تكره على رجلٍ لا تحبه.

وأن تستأمر أمها في ذلك.

هذه الإجراءات التي قبل الزواج.

بعد الزواج:

أن تظهر بمظهر لائق.

وأن يظهر هو كذلك.

وأن لا تمتنع عنه.

وأن يؤدي وظيفته تجاهها.

وأن يكون هذا وفق ما شرع الله عزَّ وجل، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : العقد

الدرس (2-1) : لمن تكون الولاية؟

الدرس (2-2) : الزواج العرفي

الفصل الخامس : العقد

الدرس (1-2) : لمن تكون الولاية ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

وبعد فنحن مع الدرس الرابع من الدروس المتعلقة بشأن الزواج، وقد ذكرنا في درسٍ سابق أنَّ هناك فقراً حقيقياً ينبغي أن يعالج، والفقر كما تعلمون عقبةٌ كؤود في سبيل الزواج، وتحدثت عن الفقر المصطنع، حينما يغالى بالمهور، وحينما يكلّف الخاطب ما لا يطيق، يصبح فقيراً لا لأنه فقير، بل لأن الطلبات تفوق إمكاناته.

الولاية في الزواج

وننتقل اليوم، إلى موضوع الأولياء، لحكمةٍ أرادها الله عزَّ وجل واضحةٍ جداً جعلَّ صحة عقد الزواج منوطةً بموافقة الولي، فقد ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه:

((لا نكاح إلا بولي))

[الترمذي عن أبي موسى]

وجود الولي شرطٌ لعقد النكاح، لماذا ؟ لأنه في أغلّب الأحيان لا تعرف الفتاة الرجال، قد يعجبها شكله، ولكن لا تستطيع أن تختبره، بينما الولي لديه خبراتٌ متراكمة تزيد على خمسين عاماً أو عن أربعين عاماً، هذه الخبرات في معرفة الرجال، لذلك لئلا تقع الفتاة في شرِّ عملِّها، أو لئلا تخدع، أو لئلا يستغل طيبها، وسذاجتها أحياناً، أو عدم معرفتها بالرجال، فلا بدِّ من ضمانةٍ في نجاح الزواج، هذه الضمانة هي موافقة الولي.

من هو الولي ؟

من هو الولي ؟ أبوها أقرب الناس إليها، أكثر الناس حباً لها، أشدُّ الناس حرصاً عليها، أي لا يوجد علاقة في الأرض تفوق علاقة الأب بابنه، أو الأم بابنتها، فلذلك الشرع الحكيم جعل موافقة الولي شرطاً لصحة العقد. حينما تأيَّمت حفصة بنت سيدنا عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله e، فتوفي بالمدينة، فقال عمر رضي الله عنه:

<< أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكرٍ رضي الله عنه فلم يرجع إليَّ شيئاً، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه>>.

وجوب تزويج الولي ابنته أو مَن في حُكمها

ماذا نستنبط من هذه القصة ؟ حب سيدنا عمر الشديد على تزويج ابنته، وأيما أخٍ مؤمن يحرصُ حرصاً بالغاً، ويتحرك، ويسعى، ويأخذ بالأسباب ليزوج ابنته، فهذا موقفٌ نبيل، فإن زوجها من شابٍ مؤمن حفظ لها دينها، وحفظ لها دنياها، وأعطاها حقها الطبيعي في أن تكون أمًّا، وإذا رأيت أباً لا يعبأ بتزويج بناته، فيتكبر على الخطَّاب، ويضع الشروط التعجيزية، ولا يبالي، بل إن بعض الجهلّة يقولون: " هذه الفتاة تركتها لشيخوختي "، لقد أخطأ في حقها خطأً لا يغفر، هذه تركتها لشيخوختي، لا يحب أن يزوجها.

قد تكون إحدى الفتيات على علاقةٍ طيبةٍ جداً بأبيها، تخدمه خدمةً فائقة، فهذا الأب بعقله الباطن لا يتمنى أن يزوجها، إنه سعيدٌ بخدمتها، هذا الذي يؤْثر مصلحته وحظوظه من خلال ابنته، ومن خلال خدمة ابنته له، على صالح ابنته، فحينما يغيب هذا الأب عن الحياة، فهو أبٌ اقترف ذنباً لا يغفر.

لذلك عرض سيدنا عمر ابنته على حفصة سيدنا عثمان، ثم عرضها على سيدنا الصديق، ثم جاء النبي عليه الصلاة والسلام فخطبها، فأنكحها إياه.

فهذه المقدمة تعني أن على ولي الأمر أن يسعى جاهداً لتزويج ابنته، أحياناً يسلِّكها طريقاً بعيداً عن أنوثتها، لذلك عندئذٍ لا يُقدم عليها أحد، ولا ترضى بأحد، بعد حين يفوتها قطار الزواج، بعد حين تتألم أشدَّ الألم، تتعقد أحياناً، عندئذٍ تندب حظها وتنحِّي باللائمة على أبيها، فلذلك أردت من هذه المقدمة أن أبين لكم أن الأب المؤمن ينبغي أن يكون حريصاً حرصاً لا حدود له على تزويج بناته، طبعاً ليس الأمر بيده مطلقاً، عليه أن يسعى وعلى الله الباقي، فالسعي مطلوب.

إخواننا الكرام، فهنا نقطة دقيقة جداً.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ: الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

(سنن أبي داود)

هذا الحديث لو فهمناه فهماً دقيقاً، ففهمنا أبعاده لكان المسلمون اليوم بحالٍ غير هذا الحال، الاستسلام والضعف واليأس والقنوط لماذا ؟ فتحرك، واسعَ، ألم يقل سيدنا شعيب لسيدنا موسى:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(القصص)

فإذا كان الأب يكبر عليه أن يعرض بناته، فلا بدَّ من وسيط قريب من العائلة يسعى لتزويج الفتيات، وقد ذكرت لكم هذا في دروسٍ سابقة، فأفضل شفاعةٍ أن تشفع بين اثنين في نكاح، حينما تخطب الفتاة من شابٍ مؤمن، تعمُّ الفرحة في بيت أبيها، فقد اطمأن على دينها وعلى دنياها، عليه أن يقدِّم ما يستطيع، أن يتساهل، إذا كان يملّك يقدم إذا لا يملك يتساهل، أما لا يملك ولا يقدم ولا يتساهل، هذا إنسان أحمق، إما أن يقدِّم، وإما أن يتساهل.

الآن هذا الولي الذي جُعلَّ عقد النكاح موقوفاً صحته على موافقته، لو أنه غير موجود، فلو أنه كان مسافراً، أو لو أنه غائب، لو أنه في السجن، كيف نعمل ؟ العلماء قالوا: " الولي إما أن لا يكون موجوداً حقيقةً أو حكماً ". معنى: موجودا حقيقةً: ليس لها أب، كأن يكون الأب متوفى.

ومعنى: حكماً كأن يكون مسافرًا، أو مسجونًا أو غائبًا أو مفقودًا، أو مصابًا بصفة تمنعه أن يحكم في أمر ابنته. الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يروي عن ابن عباسٍ رضي الله عنه، طبعاً إذا قلنا عن أحد التابعين، أو عن أحد العلماء العاملين والفقهاء والمحدثين: رضي الله عنه، كما تعلمون هذه العبارة دعائية، أما إذا قلنا: عن أصحاب رسول الله رضي الله عنه، فهذه تقريرية، والفرق كبير بين أن تكون غنياً فيقال لكَ: " لقد أغناك الله، وبين أن تكون فقيراً فيقال لك: أغناك الله "، الأولى دعاء، والثانية تقرير، وإذا قلت عن التابعين، وعن العلماء العاملين وعن الفقهاء والمحدثين: رحمه الله تعالى، هذه تنفي الإشكال، أما لو قلت: رضي الله عنه لإنسان من التابعين أو العلماء المتأخرين، هذه دعائية، أما إذا ذكرت صحابياً، وترضَّيت عنه هذه تقريرية، والفرق بينهما كبير. فسيدنا بن عباس رضي الله عنه، أو رضي الله عنهما لأنه وأبوه صحابيان.

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لا نِكَاحَ إِلا بِوَلِيٍّ))

قالوا: " والسلطان وليُ من لا وليَ له، والقاضي ينوب عن السلطان، في تزويج الفتاة التي لا وليَّ لها ".

هذه أول قضية حُلّت، فلو فتاةٌ ليس لها ولي وجاءها خاطب والعقد معلق على موافقة الولي، هنا السلطان وليُ من لا وليَ لها، والقاضي الشرعي ينوب عن السلطان في تزويج الفتاة التي لا وليَّ لها، ولكن ماذا نعني بالسلطان ؟ يقول بعض العلماء: " نائب الحاكم ولي، أمير الأعراب ولي، رئيس القرية ولي ".

فالقرية لها مختار، وهؤلاء الأعراب لهم شيخ قبيلة، وفي المدينة القاضي الشرعي، فأي شخص من عِلية القوم من بيده أمرّ هذه الجماعة، هذا يعدُّ نائباً للسلطان في تزويج من لا ولي لها.

بعض العلماء يقول: " إذا كان ولّيها غائباً في موضعٍ لا يصل إليه الكتاب، أو يصلُ فلا يجيب عنه، زوَّجها من هو أبعد منه من عصبتها، فإن لم يكن فالسلطان ".

يوجد عندنا حل آخر، الأب ولي، وهو غائب لا نعلَّم أين هو، أو نعلم أين هو، لكن لا نستطيع أن نصلّ إليه، فإذا وصلّنا إليه قد لا يجيب لسبب أو لآخر، إذاً هناك وليٌ من الدرجة الثانية، أخوها فالأخ ولي، وعمها وخالها، وهكذا، فإن لم يكن هناك وليٌ من قرابتها، كان السلطان أو نائب السلطان ولياً في تزويجها.

إذا غاب الولي غيبةً طويلةً انتقلت الولاية إلى الولي الأبعد، وهكذا، إلى أن نصل إلى السلطان أو نائبه في تزويج الفتاة التي لا وليَّ لها.

هناك سؤال: أيهما أفضل إذا غاب وليها، أن يزوجها وليها الأبعد، أم السلطان أكثر ؟ الفقهاء على أن وليها الأبعد أولى من السلطان في تزويجها.

النقطة الثانية: أية مدةٍ إذا غاب عنها الولي فقد ولايته، وانتقلت الولاية إلى غيره، أو إلى من هو أبعد منه، وهذه بحسب الأعراف والعادات، فكلّ بلدة أو كلّ مجتمع له عرف، فإذا سافر الإنسان إلى المحافظات أسبوعا، أو يسافر إلى بلد نفطي مثلاً شهر يسافر إلى بلد أبعد، فهناك سفر معقول ضمن العمل، لكن إذا انقطعت الأخبار، وطالت المدة، وفي عرف هذه البلدة أنه لن يعود، فلعلَّ هذا الوقت هو الذي يعدُّ مبرراً لأن يتولى الولي الآخر أمر زواجها.

أحياناً الرق والصبي، والمجنون والمختل، والهرم ومن أصابه خبل، هذه صفات تخلع عن الولي حقه في الولاية، عندئذٍ يعين الأبعد أو نائب السلطان.

حكم تعدد الأولياء في الزواج تنازعهم في الولاية

أحياناً يأتي خاطب، فيتشاجر الأولياء على تفاوتهم، فالأم تريد، والأب لا يريد، الأب يريد، والأم لا تريد، والأخ يحلّف أيماناً معظمة إذا زوِّجت أخته لهذا الشاب لقتلّه، فرضاً، إذا وقعت منازعةٌ بين الأولياء على تفاوت درجتهم، عندئذٍ السلطان أو من ينوب عنه يزوج هذه الفتاة.

وردَّ في حديث شريف رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلّى اله عليه وسلّم:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنِ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ))

إذا كان الأولياء في التعددِ سواء، لها خمسة إخوة، وأبوها متوفَّى، فإذا قلت: المتوفِّي غلط، المتوفِّي هو الله جلَّ جلاله، توفَّى، يتوفَّى، المتوفِّي، الصواب متوفَّى، الإنسان متوفَّى، فإذا تعدد الأولياء وكانوا في مستوى واحد، نأخذ برأي أفضلّهم أو أكبرهم سناً.

أحياناً يرفض الولي تزويج ابنته، إما أن هذا الرفض معقول، وإما أنه غير معقول، فأحياناً تكون الفتاة مريضة مرضا عضالا، ولحكمةٍ أرادها أبوها لم يعلّمها بهذا المرض، والزواج لا يناسبها أبداً، فإذا رفض التزويج ليس مضطراً أن يُنبئ ابنته بالسبب إن رفعت أمرها إلى القاضي، لأن القاضي الشرعي ولي من لا ولي له، القاضي عليه أن يستدعي الأب ليسأله عن سبب رفضه، فإما أن يقنع القاضي فينضم إلى الولي، وإما أن لا يقنع فيزوجها القاضي.

روى الإمام البخاري عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال:

((زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ زَوَّجْتُكَ، وَفَرَشْتُكَ، وَأَكْرَمْتُكَ، فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لا وَاللَّهِ لا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلا لا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ:]فَلا تَعْضُلُوهُنَّ [، فَقُلْتُ: الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ))

أحيانًا تأخذ الإنسانَ حميّةٌ، يريد أن يؤدِّب هذا الرجل، فيقول له: والله لا أزوجك أبداً، فمن الضحية ؟ الفتاة، هذا اسمه عضل، والعضل لا يجوز، فإذا كنت في خصومة مع شخص أو في مشكلّة أو قضية فالأولى أن تجمدها، وأن تلتفت إلى صالح الفتاة.

فقد تنشأ مشكلّة في أثناء الخطوبة، أو قبل عقد القران، فيتألم الأب أحياناً، أو يتألم الأخ، أو أن الأب يريد أن يؤدِّب هذا الخاطب، أو أن يؤدب هذا الطالب، فيمنعه من الزواج من هذه الفتاة لا لشيء إلا ليأخذ بثأره، أو ليثبت شخصيته قال: هذا لا يجوز، إذا كان الخاطب جيداً، وكانت الفتاة ترضى به، فالأولى أن نجمِّد مشكلتنا مع هذا الخاطب، وأن نحكِّم مصلحة الفتاة في هذا الموضوع، الآية الكريمة:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾

(سورة البقرة: آية " 232 ")

الإمام الطبري، يفسر هذه الآية فيقول: " والصواب من القول في هذه الآية أن يقال: أن الله تعالى ذكره أنزلها دلالةً على تحريمه على أولياء النساء، مضارة من كان له أولياء من النساء، يعضلهن عمن أردن النكاح من أزواجٍ كانوا لهن، فبن منهنَّ بما تبين به المرأة من زوجها من طلاقٍ أو فسخ نكاح ".

أي بانت بينونة صغرى، ثم جاء يخطبها مرةً ثانية، أما البينونة الكبرى حتى تنكح زوجاً غيره، لكن لو أن إنسان طلَّق زوجته طلقة واحدة، وانقضت عدتها ثلاثة قروء ملكت نفسها، بإمكانها أن ترفض، وبإمكان وليها أن يرفض، لأن عقد النكاح لا ينعقد إلا بالولي، فإذا طلَّقها تطليقةً واحدةً، وبانت منه بينونة صغرى، ثم ندم على فعلته، وجاء يخطبها مرةً ثانية، ليس للولي الحق أن يعضل فتاته أو ابنته، عن أن تتزوج زوجها التي بانت منه قبل قليل.

بالمناسبة، الإنسان إذا طلق زوجته تطليقة واحدة، تبقى في بيته ثلاثة قروء، في هذه المدة بإمكانه أن يراجعها من دون عقد، ولا مهر، ولا ولي، ولا أي شيء، مراجعة قولية أو فعلية، لو وضع يده على يدها فقد راجعها، لو قال لها: لقد راجعتك، فقد رجعت إليه، لكن حُسبت طلقة، أما إذا انقضت عدتها ملكت نفسها، يمكن أن تعقد عليها عقداً جديداً، وأن تعود إليه من دون أن تضطر أن تتزوج رجلاً آخر، هذه البينونة الصغرى.

يوجد عندنا حكم شرعي دقيق، أن الولي إذا عضل أي رفض تزويج ابنته، من زوجها الذي طلَّقها وبانّت منه بينونة صغرى، لا يزوج السلطان إلا بعد أن يأمره بالرجوع عن العضل، فإن أجاب فذاك، وإن أصرَّ، زوج عليه الحاكم والله أعلّم.

المفروض نائب السلطان القاضي الشرعي، يرى في رأي الولي، لعل هناك مشكلة لا يعلّمها، لعل هناك عقبة كؤود، لعل هناك مفسدة كبيرة من عودتها إليه، لا بدَّ من التشاور.

عندنا حالة يؤسف لها كثيراً، أنَّ ولي الفتاة ينتظر خاطباً غنياً، فيعضل ابنته لعلّة الغنى، أي يتمنى خاطباً غنياً، فكلّما جاء خاطبٌ فقير رفض، هذا عضل وبإمكان الفتاة التي يرفض أبوها تزويجها لهذه العلة أن ترفع أمرها إلى القاضي.

شيء آخر، أحياناً يكون للفتاة دخل أو لها إرث كبير، فيريد الأب أن تبقى في حوزته حتى يتصرف في أملاكها، يخشى أن يأتي زوج، فيأخذها منه، ويأخذ معها ما تملك، هذا أيضاً الدافع مادي، وعندنا قاعدة أساسية، إذا ابتغى الإنسان مرضاة الله عزَّ وجل جاءته الدنيا وهي راغمة، أما إذا أراد الدنيا، خسر الدنيا والآخر.

لدي كلمات أقرأُها لكم:

" إذا رضيت الفتاة رجلاً، وكان كُفئاً لها، وجب على وليها، كالأب أو الأخ أو العم، أن يزوجها به، فإن عضلّها أي امتنع، زوجها الولي الأبعد منه، أو الحاكم أو نائب الحاكم، وأقصد به القاضي الشرعي، بغير إذنه، باتفاق العلماء، فليس للولي أن يجبرها على نكاح من لا ترضاه، وليس له أن يعضلها عن نكاح من ترضاه، إذا كان كفئاً في اتفاق الأمة، وإنما يجبرها، ويعضلها أهل الجاهلية والظلمة، الذين يزوجون نساءهم بمن يختارون لغرضٍ لا لمصلحة المرأة، ويكرهونها على ذلك ".



وأحياناً هناك نوع من الإكراه هو الإخجال، أي كلام فيه استعطاف، فيه إثارة عاطفة البنوة نحو أبيها، هذا الشيء كان بالحياء فهو حرام، كان عليه الصلاة والسلام إذا خطبت ابنته يعطيها ظهره، ويقول:

((يا بنيتي، إن فلانا قد ذكرك، لك الخيار))

[ورد في الأثر]

فقضية التزويج وهذه نصيحة إلى إخواننا الكرام، أنت ترى أن هذا الإنسان جيد جداً، لكن لم يرق لابنتك، فإذا رفضت ينبغي أن ترفض، لك أن تقول لها: فلان أخلاقه عالية، لكن كما أنك مُكلّف أن تختار لها الأصلح، هي مسموح لها أن تختار من تعتزُّ به، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، جاءت امرأة لرسول الله صلّى الله عليه وسلَّم تطلب الطلاق من زوجها فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْمُرُنِي ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا شَفِيعٌ، قَالَتْ: فَلا حَاجَةَ لِي فِيهِ))

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً))

[البخاري]

هذه هي المخالعة، فالأب يجب أن يحترم رغبة ابنته، قد تكره هذا النموذج، قد تكره هذا الشخص، لا بدَّ من موافقة الولي، وموافقة الفتاة معاً، فبعض الصناديق يكون لها مفتاحان، لو ملكت مفتاحا واحدا لا يفتح، لا بدَّ من استخدام المفتاحين معاً.

الحقيقة أنّ هذا الموضوع واضح، لحرص الإسلام على إحصان الفتيات، وعلى تأسيس الأسر الإسلامية، النبي عليه الصلاة والسلام، لا ينطق عن الهوى، شرَّع لنا أن الولي فإذا كان مفقوداً حقيقةً، أو مفقوداً حكماً، أو كان حجر عثرةٍ، تولى السلطان تزويج هذه الفتاة التي لا ولي لها أو لها وليٌّ مفقود، أو وليها يعضلّها عن الزواج، عندئذٍ يتولى الأبعد، أو نائب السلطان، وهو القاضي الشرعي، تزويج هذه الفتاة، وأحياناً الإنسان يصل إلى الدرجة من الاعتداد بالنفس ومن أجل أن ينفذ كلمته يضحي بمستقبل بناته.

إشاعة المحبة والوداد في الحياة العائلية

ننتقل إلى فصلٍ جديد في هذا الموضوع، وهو إشاعة المحبة والوداد في الحياة العائلية، هناك تدابير ينبغي أن يفعلّها الإنسان قبل الزواج، من أجل أن تشيع المحبة بعد الزواج، كيف أن الابن له حقٌ عليك قبل أن يلد، ما حقه عليك ؟ أن تحسن اختيار أمه، هناك أساليب ينبغي أن تفعلها قبل الزواج، من أجل أن تشيع المحبة بينك وبين زوجتك بعد الزواج، فمن هذه التدابير:

استحباب النظر إلى المخطوبة والخاطب

استحباب النظر إلى المخطوبة، الآن دققوا: فمن فضل الله علينا أنا لا أعتقد أن في ألف ولي وليا واحدا لا يريد لابنته أفضل زوج، في الأعمّ الأغلب في مجتمع المؤمنين الولي عنده رحمة بالغة وحرص شديد على تزويج

ابنته، إلا الحالات الشاذة، لذلك القسم الأول من هذا الدرس يتعلَّق بفتاة ليس لها ولي حقيقةً، أو لها وليٌ غائبٌ، فهو كالمفقود حكماً، أو لها وليٌ يعاني من مشكلة فيعضلها، عندئذٍ هناك من يزوجها، إما وليٌ آخر أو القاضي. لكن الآن دخلنا في صميم الموضوع، هناك مشكلات، تنشأ بين الزوجين أسبابها أنه لم ينظر إليها، أو أنه نظرَّ إليها، ولكنه رجَّح مصلحةً غير مصلحة أنها في طموحه، فإذا تزوج الإنسان فتاة دون طموحه بكثير، ورضيها، وأحسن إليها، فلا يوجد مانع، فهي بطولة، أما إذا قبلها بادئ الأمر، ثم بالغ في إهانتها، لأنها لم تكن في طموحه، فقد أجرم بحقها، الفتاة عند أهلها معززةٌ مكرمةٌ، وتعيش في أجواء أخرى، ثم دخلت أجواء الزواج وأجواء علاقتها بالرجال، تعيش حياة طهر واستقامة وصفاء، لها أبٌ يحبها، ولها أمٌ تعطف عليها فأنت قلت: " أنا أختارها زوجة لي، ولا يعنيني الجمال إطلاقاً "، فلا مانع من ذلك، وهي بطولة منك، لكن حينما تأتي إليك فتنكد عيشها، وتمتهن كرامتها، لأنها ليست في طموحك، هذه جريمةٌ بحقها، لذلك إذا أردت أن تكون من عامة المؤمنين انظر إليها.

النبي عليه الصلاة والسلام من توجيهاته الكريمة في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأةً فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))

ومعنى أن يؤدم بينكما، أي أن تدوم المودة بينهما، فأحد أسباب المودة بين الزوجين، أنه نظر إليها، ولم يغرر بها، ولم يدلس له عليها ورضيها، وأعجبته، وخطبها عن قناعةٍ، وعن رغبةٍ، وعن شوقٍ عندئذٍ لا يندم على الزواج منها، هذا مما يعين عن المودة فيما بين الزوجين.

بعض العلماء قال: " معنى أن يؤدم بينكما، يكون بينكما الألفة والمحبة، لأن الزواج منها كان بعد معرفةٍ، فلا يكون بعدها ندامةٌ غالباً ".

أي إذا نظرت، وأعجبتك وكانت ضمن الطموح الذي تريده، انتهى موضوع الندامة، وموضوع اللوم، كأن تقول: " لولا أنت لما تزوجتها، لولا أن أمي ضغطت علي لما تزوجتها "، فهذه القضية قضية عمر مديد. فمن هذه الأمور التي أمر بها النبي عليه الصلاة والسلام: استحباب النظر إلى المخطوبة، واستحباب النظر إلى الخاطب، ولهنَّ مثل الذي عليهنّ، ووجوب استشارة البنت وتأكيد استشارة الأم، أربع أشياء، أن تنظر إليها، وأن

تنظر إليك، وأن تستشار البنت في الزواج، وأن تستشار أمها، فإذا جاءت الموافقات بالأربع، في الأعم الأغلب ستكون المودة والمحبة بين الزوجين.

لكن الحكم الشرعي هو الاستحباب لا الوجوب، فهناك حالات كأن يتزوج الإنسان بنت إنسان عظيم، لعله ينال شرفاً رفيعاً بهذا الزواج، لذلك لا يمكن أن يعلّق أهميةً على الأمور الثانية، فهو إذا رفض النظر هذا تخلى عن حقه، ولكن الزواج صحيح، فالتوجيه النبوي على سبيل الاستحباب، لا على سبيل الوجوب، لو أن الولي لم يوافق فالزواج باطل، ولو أن العقد بلا مهر فالزواج فاسد يصحح، أما لو الزواج تم، ولم ينظر الخاطب إلى مخطوبته فالزواج صحيح، لكن لن يتخلَّى عن حقٍ له مشروع، والأولى أن تمارس حقك الذي شرعه لك النبي عليه الصلاة والسلام.

وهناك حديث آخر عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ))

(من سنن أبي داود: رقم " 1783 ")

المعنى واضح، ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، أي أن تكون على الصفة الفلانية، هكذا طموحه، فإذا نظرت إليها، ورأيت فيها ما يدعوك إلى نكاحها، هذا من علامات التوفيق، ومن العلامات المودة والرحمة بين الزوجين.

عَنْ أَبِي حُمَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخِطْبَتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ لا تَعْلَمُ))

(مسند أحمد)

عندنا حكم فرعي، وحكم لطيف جداً، أحياناً يأتي الخاطب الأول فلا يعود، ويأتي الخاطب الثاني فلا يعود، والخاطب الثالث فلا يعود، والأب حريص حرصاً بالغاً على معنويات ابنته، وعلى شأنها وعلى مكانتها، قد تكون فتاة مؤمنة، حافظة لكتاب الله، فهذه قلامة ظفرها تعدل عند الله ألف فتاة غير متدينة، بل مليون، فإذا كان أول خاطب لم يعد، والثاني لم يعد، وخاف الأب على مشاعر ابنته أن تجرح، وعلى معنوياتها أن تهبط يحق للأب أن يسمح للخاطب الثالث أن يراها دون أن تدري، ومن الممكن ذلك، وهنا الحكمة أن يراها دون أن تدري. أما إلى ماذا ينظر ؟ لقد شرح الإمام النووي رحمه الله تعالى هذا الحديث الشريف الذي ورد فيه أمر النبي عليه

الصلاة والسلام بالنظر إلى المخطوبة فقال: " وفيه استحباب النظر إلى وجه من يريد تزوجها إلى الوجه، وهو مذهبنا، ومذهب مالكٍ وأبي حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد، وجماهير العلماء أن ينظر إلى وجهها وكفِّها ".

بعضهم علقَّ هذا التعليق: " يستدلُّ بالوجه على الجمال، أو جلده، وبالكفين على خصوبة البدن أو عدمه " الوجه مجمع الجمال، قال: " ولا يباح النظر، إلى ما لا يظهر عادةً ".

في العادة هذه الفتاة في بيت أهلها، هناك أشياء لا تظهر عادةً منها فلا يباح النظر إلى مالا يظهر عادةً. بعض العلماء قال: " للخاطب أن ينظر إلى أكثر مما ذكر "، ولكن الإمام النووي يقول: نرى ألا ينظر إلى ما عدا الوجه والكفين، وذلك لسببين: أن الوجه مجمع المحاسن، ويكفي في الإخبار عن حسن صاحب الوجه، والكفان كما يقول النووي ينبئان عن خصوبة الجسد وصلابته، فلا ينبغي تجاوز الوجه والكفين إلى غيرهما ".

ويرجِّح الإمام النووي أن ينظر الخاطب إلى الوجه والكفين فقط.

هنا تعليق لطيف، لو أراد هذا الخاطب أن يستزيد من صفات المرأة، فله أن يرسل إحدى قريباته فتعطيه الزائدة، هذا من الممكن يرجح وهذا مباح، يقول الإمام النووي: " إذا لم يمكنه النظر، استحب له أن يبعث امرأةً يثق بها، تنظر إليه وتخبره ".

وهناك نقطة مهمة جداً في الخطبة، أحياناً يكلّف الإنسان امرأة ليست ثقة، ليست متديّنة، فلو كلَّفها أو لو كلَّف مثلاَ زوجة أخيه أن تخطب له، هذه الزوجة لا تسمح أن تأتي من تنافسها في الجمال، فإذا أرسلَّها إلى فتاةٍ تحقق طموحه فستعطيه صفات مخالفة، فإذا أرسل الإنسان امرأة لكي تخطب له فينبغي أن تكون ثقةً، ورعةً، لا تكذب، لا تغير الصفات لا تبدِّل، فأنا أعرف عشرات بل مئات الفتيات، اللاتي رفضن وهنّ في أعلى مستوى لغيرةٍ أصابت الخاطبة أو لحسدٍ، أو لمشكلةٍ، أو لعداوةٍ، أو لمنافسةٍ، فالابن أو الأخ بسيط فإن قيل له: الفتاة لا تناسبك، فبهذا القضية انتهت، أو أنها تعرج عرجةً خفيفة، وقد تكون غير ذلك، فأحياناً هذه الخاطبة التي ليست ثقةً ربما شوَّهت الحقيقة.

الحقيقة أن الحياة تحتاج إلى ورع، المؤمن الصادق يتعامل مع المؤمنين، وبالإيمان حد أدنى، المؤمن لا يكذب، يطبع المؤمن على الخلال كلِّها، إلا الكذب والخيانة، أقول لكم هذا الكلام الدقيق: مؤمن يكذب ؟ يتكلّم كلامًا غير صحيح ؟ يفتري ؟ يبالغ ؟ يطمس المعالم ويشوِّه ؟ هذا ليس مؤمناً، يجب أن تنقل الواقع بأمانة.

طبعاً في موضوع إرسال النساء للخطبة هذا ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام، بعث امرأةً تنظر إلى من خطبها النبي عليه الصلاة والسلام.

والأولى عندنا قاعدة في الحديث، وهي أن الحديث المتواتر، يستحيل الكذب فيه، فقد رواه الجمع الغفير عن الجمع الغفير يستحيل التواطؤ على الكذب، فإذا كان الإنسان حريصًا على أن يخطب هذه الفتاة، وكان معه عنها معلومات جيدة جداً، فإذا أنبأته امرأةٌ ليس من صالحها أن تخطبها له بصفات مناقضة لما يعلَم، له أن يرسل امرأةً أخرى، فإذا جاء التواتر موافقاً، فيرسل امرأة ثالثة، فإذا جاءت الأوصاف متشابهة، معناها كلهنَّ صادقات، أما إذا كان هناك تناقض في الصفات، معنى ذلك أن إحداهن ليس لها مصلحة في هذا الزواج، فكنْ عاقلاً ولا تكون ألعوبة بيد الأخريات، كنْ عاقلاً فلا تحكم إلا بعد التثبت والتحقق.

بقي علينا في الدرس القادم إن شاء الله تعالى نظر المخطوبة إلى الخاطب، واستشارة الفتاة، واستشارة أمها، هذه من التصرفات التي تحقق المودة بين الزوجين.

أسئلة متعلقة بالخِطبة

هناك أسئلة متعلّقة بهذا الموضوع لعلّها مهمةٌ ومفيدة:

السؤال الأول:

متى يسمح للخاطب بالنظر إلى الفتاة ؟ قبل الخوض في التفاصيل الأخرى أم بعدها ؟

الجواب:

والله الأولى والأصوب، والأكمل والشيء الشرعي أكثر، أن ينظر إليها بعد أن يتفق الفريقان على كلِّ شيء، وتبقى الرؤية الحاسمة، أما هناك أكثر من سبب لعدم تحقق هذا الزواج، فما الفائدة من النظر إليها ؟ فمثلاً أهل الفتاة لا يزوجون خارج بلدهم، والخاطب مقيم بدولة خليجية، ويريد أن يراها، فلا داعي أن تراها ما دام إرسالها إلى هذا البلد مرفوض، أو لا يزوجون إلا في بيت مستقل، والخاطب لا يوجد عنده بيت مستقل، فلماذا تريد أن تراها ؟ أكثر الناس أول المرحلة الرؤية، فلا داعي لذلك، فلك أنت ظروف ولهم شروط، فإذا توافقت ظروفك مع

شروطهم، اطلب أن تنظر إليها، أما أن يكون التناقض بين ظروفك وبين شروطهم فليس هناك حاجة أن تنظر إليها.

السؤال الثاني:

سألني أخ سؤالا: ما رأيك بتعدد الزوجات أسوةً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟

الجواب:

ألم يعجبك منه غير التعدد اللهم صلِّ عليه ؟ التعدد مباح وليس واجباً، والأصل ما دام الله عزَّ وجل خلّق تقريباً النسبة بين الرجال والنساء خمسين بخمسين، فالأصل زوجة واحدة، أما حينما تكون المرأةٌ عاقرًا، هل الأولى أن نطلقها، وأن نلقيها في الطريق، أم أن نسمح لهذا الزوج المحروم من الولد بالزواج من ثانية ؟ نسمح له بالزواج من الثانية.

امرأةٌ مريضة، الأولى أن نطلقها، ونلقيها في الطريق، أم أن نسمح لزوجها المحروم منها لعلة مرضها أن يتزوج ثانية ؟ نقول له: تزوج ثانية.

رجلٌ له حالةٌ خاصة، لا تكفيه امرأةٌ واحدة، أنسمح له بالزنا أم بالخليلات، أم بزوجة ثانية ؟ بزوجة ثانية. عقب الحروب، مليون قتيل في بعض الحروب التي وقعت بين بلدين إسلاميين ودامت ثماني سنوات فقد فيها مليون قتيل، فماذا نفعل ببقية النساء ؟ ندفعهن للانحراف، أم نسمح بالتعدد ؟ نسمح بالتعدد.

إذاً التعدد مباح وليس واجباً، وتتضح إباحته جليًّا في هذه الظروف، كامرأةٌ لا تنجب، أو امرأة مريضة، أو امرأة لا تحصن زوجها، ويخشى عليه أن يلتفت إلى غيرها، أو أن الرجل لا تكفيه امرأةٌ واحدة، أو عقب الحروب والنكبات، في هذه ظروف إذا سمحنا بالتعدد في هذه الظروف، لا بدَّ من العدل التام لا المطلق، فالمطلق يشمل، ميل القلب:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ:

((اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ))

أما التام، السكنى، أي أن البيتين في مستوى واحد، الإنفاق اليومي، المبيت أو الوقت، فإذا كان هناك حاجة، وكان هناك قدرة، وكان هناك عدل تام، فالتعدد مباحاً وهو رأي الشرع.

السؤال الثالث:

إذا خطب رجلٌ فتاةً ثم تزوجها، وبعد الزواج اكتشف فيها عيباً لم يعرفه قبل الزواج، فما هو رأي الشرع بذلك ؟ وهل من حق الخاطب أن ينظر إلى مفاتنها المخفية عن الأنظار ؟

الجواب:

مثلما تكلمنا سابقاً له أن ينظر إلى الوجه والكفين، وهناك رأيٍ ضعيف، لم يجمع عليه العلماء، أن ينظر إلى أكثر من ذلك، أي للشعر، لكن أن ينظر إلى ما ينبغي أن لا ينظر إليه، لا يجوز هذا وهو خلاف الفطرة، أما إذا اكتشف فيها عيباً، العلماء في كتب الفقه نصوا على العيوب التي تجيز للزوج أن يفسخ العقد، فليس كل عيب، كأن يكون عندها ثلاث أسنان محشوة، خير إن شاء الله، فأنت لك عشرة أسنان، لديك محشوة، فهناك عيوب لا تقدِّم ولا تؤخر، وليس هناك إنسان خالٍ من العيوب، أو سليماً مئة بالمئة، لكن هناك عيوب العلماء نصوا عليها تمنع تحقيق مصلحة الزواج، هذه تعالج في درسٍ قادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 2) : الزواج العرفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الحكمة من تغيير الموضوعات طَرْدُ المَلَلِ:

أيها الإخوة المؤمنون، أنهينا في الدرس الماضي موضوعات الربا، وكان من الممكن أن نتابع في هذا الموضوع دروسًا كثيرة، ولكن أرى أنا دائماً أن الموضوع إذا عالجناه وقتًا محدودًا، وانتقلنا إلى غيره، فإذا وجدنا حاجةً عدنا إليه بعد حين، هذا أقرب إلى إقبال الإخوة الكرام بشغف على دروس الفقه، فالموضوع إذا استمر طويلاً أشعر أنا أن الإخوة الكرام يشعرون بالإشباع، موضوع الربا موضوع كبير جداً، أخذنا منه الموضوعات الأساسية، ولاسيما موضوع القرض الحسن، وموضوع المضاربة.

مقدمة للزواج العرفي:



وننتقل الآن إلى موضوع أثاره في نفسي تحقيق قرأته في جريدة يومية حول الزواج العرفي، وكثيراً ما أدعى إلى عقد زواج عرفي فأرفض أشد الرفض، وكثيراً ما أسأل عن هذا الموضوع .

والذي أدهشني أن إخوةً كراماً كثيرين يريدون إذا زوجوا بناتهم أن يعقدوا زواجاً عرفياً، والزواج العرفي هو الزواج الذي يقع خارج المحكمة الشرعية، والحقيقة أنّ الذي أدهشني أن هناك مآسي لا حصر

لها ذكرها القاضي الشرعي، مآسي لا حصر لها تنتج عن الزواج العرفي الذي يقع خارج المحكمة الشرعية. قبل أن نخوض في هذا الموضوع لابد من التمهيد، قبل مئة عام إذا أردت أن تشتري بيتاً يكفي أن يقع بينك وبين صاحب البيت إيجاب وقبول شفهيان، وأن تسلمه الثمن، وأن يعطيك المفتاح، وقبل مئة عام لم يكن من إجراء لشراء البيت إلا هذا الإجراء، إيجاب وقبول، والأولى الشهود، ودفع الثمن، وأخذ مفتاح البيت، وانتهى عقد شراء البيت، أنت الآن أيها الأخ الكريم هل يعقل أن ترضى أن تشتري بيتاً، وأن تدفع ثمنه خمسة ملايين ليرة، وهو بيت صغير، وأن تأخذ من صاحبه المفتاح، والسلام عليكم، إن قبلت أن تشتري هذا البيت بهذه الطريقة فزوج ابنتك بالطريقة الأولى، أن يأتي شيخ، وأن يقرأ لك الفاتحة، وأن يجري إيجاباً وقبولاً، وعلى مهر، وبعض الشهود، وانتهى الأمر.

لكل عصر طريقة في تثبيت الحقوق:

الذي أريد أن أقوله لكم هو أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(سورة الأنفال)

قال: (مِنْ قُوَّةٍ) ليشير إلى أن لكل عصر قوته، فقد تكون القوة في عهد النبي بتضمير الخيول، وشحذ السيف، وقد يأتي عصر تصبح فيه القوة قوة معلومات، وقوة أقمار صناعية، وقوة أشعة ليزر، وقوة القنابل العنقودية، وقوة القنابل الذكية، وقوة الأسلحة الشاملة، وقوة الإعداد النفسي، وقوة الإعلام، هذه كلها من القوة، (مِنْ قُوَّةٍ) أراد القوة التي تصلح لكل عصر.

سقت هذا الكلام لأؤكد لكم أن لكل عصر طريقة في تثبيت الحقوق، لكل عصر بحسب التعقيدات، وحسب تطور المجتمعات، لكل عصر طريقة في تثبيت الحقوق، كما أنه اليوم لا يمكن أن ترضى أن تشتري بيتاً، وأن تدفع ثمنه، وأن تأخذ المفتاح، بل لابد من تسجيل هذه الملكية في السجلات الرسمية، وإلا فبيعك وشراؤك لا قيمة له. الذي أثار هذا الموضوع أنه في قصر العدل قبل أيام نشبت مشاجرة كادت تودي بحياة اثنين، بين رجلين يختصمان على امرأة واحدة، كلٌّ يقول: هذه زوجتي، وهي متزوجة من الأول بعقد عرفي، ومن الثاني بعقد عرفي،

العقد العرفي ليس له أصل عند الدولة، وهناك قصص كثيرة سأروي بعضها إن قدرني الله عز وجل للمآسي التي تجري الآن في مجتمعنا من جراء العقد العرفي.

ما هو العقد الشرعي ؟

ما هو العقد الشرعي في الأساس ؟ لا يتم عقد، ولا ينعقد عقد، ولا يصح عقد إلا بشروط:

من هذه الشروط المحلية الكلية، المحلية الكلية أن تكون هذه المرأة التي تعقد عليها عقد النكاح ليست أحد المحارم على التأبيد، أم، أخت، ابنة، زوجة، هناك مشكلات تقع الآن، أخت من الرضاع لابد من التفريق بين الزوجين، يجب أن تكون المرأة التي يتم عليها عقد الزواج محلاً أصلياً للزواج، فإذا كانت أحد المحارم عن علم أو عن غير علم، طبعاً أكثر إشكال يقع في الأخت من الرضاع، فإن كانت إحدى المحارم على التأبيد، ولاسيما الأخت من الرضاع هذا العقد باطل، ويجب أن ينفسخ فوراً.



وينبغي أن تكون هذه المرأة التي تعقد عليها العقد الشرعي محلاً فرعياً لزواجك، فما المحل الفرعي ؟ أن لا تكون هناك حرمة مؤقتة تمنعك من الزواج بها، كأن تكون أختاً لزوجتك، مادامت الأولى على عصمتك فالثانية محرمة تحريماً مؤقتاً، أن لا تكون مطلقةً تطليقاً رجعياً بعدة، فما دامت المرأة معتدة لا فيجوز عقد الزواج عليها، هذا شرط إجرائي، إن صح التعبير، أن تكون محلاً أصلياً للزواج ومحلاً فرعياً له، المحل الأصلي أن لا تكون محرمةً على التأبيد، والمحل الفرعي أن لا تكون محرمةً على التوقيت، لكن أجمع العلماء على أن الزواج لا يكون شرعياً إلا إذا كان على التأبيد لا على التوقيت، فيجب أن تنعقد نية الزوج على تأبيد هذا العقد، فإذا أراد التوقيت فقد أخل بأحد أركان العقد.

إذا سافر الإنسان يقول: أنا أفضل من أن أبقى بلا زوجة، وأنا سوف أستقر خمس سنوات في هذا البلد الأجنبي حتى أتزوج امرأة، وعندما يكرمني الله عز وجل بالدكتوراه أطلقها، وأتزوج امرأة من بلدي، هذا العقد على التوقيت عقد باطل.

هناك قضية خلافية نبحث فيها في وقت آخر، إذا استدعى إنسان مأذون المحكمة، وصار أمام المأذون إيجاب وقبول، ومهر وشاهدي عدل، وولي، وتمت أركان الزواج، الفتاة، ووليها، وشاهدا عدل، ومهر وإيجاب، وقبول، فهذا العقد في ظاهره شرعي، أما إذا نوى الزوج التوقيت فهذا لا يعلمه العاقد، ولا يعلمه القاضي، نقول: في ظاهر هذا العقد عقد شرعي، أما في موضوع التوقيت والتأبيد فهذا موكول إلى نية الزوج، فإن نوى التوقيت فقد وقع في إثمٍ كبير، وربما كان عقد زواجه باطلاً، وربما أمضى هذه الفترة كلها في رأي بعض العلماء مستنبطين هذا من بعض الأحاديث زانياً، لأنه على التوقيت.

من شروط العقد وأركانه التأبيد، فإن نويت التوقيت فقد أخللت بأحد أركان عقد الزواج، لأن هذه الفتاة لو أنها أختك، أو لو أنها ابنتك فلا ترضى لا أنت ولا هي أن يتزوجها رجل لأمد محدود، طبعاً هذا شيء معروف عندكم جميعاً، أن المرأة في سن الزواج مقبولة جداً، في سن آخر تنتقل إلى طور آخر، تصبح أم لأولاد، في طور آخر تصبح جدة، كل طور من أطوار حياتها لها ميزة، ومكانة، ولها إشعاع، ولها وظيفة، فإذا استمتعت بها شابةً، ورميتها كهلةً من يأخذها في هذا السن ؟ قد قضيت على مستقبلها، إذاً التأبيد لا التوقيت أحد أركان العقد.

ملخص شروط عقد النكاح الشرعي:

1 – أن تكون المرأة محلا أصليا للزواج:

أضع بين أيديكم أركان العقد الشرعي: أن تكون الزوجة محلاً أصلياً للزواج، أي أن لا تكون محرمةً على التأبيد من المحارم.

2 – أن تكون المرأة محلا فرعيا للزواج:

وأن تكون محلاً فرعياً للزواج، أي أن لا تكون محرمةً على التوقيت، كأن تكون أخت الزوجة، أو أن تكون مطلقة بعدة، الشرط الثاني أن تكون نية التأبيد واضحةً في ذهن الزوج وإلا أخل بشرط أساسي وركن أساسي من أركان الزواج.

3 – الشهادة:

الشيء الثاني: الشهادة، لأن الزواج أساسه طريق مشروع، ينبغي أن يعلن، لا يوجد زواج سري كما ذكرت لكم في دروس سابقة، ديننا دين الحق، ودين الله عز وجل، ولا يوجد شيء مخفي، ولا شيء يستحيا به، ولا يوجد شيء لا يمكن أن يقال للناس جميعاً على رؤوس الخلائق، لذلك لو دخلت إلى الجامع الأموي، وأيقنت أن فيه أكثر من مئة ألف مصلٍّ يؤدون صلاة الجمعة، ثم شعرت أن أبواب هذا المسجد مغلقة، فصلاة هؤلاء الناس جميعاً باطلة، لأن صلاة الجمعة صلاة عامة، فإذا غلقت الأبواب أصبحت الصلاة خاصة، هناك شيء تخاف أن تقوله للناس، وهناك شيء تستحي أن تقوله للناس، إذاً هذا ليس دين الله عز وجل، دين الله لا يستحيا منه، ولا يخشى أن يقال على رؤوس الأشهاد، كذلك مئة ألف يصلون في جامع يؤمهم إمام، يخطب فيهم خطيب، إذا غلقت الأبواب فالصلاة باطلة.

4 – الإعلان:

الآن إذا لم يشهد هذا الزواج شهود عدول، ولم يعلن هذا الزواج، ولم يشع في المدينة أن فلانًا زوج فلانة، فقد أخل الزوجان بأحد أركان عقد الزواج، لذلك قالوا: لو أن إنساناً أراد أن يتزوج امرأة ثانية، وعقد عقداً عرفياً كما قلت قبل قليل، ورجا الشهود أن يكتموا عليه هذا الزواج، هذا الزواج باطل، إذا تواطأ الزوج مع الشهود على كتمان الزواج فالزواج باطل، لأنك أخللت بأحد أركانه الأساسية، وهو إعلان الزواج.



وهذا الذي يفعله الناس مع أنه صار شيئًا مؤذيًا مزعجًا من إطلاق أبواق السيارات، لكنه شرعي، هم لا يستحيون بهذا الزواج، فلانة زوجة فلان، لأن الله سبحانه وتعالى شرع الزواج، فالشيء الذي شرعه الله لا تستحي به، يجب أن تستحي من المعصية. أحيانا إذا تزوج إنسان زوجة ثانية، ولسبب جوهري أو غير جوهري، لكن أنا أقول: هذا أفضل مليون مرة من علاقة مشبوهة خارج الزواج، تلك معصية، أما هذه طاعة، فلا ينبغي أن نحل العرف محل الشرع، هناك أسباب، وظروف، وبلا أسباب، وبلا ظروف، مادام

هناك عدالة، وكفاءة، وقوة، فهناك زواج آخر، وهذا أهون من الزنا، وأهون من إطلاق البصر في الحرام، وأهون من الانحراف، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله.

دين الله عز وجل لا يستحيا منه، ولا يخشى أن يقال على رؤوس الأشهاد، كذلك مئة ألف يصلون في جامع يؤمهم إمام، يخطب فيهم خطيب، إذا غلقت الأبواب فالصلاة باطلة.

إنّ الزواج السري مشكلة، ولو فرضنا أن الزوج لا يحب أن يخبر أحداً أنه تزوج، وهذه التي هي زوجته إذا حملت منه ماذا يقول للناس ؟ لماذا نخفي الزواج ؟ لذلك في كتب الفقه بحث طويل عن الزواج السري، وفي أرجح الأقوال أنه زواج أخل فيه الزوج بأحد أركان الزواج، إذاً تواطؤ الزوج مع الشهود على كتمان هذا الزواج عن أهله، أو عن زوجته السابقة لا يجوز، وكثير من الزوجات تتفاجأ بعد عشر سنوات أن لها ضرة، الزوج ذكي جداً، يختلف إلى الزوجة الثانية في أثناء النهار وقت الغداء، يقول: أنا عندي موسم، وأتغدى في المحل، ويكون الأمر خلاف ذلك، عنده زوجة ثانية، تكتشف هذه الزوجة بعد أمد طويل أن لها ضرة، فإخفاء هذا الزواج إخلال بأحد شروط عقد الزواج.

5 – الرضا:

شيء آخر الرضا، رضاء الزوج أو الزوجة، أو عدم الإكراه هو أحد شروط الزواج الأساسية، وأحد أركانه، لذلك ترون المأذون موظف عقد القران لا يعد العقد ماضياً إلا إذا توجه إلى الفتاة، وسألها: هل أنت راضية بفلان ؟ وهل أنتِ راضية بالمهر الفلاني ؟ فإذا قالت: نعم، أو صمتت، وصمتها كما قال عليه الصلاة والسلام إذنها، لأن رضاء الزوجة أساسي، وأحياناً تتحقق مصلحة الأب بزوج لا تحبه ابنته، هو أراده غنياً ليحل مشكلاته، وهو كبير في السن، وليس هناك تناسب بين الزوج والابنة، وإذا رفضت فلا ينعقد الزواج.

هناك بعض الصناديق في المصارف له مفتاحان، مفتاح مع صاحب الوديعة، ومفتاح مع مدير المصرف، لا يفتح هذا الصندوق إلا إذا اجتمع المفتاحان دفعة واحدة، هذا المثل ينطبق على الزواج، لا ينعقد العقد إلا إذا وافقت الفتاة على هذا الزوج، ووافق وليها على هذا الزوج، فموافقتها تنحصر في أنها قبلت به زوجاً من حيث الشكل، وهناك عوامل تعتلج في نفس الفتاة، لكن موافقة الولي، وهو أخبر بالرجال، يعرف الرجال، ويعرف ألاعيبهم، ويعرف البريء من الكاذب، والصادق من الكاذب، والمنحرف من المستقيم، هذا يعرفه الأب أضعاف

ما تعرف الفتاة، فموافقة الولي تتجه إلى حقيقة هذا الرجل، وموافقة الفتاة تتجه إلى أنه يرضيها أن يكون هذا الشخص الذي أمامها زوجاً لها، فالرضا شرط أساسي من شروط عقد النكاح.

6 – تعيين الزوجين:

هل تصدقون أن من شروط عقد النكاح تعيين الزوجين، سوف أزوجك ابنتي، والدته رأت فتاةً جميلةً جداً، تم عقد الزواج، وتم تزويج فلان من كريمة فلان، وعنده ابنة كاسدة فأعطاه إياها، لابد من تعيين اسم الفتاة، وإلا كان الزواج باطلا، وهناك أشخاص كثيرون فعلوا هذا، فالذي ظهرت أمامه ادعت لها اسماً غير اسمها الحقيقي، فلما جاء القاضي، أو مأذون الزواج صرح بالاسم الذي اقترن معه مع الفتاة، فلما جاء يوم الدخول رأى فتاة أخرى، والمهر متأخر كبير جداً، فلابد من تعيين اسم الزوج واسم الزوجة في عقد النكاح، وعندما ترى الدفتر طويلا، والاسم والشاهد والمهر والدقة هذا كله أساسه شرعي.

7 – العقد في غير الإحرام بالحج أو العمرة:

إنّ أي عقد زواج تم في أثناء الحج أو العمرة فهو باطل، لأنه قال تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(سورة البقرة)

إذاً المحلية الكلية، والمحلية الفرعية، والتأبيد، والشهادة، والرضا وتعيين الزوجين، وعدم الإحرام بحج أو عمرة.

8 – تعيين المهر:

و الصداق هو المهر، وأي زواج من دون صداق فهو فاسد، والفاسد غير الباطل، الباطل لا ينعقد أصلاً، أما الفاسد فيصحح.

9 – عدم المرض:

سمعتم مني قصتين أو ثلاثًا، القصة التي ذكرتُها مرة أن فتاة من أسرة جيدة من أسر هذه البلدة خطبها شاب ملء السمع والبصر، وتم عقد الزواج، ولا أدري كيف جاء الزوج بشهادة طبية صورية، وبقي الزوج مع الزوجة سنةٍ بأكملها يمضيان كما قال محرر هذه القصة أجمل أيام حياتهما، وكان حديثهما حول لون غرفة النوم، زهر أم سماوي، حول نوع الأثاث، وحول ترتيب البيت، اضطر إلى أن يتحصل على شهادة سيارة، ذهب ليتبرع بالدم، فإذا هو مصاب بالإيدز، إذاً أنا أرى بعد فشو هذا المرض في بلدتنا، وبعد فشو هذا المرض من قِبل من سافروا إلى بلاد الغرب، أنا أرى أن لا يقبل والد فتاة مهما بدا لك الشاب حيياً لطيفاً بريئاً براءة الأطفال في عينيه، مهما بدا لك كذلك فأنا أنصح أولياء الأمور أن يطالبوا الأزواج بشهادة صحية حقيقية، مع الأسف الشديد معظم الشهادات الآن صورية شكلية، أحياناً ليس موضوع الإيدز، تضاد دم، يكون هناك زمرتان دمويتان متضادتان، فينتج من الزواج مخاطر على حياة الفتاة، وأدوية غالية جداً، وغير متوافرة أحياناً، وإلا كما يقول بعض الأطباء: الدم ينحل، فلذلك الشهادة الطبية الحقيقية لابد منها قبل عقد الزواج.



أما الآن فهناك خطر آخر، هناك قصة اليوم قرأتها في الجريدة تضاف إلى القصتين السابقتين، امرأة عمرها سبعون عاماً متقدمة في السن، أصيبت بمرض عضال، وأهلها ميسور الحال، فسافرت إلى بلاد الغرب لتجري عملية زرع، أخذت معها أحب أبنائها إليها، أصغرهم، وفي هذه البلاد كان مع أمه في أغلب الأحيان، زمرة دم هذه الأم نادرة، ففي أثناء العملية حدث نزيف شديد، وليس في المستشفى دم من هذه الزمرة، فعرض هذا الأمر على ابنها، فلما فحص دمه كان دمه مناسباً لأمه، فأعطاها من دمه، والعملية تمت بنجاح، وانتهت العملية، وعادت الأم مع ابنها إلى البلدة، بعد سنة بدأت الآلام في الأم، والأوجاع، والأسقام بعد الأورام، الأطباء شكّوا في أمرها، دون أن يعلموها، طبعاً امرأة عمرها سبعون سنة، ومظهرها بالتعبير المألوف محافظة من أسرة دينة، فما ذكر الطبيب نوع الفحص، بل قال لها: لابد من فحص الدم، فلما فحص دمها إذ هي مصابة بالإيدز، فوراً حجر عليها، وأجري معها تحقيق، قالت لهم: أنا لا أعرف سوى زوجي، ما هذا الكلام ؟ أنا

امرأة مسلمة عفيفة، وزوجي توفي من عشر سنوات، ولا أعرف رجلاً آخر في حياتي إلا زوجي، ما هذا الكلام ؟ فلما تابعوا التحقيق معها متابعةً دقيقة، وضيقوا عليها قالت: أنا كنت في أوربا، وكان معي ابني، وأعطاني الدم، أحضروا ابنها، فإذا هو مصاب بالإيدز، ضيقوا عليه فاعترف بعلاقةٍ مع فتاةٍ حينما كان مع أمه في السفر، حينما كان معها غاب عنها قليلاً، وأجرى علاقةً مشبوهة مع فتاة.

حدثني أخ طبيب قال لي: فحصت مئة فتاة تمتهن البغاء في فرنسا، وهذه القصة من خمس سنوات، فإذا ثلاثة وثلاثون بالمئة مصابات بالإيدز، أنا ألقيت خطبة إذاعية قبل سنتين تحدثت عن الإيدز، وقلت: ثلاثة أرباع المليون يحملون هذا المرض في أمريكا، وقعت تحت يدي نشرة قبل أيام صاروا عشرين مليونًا، الآن . والفضل لله عز وجل . لا يمكن أن يدخل أحد إلى القطر بعد إقامةٍ مديدة في أوربا أو في أمريكا أو في إفريقيا إلا ويلزم بفحص دمه.

من أركان عقد الزواج عدم المرض، مستقبل ابنتك، مستقبل ابنك، أنا أتمنى على الآباء أن لا يقبلوا بشهادةٍ صورية، مع الأسف الشديد معظم الشهادات صورية، وأيّ طبيب لدى فحص المدعو فلان ابن فلانة تبين أنه سليم من كل الأمراض، هذه خيانة للأمانة، طبعاً زمرة الدم مهمة جداً، لأن هناك أزواجًا يعانون الأمَرّين من تضاد زمرتي الدم مع زوجاتهم، كل ولادة تحتاج إلى إبرة ثمنها اثنا عشر ألف ليرة، أو خمسة آلاف ليرة، لا أعرف ثمنها تقريباً، وإلا ينحلّ دم الأم، لوجود تضاد بين زمرتي الدم، إذاً: من لوازم عقد الزواج خلو الزوجين من المرض هذا عن طريق شهادة صحية.

قصص من واقع الناس عبرة للناس:

القصة الأولى لرجل ذهب إلى أمريكا وعاد ليكون زوجاً، له زوجة في الشام وفية، وبعد سنة أنجب منها ولدًا، واكتشف أنه مصاب بالمرض، عندما كان هناك وزوجته مصابة وطفله مصاب، حصد هذا المرض أسرةً بأكملها عدا فتاة كانت قد ولدت قبل مرض أبيها.

والقصة الثانية ذكرتها قبل قليل.

والثالثة ذكرتها آنفاً، إذاً: خلو الإنسان من المرض شرط أساسي في عقد الزواج.

10 – وجود وليّ المرأة:

الولي في أرجح الأقوال، وفي أقوى المذاهب لابد من ولي يتولى أمر تزويج الفتاة، ولاسيما إذا كانت بكراً، لأن الفتاة يغرر بها، فهي في طبيعتها براءة، طبيعتها ضمن البيت، ساكنة تصدق ما يقال لها، أكثر المشكلات العويصة في الزواج أساسها فتاة غرر بها، طبعاً الرجل أقدر على الاحتيال من الفتاة، هي تصدق، ولاسيما إذا كانت متلهفةً لزوج قد يكذب عليها، ولاسيما في ماضيه، لذلك البيت المسلم له شروط، الفتاة حينما تنشأ في كنف أب مسلم فيه انضباط، وشروط قاسية جداً، حينما تتفلت الفتاة من رعاية أبيها، أو تنشأ في بيت غير منضبط فهناك مشكلات لا حصر لها.

عودة إلى الحديث عن الزواج العرفي:

الآن عودة إلى الزواج العرفي، زواج الشيخ، يقول لك: إمام في أي جامع: يا سيدي عندنا زواج، بهذه البساطة، وهو يصدق، ويأتي العروس، ويكون الإيجاب والقبول والشاهدان، وانتهى الأمر، قد تكون هذه الزوجة لازالت في عصمة زوج آخر، فالزوج الثاني آثم إثماً كبيراً جداً، لا يعقل أن تكون امرأة لرجلين، هذا مستحيل. مرة ثانية كما أنه لا يمكن أن تقبل أنت بشراء بيت على أساس أن تدفع ثمنه وتتسلم البيت، كذلك لا تقبل أن تزوج ابنتك زواجاً عرفياً.

الآثار المترتبة عن العقد الشرعي:

العقد الشرعي ماذا يترتب عليه ؟

أولاً: المهر.

ثانياً: النفقة.

ثالثاً: المتابعة.

رابعاً: التوارث.

خامساً: نسب الأولاد.

سادساً: حرمة المصاهرة.

هذا الزواج يعني أن فيه مهرًا، أين حق هذه الفتاة ؟

مرة كنت عند صديق لي في قصر العدل، هو قاضي التحقيق الأول، بيننا صداقة، زرته في مكتبه، فوجئت أنه يحقق في جريمة قتل وقعت في دمشق، والقصة من عشر سنوات، فجلست أتابع باهتمام مجريات التحقيق، فجأةً فتح الباب، وأطل منه شاب، لفت نظري أن قاضي التحقيق الأول نظر إلى هذا الشاب بابتسامةٍ، وقال له: تعال، ترك من يده التحقيق في جريمة القتل، وسأله عن اسمه، وقال له: متى تزوجتها يا بني ؟ قال له: منذ سنتين، وأشار إلى الكاتب أن يكتب كتابة سريعة، أنه حضر فلان الفلاني، وأنه صرح بأنه تزوجها قبل عامين، وعلى مهر كذا، وقال له: تعال وقع، ومع السلامة.

حدث في نفسي سؤال: هل من المعقول لقاضي تحقيق يحقق في جريمة قتل، وكان في أدق تفاصيل الجريمة، وأنا أتابعها باهتمام، فيفتح الباب شاب، ويدخل فيقطع العمل من يديه، ويلغي التحقيق، ويجمده إلى حين، ويسأل الشاب: متى تزوجتها ؟ وهو شعر أني تساءلت في نفسي، ماذا فعل هذا ؟ فقال لي: أستاذ، هذا زواج عرفي، إن التقى بأحد المحامين يقول له: أنكر الزواج، فضاعت حقوق الفتاة، لمجرد أن ينكر الزوج زواجاً عرفياً فهذه ليست زوجته، ولا يوجد طريقة طبعاً إثبات أخرى، ولا شهود، لا يوجد إلاّ اليمين، الكاذب قالوا له: تحلف ؟ فقال: جاء الفرج، انتهت القضية، فهذه زوجة، وحامل، وعند الناس زوجة، فتصبح زانية.

أخطر شيء أن ينكر الزوج زواجه من هذه الفتاة، أما عندما يأتي موظف المحكمة، ويأخذ توقيع الزوج، وولي الفتاة، ويسجل المهر، انتهى الأمر، ما الفرق بين عقد شركة في محكمة البداية، وبين عقد شركة مكتوب، لكن من دون محكمة ؟ أول شيء يقول لك: هذا ليس توقيعي، ذهبت الدعوى القضائية ثماني سنوات، خبراء توقيع، توقيعه، لا ليس توقيعه، لذلك فإن الإنسان العاقل هو الذي لا يضطر إلى دخول المحاكم، الإنسان حينما يفرط يدفع الثمن باهظاً، إذاً هذا قاضي التحقيق قطع التحقيق في جريمة قتل، ودعا هذا الشاب، وقال لي: هذا زواج عرفي، لو أنه التقى بإنسان غير منضبط شرعاً أو ديناً يقول له: أنكر الزواج، وانتهى الأمر، فإذا لم يكن هناك

شهود، لا يوجد غير اليمين، فإذا حلف اليمين فهو في حل من هذا الزواج، تقول لي: المهر المتأخر ثلاثون ألفًا، أو مئة ألف، لكن انتهى.



سبحان الله ! أساس الشرع حتى يفرغك الله عز وجل لعبادته، انظروا دعوى في قصر العدل تبقى سبع سنوات، تتحطم أسرتان، وفي آخر المطاف لا غالب ولا مغلوب، وهذا من التقصير، أنا لم أجد مشكلة في قصر العدل إلا سببها مخالفة الشرع، ودخلنا في متاهة الدعاوي والقضاة، وأنواع القضاة، وهؤلاء القضاة بعضهم نزيه، وبعضهم غير نزيه، وبعضهم يتهمه بعض بالنزاهة، وهو نزيه، والمحامون المؤمنون قلة، والكثر بعيدون عن إحقاق الحق، فحينما تضطر إلى أن تدخل إلى قصر العدل، وتوكل محامين، وتعلق مع القضاة، أين بقيت الصلاة ؟ تعكرت صلاتك، على قدر المستطاع وضح أمورك، اكتب سندًا للقرض، وعقداً للشراكة، وسجله في محكمة البداية، فمهما بذلت من جهد ومن وقت لو تكلفت عند المحامين مبالغ كبيرة أهون بكثير من إنكار الشركة.

شاهد اثنان بناء يصلح لمشروع، فدخلوا فيه شراكة، هذه القصة وقعت تحت سمعي وبصري، هذا المشروع كلف ثلاثين ألفًا، وهم اثنان، فقال أحدهما للآخر: هذه خمسة عشر ألفًا، هذا المشروع راج، ولكن باتفاق شفهي، كل سنة يعطيه خمسة آلاف، وما ظنها الأول أنها من الأرباح، بعد ثلاث سنوات قال له، المبلغ أخذته، والله يجزيك الخير، وقال له: المبلغ أخذته منك دَينًا، قال لي الطرف المظلوم: المشروع الآن قيمته حوالي عشرة ملايين، وأساسه ثلاثون ألفاً.

سؤال: إذا تساهل الإنسان في العقود، وسمح للشيطان أن يغويه، ويطمعه بالمال الحرام، ألا تعتقدون معي أن الطرف الأول المتساهل آثم، أنت إذا قيدت أخاك بعقد أصولي مسجل في محكمة البداية فقد منعته عن المال الحرام، وحصنته من المعصية، ولما تساهلت معه فقد أغويته بالمعصية، فأنت آثم مثله.

إذا ترك رجل مبلغًا من المال على طرف طاولة في محل تجاري، وهناك زبائن، ودخل شاب ضعيف الإيمان، ووجد خمسمئة، وشعر أن في المحل مشكلة، التفت صاحب المحل، فأخذها، وسار في طريقه، هذا يعد سارق طبعاً، هل تظن أن صاحب المحل الذي وضع المبلغ على الطاولة بلا مبالاة ليس آثمًا.

أنا مر معي بعض النصوص أن إثم صاحب المحل أشد، لو وضع المبلغ في الدرج لما أغرى الشيطان هذا الشباب بماله، فكل إنسان يسيّب أمواله، يهمل ضبط أموره، يهمل حساباته، يهمل مستودعاته أيضاً هو آثم، لأنه سمح للطرف الآخر أن يأكل مالاً حراماً.

فالزواج العرفي هو الزواج الذي يتم خارج المحكمة الشرعية، طبعاً هناك إيجاب وقبول، إلى آخره، وهو زواج شرعي، ولكن مشكلته أنه غير مسجل، فأول مشكلة بين الزوجين وأول شقاق ما عجبته، فغاب، يقول القاضي الشرعي في موضوع نشر في الجريدة: يوجد امرأة زوجت من شخص خارج القطر السوري، ودفع مبلغاً جيداً، وأقام معها أربعة أيام، ثم غاب، بعد أشهر هي حامل منه، والعقد عرفي، أين هو، وأمام الناس هي حامل، وأمام الناس هي زوجة، وبمصالح النفوس عزباء، هذا الابن لمن ؟ هذه المشكلة هل لها حل عندكم ؟ لا يوجد لها حل، الزواج عرفي، هذا الموضوع أنا طرحته اليوم لأن مئات الحالات، وأنا أعجب أشد العجب، لا يوجد زواج إلا ويقولون: إنهم يريدون كتاب شيخ حتى يدخل عليها، والكتاب الرسمي كله في يومين وينتهي، لا داعي أن تعقد عقدًا خارج المحكمة، عقد محكمة فلان زوج فلانة، وانتهى الأمر، ولا يستطيع أن يفكر بشيء آخر، هذا يظهر أنه قضى وطره منها، وغاب، ووجد أجمل منها، والمهر سمح فيه، لكن بقي الولد.

آداب عقد النكاح:

عندنا موضوع آخر ملحق بهذا الموضوع، وهو آداب عقد النكاح.

الادب الأول: الخطبة قبل العقد:

من آداب عقد النكاح أن يخطب الزوج قبل العقد، ينبغي أن يقول: الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويقرأ قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(سورة آل عمران)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[سورة النساء]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

(سورة الأحزاب)

هكذا السنة، أن تخطب أيها الزوج، فإذا خطب أحدكم فليتعلم هذه الخطبة، وهي شيء جميل جداً، الزوج يخطب، ويقول بعدها: فإن الله أمر بالنكاح، ونهى عن السفاح، كلما كان أولياء الأمور عقلاء، وسهلوا الأمور على الشباب، وزوجوا بناتهم من أزواج طيبين مؤمنين، وما فتشوا كثيراً عن المادة افلحوا، قال تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(سورة القصص)

تساهلوا ببيت فيه غرفة واحدة، أجرة، دخله محدود، وإلا يحل السفاح مكان النكاح.

أحد إخواننا الأطباء الكرام ممن هو مختص بالأمراض الجنسية دعا بعض الإخوة الكرام إلى مولد، وصرح وقال: أنا منذ عشر سنوات وإلى الآن الأمراض الجنسية التي تعرض علي تضاعفت عشرة أضعاف، لأن باب الزواج صار صعباً ضيقاً، وباب السفاح صار واسعاً، فكلما ارتفع ثمن البيوت، وتشبث أولياء الفتيات، ووضعوا شروطًا تعجيزية تكثر بيوت الدعارة.



بالمناسبة نحن عندنا بيت نكاح، وبيت سفاح، إذا نقصت بيوت النكاح تكثر بيوت السفاح، هذه الآن قضية مصيرية، قضية الأولياء جميعاً، الآن نريد أن نلغي الشروط التعجيزية، نريد أن نتساهل، وإلا كما ترون تصبح البلدة من أفسد بلاد العالم، وإذا فسدت البلاد فالبلاء على الأبواب، وإذا عمَّ السفاح وانتشر وقلّ النكاح حلّت الكارثة، ترى في أيّ مجتمع كل شهرين أو ثلاثة حتى يتزوج فرد واحد، وكله واقف، وكله يصفّ على الدور، فإذا ما تساهل أولياء الأمور فما هو المانع إذا كنت تستطيع أن تساعد زوج ابنتك ؟ ما هو المانع أن تقدم له بيتًا ؟ لا تقُل: أخي أنا عصامي، هذه قديماً، الآن لا يوجد عصامي، العصامي الآن يعني أن الطريق مسدود، الآن لابد من مساعدة الأزواج، وهذا موضوع الساعة، الآن لا يوجد بيت ما فيه فتيات، ولا يوجد بيت ما فيه شباب في سن الزواج، والزواج أغض للبصر، كما قال النبي، وأحصن للفرج، ومن تزوج ملك نصف دينه فليتقِ الله في النصف الآخر.

فإن الله أمر بالنكاح ونهى عن السفاح، فقال مخبراً وآمراً:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة النور)

هذه خطبة النكاح.

الأدب الثاني: الدعاء للزوجين:

الأدب الثاني الدعاء للزوجين، والنبي عليه الصلاة والسلام دعا للزوجين فقال:

((بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير))

[أبو داود عن أبي هريرة]

فكل إنسان حضر حفل نكاح، ودعي لإلقاء كلمة يجب أن يدعو للزوجين.

الأدب الثالث: استحباب العقد مساء الجمعة:

مستحب أن يكون عقد النكاح يوم الجمعة ومساءً من السنة، وهناك حديث مرفوع عن أبي هريرة:

((أمسوا بالملاك، فإنه أعظم للبركة))

من سنن النكاح:

1 – إعلان الزواج:

شيء آخر، من السنة إعلان الزواج، أعلنوا النكاح، طبع الكروت مثلاً الحفلة التي تقام إعلان هذا، رجل دعا ثلاثمئة شخص، وطبع بطاقات، وقال: دعوتكم لحضور حفل قراءة عيد المولد النبوي الشريف بمناسبة عقد قران ولديهما فلان على كريمة فلان، هذا شيء جميل، وهذا إعلام، والإعلام من السنة.

2 – الوليمة:

الوليمة، وحلّ محلها الآن كأس من البوظة، وهي كانت وليمة، ودعوة رسمية، عَن أَنَسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ: كَمْ أَصْدَقْتَهَا ؟ قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ))

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ نَزَلَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ، فَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ: أُقَاسِمُكَ مَالِي، وَأَنْزِلُ لَكَ عَنْ إِحْدَى امْرَأَتَيَّ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ، فَبَاعَ، وَاشْتَرَى، فَأَصَابَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَتَزَوَّجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ))

[متفق عليه]

فالوليمة من آداب النكاح، أن تجمع إخوانك على نية الزواج، فإذا تزوج أخ، ودعا إخوانه بالتتابع على سهرة وحفل، هذا إضافة إلى العقد الرسمي، هذا من السنة.

من شروط عقد النكاح:

1 – الصداق:

من شروط النكاح أيضاً الصداق، وتسميته عند العقد، أما عقد من دون صداق فهذا عقد فاسد، لابد من أن يصحح.

الآن لو فرضنا إنسانًا دعي إلى عقد نكاح، قال: من دعي إلى عقد نكاح فلم يجب فقد عصى أبا القاسم، يوجد حديث خاص في عقود النكاح:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ))

[أبو داود]

وإن كان صائماً يحضر الحفل:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى وَلِيمَةِ عُرْسٍ فَلْيُجِبْ))

[مسلم، أبو داود]

هي مناسبة في العمر مرة واحدة، فإذا دعا أخ إخوانه لعقد زواجه فالمفروض أن يلبي جميعاً هذه الدعوة.

الأعذار الموجبة لعدم تلبية الدعوة:

أمّا الأعذار الموجبة لعدم تلبية الدعوة:

إذا دعي الشخص إلى موضع فيه منكر، من زمرٍ أو طبلٍ، أو خمرٍ، أو عرس في فندق مختلط، فاعتذر، ولا ترد عليهم، ولا تلبِّ هذه الدعوة، لأنك إذا لبيتها فقد عصيت أبا القاسم، الأعراس في الفنادق التي فيها اختلاط يجب أن تعتذر عنها.

وإذا قدرت على إزالة هذا المنكر فيجب أن تحضر، لو فرضنا أنه عرس أحد أقربائك، وأنت كبير العائلة، وأنت مهاب، وكلمتك مسموعة، فاحضر هذا العرس، وأزل هذا المنكر، فإن لم تقدر على إزالة هذا المنكر فلا تحضر. بالمناسبة النبي عليه الصلاة والسلام نهى أن يجلس على مائدة تدار فيها الخمر، ولا تقل: أخي أنا ما شربت، خير إنشاء الله.

تكره إجابة من في ماله حرام، فإذا كان للإنسان تجارة مشبوهة بمواد محرمة، ودعاك إلى عرس فلا تلبِّ، فإذا لبيت فقد عصيت أبا القاسم، وتكره إجابة من في ماله حرام، وكلما كثر ماله الحرام تصبح الكراهة أشد. بالمناسبة إذا كان للإنسان دخل مشروع، ودخل غير مشروع، فيه حلال وحرام، فإذا لبى الإنسان لم يكن آثمًا، وكلما كبر الحرام في دخله أصبح مكروهاً أكثر، وإذا أصبح حرامًا خالصًا كانت التلبية حرامًا. لو فرضنا إنسانًا إذا دعوته إلى العرس له صفات ذميمة، ينهش في أعرض الناس، يغتاب الناس، عقيدته فاسدة، يشكك الناس بدينهم، فمثل هؤلاء الأشخاص لا يدعون، أنت لك إخوانك، مجتمعك المؤمن، لو دعوت إنساناً منكراً على أهل الدين، أو إنسانًا بذيء اللسان، مزحه فاحش، لو دعوت إنساناً كثير الغيبة والنميمة، لو دعوت إنساناً يغلب على ظنك أنه سوف يفعل المعاصي في حضور هؤلاء فينبغي أن لا تدعوه، وهذا توجيه من السادة المالكية.

إذا كان في المجلس أواني الذهب والفضة، أو غناء أو آلات رقص، أو ما شاكل ذلك، هذا كله مما يستوجب عدم تلبية الدعوة.

نحن موضوعنا كما قلت قبل قليل موضوع أساسي، يجب على الإنسان أن يمرّ في أطوار، أول طور تعريفه بالله عز وجل، عرفته بالله، الآن نحن بحاجة إلى دقائق الشرع، إلى دقائق الأحكام الفقهية، لأن الإنسان يتحرك، فموضوع الزواج موضوع أساسي في حياة الإنسان.

مرة ثانية وثالثة سبب طرح هذا الموضوع أنني ما رأيت أخاً أجمع على الزواج إلا طلب عقد عن طريق شيخ، هناك اتجاه آخر الآن، يخاف أن يطلقها حتى لا تسمّى عليها زوجة، فعقدنا بكتاب شيخ، فإذا طلقها تبقى صحيفتها نظيفة في النفوس ليست متزوجة، وصار الأهل يفكرون بالطلاق قبل الزواج، الزواج أمر مصيري يحتاج إلى تؤدة، إلى دراسة، إلى معلومات، فكلما تسرع الإنسان في تزويج ابنته من شاب يكون ندمه أشد، وأحيانا يأتي الزوج على حين غرة، ويضعك في موقف حرج، أن معي يومين أو ثلاثة وسأسافر، وأنت تخجل، وتسأل سؤالاً شكلياً، فيقولون لك: إنه آدمي، يعني من بني آدم، هذا معنى آدمي، يكون شارب خمر، حتى إن ثمة الآن شيئًا خطيرًا جداً، يأتي إنسان من الخليج يطلب الزواج، لا يعرف ماذا يفعل هناك، يأخذ زوجته إلى هناك، ويحترفها في الزنا، هذه حوادث كثيرة جداً تقع، نحن لا نعرف أصل الرجل، فرحنا به، لأنه من الخليج، ومعه معه مال.

بالمناسبة، ما رأيت مشكلة في الزواج كبيرة جداً إلا أسبابها التسرع، فعدّ إلى المليون قبل أن تقول: موافق على هذا الزواج، هذه ابنتك، الزواج رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته، جاء من الخليج ليس عندنا أيّ معلومات، اسأل عنه، قد يكون الزواج غير بريء، قد يكون خطة مرسومة لابنتك، وموضوع الزواج يحتاج إلى صبر، وبحث ودرس، اسأل قضاة الشرع، اذهب إلى المحكمة الشرعية، وانظر كم دعوى الطلاق ؟ بالألوف، دعوة تفريق لعلل كثيرةٍ جداً.

ورد في بعض الأحاديث: تزوجوا ولا تطلقوا، فالنبي نهى عن الطلاق، كيف نهى عن الطلاق ؟ أي تزوجوا امرأة لا تحتاجون معها إلى الطلاق، معنى هذا ادرس الموضوع دراسة جيدة، ودراسة مديدة ومتأنية، وعميقة. دائماً هناك كلمة أقولها لكم أيها الشباب: إذا عف الإنسان قبل الزواج يهيئ الله له زواجاً ناجحاً، لأن الله عادل، وقال:

﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾

فإذا جهد الإنسان أن يعف قبل الزواج أول مكافأة له في الدنيا على عفته قبل الزواج زوجة صالحة، إن نظرت إليها سرتك الإنسان وإن غبت عنها حفظتك، وإن أمرتها أطاعتك الإنسان هذه الزوجة المؤمنة الستيرة، العفيفة التي إن نظرت إليها سرتك الإنسان وإن غبت عنها حفظتك الإنسان وإن أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرّتك.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا وَيَقُولُ:

((تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أبو داود]

في الزواج ليس هناك حل وسط، إما أنه جنة، وإما أنه نار جحيم، وهناك زوجة بلاء من الله، وهو من أشد أنواع البلاء، لعن الله الذواقين والذواقات.

الشباب الآن يشاهدون امرأة تخرج في الطريق بأبهى زينة، فإذا غضضت الطرف عنها أورثك الله حلاوة تجدها إلى يوم تلقاه، وكلما غضضت بصرك عن محارم الله كأنك تقول: يا رب، لي عندك حق أن تزوجني امرأةً صالحة أرتاح معها، أستقر معها، تكون لي سكناً.

إخواننا المتزوجين، كلما أقمتم شرع الله في بيوتكم سعدتم في زواجكم، والذين لم يتزوجوا بعد كلما تعففتم في قبل الزواج الله سبحانه وتعالى يكافئكم بزواج ناجح.

هناك زواج له مظهر فخم جداً، وهناك زواج ليس فيه مظاهر فخمة، ولكن فيه سعادة حقيقية، فترى بيتًا ثمنه ثلاثون مليونًا، ولكنه جحيم، وقد ترى بيتًا بمئة متر أو خمسين مترًا، ولكن هذا العش جنة، فلما يتجلى ربنا على هذا البيت الإسلامي بالسكينة صار هذا البيت جنة.

والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني : الحياة الزوجية

الفصل الأول : إعلان الزواج

الفصل الثاني : السعادة الزوجية

الفصل الثالث : آداب المعاشرة

الفصل الرابع : الشقاق الزوجي و نتائجه

الفصل الخامس : الحقوق

الفصل الأول : إعلان الزواج

الدرس (1 – 1) : الآداب الإسلامية التي تفرق بين النكاح والسفاح

الباب الثاني : الحياة الزوجية

الفصل الأول : إعلان الزواج

الدرس (1 - 1) : الآداب الإسلامية التي تفرق بين النكاح والسفاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الآداب الإسلامية التي تفرق بين النكاح والسِفاح

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في دروس النكاح، ومع الدرس السادس، وموضوع الدرس اليوم، الآداب الإسلامية التي تفرق بين النكاح والسِفاح.

نظراً لقدسية النكاح، ولأن عقد الزواج من أقدس العقود التي يبرمها البشر، لذلك في الإسلام آدابٌ كثيرة تفرق السِفاح عن النكاح، فأول هذه الآداب:

1 – إعلان النكاح

إن الفرق بين النكاح والسِفاح، أو من الفروقات الدقيقة بين السِفاح والنكاح أن النكاح معلن، وأن السِفاح غير معلن، لذلك روى الإمام أحمد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

((أَعْلِنُوا النِّكَاحَ))

(مسند أحمد)

لو أن النكاح غير معلن لاشتبه بالسِفاح، ولاشتبه بالزنا، والإمام مالك رحمه الله تعالى يرى أن الإعلان من فرض النكاح، أحد فرائضه لا أحد فضائله، يقول ابن عبد البر القرطبي: " ومن فرض النكاح عند مالك إعلانه لحفظ النسب، ومن إعلان النكاح الولي، والصداق، أيضاً، ونكاح السر لا يجوز، ويفسخ قبل الدخول وبعده، إلا أن يُعلن قبل أن يُعثر عليه، وإن أسَّر النكاح ولم يُنشر ولم يُعلن به، ثم أُعلن في حالٍ ثانية وأُظهر صح، ولم يُفسخ".



أرأيتم أيها الإخوة كيف أن عدم إعلان النكاح يوجب فسخه وإلغاءه، لأنه يشتبه بالسِفاح، يشتبه بالزنا، لذلك أنا أُرجّح إذا زوج أحد ابنته، وقد لا تكون يده طليقةً في إنفاق المال، لكن لابد من حفل ولو كان متواضعاً، ولو كان في بيت، لابد من حفلٍ، وهذا الحفل أحد أسباب إعلان النكاح، " لقد زوجت ابنتي من فلان "، فالفرق الدقيق بين النكاح والسِفاح هو الإعلان، وقال الإمام ابن القيم: " وشرط الشارع الحكيم في النكاح شروطاً زائدةً عن مجرد العقد، من هذه الشروط: إعلانه، إما بالشهادة . شهود . أو بترك الكتمان، أو بهما، أو اشتراط الولي، ومنع المرأة أن تليه وحدها . أن تبرمه وحدها . والندب إلى إظهاره حتى استحب فيه الدف والصوت والوليمة، وأوجب فيه المهر، ومنع المرأة أن تهب نفسها لغير النبيّ ﷺ ".

هل لاحظتم أيها الإخوة الكرام أن كل هذه الآداب من أجل أن يكون هناك فرقٌ واضحٌ، وشاسعٌ، وبيّنٌ، وصادقٌ، بين النكاح والسِفاح ؟ النكاح معلن، النكاح معه موافقة الولي، النكاح فيه وليمة، النكاح فيه حفل، النكاح فيه شهود، هذا كله من إعلان النكاح.

يقول بعض العلماء: " وسر ذلك، أنه في ضد ذلك والإخلال به ذريعةٌ إلى وقوع السِفاح بصورة النكاح ". يمكن أن يقع الزنا على شكل نكاح، وما أكثر الذين يحتالون على الشرع، فمثلاً يمكن لإنسان أن يضع أمامه في دكانه سجادة، وهو من أكبر المرابين، فيأتي المستقرض بالربا فيشتري هذه السجادة بألف ليرة، نسيئةً، ثم يبيعها ديناً نقداً بثمانمئة ليرة، بحسب الظاهر هذا عقد بيع، الأول نسيئة والثاني نقد، وفي العقدين إيجابٌ وقَبول، لكنه الربا بعينه، لكن بصورة بيع وشراء، فقد اشترى السجادة بألف ديناً، وكُتبت عليه في الدفتر، ثم باعها للتاجر بثمانمئة ليرةٍ نقداً، الذي حصل أنه استقرض ثمانمئة ليرة، وكُتبت عليه ألف ليرةٍ رباً، والشكل بيع، إذاً ممكن أن

تجري علاقات سِفاحٍ على شكل عقود نكاح، لذلك وضع الشارع الحكيم شروطاً كثيرةً، ودقيقةً، وصارخةً، للتفريق بين النكاح والسِفاح، لذلك ورد في أن الزانية، هي التي تزوج نفسها "، فإذا أرادت امرأةً أن تزني، وأرادت أن تعطي هذه الجريمة المعصية الكبيرة في الشرع طابعاً شرعياً، تقول لمن يزني بها: زوجتك نفسي، وتسمي هذا الذي تأخذه بعد قليل هو المهر، فإذا انتهى، قال: طلقتك، وانتهى الأمر، فهو عملياً بيت دعارة يتم السفاح فيه على شكل عقود نكاح، لكن أين الولي ؟ أين إعلان هذا الزواج ؟ أين الوليمة، أين الشهود، وليمة، وشهود، وإعلان، هذا كله، يفرّق بين النكاح والسِفاح.

تسجيل عقود الزواج في الدوائر الرسمية

فأنا لا أكتم إنسانا سألني قبل أشهر أنه تزوج امرأةً دون أن يُعلِم أباه، ولا أخاه، ولم يدري أهله، وجاء برجل عقد العقد، فكلما أصبح الشيء أقرب إلى السر أصبح أقرب إلى السِفاح، لِمَ لَمْ تُعلن ؟ لِمَ لَمْ تُسجل هذا العقد في الدوائر الرسمية ؟

وأحياناً أنا أُسأل عن موضوع كتاب شيخ، سبحان الله ! أُجيب عن هذا التساؤل: الآن أنت هل ترضى أن تشتري بيتك، وأن تدفع ثمنه سبعة ملايين ليرة مقابل أن تأخذ مفتاحه ؟ إذا كنت ترضى أن تفعل هذا فأجرِ كتاب شيخ، لِمَ لا تدفع الثمن إلا بعد أن يُسجل في الدوائر الرسمية ؟ لأن عقود البيع الآن لا تكون ثابتةً إلا في الدوائر الرسمية، (أي في الطابو)، أما من قبل خمسين عاما، أو قبل مئة عام كانت هناك علاقات أُخرى، يكفي أن تدفع الثمن، وأن تأخذ مفتاح البيت، فقد تملّكته، الآن مفتاح البيت ليس له قيمة إطلاقاً.

كذلك حينما أُصغي إلى الأسباب لا أراها مقنعة، بدعوى الاستعجال، ولكن لا يوجد إجراء حكومي أسهل من عقد الزواج، ليس فيه روتين أبداً، في يوم واحد ينتهي الأمر، لا أقبل أبداً، ولا أرى سببا مبررا أو مسوغا بإجراء عقد خارج المحكمة، لماذا ؟

في الحقيقة حينما وافقوا على الزواج من هذا الشاب توقعوا أن يُطلقها، فلئلا تسجَّل عليها طلقة أو تطليقة فقد أُجري العقد خارج المحكمة، يا سبحان الله ! أتوقعت الطلاق قبل أن تُزوج ؟ هذا شرع الله عزّ وجل. طبعاً أنا لا أقول . دققوا .: إن العقد خارج المحكمة باطل، لا بل إنه ضعيف، فهو غير موثق، والقوانين تُحرم

ذلك، والذي يُجري العقد يُحاسب، والعقد طبعاً مثبَّت، لكن يُحاسب الذي يجري عقداً خارج المحكمة، أنا أنصح إخواننا الكرام أن يتقيدوا بالأُصول الشرعية والقانونية في تثبيت عقود تزويج بناتهم.

لا أنسى مرةً كنت عند أحد أصدقائي القضاة، قضاة التحقيق، وكنت جالساً عنده، وكان يُحقق في جريمة، والجريمة خطيرة، وأنا مستمتع بأسلوب الاستجواب، فجأةً فُتح الباب، وأطل شاب، فقال له: تعالَ، استقدمه القاضي، وترك ما هو فيه من عمل في التحقيق في الجريمة، وقال له: متى تزوجتها ؟ قال له: قبل كذا وكذا، فقال له: ما اسمك يا بني ؟ وما اسمها ؟ ثم أخذ منه تصريح أملاه للكاتب، ثم صرفه مودعاً له، هذا القاضي خاف أن أنتقده في نفسي على هذا التصرف، فأنت الآن تحقق في جريمة، فما الذي جعلك تبتعد عن هذا الموضوع الخطير لترى شاباً أطل برأسه من الباب فاستقدمته، وسألته عن اسمه وعن اسم زوجته، وعن موضوع العقد، وعن تاريخه ؟ فقال لي وحده مبادراً: هذا متزوج بامرأةٍ بطريقةٍ غير مشروعة، خارج المحكمة، فخفت أن يُهمس في أذنه أن أنكر العقد، فاستقدمته بتلطُّف، وأخذت منه إقراراً، بزواجه وبتاريخ زواجه، وباسمه وباسم زوجته، لئلا ينكر، لأنه إذا كان العقد خارج المحكمة فالإنكار سهل جداً، ويمكن أن يقول: ليست زوجتي، ولا أعرفها، وبهذا دخلنا في متاهات القضاء ثلاث سنوات لإثبات هذا العقد، إذا دُعي لحلف اليمين، فقد جاء الفرج، إذا كان الشخص غير متديّن يقول: جاء الفرج، أحياناً لا يكون معك إلا اليمين، كانعدام الوثائق، وهذه يسمونها اليمين الحاسمة، فإذا لم تكن هناك وثائق، وليس هناك إلا اليمين الحاسمة، ودعي هذا الخصم ضعيف الإيمان الذي لا تحكمه قيم إلى حلف اليمين يحلف، وانتهى الأمر.

فلذلك أيها الإخوة، أرجو الله سبحانه وتعالى في موضوع الزواج، وهو موضوع دقيق جداً، وقد سمعت عشرات الحوادث، أنه هكذا طلب العريس، يريد كتابا خارجيا، خافوا أن يطالبوه بكتاب رسمي، فيذهب ولا يرجع، فوافقوا على إجراء كتاب خارجي، ثم مضى على العقد عدة سنوات، ثم اختفى، وبذلك دخلنا في متاهة، فقد حدث حمل، والشاب اختفى، والعقد غير رسمي، وإثباته يحتاج إلى محامٍ، وإذا كان بين من كتب هذا الكتاب صلة أو مودة معهم يدخل السجن، فالذي يكتب كتابا خارج النظام يُحاسب، وقد يُسجن، فهو خاضع للأحكام الجزائية لا المدنية، فيقع في حرج، إن أرادوا أن يُثبتوا هذا العقد يُقال لهم: من كتب هذا العقد ؟ أصبح القريب مسئولا. لذلك أنا أنصح إخوتنا الكرام بالبعد عن هذه الأساليب الملتوية، التي لا تثبت الحق، لئلا يُظن أنني أقول: إن هذا العقد غير صحيح، لا، لكنه ضعيف، ووسائل تثبيته ضعيفة، كما لو أنك اشتريت بيتا من غير طابو، قال لك:

خذ هذا المفتاح، واسكن فيه، أنت وحظك، يمكن بعد حين يقول لك: هذا البيت بيتي، وليس لك شيء عندي، أنت مغتصبه.

الحقيقة أنّ موضوع الشرع . لآن دخلنا في موضوع آخر . هذه الأحكام التفصيلية في الشرع هدفها أن تكون متفرغاً لعبادة الله، لأن خبرا واحدا قد يزعج، فإذا الإنسان أقرض قرضا، ولم يأخذ الوصل، وهذا الإنسان توفى فجأةً في حادث، فهو وحظه، إما أن يعترف الورثة له، أو لا يعترفوا، وإذا لم يعترفوا فليسوا مؤاخذين، فالآن يمكن لإنسان يتوفى والده وكل من قال له: لي مع أبيك مليون، فهل يعطي المليون ؟ هذا كلام غير صحيح، فمن الممكن أن لا يعترف الوريث له بكل هذا الذي يقوله، فلذلك القرض أسجله، وعقد الشراكة أسجله.

شارك أحدهم آخر في موضوع تجاري، ورأس المال كان ثلاثين ألفا، دفع النصف، قال لي: في السنة الأولى أعطاني خمسة آلاف، فقلت: نعمة فقد ربح، وأنا دافع عشرة آلاف أعطاني خمسة، وفي السنة الثانية أعطاني كذلك خمسة، وفي السنة الثالثة قال له: أين الربح ؟ فقال له: أي ربح فقد أقرضْتَنا عشرة وأخذتها، ثم أصبح قيمة المشروع ستة ملايين، فقد كان هذا في أيام الركود الاقتصادي، وخلال أربع أو خمس سنوات، الأسعار اختلفت اختلاف كبيرا، وذلك لعدم وجود عقد.

أقول لكم كلمة أبلغ من ذلك: إذا اتفق الإنسان مع إنسان بلا عقود موثقة، وقد أغراه الشيطان أن يغتصب هذا المشروع له، من الذي أعانه على ذلك ؟ الطرف الآخر، ليس الطرف الآخر الذي خسر حقه في هذا المشروع بأقلَّ إثماً من الذي اغتصبه، لماذا ؟ لأنك لو وثَّقتَ له العقود لما فكَّر أن يغتصب هذا المشروع منك. لذلك أنا أرجو إخواننا الكرام في كل شيء تجاري، الذي اتفقتم عليه سجلوه في عقد، وسجلوه في محكمةٍ البداية، هذا العقد حصن، لك ولشريكك، فلا تفكر أبداً، وتقول: لماذا محكمة البداية ؟ لأنه إذا لم يوجد توثيق في محكمة البداية كان بإمكانه أن يُنكر التوقيع، فإذا أنكر التوقيع دخل المتنازعان في قضايا ثماني سنوات في المحاكم لإثبات التوقيع ورأي الخبرة، ثم خبرة ثنائية، وثلاثية، ورباعية، وخماسية، ثم تصبح القضية شائكة، أما إذا سُجل العقد أمام قاضي محكمة البداية فقد انتهى الأمر، ولا يمكن إنكار التوقيع لوجود نسخة منه محفوظة في المحكمة.

أنا أتمنى عليكم في عقودكم، في شرائكم، في بيعكم، في شراكاتكم، أن توثقوا هذه الاتفاقات بعقود، وأن توثقوها في السجلات الرسمية، لأن هذا حصنٌ لك ولأخيك، فأنت تنام مطمئن البال، ولا تسمح للشيطان أن يغري أخاك باغتصاب حقك، أما إذا أهملت تسجيل العقود، وخطر على بال شريكك أن يغتصب حقك كنتَ أنت الذي أغريته بهذا، والعوام لهم كلمات لطيفة، يقولون لك: " المال الداشر، يعلم الحرامي السرقة "، فدائماً وثّق القرض بوصلٍ. قال لي شخص قد أخذ من إنسان . والقصة قديمة من اثنتي عشرة سنة . ستمئة ألف، وقال له: اكتبْ لي وصلاً، أحب أن يصرف المال، ولم تكن الصرافة ممنوعة يومئذ، فقال له: الآن بعد الظهر تعال وخذ المبلغ، قال لي: وأنا قادم بعد الظهر رأيت نعوته على الجدران، قال لي انخلع قلبي، وفقدت المال، احضروا لي إنسانا يملك أن يعيش بعد ساعة، لا أحد يملك ذلك، لذلك توقيع الإيصال، أو توقيع السند، وكتابة العقد لا يعني أنك لا تثق بهذا الإنسان، لكن هذا من أجل ألا يأتيه ملك الموت فجأةً، عندئذٍ تصبح المشكلة مع الورثة، والورثة قد لا يصدقون. يقول بعض العلماء: " لو أن امرأةً قالت لرجل: أنكحتك نفسي، أو زوجتك نفسي، أو أبحتك مني كذا وكذا، فلو انتفت بهذا جريمة الزنا لكان هذا من أيسر الأمور ".

فالقضية خطيرة، زواج، وأولاد، وحقوق، وميراث، فهذا عقد زواج وبكلمتين، أعوذ بالله، فهو يحتاج إلى قاضٍ، إلى مأذون، وإلى إيجاب، وإلى قبول، وإلى شهود، وإلى مهر، وإلى إعلان، وإلى دخل أحياناً، وإلى خطبة، وإلى وليمة، هذا كله من أجل أن يفترق السِفاح عن النكاح.

فضل عقود القران في المساجد

ثمة شيءٌ يلفت النظر، هو أن النبيّ ﷺ أرشد أُمته إلى أن يُعقد النكاح في المساجد، فقد روى الإمام الترمذي عن عائشة رضي الله قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ، وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ))

لماذا ؟ لأن الناس يجتمعون جميعاً يوم الجمعة في المسجد، ما الذي يمنع أن نقول: زوجنا فلان من فلانة ؟ وسمعت أن بعض المساجد تفعل هذا، وهذا الشيء وفق السنة في المسجد، إعلان تزوج فلان بفلانة، ولو كان العقد أُجري بعد حين، أما ما الذي يمنع أن يُنشر هذا في المسجد ؟ والآن هذه البطاقات تشبه ذلك، ودعوة الناس إلى حفل في قاعة عامة يشبه ذلك، أو في قاعة ملحقة بالمسجد، والله هذا شيء جميل جداً، على كلٍ لابد من الإعلان.



بعض العلماء يقول: " معنى قول النبي ﷺ:

((وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ))

إما لأنه أدعى إلى الإعلان، أو لحصول بركة المكان، وينبغي أن يُراعى فيه فضيلة الزمان ".

أدعى للإعلان، وحصول بركة المكان، وبركة الزمان، لأن الناس يجتمعون يوم الجمعة، وهو يوم فضيل، فيه ساعة مباركة، والمساجد خير بقاع الأرض، فالمساجد أدعى للإعلان، وأشد تحصيلاً لفضيلة المكان، ولفضيلة الزمان.

وقال بعضهم: " يُستحبُ مباشرة عقد النكاح في المسجد، لكونه عبادة، وكونه في يوم الجمعة، وهو إما تفاؤلاً بالاجتماع، أو توقعاً لزيادة الثواب، أو لأنه يحصل به كمال الإعلان ".

روى الحافظ أبو بكر عبد الرزاق عن صالح مولى التوأمة قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم جماعةً في المسجد فقال:

((ما هذا ؟ قالوا: نكاح، فقال عليه الصلاة والسلام: هذا النكاح ليس بالسفاح))

لأنه في مسجد، ولأنه معلن، وسبحان الله ! الذي يلفت النظر أنّ الإنسان إذا كان شارداً، وأراد أن يمشي مع فتاة، لو أنك سِرْتَ خلفه لاضطرب، لو أن طفلاً صاح بكلمةٍ لارتعدت فرائصه، أما حينما يخطب شاب ابنتك، ويُعقد العقد، ويأتي ليزوركم في البيت، يجلس الشاب وابنتك إلى الساعة الثانية عشرة، وأنت مطمئن، لأنها زوجته، فالعمل الشرعي مريح، وفيه فخر، وليس فيه خجل، أو فيه شعور بالذنب، وأقول لكم: إنّ أية شهوةٍ أودعها الله في الإنسان لها قناة مشروعة، قال لي واحد: أجلس معها في الحديقة، قلت له: اخطبْها، واعقد العقد، وأحضرها إلى بيتك ولا تحتاج إلى حديقة.

وإذا لم يكن هناك مسجدٌ في مدينةٍ أو قرية، وإن كان المفروض أن يكون في كل تجمعٍ إسلاميٍ مسجدٌ.



كيف أن الناس بحاجة ماسة إلى الماء، فلا يوجد قرية راقية ليس فيها مشروع ماء، تجد مستودعًا عاليًّا، وبئرًا ومستودعًا، والمياه تصل إلى البيوت، الماء حاجة أساسية، والطعام حاجة أساسية، أحياناً مهما كانت القرية صغيرة ففيها سمان يبيع حاجات أساسية، فحاجة الناس إلى المسجد ليصلوا فيه، ليتلقوا العلم فيه، ليتعارف بعضهم على بعضٍ فيه، ليتعاونوا فيه حاجة أساسية، فالآن الحمد لله أصبح المسجد مركزًا إسلاميًّا، ففيه تؤدَّى الصلوات، وتعقد فيه مجالس الذكر، ومجالس العلم، ويعلم فيه الصغار قراءة القرآن، ويعلم فيه الكبار أُصول الدعوة، وفيه مكتبة يرتادها روَّاد المسجد، قد تُحل بعض المشكلات الحيوية في المسجد، قد يُطبب الإنسان في المسجد، قد يعقد الزواج في المسجد، قد تحقق مصالحه في المسجد، هذا المسجد مكان أساسي في حياة المسلمين، لذلك النبيّ الكريم حينما هاجر إلى المدينة المنورة أول شيءٍ فعله فيها أنه بنى المسجد مكانًا للاجتماع فيه.

قرأتُ في كتب الفقه في بعض المذاهب، لا في كل المذاهب: أنه إن لم يكن في القرية مسجد، يجوز أن يُبنَى المسجد من أموال الزكاة.

وهذه حالة نادرة جداً، لأنه (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ)، لكن للضرورةِ الماسة لوجود مسجدٍ في القرية، إن لم يكن هناك مسجد، هناك رأيٌ لا أقول: إنه قوي، لكنه ضعيف، لكن له معنى، أن يُبنى المسجد في القرية بشكلٍ حتمي، لأنه بالتعبير الحضاري هو مرفق حيوي لسلامة النفس البشرية، لا يوجد إنسان له مسجد يؤُمه ويرتاده، لا يوجد إنسان له منهل ينهل منه إلا وله أخلاق خاصة، أخلاق عالية، وفهم، وانضباط، وأدب، هذه كلها من بركات المسجد، والآن الحمد لله توجد قاعات منضبطة يعقد فيها عقود النكاح، وهذه القاعات واسعة، والأمور فيها مُيسَّرة، وهذا الشيء لم يكن من قبل، فقد كانت البيوت صغيرة ولا تسع.

2 – وجود الشهود في النكاح

الشيء الثاني في عقد النكاح: وجود الشهود في النكاح، فقد روى الإمام الدارقطني عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال عليه الصلاة والسلام:

((لا نكاح إلا بوليٍ وشاهدي عدل، فإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له))

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلَّم قال:

((الْبَغَايَا اللاتِي يُنْكِحْنَ أَنْفُسَهُنَّ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ))

هذا كلام دقيق، فالتي تُنكح نفسها من غير بينة، ومن غير شهود، من غير ولي هي ليست بغيًّا، لكن كأنها بغي، تشديداً سماهن النبيّ عليه الصلاة والسلام بغايا تشديداً على الولي وشاهدي العدل.

ويقول أحد العلماء في شرح هذا الحديث: " المراد بالبينة، إما الشاهد، فبدونه زنا عند الشافعي ".

فالإمام الشافعي يرى أن عقد النكاح من دون الشاهد زنا، وكذلك عند الإمام أبو حنيفة، نكاحٌ بلا شهود يعدُّ زناً.

و يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: " لا يصح النكاح إلا بحضرة شاهدين ".

كل هذا الدرس من أجل أن نفرّق بشكلٍ بينٍ صارخٍ بين السفاح والنكاح.

ويقول صاحب الهداية: " اعلم أن الشهادة شرطٌ في باب النكاح، لقوله صلى الله ليه وسلم:

((.... لا نِكَاحَ إلا بِشُهُودٍ...))

3 – خُطبة النكاح

الآن هناك شيءٌ آخر من شروط إعلان النكاح، خُطبة النكاح، الخِطبة غير الخُطبة، الخِطبة أن تخطب الفتاة، أما الخُطبة أن تلقي خطبةً، فمن شروط إعلان النكاح خُطبة النكاح، لماذا ؟ هل من المعقول أن يقف إنسان في غرفة وحيداً ويخطب ؟ ليس هذا معقولا، من لوازم الخطبة وجود جمهور، وإلا يكون مجنونًا، فالخطبة تقتضي وجود جمهور يحضر هذا العقد، لذلك روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عَلَّمَنَا خُطْبَةَ الْحَاجَةِ:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَقْرَأُ ثَلَاثَ آيَاتٍ:]يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[،]يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [،]يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا[ ))



ففي كلّ عقد قران لا بدَّ من خطبة، والآن الحمد لله الشيء متوافر، فلا يوجد عقد قران الآن إلا وفيه كلمة يلقيها أحد العلماء، وهذا شيء جميل جداً، بل إنَّ عقود القران أصبحت مجالاً للدعوة إلى الله.

هناك علماء كثيرون وأنا أحمد لهم ذلك توسعوا في موضوع الخطبة، فجعلُوها تعريفاً بالله عزَّ وجل، لأن أناساً كثيرين ممن يحضرون هذه العقود قد لا يرتادون المساجد، فصارت عقود القران مناسبة للدعوة

إلى الله، فعقد قران يحضره تقريباً خمسمئة شخص، وفيه مديح لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وفيه خطبة تلقى على مسامع الناس، فيها تعليم، وتوجيه، وفيها إشارة إلى العقد الذي تم في هذا المكان.

يستحب في هذه الخطبة أن تكون قبل عقد القران، وتلاحظون أن الذي يأتي إلى مكان العقد ليسجِّل العقد، أولاً يبدأ بخطبة، ثم يستمع إلى إيجاب الولي، وقبول الزوج، ويُشهد الشاهدين، ثم يذهب لسماع إقرار الفتاة. وكان الإمام أحمد بن حنبل إذا حضر عقد النكاح فلم يُخطَب فيه بخطبة رسول الله قام وتركهم.

فمن لوازم عقد النكاح الخطبة، وقال بعض العلماء في بيان حكمة هذا التوجيه النبوي الكريم: " إن الخطبة مبناها على التشهير، وجعل الشيء بمسمع ومرأى الجمهور ".

ففي بعض الأيام يقول لك: أبارك للعروسين زواجهما، أو يقول لك: بارك الله لهما وعليهما وفيهما، بارك اللهم بهما، وأنجب منهم الكثير الطيب، وجعل كلاً منهما قرة عينٍ للآخر، واللهم ألهمهما السداد والرشاد، اللهم بارك لهما، وعليهما، وفيهما، اللهم ارزقهما الذرية الطيبة، اللهم وفق بينهما كما وفقت بين سيدنا محمدٍ ﷺ وزوجاته الطاهرات.

كلام طيب، وكل الناس سمعوا أنه هنا عقد قران، وفلان تزوج من فلانة، هذا الذي يبعد الموضوع عن السفاح. شيء آخر، إذا أحبَّ أحد أن يشتري كأسًا من العصير فهل من اللازم أن يخطب ؟ لا، ليس من المعقول، فهل من اللازم أن نقول له: إيجاب وقبول، وأحضر الشهود، كذلك هذا ليس من المعقول، طبعاً الأئمة قالوا: " عقود الشراء إن كانت في الخسيس لا تحتاج إلى إيجاب وقبول، تحتاج إلى المناولة، وهي العقد، المعاملة، أو المناولة، أما العقود الغالية، كبيت بثمانية ملايين فهو يحتاج إلى عقد، وإلى إيجاب، وإلى قبول، وإلى عقد مكتوب وإلى شاهدين، فمعنى خطبة، أي شيء مهم، ما دام النبي عليه الصلاة والسلام قد أرشدنا إلى خطبة النكاح، معنى ذلك أن النكاح شيء مهم.

4 – الوليمة

ومن الأشياء التي أرشد النبي عليه ﷺ إليها ليفترق النكاح عن السفاح، هي الوليمة، وليمة العرس، الآن هذا التوجيه النبوي ضعف شأنه، واستبدل بهذه الضيافة، أما في عهد النبي ﷺ فقال:

((أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ))

[متفق عليه عن أنس]

وأحياناً في بعض الأعراس وفي بعض عقود القران يعقَد على وليمة، وهذا أقرب إلى السنة.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا يَسِيرًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَهْيَمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: مَا سُقْتَ إِلَيْهَا ؟ قَالَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ ؟ قَالَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاة))

[متفق عليه]

وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه، بقوله: " الوليمة حقّ "، وذكر قول النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف:

((أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ))

حينما استخدم أو استنبط الحكم أن الوليمة حق في العرس كان الاحتجاج بهذا الحديث: "

((أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ))

وذكر الإمام أحمد عَنِ بُرَيْدَةَ قَالَ: لَمَّا خَطَبَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعُرْسِ مِنْ وَلِيمَةٍ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: عَلَيَّ كَبْشٌ، وَقَالَ فُلَانٌ: عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا مِنْ ذُرَةٍ))

أي إنه لا بد من وليمة، ويبدو أنه سيدنا علي كان فقيراً جداً، فعجيب كيف زوّج النبي ابنته لعليّ وهو فقير !! دققوا في هذا الكلام، ما كان يملك ثمن وليمة، تزوج بنت رسول الله، وقد قال عنها النبي ﷺ:

((فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي))

[متفق عليه عن المسور بن مخرمة]

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ:

((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلًّا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا ...))

[الترمذي]

ومع ذلك زوّجها من ابن عمها الفقير الذي لا يملك ثمن وليمةٍ يولم بها، لذلك قال سيدنا سعد: عليَّ كبشٌ، وقال آخر: عليَّ كذا وكذا من الذرة، حتى اجتمعت لوازم الوليمة.

يقول الإمام النووي: " اختلف العلماء في وليمة العرس، أهي واجبةٌ أم مستحبة، والأصح عند أصحابنا . في المذهب الشافعي . أنها سنةٌ مستحبة، والأمر بها أمر ندبٍ لا أمر وجوب ".



قد لا يملك الإنسان ثمن الوليمة، فالأمر للندب، أي مستحبة، لكن إخواننا في الريف جزاهم الله خيرًا، هكذا لاحظت، ما دعيت إلى عرس في ريف دمشق إلا وقالوا لي: الطعام من الظهر وحتى العاشرة ليلاً، كل من جاء يحضر هذا العرس له طعام يأكله، فهم أقرب إلى السنة من أبناء المدينة.

فقال بعضهم في حكمة الوليمة في العرس، قال: " التلطف بإشاعة النكاح ".

عندما تقول: تعالَ احضر العقد ولا يوجد شيء، فيجيبك: والله يا أخي أنا مشغول، ولو قلت له: تعال للأكل، واحضر عقد النكاح، يجيبك بنعم، سآتي، وأين يقع البيت يا أخي، فقد اختلف الوضع، إذا كان الموضوع نصف دعوة فقط اعتذر، أما للأكل فيجيب الدعوة، فمن أجل أن تجلب الناس، وأن تغريهم بحضور هذا العقد أولمْ. إن التلطف بإشاعة النكاح، والحض على حضور عقد النكاح، وأنَّ هذا العقد مشرَّف، بدأ بوليمة، لئلا يبقى هذا العقد محلَّ وهم، يا ترى فلانة أخذها فلان ؟ والله لا نعرف، قالوا: إنه أخذها، وهذا شيء يحير، بعض الناس قالوا: أخذها، والبعض قال: لم يأخذها، فأنت لو أقمَ عرسًا، وأولمت، ودعوتَ الناس صار كل من كان في شك ووهم وتردد على ي قين في هذا الزواج، فالإعلان، والوليمة من آداب النكاح.

ودرسنا كلُّه حول محور واحد، الفرق الكبير، بين النكاح والسفاح: الإعلان، الوليمة، والشهود، والولي، والدف. عَنْ عبدا لله بْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنهمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا))

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ))

[أبو داود]

هناك نقطة أيها الإخوة الكرام، أحياناً هناك أشياء تتكرر كالجلسات الأسبوعية مع الأصدقاء، يمكن أن ينشغل عنها الإنسان أسبوعاً فلا يحضر، أما عقد القران فهو مرة في العمر، لا يوجد غيره، لذلك عندما تدعى إلى عقد قران ولا تلبي فقد فوَّت على نفسك فضيلة تلبية الدعوة التي لا تكرر، بعد ذلك فيها جبر خاطر، من دعاك وجب حقه عليك، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ))

[البخاري عن ابن عمر]

أحيانا تكون الدعوة بجوار بيتك، فالأمر سهل عليك، أما لو دعيت إلى منطقة بعيدة فأجبتَ فلا مانع في ذلك، والدعوة على كأس من الشاي، فكأس من الشاي يكفي

((لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ))

والكراع من الدابة ما دون الكعب، انظر إلى الأدب النبوي

((لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ))

إذا دعاك أخ، وسألته: أين البيت ؟ في المكان الفلاني، فيقول لك: إن شاء الله سآتي، لا يوجد مانع، والمكان بعيد خارج دمشق، أخوك دعاك، وإن لم يكن هناك شيء فأنت عليك أن تلبي،

((مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ))

سبحان الله ! الذي يلبي دعوة أخيه يشعره بالود، وبالحب، ويفتخر، ويقول: والله دعوت إخواننا، وكلهم جاؤوا. والله مرة دعيت إلى عقد قران، أنا متأخر ساعة، لا يوجد إلا صف من الكراسي فقط مليء، والباقي كله فارغ، شيء صعب، شيء مخزٍ، لأنه لم يأتِ أحد، هذه مخالفة شرعية كبيرة، فيجب أن تهيئ نفسك، توطنها على تلبية دعوة عقود القران، لأنها من السنّة، وأنت بهذا تحييّ سنة رسول الله.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))

[مسلم]

قد يكون لأحدنا غذاء نظامي معيَّن، كأن لا يناسبه الأرز، اذهب، ولبّ الدعوة، ولا تأكل من الأرز، كُل لقمة واحدة واعتذر، ولكن لبّ الدعوة، ولا تربط الدعوة بالأكل.. قال:

((فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))

لذلك لما أمر النبي أصحابه الكرام أن يولموا، أمر المؤمنين أن يحضروا، فالأمر متكامل، هناك أمر أن تولم ولو بشاة، وهناك أمر أن تحضر الوليمة ولو كنت صائماً، أنا صائم اليوم، لكن سأحضر، الأساس مجيئك، ولو كان

دقيقة، وليس الأساس الأكل، فالأساس أن تلبي هذه الدعوة، وإذا كان أحد صائماً صوم نفل فهو أمير نفسه، إن شاء صام، وإن شاء أفطر.

وجب على هؤلاء المدعوين أن يجيبوا إلى طعام الوليمة، فإن كان صائماً ولم يطعم، فلا بأس بذلك، لأنها حصلت إشاعة المودة، ولو كنت صائما، عليك أن تلبي، والأكمل أن تفطر إذا كان صيامك نفلا.

5- ضربُ الدّفّ

ومن شروط إعلان النكاح ضرب الدف، فعَنْ أَبِي حَسَنٍ

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ نِكَاحَ السِّرِّ حَتَّى يُضْرَبَ بِدُفٍّ، وَيُقَالَ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ))

[أحمد]

الآن يزمرون في هذه الليالي، فلا مانع، لأنه إعلام، وكان عليه الصلاة والسلام يعلّم أصحابه، أن ينشدوا هذا النشيد:

أتيناكم.. أتيناكم فحيونا نحيّيكم

ولولا الحبة السودا جئنا لواديكم



أي نشيد ديني مع تلبية العقد، هذا شيء مطلوب. روى الإمام الترمذي، عن محمد بن حاطب الجمحي قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((فَصْلُ مَا بَيْنَ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ))

طبعاً ليس الفرق الوحيد الدف والصوت، لكن الذي يفرق بين النكاح والسفاح الدف والصوت.

أنا أسمع من حين إلى آخر عن عقود قران، أو عن أعراس، ماذا حصل ؟ يقولون: والله ألقيت كلمة من قِبل داعية، وسمعنا نشيداً دينياً، والله أبقى شهرً وأنا في نشوةٍ من هذا العرس، شيء جميل، هذا عرس إسلامي، لماذا الغناء الفاضح والغناء الماجن ؟ لماذا هذه المسجلة تصدح بالأغنية الفاسقة ؟ وأنت مسلم، وبيتك مسلم، والمدعون مسلمون كلّهم ؟ ليس من الصعب أن تدعو امرأة لها لسان تدعو إلى الله، فهل من الصعب تدعو أناس من النساء لهن اختصاصٌ بمديح رسول الله، صوت منخفض، أم هل يجب في العرس أن نخرج من جلودنا لكي نعلن فرحتنا ؟ نحن ما عندنا فرح مع الفسق أبداً، الفرح يكون مع الطاعة.

خطورة تصوير عرس النساء بالفيديو

لذلك إخواننا الكرام، أتمنى عليكم في أعراس النساء، احرصوا حرصاً بالغاً على إلغاء الغناء، إذا بحثتم عمن ينشد نشيداً دينياً تجدون، وما أكثر من ينشد ابتغاء وجه الله بلا مقابل، ابحثوا عن امرأةٍ تقول كلمة، تعظ هؤلاء النسوة، كلمة حق تقال في العرس، الخطبة ضرورية، فكما أن عقود القران . والحمد لله شرعية مئة بالمئة . فأنا لا أعتقد بالألف عرس إلا مِن هؤلاء المترفين، بالألف عرس من عامة الناس إلا وكلها أعراس شرعية، بها منشدون، وكلمة، أو كلمات تلقى في هذا الحفل، ودعاء، ومديح رسول الله فقط، عقود الرجال رائعة، أما عقود النساء ففيها الغناء، وأما المخالفة التي لا تغتفر والتي تعد من أكبر الكبائر فهي تصوير (الفيديو)، كل النساء كاسياتٌ شبه عاريات، نصورهن، ونأخذ الفيلم، هذه من ؟ هذه زوجة فلان، هذا شيء محرَّم، ومن أكبر الكبائر أن تطور الأعراس بهذه الأفلام، فهي وثائق كلّها، فكأن الإنسان يرى المرأة بأبهى زينة.

فلذلك أنا أنصح إخواننا، إذا دعي زوجته إلى عرس فيه تصوير يجب ألا تلبي، ومن يسمح لامرأته بالذهاب إلى عرس فيه تصوير فقد ارتكب أكبر معصية، لأن هذا الشيء قد يتداول، وينسخ منه نسخ كثيرة، ويعرض في بيوت كثيرة، قد يكون في العرس رجال فسقة غير منضبتين كشفوا عورات المسلمات، فمن أكبر الكبائر التصوير في أعراس النساء.

فهذا ضرب الدف، أو النشيد الإسلامي كما قلت، والوليمة، وخطبة النكاح، والشهود في النكاح، وإعلان النكاح، وانعقاده في المسجد، هذه هي الآداب التي ينبغي أن تراعى في عقد الزواج، من أجل أن نفرِّق بين النكاح وبين السفاح.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : السعادة الزوجية

الدرس (1 – 9) : العلاقات الزوجية من خلال القرآن والسنة النبوية الشريفة

الدرس (2–9) : فوائد غض البصر

الدرس (3–9) : قواعد اجتماعية تسهم في نجاح الحياة الزوجية

الدرس (4–9) : التوازن بالواجبات والقيادة للرجل

الدرس (5 – 9) : قواعد لحفظ الزواج

الدرس (6 – 9) : الآداب العامة للزوجة للحفاظ على الحياة الزوجية1

الدرس (7 – 9) : الآداب العامة للزوجة للحفاظ على الحياة الزوجية 2

الدرس (8 – 9) : الآداب العامة للزوج للحفاظ على الحياة الزوجية

الدرس (9–9) : إذا صلحت علاقتك مع الله عز وجل صلح معك كل شيء

الفصل الثاني: السعادة الزوجية

الدرس (1 - 9) : العلاقات الزوجية من خلال القرآن والسنة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

حقائق العلاقات الزوجية :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من الموضوعات التي أراها جديرة بأن تطرح في هذا اللقاء موضوع العلاقات الزوجية ، فالإنسان حينما يسعد في بيته ينتج في عمله ، وكلما اصطفى البيت انعكس هذا الصفاء إنتاجاً وتفوقاً وعطاءً ، وحجم الإنسان عند الله بحجم عمله ، فكل شيء يعكر صفاءه ينعكس على عمله وبالتالي ينعكس على سعادته .

الحقيقة الأولى :



بادئ ذي بدء أهم فكرة في العلاقات الزوجية الإسلامية أن الله بين الزوجين .

بمعنى أن الزوج المؤمن يعامل زوجته من خلال الله ، ومن خلال الخوف منه ، ومن خلال رجاء رحمته ومن خلال تطبيق منهجه ، يخافه ويرجو رحمته ويطبق منهجه ، الزوج المؤمن يغفر سلبيات زوجته ويتقرب إلى الله بخدمتها ، والزوجة المؤمنة تغفر سلبيات زوجها وتتقرب إلى الله بخدمته ، فإذا كان الله بين الزوجين سعد الزوجان .

العلاقات الأخرى في مجتمع شارد عن الله بعيد ، العلاقة مباشرة الأقوى يسحق الآخر ، ما دام هناك نفع من الزواج فالزواج قائم ، فإذا انقطع النفع سقط الزواج ، فرق كبير كبير بين زواج إسلامي مبني على أن كل طرف يعامل الطرف الآخر من خلال معرفته بالله ، من خلال تطبيق منهجه ، من خلال طلب جنته ، من خلال الخوف من ناره ، أما الطرف الآخر مبني على علاقة مباشرة ، بل إن بعض المنظرين يقول الحضارة الإسلامية كلها مبنية على أن الله بين كل علاقتين .

والحضارة الأخرى مبنية على علاقة مباشرة فالقوي يأكل الضعيف والأعلى يسحق الأسفل ، هذه حقيقة .

الحقيقة الثانية :

هو أنه في الزواج الإسلامي ، هناك مرجعية ، وهذه المرجعية تلغي الغالب والمغلوب ، كتاب الله وسنة رسوله بين الزوجين فإذا تنازعا في شيء ردوه إلى الله ورسوله ، إذا كان هناك تشريع من قبل الله عز وجل ، هذا التشريع هو مرجع وهذا التشريع يلغي الغلبة ، لا يوجد أحد غالب هذا أمر الله عز وجل ، فلذلك الإنسان في ظل هذا النظام الإلهي يسعد بزوجته لأن الله له أمر وله نهي ، فإذا طبقنا أمر الله عز وجل ليس هناك إنسان غُلب وإنسان غَلب ، هذه الحقيقة الثانية .

المؤمن له مرجع ، وأساساً المسلم حينما يطبق منهج ربه سبحانه وتعالى يشعر أنه في ظل الله ، يشعر أن الله سبحانه وتعالى معه ، يشعر أن الله متجلي عليه بالبركات والأنوار والخيرات والتوفيق والدعم من الله .

الحقيقة الثالثة :

أنه ما من زواج يبنى على طاعة الله في الجزئيات ولو افتقر إلى مقومات النجاح إلا ويتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، وما من زواج يبنى على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب النجاح إلا ويتولى الله التفريق بينهما .

يجب أن تبنى جزئيات العلاقات الزوجية ، جزئيات الحياة الزوجية على طاعة الله عز جل وذكرت هذا كثيراً أن كل إنسان يشعر أنه يطبق تعليمات الخبير يقطف الثمار يانعة ، أضيف إلى هذه الأسس في العلاقة الزوجية المرجعية ، الله بين الزوجين ، بناء تفصيلات الزواج على منهج الله عز وجل .

الحقيقة الرابعة :

الشيء الرابع أنه قال تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

[سورة النور الآية : 30]

معنى ذلك أن هذه الآية الكريمة التي احتلت مساحة من كتاب الله الذي يتلى إلى يوم القيامة لولا أنها تشير إلى أخطر حقيقة في السعادة الزوجية لما ذكرت .

ما الذي يميز العلاقة الزوجية الإسلامية ؟ أن الزوج المؤمن يقصر طرفه على زوجته فهي ملء عالمه ، والزوجة المؤمنة تقصر طرفها على زوجها فهو ملء عالمها ، فحينما تنفرد الزوجة من بين النساء بملء عالم الرجل ، وحينما ينفرد الرجل من بين الرجال بملء عالم المرأة يكون الوفاق بينهما .

أما إذا تطلعت إلى غيره وتطلع إلى غيرها ، والإنسان بعقله الباطن يوازن ، هو يوازن وهي توازن وصار شرخ في العلاقات الزوجية ، هذا معنى قول الله عز وجل :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

[سورة النور الآية : 30]

ومن غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه ومن ملء عينيه من الحرام ملأهما الله من جمر جهنم .

الخروج عن منهج الله :

في بعض الجهات التي تعمل في مكافحة الجرائم ، عندها مقولة ابحث عن المرأة في كل جريمة ، أنا عدلتها ابحث عن المعصية في كل مشكلة .

الجهل سبب من أسباب الخروج عن منهج الله :



وسأقول هذه الحقيقة ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله ، ابحث ما شئت ، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب جهل به ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، الجاهل يفعل بنفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، يعني مثل بين أيديكم فلاح عنده بيت بلاستيكي زراعة محمية ، وزرع محصول رائج جداً في أيام البرد وغلة البيت مئتان ألف ، اشترى سماد التعليمات كيلو سماد في البرميل لجهله وضع كيليين ، وأصبح فإذا المحصول كله أسود اللون مات ، ضيع مئتان ألف لأنه جاهل .

دائماً وأبداً الجاهل يفعل بنفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، كل منا حريص على سعادته لكن لهذه السعادة أسباب بينها الله عز وجل .

الاختلاط سبب من أسباب الخروج عن منهج الله :

الاختلاط والانفتاح الغير المعقول ، قال أحدهم أنا أسمح للهواء ليدخل إلى غرفتي فيجدد هواءها ، أما أن يقتلعني من جذوري هذا ليس هواء منشطاً أبداً ، هذا هواء مدمر ، فالإنسان إذا انفتح انفتاحاً غير معقول واختلط اختلاطاً كثيراً ولم يعبأ بتوجيهات النبي .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ، قَالَ : الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

[أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي]

وَإِنَّمَا مَعْنَى كَرَاهِيَةِ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ عَلَى نَحْوِ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))

وَمَعْنَى قَوْلِهِ الْحَمْوُ يُقَالُ هُوَ أَخُو الزَّوْجِ كَأَنَّهُ كَرِهَ لَهُ أَنْ يَخْلُوَ بِهَا .

وهج المعصية :

دائماً وأبداً عندنا معاصي لها وهج ، والمعاصي التي لها وهج لها قوة جذب النهي لا عن مقارفتها بل عن الاقتراب منها .

مثال :

إذا كان يوجد تيار عالي ثمان آلاف فولط ينقل الطاقة من مكان إلى مكان ، وأراد وزير الكهرباء أن يضع تحذير للمواطنين ماذا يقول لهم :

ممنوع مس التيار ؟.

أم ممنوع الاقتراب من التيار ؟.

له حرمة ثمان أمتار ومن دخل إلى هذه الحرمة جذبه التيار وجعله قطعة فحم ، هذا المعنى ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم قال تعالى :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

[سورة البقرة الآية : 187]

لابد من أن تترك بينك وبينها هامش أمان .

مثال آخر :

كأن نهراً مخيفاً له شاطئ مائل زلق وله شاطئ مستوي جاف ، فأنت لا تنجو إلا إذا سرت على الشاطئ المستوي الجاف ، أما إذا اقتربت من الشاطئ الزلق هذا الشاطئ ألقاك بالماء ، لذلك :

بأمور النساء ليس النهي عن الفاحشة بل النهي عن الاقتراب قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 32]

لا تقربوا الزنا ، لا تخلون بامرأة ، لا تقربوا الزنا .

حالات جرح العدالة :

لا تصاحب الأراذل ، صحبة الأراذل تجرح العدالة ، قلت حديث رسول الله :

((من عامل الناس ولم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، و وعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته وحرمت مغيبته))

من عاملهم فظلمهم ، ومن حدثهم فكذبهم ، ووعدهم فأخلفهم ، سقطت عدالته إلا أن هناك حالات تجرح العدالة :

1- صحبة الأراذل تجرح العدالة .

2- التنزه في الطرقات يجرح العدالة ،

3- الحديث عن النساء فيما لا يرضي الله عز وجل يجرح العدالة .

4- من علا صياحه في البيت يجرح العدالة .

5- من أكل في الطريق ، من مشى حافياً تجرح عدالته .

6- من قاد برزوناً تجرح عدالته .

7- من أطلق لفرسه العنان تجرح عدالته ،

هامش الأمان :



الإنسان حينما يقترب من هامش الأمان للمعصية هذا الهامش قد يجذبه إليها ومن هنا جاء قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

[سورة البقرة الآية : 187]

يوجد معاصي لها قوة جذب ، هذه المعاصي يجب أن تدع بينك وبينها هامش آمان ، وهذه النقطة قد يغفل عنها كثيرون وقد يغفل عنها الآباء ، فإذا غفل عنها الآباء وقعوا في شر عملهم ووقع أولادهم في شر عملهم .

أخوانا الكرام ؛ أنت تسير في طريق وجدت لوحة كتب عليها حقل ألغام ، هل تشعر أن هذه اللوحة تقيد حريتك ؟ أوامر الدين ليست تقيداً لحريتك ولكنها ضمان لسلامتك .

مرة ذكرت مثل آخر ، أنت راكب شاحنة وتحمل عشرون طن ، وصلت إلى جسر كتب عليه الحمولة القصوى عشرة طن ، الآن تنظر هل يوجد شرطي مرور ، هل تكتب في حقي مخالفة ، ليس الموضوع موضوع مخالفة الموضوع أكبر من ذلك بكثير ، الموضوع أنك سوف تسقط ، موضوع المخالفة ليس له أهمية إطلاقاً .

النتيجة والعلاقة :

الإنسان لو فهم الدين على أن كل أمر فيه نتائج ، والعلاقة بين الأمر والنتيجة هي علاقة سبب بنتيجة ، والعلاقة بين النهي وسببه هي علاقة أمر بنتيجة ، مثلاً :

أحياناً تقول لابنك اجلس هنا يا بني ، فأراد أن يتحداك جلس في مكان آخر تضربه هل هناك علاقة بين الضرب والجلوس ؟ أبداً ، أربع كراسي وثيرة أنت أردت لحكمة أن يجلس هنا ، جلس هناك ضربته ، نقول العلاقة بين العقاب والسبب علاقة وضعية أنت وضعتها .

في هذه القاعة بابين ، إذا قلنا للناس أخرجوا من هذه الباب ، والذي خرج من ذلك الباب ، ليس هناك علاقة علمية بين المخالفة والنتيجة .



أما إذا كان هناك مدفأة مشتعلة وجاء طفل ووضع يده عليها ، فاحترقت نقول إن هناك علاقة علمية بين وضع اليد على المدفأة وبين احتراق اليد .

حينما تؤمن أن العلاقة بين المعصية ونتائجها ، وبين الطاعة ونتائجها علاقة علمية فقد نجوت ، العلاقة علمية بين الأمر والنهي ونتائجها ، علاقة سبب بنتيجة ، والدين ضمان لسلامتك و ليس قيداً لحريتك ، إذاً لو ربنا عز وجل يحرم الاختلاط و إطلاق البصر هو يضمن لك سعادتك الزوجية و هذا الإنسان الذي يطلق بصره و يشقى في بيته إنسان شقي ، و الحقيقة أنصف شيء في حياة الإنسان زوجته و عمله فإذا كان سعيداً بهما سعد في دنياه إجمالاً و إذا كان شقياً بهما شقي في دنياه إجمالاً .

هناك أربع عناصر بالعلاقة الزوجية ، و هناك عنصر خامس هذا العنصر الخامس هو أن بيت الزوجية مقدس، فلمجرد أن تخرج المرأة من بيت الزوجية غاضبة أو أن يخرجها زوجها إلى بيت أهلها غاضبة أي خروج من المرأة من بيت زوجها ما الذي يحصل ؟ أصغر مشكلة تغدو أكبر مشكلة ، فإذا بقيت المرأة في بيت زوجها أكبر مشكلة تغدو أصغر مشكلة ، لأنه إن خرجت صار هناك أطراف عدة و تغذية معينة و تكبير رأس و تحطيم و تحدي كل هذا الزوجات في غنى عنه لذلك قال تعالى:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾

[سورة الطلاق الآية : 1]

ليس لها أن تخرج و ليس له أن يخرجها ، فإذا بقيت في بيت الزوجية أكبر مشكلة لابد من أن تتلاشى ، أما إذا خرجت أصغر مشكلة تتفاقم هذه قاعدة ثانية .

القاعدة الثالثة : هو أن هذا البيت مؤسسة ، و ما من مؤسسة على وجه الأرض إلا و تحتاج إلى قائد ، فالله سبحانه و تعالى لحكمة بالغة قال :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾

[سورة النساء الآية : 34]

هذه آية لا ينتبه لها أحد ، فضل بعضهم على بعض ليس معنى هذا أفضل منك ، معنى ذلك أنها أفضل منه في حالات و في قضايا و هو أفضل منها في قضايا ، ففي شؤون العاطفة و العناية بالبيت و بالأولاد هي أفضل منه ، و في شؤون الرؤيا و القيادة هو أفضل منها فقال فضل بعضكم على بعض و ليس معنى هذا أنه يوجد طرف مفضل ، معنى ذلك أن كل طرف مفضل و فاضل كل طرف ، فالرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و ليس بما فضلهم على النساء كلا ، بل بما فضل بعضكم على بعض ، و بما أنفقوا من أموالهم فالقوامة من الرجل إلا أن هذه القوامة لا تعني أنه كل شيء و هي لا شيء قال تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة البقرة الآية : 228]

أي إذا كان بالمراتب العسكرية هناك لواء فهي ليست جندي بل هي عميد ، رتبة واحدة هذه المرتبة هي مرتبة القيادة ، لا بد من قائد للمركبة .

الشيء الثاني : هذا لا يمنع أن نتشاور ، أي تنصحها و تنصحك ، و تأمرها و تأمرك ، و الحياة حركة إلى منتصف الطريق ، هناك مثل واضح هو :

أنك هنا و أنا هنا لا بد من أن أصل إلى نصف الطريق إليك ، و لا بد من أن تصل إلى نصف الطريق إلي ، بهذه الطريقة يلتقي الأطراف .

ثم ذكرت أيضاً أنه يوجد بين الزوجين خلافات ، أولاً :



وطن نفسك أنه ليس في الأرض زوج تنطبق طباعه و أفكاره و رؤيته على طباع زوجته ، هناك مسافة ، إذاً البطولة لا أن تنعدم المشكلات و لكن أن نقف منها الموقف الكامل ، هذه البطولة ، لذلك لو صار هناك خصومة أو منازعة هناك من تمتد بهم هذه المنازعات أياماً و أسابيع و أشهر و هذا إتلاف للحياة الزوجية ، أما الأكمل أن نجعل أمد النزاع أقصر أمد على الإطلاق .

عبرت عنه بالشكل التالي :

إذا خرجت من البيت تعود و كأن شيئاً لم يكن ، إذا نمنا استيقظنا و كأن شيئاً لم يكن ، فإذا اتفق الزوج و زوجته على أن أي خلاف بينهما يجب أن ينتهي بمرور مرحلة زمنية قصيرة جداً ، مرحلة الخروج و العودة ، أو النوم و الاستيقاظ ، بهذه الطريقة تغدو الحياة سعيدة .

و أحياناً هناك مشكلة قد تزيد العلاقة متانة و قد تزيد الصلة بشاشة ، هذا كله من قبيل رعاية مبادئ الشريعة في العلاقة بين الزوجين .

هناك شيء آخر ذكرته أيضاً :

أن الإنسان أحياناً بعد فترة من الزواج ترتفع الكلفة و يصمت الرجل عن مدح زوجته و تصمت هي عن مدح زوجها و تغدو حياة رتيبة مملة لا معنى لها ، هذا من عدم حكمة الزوج فهذه التي ترعى أولادك ، مرة أحد الأعراب شكا زوجته إلى عمر ، طرق الباب فسمع صياحاً فولى هارباً ، سيدنا عمر فتح الباب فرأى الرجل بعيداً، يا أخا العرب تعال ، لماذا رجعت ؟ قال جئتك أشكو مما أنت منه تشكو ، نفس المشكلة عندك ، قال له : يا أخي هذه الزوجة ترعى أولادنا و تهيئ حاجاتنا فبين له الناحية الجيدة ، و أنا مرة أخ شكا لي زوجته و كان على وشك أن يطلقها ، استدرجته قلت له تخونك فقال لي : معاذ الله ، طاهرة عفيفة ، سألته طبخها سيء ؟ قال لي : لا و الله طبخها جيد ، غير نظيفة ؟ قال لي لا إنها نظيفة جداً ، و من غير أن يشعر ذكر كل ميزاتها ثم استحيا من نفسه ، فدائماً كن موضوعياً ، لا تتعامى عن ميزاتها و ينبغي أن لا تتعامى عن ميزاتك . أخوانا الكرام ؛ الزواج نعمة من الله و هو من أكبر النعم ، فمن أساء إلى زوجته أو من أساءت إلى زوجها تكفر هذه النعمة ، و البناء صعب و التخريب سهل ، أي ألف تصرف ذكي و حكيم يشدها إليك و تشدك لها و تصرف واحد أحمق هذا يخرب العلاقة بينكما ، إذاً أيضاً من حكمة الإنسان أن يسعد في بيته ، لذلك قال تعالى:

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة النساء الآية : 19]

رجل تزوج امرأة في عصر التابعين يبدو أنها لم تعجبه ، ندم أشد الندم و شعرت عليه بذلك فقالت يا فلان : قد يكون الخير كامناً في الشر ، بقيت هذه الكلمة ترن في ذهنه ثم هام على وجهه عشرين عاماً هكذا القصة ، عاد إلى المدينة فدخل إلى المسجد فرأى درساً يلقيه شاب حوله آلاف مؤلفة ، قال : من هذا ؟ قالوا : هذا أنس بن عامر ، هو عامر ابنه ، قال له : قل لأمك إن في الباب رجلاً يقول لك : قد يكون الخير كامناً في الشر ، قالت: يا بني هو أبوك ، أي الله عز وجل علمنا أن مصلحة الإنسان ، مصلحة الزوجة و الأولاد فوق كل شيء، فالإنسان حينما يرضى و حينما يقبل بقضاء الله و قدره عندئذ ربنا عز وجل يسبغ على هذا الزواج سعادة ما بعدها سعادة ، هناك شيء آخر لا أزال في الحديث عن عوامل نجاح الزواج لأن كل إنسان بحاجة إلى هذه المعلومات الدقيقة و هذا من توجيه النبي عليه الصلاة و السلام .

شيء آخر : الإنسان عندما ينطلق من رضاه بقضاء الله و قدره ورد في الأثر :

((ما كان الله ليعذب قلباً بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله))

إذاً المودة ، المرجعية ، الله بين الزوجين ، عدم إطلاق البصر ، ضبط اللسان ، الاحترام المتبادل ، ثم المعاملة بالمثل ، أي إذاً كنت تتمنى أن تحترم أهلك فاحترم أهلها ، كنت قلت سابقاً : هناك ثلاثة آباء ، أب أنجبك و أب زوجك و أب دلك على الله ، فالذي زوجك أب فإذا عاملت والد زوجتك كأنه أبوك و إذا عاملت أم زوجتك كأنها أم ، و إذا عاملت والد زوجها كأنه أب و أم زوجها كأنها أم صار الوئام ، كما أنك تحرص على إرضاء أمك تحرص على إرضاء أمها ، المؤمن منطقي يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه ، أما هو يجب أن تحترم أهله إلى أعلى درجة و هو يسيء إلى أهلها هذا إنسان عنصري غير موفق و غير منطقي و لا يستحق أن يسعد في زواجه ، إذا كنت أنت منطقياً قال عامل الناس كما تحب أن يعاملوك ، هذه بعض النقاط الدقيقة التي يمكن أن ينبى عليها نجاح الزواج ، و الإنسان إذا كان أخطأ سابقاً في زواجه يجب أن يؤمن بالتصحيح ، ممكن كل شيء أن يتصحح ، كم من زواج بني على فساد و صار هناك شقاق و نفور و كان على وشك الطلاق ثم صح الزوج و اصطلح مع الله و استقام على أمره فإذا هو إنسان آخر يجب أن تؤمن بقوله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

[سورة الأنبياء الآية : 90]

و أيضاً نقول لك و أصلح الله لك زوجك ، إصلاح الزوج و الزوجة شيء ممكن مائة في المائة ، و كل بيت قال تعالى :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة طه الآية : 132]

كل بيت تؤدى فيه الصلوات ، و كل بيت فيه ذكر لله عز وجل ، هذا البيت مبارك ، و ذكرت لكم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ : لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ : أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود]

سؤال وجواب :

ينشأ هنا أسئلة دقيقة جداً و الموضوع طبعاً موضوع حيوي لأنه هناك موضوعات غير حيوية و هذا موضوع حيوي و يعني كل إنسان فأنا على استعداد للإجابة عن أي سؤال متعلق بهذه المحاضرة .

أحدهم أحب أن ينصح زوجته فقال لها : إن في خلقي سوءً ، فقالت له : إن أسوأ خلق منك من حاجك إلى سوء الخلق .

يوجد أحياناً حالات : كلمة اعتذار تطفئ الشر ، والعناد في العلاقة الزوجية يفاقم الخلاف .

س : إذا لم يقبل أحد الطرفين المرجعية الإلهية في حل المشكلة فكيف العمل ؟

ج : الجواب سهل ، ابذل جهداً كي تعرف الله عز وجل ، إن عرفته معنى ذلك أنك مقصر في تعريفها بالله ،

وصار أنك أنت المخطئ ، إذا كان الزوجة لم تقبل المرجعية الإلهية ، ولم تقبل حكم الله عز وجل ومعنى هذا أنها لا تعرفه والسبب هو أنت ، لذلك أنا لي كلمة دقيقة : لن تسعد بزوجتك إلا في المرحلة الرابعة ، تعرفها بالله، فتسعد به ، وتعرف حقك ، عندئذ تسعدك .



إذا كان الزوج شارد ، تقول لها عرفيه بالله ، وادفعيه إلى الصلاة وعرفيه بأحكام دينه حتى يسعد بالله فيعرف حقك ويسعدك ، إذا كان هذا الطرف لم يقبل المرجعية الإلهية ، معنى ذلك أن الطرف الآخر مقصر في التعريف ، أنا في دمشق عندي عشرات بل بضع عشرات من الأزواج سبب هدايتهم زوجاتهم وهذا شيء واضح والمرأة إذا تدينت فاقت الرجل أحياناً ، فالمرأة إذا أرادت أن تدفع زوجها إلى طاعة الله هذا الأمر بيدها ولها أجر ، وأجر من فعل فعلها .

س : ما قولكم في شاب والده يدفعه إلى الزواج وهو يخلق الأعذار ؟

ج : والله فرصة لا تعوض ، الأب يتمنى إحصانه وهو يتمنى أن يبقى طليقاً .

س : ما الحكمة والعبرة ، وماذا نتعلم من تطليق رسول الله بعض زوجاته ؟

ج : هذه التي طلقها علمتها ضراتها أنه إذا دخل عليك قولي له أعوذ بالله منك فصدقت ، تفكير صفر ، هذه زوجته وسوف تبلغ الناس عنه ، فبهذا الغباء مستحيل أن تبلغ الناس عنه ، ولما دخل عليها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : إلحقي بأهلك ، قضية التبليغ قضية خطيرة جداً ، لأن أسرة النبي جزءِ من الدعوة ، السيدة عائشة كانت من فقيهات الصحابة ، فهذه الحالة الوحيدة التي طلق النبي زوجته .

س : التكافؤ في الزواج هو من مقومات نجاح الزواج هل هذا الكلام صحيح ؟

ج : بالفقه الإسلامي يوجد باب اسمه الكفاءة الزوجية ، يعني دائماً يجب أن يكون الزوج قريب من مستوى والد الزوجة ، أما إذا كان يوجد تباين كبير جداً ، هذا الزواج لا ينجح ولا يتم ، لو قبل الزوجان مبدئياً ، وإذا كان هناك فارق كبير جداً أسباب النجاح غير موجودة والتكافؤ الزوجي الزوجة وأهلها في مستوى ثقافي عالي جداً ، والزوج في مستوى ثقافي متدني جداً وهو يشعر بعقدة نقص ، فيحتقر العلم وتنشأ مشكلات يومية وأحياناً يكون الغنى فاحش عند أهل الزوجة ، والشاب دخله محدود جداً فمهما جهد في تقديم شيء عندها لا شيء ، لذلك لا

بد من التوافق الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والديني ، إلا أن العلماء قالوا طالب العلم وحده كفؤ لأي امرأة ، لأن عنده حكمة وسوف يعلم زوجته ويقدم لها أثمن شيء.

س : ما حكم الإسلام فيما يقوله العوام ، الزواج نصيب ؟

ج : الحقيقة قال الله عز وجل :

﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

[سورة النور الآية : 26]

الله عز وجل له أمر تكليفي وأمر تكويني ، فهل هذه الآية أمر تكويني أم تكليفي ؟ الجواب تكليفي لا تكويني ، لو قلنا تكويني سأقول لكم ما هو الفرق : طريق يوجد لوحة ممنوع المرور وهذا أمر تكليفي ، الطريق سالك ولكن ممنوع ولو خالفنا النظام يوجد مخالفة أو مبلغ من المال تدفعه مقابل هذه المخالفة ، فهذه اللوحة هي أمر تكليفي، أما إذا وجدت مكعبات إسمنتية ارتفاعها متر وبعرض الطريق هذا الأمر تكويني ، ممنوع أن تمر ولن تستطيع أن تمر ، أما هنا ينبغي أن لا تمر .

يوجد عندنا أمر تكويني وأمر تكليفي ، فكلمة الطيبون للطيبات هل هي أمر تكويني أم تكليفي ؟ هي أمر تكليفي، يعني ينبغي أن يكون الطيبون للطيبات ، يعني يا عبادي احرصوا على أن يكون الطيبون للطيبات ، لو زوجنا فتاة طيبة طاهرة عفيفة لزوج غني ساقط متفلت ، نكون خالفنا هذه الآية ، فالزواج لا يتم ولا ينجح إلا إذا طبقنا هذه الآية ، إذا لا يوجد نصيب ، يوجد تكليف ولك أن تبحث عن ابنتك عن زوج صالح .

((الزواج رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته))

لكن بعد أن يتم الزواج ولأنه لا يقع شيء في ملك الله إلا بأمر الله ، عندئذ أراده الله ، وبعد أن وقع أراده ، لكن قبل أن يقع ، لا يرتكب الأب حماقة ويلقي بابنته مع أول خاطب ويسيء لها إساءة بالغة ويقول هذا ترتيب سيدك، لا بل هذا تقصير منك وعدم استقصاء المعلومات الصحيحة ، الزواج قبل أن يقع ليس نصيباً بل هو اختيار وأنت مكلف أن تبحث للفتاة الصالحة عن زوج صالح ، ومكلف أيضاً أن تبحث للزوج الصالح عن الفتاة صالحة .

س : الطلاق هل هو من الحلول الشرعية ؟

ج : هل تعرفون طنجرة الضغط ، هذه الطنجرة لها صمام أمان قطعة بلاستيكية إذا الضغط صعد إلى درجة وقد تنفجر لها صمام يسيخ الصمام ويخرج البخار ، الطلاق صمام أمان وهو أبغض الحلال إلى الله ، والمرأة لا تطلق إلا من ريبة ، وتزوجوا ولا تطلقوا ، كيف ينهى النبي عن الطلاق والله ﷻ يقول :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 231]

يعني تزوج امرأة لا تحتاج أن تطلقها ، ابحث بحث هادئ ، وأجري دراسة طويلة ، ابحث عن أصل الأسرة وعن بنيتها الثقافية ، وعن دينها وعن علمها ، لابد من بحث متأني وإلا يوجد مشكلة طويلة ، والشيء المعروف أن الإنسان إذا تزوج وأنجب يجب أن يضع حظوظه تحت قدمه مراعاة لأولاده ، أما إذا كانت الدراسة غير جيدة المشكلة كبيرة جداً ليس الأمر أنك اشتريت سيارة وبعتها ، لا صار هناك علاقات حميمة ، صار هناك ولد ، هذا أبوه وهذه أمه ، الطلاق أبغض الحلال إلى الله ويهتز منه عرش الرحمن ، هو حل عند الضرورة القصوى وإذا كان سوف يصبح انفجار وهذه الطنجرة سوف تقتل خمس أشخاص لا نعمل لها صمام أمان وتسيخ .

فإذا أصبح اللقاء مستحيلاً والوضع متفجر ويؤدي إلى انهيار ، الطلاق أولى ولكن هذه الحالات نادرة وليست شائعة .

س : الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾

[سورة النساء الآية : 34]

فهل هذه يبرر بأن تكون القوامة للمرأة عندما تكون هي التي تنفق من مالها وعلى زوجها وبيتها ؟

ج : لا ، هذا ليس قيداً ، سوف أوضحها بمثل آخر قال تعالى :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة النور الآية : 33]

هل في الأرض كلها واحد مؤمن والخطاب للمؤمنين يكره ابنته على الزنا شيء غير معقول وغير مقبول ، ما معنى الآية ؟ قال المفسرون : كلما جاء زوج يعجبك وطلبت شروط تعجيزية ، يكون أحدهم عمره خمسة وخمسين عام ويملك بيت وسيارة وتجارة رائجة ودخل كبير وأذواقه عالية جداً ، يريد صهر عمره خمس وعشرون عام بنفس مستواه ، هذا مستحيل ، كما أن بيت أهل امرأتك زوجوك وأنت لا تملك شيء وقبلوا بك ، أنت أيضاً أقبل غيرك ، يوجد آباء يريدون صهراً يفتخروا به ، ويريد صهر ... وكل من يرفض الصهر الشاب الطاهر المؤمن لأسباب غير دينية وأخلاقية قال هذا كأنه يكره ابنته على البغاء .

لذلك يوجد فتاة والدها رفض لها ثلاثين خاطب ، دعت عليه دعوة يقشعر منها الأبدان ، أنت إذا منعتها من الشاب المؤمن كأنك قويت فيها عنصر الانحراف ، ليس هذا الشاهد ، الآن إن أردنا تحصناً ، هذه الكلمة هل هي قيد احترازي ، يعني إن لم يردن تحصناً لك أن تجبرها على البغاء ؟ مستحيل ، قال علماء الأصول : هذا قيد وصفي وليس قيد احترازي ، قال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

[سورة النساء الآية : 34]

فإذا لم ينفقوا لا يعدوا قوامين ؟ لا قوامون وهذا قيد وصفي وليس قيداً احترازياً والمعنى دقيق جداً ، يعني من شأن القوامة الإنفاق وإذا هو لم ينفق يبقى هو القائم على أمر زوجته ، عملياً إذا كان هي أعقل منه وهي تنفق ضعف مركزه ، أما القرار بيده ولكن هو ليس أهل لهذا القرار عندما قبل أن تنفق عليه ، وهي أقوى منه ديناً وعلماً ، مكانته ضعفت أمام زوجته .



مرة كنت في عمرة فزرنا شخص ، تكلم قصة هو في بيته وجالسة امرأته على كرسي بقدمها نكشته على رأسه وقالت له غير القناة فطلقها .

هناك حالات كثيرة أن الزوج ضعف هو غير متدين وهو شهواني ، فلذلك قضية القوامة بما أنفقوا الرجال قوامون على النساء .

س : أيهما أولى تطليق الناشز الميؤوس من صلاحها بعد استنفاذ أبواب الإصلاح أم الصبر عليها و هل يختلف الحكم إذا رزق منها الولد أم لم يرزق ؟

ج : الحقيقة الصبر أولى ، أما إذا جاء الولد فالصبر صار واجباً مراعاة لحق الولد و عندي ألف قصة إذا حصل طلاق الأطفال يتشردون و آلام لا تحتمل وكل إنسان في قلبه رحمة وشاهد مصير أبنائه بعد الطلاق ، لأن لا شيء يعوض عن الأم .

بعد فترة من الزواج وهذا شيء واقعي ، الزوجة لا تهتم بزينتها إلا للضيوف وقد تهمل زوجها وهذا أحد أسباب الشقاق الزوجي ، والزوجة حينما تعتني بمظهرها تنفذ أمر ربها ، وتزيد زوجها حصانة وغض لبصره ، وجزء من دينها أن تعتني بمظهرها أمام زوجها .

أما قد تهمل مظهرها أمام زوجها وقد تعتني بمظهرها أمام الضيوف وهذا من أسباب الشقاق الزوجي .

س : على من تطلق كلمة الناشز ؟

ج : تطلق على من أبت متابعة زوجها ، متابعته في السكنة .

نعيد الفقرات :

1 . أن يكون الله بين الزوجين .

2 . أن يكون الشرع هو المرجع ، فلا غالب ولا مغلوب .

3 . أن لا تخرج من بيت زوجها ، وأن لا يخرجها زوجها .

4 . أن تعتني بمظهرها أمام زوجها .

5 . أن لا تطول فترة الخصام ، أن تكون أقصر فترة ممكنة ، خروج وعودة .

6 . أن يعاملها بالمثل ، وأن يحترم أهلها كما تحترم أهله ، و أن يبقي الكلمات اللطيفة والثناء مستمرة طوال الحياة الزوجية .

7 . عدم الاختلاط وإطلاق البصر .

هذه أبرز الصفات المتعلقة بين الزوجين ، إن شاء الله عز وجل يلهمنا الصواب وصلاح ذات البين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : فوائد غض البصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد ألا إله الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة توضيحية:

أيها الإخوة المؤمنون، في بعض الظروف تشتد الحاجة إلى عبادةٍ بعيْنها، أو ينبغي أن نلح عليها، أو ينبغي أن نذكِّر المؤمنين بها، في بعض الظروف، وعند بعض الأشخاص تشتد الحاجة إلى عبادةٍ بعينها، ورد في الأثر " أن الورع حسن، لكن في العلماء أحسن، وأن العدل حسن، ولكن في الأمراء أحسن، وأن التوبة حسن، لكن في الشباب أحسن، وأن السخاء حسن، لكن في الأغنياء أحسن، وأن الصبر حسن، ولكن في الفقراء أحسن، وأن الحياء حسن، لكن في النساء أحسن ".

فبعض الأشخاص تشتد الحاجة إلى عبادةٍ بعينها، أو ينبغي أن نُلِح عليها، أو ينبغي أن نطالبهم بها بادئ ذي بدء، وفي بعض الظروف تشتد الحاجة إلى عبادةٍ بعينها، وينبغي أن نُلح عليها، وأن نطالب الناس بها. حينما تغدو النساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، ولا تستطيع أن تمنعهن من هذه الفتنة المُستعرة، تشتد الحاجة إلى غض البصر، وموضوع الخطبة اليوم غض البصر.

ملحوظة مهمة:

قبل أن أبدأ هذا الموضوع، لا بد من ملاحظة، لا تقل لي: ماذا أفعل ؟ مهمتي أن أنقل لك ما في الكتاب والسنة حول هذا الموضوع، مشكلتي أن أنقل لك هذه الحقائق، وتلك النصوص، وهذه التوجيهات، وكل إنسان مشكلته هو أن يتدبَّر أمره، وأن يرضي ربه، وأن يسعى لمصيره الأبدي.

نتائج إطلاق البصر:

1 – ذريعة للفساد:

أيها الإخوة الكرام... إطلاق البصر سببٌ لأعظم الفِتَن، فكم فسد بسبب النظر من عابد، وكم انتكس بسببه من شابٍ كان طائعاً لله، وكم وقع بسببه أناس في الزنا والفاحشة، والعياذ بالله، العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره، غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق العبد بصره، أطلق القلب شهوته وإرادته، ونُقِشَت فيه تلك المبصرات فشغل بها عن التفكر في رب الأرض والسماوات.

2 – وقوع الهوى في القلب:



أيها الإخوة الكرام... لما كان إطلاق البصر سببا لوقوع الهوى في القلب، أمر الشارع الحكيم، في أعلى مرتبات النصوص في القرآن الكريم، بغض البصر، وحينما تجد في القرآن الكريم آيةً صريحة واضحة الدلالة قطعية المعنى، تأمر بغض البصر معنى ذلك أن الموضوع خطير جداً، وأنه موضوع فَيْصَل، إما أن تغض البصر فتكون مع الله عز وجل، وإما أن تطلق البصر فينشأ حجابٌ بينك وبين الله.

الأمر بغض البصر:

أيها الإخوة الكرام... يقول الله عز وجل:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

(سورة النور)

﴿ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

(سورة النور)

خالق السماوات والأرض يقول:

﴿ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

(سورة النور)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: " أمر الله نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يُعْلِمَهم أنه مشاهدٌ لأعمالهم مطلع عليها ".

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

(سورة النور)

ولما كان مبدأ ذلك من قِبَلِ البصر، جعل الأمر بغضِّه مقدَّم على حفظ الفرج..

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

(سورة النور)

كل الحوادث مبدؤها من النظر:



طريق حفظ الفرج غض البصر، فإن كل الحوادث مبدؤها من النظر، ومعظم النار من مستصغر الشرر، تكون نظرةٌ، ثم خطرةٌ، ثم خطوةٌ، ثم خطيئة، ولهذا قيل: " مَن حفظ هذه الأربع أحرز دينه ؛ اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات ".

وقال: النظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولِد الخطرة، ثم تولد الخطرة الفكرة، ثم تولد الفكرة الشهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة، فيقع الفعل ولابد ما لم يمنع مانع من أن يقع هذا الفعل، ولهذا قيل، وهذه حكمة بالغة: " الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده"..

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتلك السهام بلا قوس ولا وتـر

والـعبد ما دام ذا عين يقلّبها في أعين الغيد موقوف على الخطر

يصر مقلته ما ضر مــهجته لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضـرر

* * *

الأدلة النبوية على خطورة وفتنة إطلاق البصر:

كما تعوَّدنا جميعاً لا تقبل شيئاً إلا بالدليل، ولا ترفض شيئاً إلا بالدليل، فماذا قال النبي عليه أتم الصلاة والتسليم في موضوع غض البصر؟ يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجل من النساء))

(متفق عليه)

وهذا من أعلى مراتب الحديث الشريف، متفق عليه، اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.

((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجل من النساء))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء))

(رواه مسلم)

وعن جرير بن عبد الله قال:

((سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري))

(رواه مسلم)

وعند أبي داود قال له:

((اصرف بصرك))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((يا عليّ، لا تتبع النظرةِ النظرَة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة))

رواه الترمذي وأبو داود، وحسنه علماء الحديث المعاصرون.

وقال ﷺ:

((العينان تزنيان وزناهما النظر))

(متفق عليه)

ماذا بعد الحق إلا الضلال، ماذا بعد هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة، في أعلى مراتبها ؟!!

موقف السلف من إطلاق البصر وتحذيرهم منه:

أيها الإخوة الكرام... كان السلف الصالح يبالغون في غض البصر حذر فتنته، وخوفاً من الوقوع في عقوبته.

قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: **<< ما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مطمعاً >>**.

وقال ابن عباس رضي الله عنها: **<< الشيطان من الرجل في ثلاثة منازل ؛ في بصره، وفي قلبه، وهو في المرأة في منازل ثلاث أيضاً >>**.

وقال تعالى:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾

(سورة غافر: من آية " 19")

فُسِّرَت هذه الآية كما يلي: الرجل يكون في القوم، فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره عنها، حفاظاً على سمعته الدينية، فإن رأى منهم غفلة، سرق النظرة إليها، فإن خاف أن يفطنوا إليه، غض بصره، وقد اطلع الله عز وجل من قلبه ويتمنى أن يراها كما خلقها الله.

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾

(سورة غافر: من آية " 19")

أيها الإخوة الكرام... وقال بعضهم: " النظر يزرع في القلب الشهوة ".

وقد ورد في بعض الأحاديث:

((إياك وفضول النظر، فإنه يبذر في القلب الهوى))

[ورد في الأثر]

وقال أحد العلماء: " غضوا أبصاركم ولو عن شاة أنثى "، من باب المبالغة.

وقال بعضهم: " اللحظات تورث الحسرات، أولها أسف وآخرها تلف، فمن طاوع طرفه، تابع حتفه ".

وقال أحمد بن حنبل: " كم نظرة ألقت في قلب صاحبها البلابل ".

البلابل جمع بَلْبَلَة لا جمع بُلْبُل، فرق كبير بين البلابل التي هي جمع بلبلة وبين البلابل التي هلي جمع بلبل.

حكم النظر غب المحرمات:

أيها الإخوة الكرام، إن الذي أجمعت عليه الأمة، واتفق على تحريمه علماء السلف والخلف من الفقهاء والأئمة، هو أن نظر الأجانب من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض، وهم مَن ليس بينهم رحم من نَسب، ولا محرم من الرضاع، فهؤلاء حرام نظر بعضهم إلى بعض، فالنظر والخلوة محرَّم على هؤلاء عند كافة المسلمين، الموضوع ليس خلافيا بل هو من الموضوعات المتفق عليها.

أما من سنة النبي العملية..

((لما نظر الفضل بن عباس إلى امرأة حوّل النبي عليه الصلاة والسلام، وجهه إلى الشق الآخر))

(رواه أبو داود)

وقال أحد العلماء: " وهذا منع وإنكار للفعل، فلو كان النظر جائزاً لأقره النبي عليه ".

سد الذريعة إلى تعمد النظر إلى النساء:

1 – نهي النساء عن رفع الرؤوس في الصلاة قبل الرجال:

أيها الإخوة... مبالغةً في القيام بهذا الأمر الإلهي القرآني والنبوي، النبي عليه الصلاة والسلام سد كل ذريعة تفضي إلى تعمُّد النظر إلى النساء، حرصاً منه على سلامة القلوب ونقاء النفوس، واستقامة المجتمع المسلم على تقوى الله ومخافته، نهى ﷺ إذا صلَّى النساء مع الرجال أن يرفعن رؤوسهن قبل الرجال.

2 – نهي المرأة عن الخروج من البيت متعطّرة:

ونهى ﷺ المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تطيب، أو أن تصيب بخوراً .



ذلك لأنه ذريعة إلى ميل الرجال وتشوقهم إليها..

3 – نهي المرأة عن وصف امرأة لزوجها:

ونهى ﷺ أن تنعت المرأة المرأةَ لزوجها، حتى كأنه ينظر إليها، سد للذريعة، وحماية عن مفسدة..

4 – النهي عن الجلوس في الطرقات:

ونهى ﷺ عن الجلوس في الطرقات، وما ذلك إلا لأنه ذريعةٌ إلى النظر على المحرمات، ومن تنزَّه في الطرقات جرحت عدالته، لأن التنزه في الطرقات ذريعة إلى ملء العين من المحرمات، وقال عليه الصلاة والسلام:

((أعطوا الطريق حقه،قالوا: وما حقه ؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام))

(متفق عليه)

5 – نهي النساء عن الضرب بأرجلهن عند المشي:

والله ﷻ نهى النساء عن الضرب بأرجلهن عند السير، سداً لذريعة النظر إليهن، حتى لا ينظر الرجال إلى ما يخفين من الزينة والجمال، قال تعالى:

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾

(سورة النور: من آية " 31")

عقوبات إطلاق البصر:

1 – فساد القلب:

أيها الإخوة... من عقوبات إطلاق البصر فساد القلب، فالنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرَمِيَّة، فإن لم تقتله جرحته، فهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه، وقد ورد في بعض الأحاديث:

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس))

(من الجامع لأحكام القرآن)

2 – نزول البلاء:

ومن عقوبات إطلاق البصر نزول البلاء، فقال بعضهم: " نظرت إلى امرأة فأعجبتني فكف بصري، فأرجو أن يكون ذلك جزائي ".

3 – إبطال الطاعات:

من هذه العقوبات إبطال الطاعات، فعن حذيفة أنه قال: " من تأمَّل خلق امرأة من وراء الثياب فقد أبطل صومه".

4 – فساد القلب: الغفلة عن الله والدار الآخرة:

ومن هذه العقوبات الغفلة عن الله والدار الآخرة فإن القلب إذا شغل بالمحرمات، أورثه ذلك كسلاً عن الطاعات، ولا أدل على ذلك من أن النبي ﷺ:

((لو اطلع أحد في بيتك، ولم تأذن له، فخذفته بحصاة ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح))

(متفق عليه)

وقد شرح بعض علماء الحديث هذا الحديث، على أنه تبيانٌ من النبي ﷺ لعِظم هذه الخطيئة، أن تنظر إلى امرأة في بيت جارك، من خلال ثقب تتلصص.

فوائد غض البصر:

1 – تخليص القلب من ألم الحسرة:

أيها الإخوة الكرام... ومن فوائد غض البصر تخليص القلب من ألم الحسرة، فإنه من أطلق نظره دامت حسرته.

2 – توريث القلب نوراً:

ومن فوائد غض البصر أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه.

3 – توريث صحة الفراسة:

ومن فوائد غض البصر أنه يورث صحة الفراسة، فإنها من النور ومن ثمراته، قال بعض العلماء: " من عمَّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال، لم تخطئ فراسته ".

4 – فتحُ طرق العلم وأبوابه:

ومن فوائد غض البصر أنه يفتح لك طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليك أسبابه، وذلك بسبب نور القلب فإنه إذا استنار القلب ظهرت فيه حقائق المعلومات، ومن أرسل بصره تكدَّر عليه قلبه وأظلم، والبيتان المشهوران اللذان تعرفوهما جميعاً:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأنبأني بأن العلم نــورٌ ونور الله لا يهدي لعاصي

* * *

5 – توريث قلب المؤمن الثباتَ والشجاعة:

وأنه من فوائد غض البصر أنه يورث في قلب المؤمن الثبات والشجاعة، قال بعضهم: " الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله ".

6 – تخليص القلب من أثر الشهوة:

ومن فوائد غض البصر أنه يخلص القلب من أثر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، تعس عبد الدرهم والدينار، تعس عبد الفرج، تعس عبد البطن، تعس عبد الخميصة، بالمقابل وسعد عبد الله، ومتى أسرت الشهوة القلب تمكن منه عدوه، وسامه سوء العذاب، وصار..

كعصفورةٍ في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

* * *

7 – تقوية العقل وتثبيته:

ومن فوائد غض البصر، أنه يقوي العقل ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، ولا أدل على ذلك من قول ربنا ﷻ على لسان سيدنا يوسف:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

(سورة يوسف)

8 – تخليص القلب من ذكر الشهوة:

ومن فوائد غض البصر، أنه يخلِّص القلب من ذكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة.

9 – توريث محبة الله:

ومن فوائد غض البصر أنه يورث محبة الله، قال مجاهد: " غض البصر عن محارم الله يورث حب الله ".

10 – توريث الحكمة:

ومن فوائد غض البصر أنه يورث الحكمة، من غض بصره عن محرم، أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهدي بها سامعيه.

11 – تفريغ القلب للاشتغال بالمصالح الدنيوية والأخروية:

ومن فوائد غض البصر أنه يفرغ القلب للتفرغ في مصالحه الدنيوية والأخروية، قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: رجل تاب وقال لو ضرب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية الله إلا أنني لا أدع النظر، فقال: أي توبة هذه ؟

((سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فقال: اصرف بصرك))

(رواه الإمام مسلم)

أسباب إطلاق البصر:

1 – اتباع الهوى وطاعة الشيطان:

أيها الإخوة الكرام، لعل من أسباب إطلاق البصر اتباع الهوى، وطاعة الشيطان، أو الجهل بعواقب النظر، وأنه قد يؤدِّي إلى الزنا، فقد ورد أن رجلاً نظر إلى امرأةٍ غير مسلمةٍ، فأعجب بها، فما زالت تحمله على أن ترك دينه.

2 – الاتكال على عفو الله:

ومن أسباب إطلاق البصر الاتكال على عفو الله..

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾

(سورة الحجر)

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾

(سورة الزمر: من آية " 53")

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾

(سورة الزمر)

3 – انتشار الفضائيات:

ومن أسباب إطلاق البصر أن ترى ما في العالم من فضائيات، وهذا ينقلك إلى النساء الكاسيات العاريات.

4 – العزوف عن الزواج:

من أسباب إطلاق البصر العزوف عن الزواج، يقول عليه الصلاة والسلام:

((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج))

(من الدر المنثور: عن " ابن مسعود ")

5 – ارتياد الأماكن المختلطة:

ومن أسباب البصر كثرة التواجد . وإن كانت ليست صحيحة لغوياً . كثرة التواجد في الأماكن التي يختلط فيها الرجال بالنساء، كالأسواق وما تبع ذلك.

6 – وجود لذة كاذبة:

من أسباب إطلاق البصر وجود لذة كاذبة يشعر بها الناظر في نفسه، وهي من آثار الغفلة عن الله عز وجل.

7 – تبرج النساء :

من أسباب إطلاق البصر تبرج النساء في الشوارع والأسواق، وكثرة التعامل مع النساء، سواء أكان في بيع أو شراء أو عمل أو غيره.

أيها الإخوة الكرام... هذه أسباب واقعية لإطلاق البصر، ولكنها ليست مبررةً شرعاً.

أسباب غض البصر:

1 – تقوى الله:

من أسباب غض البصر تقوى الله عز وجل والخوف من عقابه.

2 – التخلص من أسباب إطلاق البصر:

التخلص من جميع الأسباب التي ذكرنا أنها تؤدي إلى إطلاق البصر، التخلص من كل هذه الأسباب.

3 – معرفة أن إطلاق البصر يؤدي إلى الأسف والحسرة:

عرفة أن إطلاق البصر يؤدي إلى الأسف والحسرة، من أطلق طرفه، طال أسفه.

4 – معرفة أن زنى العين النظر:

عرفة أن العينين تزنيان وزناهما البصر.

5 – القيام بحقيقة الشكر:

لقيام بحقيقة الشكر لأنه من تمام شكر النعمة ألا تعصي الله بها، العين نعمة، من تمام شكرها ألا تعصي الله بها.

6 – الصوم:

من أسباب غض البصر الصوم، سبب قويٌ في غض البصر بتوجيه النبي عليه الصلاة والسلام.

7 – التسلي عنه بالمباح:

من أسباب غض البصر التسلي عنه فيما أباح الله لك..

((إن المرأة تُقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه))

(رواه مسلم)

يقول الإمام النووي: " المرأة تذكِّر بالهوى والفتنة والشهوة، لذلك لا ينبغي أن تختلط بالرجال إلا لضرورة، وينبغي للرجل أن يغض بصره عنها وعن ثيابها " هذا ورد في شرح صحيح مسلم.

8 – الدعاء:

ومن أسباب غض البصر الدعاء، يقول عليه الصلاة والسلام:



((اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي))

(رواه أبو داود)

9 – الخوف من سوء الخاتمة:

أيها الإخوة الكرام... ومن أسباب غض البصر الخوف من سوء الخاتمة، والتأسُّف عند الموت.

10– صحبة الأخيار:

من أسباب غض البصر صحبة الأخيار وصحبة الصالحين، لأنك تتأثر بعفَّتهم، وتحب أن تكون مثلهم، فإن الطبع يُسْرَق من خصال المخالطين، والمرء على دين خليله، لو صاحبت من يطلق بصره لتدرَّجت شيئاً فشيئاً إلى هذه المعصية، ولو صاحبت من يغضُّ بصره، لتدرجت شيئاً فشيئاً إلى هذه الطاعة.

أيها الإخوة الكرام... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَكَ الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

شيوع معصية لا يجعلها مباحة

أيها الإخوة الكرام... هذا الذي ذكرته لكم في الكتاب والسنة الصحيحة، وأقول لكم هذه الحقيقة: شيوع معصيةٍ لا يقلبها إلى طاعة، شيوع معصية لا يجعلها مباحة، شيوع معصية لا يلغي عقابها، دققوا، شيوع المعصية لا يقلبها إلى مباحة، شيوع المعصية لا يقلبها إلى طاعة، شيوع المعصية لا يلغي عقابها، كما أن ندرة الطاعة لا تلغي فضلها، هذا أمر الله يقول الله عز وجل:

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

(سورة الزمر)

غض البصر حكم في استطاعة الإنسان:

وحينما تقول: لا أستطيع، إنك ترد القرآن الكريم، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾

(سورة البقرة: من آية " 286")



وخالق الإنسان، الخبير، هو الذي يعلم وسعك لا أنت، أنت إن قلت: لا أستطيع، كلامك مردود، ولكن الله يقول:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾

(سورة البقرة: من آية " 286")

هذا من وسع النفس، وحينما تتلمس ثمرات غض البصر، وتعيش قريباً من الله، إنك في اليوم الواحد تصلي خمس أوقات، لكنك إن سرت في الطريق تعبد الله في كل غض بصر، وقد تغض بصرك في الطريق مئات المرات، بل عشرات مئات المرات هي عبادةٌ مستمرة، والله سبحانه وتعالى بطريقةٍ لا أعرفها، حينما تغض بصرك عن النساء اللواتي لا يحللن لك، يوفّق الله بينك وبين زوجتك، وتراها في نظرك شيئاً ثميناً، هذا من فِعل الله الخفي الذي لا تعرفه، لا تعرف كيف يتم، ومن عقوبات إطلاق البصر، فساد العلاقة بين الزوجين، هذه من خَلق الله، ألم يقل أحد العلماء: " أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي " يجعلها لينةً مطواعة، ويجعلها شرسة قاسية، فما دمت تطيع الله فيما بينك وبينه في شأن النساء، لابد من تكافأ، والله أعلم، ولكن الله يكافئك في أرجح الظن بشيء من جنس طاعتك، وهو حسن العلاقة مع الزوجة.

مقدمة عن غض البصر من الناحية العلمية:

أيها الإخوة الكرام... هناك موضوع علمي .

أيها الإخوة، شيءٌ واضحٌ جداً أن ترى أن الذي خلق الإنسان هو الذي أنزل القرآن، وكمثلٍ صارخ هذا الغشاء الذي تعرف به الفتاة ما إذا كانت طاهرةً عفيفة، أو ما إذا كانت زانية، ليس له أية وظيفةٍ فيزيولوجية إطلاقاً، إن مهمته اجتماعية، فالذي حرم الزنا هو الذي خلق هذا الغشاء، هذه واحدة.

بعض الغدد تلتهب، وتتضخم عند عدم الزواج، فكأن الذي خلق هذه الغدة وصممها تصميماً دقيقاً، هو الذي أمر بالزواج، هذه مقدمات.

الإنسان يأكل في اليوم ثلاث وجبات أو وجبتين فقط، أما هذا الذي يأكل باستمرار هذا نشأ عنده أمراضٌ لا حصر لها، لأن أصل هذا الجسم مصمم على أكل وجبتين أو ثلاث، فمَن أكل أكثر من ذلك تحمل من متاعب مرضية ما لا يعد ولا يحصى، هذه تمهيدات إلى موضوع الجنس.

أثر النظرة على تبدلات الجسم

الإنسان حينما ينظر إلى امرأةٍ، ويعيد النظر، هذه النظرة شبهها بعض الأطباء كالضغط على زناد السلاح، ضُغِطَ على الزناد .



الآن ستجري مجموعة أعمال، من هذه التبدلات سوف تنطلق هرمونات جنسية تجوب أنحاء الجسم، هذه الهرمونات الجنسية تبدِّل ضربات القلب، وتوسِّع الأوردة المُحيطية، وتضيّق الشرايين المتوسطة والصغيرة، وترفع ضغط الدم، هذه الهرمونات الجنسية تصل إلى البروستاتة، فيغلق طريق البول، ويفتح طريق الخصيتين، وتنطلق مادةٌ مطهّرة، ومادةٌ معطرة، ومادةٌ مغذِّية هذا هو المذي، ثم يجري في تبدلٌ في كيمياء الدم، وهناك تغيرات لا مجال إلى ذكرها على هذا المنبر، يعني حينما يطلق الإنسان بصره النظرة تلو النظرة، تجري في جسمه تفاعلاتٌ معقدةٌ جداً، أحدها تبدُّل ضربات القلب، ثانيها ارتفاع الضغط، ثالثها توسع الأوردة المحيطية، رابعها تضيّق الشرايين المتوسطة والصغيرة، خامسها تبدل في كيمياء الدم، سادسها شيء متعلق بالبروستاتة، من أجل أن تتم هذه العملية ويتم اللقاء الزوجي، ويحافَظ على النوع البشري، هذا أصل التصميم.

إلى هنا الأمر طبيعي جداً.

أما حينما يطلق الإنسان بصره طول النهار، ما الذي يحصل ؟ قال: يحصل أن هناك هرمونات جنسية تجوب أنحاء الجسم باستمرار، كمن يأكل باستمرار، فالذي يطلق بصره باستمرار عنده هرموناتٌ تجوب أنحاء جسمه عبر الأوعية الدموية.

الآن يقول الله عزَّ وجل:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

(من سورة النور: آية " 30 ")

ماذا يفعل السهم المسموم في الجسم:

العلماء قالوا: أزكى أي أطهر، ويمكن أن يكون المعنى أنفع وأطيب، إما أن يكون أزكى لهم الطهر من الذنوب، أو الوقاية من الأمراض والعيوب. فعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((النظرةِ سهمٌ مسموم من سهام إبليس، من تركها من خوف الله تعالى، أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه))

هذا حديثٌ صحيح الإسناد.

وفي روايةٍ أخرى:

((النظر سهمٌ مسمومٌ من سهام الشيطان، من تركها مخافتي، أعقبته عليها إيماناً يجد حلاوته في قلبه))

أيها الإخوة... السهم إذا دخل في الجسم خطرٌ جداً، أما إذا كان مسموماً خطرٌ جداً، فهذا السم يسري إلى كل أنحاء الجسم، أما إذا كان سهماً فقط قد يتلف مكاناً معيَّناً، أما حينما يكون السهم مسموماً يسري السم إلى كل أنحاء الجسم.

النبي قبل أربعة عشر قرناً عليه الصلاة والسلام بين مخاطر النظرة التي تتبع النظرة، فالنظرة بمثابة ضغطٍ على الزناد، الذي تبدأ بسببه سلسلةٌ من التفاعُلات، والإفرازات الهرمونية الجنسية المعقدة، التي لها تأثيراتها على كل عضوٍ بل على كل خلية، والتي تهيئ الجسم لعملية الاتصال الجنسي، لتؤدي مهمتها في استمرار النسل، كل هذا يجب أن يتم في وقتٍ محددٍ، أما إذا استمر انطلاق هذه الهرمونات في الجسم من دون تفريغٍ لهذه الشحنة، هذه تؤدي إلى مضاعفاتٍ خطيرةٍ في الجسم.

علاقة النظر بالهرمونات:

أيها الإخوة الكرام... عثرت في موقعٍ معلوماتي على موقعٍ علمي يعبِّر عن خلاصة بحثٍ مضى على البدء به عشرون عاماً، وتوصَّل هذا البحث إلى هذه النتائج:

هذه الهرمونات التي تجري وتجول في جسم الإنسان طول النهار، لأن طول النهار يطلق بصره في الحرام، حتى إذا كان في مكتبٍ هناك امرأةٌ تعمل في المكتب، وهناك عريٌ، وهناك تفلتٌ، وهناك إبراز مفاتن، وهناك خلوةٌ، وهناك حديثٌ جنسيٌ، وهناك مجلةٌ.. إلخ.

أيها الإخوة... النبي الكريم لا ينطق عن الهوى، نهى عن إتباع النظرة النظرةَ، نهى عن تبرُّج النساء، نهى عن تعطُّر المرأة إذا خرجت من بيتها، نهى عن الخلوة بالأجنبية، نهى عن المصافحة، نهى أن تمتنع المرأة عن فراش زوجها، هذا كله من أجل الوقاية من أمراض لا تعد ولا تحصى.

الهرمونات سموم:

الآن إلى التفصيلات:

أيها الإخوة... كيف أن الأفعى إذا لدغت إنسان قد تميته، السبب العلمي أن هذا السم يوسع الأوعية إلى درجة غير مقبولة، فيهبط الضغط، فيموت الإنسان، الآن يؤخذ من سم الأفعى دواء فعَّال جداً لتوسيع الشرايين والأوردة، إذاً حينما تتوسع الأوردة والشرايين توسُّعاً غير مقبول هذا قد يؤدي إلى الموت، هذه الهرمونات سمَّاها الباحث (سموماً)، السم بقدرٍ محدودٍ منه جيد، أما بقدرٍ واسعٍ خطير.

ما الذي يحدث ؟ أول ظاهرة أنه تظهر رائحةٌ كريهةٌ جداً في الإبطين والقدمين، من أثر دورة هذه السموم طول النهار، الأصل وجبة طعام، لها وقت محدد، أما مادام في إطلاق بصر، ومجلاَّت، ومشاهد، وأفلام، وسكيرتيرات، ونساءٌ كاسياتٌ عاريات، وخلوةٌ بالأجنبيات، وحديثٌ جنسي، هذا يؤدِّي إلى دورة هذه الهرمونات التي هي سموم طوال النهار.

نتائج الإدمان على النظر:

1 – أعراض مرضية:

أول ظاهرة: ظهور رائحةٍ كريهةٍ في الإبطين والقدمين، توسع فتحات الغدد العرقية والدهنية في الكعبين وأسفل القدمين وفي المؤخرة، وهذا يسبب بعض البواسير، توسع الفتحات الدهنية في الوجه، وهذا يسبب حَب الشباب من دورة الهرمونات، دوران هذه الهرمونات الجنسية، وهي بمثابة السموم، ولا سيما عند تهيجها لحدٍ أكثر من المتوسط يسبب داء الشقيقة، أو الصداع النصفي الذي لم تعرف له أسبابٌ حتى اليوم فيما غير هذه الدراسة.

2– آلام المفاصل:

أما الشيء الكبير آلامٌ في المفاصل عامةً ، وفي المفاصل الكبيرة خاصةً، مفصل الركبة ومفصل الورك، يبدو أن هذه الهرمونات تقلل من لزوجة السائل الذي بين العظام، وهذا يدعو إلى جفاف هذا السائل، ثم إلى احتكاك العظام، ثم إلى آلامٍ مفصليةٍ لا تحتمل.

مفصل الركبة مثلاً، ومفصل الورك بسبب جفاف السائل، وفي المجتمعات الغربية، وفي سنٍ مبكرة يعانون من هذه الظاهرة، بسبب دوران هذه السموم في الجسم طوال النهار، هناك موظفان في سيرك في بريطانيا، في الثلاثين أصيبا بحالاتٍ حادةٍ في مفاصلهما، وليس هناك سبب مقنع إلا الإثارة الجنسية المستمرة.

3 – آثار النظر على القلب والأوعية:

أما في مجال القلب والأوعية: هبوطٌ في ضربات القلب أو تسرعٌ بها، بطءٌ في الدوران، جلطةٌ وريديةٌ محتملة، وهذا منتشر في المجتمعات المتفلتة، في الشرايين ؛ تتوسع الشرايين توسعاً مستمراً، مما يفقدها مرونتها، وعندئذٍ ومع تبدُّل كيمياء الدم يؤدي هذا إلى تصلب الشرايين، وهو مرض العصر الأول، المرض المميت الأول تصلب الشرايين.

4 – خطر الجلطة الدهنية:

أيها الإخوة الكرام... ثم إن هذه السموم التي تجوب في أنحاء الجسم، تسبب جلطةً دهنيةً، إذا ترسَّبت في مكان معين أورثت عمىً، أو كساحاً، أو شللاً، أو جنوناً، أو فقد ذاكرةٍ إلى ما هنالك، وهذه السموم إذا دارت طوال النهار في الجسم، تسبب ثقلاً في اللسان، وصعوبة في حركة اللسان داخل الفم، كما إنها تسبب إمساكاً، وهناك خمسون مرضا ينتج عن الإمساك من دورة هذه السموم طوال النهار. هذا الذي يطلق بصره طوال النهار في الحسناوات، وفي الغاديات الرائحات، ويتابع المسلسلات، ويقرأ المجلات، ويجلس جلساتٍ لا ترضي الله، هذه كلها أعراضٌ تصيبه.

5 – حصى المرارة:

ثم إن هناك بعض النتائج في حصى المرارة، هذا أيضاً من نتائج دورة هذه السموم، وأيضاً في بعض الحالات التي تزداد عن الحد المعقول يكون هناك تضخم للبروستاتة كبير جداً.

أيها الإخوة الكرام... هذه نتائج بحث طبيبٍ في مؤسسةٍ علميةٍ في دولةٍ عربيةٍ، وجدتها في موقعٍ معلوماتي، ولكن هذا مصداق قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس، فمن تركها مخافة الله عز وجل أورثه الله حلاوته في قلبه إلى يوم يلقاه))

(من الجامع لأحكام القرآن)

إن توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ليس من عنده..

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

(من سورة النجم)

إنّ ربّك حكيم عليم

أيها الإخوة... مستحيل أن يشرِّع الله شيئاً أو أن يحرم شيئاً إلا وله نتائج مذهلة، عرفها من عرفها، وجهلها مَن جهلها، نحن كمؤمنين نطبق أمر الله من دون أن نعلق التطبيق على فهم الحكمة، لكن حينما تكشف لنا الحكمة يزداد إيماننا بعظمة هذا التشريع، قال تعالى:

﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

(سورة الفتح من آية " 4 ")

الدعاء

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك. وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لما آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت لنا راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك، يا رب العلمين.

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، ولا تعاملنا تؤاخذنا بفعل المسيئين، يا رب العالمين. اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء، مولانا رب العلمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلي كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : قواعد اجتماعية تسهم في نجاح الحياة الزوجية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

بيوت المسلمين ليست كما ينبغي أن تكون:

أيها الإخوة الكرام، موضوع هذا الدرس يتعلق بالحياة الأُسرية، فبيوتات المسلمين ليست كما ينبغي أن تكون، أقصد ليست فيها السعادة التي وعد الله بها المؤمنين، وليس بين الزوجين تلك المودة والرحمة التي وردت في نص القرآن الكريم، ولا بين الزوجين المسلمين ما نقل إلينا عن رسول الله ﷺ فيما كان بينه وبين زوجاته من الودّ الطيب.

أول نقطة: حينما تصلح العلاقة الزوجية، ويكون البيت عشاً هادئاً سعيداً هذا ينعكس على الأولاد والعمل والزوجة، والذي يقطف ثمار هذا الود الذي وصفه الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم)

سبب اختيار الموضوع:

لعلكم تسألون: ما المنطلق الذي أنطلق به في هذا الدرس ؟ شكاوى عبر الهاتف، وعبر لقاءات شخصية لا تعد ولا تحصى، من أن هذا البيت مع أن الزوج ينتمي إلى مسجد، وهو من طلاب العلم، ومحسوب على المسلمين المؤمنين، ومع أن الزوجة تخاف الله عز وجل، ومع أن هوية الزوجين هوية إيمانية، لكن لا تجد بينهما هذه المودة التي ذكرها الله في القرآن الكريم، لو أردنا أن نطبق قوانين الود العامة قال تعالى:

﴿فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة المائدة)

مادام هناك تقصير في طاعة الله عز وجل فالناتج الطبيعي لهذا التقصير عدم الود بين الزوجين، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام في أكثر من حديث الشريف كما ورد في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول:

((... والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أحمد بسند صحيح]



لو تصورنا أن مؤمنين أخوين زوجين كلاهما على طاعة الله، وملتزمان أمام الله، ومطبقان لكتاب الله والسنة، نظرياً أصولياً قاعدياً مستحيل أن ينشأ بينهما خلاف ! إلا ما كان طفيفاً جداً في وجهات النظر، لكن هذا يدوم ساعة، أما الاختلاف العميق الذي نراه في البيوت فها هو الخطر.

واللهِ من كثرة ما يأتيني عبر الهاتف، ولقاءات شخصية من شكاوى من الزوجات أو من الأولاد هذا الذي حملني أن أخصص هذا الدرس للسعادة الزوجية.

ما الذي يحصل ؟ حينما كان في الخطبة كانت جنته وناره، يتصل بها، ويتكلم معها ساعات طويلة، ما باله بعد الزواج ؟ تفتر هذه العلاقة شيئاً فشيئاً إلى أن ينصرف كل واحد منهما عن الآخر، وقد لا يحتمل أحدهما أن يجلس مع الآخر، ما الذي حصل ؟

الحقيقة أن البارحة زارني أخ دعاني لحضور عقد قرانه، قال لي: انصحني، قلت: واللهِ النصيحة معقدة، لن تسعد بزواجك إلا إذا سعدتَ أنت بالله، إلا إذا عرفته، وأطعته، واتصلت به، وسعدت بقربه.

الآن إذا أخذت بيدها إلى الله، فعرفت ربها، وأطاعته، وسعدت بقربه الآن تسعدك، لأنها تترقب إلى الله بإسعادك، وأنت تتقرب إلى الله بإسعادها، لأنك تخشى الله أن تظلمها ، ولأنها تخشى الله أن تظلمك.

تصور زوجين كل منهما يخشى الآخر أن يظلم الطرف الآخر، وكل منهما يتقرب إلى الله بإسعاد الطرف الآخر، ما هذا الزواج ؟ لماذا هناك ثغرة ؟ في بداية الزواج شعلة، ثم تخبو شيئاً فشيئاً، ثم تنطفئ ؟ أليس من الممكن أن تستمر هذه الشعلة ؟ أنا الذي يصل إلى سمعي أن أسراً قليلة جداً بينهما ود وتراحم مستمر.

قواعد شرعية تسهم في السعادة الزوجية:

1 – تطبيق الزوجين لمنهج الله:

أيها الإخوة، أبدأ بالنواحي الشرعية، كلما طبق الإنسان منهج الله عز وجل في شأن زواجه، وفي شأن علاقته بزوجته كان الود أكثر، فتوجيهات النبي عليه الصلاة والسلام واضحة.

مثلاً قال للمرأة:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل الجهاد))

(الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي)

تصور الجهاد وهو ذروة سنام الإسلام، أعلى درجة في الإسلام أن تكون مجاهداً، وهذه المرأة التي تحسن رعاية زوجها، وأولادها هي في مرتبة المجاهد في سبيل الله، لكن بالتعبير الدارج لا يوجد امرأة تأخذ بهذا الكلام، لكن هذا كلام سيد الأنام، كلام حبيب الله، كلام سيد الخلق، وحبيب الحق، ومع ذلك هناك تقصير، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أكرموا النساء، فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

(ورد في الأثر)

2 – المعاشرة بالمعروف:

لو قرأت القرآن الكريم:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء)

ليست المعاشرة بالمعروف كما قال بعض المفسرين أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها، هذه المعاشرة بالمعروف، امرأة اشتكت لي زوجها القاسي قلت لها: صديقة النساء آسيا امرأة فرعون جعلها الله تحت طاغية جبار كافر، بل من أكفر كفار الأرض لماذا ؟ لتكون قدوة لأية زوجة شاءت حكمة الله أن يكون زوجها قاسيًا أو ظالمًا، لأن لديها أولادًا فعليها أن تصبر، فلو قرأت القرآن الكريم لوجدت فيه من القصص ومن العبر ما لا ينتهي مثلاً:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة)

أحياناً يسخر الإنسان من أهل زوجته، فإذا تكلمت امرأته كلمة في حق أهله أقام الدنيا، ولم يقعدها، لما هذا التميز ؟ كما أن أهلك تدافع عنهم، وتلتمس توقيرهم واحترامهم هي كذلك، فهذا المفهوم من بعض أحاديث رسول الله: أن عاملوا الناس كما تحب أن يعاملوك، هذا مقياس من أروع المقاييس، الشيء الذي يزعجك من زوجتك ينبغي ألا تفعله مع أهلها، الشيء الذي تأخذه عليها ينبغي ألا تفعله معها، هذه مقدمة.

طبعاً طاعة الله، الاتصال بالله أن يمتلئ القلب رحمة بالزوجة، هذا كله أسباب شرعية كافية لدوام الحب بين الزوجين.

قواعد اجتماعية تسهم في السعادة الزوجية:

لكن هناك توجيهات اجتماعية نفسية إن صح التعبير لو طبقناها لقطفنا ثماراً يانعة من العلاقة الزوجية، أنا سأشرح بعضها.

1 – السلام عند دخول البيت وتفقد الزوجة:

فمثلاً: عند عودتك إلى المنزل وهذه نصيحة، إنْ كان الزوج في عمله عند عودته إلى المنزل ابحث عن الزوجة، وسلم عليها بطريقة أو بأخرى، هناك مَن يدخل إلى البيت لشأن من شؤونه، وينسى أن في البيت زوجة، بعد حين تكتشف أنه في البيت ! هذه نصيحة لا تكلف شيئًا، لمجرد أن تدخل إلى البيت ابحث عنها، وسلم عليها، هي مركز ثقل في البيت، هي الأولى في البيت، أنت إذا دخلت لتقابل إنسانًا مهمًّا لا تهتم بالأثاث، تهتم أن تنظر إليه، وأن تسلم عليه بادئ ذي بدء، فحينما تعود إلى البيت، ويكون أول عمل لك أن تبحث عنها في البيت، وتسلم عليها بطريقة أو بأخرى، فهذه نقطة بسيطة جداً لكن لها معنى كبير.

أحياناً يقول الإنسان: لا تؤاخذني، كلمة قالها، لكن لها معنى كبير، إنسان يقول: أخطأت في حقك، سامحني، تنسيك كل الغضب، كل غضبك يتلاشى بكلمة واحدة، كلمة الحق مسعدة.

((إن الرجل ليتكلم الكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار))

(الترمذي)

لا يلقي لها بالاً، لو أن الرجل يتكلم بكلمة طيبة يعلو بها إلى أعلى عليين، فلو قال لك أحد: هذا الفتور الذي بيني وبين أهلي، هذا الجفاء والانصراف كل منهما ينصرف عن الآخر، ما علاجه ؟ أنا أؤكد لكم أن سعادة كل واحد فيكم ببيته لها أثر كبير جداً في عمله، ولها أثر كبير عندها وعند الأولاد، هناك أولاد ينشؤون نشأة كاملة، أو نشأة صحيحة، أحد أكبر أسبابها حسن العلاقة بين الأب والأم، أما الأولاد إذا نشؤوا على خصام مستمر بين الأب والأم فلهم مستقبل لا يرضي أحدًا، مآله إلى التمزق، هذا أبوهم، وهذه أمهم، وخلافات مستمرة بينهما. فأول ملاحظة: عند عودتك إلى البيت ابحث عنها أولاً، وسلم عليها، إشعاراً لها أنها أثمن ما في البيت، وأنها مركز الثقل في البيت.

2 – التماس العذر:

كما قلت قبل قليل: في أيام الخطبة قد تزيد المكالمة عن ست ساعات، لكن بعد حين لا ينطق في البيت بكلمة ! متعب، لكن ليس كل شيء ينبغي أن يكون مزاجياً، أحياناً المرأة لا تقدر عمل الزوج، يكون عمله شاقًا، وفيه

متاعب، وعقبات، وضغوط، وعليه دفع كثير، والدخل قليل، وهناك مشكلة في محله التجاري، وقضية مع التموين، وقضية مع الاستيراد، مثلاً، هو موظف، قضية مع موظف فوقه، عليه تضييق، فأحياناً يأتي الزوج مثقلا بالهموم، هذه الهموم التي أثقلته تحمله على أن يصمت، هي ليس عندها مشكلة، مرتاحة، تجده يكثر الصمت، فتنزعج.

التمس لأخيك عذراً، والزوج أولى أن يلتمَس له عذر، والزوجة أولى أن يلتمس لها عذر، لكن لا مانع، اسألها عن يومها بدقة، ماذا فعلت ؟ من زارك ؟ من اتصل بك ؟ هل هناك مشكلة عانيتِ منها ؟ فرضاً، هل هناك من مشكلة أزعجتك ؟ فالسؤال عن أحوال الشخص دليل مودة.

أحياناً تلتقي بإنسان فتقول له: كيف الصحة ؟ يقول: الحمد لله، العمل جيد ؟ الحمد لله، الأهل والأولاد بخير ؟ ابنك نجح ؟ ابنك الذي تزوج كيف حالته الزوجية ؟ هذه الأسئلة تجعل مودة كبيرة بينك وبين الشخص، معنى هذا أنك مهتم به كثيراً، بزوجته، بأولاده، بمستقبل أولاده، بزواج أولاده، بعمله التجاري، فحينما تكثر من السؤال مع الطرف الآخر هذا يمتّن العلاقة بينك وبينه، والزوجة في هذا أولى، فلو أنك دخلت إلى البيت، وبدأت دخولك بالسلام عليها، ثم ثنيت بسؤالها عن أحوالها، وعما جرى معها في اليوم، هذا أيضاً من باب المودة.

3 – الإنصات إلى الزوجة:



الحقيقة أن هذا الكلام أوجهه لكم ولنفسي، لست أنا مطبقاً له كله، حتى أكون معكم دقيقًا، حاول أن تنصت لها كثيراً، الإنصات أدب، أحياناً تحدثه زوجته وهو يقرأ الجريدة، أو يتابع على الكومبيوتر، أو يفتح كتاباً، ثم تملّ، من أصول المناقشة أن يصغي لها عندما تتحدث معه، هذه أيضاً تمتن العلاقة بين الزوجين، أن تحسن الإصغاء إليها، وأن تنظر إليها، وأن تدع ما بيدك، فحاول أن تنصت إليها وأن تسألها.

طبعاً هذا الدرس مجموعة قواعد بسيطة جداً لا تكلف شيئاً، لكن يمكن أن تسهم مادام ليس هناك أشياء كبيرة، مادام الزوجان مؤمنين طاهرين عفيفين مستقيمين ملتزمين، هذا الحديث لخاصة الخاصة، لزوجين يعرفان الله، ويخافانه، ويحبانه، ويسعيان لطاعته، فقد ينقضهما بعض الأشياء اللطيفة، النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال له بعض أصحابه:

((أن رجلاً كان عندَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، فمرّ رجلٌ فقال: يا رسول الله، إني لأحبُّ هذا، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: هل أعْلَمْتَهُ ؟ قال: لا، قال: أعْلِمْهُ، فلحقه فقال: إني أُحبك في الله، قال: أحبَّك الذي أحببتني له))

(الأذكار النووية للإمام النووي)

4 – التصريح بالحب والمودة:

فإذا كنت مقدّرًا شخصًا لمَ لا تعبر عن تقديرك ؟ إن كنت تحب شخصاً لمَ لا تعبر عن حبك ؟ ما الذي يمنعك ؟ ما الذي يمنعك أن تقول لها: إنني أحبك ؟ كانت السيدة عائشة تسأله: كيف حبك لي، ومتأكدة أنه يحبها، لكن ما مستوى محبته لها ؟ كيف حبك لي: قال:

((كعقدة الحبل، قالت: فكنت أقول له: كيف العقدة، فيقول: على حالها))

(تذكرة الموضوعات)

كان النبي الكريم زوجًا ناجحًا من الطراز الأول، وقد تسأل: هل من المعقول أن ينجح إنسان في بيته، وهو يقود أكبر دعوة إلى الله ؟ يمكن، نحن من تقصيرنا إذا نجح أحدنا خارج البيت يخطئ داخل البيت، وقد تجد إنسانًا ناجح جداً داخل البيت وليس له عمل خارج البيت، من السهل جداً أنْ تنجح بأحد الحقلين، لكن النبي الكريم نجح في كل الحقول، نبي مرسل يقود دعوة إلى الله، حارب قريش ثلاث حروب، يدير أمة، وفي بيته يقال له: كيف حبك لي ؟ يقول: كعقدة الحبل، وتسأله من حين لآخر: كيف العقدة ؟ يقول: على حالها.

إذاً قل لها: إنني أحبك، وأنت أغلى إنسان في حياتي، وقد أكرمني الله بك، وسعدت بقربك، لاحظ أنك لطيف جداً مع الآخرين، يأتي الضيف فترحب به أحلى ترحيب، تتواضع له، وتبش له، وتبتسم له، وتحلف عليه أن يأكل، ويرتاح، فإذا دخلت إليها لا تجد منك هذه المودة فتتألم، وهي أولى بمودتك، وأنا أحاول في هذا الدرس أشياء بسيطة جداً.

أقول مرة ثانية: إذا وجدت مخالفات شرعية كبيرة مهما طبقت من هذه النصائح فلن تجدي، إذا وجدت مخالفات شرعية كبيرة وتقصير في طاعة الله وعدم التزام، عين شاردة، أو متابعة لأعمال سخيفة على الشاشة، كل هذا خيانة زوجية، وأعمال منحطة، إذا وجد اهتمام بهذا الشأن الذي لا يرضي الله فهناك مشكلة لا تحل، وحينما تكون التغذية إسلامية فأنت قدوتك النبي الكريم، وأصحابه الكرام.

رجل تزوج امرأة بأمريكا، وهو يجلس معها، فذهبت، ولبست ثيابها، فسألها: إلى أين ؟ قالت: عندي موعد مع صديقي ! شيء طبيعي جداً، لم يتحمل، صبر في اليوم الثاني موعد ثانٍ، اليوم الثالث موعد ثالث، اليوم الرابع له فجلس معها ! هي تمشي بالعدل، فطلقها، تزوج امرأة مسلمة صالحة، وهي نائمة يقول: الله يحفظ لي، أنت كلك لي، حتى لا يطمعها، عندما جلس مع الأمريكية وجدها من الطراز الأول.

المخالفات الشرعية مانعة من الوفاق الزوجي:



إذا كان هناك مخالفات شرعية فلا تجد الود ولا المحبة، وأنا أقول دائماً في عقود القران: ما من زواج يبنى على طاعة الله ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه إلا ويتولى الله التوفيق بين الزوجين .

وما من زواج يبنى على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب نجاحه إلا ويتولى الشيطان التفريق بينهما، عرس كلّف ملايين بفندق، وهي على المائدة قال لها: أنت طالق، طالق، طالق، طلقها يوم العرس!

لأن الشيطان يدخل بينهما، أما المؤمنون فالله بينهما، يقولون: فلان شيطاني، وفلان رحماني، الزوج الرحماني رحيم لطيف حكيم، في قلبه شفقة، يخاف الله، والزوجة الرحمانية أيضاً تخاف الله، وتعطف على زوجها، أروع ما في الآية الكريمة:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم)

المودة واضحة، الرحمة ؟ المودة سلوك يعبر به عن الحب، والابتسامة مودة، لكنها منطلقة من محبة في القلب، والهدية مودة، أما الرحمة فقد تتقطع أسباب المنفعة بين الزوجين، كزوج مريض تخدمه زوجته سنوات طويلة، قد تمرض الزوجة فلا ينتفع بها كزوجة إطلاقاً، لكن يحفظ عهدها، ويرعى شأنها إلى أمد طويل، فهذا الزواج هو مبني على المودة والرحمة معاً، أو على كليهما، أما إذا فَقَد أحدهما كان الآخر، لو فقدت المودة كانت الرحمة، لذلك قالوا: زوّج ابنتك للمؤمن، إن أحبها أكرمها، فرضاً . لا سمح الله ولا قدر . وإن لم يحبها لم يظلمها، كلمة: إنني أحبك، أنت أغلى مَن في حياتي، أكرمني الله بك، مَن أنا لولاك ؟ فرضاً، هذا كلام طيب، هو واقعي، الإنسان مفتقر لزوجة شئت أم أبيت، إذا سافرت زوجته لأمرٍ قاهر، أو سافر هو يعرف قيمتها تماماً في كل شيء.

5 – شكر الزوجة عمل زوجها وشكر الزوج عمل زوجته:

ملاحظة أخرى، اشكر لها عندما تؤدي عملاً، الطبخ طيب معتنى به جداً، ينبغي أن تذكر ذلك.

﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

(سورة البقرة)

البيت نظافته درجة أولى، شيء يلفت النظر، ينبغي أن تذكر هذا، البيت مرتب، وفي الحديث الشريف رواية:

((إن نظرت سرتك))

وليس إليها، والمقصود إذا نظرت إلى المطبخ سرتك، إن نظرت إلى غرفة النوم سرتك مرتبة، إن نظرت إلى أولادك ثيابهم نظيفة سرتك، إن نظرت لمائدتك سرتك، هناك تنظيم على المائدة، إن نظرت إليها سرتك، أو إن نظرت سرتك، اشكرها حينما تؤدي عملاً طيباً، إن دخلنا البيت نبحث عنها، ونسلم عليها أولاً، وإن تكلمت نصغِ إليها، وإن لم تتكلم نسألها عن شؤونها وأحوالها، وإن أبدت عملاً طيباً نشكرها على عملها، ومن حين لآخر عليك أن تقول: إنك تحبها، مرتين في اليوم، وليس بالسنة مرة، نصيحة بعض علماء النفس مرة في اليوم، ذكرها بفضلها.

مرة زارني أخ يزمع أن يطلق زوجته، فأنا في الحقيقة استدرجته، وقلت له: هل تخونك ؟ قال: أعوذ بالله ! ما هذا الكلام ؟ ! ارتعب من أعماقه، هل هي قذرة ؟ قال: لا والله، إنها نظيفة يا أستاذ، أريد أن أستدرجه ليذكر ميزاتها دون أن يشعر، تخونك ؟ أعوذ بالله، عفيفة جداً طاهرة، قذرة ؟ لا والله نظيفة جداً، طبخها ممتاز، فهو خجل، وجد أنه ذكر عن عفتها، وعن نظافتها، فذهب.



والله مرة شهد الله، وأنا أعدها من آيات الله الدالة على عظمته في درس من دروس الفجر، كالعادة أعطي من رياض الصالحين، أفتح الكتاب لا على التعيين، بالعادة أمشي بالتسلسل، أحد الأيام لا أدري ما السبب فتحته لا على التعيين، جاء الموضوع عن الزواج، أنا شعرت نفسي أن هناك مددًا إلهيًا عجيبًا، معاني دقيقة جداً بشكل رائع، درس بالتعبير العامي غير عادي، أنا لا أعرف ما الذي حدث، أولاً: اخترت حديثًا اختيارًا عشوائيًّا، وكان الشرح عميقًا جداً، يبدو أن هناك عاطفة صادقة، خرجت من الجامع، فوجدت رجلا يقف، فضمني وقبّلني، قال: أنا اليوم كنت سأطلق زوجتي، وعلى إثر الدرس ألغيت الطلاق ! فالله عز وجل ألهمني، أنا شعرت بمدد عجيب من الله عز وجل، معاني دقيقة، وعاطفة صادقة، وشرح دقيق، فلما خرجت عرفت السبب، كان هناك رجل على وشك أن يطلق زوجته، فهذا الدرس منعه من طلاقها.

عندما تعد المرأة الطعام امدح طهوها، أيضاً هذه ملاحظة، القمصان كلها مكوية ونظيفة، والمطبخ درجة أولى، البيت مرتب، والأولاد مرتبون، ونائمون في وقت معين، يكتبون وظائفهم، وتابعتهم، يجب أن تمدح عملها، ثم إذا قدمت لك طعاماً طيباً ينبغي أن تمدح طعامها.

6 – تزين المرأة لزوجها:

الآن أكثر الأزواج يشكون أن زوجته لا تتزين له، تهتم بزيارة أو باستقبال، أو بشيء، لكن لو تزينت لك هل تذكر ذلك أنت ؟ ولا كلمة، أحياناً تتزين، تتجمل، تعتني، ترتدي ثيابًا جديدة، تزين وجهها، ولا كأنه يوجد شيء، فعلى الإنسان أن يكون منتبهاً، هناك اهتمام بالمظهر، ينبغي أن تثني على اهتمامها بمظهرها، هذا تشجيع لها، وأنا أرى في هذه الأيام بالذات اهتمام الزوجة بمظهرها وقوامها وثيابها جزءًا كبيرًا من عبادتها، لأنها بهذا تحصن زوجها، أما إذا أهملت، ولبست لباس المطبخ، بها روائح الأكل، وشعرها مضطرب بقوة، هي زوجة مخلصة، لكن لم تعد زوجة تسعد زوجها أو تحصنه من أن ينتظر لغيرها، فعناية الزوجة بمظهرها وأناقتها وقوامها، أقول قوامها لأنه أحياناً لا يكون عناية بالقوام أصبح مشكلة كبيرة، إهمال لقوامها لم تعد مقبولة عنده، تجده يبحث عن غيرها، هذا الإنسان غير الملتزم يبحث عن وسائل متعة أخرى ينصرف عنها، فعناية المرأة بمظهرها وقوامها وأشيائها التي تحببها لزوجها جزء من دينها، بل إن الصحابيات الجليلات كن يستأذن أزواجهن قبل النوم: ألك بي حاجة ؟ إن كان له بها حاجة فأداء حاجته فوق كل عباداتها ! إن قال: لا، تنصرف إلى قيام الليل.

هناك نقطة دقيقة، البيت غير المرتب مزعج جداً، وهناك أزواج قد يكون عندهم أشغال فوق التصور، لكن أي شيء يخلعونه يدعونه في مكانه، فالبيت مضطرب، لا يكفيها الوقت لتهتم بتنظيم البيت كله، تجد في البيت فوضى، يقول هنا: دع أشياءك في مكانها الصحيح، ولا تنتظر أن تقوم هي بذلك، إذا وضع إنسان حاجاته في أماكنها خفف عبئًا كبيرًا عن الزوجة، أما أربعة أولاد، وأبوهم، والكل يسبب الفوضى، وهي لا تستطيع تنظيم ذلك لعدم كفاية الوقت ! يكون رد الفعل إهمالا شديدًا، تجد البيت مخيفًا.

والله دخلت بيتًا غير معقول أبداً، الحذاء على الطاولة، رأيت شيئًا لا يصدق، سبعة أولاد لم يربوا تربية جيدة، والأب مهمل معهم، والزوجة ملّت، فهذه مشكلة، لكن دع أشياءك في مكانها الصحيح، ولا تنتظر أن تقوم هي بذلك، إذا وضع كل إنسان حاجاته في أماكنها خفف عبئًا كبيرًا عن الزوجة.

7 – مساعدة الزوجة في حال التعب والمرض:



ملاحظة أخرى، إذا بدت يوماً متعبة أو مشغولة فاعرض عليها مساعدتك بتأدية بعض الأعمال، أحياناً ترتيب غرفة، إعداد العشاء مثلاً، والحقيقة أن هناك تقصيرًا من الأزواج جميعاً، أما لو أنك من حين لآخر ساعدتها ببعض الأعمال فهذا شيء لا ينسى، وكان عليه الصلاة والسلام في خدمة أهله.

أحياناً يكون في البيت أماكن تحتاج ليد قوية، وجهد كبير، فإن قمت في بعض الأحيان بمساعدتها في البيت فهذا يعمق المودة بينكما.

8 – مصاحبة الزوجة إلى نزهة شرعية:

أخرجها للتنزه معك ولو لوقت قصير من حين لآخر، الرجل يخرج من البيت، يتنشط، يلتقي بأصدقاء، يركب سيارة، يدخل معملا، أو متجرًا، عنده احتكاك، هي في البيت جالسة، أول يوم، ثاني يوم، سابع يوم، أول جمعة، ثاني جمعة، ثالث جمعة، ثم تنفجر، هي روح أيضاً، فأحياناً النزهة المتواضعة . أنا لا أقول: نزهة غالية جداً . في أيام الزهر خذها إلى الغوطة فرضاً، أو تأكلون خارج البيت، هذه النزهة من حين لآخر تعطي قوة دفع في الأسرة كبيرة جداً، والآن في ضغوط الحياة الشديدة جداً أنا أعرف إخوانًا كثيرين موضوع نزهة لا يدخل في حساباتهم إطلاقاً كل حياتهم، في البيت زوجة، في هذا البيت، في الغرفة، في المطبخ، أول سنة، ثاني سنة، ثالث سنة، رابع سنة، ثم تضجر، وقد قيل: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلّت عميت، فالأولاد والمرأة يتنشطون، أنا أقول: نزهة إسلامية، لا يوجد فيها اختلاط، أو غناء أو مطاعم، بمكان طبيعي جميل بعيد عن الناس، معك أكلك، ولو كان مكانًا قريبًا.

والله مرة أخ من إخواننا قال: زوجتي تضجر كثيراً، ولا تريد أن تبقى معي، وتحب أن تجلس مع إخوتي، شيء لا يصدق، لم تكن هكذا، فسألته، قال: من أربع سنوات لم أصحبها إلى نزهة ! فنصحته أن يأخذها إلى نزهة طويلة، وإلى مكان بعيد، فحلّت المشكلة نهائياً، إذاً هناك حاجة للتنزه أحياناً، وفي هذه الأيام ضغوط العمل، بيوت غير صحية، بيت طابق مثل العلبة، حلت فيه ضجر.

والله أعرف أشخاصًا يقولون: تناولنا العشاء بالجبل، هناك أماكن بعيدة نائية لا ازدحام فيها، كلها ربع ساعة مثلاً يمكن أن تأتي نوعًا من النشاط، النزهة جزء من حياة الأسرة السعيدة، أنا ما أدعوك أن تتكلف، بل بأقلّ حد ممكن.

هناك كثير من الأزواج، وهو في عمله يخبر زوجته مرة أو مرتين، هل من شيء غير طبيعي ؟ يلزمك شيء، تريدين شيئًا ؟ ماذا تفعلين ؟ فرضاً، هذه تسبب ودًا كبيرًا، وأنت في عملك لا تنسَ زوجتك، اتصل بها من حين لآخر لتسألها عن أحوالها، أو لتشاركها شيئاً ما.

9- إخبار الزوج زوجتَه عن تأخره:

إذا كنت ستتأخر فاتصل بها لتخبرها، والله هناك كبير يمكن أن يكون عندك موعد عشاء سيمتد إلى الواحدة، وهي تنتظر، لم تأكل بعد، هذا شيء يحطم الأعصاب، إذا اتصلت أنك متأخر، وكان الأمر طاهرًا فهذا شيء، وإن كانت أشياء طفيفة جداً.

أنا بدأت بالدرس أن الأمور الكبيرة مطبقة، زوجان مؤمنان ملتزمان يحبان الله عز وجل يطيعانه، أما في الأمور الصغيرة فهناك تقصير، العلاقة تفتر .

10 – سؤال الزوج زوجته قبل خروجه من البيت:

قبل أن تخرج من البيت قل لها: هل تريدين شيئاً تأتيها به ؟ أيضاً هذا كلام لطيف.

11 – منح الزوج زوجته عشرين دقيقة للانتباه الكامل:

امنحها عشرين دقيقة من وقتك تنتبه إليها بكليتك من دون أن تكون على عجلة من أمرك، ولو باليوم عشرون دقيقة تنتبه لحديثها، دون أن تكون مشغولاً بشيء، هذا مما يمتن العلاقة بينك وبينها.

12 – تقبل عذرها:

تقبّل بهدوء تأخرها عن الاستعداد للخروج، قد تتأخر في نزهة، تبدأ بمشكلة، كلام قاس، النزهة كلها تعطلت، فالإنسان بقدر الإمكان يطبق هذه التعليمات.

13 – التعاطف معها عند الشعور بالضيق:

أيضاً تعاطف مع مشاعرها عندما تشعر بالضيق، كلمة: والله معك حق حسنة.

مرة أحد القضاة جاءه متخاصمان، فأول خصم حكى كلامًا مقنعًا، قال: والله معك حق، تكلم الآخر وقال له: معك حق، وكانت زوجته تجلس خلف الستار، فقالت له: ما هذا الحكم يا فلان ؟ قال: والله معك حق !

أحياناً هي معها حق، وأنت معك حق، هي مرهقة جداً تجلس وأنت جئت محطماً، الحياة صعبة جداً، الآن الذي يستطيع أن يؤمن مصروفه ليس قضية سهلة، المتطلبات كبيرة جداً، والأعمال غير ميسورة، وفرص عمل غير موجودة، والنفقات كبيرة، فالزوج معه حق أحياناً وهي معها حق، فإذا عبرت عن ألمها فتعاطفْ معها، وشاركها آلامها.

13 – المفاجأة بالهدية:


الهدية من حين لآخر توطد العلاقة بين الزوجين

أيضاً فاجِئها بهدية صغيرة من وقت لآخر، ليست العبرة بقيمة الهدية ولكن بمعناها بهدية صغيرة من وقت لآخر باقة ورد شيء بسيط من حاجاتها كهدية.

إن كانت مريضة فاسألها عن حالها وتطور مرضها، وذكرها بموعد الدواء هذا اهتمام كبير بها، وإذا جرحت مشاعرها فاعتذر لها، والاعتذار مناسب جداً، أنني أخطأت وسامحيني، إذا ذكرت كلمة قاسية وجرحت بها مشاعرها فاعتذر.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون في بعض القواعد التي شرحتها لكم عوناً على أن تكون المودة والرحمة بين الزوجين.

القاعدة العامة في التعامل بين الزوجين:

والقاعدة العامة أيها الإخوة، يجب على الزوج أن يخطو نصف الطريق، والزوجة نصف الطريق، لكن لا يوجد إنسان مهمل مقصر سيئ، وينتظر من الطرف الآخر أن يأتي إليه، هذه مشكلة المشاكل، خطوة منك وخطوة منها تلتقيان في وسط الطريق، أما إذا لم تقدم شيئًا، وتنتظر منها كل شيء فهذا مستحيل، لا تقدمِين شيئاً، وتنتظرين منه كل شيء، هذا غير صحيح.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الدرس سبب في إشاعة المودة والرحمة بين الزوجين، وأنا والله مثلكم أستمع لهذه النصائح، وسأطبقها إن شاء الله، لعلي أنا أيضاً مقصر، والإنسان في بيته يأخذ حريته أحياناً، لكن هذه لها مضاعفات غير جيدة، والحمد لله رب العالمين.

سؤال:

تقول زوجة: إنها تطبق تسعين بالمئة مما تقول يا سيدي، ولكنني مللت الكلام، أريد أن تؤكد حبك لي بأن تشتري لي، وتأخذني إلى النزهات، غير أنني من ذوي الدخل المحدود، فما العمل ؟

نصيحة لسائل:

والله أن تصبر امرأة على دخل زوجها المحدود هذه مجاهدة في سبيل الله، الصحابية كانت تقول: اتقِ الله فينا، نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام، وكم من امرأة ضغطت على زوجها فأكل المال الحرام.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

(سورة التغابن)

إذا ضغطت المرأة على زوجها ضغطاً يومياً من أجل أن يلبي حاجاتها حتى أكل الحرام كانت أكبر عدوة له، لأنها سبب دخوله النار.

لذلك الشرع وضع حدًا قاسمًا، أطعمها مما تأكل، وألبسها مما تلبس، أنت مؤاخذ ألف مرة حين تتغدى بمطاعم، شبعان، والبيت لا شيء فيه، أنت آثم والله.

والله أعرف أناسًا ما أكلوا أكلة في مطعم، أو بدعوة إلا جاءوا بمثلها إلى البيت، يأكل المؤمن بشهوة أهله، بيت المسلم كل الأكل بالبيت، قد يدعى الإنسان لطعام نفيس، يشتهي أهله بهذا الطعام، يصنعه لهم في اليوم التالي، هذا المؤمن، أطعمها مما تأكل، لكن هناك أناس كثيرون يأكلون مما يشتهون مع أصدقائهم، والبيت لا شيء فيه، هذا شيء خلاف الشرع، أما أطعمها مما تأكل، وألبسها مما تلبس.

سؤال ثان:

هل صحيح أنه لا يجب على المرأة غسل أغراض زوجها ؟

جواب:

والله هذا الكلام لا أصل له في الدين، السيدة فاطمة شكت لأبيها تعبها من خدمة البيت، فماذا قال لها ؟ هل قال لها: لا يحق عليك أن تخدمي علياً ! لا، لأن الزواج مشاركة.

قال تلك المرأة: إن زوجي تزوجني، وأنا شابة ذات أهل ومال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب بالي قال: أنت علي كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، هو يأتي بالشراب والطعام والرزق، وأنا أخدم في البيت، هذا شيء طبيعي.

كلام اسمعه من حين لآخر، أن الزوجة غير مكلفة إطلاقاً، لا تنظف، ولا تغسل، ولا تكوي، ولا تطبخ، مهمتها فقط للفراش، هذا كلام غير واقعي، ولم يفعله الصحابة إطلاقاً، والنبي لم يوجه هذا التوجيه، لماذا ليس في عقد الزواج أن عليها أن تطبخ، وتغسل، أصبح عقد خدمة ! صوناً لكرامتها ومكانتها ولأصالتها لا يمكن أن يكتب في عقد الزواج الخدمة، هذا عقد مقدس، عقد شريكين أقدس عقد في الحياة، لكن ما عليه أصحاب النبي أن الزوجة

تخدم زوجها في البيت، وهو يأتي بالرزق، أما أنها ليست مكلفة بشيء فهذا كلام لا أصل له، وفيه مبالغة وتطرف في طرحه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : التوازن بالواجبات والقيادة للرجل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراعاة حاجة الناس إلى موضوعات معينة، ووجوب اهتمام الناس بالدروس:

وبعد ؛ أيها الإخوة، يمكن أن يعالج المتكلم موضوع بعيداً بُعد الأرض عن السماء عن اهتمام الناس، وهو بهذا لا يؤثر فيهم، وقد حدثني أخ كريم أن درساً ألقي في جامع، والدنيا تحترق، والحديث عن كسر همزة إن أو فتحها ! فالإنسان إذا تجاهل حاجات الناس واهتماماتهم لا يستطيع أن يؤثر فيهم.

وجوب استحضار القلب في أثناء الدرس:

كما أن هناك أناساً يجلسون في درس هم بعيدون عن محتوى الدرس.

حدثني أخ توفي . رحمه الله تعالى . كان يلقي درساً، ويتحدث عن فساد الزمان، ومن جملة ما تكلم أن فتاة تأتي البيت الساعة الثانية عشرة، وحينما تُسأل: أين كنت ؟ تقول: عند الحبيب، فقال مَن في المجلس: صلى على الحبيب ! فالمتكلم في وادٍ، والمستمع في وادٍ آخر.

ثمة إمام يصلي فقرأ قوله تعالى: [قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ] فقال المصلون: آمين، هم بعيدون. آفة التدريس أن ينأى المتكلم بموضوعاته عن اهتمامات الناس، وآفة المستمع أن يكون وجوده شكلياً هو في واد، والمتكلم في واد، وحينما يقول الله عز وجل:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(سورة الذاريات)

أي أن الأمر ينبغي أن يتكرر من حين إلى آخر، ولا تعجب أن تجد في القرآن الكريم موضوعات تتكرر كثيراً. [إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّادِقِينَ] ، [إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّادِقِينَ] ، وبعض القصص تتكرر كثيراً.

لا بد للإنسان مِن حُسن الاختيار في حياته:

سبب اختيار موضوع هذا الدرس أن ظاهرة كثرت، وكادت أن تكون بلاء عاماً، هذه الظاهرة أن البيت المسلم حينما ينهار من الداخل هذا ينعكس على الحياة العامة، فأنا كنت أقول دائماً: ألصق شيء في حياة الإنسان عمله وزواجه، فعمله يرتزق به، فالإنسان الموفق يختار عملاً شرعياً، والمؤمن إذا عرف الله في وقت مبكر، وهذه ميزة كبيرة يشكل حياته تشكيلاً إسلامياً، يختار عملاً ينفع به المسلمين، أما هذا الذي ابتلاه الله بعمل ليس فيه نفع للمسلمين فهو دائماً يُعذَّب نفسياً، وهناك آلاف الأعمال لا تنفع المسلمين، بل تفسدهم أحياناً.



يبيع النرد، ماذا يفعل ؟ قد يقضي أناس فيها ساعات وساعات، لا هي ذكرٌ، ولا هي متعة، ولا فائدة، إنما هي تضييع للوقت، فمن ابتلي ببيع النرد فهذا عمل يقلقه دائماً، من ابتلي ببيع ثياب نسائية فاضحة، كلما رأى فتاة ترتدي هذه الثياب يشعر أنه ساهم معها في هذه المعصية.

إذا اختار الإنسان عمله حيث يكون عملاً نافعاً فهذه مِن نعم الله الكبرى، إذا كان العمل وفق منهج الله يبيع الناس مواد مشروعة بشكل معتدل ونافع هذه نعمة كبيرة، وكل واحد له عمل تحت دائرة المعصية فهذه مشكلة كبيرة، الذي أتمناه على كل منا أن يراجع حساباته .

دعونا من موضوع العمل، فالعمل إذا كان مشروعاً في الأصل، تبيع الطعام أو الثياب الشرعية، أو تبيع حاجات أساسية، وهناك خدمات وبضائع وتجارات لا ترضي الله عز وجل، فهذا أحد أسباب الحجاب بينك وبين الله، لكن الدرس ليس حول العمل، بل حول موضوع آخر، حول الأسرة.

لا بد أن تعبد اللهَ فيما أقامك:

حينما يكون اختيار الزوجة غير صحيح تنشأ مشاكل لا تنتهي، فإذا عرف المؤمن الله في وقت مبكر يحسن اختيار زوجته، وكأن الذي يحسن اختيار زوجته يسعد بها، لأنها جاءت متوافقة معه، لكن المشكلة الثانية: أن الإنسان أحياناً مع ألفة الزوجين، ومع ضعف تطبيق منهج الله في أمر الزواج ينشأ فتور في العلاقة، وأحياناً خصومات داخل البيت، هذه تنعكس أشد الانعكاس السلبي على العلاقة بين الزوجين، وعلى تربية الأولاد.



حسن اختيار الزوجة المؤمنة من أهم عوامل الزواج الناجح

فمثلاً: المرأة التي لا تعرف الله عز وجل تنسى أن مهمتها الأولى إحصان زوجها، وتنسى أن مهمتها الأولى رعاية زوجها وأولادها، وتنسى أن الله أمرها أن تعبده وفق ما أقامها، أقامها امرأة ينبغي أن تعبده في حسن رعايتها لزوجها وأولادها.

والحقيقة الثابتة أنه ينبغي أن تعبد الله فيما أقامك، وكنت أقول دائماً: إذا أقامك عالماً ينبغي أن تعبده في تعليم العلم، وإذا أقامك غنياً تعبده في إنفاق المال، وإن أقامك قوياً تعبده في إحقاق الحق، وإن كنت امرأة ينبغي أن تعبديه في حسن رعاية الزوج والأولاد.

أكثر من قضية أطلع عليها لأحكم بين الزوجين أجد أن هناك خللا كبيرًا في العلاقة بين الزوجين، السبب هو جهل كل منهما بحقوق الطرف الآخر، فإذا كان هذا الجهل مستمراً ينتهي بحدث مؤلم في الأسرة، إما الطلاق، أو التباعد الحقيقي بين الزوجين، وهذا ينعكس على الأولاد.

أقول: هذا المؤمن الذي تربى على موائد القرآن ألا ينبغي أن يعلم بناته حقوق الزوج ؟ أو هذه المرأة التي ربيت على موائد القرآن، وفي بيوت الله عز وجل ألا ينبغي أن تعلم بناتها حقوق الزوج ؟ وهذا الشاب الذي نشأ في طاعة الله ألا ينبغي أن يعرف مهمته في الزواج ؟

مراعاة الزوجين حقوق بعضهما:

أرى أن بيوتات المسلمين حينما تقوم دعائمها من الداخل ينعكس هذا قلقاً وشروداً وضعفاً في الإنتاج في الحياة العامة، فإذا أراد أحد أن يقف على حقوق الزوج وحقوق الزوجة في الإسلام، وأراد أن يطبق هذه الحقوق لاشك أنه يسعد في داخل البيت.

والحقيقة أننا ننتمي إلى الإسلام، وأخاف أن أقول: إنه انتماء شكلي، لكنني أجد أن معظم البيوت الإسلامُ غيرُ مقامٍ فيها.

أحياناً يرتدي إنسان زيًّا إسلاميًا، آية قرآنية في محله التجاري، أو مصحف في مقدمة مركبته، لكنه في التعامل اليومي، وفي العلاقات الزوجية لا تجد هذه الآيات مطبقة في حياته، فدائماً تنشأ مشكلة في البيت، أحد أسبابها جهل الزوجة بحقوق الزوج، وجهل الزوج بحقوق الزوجة، وهذه قضية مقلقة.


على الزوجة مراعاة حقوق أولادها وزوجها دون اهمال أي منهما

إن المرأة بعد وقت معين من الزواج تهتم بأولادها، وبعلاقاتها الاجتماعية، وبزياراتها، هذا كله على حساب حقوق زوجها، فالزوج لا يجد من يهتم به، يجد انصرافاً عنه، وإهمالاً له، وقد أودع الله في الإنسان هذه الغريزة بمستوى عميق وعالٍ، وأيّ تجاهل لهذه الغريزة التي أودعها الله في الإنسان يصرفه عن طاعة الله إلى معصيته، مشكلة أهل الدنيا أنه لا قيد عنده، فإذا انصرف عن زوجته اتجه لغيرها، ومتع بصره بكل ما يرى في الطريق، وكل ما يقرأ، وكل ما يسمع، فيحصل على متعة الحرام، وهو يعصي الله عز وجل، زوجته حينما تكمل واجباتها تجاه زوجها، ولا تحصنه، ولا ترعاه حق الرعاية فهي تسهم معه في هذا الإثم، وكم من أسرة انفصلت لهذا السبب، وكم من زوج وقع في إثم لهذا السبب، وكم من زوج انصرف عن زوجته لهذا السبب.

أيها الإخوة، إن لم تكن بيوتات المسلمين متماسكة وسعيدة شهد الله أن الرجل المؤمن إذا دخل إلى بيته كان في جنة، جنة الود بينه وبين زوجته، أما حينما ينظر إلى غيرها، وتنظر إلى غيره، وتوازن بين هذا الذي على الشاشة وبين زوجها، أو هو يوازن بين هذه التي على الشاشة وبين زوجته ينشأ تنافر وانصراف، فالموازنة بين ما عندك وبين ما ترى في الطريق مشكلة كبيرة جداً، فإذا لم يكن هناك غض بصر، وانضباط كبير في البيت تنشأ مشكلات، أقلّها التباعد النفسي، وهذا التباعد النفسي له نتائجه الخطيرة في العلاقة بين الزوجين.

أنا أقول دائماً بحكم عملي في الدعوة إلى الله هذا العمل الذي شرفني الله به، أطلع على خبايا بيوتات المسلمين من حيث الشكاوى والاتصالات وحل القضايا والتحكيم، شيء مخيف، فما الذي يمنع أن نتحرك حركة إيجابية، هذه الزوجة ما حقوقها ؟ يجب أن تؤديها لها، وهذا الزوج ما حقوقه يجب أن تؤديها له، أما أنْ تظلم وهي مطمئنة أن أولادها قد كبروا، وأنها في حرز حريز، ومتمكن، وزوجها تهمله، وهذا يقع كثيراً فهذا لا يجوز، ومشكلات بيوت المسلمين حينما تعالج معالجة صحيحة نغدو قوة.

أحياناً أعيش جوًّا من التفاؤل عندما أجد بيتًا متماسكاً، زوج موفق، أولاد تربوا تربية إسلامية، أشعر أن المستقبل كبير للمسلمين، وحينما أرى التفلت والصراع، والخصام والشحناء والبغضاء، والأطفال متمزقون بين أبيهم وأمهم، كل هذا بسبب جهلِ كلٍّ واحد بحقوق الآخر.

طبعاً لا يمكن أن أنحاز إلى المرأة، وأهمل واجبات الزوج تجاه المرأة، كما أنه لا يمكن أن أنحاز إلى الزوج وأهمل واجبات الزوجة تجاه زوجها، لابد من التوازن، لكن لو استعرضنا بعض الآيات الكريمة:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء)

قوامة الرجل على المرأة:

إنّ كل مركبة لابد لها من قائد، إذا تنازع الزوجان في قيادة هذه المركبة هذا أول خطر يهدد الأسرة، وحينما يفهم الزوج أنه في أعلى درجة وزوجته في أدنى درجة، حينما تغدو المسافة كبيرة جداً بين الزوجين هنا المشكلة، قال الله عز وجل:

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة)

هي درجة القيادة، فالزوجة تدلي برأيها، وقد قال الله عز وجل:

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾

(سورة الطلاق)

وفعل ائتمروا هو فعل أمر، أساسه فعل مشاركة، تأمرك وتأمرها، تنصحها وتنصحك، تنهاها وتنهاك.

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾

الزوج صاحب القرار:

لكن الكلمة الفاصلة للزوج، لأنه يكمل درجة القيادة، فإذا كان هناك سفينة ضخمة عملاقة لها قائد عام، وله مساعد قد يكون أدنى منه بدرجة واحدة، وقد يكون في المرتبة نفسها، لكنه أقدم، فلابد من صاحب قرار واحد، فإذا لم يكن الزوج صاحب قرار فهذه مشكلة.

أول نقطة حينما نؤمن أن لهذا البيت يجب أن يكون قائد أمره نافذ، لولا هذا لا ينجح أب في تربية أولاده، وأكثر المشكلات تأتي من تنازع الأبوين في توجيهات الأولاد، الأم توجه توجيهًا بعاطفتها العمياء، والأب بعقله الراجح يوجه توجيهًا، فحينما يصطدم التوجيهان يتمزق شمل هذه الأسرة، ويضيع الأولاد بين أمهم وأبيهم، فالتوجيه القرآني أنه لابد لهذه الأسرة من صاحب قرار هو الزوج، لقوله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

إن وجدت الزوجة زوجها ليس تقياً، ولا ورعاً، بل وجدته شهوانيًا، حينما يصغر الزوج بعين زوجته لا تطيعه، وعند ذلك لا يمكن أن يكون قيوماً عليها، ولا صاحب القوامة عليها، وحينما يطمع الرجل بمال زوجته، ويهددها بالطلاق، إن لم تعطه ميراث أبيها، أيضاً طمعه يضعف مكانته في الأسرة، فحينما تنفق من مالك على زوجتك،

وحينما تكون أتقى و أورع منها يهبك الله حقاً اسمه حق القوامة، وحق القيادة، كلمتك ينبغي أن تكون مسموعة، هذه واحدة، قال الله عز وجل:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾

(سورة الطلاق)

لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنّ

أنا بحسب معلوماتي المتواضعة فإني أعلم أن أكثر حالات خروج الزوجة من بيت زوجها إما أن يخرجها، وإما أن تخرج، هذه الحالات قد تنتهي إلى الطلاق، ذلك أن المرأة إذا كانت في بيت زوجها أكبر مشكلة تتصاغر حتى تغدو أصغر مشكلة، هذا كلام عام، وهناك استثناءات كوجود ظلم شديد، فهذا موضوع آخر.



أما إذا خرجت المرأة من بيت زوجها ناشزة فيمكن أن ينتهي هذا الأمر إلى الطلاق، فلو أن الزوج والزوجة اتبعا قول الله عز وجل:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾

لكانت أكبر مشكلة والزوجة في بيتها في البيت تصغر بعد حين، وأصغر مشكلة والزوجة في بيت أهلها تتلقى تغذيات سيئة جداً.

مرة بثثتُ شعوري لزوج غاب عن زوجته أكثر من سنة تقريباً، كل واحد تبرج، قلت له: عملك الجليل وزوجتك معك فلا مشكلة لديها، لكن يريد أن يغيظ والدك، ووالدك زوجته عنده، لا مشكلة لديه، لكن يريد أن يغيظ الطرف الآخر، من هو الضحية ؟ أنت وزوجتك، فلما يلغي الزوج إخراج الزوجة من بيته، وتلغي المرأة خروجها من بيت زوجها، وتعد بيتها بيتاً يجب أن يبقى مستقراً، وأن أية مشكلة تحل بين الزوجين، وهي في بيت زوجها نكون قد أغلقنا باباً خطيراً من أبواب الشقاق الزوجي.

النقطة الأولى: البيت له قائد، لكن بين القائد والمقود درجة واحدة، هي إصدار القرار وتنفيذه، لكن لا يعقل أن يكون للزوج كل شيء، وليس للزوجة شيء.

النقطة الثانية: استقرار الحياة الزوجية تهز اهتزازًا شديدًا، كلما نشأت مشكلة ذهبت إلى بيت أهلها ولم تعُدْ، وكلما نشأت مشكلة أخرجها من بيتها لئلا تعود، هذه نقطة ثانية.

عامِل الناسَ كما تحب أن يعاملوك به:

النقطة الثالثة أيها الإخوة، الحديث مستنبط معناه من أحاديث كثيرة، لكن هذه قاعدة ذهبية لا يعلم إلا الله قيمة هذه القاعدة: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، فأنت حينما تضع نفسك مكان زوجتك هل تحتمل هذه المعاملة؟ وأنت أيتها المرأة حينما تضعين نفسك مكان زوجك هل تحتملين هذه المعاملة ؟ لو أن كل مسلم عامل الناس كما يحب أن يعامل لحلت كل مشكلاتنا، هذه قضية ثالثة.

كما تتمنى أنت أن تحترم زوجتُك أمَّك، هي تتمنى أن تحترم أمَّها، كما تحب أن تحتفل بأهلك حينما يأتون إليك، فهي تحب أن تحتفل بأهلها حينما يأتون إليك، هذه مبادئ يجب أن تراعيها كشريك.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ))

[البخاري]

هذه شريكة حياة، فالضرب يهبط بها من درجة الشريك إلى درجة العبد والأجير، فضربها إهانة.

النبي عليه الصلاة والسلام لم يضرب زوجة إطلاقاً، أما نحن فكلما نشأ مشكلة نتهجم عليها بالضرب. المشكلة أيها الإخوة أن الإنسان يبني هذه العلاقة مع زوجته أشهراً عديدة، في ساعة غضب يخسر كل هذا الذي بناه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لاَ تَغْضَبْ))

[البخاري عن أبي هريرة]

أقول لكم دائماً أيها الإخوة: من السهل أن تصل إلى مكان معين، لكن البطولة أن تبقى فيه، زوج يحسن معاملة زوجته بشكل متتابع، وفي ساعة غضب وغفلة يخسر كل هذه العلاقة الطيبة بسبب غفلته عن الله، وشدته، وغضبه غير المعقول.

معنى المعاشرة بالمعروف:

شيء آخر، حينما يأمرك الله سبحانه وتعالى أن تصاحبها بالمعروف:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

والمعاشرة بالمعروف تقتضي أن تحتمل الذي منها كما قال عليه الصلاة والسلام في أكثر من حديث:

((أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ورد في الأثر]

البند الأول: أن يكون لهذا البيت قائد.

والبند الثاني: أن تعاملها معاملة تحب أن تعاملك إياها.

والبند الثالث: ينبغي أن تعلم أن الزواج شركة، وكلما كنت متفقهاً بالدين شعرت أن هذه الزوجة شريكة حياتك. والله الذي لا إله إلا هو أحياناً تجد أعمالا طيبة من امرأة لا يفعلها الرجال، هذه المرأة التي خرجت إلى ساحة المعركة في أُحُد تسأل عن رسول الله، وقد أبلغت أن زوجها قد قتل، وأن أخاها قد قتل، وأن ابنها قد قتل، وتقول: ما فعل النبي عليه الصلاة والسلام ؟ فلما أيقنت أنه سليم قالت: يا رسول الله، كل مصيبة بعدك جلل، لا أبالي إذا سلمتَ مَن هلك.

هذه السيدة خديجة رضي الله عنها حينما فتح الله على نبيه مكة، ودعاه أكثر أهل مكة ليستضيفوه في بيوتهم، ماذا فعل ؟ قال: انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة.

[ورد في الأثر]

من أجل أن يعرّف الناس بفضلها في الدعوة إلى الله، هذا الفتح الجليل لها فيه سهم كبير.

كلما احترم الإنسان زوجته كان مؤمنًا وحضاريًا، ويفهم حقوق الآخرين، والله الذي لا إله إلا هو حينما ينتهي عن علمي أسرة متماسكة أفرح أشد الفرح، هكذا ينبغي أن تكون بيوتات المسلمين.

قصص مِن واقع الناس:

هناك قصة سمعتها وطربت لها كثيراً: رجل توفيت زوجته وعنده أربعة أولاد، تزوج امرأة، هذه المرأة اعتنت به عناية فائقة، وتوفي هذا الزوج، جاء أولاده كي يعطوا زوجة أبيهم حقها، بحثوا عن المهر فكان خمسة عشر ألف ليرة، نقدوها هذا المهر، والمهر كما تعلمون دين ممتاز، ثم بعد يومين استردوا هذا المبلغ، سألوا عالماً، قال: هذا المهر ينبغي أن يقيم تقييماً جديداً، طبعاً القضاء شيء، والديانة شيء آخر.

امرأة مهرها ألفَا ليرة، كان ثمن البيت ستة آلاف، يعني أن مهرها ثلث ثمن البيت، الآن ثمن البيت ستة ملايين تعطيها ألفين، ماذا أعطيتها ؟ فديانة هناك من يقيم المهر تقييمًا بالقيم الثابتة، يبدو أن هؤلاء الشباب ورعون، سألوا عالماً جليلاً قال: ينبغي أن تعطوها حقها بسعر اليوم، أعادوا لها المبلغ مئة وخمسين ألف ليرة.

قالت لهم: إن أباكم . رحمه الله . قال لي: له عند أحد التجار خمسمئة ألف ليرة هي لك، هم صدقوها، لو أنهم لم يفعلوا ذلك لا شيء عليهم، الوريث لا يمكن أن يعطي إلا بأوراق رسمية، أما أن ينفذ كل كلام يقال له فهذا شيء ليس له نهاية، لكنهم صدقوا هذه المرأة الكريمة، وذهبوا إلى التاجر، وقالوا له: غيّر الوصل الذي لأبينا، واجعله لزوجة أبينا، ثم أخذوا منها المبلغ كله، واشتروا لها بيتاً صغيراً أوت إليه، وهم يعتنون بها عناية فائقة.

ألا تطرب لهذه القصة، وتشعر أن الإسلام شيء عظيم ؟! لمجرد أن يموت الأب تُطرَد زوجة الأب من البيت، ويبالغ في الإساءة إليها، ويُتشفى منها، شتان بين مؤمن وغير مؤمن.

تروي الكتب أن رجلاً تزوج امرأة خُفية عن زوجته، فعلمت الزوجة بذلك، لكنها ما أحبت أن تفاتح زوجها، بقيت صامتة، ثم توفى الله هذا الزوج، فالزوجة من شدة ورعها أرسلت لضرتها حصتها من الإرث حسب الشرع، فما كان من الزوجة التي تزوجها الزوج بعد زوجته الأولى إلا أن أعادت إليها المبلغ، وقالت لها: لقد طلقني قبل أسبوع، وليس لي عنده شيء.

اليوم تجد امرأة تدعي أنها ملتزمة تقيم الدعوى على زوجها عند قاض أمريكي كي تأخذ نصف ثروته، ولا ترضى بالشرع، ولا بمهرها.

الحقيقة أن الشيء المؤلم أنك ترى أن الإسلام مظاهر، مصاحف، مساجد، أشرطة، مظهر دينيًا، مؤتمرات، لكن لو دخلت إلى صميم حياة المسلمين لا تجد ورعاً، ولا إعطاء كل ذي حق حقه، الرجل يعبد الله ستين عاماً، ثم يضار في الوصية فتجب له النار.



كم أسرة تتهرب من إعطاء البنت حصتها، البنت لا ذنب لها، لأنها متزوجة الناس يتهيبون أن يعطوها حقها، فهذا الذي يعبد الله ستين عاماً ثم يضار في الوصية تجب له النار.

أين أداء الحقوق ؟ أعرف رجلا من إخواننا المؤمنين الكرام ترك له أبوه بيتاً في أرقى أحياء دمشق، والوريثان هو وأخته، وأخته متزوجة، ولها زوج وبيت، وأمورها جيدة جداً، لكن هذه الأخت لها حق في هذا البيت، والابن يسكن البيت مع أمه، قالت له: أين حصتي ؟ يقول: هذا بيت العائلة، أهلاً بك متى شئت، هكذا يقول معظم الأخوات، أقسم لي بالله أنه قيّمه على أنه بيت فارغ، ونقد أخته بأغلى ثمن حصتها، وفتح الله عليه فتحاً كبيراً في أعماله التجارية.
متى تعظم الدين ؟ عندما ترى مسلمًا متحررًا صادقًا يؤدي الحقوق لأصحابها، كفى بها نعمة أن يتصاحب المتصاحبان، ثم يفترقان، ويقول كل واحد منهما للآخر: جزاك الله عني كل خير.

التقيت بأخ في المدينة المنورة، يرسل راتبًا لزوجة أبيه من اثنتي عشرة سنة بشكل مجزي إكراماً لها، تجد الناس يتفننون بأخذ حقوق الآخرين، وبإيذاء الآخرين، وبأخذ أموالهم، وهضم حقوقهم، لذلك كيف يرضى الله عز وجل عنا ؟ هناك ظلم شديد بين المسلمين، كم من زوجة مظلومة ؟ وكم من زوج مظلوم ؟ والزوجة المظلومة ليس لها إلا الله.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ:

((اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))

[متفق عليه]

وفي رواية أخرى: اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً.

الجهل بالحقوق والتفلت من منهج الله سبب المشكلات:

والله أيها الإخوة، من شدة ما أستمع لقضايا بين الأزواج كل أسبوع قضيتين أو ثلاثة، وكلها بسبب جهل كل واحد بحقوق الآخر، وهذا الجهل ينتج عنه انحراف وخصومات، وأكثر شيء أنا أقول لكم هذا الكلام: حينما لا يتقيد الإنسان بمنهج الله في الزواج، إذا أطلق لعينيه العنان، وهي أيضاً كان الشقاق بين الزوجين.

عندنا قانون رائع جداً:

﴿ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة المائدة)

هذا قانون، لذلك ما تعاقد اثنان في الله ففرق بينهما إلا بذنب أصابه أحدهما.

وهذا الإمام الشعراني رحمه الله تعالى كان يقول

((أعرف مقامي عندي ربي من أخلاق زوجتي))

حينما تستقيم علاقتك بالله عز وجل يهيئ لهذه الزوجة طبع يرضيك، لك هيبة، يزرع الله في قلبها هيبة لك، وحينما يعصي الرجل ربه تسقط هيبته من عين زوجته.



فلذلك أيها الإخوة، كلما بالغت في طاعة الله أكسبك الله هيبة، من اتقى الله هابه كل شيء، ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء.

مرة كنا في الحج، وكان معنا أخ كريم عالم جليل، زار أخاه بجدة، فبدأ أخوه يشكو من زوجته، قال: نجلس بالسهرة فهي تجلس على الأريكة، وهو في الأرض مرتاح، فوخزته بقدمها، قالت له: غيّر القناة.

لم يتحمل، هناك زوجات وقحات جداً، وسيئة الطبع.

بالمناسبة، والله أتهيب كثيراً لأن أذكر هذا الحديث، لكنه حديث صحيح، وينبغي أن نحترم حديث رسول الله:

((من كانت تحته امرأة سيئة لا يستجيب الله دعائه))

[ورد في الأثر]

توضيح الفكرة: سألك: ماذا أفعل ؟ قلت: اخرج من هنا، فرفض الخروج، قال: ماذا أفعل ؟ لا علاقة لي، نصحتك ورفضت، فينبغي على الإنسان أن يقف عند حدود الله عز وجل، طبعاً الطلاق آخر حل، لكن أتألم لرؤية شخص ناجح بعمله وعلاقاته تأتي شكوى من زوجته كبيرة جداً، هذا النجاح لا قيمة له أبداً.

بالمناسبة من يكمل شهادة قيادة كيف يتم الفحص ؟ يجب أن يفحص، وهو يعود للخلف، والطريق متعرج بشكل إكس، وضيق، على عرض السيارة، وهناك عدة طرابيش بلاستيك، فإذا وقعت إحدى الطرابيش لا ينجح ! لماذا انتقوا هذا الأسلوب ؟ هذا أصعب شيء بالقيادة، أن ترجع القهقرى، ويكون رجوعك على الطريق، وتحتاط أن لا تمس شيئًا، وأنت ترجع، إن نجحت في هذا القيادة نحو الأمام فالأمر بعده سهل جداً.

هكذا كان النبي مع أهله:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُكُمْ خيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[الترمذي، أبو داود]

هذا الحديث دقيق جداً، فعلاقاتك الخارجية الناجحة هذا شيء طبيعي، لأنك ذكي، ولك مصالح وسمعة تخاف عليها، فكل علاقاتك الناجحة خارج البيت تندرج تحت الذكاء الاجتماعي، لكن متى تظهر على حقيقتك ؟ في البيت تكون هادئًا رحيمًا متواضعًا.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلْتُ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ:

((كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ))

[أحمد]



سُئلَت عَائِشَةَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ:

((كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ...))

[صحيح البخاري]

عظمة الإنسان في البيت، واحد من أفراد البيت في تواضع، أيعقل أن يمشي النبي على يديه ورجليه ليركب الحسن والحسين على ظهره وهو سيد الخلق وحبيب الحق ؟

عَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصحبة، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[البخاري]

لا أنسى موقف للنبي الكريم: أنصاري دخل بستانه، وأكل منه بغير حق فقيده وساقه إلى النبي ليشكوه للنبي قال له عليه الصلاة والسلام سارق متلبس بالسرقة الموصوفة ويجب أن تقطع يده قال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((هلا أطعمته إذا كان جائعاً، وهلا علمته إذا كان جاهلاً))

[ورد في الأثر]

معالجة المشكلة مِن أسبابها لا من نتائجها:

هذا الحديث له علاقة بالأحداث الخيرة، دائماً نعالج الإرهاب من نتائجه، ينبغي أن يعالج من أسبابه، وأنا أقول مرة: ما لم ينزع فتيل الظلم في العالم فالإرهاب لا ينتهي لوجود ظلم شديد.

وهذه الزوجة ما لم تكن مكرمة طيبة القلب لا يمكن أن تزعجك، أما يوجد ضغط فأنت ابحث بالسبب، والحقيقة أن الإنسان الذكي يبحث في أسباب المشكلة، فلو عرفت الأسباب قد تحل هذه المشكلة، وقد قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب.

أحياناً لا تفهم شيئًا، لكن حينما تفهمه تحل المشكلة، كم أتمنى على كل أخ كريم أن يكون حليما متفهما واقعيا رحيما، لأن الرحمة من صفات المؤمن، والله بالهاتف أستمع لقصص من الزوجات، أو رسائل يندى لها الجبين، كأنّ في البيت وحشًا، وأحياناً تجد زوجة والعياذ بالله لا تحتمل.

قيل لرجل: طلق امرأتك، له زوجة سيئة جداً، قال: والله لا أطلقها فأغش بها المسلمين.

هناك زوجة لا تحتمل، وهي بلاء من الله عز وجل.

ابحث عن زوجة ذي تربية إيمانية:

أتمنى على من لم يتزوج بعد أن يبحث عن زوجة ذات أخلاق عالية، مرباة في بيت علم، عندها حدود، تغذيتها إيمانية، وليست علمانية، التغذية نوعان، المرأة التي تغذى تغذية علمانية هذه لن تكون زوجة سعيدة. ذكرت مرة أن أحد أكبر فنادق دمشق أراد أن يقيم حفل تكريمي لمن أجرى العقد في فندقه تشجيعاً للباقين، ستة عشر عقد تمت في ستة أشهر ثلاثة عشر من هذه العقود انتهت إلى الطلاق قبل مضي هذه الأشهر.

في كل عقد قران أقول هذه الكلمة: إذا بني الزواج على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، أما إذا بني الزواج على معصية الله تولى الشيطان التفريق بينهما، الشيطان جاهز، وأكبر مهمة من مهماته التفريق بين الزوجين، ويزين للزوج غير زوجته، ويزين للزوجة غير زوجها، وهذا يتكرس كما يقال في الاطلاع على ما عند الآخرين في الاختلاط في هذه الشاشة التي تفسد بيوت كثيرة، هذا كله يحصل، شيء جميل جداً أن يكون البيت متماسكًا، فيه ود وحب، وعدل ورحمة، وذكر لله عز وجل.

أتمنى من أعماق قلبي أن يجهد كل واحد منا بإصلاح العلاقة بين زوجته، لأن الله يقول:

﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾

(سورة الأنفال)

معنى: وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ:

هذه الآية تفهم على مستويات ثلاثة:

المعنى الأول:

أن نصلح ما بيننا وبين الله.

رأى رجلٌ زوجة بارعة الجمال لزوجٍ دميم الخلق، شيء غير معقول، كيف قبلت به ؟ فسألها، قالت: لعله عمل عملاً صالحاً عند الله اقتضى أن يكرمه الله بي، ولعلي أسأت علاقة مع الله فأدبني الله به.

أحياناً يكرم الله الإنسان بزوجة صالحة، أو يؤدبه بزوجة تريه النجوم ظهراً، أصلح علاقتك بينك وبين الله يصلح علاقتك مع الناس، وفي مقدمتهم زوجتك، فأول معنى أن تصلح علاقتك مع الله.

المعنى الثاني:

أن تصلح علاقتك فيما بينك وبين الناس.

المعنى الثالث:

أن تصلح علاقة بين شخصين، فالمؤمن هدفه الإصلاح.

قال واحد مرة: شكوت لأحد الإخوة زوجتي التي هي أخته قال: طلقها أفضل لك، عوضاً أن يصلح بينهما ينبه أخته، ويطيب خاطر صهره أشار بطلاقها، فأنت مكلف أن تصلح علاقتك مع الله، وأن تصلح علاقتك مع الناس، وأن تصلح كل علاقة بين اثنين.

الدعاء بتحسين علاقة الأزواج ببعضهم:

بقي أيها الإخوة أن نسأل الله عز وجل بدعاء مستمر أن يحسن العلاقة بين الزوجين، خطباء المساجد في عقود القران: اللهم أصلح بين الزوجين، أنجب منهما الكثير الطيب، اجعل كل منهما قرة عين للآخر، ألهم أهلهما السدادة والرشاد، هذا كله دعاء ينبغي أن يستمر.

ولا يوجد إنسان يقوم في جوف الليل إلا ويسأل الله أن يصلح العلاقة بينه وبين أهله، ماذا يقول الله عز وجل:

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾

(سورة الأنبياء)

يا أيها الأزواج غيِّروا أحوالكم مع الله ليغيِّر الله حالكم:

عَن عَبْدِ اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ))

(صحيح مسلم)

ما معنى هذا الحديث ؟ إذا اصطلحت مع الله عز وجل وقلب زوجتك بعيد عنك، فالله عز وجل مكافأة لك على استقامتك، وتوبتك يتدخل فيملأ قلب زوجتك محبة وهيب وطاعة، وإذا فسدت علاقتك مع الله يملأ قلب الزوجة ازوراراً واحتقاراً وانصرافاً، فالطرف الآخر مع أنه مخير، لكن قلبه بيد الله عز وجل.



وصدقوا أيها الإخوة، كنت أستمع لبعض الأخوات الفاضلات شكوى على أزواجهن لا تصدق، فلما استقام هؤلاء على أمر الله سمعت ثناء لا يصدق، فلا تقنع نفسك أنك عاجز عن التغيير، هذا الذي لا يقدر أن يغير ليس من بني البشر أنت يجب أن تغير، لأن الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

(سورة الرعد)

لو كان التغيير مستحيل لكانت الآية لا معنى لها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

أخ من إخواننا عنده معمل وخالف منهج من مناهج الله في عمل بالمعمل هذه المخالفة اقتضت أن تسوء العلاقة بينه وبين زوجته حتى أشرف على تطليقها فشكا إلي مشكلته مع امرأته، سألته عن المعمل، ذكر لي شيئًا مخالفًا للشرع، قلت له: أزِلْ هذه المخالفة، ولما أزالها عادت الأمور لمجاريها.

عندما أراد صلاح الدين أن يجاهد فرض ضريبة، ثم استشار أحد العلماء الورعين قال له: هذه حرام، تأخذها من الأغنياء، أما الفقراء فلا يتحملون حرام فألغاها، فتألم ضباطه الكبار لهذا الإلغاء، بل قالوا له: كيف تحارب وأنت ألغيت الضريبة ؟ فقال: لا أجاهد مع معصية، فلما ألغى هذه المعصية والضريبة الظالمة نصره الله، وفتح القدس.

عندما تقوم بصلح مع الله ستجد انعكاسات واضحة جداً مع الله حتى في بيتك، فأردت أن أنقل لكم ما كان يؤلمني كثيراً من مشكلات بين الأزواج المؤمنين، أنت مؤمن، عظمة زواجك الإسلامي أن الله بينك وبين زوجتك، ينبغي أن تخشى الله أن تظلمها، وتخشى الله أن تظلمك، وينبغي أن تتقرب إلى الله بخدمتها، وأن تتقرب هي إلى الله بخدمتك.

فمثل هذا الزواج لا ينهار بل يستمر، والذي يحكمه المودة والرحمة، المودة هي الحب والرحمة هي الإحسان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5 - 9) : قواعد لحفظ الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

قواعد مهمة تحفظ الزواج

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس السابع من دروس الزواج، والحقيقة أيها الإخوة أن العبرة لا أن نصل بالشاب إلى الزواج فحسب، بل أن نصونه وهو متزوج من أن يفسد بيته.

1 - تطبيق شرع الله



هناك موجبات توصلنا إلى الزواج، وهناك قواعد تحفظ هذا الزواج من أن يفسُد، سمعتم في دروسٍ سابقة أن نسب الطلاق في البلاد الأجنبية تتجاوز الستين بالمئة، وفي بلاد ثلاثين بالمئة، وعندنا بفضل الله تعالى ثلاثة بالألف، معنى ذلك أن عوامل استقرار الزواج هو في تطبيق الشرع.

أضرب لكم مثلاً بسيطاً: لو أردنا أن ننشئ بناء، إذا وضعنا الإسمنت الكافي، وكان الإسمنت بحالته الجيدة، ووضعنا الحديد الكافي وفق الأُصول المتبعة، هذه الإجراءات أحد أسباب بقاء البناء، فهذا البناء المبني وفق أُسس صحيحة عواملُ بقائه فيه، أما إذا وضعنا قليلاً من الإسمنت، ولم نضع الحديد، ولم نستخدم الشاقول، فهذا

البناء فيه عوامل انهدامه، فأي زواجٍ يبنى على طاعة الله يكون فيه عوامل استمراره، والزواج المبني على معصية الله يكون فيه عوامل انهدامه، لذلك قال الله عزَّ وجل:

﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾

(سورة الإسراء)

الباطل خلاف الحق، فالخروج عن منهج الله في أي عمل ينتهي به إلى الدمار.

مثلاً: إذا أردت لهذا الزواج أن يستمر فطبّق فيه منهج الله، إذا أردت لهذه التجارة أن تزدهر فطبق فيها منهج الله، إذا أردت لهذه الشراكة أن تدوم فطبّق فيها منهج الله، لأنك إذا طبقت منهج الله استقر الشيء واستمر، فاليوم درسنا متعلق، باستمرار الزواج، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

2 – عدم خروج الزوجة من البيت إلا لحاجة

أي أن المرأة مكانها الطبيعي في البيت، وهي في البيت تقوم بأخطر عمل على الإطلاق، كما أن قائد الطائرة مكانه الطبيعي في غرفة القيادة، وهو وراء المقود، وأمامه العدادات، وعلى اتصال مع الأرض، يقوم بأخطر عمل في الطائرة، أما إذا ظن أن بقاءه في هذا المكان، تضيقٌ لحريته، وأنه عليه أن ينطلق، ضيع الركاب، وربما أهلكهم.


أخطر عمل تقوم به المرأة تربية أولادها

فالنقطة الدقيقة أيها الإخوة أن المرأة إذا توهمت أن بقاءها في البيت حبسٌ لها، وحدٌّ من حريتها فهذه جاهلية القرن العشرين، ولا يعني بقاءُ المرأة في البيت أن تبقى جاهلة، هناك من يربط بين بقاءها في البيت وجهلها.

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ شِنْظِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ

[ابن ماجه]



أي كل مسلم ومسلمة، على كل شخصٍ مسلم، فالمرأة وهي في البيت ينبغي أن تتعلم أمر دينها، أن تتعلم القرآن، أن تتعلم سنة النبيّ e، أن تتعلم أحكام الفقه، كي تقوم بمهمتها خير قيام، كي تعرف حق زوجها عليها، وحق أولادها عليها، لذلك قال الله عزّ وجل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

الحقيقة أنّ هذه الآية لا تعني أنه محظورٌ على النساء أن يخرجن، بل تخرج المرأة لحاجةٍ، كأنْ تزور أهلها، ولتزور أقربائها، أو لتتطبب، يمكن للمرأة أن تخرج من البيت، لكنها إذا خرجت:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " الزمن بيوتكن فلا تخرجْن لغير حاجة ".

حينما تتفرغ المرأة لزوجها وأولادها، فعملها في بيتها، وتفرغها لبيتها استثمارٌ لطاقتها، وليس هدراً لطاقتها، لأنها إذا أنجبت الأولاد الصالحين، ودفعت بهم إلى المجتمع، وأمَّنت لزوجها راحة البال والطمأنينة ضاعف إنتاجه، فهذا النظام الإلهي، نظام الزوجية مبنيٌّ على تفرغ الزوجة، وعلى إناطة تربية أولادها لها، وقد سمعتم كثيراً مني

كيف أن هذه المرأة التي اشتكت إلى الله، وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ:

((تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ:(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ)))

أيها الإخوة:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

هذا أمرٌ إلهي يقتضي الوجوب، أي أن المرأة يجب أن تتفرغ لزوجها وأولادها، أما حينما لا تتفرغ تضيّع زوجها، وتضيع أولادها، ثم إنها فوق ذلك تضيع فرصة عملٍ لرجل، ثم إنها فوق ذلك تضيع فرصة زواجٍ لامرأةٍ ثانية، فضيعت بذلك زوجها، وأولادها، وفوتت على رجلٍ وظيفةً، وفوتت على فتاةٍ زواجاً، وحينما تختلط بالرجال ربما تفسد مجتمعهم، لأن المرأة في أصل الفطرة محببة على الرجال:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

قال ابن كثير: " الزمن بيوتكن، فلا تخرجن لغير حاجة ".

وقال أبو بكر الجصاص: " وفي هذه الآية دلالةٌ على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت، منهياتٌ عن الخروج ". أي أن كمالها في تفرغها لزوجها وأولادها، وفي الأثر:

((فأيّما امرأةٍ قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[ورد في الأثر]

وورد في الأثر أن النبيّ عليه الصلاة والسلام وَصف المرأة التي تفرغت لأولادها بعد موت زوجها:

((فإذا امرأةٌ تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأةٌ مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم))



حينما تقوم المرأة بواجبها تجاه زوجها وأولادها لا يعلم إلا الله المكانة الرفيعة التي تحتلها عند الله، والمرأة التي تعتني بزوجها وأولادها امرأة قديسة، فلو كنتَ طبيبًا، وأهملت المرضى، واشتغلت مثلاً بمطالعة الصحف والمجلات، حتى أتقنت هذا الموضوع، وأنت مرجع في هذا الموضوع، هل لك فضلٌ في هذا؟ لا، أبداً، أنت أهملت وظيفتك الأساسية، وأهملت مرضاك، واشتغلت بعملٍ لا تتقنه، فحينما تخرج المرأة، وتُهمل زوجها وأولادها فقد تخلّت عن وظيفتها الأساسية التي خُلقت لها.

لكن بعضهم يقول: " هذا الأمر خاص بنساء النبيّ ﷺ ، لقوله تعالى: [وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُن] ، والخطاب لنساء النبيّ ﷺ .

والإجابة عن هذا التساؤل سهلةٌ جداً، إذا كان نساء النبيّ e وهن العفيفات، المحصنات الطاهرات، قد أُمرن أن يقررن في بيوتهن فلأَن يكون هذا الأمر موجهاً إلى بقية نساء المؤمنين مِن بابٍ أولى، إذا قلنا للمتفوق: اجتهد، فلأَن يكون هذا الأمر موجهاً إلى المقصّر فمِن بابٍ أولى، فحينما يوجه الأمر لنساء النبيّ فالأمر حُكماً موجهاً إلى بقية نساء المؤمنين، وهناك آيات أُخرى تشير إلى مثل هذا:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الأحزاب: آية "59 ")

والآية الأساسية التي يقول الله فيها:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾

(سورة هود: آية " 112")

والقاعدة، والحديث الشريف:

((... إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

إذاً: في هذه الآية دلالةٌ على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت، منهياتٌ عن الخروج لغير حاجة، وقد صرح المفسرون بأن الأمر بالقرار في البيوت لجميع النساء قاطبةً .

وقال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: " معنى هذه الآية، الأمر بلزوم البيت ".

فرَّق بعض علماء النفس ووضحوا معنى الأُنوثة حينما تبقى في البيت فيكون لها رونق، أما إذا خرجت، وخالطت الرجال تَرَجَّلتْ، فإذا تَرَجَّلتْ فقدتْ أُنوثتها، وأجمل ما في المرأة أُنوثتها، أما إذا تَرَجَّلتْ، وتكلمت وأحدّت النظر، وعلَّقت، وتدخّلت في شؤون لا تعنيها فَقَدتْ أجمل ما فيها، وهي أُنوثتها.

وقد ورد أنه من علامات قيام الساعة: " أن يُرفع الحياء من وجوه النساء، وأن تُرفع النخوة من رؤوس الرجال، وأن تُنتزع الرحمة من قلوب الأُمراء "، فلا رحمة في قلوب الأُمراء، ولا حياء في وجوه النساء، ولا نخوة في رؤوس الرجال.

أيها الإخوة، هذا الأمر الإلهي لا يعني البقاء في البيت مطلقاً، لكن الأصل أن تبقى في البيت، ولها أن تخرج لحاجةٍ، والبقاء في البيت لا يعني عدم الخروج، لكن هناك نساء يعتقدن أن الأصل أن تخرج من البيت، هذا هو الخطأ، لكنها إذا خرجت، الآية تقول:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

والدليل أن الله سبحانه وتعالى أعفاها من صلاة الجماعة، ومن حضور الجُمَع، فلعظم الأمر بالإقرار في البيت أعفى الشرع الكريم المرأة من حضور الجُمَع والجماعات، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((من كان يؤمن بالله فعليه الجُمعة يوم الجمعة، إلا مريضاً، أو مسافراً، أو امرأةً أو صبياً أو مملوكاً، فمن استغنى بلهوٍ أو تجارةٍ، استغنى الله عنه، والله غنيٌ حميد))

[الدارقطني عن جابر]

فصلاة الجمعة شيء مقدس جداً في حياة المسلم، والعبادة التي إذا تركها الإنسان ثلاثة مرات نكتت نُكتةٌ سوداءٌ في قلبه، وبعدها يكون الرّان، وهذه الصلاة كما تعلمون صلاة الجمعة شحن أسبوعي، وعندك شحن يومي، لكن الشحن اليومي مدته بين الصلاتين، تصلي الظهر تشحن إلى العصر، والعصر إلى المغرب، والمغرب إلى العِشاء، والعِشاء إلى الفجر، والفجر إلى الظهر، أما صلاة الجمعة فلأن فيها خطبةً فهي شحن أسبوعي، وأكثر إخواننا الكرام إذا حضروا صلاة جمعة، واستمعوا إلى الخطبة، وكانوا مخلصين في مجيئهم يتأثرون تأثرًا يمتد بهم أياماً عدة، فالخطبة شحن أسبوعي، والصلوات الخمس شحن يومي، والشحن الأسبوعي أطول أمداً، أما رمضان كونه ثلاثين يومًا فهو شحن سنوي، أما العبادات التي يشحن بها الإنسان إلى بقية عمره فهي الحج، فهو شحنةٌ إلى نهاية عمره، فكلما كان تركيز كبير، والمدة أطول يكون الشحن أطول، فالحج قد يكون أسابيع عديدة وسفر، وفيه تفرغ... إلخ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عَمَّتِهِ أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ، فقال:

((قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلاةَ مَعِي، وَصَلاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلاتِكِ فِي مَسْجِدِي))

[أحمد]

معنى ذلك أن المرأة مأمورةٌ أن تقرَّ في البيت، لأنها إذا خرجت ربما فتنت، وربما أفسدت أو فسدت.

مساوئ خروج المرأة من البيت



بقي علينا أن ننتقل إلى أن المرأة إذا خرجت من البيت في الأعم الأغلب ينتشر الفساد إذا جعلت الأصل في خروجها من البيت، الأصل أن تخرج إذاً يعمُّ الفساد، والشيء الذي تعرفونه جميعاً هو أن الله سبحانه وتعالى أودع في كل طرفٍ محبة الطرف الثاني، لكن هذا الحب ينبغي أن يكون تحت مظلة الزواج، وينتهي إلى علاقة مباحة، والثمرة طيبة هي الأولاد، فهذا الحب الفطري يجب أن يغطى بنظام الزوجية، ونظام الزوجية يجب أن ينتهي إلى أولاد، وهم ثمرة هذا الحب، أما إذا كان هذا الحب الفطري الذي أودعه الله في الرجال وفي النساء على حدٍ سواء لم يكن تحت مظلة الزواج، فربما أدى هذا الأمر إلى الفساد، والفساد كما تعلمون إخراج الشيء عن طبيعته، فحينما تتعلق المرأة بغير زوجها ربما جرها هذا إلى ترك زوجها، أو إلى إهمال أولادها، وربما حمل هذا زوجها على تطليقها أو على إيقاع الأذى بها، فليس في منهج ربنا عزَّ وجل امرأةٌ تتعلق بغير زوجها، وليس في منهج ربنا عزَّ وجل رجلٌ يتعلق بغير امرأته، والدليل الأمر بغض البصر، والنهي عن الخلوة، والنهي عن الخروج من البيت.

لست مبالغاً إذا قلت: إن ما تعانيه المجتمعات الغربية من الفساد هو بسبب الخروج من البيت.

لي قريب يسكن في فرنسا في باريس، استيقظ ذات مرةً في الليل على أصوات عيارات نارية، ثم عرف في الصباح أن امرأة جاره تعمل موظفةً في شركة، وقد علِم الزوج أنَّ هناك علاقةً بين زوجته وبين مدير الشركة، بدافع فطرته أقدم على قتلها، وقتل أولادها اعتقاداً منه أن هؤلاء الأولاد ليسوا منه، فالفطرة أن الرجل لا يتحمل أن تكون لامرأته علاقةٌ برجل آخر، والمرأة أيضاً لا تتحمل أن ترى أن لزوجها علاقةً بامرأةٍ أخرى خارج نظام الزوجية، هذا الذي هو عليه منهج ربنا جلَّ جلاله.

وأنا أرجو الله سبحانه وتعالى أن تعتقدوا معي أنك إذا نويت تفريغ زوجتك من العمل فالله سبحانه وتعالى إكراماً لحفاظك على شرعه يجلب لك من الرزق أضعاف ما تنتظر أن يأتيك من طريق زوجتك، ومعنى الآية الكريمة:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

(سورة النساء: آية "34 ")

القوامة لها تعليل، وتعليلها:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

(سورة النساء: آية "34 ")

إذا كنتَ أفضل منها علماً وورعاً وديناً، وأنفقتَ من مالك عليها ملكت قوامتها، فإذا كنت أقل منها ورعاً، وأقلّ منها علماً، وأنفقتْ هي عليك فقدت القوامة، وأساس القوامة التفضيل من جهةٍ، والإنفاق من جهةٍ أخرى، والتفضيل أن يكون لك القرار، فصاحب القرار أنت، لأن الزواج مؤسسة تحتاج إلى مدير، تحتاج إلى رئيس، تحتاج إلى من يتخذ القرار، هو يستشير، وهناك آية تؤكد الاستشارة.

3 – وجوب الاستئذان لدخول البيت

الآن ننتقل إلى شيءٍ آخر من أساسيات الحفاظ على هذا البيت الزوجي، أولاً وجوب الاستئذان لدخول البيت، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(سورة النور)

حتى تستأنسوا، إنكم إن استأذنتم، وأذن لكم استأنستم، وأصحاب البيت إن أذِنوا استأنسوا، فالاستئناس يعود على الطرفين:

﴿ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾

فعطف السبب على المسبِّب، لأن سبب الاستئناس هو السلام على أهلها، إذا استأذنت أهل البيت أنست أنت، وإن استأذنتهم أنسوا بك، فالاستئناس مشترك بينك وبينهم، وهذه عادة المسلم.

أحياناً بعض إخواننا الكرام يلتقون مع أناساً غير منضبطين إسلامياً، يدخل رأساً إلى البيت من دون استئذان، وهذا من الجهل الفاضح من الإنسان، لا تدخل بيتاً قبل أن تستأذن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

إنّ حكمة الاستئذان من أجل النظر، فإذا دخل الإنسان بلا استئذان ربما وقعت عينه على عورات أهل البيت، فحكمة الاستئذان من أجل ألاّ تقع العين على عورةٍ ينبغي ألاّ تُكشف، لذلك يجب على من يريد دخول البيت أن يستأذن، سواء أكان الباب مفتوحاً أو مغلقاً، لأن الشرع أغلق الباب بالتحريم، ولا يفتح إلا بالإذن، إذا كان باب مفتوحًا فليس معنى ذلك أن الدخول مسموح، ربما قد يكون مفتوحًا خطأً، والشرع أغلق الباب، وفتح هذا الباب بالإذن، فلو رأيته مفتوحاً فلا بدَّ من أن تستأذن.



الاستئذان أيها الإخوة واجبٌ على كلِّ بالغٍ يريد الدخول، سواء أكان في البيت أمه أم أخته أم ابنته، إلا الزوج، فليس عليه أن يستأذن بالدخول، وليس في البيت إلا زوجته.

الآن هناك بيوت كثيرة، فالإنسان عنده ابنته ووالدته وأخته وزوجته، إذا وجد في البيت أحد هؤلاء عدا الزوجة فينبغي أن تستأذن، وقد يكون عند الزوجة ضيفة، كأختها، إذاً الاستئذان هذا من أدب المسلم في علاقاته الاجتماعية، قال تعالى:

﴿ **وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾

(سورة النور: آية " 59 ")

ويروي الإمام مالك في الموطأ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا))

قد يدخل الأخ على أخته، فإذا كانت الأخت تبدّل ثيابها فالمفروض ألاّ يراها أخوها، ينبغي أن يستأذن الأخ على أخته إذا دخل حجرتها، وأن تستأذن الأخت على أخيها إذا دخلت حجرته، وأن يستأذن الأب على ابنته إذا دخلت حجرتها، هذه آداب إسلامية لئلا يرى الإنسان ما لا ينبغي أن يراه، والحديث واضح جداً.

هناك قصص نادرة عن علاقات شائنة بين الأخ وأخته، ربما كان السبب عدم تطبيق هذا الحكم، إذا وجدت حالات لا ترضي الأب، والأب يخرج من جلده حينما يستمع إليها، إذا كان هناك في البيوت بعض هذه الحالات فسببها عدم استئذان الأخ على أخته، أو عدم استئذان الأخت على أخيها، وإنما جعل الاستئذان من أجل النظر، حتى إن المرأة عليها أن تستأذن إذا دخلت، روى بن حاتم عن أم غياث قالت: << كنا في أربع نسوة نستأذن على عائشة رضي الله عنها، فقلت: ندخل ؟ قالت: لا، فقالت واحدة: السلام عليكم أندخل ؟ قالت: ادخلوا >>.

فقالت السيدة عائشة لهذه المرأة المؤمنة:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾

إذاً هذا سلوك حتى في بيتك، فالزوجة معفو عن الاستئذان منها فقط، أما الأم والأخت والبنت والعمة والخالة فهذه المحارم، لكن سوى المحارم لا نظر ولا لقاء.

لقد أوجب الإسلام أيها الإخوة على المسلمين أن يستأذنوا إذا دخلوا على آبائهم في أوقاتٍ ثلاث، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾

(سورة النور: آية " 58 ")

إنّ هذا واضح بشكل جلي ؛ أن الاستئذان من أجل ألاّ تقع عينك على عورةٍ لا يرضي الله أن تطلع عليها، وهذا ضروريٌ جداً في البيوت، والبيت المسلم بيت منضبط، وأضيف إلى هذا شيئاً أن لباس الأب والأم والشباب والفتيات في البيت يجب أن يكون منضبطاً، ولو كان الأخ مع أخته، فليس للأخت الحق أن تبدو أمام أخيها إلا بثياب الخدمة، التي وصفها الفقهاء بأنه الثوب الذي تخدم به المرأة بيتها، قد يكون نصف كُمٍّ فلا مانع، وأن يكون الصدر مستورًا، وتحت الركبة، هذه ثياب الخدمة، أما أن تتبذل المرأة أمام أولادها، أو الفتاة أمام إخوتها، أو الأخ أمام أخته فيلبس الثياب الداخلية، ويتجول بها في البيت، هذا لا يجوز أبداً، وهذا جزء من الدين، وإذا حدثَ فسادٌ يكون هذا هو السبب.

الآن من آداب الاستئذان عدم الإلحاح لحصول الإذن، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

(سورة النور)

قبل أن أتابع الموضوع قلت لكم سابقاً: ضباط الأمن الجنائي عندهم قاعدة عند وقوع جريمة، يقولون: فتّش عن المرأة في كل جريمة، وأنت عدّل هذه القاعدة، فتّش عن المعصية عند كل مشكلة تطرأ في البيت، وما من مشكلةٍ تفاقمت أو ظهرت أو تفجرت إلا وراءها معصية لله عزَّ وجل، فإذا أردت أن تنجو من المتاعب فعليك بطاعة الله عزَّ وجل.

عدم الإلحاح لحصول الإذن والاقتصار على الإذن ثلاثًا

الآن الحكم عدم الإلحاح بحصول الإذن، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

(سورة النور)



أحيانا يتصل بالهاتف . ويقول له: أنا سآتي إليك، فتجيبه بانشغالك بموعد، فيغضب المتصل، فلماذا أخبرَ بقدومه إذاً ؟ أنت الآن تستأذنه في الزيارة، وهو على موعد، قال لك: أنا على موعد، فهل ينبغي أن تغضب ؟ استأذنت، وقيل لك: لا تدخل الآن، فقد يكون الإنسان يقوم بتغيير ملابسه، فلا تدخل، فمن لوازم أدب الإذن، أنه إذا لم يؤذن لك فلا ينبغي أن تغضب، وإلا لم يكن للإذن معنى، كأنها كلمة يقولها رفعًا ودفعاً للعتب، لو لم يؤذن لك فأنت كونك مسلمًا .

ينبغي ألاّ تغضب، فلذلك الإلحاح في الإذن غير وارد، استأذِن، فإن أُذن فادخل، وإن لم يؤذن فلا تدخل. أحياناً هذا شيء يحدث، تطرق الباب بشكلٍ ملِحّ، قال الفقهاء: " كان أصحاب النَّبي e يستأذنون بأظافرهم على باب رسول الله "، فلماذا الطرق بإلحاح على باب أخيك، لعله يصلي، يجب أن تنتظر صلاة أربع ركعات، لعل أخاك وحده في البيت، واستأذنت أنت بقرع الجرس، وبعد أن قال صاحب البيت: الله أكبر، ليصلي صلاة الظهر أربع ركعات طرقتَ الباب، وإذا كان الطرق مستمرًا شوّشتَ عليه صلاته، فالأدب يعلمنا أنه ينبغي أن تنتظر مقدار صلاة أربع ركعات، طبعاً لا يقرأ سورة البقرة فيها، بل سورة عادية، فإذا طرقت مرة ثانية بعد الأربع ركعات، أو ثالثة، فلا مانع، لكن بعض الأشخاص مولعون في متابعة في الاستئذان عن طريق قرع الجرس، وهذا مخالف للشرع.

روى الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يقول:

((الاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلّا فَارْجِعْ))

[مسلم]

ويقول الإمام مالك: " الاستئذان ثلاث، لا أحب أن يزيد أحدٌ عليها، إلا من علم أنه لم يسمع، فلا أرى بأساً أن يزيد إذا استيقن أنه لم يسمع "

أحيانا يكون البيت واسعًا، وأنت تعلم خبايا البيت، وقد غلب على ظنك أن أهل البيت لم يسمعوا، في هذه الحالة لك أن تزيد في الإذن.

حصول الإذن مع وجود مانع الدخول

الآن عندنا حالات، لو أنه أذن لك ينبغي ألاّ تدخل، طرقتَ باب صديقك، سألت عنه، قيل لك: ليس موجوداً، فتقول لك امرأته: تفضَّل، انتظره، سيأتي بعد قليل، وهي قد أذنتْ لك، أنت لا يحق لك أن تدخل ولو أذِنتْ لك. عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))

فقد حرَّمت الشريعة الغراء أن يدخل أحدٌ البيت على امرأةٍ ليس معها ذو محرم.

أحياناً يكون الرجل وحده في البيت، وتأتي أخت زوجته من مكان بعيد، فقل لها: والله ليست هنا، ولا تستحي من الحق، أما أن تقول لها: تفضلي، وأنتَ وحدك معها فهذه خلوة محرَّمة، فإذا أردت أن تكرمها فاخرجْ من البيت، وقل لها: تفضلي، يمكن أن تفعل هذا إذا جاءت من مسافة بعيدة جداً، قل لها: انتظري، وارتدِ أنتَ ثيابك، واخرج من البيت، وادعها لدخول البيت، إذا كان هناك قرابة وثقة، أما أن تقول لها: تفضلي، أو أن تقول لصديق زوجها: تفضل فلا، ولو أذن ينبغي ألاّ تدخل، ولا يحق لك، وهذا من الكبائر.

فقد روى الإمام البخاري عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

فالحمو أقرباء الزوج، فلو ذهب إلى بيت أخيه فلم يجد أخاه، فليس له الحق أن يدخل إطلاقاً.

وقد بيَّن النبي عليه الصلاة والسلام علَّة تحريم الخلوة بامرأةٍ أجنبية، فليست الأجنبية هي التي معها جنسية أجنبية، فأخت زوجتك أجنبية، كلمة أجنبية في الفقه لا تعني أنها غير مسلمة، هي امرأة مسلمة، أخت زوجتك، الزوجة أخو زوجها، هذا أجنبي عليك.

في مسند أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))

[احمد]

فالنبي عليه الصلاة والسلام ربط الإيمان مع هذا العمل، فإذا كنت مؤمناً افعل هكذا، وإن لم تفعل فلست مؤمناً. إذا أردت أن تذهب إلى إنسان يعمل في الأمن الجنائي، وسألته عن مئة حالة جريمة أخلاقية، أو خيانة زوجية، أو تشرد، أو طلاق تعسفي، وتتبعت هذا الحالات لرأيت العجب العُجاب، كل هذه الحالات أساسها مخالفة هذه الأحكام، هذه الأحكام من عند خالق الكون، من عند صانع هذا الإنسان، هذه تعليمات الصانع، وأنت دائماً تحترم تعليمات الصانع.

قال الإمام الشوكاني: " وعلَّة التحريم ما في الحديث، من كون الشيطان ثالثهما، وحضوره يوقعهم في المعصية ". وهنا نقطة ذكرتها كثيراً، وهي تحل آلاف المشكلات، إذا خلا الإنسان بامرأةٍ أجنبيةٍ يفرز الدماغ أحياناً مادة تعطل فيها محاكمته، مشكلة الخلوة بامرأة أجنبية كبيرة جدا، فهذه المعصية تجذب، فأنت لست منهياً عن مقارفتها، بل أنت منهيٌ عن مقاربتها، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾

(سورة الإسراء: آية " 32 ")

لو أنّ إنسانًا خطا أول خطوة فلا بد من أن يصل إلى آخر خطوة، كالصخرة المتمركزة في رأس جبل، إذا دفعتها لا تستقر إلا في قعر الوادي، فلذلك أمور النساء أمور دقيقة جداً، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((النساء حبائل الشيطان))

[المنذري في الترغيب والترهيب عن حذيفة بسند ضعيف]

وقد ورد أن إبليس طلاعٌ رصّاد، وما هو من فخوخه بأوثق لصيده في الرجل من النساء، فهي حبلٌ خطير من حبائل الشيطان، فعلى الإنسان المؤمن أن يتقي الله.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[مسلم]

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول لميمون بن مهران: " لا تخلون بامرأةٍ وإنْ قلتَ: أعلِّمها القرآن "، فهل هناك أبلغ من ذلك، ولو قلت: أعلِّمها القرآن.

تحريم النظر على بيوت الغير

من لوازم هذا الموضوع، تحريم النظر إلى بيت الغير، ولا سيما هذه البيوت المتداخلة المتقاربة، فتجد بيتًا أمامه بيتٌ آخر، فبالليل أحياناً تفتح النوافذ، ويكون هناك تساهل، فمحرمٌ تحريماً قطعياً أن تنظر إلى داخل بيتٍ، وهذا بالطبع من لوازم غض البصر، وغض البصر كما تعلمون عبادة الإخلاص، وهذه العبادة لا تحرّمها القوانين، لكن يحرّمها خالق الكون، فحينما تغض النظر تؤكد لنفسك أنك تخاف الله عزَّ وجل، وتبتغي رضوانه. يروي الإمام مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه:

((أَنَّ رَجُلا اطَّلَعَ مِنْ جُحْرٍ فِي بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِدْرًى يُرَجِّلُ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ طَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ الإِذْنَ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))

[مسلم]



فلو أن إنسانًا يتلصص على جاره، أو ينظر من ثقب باب، أو يستعمل منظارًا، وهناك من يعلم هذا ليطلع على عورات البيوت، يجلس في الشرفات لينظر إلى البيوت التي دونه في النظر، يصعد إلى السطوح ليرى خبايا البيوت، هذا إنسان يرتكب عملاً يوجب أن تقلع عينه.

ويقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث،

((إنما جعل الإذن من أجل البصر))

فأنت ألغيت الإذن كله، إذاً النظر من ثقب باب، أو من نافذة مفتوحة، أو من شرفة، أو من سطح، أو بمنظار، هذا كله محرَّم تحريمًا قطعيًّا، وبالطبع ليس معنى ذلك أن تفقع عينيه، هذا إرشاد إلى إن هذا الجرم كبير جداً، وفي بعض أحاديث شريفة النبي ﷺ ما فعلها، ولن يفعلها، لكن هذا أسلوب بلاغي في عِظم هذه الجريمة، إنسان يتلصص، يسترق النظر ليرى عورات المسلمين !! هذا الذي حرمه الشرع الحنيف.

وقد ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم كما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ:

((مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ))

كما قلت قبل قليل: هذا الحكم لبيان عظم هذه الجريمة، فالمؤمن سمته حسن، المؤمن تعرفه بسمته، فعنده خشية وحياء، والله أعرف إخوة ورعين جداً، فإذا كان بالمصعد امرأة تعدُّ خلوة انتظر حتى تصعد، ويصعد هو وحده، وهذا بالطبع من الورع، لذلك كان تحريم اللعب بالحمَام من هذا الباب.

روى الإمام أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامةً، فقال:

((شَيْطَانٌ يَتْبَعُ شَيْطَانَةً))

[أبو داود]



مهنة تربية الحمام محرمة لأنها مظنة كشف العورات

من أين يتبع ؟ من على السطح، فهذا العمل أي البقاء على السطح مظنة كشف العورات، لذلك تحريم هذه الهواية لئلا يتوصَّل بها إلى الإطلاع على عورات المسلمين، هذا من لوازم الاستئذان.

إن القاضي شُريحًا لا يجيز شهادة صاحب حمامٍ.

ويقول الإمام ابن القيم: " يُمنَع اللاعبون بالحمام على رؤوس الناس "، أي يجب أن يقرَّعوا على رؤوس الناس، طبعاً هذه هواية محرمة في الشرع، لأنها مظنة استطلاع على عورات البيوت.

وإن شاء الله تعالى ننتقل في درسٍ قادم إلى الآداب التي يجب على المرأة أن تتبعها، والتي تجب على الرجل أن يتبعها كي يحفظ لهذا البيت قدسيته، نحن الآن في موضوع استمرار الزواج، تزوجنا بقي الاستمرار، فالتساهل في هذه الأمور قد يفسد هذه العلاقة الزوجية.

وأرجو الله سبحانه وتعالى، وأنا كلّي ظن حسن أنه لا يوجد مؤمن إلا وبالفطرة يكشف هذه الحقائق، فإيمان المؤمن وسلامة قلبه تحمله على اتباع هذه النصائح، ولو لم يعلم بها قد يكتشفها بفطرته.

سؤال وجواب:

السؤال:

هل يمكن الاستئذان على الزوجة كي لا تخاف ؟

الجواب:

ذلك صحيح، فأنت مباح لك أن ترى من امرأتك كل شيء، ولكن لماذا تستأذن عليها في الدخول ؟ إذا جئت في وقت غير وقتك، أو رجعت الساعة الثامنة والنصف لنسيانك غرضًا ما، ففتحت الباب بنعومة، ودخلت إلى البيت، وهي مستلقية على الفراش، فوجدتْ شخصًا أمامها، فحتى تعرف أنك أنت زوجها تتفلج، هذه ملاحظة دقيقة، الاستئذان على الزوجة لئلا تخاف هذا لم يدخل في موضوع الفساد، ولكن دخل في موضوع ألاّ تخاف.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6 – 9) : الآداب العامة للزوجة للحفاظ على الحياة الزوجية1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الآداب التي يجب على المرأة أن تراعيها حفاظاً على العلاقة الزوجية

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس الخامس عشر من دروس الأسرة التي بدأناها قبل عدة أسابيع، وها نحن ننتقل إلى الآداب التي يجب على المرأة أن تراعيها حفاظاً على العلاقة الزوجية.

1 – عدمُ سماح المرأة لخلوة الأجنبي بها



البند الأول من هذه الآداب: ألاّ تسمح المرأة لأجنبيٍ أن يخلو بها لأيّ سببٍ كان، وفي أي ظرف، فلمجرد أن تسمح المرأة المسلمة لأجنبيٍ أن يخلو بها في أيّ مكانٍ وفي أيّ زمانٍ ولأيّ ظرفٍ وفي أيّ وضعٍ فهذا ربما قادها إلى أن تزلّ قدمها، هذا هو التدبير الذي يحترز به من أن تفسد العلاقة بين الزوجين.

2 – الكلام مع أجنبي من وراء حجاب

شيءٌ آخر، لو أن إنسانًا سألها، أو طلب منها بعض المعلومات، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 53 ")

أي إذا أرادت لضرورةٍ أن تدلي ببعض المعلومات، ينبغي أن يكون هذا الإدلاء من وراء حجاب.

أول بند: ينبغي ألا تخلو بأجنبي مهما كان السبب ومهما كان الظرف.

البند الثاني: لو أرادت لضرورةٍ قاهرة أن تدلي ببعض المعلومات، أو أن تسأل فينبغي أن يكون هذا من وراء حجاب، لقول الله عزَّ وجل:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 53 ")

شيءٌ آخر.. هذا الحكم دائماً هناك من يقول: إن هذا الأمر موجهٌ لنساء النبي ﷺ :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

هو موجهٌ لنساء النبي ﷺ ، وأيّ أمرٍ موجهٌ لنساء النبي ﷺ ينسحب قطعاً، وبالتأكيد على نساء المؤمنين، لأن العفيفات الطاهرات المصونات المحصنات اللاتي هن أمهات المؤمنين إذا أُمِرن أن يقررن في بيوتهن، وإذا أُمِرن أن يفعلن كذا وكذا، فنساء المؤمنين في هذا الحكم من بابٍ أولى، أيْ يطبَّق عليهم هذا الحكم من بابٍ أولى، كأن إذا قلنا للطالب الأول: اجتهد، فلأن ينسحب هذا الحكم على الطالب المقصر من بابٍ أولى.

3 – عدم إبداء الزينة إلا للمحارم

البند الثالث: عدم إبداء الزينة، فبيوتاتٌ مسلمين بعضها مع شديد الأسف لا تتورع المرأة من أن تظهر محاسنها أمام الأجنبي، يطرق الباب فتفتح الباب، وهذا الطارق لعلّه ليس قريباً، ولا من المحارم، فكيف تبدو المرأة أمامه هكذا بلا حيطة ؟ فلذلك عدم إبداء الزينة لغير المحارم، أما إذا أمكن للأجنبي أن يرى المرأة إذا طرق الباب فليس للاستئذان معنى إطلاقاً، وإنما جُعل الاستئذان من أجل البصر.

أول شيء: ألا تسمح لأجنبي أن يخلو بها مهما كان السبب.

الشيء الثاني: لو اضطرت أن تدلي بمعلومات فيجب أن يكون هذا من وراء حجاب:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 53 ")

والشيء الثالث: أن تحرص حرصاً بالغاً على ألا يراها أجنبي، وهذا من إيمانها، ومن ورعها، أما إذا تساهلت فهذا رقةٌ في دينها.

4 – عدم الخضوع بالقول

لكن الشيء الذي ينبغي أن تراعيه المرأة هو عدم الخضوع بالقول، قال تعالى:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

(سورة الأحزاب: آية " 32 ")

قبل سنواتٍ تزيدُ على العشر سمعت أنَّ امرأةً وقفت أمام بائع، وساومته على سلعةٍ، ويبدو أنها لجهلها بهذا الحكم الشرعي خضعت بالقول، وألانت له الكلام، قالت له: نحن جيرانك، ألا تراعينا ؟ قال لها: أين بيتكم ؟ قالت له: هنا بيتنا، من أجل أن تخفِّض من قيمة هذه الحاجة ألانت له القول، فلما ألانت له القول طمع الذي في قلبه

مرض، لأن أيّ حركة غير طبيعية، أو أي طريقة في الكلام غير طبيعية فهذه كأنها دعوةٌ للأجنبي أنْ يقارب هذه المرأة، فامرأةٌ جاهلة، وهي تساوم في شراء حاجة ألانت القول، وإلانة القول خضوعٌ لهذا الرجل في تنفيذ رغبته، انظروا إلى دقة الآية، إلانة القول عبّر عنها القرآن بالخضوع، لمّا ألانت له القول كأنها خضعت لرغبته، أو كأنها أشعرته أنها خاضعةٌ لغربته، فما كان من هذا الرجل صاحب المحل التجاري بعد قليل إلا طرق بيتها، ووضع رجله في الباب، واقتحم البيت، لأنه طمع بها، هي ما خطر في بالها أبداً أن إلانة القول ستقوده إلى أن يأتي إلى البيت، زوجها له محلٌ تجاري قريبٌ من البيت، فأرسلت أحد أولادها إلى أبيه تستنجده، فلم يتروَّ الأب، ولم يفقه حقيقة الأمر، جاء معه الشرطة، وضبط رجلاً في بيتٍ مع امرأته، وطلقها، وله منها خمسة أولاد، والقصة علِمتها من زوجها، وقال لي: ماذا أفعل ؟ انظر، طلاق، وخمسة أولادٍ شردوا، وزوجها لا يشكُ في امرأته أبداً، والدليل أنها استنجدت به، وهي في أكمل ثيابها، إلا أن خضوعها بالقول جعل هذا الرجل يطمع فيها، انظروا إلى دقة الآية، فأيّة كلمةٍ مع البائع فيها لين، كأن تقول له: قلبك قاسٍ علينا، لا تراعينا، ولا كلمة من هذا القبيل، تسأله: كم سعر هذه الحاجة، فإما أن تشتري، وإما أن تذهب، هذه المرأة المسلمة، لأن الكلام الجاد لا يمكن أن يوحي للرجل بأي معنى، الكلام الجاد، والكلمة الدقيقة لا توحي للرجل بأيّ معنى، يؤكد هذا المعنى أن بنت سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قالت:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

(سورة القصص: آية " 25 ")

وانتهى الأمر، ولو أنها قالت: إن أبي يدعوك، يقول لها: من أبوك ؟ وما المناسبة ؟ فيحدث حوار بينهما، ولكنها أعطته الكلام كله، أعطته كلاماً لا يحتاج إلى تفسير، (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)، وهو حينما خاطبها ماذا قال ؟ قال كلمةً موجزةً لا تحتمل كلمة ثانية:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

(القصص: آية رقم " 23 ")

فأيّ كلامٍ آخر فيه مودة، وفيه إلانة بالقول لا يجوز ، فإذا كانت المرأة مأمورة ألا تخضع بالقول لئلا يطمع الذي في قلبه مرضٌ، فالشاب المؤمن والرجل المسلم أيضاً لا يلين القول للمرأة، كما أنها منهيةٌ على أن تخضع بالقول، هو أيضاً منهيّ عن أن يلين لها القول، الكلام اللطيف الكلام الذي فيه عذوبة، هذا الكلام للزوجة وللمحارم، والمودة والابتسامة والاعتذار اللطيف، هذا كله لو كان بين النساء والرجال دون أن يكون بينهما علاقات الزواج أو علاقات الحرمة، هذا الكلام يؤدي إلى فسادٍ عظيم، والفتاة أحياناً تكون ساذجة، فيلين قلبها لكلمة لينة، وتخضع لها، وكلمةٌ لينةٌ منها تغري الرجل أن يصل إليها، فهذه الآية دقيقة جداً:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 32 ")

الحقيقة أن المرأة في نوع ثيابها وشكله، وحركاتها وسكناتها وكلامها وإشاراتها كلها يجب أن تكون مضبوطةً بالشرع الحنيف، وإلا ففي أيّ خروجٍ عن الوضع الجاد دلّ هذا الخروج على أنها راغبةٌ في الرجال، أي أن المرأة التي تتبذل في ثيابها، وتسمع كلاماً قاسياً أو تعليقات لاذعةً من الأجانب في الطريق هي السبب، ثيابها ومشيتها، وحركاتها وسكناتها تدعو الأجنبي إلى متابعتها، لذلك المرأة المسلمة المحتشمة المحجبة هذه المرأة لا يطمع فيها أحدٌ أبداً:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 59 ")


المرأة المسلمة المحجبة هذه المرأة لا يطمع فيها أحدٌ

إذا خرجت المرأة كما أرادها الله أن تخرج فلن تؤذى، من التي تؤذى ؟ هي التي تدعو الناس أن يؤذوها بثيابها، بتفلتها بميوعتها، بخضوعها بالقول، لذلك الأب مسؤول مسؤوليةً كبيرةً، وكذلك الأم عن تربية بناتها التربية الإسلامية، فإذا خرجت من البيت لضرورةٍ فلا يمكن أن يطمع فيها أحد، لحشمتها

وجديتها وانضباطها بقواعد الشرع، قال تعالى:

﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾

(سورة الأحزاب)

القول الذي لا يعني شيئاً آخر غير مضمون القول، أي السؤال والجواب، وبالمناسبة إذا عُرِض للإنسان عملان، عمل متعلق بالنساء، وعمل متعلق بالرجال، إذا خُيِّر بين أن يبيع ألبسةً نسائيةً وأن يبيع ألبسةً رجالية كما يقولون فأنا أنصح أن يختص الإنسان بالألبسة الرجالية، لأنه أطهر لقلبه، وأبعد له عن الفتن، والمصالح المتعلقة بالنساء في آخر الزمان مع تفلُّت النساء من قواعد الشرع، ومع إبداء الزينة للأجنبي، ومع ثيابهن الفاضحة، تصبح هذه المصالح المتعلقة بالنساء أقرب إلى الفتنة، وأقرب إلى المعصية منها إلى الطاعة، فإذا خاف الإنسان على دينه وهو يحرص عليه، إذا خُيِّر بين عملين، عمل متعلق بالنساء، وعمل متعلق بشيء آخر فليختر العمل الآخر، ولو كان دخله أقلَّ، حفاظاً علي دينه:

((ابن عمر، دِينَك دينَك، إنه لحمك ودمك))

فقلما تجد إنسانًا يتعامل مع النساء يومياً، مع النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، يتعامل بشكل مباشر، قلّما تجده محافظاً على وجهته لله عزَّ وجل، لأنه يقع في المخالفات دائماً، ولا سيما حينما يغلب على النساء التفلت من قواعد الشرع، حينما يغلب عليهن التبذل، حينما يغلب عليهن أنهن يُثرن شهوة الرجل، ويبدين زينتهن لغير محارمهم.

إنّ هذا أيضاً مما تُكَلَّف به المرأة المسلمة من أجل أن تحافظ على هذا الزواج المقدس الذي هو أقدس عقدٍ بين مسلمين.

أول شيء: ألا تسمح المرأة لأجنبيٍ أن يخلو بها، وهذا شيء واضح جداً كالشمس، لكن من باب التأكيد على كلمة (أجنبي) في موضوعنا، فهي لا تعني أنه غير عربي، أو غير سوري، إنه أيّ إنسان ليس أبًا للمرأة، ولا أخاها، ولا ابنها، ولا عمها، ولا خالها، ولا ابن أخيها، ولا ابن أختها، ولا زوجها، غير هؤلاء الرجال هو في حقّها أجنبي، ابن عمها أجنبي، وابن خالتها أجنبي، وابن عمتها أجنبي، وجارها أجنبي، فالأجنبي في هذا الموضوع كل

إنسان ليس أحد محارمها، ليس زوجها، وليس أحد محارمها، فالمرأة المسلمة لا تسمح لأجنبيٍ كائناً من كان، في أي ظرفٍ، وفي أيّ مناسبةٍ أن يخلو بها، هذه واحدة.

الشيء الثاني: ألا تبدي زينتها لغير محارمها وفق ما أمر الشارع الحكيم، وبالطبع الزوج له وضع خاص، لكن ما سوى الزوج يجب أن تبدو أمام محارمها النسبيين بثياب الخدمة، وثياب الخدمة كما تعرفون هو الثوب الذي يستر صدرها، ويستر عضدها، وتحت ركبتها، هذه الثياب مسموح لها أن تبدو بها أمام محارمها غير زوجها.

5 – تحريم وصف المرأة للمرأة أمام زوجها

الآن تحريم وصف المرأة للمرأة عند زوجها: لأن المرأة إذا وصفت المرأة أمام زوجها فكأنه يراها، فما قيمة الحجاب إذاً ؟ وما قيمة التستر إذاً، فالآية الكريمة:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾

(سورة النور: آية " 31 ")

إلا أن ابن البعل، أي ابن الزوج ينبغي ألاّ يخلو بها، ووالد الزوجة ووالد الزوج ينبغي ألا يخلوَا بها، هذا حكمٌ شرعيٌ نجده في كتب الفقه، ولا سيما في الفقه الحنفي، فلا يجوز الخلوة ب زوجة الابن الشابة، ولا أن تخلو المرأة بابن زوجها إذا كان مقارباً لسنها، لأن هناك مفاسد كبيرة تنشأ عن ذلك، معنى ذلك أن المحارم ثلاثة أصناف، الزوج له حكم خاص، ومحارم النسب لهم حكمٌ خاص، ومحارم المصاهرة لهم حكمٌ خاص، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام بخاري عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ:

((لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[البخاري]

فأحياناً، وهذا الذي أسمعه أنه ولا سيما في أثناء خطبة النساء، فيقول لها: صِفِيها لي، هو مكلف أن يخطب لشخص، فتتساق معه، وتصفها له، إذا قال لها: المستوى جيد، تكفي هذه الكلمة، أما التفاصيل فلا ينبغي أن يدخل فيها، جيدة، وسط، أما أنه يطالب الرجل الأجنبي عن امرأةٍ بوصف دقيقٍ عن امرأةٍ فيجب ألاّ ترضى الزوجة أن تصف له هذه المرأة، والأصل ينبغي أن لا يطلب الزوج هذا الوصف، لأن الوصف أيضاً كأنه مشاهدة.

إنّ الإسلام كله أدب، أساساً الرجل يعرف المسلم من آدابه، فالإسلام فيه عقائد، وفيه عبادات، وفيه معاملات، وفيه أخلاق، وفيه آداب، فخمْس هذا الدين آداب ؛ آداب الطعام والشراب، وآداب المجالس، آداب الطريق، آداب السفر، آداب الولائم، في كل مناسبة هناك آداب، فلا ينبغي للرجل أن يسأل امرأته أن تصف له امرأةً أخرى تحت طائلة المعصية، ولا ينبغي للمرأة أيضاً أن تصف لزوجها المرأة دون أن يطلب منها، تحت طائلة الوقوع في المعصية، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

وهذا التحريم من قِبل النبي عله الصلاة والسلام كما قال بعض العلماء: هو " من باب سد الذرائع إلى الفساد والافتتان بالوصف ".

ومن قبيل ذلك أحياناً أقرأ بطاقات دعوة عقد قران، فيلفت نظري أن هذه البطاقة ليس فيها آية كريمة، فأنا أعجب بهذه البطاقة، لماذا ؟ لأنك عندما تريد أن تستغني عنها يكون إتلافها سهلاً، أما إذا كان فيها آية كريمة يصبح فيها حرج شديد، وكنتَ مضطرا أن تحرقها، أو أن تقصها، فأما إذا كان لم يكن فيها آية كريمة فمن الممكن أن تكون دعوة لطيفة ورقيقة من دون آية كريمة، فالآية معروفة.

أيضاً يلفت نظري في بطاقات عقد القران يكتب على البطاقة: " كريمة فلان "، من دون اسم، لكن الاسم أحياناً يلفت النظر، فبعض الأسماء جمالية، فإذا كتبت فقد يتصور الإنسان أن صاحبة هذا الاسم كذا وكذا، والأولى أن يغفل الاسم، والسبب أن القرآن الكريم لم يذكر اسم امرأةً واحدة إلا السيدة مريم، لأنه قيل عن عيسى: إنه ابن الله، فقال الله: إنه عيسى بن مريم، واقرؤوا القرآن كلَّه من ألفه إلى يائه فلن تجدوا اسم امرأة واحدة، هذا استنباط، فإذا زوج الإنسان ابنته فليكتب في البطاقة: عقد قران الشاب الفلاني على كريمة فلان، وانتهى الأمر، وهذا أكمل، وهو من باب الآداب طبعاً.

6 – خروج المرأة من البيت لحاجة وضرورة

الآن مغادرة المرأة المنزل، الله عزَّ وجل قال:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

أما الذي يقول: " إن المرأة تخرج من بطن أمها إلى البيت، ومن بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومن بيت زوجها إلى القبر " فهذا كلام غير منطقي، وغير معقول، وغير مقبول، وليس له أساس من الصحة، إنها ثلاثة خرجات بالتعبير الدارج، إلى بيت زوجها، ومن بيت زوجها إلى القبر، لا، فقد قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

معنى ذلك: إذا خرجتن لضرورةٍ فلا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، إذاً مباحٌ للمرأة أن تخرج من البيت، لكن لحاجة، أما بلا سبب فلا يجوز، أما إذا تجول الإنسان في الطرقات للتسلية، ولو فعلها رجل أساساً فالتنزه في الطرقات مما يجرح العدالة، فإذا أراد الرجل أن يتنزه في الطرقات، وأن يرى الغاديات الرائحات، فقد جرحت عدالته، ولم تقبل شهادته، فكيف بالمرأة التي هي موطن فتنةٍ ؟ فخروج المرأة من المنزل ينبغي أن يكون لحاجة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ))

(سنن الترمذي)

أي أن الشيطان وجد في خروجها مناسبةً لإيقاع الفتنة بها، وإن الشيطان يرى المرأة إذا خرجت من بيتها شبكةً يصطاد بها الرجال، والمرأة كما قال عليه الصلاة والسلام:

((النساء حبائل الشيطان))

فالشيطان واثقٌ جداً من هذا الفخ الذي لا يخطئ، فالمرأة المسلمة لا تخرج من غير ضرورة، أما إذا خرجت:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

وإذا خرجت إلى الطريق لإظهار حسنها وقِوامها وثيابها فهذه عاصية ولا شك، أما إذا خرجت إلى بيت أبيها، أو إلى بيت أختها، أو لشراء حاجتها الضرورية، فهذا خروج مشروع، والله يعلم المفسد من المصلح، ويعلم حقيقة نفس كل إنساناً.

وقد ورد في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((خَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ لَيْلا، فَرَآهَا عُمَرُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: إِنَّكِ وَاللَّهِ يَا سَوْدَةُ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَرَجَعَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، وَهُوَ فِي حُجْرَتِي يَتَعَشَّى، وَإِنَّ فِي يَدِهِ لَعَرْقًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَرُفِعَ عَنْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: قَدْ أَذِنَ اللَّهُ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَوَائِجِكُنَّ))

إذاً:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

ولا تبرجن إذا خرجتن، فالنبي عليه الصلاة والسلام وهو المشرّع أذن للمرأة المسلمة أن تخرج لحاجتها، قال أحد العلماء: " في هذا الحديث دليلٌ على أن النساء يخرجن لكل ما أبيح الخروج فيه، من زيارة الآباء والأمهات، وذوي المحارم، وغير ذلك مما تمسّ الحاجة إليه ".

حضور النساء الصلاة ودروس العلم في المسجد

أما حضورهن في المساجد، فروى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ مَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ))

معنى ذلك أن الصحابيات الجليلات كن يذهبن إلى المسجد، والنبي عليه الصلاة والسلام أقرّهنّ على ذلك، ونحن من فضل الله وتوفيقه يوجد عندنا قسم للنساء، وهو مجهز بكل وسائل الراحة، وله مدخل بعيد، فقد زارنا أحد الإخوة العلماء في المسجد، وأعجب بمصلى النساء، قال: ما الذي يمنع أن يفتح هذا في الخطبة الأولى ؟ قلت له لا مانع، طبعاً المرأة لا يجب عليها أن تحضر خطبة الجمعة، فهل هي ممنوعةٌ من ذلك ؟ لا، أحياناً يأتي الأخ من ريف دمشق إلى دمشق يوم الجمعة ليحضر الخطبة، ومعه زوجته، يريد أن يأخذها إلى بيت أهلها، أو إلى مكان في دمشق، فإذا حضر مع زوجته فبإمكانها أن تصلي، أو أن تستمع إلى الخطبة يوم الجمعة، فمصلى النساء مفتوح للنساء أيام الجُمَع، والدروس كلها يمكن عندنا أن تحضرها النساء، وعندما تتلقى زوجةُ الإنسان العلم الذي يتلقاه هو يصبح هناك انسجام وتعاون، وقد يكون الإنسان مقصّرًا في حق نفسه أحياناً، لكن لما يبيّن الزوج لزوجته حقوق الزوج فربما لا تستجيب له كثيراً، أما إذا سمعت حقوق الزوج من جهةٍ أخرى فيمكن أن تطبقها.



وكما روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ مَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَلَسِ))

النبيّ عليه الصلاة والسلام إذاً أذِن للمرأة أن تخرج من البيت إذا كانت هناك حاجة، مع مراعاة الآداب الإسلامية، والحكم الشرعي أنه: " ينبغي ألا تخرج المرأة من بيتها إلا لحاجةٍ لا تجد منها بُدًّا "، فبإمكانها أن تزور أباها، أو أمها، أو إخوتها، أو أن تشتري بعض الحاجات، أو أن تذهب إلى مجلس علم إذا كان هذا المجلس لا اختلاط فيه، وبعيد عن الرجال، مع توفُّر شروط الصون في هذا المسجد، لكن إذا أرادت المرأة أن تخرج من بيتها لحاجة فلا بد من أن تستأذن زوجها، هكذا النظام العام، روى الإمام البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما: قالَ: قال عليه الصلاة والسلام:

((ولا تخرج الزوجة من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت، لعنتها الملائكة، ملائكة الغضب والرحمة حتى تتوب أو تراجع))

يُستفاد من هذا الشرط في الحديث الذي رواه الإمام البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ:

((إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها))

معنى ذلك أن المرأة لا تخرج إلا بإذن زوجها، إذاً لحاجةٍ وبإذن زوجها، دققوا في هذا الكلام، حينما يُطبق الرجل أوامر الله في شأن زواجه، وحينما تطبق المرأة أمر الله في شأن زوجها، فهذا الزواج فيه عوامل البقاء والاستمرار، أما إذا خرج الرجل عن قواعد الزواج والمرأة كذلك، أصبح في هذا الزواج عوامل الهدم.

إذا استأذنت المرأة أحدكم، ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، فإذا كان المكان آمنًا لا اختلاط فيه، وقريبًا من البيت، ولا توجد أيّ مشكلة، فإذا استأذنت المرأة إلى المسجد فلا يمنعها، طبعاً إذا كان الخروج إلى المسجد يقتضي الاستئذان فالخروج إلى غير المسجد من بابٍ أولى، لذلك يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: " إن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجّهِ الأمر إلى الأزواج بالإذن ".

فإذا عندنا حاجة، وعندنا إذن، هذا ديننا، فالخروج لا بد له مِن حاجة، وإذنٍ من الزوج، قال: " وللزوج منعها من الخروج من منزله إلى مالها منه بُدٌّ ".

إذا كان الزوج يرى أن هناك فساد كبير في هذا الخروج، وهو يرى ما لا تراه امرأته، فله أن يمنعها، ومنعها نافذ، فهذه هو النظام، فلو مؤسسة لها مدير عام، وله قرار، والقرار عند الله معلّل، يقول أحد العلماء، وهو حكمٌ شرعي: " للزوج منعها من الخروج من منزله إلى مالها منه بدٌ ".

كيف ذلك ؟ لو فرضنا أنها طلبت منه الذهاب إلى أهلها، هذا الطلب منها مشروع، لكن هو يعلم علم اليقين أن عند أهلها رجلا لا يتورَّع، ولا يتأدب بآداب الإسلام، يُبيح النظر إلى الأجنبيات كلامه معسول ونفسه " خضراء "، بالتعبير العامي، وزوجته إيمانها ضعيف، ليس عندها قوة إيمان، سهلة الانقياد، فللزوج أن يمنعها من زيارة أهلها في هذا اليوم، وبعض الأُسر لهم أُسلوب خاص في الحياة، أُسلوب التفلت، أُسلوب المُيوعة والانحلال، يكون ابن عمها، أو قد يكون ابن خالها، وهي عند أهلها، فلو طلبت الزوجة من زوجها أن تذهب إلى أبيها في ظرفٍ خاص فله أن يمنعها، لكن العلماء قالوا: " لا ينبغي للزوج منع زوجته من عيادة والديها وزيارة أهلها، لأن في ذلك قطيعةً لهما، وحملاً للزوجة على مخالفة أمر الله:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: آية " 19 ")

ليست المُعاشرة بالمعروف أن تمنعها أن تزور أباها وأمها، أما إذا كان هناك سبب جاز منعها من ذلك، هذا الشيء أنا أقوله لكم، وكل الكلام مبني على وقائع، فأحياناً في بعض البيوت أشخاص فاسدون، وفي بعض البيوت أشخاص يشربون الخمر، وفي بيت يكون أبوها أو أخوها شاربًا للخمر، مثلاً، أو فاسق، ويقوم بثياب متبذلة في الصيف أو بثيابه الداخلية، فلو طلبت الزوجة من زوجها أن تذهب إلى بيت أبيها، ويعلم زوجها بهذه الحقيقة فله أن يمنعها، هو القائد، وأمره نافذ، هكذا الشرع، أما أن يمنعها مُطلقاً من زيارة أبيها وأُمها، وعيادة والديها فهذا لا يجوز، قال أحد العلماء: " لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه، ولا يحل لأحدٍ أن يأخذها إليه، ويحبسها عن زوجها، سواء كان ذلك لكونها مُرضعاً، أو لكونها قابلةً، أو غير ذلك ".

أحياناً بلا سبب مبرر يأخذ الأب ابنته إليه، ويمنعها من زوجها، والبنت تخاف من أبيها، يريد أن يغيظ زوجها، هذا عمل حرام، حرامٌ بأعلى صوت، أن تأخذ امرأةً راضيةً عن زوجها، أردت أن تؤذي زوجها بحرمانه من زوجته فأخذتها، هذا لا يجوز، هناك آباء يفعلون ذلك، وهناك أُمهات يفعلون ذلك، " لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها

إلا بإذن زوجها، ولا يحل لأحدٍ أن يأخذها إليه، ويحبسها عن زوجها، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه، كانت ناشزةً عاصيةً لله ورسوله، ومستحقةً للعقوبة ".

هذا حكم الشرع، لكن إذا أردت أن تُطاع فأمر بما يُستطاع، فإذا أراد الله عزّ وجل لهذه المؤسسة الأسرة أن تزدهر، وسمح للزوج أن يقودها فيجب أن يقودها بحكمة، ويجب أن يقودها من دون تعسف، من دون تسلُّط، من دون قمع، من دون إرهاب، هناك أزواج كثيرون يرون أن هذه السلطة يجب أن يمارسها بقسوة، هذا اسمه الاستعمال التعسفي للسلطة، الزوج عليه أن يستخدم هذه السلطة التي منحه الله إياها، وهي القِوامة بشكلٍ معقول، وشكلٍ منطقي، وشكلٍ رحيم وحكيم، لكن لا يوجد أي مؤسسة إلا ولها قرار واحد، وقائد واحد، فالقرار في الأُسرة للزوج، وهذه هي القِوامة.

سُئل أحد العلماء عمن تزوج بامرأةٍ ودخل بها، وهو مستمرٌ في النفقة، وهي ناشز، ثم إن والدها أخذها، وسافر بها من غير إذن زوجها، فماذا يجب عليهما ؟ فأجاب: " الحمد لله، إذا سافر بها بغير إذن زوجها فإنه يعزَّر على ذلك ".

يُعاقب الأب على ذلك، فموضوع أنها ابنتك، هي كانت ابنتك، لكنها الآن زوجته، وهو السيد، وما دام لا يظلمها، وليس بينهما مشكلة، وهو يُطعمها مما يأكل، ويُلبسها مما يلبس، ولا يضربها، ولا يُهينها، ولها مسكن شرعي، فأردتَ أن تغيظه بأن تأخذ ابنتك من عنده، وأن تحرمه منها، فقد وقع هذا الأبُ في معصيةٍ يُعاقب عليها في النص الإسلامي.

7 – خروج المرأة من البيت متحجِّبةً

بقي علينا أنها إذا خرجت ينبغي ألاّ تخرج إلاّ متحجبةً، فقد قال الله عزّ وجل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

التبرج أن تلقي الخمار على رأسها، ولا تشدّه، فيواري قلائدها وخِرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، فإذا ظهر عُنُقها وقلائدها، وظهرت ضفيرة شعرها فهي متبرجة، لذلك التبرج يعني إظهار الزينة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

(سورة الأحزاب: آية: " 59 ")



ذكر الإمام الطبري أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير هذه الآية: " أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجةٍ أن يُغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة ". ويقول محمد بن سيرين: " سألت عبيدة السلماني عن قول الله عزّ وجل: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ)، فغطى وجهه ورأسه، وأبرز عينه اليسرى ".

هذا معنى الآية، وقال تعالى:

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور: آية "31 ")

يقول القاضي أبو السعود في النهي عن إبداء صوت الحلي، بعد النهي عن إبداء عينها: " من المبالغة في الزجرِ عن إبداء موضعها ما لا يخفى ".

حينما يبدو من المرأة ما ينبغي أن يخفى منه فقد خرجت متبرجةً، كلكم يعلم أن الثياب الضيقة تبرز حجم العورة، وأن الثياب الرقيقة تبرز لون العورة، وأن المشية غير المُحتشمة تظهر مفاتن المرأة، وأن الصوت اللين، والخضوع بالقول يغري الرجال بها، فلا بصوتها، ولا بمشيتها، ولا بضيق ثيابها، ولا برقة ثيابها، هذا كله مما نهى عنه الشرع الحكيم.

أيها الإخوة، قال عندما ربنا عزّ وجل:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ ﴾

(سورة النور: آية " 31 ")

فما هو الشيء الذي يظهر منها عادةً، ولا تستطيع إخفاؤه ؟ إنّه طولها، وامتلاء جسمها، ولون ثيابها، هذا مما لا تستطيع إخفاءه، لكن الذي تستطيع إخفاءه يجب أن يخفى، وهذا ما فهمه ابن عباسٍ رضي الله عنه، وهناك أدلة كثيرة في هذا الموضوع، كما قال النبيّ عليه الصلاة والسلام فيما روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا أَسْدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُنَا كَشَفْنَاهُ))

[أحمد]

وأخرج الإمام الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: " كنا نغطي وجوهنا من الرجال ".

وفي درسٍ آخر إن شاء الله تعالى نتابع الحديث عن الآداب التي ينبغي أن تأتمر بها المرأة المسلمة لتحافظ على سلامة الحياة الزوجية بينها وبين زوجها، وكما تعلمون أن الحياة الزوجية هي المُقوِّم الأول لسعادة الإنسان، وبقي علينا ألا تخرج متعطرةً، وألا تظهر زينتها بالصوت، وألا تختلط مع الرجال، وهذا كله إن شاء الله تعالى نفصِّل فيه في درسٍ قادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7 – 9) : الآداب العامة للزوجة للحفاظ على الحياة الزوجية 2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس التاسع من دروس الزواج الإسلامي، وقد وصلنا في الدرس الماضي إلى الآداب التي على المرأة أن تتأدب بها، وأن تلتزم بها كي تكون سبباً في ديمومة الزواج.

مقدمات إرشادية مهمة

المقدمة الأولى: البطولة في الحفاظ على مكسب الزواج

المعنى الدقيق هو أن الوصول إلى الشيء ليس بطولةً، لكن الحفاظ عليه هو البطولة، فكم من زواجٍ عقد عقده، وبعد حينٍ فسخ، كم من زواجٍ انتهى إلى طلاق، أو إلى عداوةٍ شديدة، فالعبرة بالحفاظ على الشيء.



وذكرت لكم في درسٍ سابق أن الحق من صفاته الديمومة، وأن الباطل من صفاته الزوال، فإذا كنت مع الحق عقيدةً ومنهجاً، إذا طبقت في زواجك أوامر الحق جلّ جلاله فإنّ هذا الزواج سيستمر، إذا طبقت في تجارتك أوامر الحق والحق من صفاته الديمومة فإنّ هذه التجارة ستزدهر، إذا طبقت في علاقاتك الاجتماعية أوامر الحق والحق من صفاته الديمومة، فإنّ فهذه العلاقات سوف تنمو وتزداد، لأنك مع تعليمات الصانع، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)



فنحن مع الآداب التي إذا تأدبت بها المرأة، والتزمت بها كان التزامها بهذه الآداب سبباً في ديمومة الزواج، هل هناك أجمل من أن يقول الزوج: لي مع زوجتي أربعون عاماً أو خمسون عاماً، ونحن على أتمِّ وفاق، نتعاون على تربية الأولاد، نقطف ثمار هذا التفاهم أولاداً صالحين، وهل من شيءٍ يجرح الفؤاد كأن يقول الإنسان: لم أكن مرتاحاً مع زوجتي ولا يوماً واحداً ؟

فيا أيها الإخوة، الآداب التي أمر بها الشرع المرأة المسلمة إذا التزمت بها كان التزامها بها عوناً على ديمومة الزواج، فما من زوجةٍ على وجه الأرض تودُّ أن تطلق، ولا أن ينصرف عنها زوجها، ولا أن تصبح مهملةً، لا هي زوجة، ولا هي مطلقة، لعل أكثر الأسباب تقع من طرف الزوج أو من طرف الزوجة، أي إذا عصى الزوج، أو عصت الزوجة، أو عصيا معاً، فالزواج يصبح جحيماً لا يطاق، الله جلَّ جلاله يقول مخاطباً سيدنا آدم والسيدة حواء:

﴿ فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾

(سورة طه)

فلم يقل فتشقيا على حسب قواعد اللُغة، قال علماء التفسير: " إن شقاء الرجل شقاءٌ حكميٌ للمرأة، وإن شقاء المرأة شقاءٌ حكميٌ للرجل، وإن شقاء الأولاد شقاءٌ حكميٌ للوالدين ".

هذه النقطة الأولى.

المقدمة الثانية: قبول الحكم الشرعي وإن خالفه الهوى والواقع

النقطة الثانية التي أضعها بين يدي هذه الدرس، هو أن الإنسان إذا سمع حكماً شرعياً صحيحاً اتفق عليه العلماء فلا ينبغي أن يحكِّم عقله به، كل واحد له وضع في بيته، هذا زوجته محجبة حجابًا كاملا، هذا حجاب غير كامل، هذا حجاب غير مقبول، هذه الزوجة غير محجبة، فلا تجعل وضعك حكم على ما سأقوله الآن، المؤمن يتفهم الحق أولاً، الحكم الشرعي الصحيح، ويحاول أن يقترب منه، إما بالتدريج، وإما طُفرةً واحدة بحسب الحكمة والحال، لكن لا ينبغي أن تقول: هذا غير صحيح، وليس معك حجة ولا دليل، إلا لأنك تفعل هذا الشيء، وتكره أن تكون مكشوفاً أمام الله عزَّ وجل، الآن يوجد أمامنا مزلق، إذا كان لأحدكم وضع خاص في بيته، أنا ما تدخلت في أوضاعكم الخاصة، ولكن أذكر لكم الحكم الشرعي، وما ينبغي أن نكون عليه، أما لو كان الإنسان أقلّ تطبيقًا لما سيسمع فلا ينبغي أن يقول: ليس هذا هو الشرع، فأنا آتيك بالدليل من الكتاب والسنة، ولا أملك غير هذا.

فالمؤمن دائماً خاضع للحق، أما الذي يحاول أن يُخضع الحق لمزاجه، أو لما هو عليه فهذا إنسان يغيّر ويبدّل، ولأصل أن تخضع للحق، فإن لم تستطع أن تخضع فوراً فلك أن تقنع زوجتك بالحسنى، باللُّطف، بالإحسان، بالهدية، بالحجة، بالزجر، بالإعراض، هذا شأنك، وهذا تابعٌ لحكمتك، ولطبيعة زوجتك، أما أن تحكم على الحكم الشرعي من خلال واقعك فهذا غلط كبير، يجب أن تحكم على واقعك من خلال الحكم الشرعي، الحكم الشرعي هو الأصل، أنا أسير نحوه، ولا أطلب من هذا الحكم الشرعي أن يأتي إلي ليغطي ما أنا عليه، فالقضية أيها الإخوة دقيقة جداً.

الآداب التي تجب على المرأة أن تراعيها حفاظاً على العلاقة الزوجية

1- خروج المرأة بالحجاب الشرعي الكامل



هناك أفكار شائعة عند المسلمين أن الوضع هكذا، والحجاب هكذا، وهذا ليس عليه من سبيل، وهذا ليس عليه مأخذ، هذا كلام عام، وليس كلاما علميا، فالكلام العلمي هو الحكم الشرعي المؤيد بدليلٍ قطعي من الكتاب والسنَّة الصحيحة، هذا حكم الشرع، ولا يستطيع إنسان في الأرض كائناً من كان أن يأتي في الدين بشيءٍ من عنده، فمن أنت ؟ ومن أنا ؟ ومن فلان وفلان، وفلان و فلان ؟ من قال برأيه في هذا الدين فقد أخطأ ولو أصاب، لا رأي في الدين، في الدين حكم شرعي:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 36 ")

إخواننا الكرام، أحياناً يعكس الإنسان المقولة، فيقترح شيئا ليس من الدين، ويحاول أن يأتي بالنصوص التي تدعمه، قوية كانت أو ضعيفة، واهية، مقولة أو غير مقولة، الأصل أن هذا هو رأيه في هذا الموضوع، فهو بهذا يحدث ديناً جديداً، هؤلاء سموا في علم العقيدة: أهل الرأي، أهل الرأي أحدثوا دينا جديدا، بعد أن يقرر هذا الرأي هو الآن يبحث عن الأدلة القوية أو الضعيفة والنصوص.

فنحن بالعكس، لا تنظر إلى واقعك، ولا إلى ما أنت عليه، ولا إلى ما هي عليه زوجتك، بل انظر إلى الحكم الشرعي، واحكم على وضعك من خلال الحكم الشرعي، ولا تحكم على الحكم الشرعي من خلال واقعك، فكل إنسان له قناعاته، وله ظروفه، لكن هذا هو الحكم الشرعي، فأنت حاول بحسب حكمتك، إما تدريجاً، أو طفرةً، إما إقناعاً، أو إجباراً، بحسب الحكمة التي تراها مناسبة، لكن قبل أن أبدأ ينبغي أن تعلم أن الأصل هو الحكم الشرعي، وأنك تابعٌ له.

والخطأ في المنهج خطير جداً، فلو كان عندنا ميزان، فمن الممكن أن تزن كيلوين، وتقول: ثلاثة بالخطأ، تصورت أنها ثلاثة كيلو، قلت: ثلاثة، ويمكن أن تزن اثني كيلو، وتقول: كيلو، هذا شيء يحدث، لكن هذا الخطأ في المفردات بسيط جداً، أما أكبر خطأ أن يكون في الميزان، أوقية تحت كفة الميزان، فتصبح كل الموازين غلطا، فالخطأ في الميزان أخطر مليار مرة من الخطأ في الوزن، فالخطأ في الوزن لا قيمة له، غلطة واحدة أو غلطتان أو ثلاث، ولا يوجد إنسان معصوم عن الخطأ، لكن ما هو الخطأ الخطير ؟ هو الخطأ في المنهج ؟ هو الخطأ في الميزان لا في الوزن، الخطأ في الوزن سهل جداً، إذا حصل خطأً صواب كثير، أما إذا كان الميزان كله خطأ، أو ملعوبا فيه، لو تزن فيه مليون حالة فكلها غلط.

يجب عليك دوماً أن ترتعد فرائصك، ليس من الخطأ في المفردات، ولكن من الخطأ في المنهج، الخطأ في التصور، الخطأ في الموازين، الخطأ في العقيدة، الخطأ في الأحكام، هذا هو الخطأ القاتل، أما الخطأ في المفردات فليس قاتلا، وأوضح مثل الخطأ في الميزان شيء، والخطأ في الوزن شيء آخر، بالوزن أخطأت، يمكن أن تكون الوزنة اثني كيلو، وقلت، كيلو، ويمكن أن تكون متسرعاً، أو في عجلة من أمرك، فالخطأ في الوزن لا يتكرر، لكن الخطأ في الميزان يشقى صاحبه، فهو مستمر.

أردت من هذه المقدمة، أنه إذا سمعنا الآن أحكام الشرع في حجاب المرأة، وفي خروجها، وفي اختلاطها، وفي عملها، لا يمكنك أن تحكم على الموضوع من خلال واقعك، فتظن أنك على حق، وأنت على صواب، وهذه الأحكام غير صحيحة، هذا تفكير ساذج، تفكير غير علمي، تفكير جهلي، هذا هو الحكم الصحيح، ولكن حاول أن تقرب إما تدريجاً أو طفرةً من الحكم الشرعي الصحيح.

عندما قال ربنا عزَّ وجل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

نهى الله سبحانه وتعالى عن خروج المرأة متبرجةً، طبعاً حينما أمرها أن تقرَّ في البيت ما منعها أن تخرج، لكن سمح لها أن تخرج لحاجة، أما إذا خرجت لحاجة فالخروج لا للخروج، كأن تقول: أصابني الملل، أريد الخروج، هذه عند المرأة ليست واردةً إطلاقاً، فهذا كلام ليس له معنى.

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

ما هو التبرُّج ؟

أما إذا أردتن الخروج من البيت فلا تبرجن، ما هو التبرج ؟ يقول أحد العلماء: " التبرج أن تلقي المرأة الخمار على رأسها، ولا تشده، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك منها ".



الغطاء غير المشدود والسائب من التبرج

هناك غطاءٌ على رأسها، لكن غير مشدود سائب، هذا الغطاء السائب بدا منه قلائدها وقرطها وعنقها، هذا هو التبرج، صحيح أنّ على رأسها غطاء، لكنه غير محكم، وغير مشدود، يظهر من المرأة الزينة التي ينبغي أن تختفي، قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 33 ")

يقول أحد العلماء: " حرم الله تعالى على المرأة المسلمة أن تخرج وخمارها غير مشدودٍ على رأسها، وسُمي هذا الخروج في مثل هذه الصورة تبرج الجاهلية الأولى ".

هذا هو التبرج، أن يبدو من المرأة بعض مفاتنها.

وأمر الله سبحانه وتعالى أن تخرج النساء متحجبات، عندنا نهي عن التبرج، هذا الحكم السلبي، الحكم الإيجابي أمر الله سبحانه وتعالى النساء أن يخرجن متحجباتٍ، لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

(سورة الأحزاب)

2 – وجوب تغطية وجه المرأة وأدلة ذلك


بالنسبة للبعض الحجاب يتضمن وجوب تغطية الوجه

ينقل الإمام الطبري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قوله: " أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجةٍ أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة ". ويقول محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عزّ وجل: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ) فغطى وجهه ورأسه، وأبرز عينه اليسرى.

يقول عالمٌ آخر، وهو القاضي أبو السعود في قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور: آية " 31 ")

" في النهي عن إبداء صوت الحلي بعد النهي عن إبداء عينها من المبالغة في الزجر عن إبداء موضعها ما لا يخفى ".

هذا كلام دقيق جداً، كأن يكون في الأرجل خلخال، السوار في المعصم، والخلخال في الرجل، فإذا ضربت المرأة برجلها في المشي سمع صوت خلخالها، إذا كان هناك نهيٌ عن صوت الخلخال فما قولك في النهي عن الخلخال ذاته ؟ وإذا كان هناك نهيٌ عن الخلخال ذاته فما قولك بموضع الخلخال بموضع الزينة ؟ هذا ما يقوله القاضي أبو السعود: " في النهي عن إبداء صوت الحلي بعد النهي عن إبداء عينها من المبالغ في الزجر عن إبداء موضعها ما لا يخفى ".

الصوت منهي عنه، فعين الحلي الخلخال من باب أولى، فموضع الخلخال من باب أولى، فأنت منهي عن الثالثة، أي عن الصوت.

لا أحد يقول: الأستاذ شدد كثيرًا، ليس هذا تشديدا، والمؤمن لا يشد حتى، ولا يحل، هذا هو الحكم الشرعي. الآن حكمٌ آخر، وهو أن حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس يرى: " أن تغطي المرأة وجهها ورأسها ". وهكذا قال عامة المفسرين، يقول أبو بكر الجصاص:" في هذه الآية دلالةٌ على أن المرأة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الريب فيهن ".

هذا معنى قول الله تعالى: (وَلاَ يُبْدِنَ زِينَتَهُنَّ).

ويقول العلامة النيسابوري. " كانت النساء في أول الإسلام على عادتهن في الجاهلية، فأمرن بلبس الأردية والملاحف، وستر الرأس والوجوه ".

ويقول القاضي البيضاوي: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ)، أي يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة ".



روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ))

[أحمد]

وأخرج الإمام الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: <<كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام >>.

يُخْلص من هذا أن ستر الوجه من صلب الدين، وهو الحكم الشرعي الذي هو عليه علماء المسلمين، وإذا كان هناك خلافٌ في هذا، فهناك اتفاقٌ على أن المرأة الشابة فتنتها في وجهها، وينبغي أن تستر وجهها باتفاق العلماء قاطبةً.

هناك من يقول: المرأة تصلي ووجهها مكشوف، ويداها مكشوفتان، إذاً هذه عورة المرأة، الوجه ليس بعورةٍ، وكذلك اليدان، لأنهما تكشفهما في الصلاة، يقول ابن القيم في رد هذه الشبه: " هذا إنما هو في الصلاة لا في النظر، فإن العورة عورتان، عورةٌ في النظر، وعورةٌ في الصلاة، فالحرة لها أن تصلي مكشوفة الوجه والكفين، وليس لها أن تخرج في الأسواق ومجامع الناس كذلك، والله أعلم".

[كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين]

شبهة والجواب عنها

الآن هناك شبهةً مفادها أن هذا الأمر موجه إلى نساء النبي عليه الصلاة والسلام، والقاعدة الأصولية في فهم النصوص أن أي أمرٍ خوطب به النبي ﷺ ينسحب بشكلٍ حكميٍ على كل المؤمنين، لأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، والنبي ﷺ قدوة، فالأمر الموجه إليه ينسحب على أتباعه المؤمنين بشكل قطعي، ولا بد مِن دليل فرعي واضح على أن هذا الشيء خاصٌ بالنبي عليه الصلاة والسلام، فأي أمر عام موجه للنبي عليه الصلاة والسلام ليس فيه دليل على أن هذا الأمر خاصٌ به فالأمر عام، وعلى كل المؤمنين أن يأتمروا به. يقول أبو بكر الجصاص في تفسير هذه الآية:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

" هذا الحكم وإن نزل خاصاً في النبي صلى الله عليه وسلَّم وأزواجه، فالمعنى عامٌ فيه، وفي غيره، إذا كنا مأمورين بإتباعه والاقتداء به، إلا ما خص الله به نبيه دون أمته ".

فالشيء الخاص بالنبي معه دليل واضح، دليل خصوصيته، لكن إذا لم يوجد دليل خصوصية فالأمر موجه للنبي عليه الصلاة والسلام وموجهٌ حكماً لكل المؤمنين، لذلك الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 59 ")

لقد روى ابن أبي حاتم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾

<<خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسيةٌ سودٌ يلبسنها >>، هذا نقل عن تفسير ابن كثير.

الآن.



﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 53 ")

قال: يقول القاضي أبو السعود في تفسير هذه الآية: " أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذنٍ، وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول، وسؤال المتاع من وراء حجاب أكثر تطهيراً من الخواطر الشيطانية، فإذا كان سؤال المتاع من وراء الحجاب أكثر تطهيراً من الخواطر الشيطانية فما السبب في استثناء بقية النساء ". إذا الصحابية الجليلة أم المؤمنين إذا سألتها حاجةً فاسألها من وراء حجاب، لأن ذلك أطهر لقلبك وقلبها، فما القول في امرأةً ليست صحابيةً، وليست أم المؤمنين، ولم تلتقِ برسول الله ﷺ ، المرأة التي هي زوجة رسول الله، وهي حكماً أم المؤمنين، وهي الطاهرة العفيفة الحصان قال الله عزوجل لها:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: آية " 53 ")

فما القول في امرأةٍ ليست صحابيةً، وليست أم المؤمنين، وليست في طهارة وعفة وإيمان الصحابيات الجليلات ؟ هذا كلام كالشمس واضح.

3 – عدم خروج المرأة متعطرة


تتعطر المرأة داخل المنزل وليس خارجه

الأدب التالي لأدب الحجاب: ألا تخرج المرأة متعطرةً، فقد أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن طيب النساء ينبغي أن يظهر لونه، وأن يختفي ريحه، وأن طيب الرجال ينبغي أن يظهر ريحه، ويختفي لونه. أكمل طيب للرجل ليس له لون، لكن له رائحة، أما طيب النساء ليس له رائحة، لكن له لون، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

((طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ))

ونهى النبي عليه الصلاة والسلام أن تخرج المرأة وهي مستعطرة، فقد روى الإمام أبو داود في سننه عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلَّم قال . دققوا، لا تظنوا أن موضوع العطر في الطريق شيء وهو بلوى عامة، فهذا من الكبائر، أي أن المرأة إذا خرجت مستعطرة خرجت زانية، انتبهوا، بناتكم نسائكم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا اسْتَعْطَرَتِ الْمَرْأَةُ فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ قَوْلًا شَدِيدًا))

وفي روايةٍ عند النسائي:

((فهي زانية))

ويقول شارح هذا الحديث: " سماها النبي زانية مجازاً، لأنها رغَّبت الرجال في نفسها، فأقل ما يكون هذا سبباً لرؤيتها ".

فإذا شعر الرجل أن هناك رائحة عطرة يلتفت، ويتساءل: من صاحب هذا الريح العطر ؟ فأقل شيء بالمرأة المتعطرة أنها تلفت النظر إليها، الرائحة تسوق الوجه إلى النظر إلى صاحبة هذا العطر، سماها النبي زانية، طبعاً زانيةً مجازاً، لأنها رغَّبت الرجال في نفسها، فأقلّ ما يكون هذا سبباً لرؤيتها، وهي زنا العين، العين تزني وزناها النظر.

يبدو أن امرأة وقعت في خطأ في عهد النبي ﷺ كان لها ريح طيّب، فسألها أبو هريرة فَقَالَ:

يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ، جِئْتِ مِنَ الْمَسْجِدِ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ حِبِّي أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لا تُقْبَلُ صَلاةٌ لامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا الْمَسْجِدِ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الْجَنَابَةِ))

فتتطيب، وأن تأتي للمسجد هذا سوء فهم منها، ولو أنها أتت بيت الله عزَّ وجل غسلت موضع العطر خارج البيت، ممنوع في نظام الإسلام، لأن العطر يلفت النظر، والنظر يوقع في زنا العين، وهي السبب، لأنها هي التي رغَّبت في نفسها.

والنقطة الدقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما نهى الرجال عن منع النساء من الحضور في المساجد، معنى ذلك أنّ المرأة من حقها أن تأتي إلى المسجد، وبعد قليل ترون أنه يُطلَب أن يكون مكان النساء بعيدا عن الرجال، وأن يكون النساء لهم مدخل خاص، ومكان خاص فيه كل وسائل الراحة، فإذا نهى النبي ﷺ الرجال عن منع النساء من الحضور في المساجد، حيث يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن ابن عمر الذي رواه الإمام مسلم:

((لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ))

فقد نهى كذلك المرأة إذا استعطرت عن الذهاب إلى المسجد، بالمقابل هذه التي تأتي بيت الله بأكمل ثياب، أو بأكمل حركات، دون أن يكون هناك أي شيء يلفت النظر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ))

[مسلم]

هنا تعليق لطيف: إذا منعت المرأة من الذهابِ إلى المسجد لأنها متعطرة فكيف بالمرأة التي تذهب إلى الأسواق، وتشتري حاجاتها من الرجال الأجانب، وهي في أبهى زينة، وهي مستعطرة ؟!

4 – عدم إظهار الزينة بالصوت

ومن الآداب التي ينبغي على المرأة أن تتأدب بها حفاظاً على زواجها، وعلى سعادتها الزوجية، ألا تظهر زينتها بالصوت، قال تعالى:

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور آية " 31 ")

أحد المفسرين الأفاضل يعلِّق على هذه الآية يقول: " إنها لمعرفةٌ عميقةٌ بتركيب النفس البشرية، وانفعالاتها، واستجاباتها، فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارةِ الشهوات من العيان، وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها ".

أحياناً يكون الإنسان في غرفة النوم، إذا دخل إنسان أجنبي فلا ينبغي أن يرى في هذه الغرفة ثياب امرأة، وهذا هو الأكمل، حاجات المرأة تثير الخيال إلى مواضعها.

" فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان، وكثيرون تثير شهواتهم حاجات المرأة، أكثر مما تثيرها المرأة نفسها، وسماع وسوسة الحلي، أو شم شذا العطر من بعيد، قد يثير حواس الرجال أكثر مما يثيرهم منظر المرأة نفسها ".

أحياناً يكون الواقع أقل من الخيال، فالخيال يضفي على الواقع أحياناً مبالغات هو بعيدٌ عنها كثيراً.

" وهذه الآية فيها دلالةٌ على أنَّ المرأة منهيةٌ عن رفع صوتها بالكلام، بحيث يسمع ذلك الأجانب، إذا كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها".

إذا كان صوت الخلخال ممنوعا أن يسمع، فما قولك بصوتها هي، وقد يكون صوتاً فاتناً ؟!! لذلك صوت المرأة عورة ولو أذَّنت.

والآن انتبهوا إلى الأحكام الفقهية، المرأة إذا اقتدت بزوجها أو برجل، قد يكون هذا الرجل أباها أو أخاها، هذا شيء مشروع، وسها الإمام عن القعود، أو سها بترك واجب، يقول الرجل المقتدي: سبحان الله ! يذكِّر الإمام، أما أن تقول المرأة في الصلاة: سبحان الله ! فصوتها عورة، قال: لها التصفيق، إذا فعلت هذا، أي نبهت الرجل إلى أن هناك خلل في الصلاة.

روى الإمام ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

((التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ))

وهذا مبالغةً في عدم إظهار صوت المرأة، وقد سمعت في بلاد المغرب أن قديماً كان إذا طرق الباب الرجل لا تقول المرأة: مَن الطارق ؟ بل تضرب على الباب ضربات تشير إلى أن نحن وراء الباب، من تريد ؟ لئلا يسمع صوتها.

ويقول ابن قدامة: قال ابن عبد البر: " ليس على النساء أن ترفع صوتها بالتلبية ".

في أثناء الحج أو العمرة كان النساء الجاهلات يرددن الدعاء الذي يدعو به من يقودهن بصوتٍ أعلى من صوت الداعي، وأعلى من كل الرجال، وهذا جهلٌ فاضحٌ بأحكام الحج، ليس على المرأة أن ترفع صوتها بالتلبية، عليها

أن تلبي بصوتٍ تسمعها هي فقط، أما رفع الصوت فإن صوتها عورة، أيضاً هذا مما نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام.

" أجمع العلماء على أن السنة في المرأة ألا ترفع صوتها، وإنما عليها أن تسمع نفسها، وبهذا قال عطاء ومالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، وإنما كره لها رفع الصوت مخافة الفتنة، لذلك لا يسنُّ لها آذانٌ ولا إقامة ". إنّ المرأة في البيت لا تؤذن ولا تقيم، لأن صوتها عورة، " وإذا سها الإمام عن واجبٍ من واجبات الصلاة، لها التصفيق وله التسبيح "، هذا كلّه ينسجم مع أن صوت المرأة عورة.

5 – عدمُ اختلاط المرأة بالرجال



ومن الآداب التي ينبغي أن ترعاها المرأة حفاظاً على سعادتها الزوجية، عدم الاختلاط بالرجال، فتمكين النساء من الاختلاط بالرجال أصل كلُّ بليةٍ وشر، لو تتبعت أكثر المشكلات الكبيرة التي سببها المرأة لوجدتَ أن هذه المشكلة بدأت من خلوةٍ أو من اختلاط.

هناك أسرتان ذهبتا إلى الساحل ليقضوا أسبوعًا أو أسبوعين، الأسرتان رجعتا إلى الشام، وحصل طلاق بين الأسرتين، فيهما سبعة أولاد فيها، فقد أصبح بينهم اختلاط، الزوج الأول أعجبته زوجة الثاني، والثاني بالعكس، فحينما يختلط الرجال بالنساء تقع المفاسد والشرور، وكما يقول ضباط الأمن الجنائي: في كلِّ جريمةٍ أو مشكلةٍ فتش عن المرأة، وراء كل مشكلّة طبعاً، كما أن وراء كل إنسان موفق في حياته امرأةٌ تعينه على هذا التوفيق، أيضاً وراء كلّ إنسان وقع في مأساة في حياته امرأة أغرته بالانحراف.

وقد وجه النبي عليه الصلاة والسلام النساء أن يمشين في جزءٍ من الطريق مخصوص، أي إذا كان الطريق مزدحماً بالرجال فعلى المرأة أن تمشي في مكان بعيد عن الرجال.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

بنتا سيدنا شعيب

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة القصص]

بنتا سيدنا شعيب ما اختلطتا بالرجال، بقيتا في جانبٍ، والرجال في جانب، قال عليه الصلاة والسلام للنساء:

((اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ...))

(من سنن أبي داود)

فإذا هناك مجتمع من الرجال، وكان فيه ازدحام فالمرأة المؤمنة الطاهرة العفيفة تجتنب هذا الازدحام قال:

((فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ))

من شدة اتباعها لسنة النبي ﷺ ، والنبي عليه الصلاة والسلام خصص باباً لدخول المسجد، والآن يوجد باب النساء في الحرم المدني.

وفي سنن ابن داود عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ))

فلم يدخل سيدنا عبد الله بن عمر من هذا الباب حتى مات، فصارت سنة، لأن النبي ﷺ قال: هذا الباب للنساء، وفي أكثر المساجد والحمد لله هناك جناح للنساء بباب مستقل، ومرافق مستقلة، بغير اختلاط أبداً، أيضاً من أجل عدم الاختلاط بالرجال، ينبغي أن تكون صفوف النساء منفصلّة عن صفوف الرجال، حتى لو أنها امرأةٌ واحدة. وروى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ قَالَ:



((فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ: قُومُوا فَلأُصَلِّيَ لَكُمْ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَبِثَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ وَرَاءَنَا، فَصَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ))

[أحمد]

وقفت زوجته في صف مستقل، فالمرأة إذا حاذت الرجال في الصف فسدت الصلاة، فانظر إلى دقة عدم الاختلاط حتى في الصلاة، ولو أنها قريبة، المرأة لها صف خاص، وكما ذكر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في سنن ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا))

في الرجال بالعكس، خيرها أولها، وشرها أخرها، في النساء خيرها أولها، وشرها أخرها، أي خيرها ما كان بعيداً عن الرجال.



وكانت النساء المؤمنات يحرصن على ألا يختلطن بالرجال وقت الطواف، هذا الطواف صدر بظهر، وكتف بكتف، رجال ونساء، هذا بعيداً عن روح الشريعة الإسلامية، فهناك دراسات لكنها لم تنجح حتى الآن، ولكنها نجحت في المسجد النبوي، الآن في المسجد النبوي ليس هناك اختلاط أبداً، بابٌ خاص للنساء، وحيِّزٌ خاص للنساء، وجدر مانعة للنساء، وموقفٌ أمام رسول الله للنساء خاص،

فالقضية حُلّت حلاً جذرياً في الحرم النبوي الشريف، لكن نرجو الله سبحانه وتعالى أن تحلَّ حلاً جذرياً في الحرم المكي حيث لا يزال هناك اختلاط.

وقد روت كتب الحديث أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت:

((تَطُوفُ حَجْرَةً مِنَ الرِّجَالِ لا تُخَالِطُهُمْ))

(من صحيح البخاري)

أي في زاوية بعيدة عن الرجال لا تخالطهم.

الآن هناك نقطة دقيقة جداً، إذا صلّت النساء وراء النبي ﷺ ، متى كنَّ يقمن من المسجد ؟ بعد أن يسلّم، ويذهبن إلى البيت، ففي سنّة العشاء والوتر فالنساء بشكلٍ خاص أعطاهن النبي ﷺ توجيهاً أن يقمن من الصلاة بعد التسليم فقط، حتى يذهبن إلى بيوتهن، دون أن يختلط الرجال بالنساء.

روى الإمام البخاري عن أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهَا

((أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ إِذَا سَلَّمْنَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ قُمْنَ، وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ صَلَّى مِنَ الرِّجَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ الرِّجَالُ))

الرجال متى يقومون ؟ إذا قام رسول الله، أما النساء فكن يقمن من الصلاة فور التسليم، ويذهبن إلى بيوتهن لئلا يختلطنَّ بالرجال.

6 – عدم سفر المرأة إلا مع ذي مَحْرَم



الموضوع الأخير في آداب المرأة، ألاّ تسافر إلا ومعها ذو محرم، روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

أَرْبَعٌ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ: يُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْجَبْنَنِي وَآنَقْنَنِي:

((أَنْ لا تُسَافِرَ امْرَأَةٌ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ لَيْسَ مَعَهَا زَوْجُهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ، وَلا صَوْمَ يَوْمَيْنِ الْفِطْرِ وَالأَضْحَى، وَلا صَلاةَ بَعْدَ صَلاتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَلا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ الأَقْصَى))

ويروي الإمام مالك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا))

وروى الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهما قَالَ: قَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ))

يقول الإمام النووي في شرح هذه الأحاديث، قال البيهقي: "كأنه ﷺ سئل عن المرأة أن تسافر ثلاثاً بغير محرم ؟ فقال: لا، وسئل عن سفرهما يومين بغير محرم ؟ قال: لا، وسؤل عن سفرها يوماً ؟ قال: لا "، أي لا تسافر مطلقاً إلا مع زوجها، أو مع ذي محرم.

والحديث الآخر:

((لا تحجنّ امرأةٌ إلا ومعها ذو محرم))

وروي الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتِ امْرَأَتِي حَاجَّةً قَالَ: اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ))

أمره بترك الجهاد، وأن يحج مع امرأته.

والعلماء يقولون: المرأة التي لا تجد محرماً تحج معه ليست مستطيعة للحج، والحج على من استطاع إليه سبيلاً. أيها الإخوة، عدم الاختلاط بالرجال، وعدم رفع الصوت، وعدم التعطر، وعدم الخروج بغير الزي الإسلامي الذي أمر به الإسلام، هذه كلُّها تدابير احترازية، لو فعلّتها المرأة لضمنت زواجاً سعيداً، وضمنت استقراراً نفسياً، وهي طاعةً لله عزَّ وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8 – 9) : الآداب العامة للزوج للحفاظ على الحياة الزوجية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تذكير وتمهيد

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس العاشر من دروس الزواج، وهو الدرس الأخير من هذه السلسلة التي تعني معظم المسلمين شباباً وشاباتٍ ومتزوجين.

ذكرت لكم في دروسٍ سابقة أن الزواج الإسلامي فيه عوامل استمراره، وأن الزواج غير الإسلامي فيه عوامل انهدامه، وذكرت لكم الشروط التي يمكن أن تكون سبباً في ديمومة الزواج، وكما قلت في درسٍ سابق: العالم الإسلامي على تقصيره، وعلى تفلّته من معظم منهج الله عزَّ وجل، إلا أنه يحافظ على نسبٍ منخفضة من الطلاق، وقد ذكرت لكم الرقم الذي بُيّن في درسٍ سابق، فنسب الطلاق في مجتمعات أمريكا 62 بالمئة، و36 بالمئة في المجتمعات الأوروبية، و3 من الألف في المجتمعات الإسلامية، هذا دليل أن المسلم حينما يتزوج إذا طبق بعضاً من منهج الله يقطف ثماره ديمومةً في زواجه، أما إذا طُبقت تعليمات الخالق كلّها فهذا شيءٌ يضمن للزواج أن يقطف الإنسان ثماره، وأن يستمر هذا الزواج.

الدرس الماضي كان حول الشروط التي على المرأة أن تقوم بها لتكون سبباً في ديمومة الزواج، واليوم ماذا على الرجل أن يفعل من أجل أن يسعد في زواجه ؟.

الآداب التي تجب على الرجل أن يراعيها حفاظاً على العلاقة الزوجية

أيها الإخوة الكرام، النبي عليه الصلاة والسلام ورد عنه:

((أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ))

[أحمد]

أي مستحيل بعد أن جاءت الدعوة الإسلامية أن ينشأ في العالم الإسلامي عبادة أصنام، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ: يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا وَثَنًا، وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَشَهْوَةً خَفِيَّةً))

[ابن ماجه]

إن موضوع الأصنام انتهى مع مجيء الدعوة الإسلامية، فالشيطان يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم.



مثلا: هناك بيت فيه عشرات الأجهزة الكهربائية، الخط الرئيسي مقطوع بقدر ميليمتر أو سنتيمتر، أو 10سنتيمتر، أو متر، أو خمسة أمتار، فالنتيجة واحدة،

((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ))

ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم، في الأعم الأغلب المسلم لا يسرق، ولا يزني، ولا يشرب الخمر، فما الذي يبعده عن الله عزَّ وجل ؟

ما يتوهم أنه صغائر، وهذه الصغائر لو أصرَّ عليها انقلبت إلى كبائر، انقلبت إلى كبائر حكماً، لأنها تلتقي مع الكبائر في قطع الإنسان عن الله عزَّ وجل.

أحياناً لا يحتاج هذا الدين العظيم إلى توضيحٍ شديد، هو واضح جدًّا، نحن عقَّدنا هذا الدين، هو أعظم وأجلُّ من أن يكون معقَّدا، القضية في الدين أنه إذا صحت عقيدتك، واتصل قلبك بالله قطفت ثمار الدين، صحة العقيدة تحتاج إلى شيئين ؛ إلى طلب علمٍ، وإلى تفكرٍ في خلق السماوات والأرض، وصحة الوجهة تحتاج إلى استقامة، لكن هناك نشاطات إسلامية كثيرة، كقولهم: فلان فكره إسلامي، وفلان مشاعره إسلامية، وفلان مهتم بقضايا المسلمين في العالم، فلان مهتم بالتأليف الإسلامي، فلان مهتم بالمشاريع الإسلامية، هذه النشاطات الإسلامية على جلالة قدرها بمجموعها من دون استقامةٍ تامة لا تنهض لتكون سبباً لقطف ثمار الدين، لأنّ قطف ثمار الدين تحتاج إلى صحة عقيدة، وإلى استقامة، لذلك: ركعتان من ورع خيرٌ من ألف ركعةٍ من مُخلِّط.

1- غضُّ البصر

فالزوج الذي يتمنى أن يسعد بزوجته، وأن تسعد به زوجته، والزوج الذي يتمنى أن يدوم هذا الزواج، وأن تتنامى العلاقة بين الزوجين على مرِّ الأيام والشهور، هذا الزوج عليه أن يغضَّ بصره عن محارم الله، لأن الإنسان إذا أطلق بصره دفع الثمن باهظاً، دائماً يجب أن تعتقد أن بين الطاعة ونتائجها علاقةٌ علمية، وأن بين المعصية ونتائجها علاقةً علمية، هذه العلاقة إطلاق البصر يؤدِّي إلى فساد ذات البين، وغضُّ البصر يؤدي إلى الموافقة فيما بين الزوجين، يا ترى هل غض البصر وحده يؤدي إلى هذه السعادة ؟ أم أن العناية الإلهية تتدخل لهذا الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾

(سورة النازعات)



فيلقي في قلب الزوجة حبَّ زوجها، ويلقي في قلب الزوج حبَّ زوجته، إما أن غض البصر وحده يعدُّ سبباً كافياً، على اعتبار أن الإنسان ليس في عالمه إلا زوجته، أو أن العناية الإلهية تتدخل تدخلاً مباشراً لتلقي في قلب كلٍ من الطرفين حبَّ الطرف الآخر، وليس غريباً أن تنفرد آيةٌ كريمةٌ في كتاب الله واضحة الدلالة، تشير إلى غض البصر:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

(سورة النور: آية " 30 ")

أي أن الزوج الذي يتمنى أن تستمر سعادته الزوجية، وأن تتنامى، عليه أن يغض بصره عن محارم الله، وقلت لكم من قبل أشياء كثيرة في هذا المعنى، أن الله سبحانه وتعالى جلَّت حكمته، شرعه أو بعض بنود شرعه يتوافق مع القوانين الوضعية، فإذا كفَّ الإنسان نفسه عن السرقة، ربما كفَّ نفسه عن السرقة خوفاً من الله تعالى، وربما كفَّها خوفاً من عقاب القانون الذي لا يرحم أحياناً، لكن شاءت حكمة الله أيضاً، أن ينفرد الدين بأوامر ليس في الأرض كلّها تشريعٌ يحظرها أو يمنعها، كالنظر إلى النساء، لا في القوانين القديمة، ولا الحديثة، لا المتقدمة ولا المتخلفة، لا قبل مجيء السيد المسيح، ولا بعده مجيئه، موضوع إطلاق البصر وغض البصر ما تدخلت به القوانين إطلاقاً، فهذا الذي يغضُّ بصره عن محارم الله، هل تستطيع أن تفسر عملّه هذا خوفاً من القانون ؟ هذا مستحيل، لا يفسر غض البصر إلا إخلاصاً لله عزَّ وجل وإلا خوفاً منه.

فأنا قلت لكم سابقاً: إن الإنسان يصلي في اليوم خمس مرات، لكن إذا سار في طريقٍ، وغض بصره غضاً حازماً، مع كلِّ نظرةٍ صرفها عن محاسن امرأةٍ أجنبيةٍ يرقى بها عند الله، فكما أن الله عزَّ وجل جعل لك الصلوات الخمس مناسباتٍ تتصل بها بالله عزَّ وجل، جعل لك غض البصر منسباتٍ عديدةً جداً تتصل بالله عزَّ وجل فيما بين الصلوات.



لذلك ما من دعوةٍ إلى الله تهمل غض البصر إلا وقعت في مطبٍ كبير، ما هو هذا المطب ؟ أن الإنسان إذا أطلق بصره حجب عن ربه، فإذا حُجب عن ربه، شعر أن عبادته اقتربت من أن تكون جوفاء، شعر أن الصلاة لا طعم لها، وأن تلاوة القرآن لا طعم لها، وأن ذكره ليس له مردودٌ في قلبه، فلذلك إذا أراد الزوج أن يسعد بزوجته فعليه أن يغض بصره عن محارم الله، تنفيذاً لأمرٍ قرآني قطعي الدلالة:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

(سورة النور: آية " 30 ")

طبعاً الشريعة متكاملة، أمرت النساء بالتحجُّب، لكن لو أن النساء لم يأتمرن بهذا الأمر، ماذا يفعل الرجل ؟ أُمِر بغض البصر، لأنّ غض البصر يصلح في مجتمع منضبط ومجتمع متخلف، فإذا تفلَّت المجتمع فغض البصر هو الرد الحقيقي على طريقٍ ممتلئ بالنساء الكاسيات العاريات، قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

(سورة النور)

معاني قوله تعالى: أبصارهم

لكن كلام الله عزَّ وجل يأخذ بالألباب في كلمة (مِنْ) في قوله:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

المعنى الأول:

لو الله عزَّ وجل قال: قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم، معنى ذلك لا يصح لرجلٍ أن ينظر إلى أنثى كائنةً من كانت، قل للمؤمنين يغضوا أي أن هناك نساء لك أن تنظر إليهن، كالزوجة، والأم والأخت والبنت، والعمة والخالة، وبنت الأخ وبنت الأخت، هؤلاء هن المحارم، فأنت تغض بصرك، أي تغض من بصرك، تغضُّ بعض بصرك عن النساء الأجنبيات، ولك أن تنظر ببصرك إلى النساء المحارم، هذا أول معنى من معاني (من).

المعنى الثاني:

أنك إذا نظرت إلى من أحلَّ الله لك أن تنظر إليه فيجب أن تغض من بصرك، أي ألاّ تحدق في التفاصيل، ألاّ تدقق في الخطوط، ألاّ تتصور ما وراء هذا الحجاب، أو ما وراء هذه الثياب، هذا من أدب المسلم في نظره إلى محارمه، وهناك أناس لا يعرفون حدود الشرع، فأخته مثلاً لها حرمة، لك أن تجلس معها، ولك أن تأكل معها، ولك أن تسكن معها في بيت، لكن بثياب محتشمة سموها ثياب الخدمة، أي لا يقصر الكمُّ عن المرفق، ولا تنزل فتحة الثوب عن الصدر، ولا يرتفع الثوب عن الركبة، هذه ثياب الخدمة، وإذا نظرت إلى المحارم فانظر بعض النظر، نظرة إجمالية من دون تدقيق، وبدون تفحُّص، ومن دون تركيز على الجزئيات هذا معنى (من).

المعنى الثالث:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

أي أنهم إذا نظروا إلى امرأةٍ أجنبيةٍ فجأةً هناك منعطف، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفَجْأَةِ فَأَمَرَنِي فَقَالَ:

((اصْرِفْ بَصَرَكَ))

[احمد]

هو نظر بعض النظر، وغض بصره فوراً، هذا هو المعنى الثالث.

عندنا تبعيض نوعي، وتبعيض كيفي، وتبعيض فُجائي، التبعيض النوعي لك أن تنظر إلى المحارم، وعليك أن تغض البصر عما سواهن، التبعيض الكيفي إذا نظرت إلى المحارم فينبغي أن يكون النظر معتدلاً، المعنى الثالث: أنّك إذا نظرت فجأةً إلى امرأةٍ أجنبية فعليك أن تصرف عنها بصرك فوراً، أما أن تأتي الآية الأولى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

أتى غض البصر قبل حفظ الفرج، هذا الترتيب ترتيب سببي، أي سبب حفظ الفرج هو غض البصر، وحفظ الفرج نتيجة، أما التعليل:

﴿ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور: آية " 30 ")

أطهر، أرقى، أصفى، أنجى، أتقى:

﴿ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

يمكن للإنسان أن يوهم الآخرين أنه يغض بصره، لكن الله وحده يعلم خائنة الأعين:

﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

يمكن أن توهم من حولك من الملتزمين أنك تغض البصر، فإذا التفتوا إلى جهةٍ، أنت نظرت إلى جهةٍ التي لم تكن تنظر إليها من قبل، فهذا الاختلاس ممكن، كما أنه يمكن للطبيب وقد سمح له أن ينظر إلى جسد المرأة بحكم الضرورة يمكن أن ينظر إلى مكانٍ لا تشكو منه المرأة، هذه اسمها خائنة الأعين:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

(سورة غافر)

فموضوع غض البصر مؤشر دقيق لمراقبتك لله عزَّ وجل، والحقيقة واللهِ أيها الإخوة يجوز لأحدكم أن يقول: نحن يبالغ في هذا الموضوع، الآن سأسمعكم أقوال العلماء الكبار حول هذا الموضوع.



إنّ غض البصر طريقٌ قصيرٌ إلى الله عزَّ وجل، طريقٌ قصيرٌ إلى أن يعمر القلب إلى ذكر الله، ماذا يقول الإمام القرطبي في تفسيره الشهير الجامع لأحكام القرآن حول هذه الآية ؟ يقول: " هو الباب الأكبر إلى القلب "، أي إذا أردت باباً واسعاً يدخل منه النور إلى قلبك فهو غض البصر، " وأعمر طرق الحواس إليه "، عندك خمس حواس، العين حينما تغض بصرها تعمِّر القلب بالقرب من الله، غض البصر يعمِّر القلب، هذا رأي الإمام القرطبي في غض البصر، والتجربة أكبر برهان، فنحن على أبواب رمضان، فإذا بالغ الإنسان في غض بصره، وأداء صلواته، وضبط لسانه، وأنا هذه أذكرها كثيراً: ضبط الدخل، ضبط الإنفاق، ضبط الجوارح، ضبط اللسان، أداء الصلوات، قراءة القرآن، لا تشعر إلا وأنك تحلق في أجواء القرب الإلهي.

ويقول الإمام القرطبي أيضاً: " والبصر يكثر السقوط من جهته، ويجب التحذير منه "، كما أن هذه الحاسة حاسة البصر تعمر القلب بالقرب من الله، وهي آكد الطرق إلى القلب، هي المزلة والسقوط التي تودي بالقلب إلى البعد عن الله عزَّ وجل.

ويقول عالمٌ آخر في شأن غض البصر: " النظر داعيةٌ إلى فساد القلب ".

وقال بعض السلف: " النظر سهم سُمٍ إلى القلب ".

والنبي الكريم ﷺ يقول:

((النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس))

[الترغيب والترهيب للمنذري بسند فيه ضعف]

وروعة الحديث أن هذا السهم مسموم، لأن الإنسان إذا طعن بسهمٍ غير مسموم تأثر مكان الطعن فقط، أما إذا طعن بسهمٍ مسموم سرى السم في كل أعضاء الجسم، لذلك إذا أطلق الإنسان بصره تضطرب دراسته، وتضطرب أسرته، ويضطرب عمله، ويضطرب مزاجه، وتضطرب أعضاؤه، لأنه تتسمم لأن

((النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس))

فأنا أرى أن كلَّ إنسان له مأخذ أو نقطة ضعف يؤخذ منها، وأن الشباب وغير الشباب في زمن الفتنة أكبر مأخذٍ يؤخذون منه، وأكبر مزلة قدمٍ يزلّون فيها موضوع البصر، ومن لوازم المؤمن غض بصره عن محارم الله، لذلك أمر الشرع الحنيف بحفظ الفروج، كما أمر بغض الأبصار، وجعل غض الأبصار ثمناً لحفظ الفروج.

وقال الشيخ القاسمي في تفسيره لهذه الآية: " النظر بريد الزنا، وغض البصر من أجل الأدوية لعلاج القلب، وفيه حسمٌ لمادته ".

إذا نشأت مع الإنسان مشاحنة أحياناً، أو نفور أو تباغض فلعله تساهل في هذه العبادة، عبادة غض البصر، فكان العقاب العاجل هذه المشاحنة، وتلك البغضاء بين الزوجين، لأن الإمام الشعراني يقول: " أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي ".

ويقول ابن كثير في تفسيره للآية:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

" أي ذلك أطهر لقلوبهم، وأتقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته ".

هناك بصر وهناك بصيرة " من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته "



دائماً هناك لذات قريبة، وهناك سعادة متنامية، اللذات القريبة إذا ضحَّيت بها كسبت السعادة المتنامية، والسعادة المتنامية تضيع منك إذا آثرت عليها اللذات القريبة، وأنا أرجح أن أسمِّي اللذة الناتجة عن عضوٍ حسي، واللذة العابرة التي تنتهي بكآبةٍ وضيق، أن أسميها لذةً، ولا أسميها سعادةً، والسعادة الناشئة عن اتصال الإنسان بالله عزَّ وجل، وعن استقراره وسكينته، هذه السعادة المتنامية أنا أفضل أن أسميها سعادة لا لذة، السعادة تعني أنه يغلب عليها الطابع النفسي، وطابع الديمومة، وطابع التنامي " النماء "، واللذة يغلّب عليها الطابع الحسي، وطابع الانقطاع، وطابع الانكماش.

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلَّا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا))

[أحمد]

عندنا مقياس، هل تشعر بحلاوةٍ تذوق طعمها عند غض البصر ؟ قد يشعر الإنسان بقيمته الإنسانية، وبقوة إرادته، أحياناً تتوهم المرأة وهي جاهلة أن معها سلاحاً قوياً ضد الرجل، طبعاً أقصد الأجنبية، أما إذا رأت إنساناً لا ينظر إليها اعتراها الفشل والحزن.

كنت في الحج قبل عدة أعوام، فأُشيرَ إلى شابٍ ألماني مسلمٍ، حُدِّثنا عن سبب إسلامه ؛ أن هذا الشاب هو ليس شاباً بل هو كهل، أن هذا الإنسان الألماني له بيت في مدينة في ألمانيا، وجاءه طالب من سورية سكن في إحدى غرف البيت، وفي هذا البيت فتاةٌ جميلة هي ابنته، وبحسب قيم هؤلاء وعاداتهم وتقاليدهم، ليس عنده ما يمنع من أن تكون هناك علاقة بين هذا الشاب الضيف وفتاته، لكن الذي لفت نظر هذا الإنسان أن هذا الشاب تمنى أن

يضبطه مرةً واحدة ينظر إلى ابنته، مرة أو مرتين، أو أسبوعًا أو أسبوعين، أو في أوقات منتظمة أو غير منتظمة، لكن هذا الشاب يغض بصره غضاً حازماً، وهذا نموذج نادر وغير مألوف هناك، فلا مانع لديه في أن يكون هناك مودة أو لقاء بينه وبين ابنته، فلما جلس إليه ليناقشه قال: هكذا ديننا أمرنا بغض البصر، وبعد مناقشاتٍ طويلة، كان إسلام صاحب البيت على يد هذا الشاب، وقد رأيناه في الحج، فالانسياق مع الشهوة لا تحتاج إلى بطولة أبداً، فأي إنسان مهما كان مستواه منخفضًا فانطلاقه مع شهواته قضيةٌ لا تكلّفه شيئاً، بل تمتعه، لكن البطولة أن تكفَّ نفسك عن شهوةٍ حرمها الله عليك.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إلا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاوَتَهَا))

وقد روى الإمام مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي))

هذه أيضاً من معاني (من).

أحياناً يكون في الطريق منعطف حادٌّ، فينعطف الإنسان، فإذا بامرأةٍ أمامه، يفتح الباب فيجد امرأة أمامه، وفي أحيان كثيرة يشاهد امرأةً أمامه، فالأمر الإلهي أن يغض بصره، أما ما روي عَنْ بُرَيْدَةَ رَفَعَهُ قَالَ:

((يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ))

[الترمذي]

الأولى أقلّ من ثانية، أما عشر ثوان فلا !! هذه عشر نظرات.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى، وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ))

[مسلم]

يعني بالنصيب هنا تبعة هذا العمل، فأيُّ عملٍ من هذه الأعمال ؛ زنا العين، زنا الأذن، زنا اليد، الرجل، القلب، زنا الفرج، أي نوعٍ من أنواع الزنا، كتب على الإنسان تحمُّل تبعته، أي عقابه، فالمعنى ليس جبرياً، بل المعنى ردعي، انتبه لهذا، فكل هذه الأنواع كتب عليك تحمل عقابها، هذا هو المعنى الصحيح.

لكن الذي يلفت النظر في هذا الحديث أن أنواع الزنا كثيرة ؛ العين، والأذن، واللسان واليد، والرجل، والقلب، والفرج، بماذا بدأ النبي عليه الصلاة والسلام ؟ بدأ بالعين، لأنها هي الأصل، منها تنطلق بقية الخطوات. والحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلَّا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا))

[احمد]

هذا كما قلت قبل قليل: النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس، وإبليس كما تعلمون طلاعٌ رصّاد، وما هو من فخوخه بأوثق لصيده في الأتقياء من النساء، لذلك اتقوا النساء فإنهن حبائل الشيطان.

وقد أَلِفَ بعض المسلمين أن ينصاعوا إلى الله في هذه العبادة بالذات في رمضان، ولكن إذا عادوا إلى ما هم عليه بعد رمضان، فكانت حياتهم كهذه الحركة، صعود وهبوط إلى أن يأتي الأجل والمحصلة صفر. أما المؤمن فإنه يصعد في رمضان، ويحافظ على هذا الصعود طوال العام، وفي رمضان الثاني له صعود آخر، ثم صعود ثانٍ، وثالث، ورابع، وخامس، فالمؤمن تتصاعد مرتبته في الإيمان، ويتابع الترقي، أما ضعيف الإيمان

فيُدافع التدني، هناك فرقٌ كبير بين متابعة الترقي ومدافعة التدني، دائماً يخطئ ويتوب، ويخطئ ويتوب، ويتوب ويخطئ، والمحصلة صفر، فهو يراوح مكانه، فلا يوجد تقدم، فالذي أرجوه من الله جلَّ جلاله أن كل شيء في رمضان قدرت على نفسك به، أن تحافظ عليه بعد رمضان، كما حافظت عليه في أثناء رمضان.

2- عدم لمسِ الرجلِ المرأةَ الأجنبيةَ

الباب الثاني في الدرس: الأمر باجتناب لمس المرأة الأجنبية، فالنظر انتهينا منه، وأنا لا أبالغ أن هناك مدرسة في الإسلام اسمها مدرسة غض البصر، مدرسة فيها آية صريحة، آية بكاملها واضحة الدلالة جداً، تأمر المؤمن بغض البصر، معنى ذلك أن أكثر أغلاطه، وأكثر مشكلاته إذا لم يطبّق هذه الآية مبعثها من هذا القبيل. لقد حرَّمت الشريعة الإسلامية اختلاط النساء بالرجال، لهذا أُمرت النساء بالابتعاد عن مواضع الاختلاط.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة القصص]

بنات سيدنا شعيب لا يزاحمن الرجال في سقي الغنم.

روى الإمام البيهقي عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال:

((لأن يطعَن أحدكم رأس أحدكم بمخيطٍ من حديدٍ خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تحلّ له))

إن كلام النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، فأنا ألاحظ بعض الصيادلة يضعون صحنًا، فإذا أرادوا أن يعطوا امرأةً بقية ثمن الدواء يضعون المبلغ على الصحن، فلا ينبغي أن تلمس يدك يد امرأةٍ أجنبية، هذا الأكمل، وهذا الشرع، وسأسرد عليكم الأحاديث المؤيدة لهذا.

أذكر قصة أظن أني رويتها لكم، جاءت وزيرة، واستُقبِلت في المطار، وكان من بين المستقبلين أحد كبار موظفي الوزارة، وهذا الموظف ملتزم، فلما مدت يدها كي تصافحه، وكان في استقبالها بحكم وظيفته، لم يصافحها، بل سحب يده، فانزعجت أشد الانزعاج، لكنها في قاعة الشرف سألت: من هذا الموظف الذي لم يصافحني ؟ وكأنها

عدَّت ذلك إهانةً لها، فقال لها الوزير المستقبل: هو له عقليةٌ خاصة، معتذراً عنه، وانزعج منه أشد الانزعاج، لكنها أصرت على أن تلقاه على طعام الغداء، وقد صرفه الوزير بألاّ يحضر معهم طعام الغداء ما دمت وقفت هذا الموقف، ففي الظهيرة سألته: لمَ لمْ تصافحني ؟ قال: إن ديني يمنعني من مصافحة امرأةٍ أجنبية، فقالت: لو أن المسلمين أمثالك لكُنَّا تحت حكمكم، هكذا قالت.

شيء رائع جداً أن إنسانًا يكون ملتزمًا مطبقًا، هذا الشيء يرفع من قيمته عند الله، وعند الناس.

إذاً الموضوع الآن غير النظر، إنه موضوع مس يد امرأة لا تحل لك، هذا منهيٌ عنه أشد النهي.

أدلة تحريم لمس المرأة الأجنبية



يقول عليه الصلاة والسلام:

((من مس كف امرأةٍ ليس منها بسبيلٍ وضع على كفيه جمرةً يوم القيامة))

[ورد في الأثر]

لذلك قال النبي ﷺ :

((إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ))

[النسائي عن أميمة بنت رقية]

والإنسان لا يستحي بدينه، أي لا يصافح، وانتهى الأمر، ليفسروا هذا كيفما شاءوا.

وكان عليه الصلاة والسلام يحرص على أن لا تمس يده يد امرأةٍ، فقد روى الإمام مسلمٌ أن عائشة زوج النبي قالت:

((كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمْتَحَنَّ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ)، إِلَى آخِرِ الآيَةِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ . أي بالامتحان . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ، وَلا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلامِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: قَدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلامًا))

[مسلم]

سمعت أن شخصًا أراد أن يبايع مريدة عنده، يضع وعاء به ماء، فتغمس يدها فيه، ويغمس يده فيه، لأن الماء ناقل للكهرباء.

النبي ﷺ لم يصافح إطلاقاً، وهو الأكمل، ويقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: " إن بيعة النساء بالكلام من غير أخذ كفٍ، وأنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة ".

أما الضرورة كالطبيب فيجوز، مثلاً قد يكون طبيب الأسنان لقلع ضرس، إذا لم يكن هناك طبيبة، أو طبيب معالج.

وقد روى الإمام الطبري رحمه الله تعالى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

((لأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطينٍ أو حمأةٍ خيرٌ له من أن يزحم منكبه منكب امرأةٍ لا تحلُّ له))

[الترغيب والترهيب للمنذري بسند فيه ضعف]

أي إذا كان الطريق مفعما بالنساء تدخل بينهن وتزاحم، فأحياناً يمس كتفك كتف امرأة بالازدحام، فلذلك النبي الكريم يقول:

((لأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطينٍ أو حمأةٍ خيرٌ له من أن يزحم منكبه منكب امرأةٍ لا تحلُّ له))

إنّ هذه إذا طبقها الزوج، فلم ينظر، ولم يصافح فقد أدى ما عليه من أسباب ديمومة الزواج، وسعادة الزواج. وترون معي أيها الإخوة كيف أن الزواج الذي هو أقدس عقدٍ على الإطلاق بين رجلٍ وامرأة، هذا العقد يحتاج إلى محافظة، ويحتاج إلى تدعيم، تدعيمه تطبيق الشريعة، وأذكِّر أنه في زمن الفساد، وزمن الفتن اليقظة، وزمن الشهوات المستعرة، وزمن التفلُّت، وزمن الشوارع المفعمة بالنساء الكاسيات العاريات، وزمن أن كلَّ شيءٍ أريد له أن يروج، لا بدَّ أن يكون عليه صورة امرأةٍ متبذلة، أي بضاعةٍ، أو أي شيءٍ تشتريه من أجل أن يروّج، لا بدَّ من صورة امرأة متبذلة توضع عليه، في مثل هذا الزمن الصعب يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ))

فالإنسان كما ورد في القرآن الكريم بتوسع:



﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

(سورة الكهف: آية " 16 ")

فالإنسان كهفه هو بيته، وكهفه مسجده، وإذا كان يقدر أن لا يدخل إلى الأسواق في أوقات الازدحام فليبتعد، ويختار وقتًا لا يجد فيه ازدحامًا، وإذا كانت الطرق موبوءة فليختَرْ الطرق الفارغة، وإذا كانت الأماكن الجميلة في الصيف مفعمة بالنساء، فهذا المكان ليس لك في هذا الوقت، اذهبْ في أوقات أخرى.

أحياناً يخرج الإنسان إلى مكان ما، أو إلى مصيف، أو إلى ساحل، هذا المكان ليس للمسلم، مستحيل، تجد العورات كلّها مكشوفة، والمعصية محققة، فالمؤمن يفرُّ بدينه حفاظاً على سلامة اتصاله بالله عزَّ وجل وسلامة قلبه، لكن ربنا سبحانه وتعالى من عظيم كرمه أن كلَّ مؤمنٍ آثر رضوانه على شيءٍ مألوفٍ عند الناس، ومباحٍ عند معظم الناس يعوضّه الله عزَّ وجل عطاء وسكينة ورحمة يجد حلاوتها إلى يومٍ يلقاه.

فدرسنا اليوم كان للشباب وللمتزوجين، لكن الشباب ولا سيما في زمن الفساد، وزمن التفلُّت، وزمن الفتنة المستعرة، هم في أشد الحاجة إلى هذا الأمر الإلهي، هذا الأمر يحصنه، يقول لك: كبْت، الكبت لا يأتي إلى رجل مستقيم، الكبت إثارة ومنع، أما إذا غض الإنسان بصره قطع عنه الإثارة، الكبت أساسه إثارة ومنع، وهذا شيء صعب جداً، أما إذا ابتعد الإنسان عن أماكن الشبهات، ومواطن الفساد، وعن الأماكن الموبوءة، وعن ازدحام الأقدام غير الملتزمة، وعن الأماكن السياحية الموبوءة بالنساء، إذا ابتعد وخطط لنفسه وقتًا مناسبًا ما فيه ازدحام، وبعيدًا عن الاختلاط فهو الأفضل، والله عزَّ وجل مع المؤمن، فهو يتجلىَّ على المؤمن تجليًّا ينسيه كل هذه الفتن التي ابتعد عنها باختياره.

هذا الدرس عام للأزواج وللشباب، والمأخذ الوحيد الآن للشباب موضوع النساء، فهو مأخذ كبير، وسبحان الله !!! حينما ينصرف الشاب إلى الله عزَّ وجل، ويغض بصره تنتظم أموره، ويبني نفسه بناء صحيحا، ويتفوق في دراسته، وينجح بعمله، لأنه أصبح في صفاء، ولأن هذا الشيء يشوش، الشيء مبذول، وله شعور بالذنب كبير، يعقبه شعور بالكآبة، أما إذا وطن الإنسان نفسه على طاعة الله فقد انتهى الأمر، فبهذا ينتهي موضوع الزواج الذي بقي في دروسٍ عشر.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الآيات وتلك الأحاديث التي وردت في هذه الدروس، منارات للمؤمنين، ومبادئ أساسية يستلهمون منها سلوكهم، فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا جميعاً بطاعته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : أسباب السعادة الزوجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

أيها الأخوة الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً بكم إلى هذا اللقاء الإيماني في حلقة جديدة من برنامج: " رسالة التجديد "، ضمن سلسلة التنوير على طريق البناء الأمين لجيل الرسالة، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات. مرة أخرى من النعم العظيمة التي منّ الله سبحانه وتعالى عليّ بها، وزادني تشريفاً بأن أنوب عن فضيلة الشيخ الدكتور محمد حبش بتقديم هذه الحلقة من برنامج:"رسالة التجديد"، الذي يعده ويقدمه فضيلته، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير، ونرجو الله سبحانه وتعالى أيضاً أن يعود إلينا فضيلة الشيخ الدكتور محمد حبش، وإلى أهله ودياره سالماً غانماً متقبلاً منه طاعته .

أيها الأخوة الكرام؛ الإسلام دين التكامل، وقد وازن بين حاجات الجسد وحاجات الروح، ووزان بين القيم والمتطلبات، بين ما هو عليه الإنسان وما يجب أن يكون عليه، وقد أعطى الإسلام للأسرة زخماً حضارياً، وبعداً إنسانياً، حدد بموجبه الحقوق والواجبات، وأدبيات التعامل، وزاد على ذلك أن القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الخالد، بيّن الأحكام الشرعية في كل ناحية من نواحي المجتمع، كما بيّن أحكام الأسرة، وإن كنا في هذا المقام لا نستطيع أن نحيط بالتشريع الإسلامي للأسرة وأحكامها تفصيلاً، أو بيان هذا التشريع إجمالاً، إلا أننا نستطيع أن نضع تحت دائرة الضوء أسباب الشقاق الزوجي، وأسباب السعادة الزوجية، ويشرفني أن أكون إلى جانب ضيفنا الكبير فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، المحاضر في كلية التربية بدمشق .

حرص الإسلام على العلاقة الطيبة بين الزوجين :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم، وفي كتابه العزيز، وفي وحي السماء، وفي دستور الإنسان، وفي منهج الخالق يقول:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم : 22]

وكلمة السموات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون، والكون ما سوى الله، إذاً كل الكون آية دالة على عظمة الله، ومن آياته أيضاً خلق السموات والأرض، ومن آياته الليل والنهار، ومن آياته الشمس والقمر، ومن آياته أيضاً:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]



أي كما أن خلق السموات والأرض آية دالة على عظمته، وكما أن الشمس والقمر آيتان دالتان على عظمته، وكما أن الليل والنهار آيتان دالتان على عظمته، نظام الزوجية، ونظام الذكر والأنثى، والعلاقة بينهما هي من خلق الله، ومن تصميم الله، وتبدو هذه العلاقة في خصائص قال:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة الروم : 21]

أي الزوجة إنسان لها مشاعرها، ولها طموحاتها، ولها مبادئها، ولها قيمها، ولها رغباتها، تسعد وتشقى، ترضى وتغضب، تسمو وتسفل، ترقى عند الله، وقد تصل إلى أعلى درجة

﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

لها رغبات، لها ميول، لها مشاعر، لها كرامتها

﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

أي من جبلتكم، من خصائصكم:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

[سورة الروم : 21]

ما هو السكن؟ الراحة، الطمأنينة، السعادة، الإنسان متى يسكن إلى زوجته؟ حينما يكمل نقصه بها، والزوجان في الحقيقة العلمية متكاملان وليسا متشابهين .

نود الاستقرار في الأسرة :

هو جبل جبلة خاصة تتناسب مع مهمته في الحياة، فالعنصر القيادي مهم عنده جداً، والرؤية عنده بعيدة جداً، وعنده القدرة على التعامل مع المحيط الخارجي تعاملاً جيداً، هذه خصائصه كزوج، لأن هذه الخصائص كمال لأداء مهمته، لكنه يفتقر للتأجج العاطفي، يفتقر إلى الجمال، فإذا رأى نفسه مفتقراً إلى هاتين الصفتين، ووجدهما في زوجته إذاً يسكن إليها، لأنه يكمل نقصه العاطفي والجمالي بها فيرتاح بها .

هي تريد قائداً، واسع الأفق، حاد البصر، بعيد النظر، تريد حامياً لها، تريد منفقاً عليها، تريد من تركن إليه، فإذا وجدت في زوجها هذه الصفات سكنت إليه وارتاحت، هي تكمل نقصها القيادي في زوجها، ويكمل الزوج نقصه العاطفي في زوجته .

المودة والرحمة بين الزوجين هي من خلق الله عز وجل :

كل منهما يسكن للآخر، كل منهما يكمل نقصه في الطرف الآخر، كل منهما مفتقر إلى الآخر، هذا من خلق الله عز وجل:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى *وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى *وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾

[سورة الليل1-3]

هناك تكامل بينهما، الحقيقة أن صفات الزوج العقلية والجسمية والاجتماعية والنفسية متعلقة بالمهمة التي أنيطت به، وأن صفات المرأة العقلية والجسمية والاجتماعية والنفسية منوطة بالمهمة التي ألقيت على كاهلها.



جاءت امرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام قالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وتبدد مالي، قال: أنت عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا – أنا أربيهم – وإن ضممتهم إليّ جاعوا – هو ينفق عليهم – .

هذه المرأة التي اشتكت إلى النبي، والتي سمع الله شكواها من فوق سبع سموات حددت لكل من الطرفين مهمته الأساسية، هي تربي، وهو يكسب المال، فالآية تقول:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

فهذه المودة والرحمة بين الزوجين هي من خلق الله عز وجل، هي الأصل في العلاقة الزوجية، هي الأصل في تحقيق الهدف الكبير للزواج:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

ولكن لو وقفنا وقفة متأنية عند المودة والرحمة لأخذنا العجب، هذه المؤسسة وجدت لتبقى، قد ينشأ طارئ فتفقد الزوجة الصفات التي ينبغي أن تكون عليها، لمرض أصابها، وقد ينشأ طارئ فيفقد الزوج الصفة التي بني عليها الزواج وهي كسب المال، فإذا ضعف كسب المال أو انعدم، أو أصيبت الزوجة بمرض كيف تستمر هذه العلاقة مع أن المصلحة الزوجية تعطلت؟ تأتي الرحمة مكان المودة، أي حينما تحقق المصلحة، المودة هي التي تزيد هذه العلاقة متانة، أما حينما تتعطل المهمة الأساسية للزواج فتأتي الرحمة لتحل محلها، فلذلك الزواج في عالم المسلمين رائع جداً.

مرة سألت أحد القضاة وكان يحضر درس التفسير: كم نسب الطلاق في بلاد الغرب؟ فقال: في أمريكا تزيد النسبة عن خمسة و ستين بالمئة، أي خمسة و ستون بالمئة من الزواج ينتهي إلى الطلاق خلال عامين فقط، وسألته عن نسب الطلاق في أوربا فقال: تزيد عن خمسة و ثلاثين بالمئة، سألته عن نسب الطلاق في بلاد المسلمين فقال: واحد ونصف بالألف، لأن هذا الزواج لم يبن على شهوة، أو على متعة، أو على رغبة حسية، بني على رحمة، بني على مودة، إذاً:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

المعصية أحد أسباب الفراق بين الزوجين :

والله لكن لا أكتمك أن هذه النسبة ارتفعت كثيراً، أي مع تفلت المسلمين من منهج الله ارتفعت مع الأسف الشديد إلى خمسة عشر بالمئة في بلاد المسلمين، حينما ينصرف كل زوج عن زوجته إلى جهة أخرى تضعف هذه المودة والرحمة، لأنه ما من مؤمنين توادا في الله ففرق بينهما إلا بذنب أصابه أحدهما، فحينما يقع أحد الزوجين أو كلاهما في معصية، هذه المعصية أحد أسباب الفراق.

خيرية الإنسان تكون في بيته :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

فهذه المودة والرحمة من خلق الله .

شيء آخر: الله عز وجل جعل خيرية الإنسان في بيته، السبب؟ طبعاً بوحي من الله، يقول عليه الصلاة والسلام:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

لابد من أن نوضح القضية بمثل، أنا حينما أتقدم لامتحان قيادة السيارة، كيف أفحص؟ أكلف أن أرجع إلى الوراء، يوجد طريق ضيق لا يزيد عن عرض السيارة، وهناك طريق ملتو على شكل s، وإشارات بلاستيكية، لو أنني مسست إحداها لوقعت، إذاً أصعب شيء في القيادة أن ترجع إلى الوراء في طريق ضيق، وفي مسار متعرج، وهناك إشارات تنبئ بأنك مسست إحداها، فإن نجحت في هذا فكل شيء سوى ذلك سهل جداً، الإنسان خارج البيت يحرص على سمعته، وعلى مكانته، يتجمل، يتزين، يستخدم ألطف العبارات، يعتذر، يبتسم، يقدم هدية، يبش بوجهه، حفاظاً على سمعته، وعلى مكانته، أما في البيت فلا يوجد رقابة في البيت، و لا يبتغي منصباً، ولا رفعةً، ولا مكانة، ولا حفاظاً على سمعة، ولا شيئاً من هذا القبيل، لذلك تكشف الحقيقة المرة في البيت، فالذي تجده في بيته أخلاقياً، صادقاً، أميناً، متواضعاً، يحب خدمة أهله- عدا النبي - هذه الخيرية في البيت مقياس لخيرية الإنسان خارج البيت، فقال: " خيركم خيركم لأهله وأن خيركم لأهلي " أنا أستمع إلى شكاوى

كثيرة جداً، أن إنساناً له مكانته، وله سمعته، وله مصداقيته خارج البيت، في البيت إنسان آخر، قاس، أناني، يحب ذاته، أقول سبحان الله صدق عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

ضرورة المحافظة على الأسرة لأنها اللبنة الأولى في المجتمع :

المشكلة أن هذه الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، فإن تماسكت تماسك المجتمع، وإن ارتقت ارتقى المجتمع، وإن كانت إيجابية كان المجتمع إيجابياً، وحينما تتفكك الأسرة، وحينما تنهار القيم في الأسرة، وحينما تحل العداوة والبغضاء بين الزوجين، فقد تفكك المجتمع، لذلك النظم الإلهية تدعم الأسرة، والنظم الوضعية تفكك الأسرة، ومرة صرح أحد رؤساء جمهوريات أمريكا كلينتون أن أكبر خطر يهدد أمريكا لو أنني سكت ماذا يخطر في بالك؟

الصين فرضاً، التجمع الأوربي، أكبر خطر يهدد أمريكا برأي كلينتون تفكك الأسرة، وشيوع الجريمة، وانتشار المخدرات، لذلك القرآن الكريم كما تفضلتم في مقدمة هذا اللقاء اعتنى عناية بالغة بالعلاقة بين الزوجين.

أنا أقول لك: لعل تسعة أعشار الأحكام الشرعية متعلقة بموضوعين كبيرين، موضوع كسب المال وإنفاقه، وموضع العلاقة الزوجية، أو علاقة الإنسان بالمرأة مطلقاً، لأنهما شهوتان طاغيتان، فحينما لا تنضبطان بمنهج الله يحل الفساد في الأرض، ولو سألتني أن ألخص لك كل أنواع الفساد في الأرض أقول لك: الفساد لا يزيد عن أن يكون هناك حرية عشوائية في العلاقة بالمرأة، وحرية عشوائية في كسب المال، وأن عظمة هذا الدين أنه يضبط كسب المال وإنفاقه، ويضبط العلاقة بين الزوجين، بل إنه ما من فضيحة في تاريخ البشرية إلا متعلقة بالفضيحة الجنسية أوالمالية .

الحب من جبلة الإنسان لا يستطيع أحد أن ينكره :

لا أستطيع أن أتهرب من هذه الكلمة وقد ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، إن السيدة عائشة سألت سيد الخلق وحبيب الحق كيف حبك لي؟ فأجابها إجابة شافية قاطعة جامعة مانعة، قال لها: كعقدة الحبل، فأصبح هذا رمزاً بينهما، كانت تسأله من حين لآخر كيف العقدة؟ فيقول: على حالها، لا تزال عقدةً محكمة، الحقيقة أن الإنسان الذي لا يحب ليس من بني البشر، من جبلة الإنسان أنه يحب.



مرةً كنا في كلية التربية، وودعنا أحد أكبر الأساتذة حينما أحيل إلى التقاعد، ألقيت كلمات كثيرة جداً في الإشادة بفضله، فلما جاء دوره في الحديث، قال هذه العبارة أحفظها غيباً قال: الإنسان الذي لا يشعر بحاجة إلى أن يحِب أو يحَب ليس من بني البشر . يمكن أن تحب الله، وهذا أسمى أنواع الحب، ويمكن أن تحب الحقيقة، أنت موضوعي، يمكن أن تحب أولادك، يمكن أن تحب زوجتك، الحب مستويات، وقد يصل الحب إلى المستوى الحسي، العلاقة الجنسية نوع من الحب، لكن الحب كلمة سامية جداً، بل إن علة خلق السموات والأرض هي محبة الله لخلقه، بل إن الله عز وجل لو شاء لهدى الناس جميعاً، لكن أرادهم أن يأتوا إليه محبين طائعين، لا أن يأتوا إليه طائعين قسراً، المحبوبية أساس نظام التكليف، أساس نظام حرية الإنسان، أرادك أن تأتيه محباً لا أن تأتيه مكرهاً، لا إكراه في الدين، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حمد الله على أنه رزق حب عائشة، والسيدة عائشة سألت عليه الصلاة والسلام عن حبه لها فقال: كعقدة الحبل، ولكن المودة أبلغ من الحب .

الفرق بين المودة و الحب :

المودة سلوك يعبر به عن الحب، سلوك أي ابتسامة، هدية ثمينة، خدمة، خوف على المحبوب، إشفاق عليه، سلوك ينطلق من الحب، فكل مودة فيها حب، لكن ما كل حب فيه مودة، إذاً المودة أبلغ، وهي كلمة قرآنية.

قضية المهور :

الحقيقة إن العقد– عقد الزواج – إن لم يكن فيه مهر فهو فاسد، هذا عند كل الفقهاء، والعقد الفاسد شيء، والعقد الباطل شيء آخر، لو أن إنساناً عقد زواجه على أخته من الرضاعة خطأ بعد أن عقد الزواج عليها تبين أن هذه الفتاة رضعت من أمه حينما كانت صغيرة، ولم يعلم إلا بعد العقد، فالعقد باطل، يفسخ، بينما العقد من دون مهر عقد فاسد يصحح، فإذا كان كل الفقهاء أجمعوا على أن العقد من دون مهر عقد فاسد، إذاً المهر جزء من لوازم العقد، لذلك.

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾

[سورة القصص : 27]

لكن يقول عليه الصلاة والسلام :

((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً))

[أحمد عن عائشة]

أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، أعظم النساء بركة أقلهن مؤونة.

المرأة المؤمنة لا تضغط على زوجها من أجل أن يكسب المال الحرام فيروي رغباتها، المرأة المؤمنة مثلها الأعلى الصحابية الجليلة التي كانت تودع زوجها وتقول: اتقِ الله بنا نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام، والمرأة التي تطالب زوجها بنفقات فوق طاقته إنها تدفعه دون أن يشعر إلى كسب المال الحرام، من هنا قال الله عز وجل:


المهر من متطلبات صحة الزواج لكن أعظم النساء بركة أقلهن مهراً

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾

[سورة التغابن :14]

قال علماء التفسير هذه عداوة مآل لا عداوة حال، أي هو يحبها وتحبه، أما حينما دفعته إلى كسب المال الحرام، واستحق النيران يوم القيامة، فنشأت تلك العداوة، لأنها كانت هي السبب، إذاً المهر لا بد منه، ولكن أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، أما هذا الذي يلغي المهر كلياً فهو لا يفقه حقيقة هذا التشريع .

شيء آخر المرأة ليست شيئاً مبتذلاً، الآن ما الذي يحصل بأمريكا وبأوربا؟ شيء مخيف، مساكنة فقط، لا يوجد عقد، ولا مهر، ولا عقد مدني، ولا أي شيء، في أية لحظة يركلها بقدمه، أما في الإسلام فالزوجة لها شأن، أي أحد أسباب أن نمنحها قيمة هذا المهر، أي الزوج حينما يفكر بطلاق زوجته يوجد مئة ألف يجب أن يدفعها بالتمام والكمال وإلا يسجن، أي هذا الشيء لرفع معنويات المرأة، أما أن تطالب امرأة بخمسة ملايين فرضاً فهذا أيضاً خلاف الشرع، ارتفاع المهور ليست من روح شريعة الإسلام.

عدم تطبيق منهج الله في الزواج من أسباب الشقاق الزوجي :

الإنسان هو أعقد آلة بالكون، تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، ولهذه الآلة صانع حكيم، ولهذا الصانع تعليمات التشغيل والصيانة، فالإنسان انطلاقاً من حبه لذاته، وحبه لسلامة ذاته، وحبه لكمال ذاته، وحبه لاستمرار ذاته، إذا طبق تعليمات الصانع سعد في الدنيا والآخرة، والزواج جزء من ذلك، أسوق لك آية دقيقة جداً يقول الله عز وجل:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة الجاثية:21]

أي شاب متفلت يروي رغباته الجنسية مع أي فتاة، لا يعبأ لا بقيم الدين، ولا بقيم المنطق، ولا بقيم الخلق، وشاب آخر صبر حتى رزقه الله زوجة صالحة، أيعقل أن يعامل هذان الشابان معاملة واحد؟

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية:21]

دعك من الآخرة مبدئياً .

﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية:21]

إذاً أسباب الشقاء الزوجي في الأصل يمكن أن تعود إلى شيء واحد هو عدم تطبيق منهج الله في الزواج، لذلك الزوجان الناجحان يحتكمان إلى الشرع في كل قضية، والشرع يعطي كل طرف حقه .

الأسباب التي تفضي إلى الشقاق الزوجي :

1 . الجهل :

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وهناك حديث آخر أقل صحة من هذا الحديث:

((من تزوج المرأة لجمالها أذله الله))

أي لجمالها فقط، أي شهوته العارمة هي التي كانت حاسمة في هذا الموضوع .

ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، فعليك بذات الدين تربت يداك.

طبعاً اختيار الزوجة هذا قرار مصيري، وقرار – بالتعبير الشائع – استراتيجي، فحينما لا تحسن اختيار الزوجة هناك متاعب لا تعد ولا تحصى، تنتج عن سوء اختيار الزوجة، لذلك المؤمن يتزوج زواجاً متأنياً.



الحقيقة أنا أقول: يقع في رأس أسباب الشقاق الزوجي الجهل، الجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، أي أعدى عدو للمسلم هو جهله بمكونات الشرع، يفعل عملاً غير منضبط، يدفع ثمنه باهظاً، ذلك الأمر الإلهي علاقته بنتائجه علاقة علمية، لا علاقة وضعية، أنا قد أقول لابني: لا تخرج من هذا الباب – باب عادي، صالون له بابان– اخرج من هذا الباب، فخرج من الباب الذي منعته أن يخرج منه، فضربته، لا يوجد علاقة بين الضرب وبين خروجه من الباب، أما أنا فوضعت علاقة، أنا قلت: هذا الباب ممنوع أن تخرج منه، فالعلاقة بين السلوك والعقاب علاقة وضعية، أنا وضعتها، لكنها ليست علمية، أما حينما يأتي ابني ويضع يده على المدفأة المشتعلة فتحترق فالعلاقة بين وضع الإصبع واحتراقها علاقة علمية، أنا أعتقد وأؤمن أن العلاقة بين الأمر ونتائجه، وبين النهي ونتائجه علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، فأنت إذا أردت السعادة الزوجية فعليك بطاعة الله، لأن الإنسان حينما يطيع الله في أمور زواجه، أي يطبق تعليمات الصانع، وليست من جهة في الأرض أليق من الجهة الصانعة التي تتبع تعليماتها لأنها خبيرة، إذاً الجهل يقع في أولى أسباب الشقاء الزوجي، هو أعدى أعداء الإنسان، أنا ما من عقد حضرته إلا وسمعت الذي أنشأ العقد يقول: على كتاب الله وسنة رسول الله، لو سألت الزوجين: هل تعرفان ما

في كتاب الله وما في سنة رسوله من أحكام متعلقة بالزواج؟ لا يعلمان شيئاً، فكيف بني هذا العقد على كتاب الله وسنة رسوله، والزوجان يجهلان ما في كتاب الله وما في سنة رسوله من توجيهات للزوجين؟ النبي الكريم قال:

((اعلمِي أيتها المرأة وأعلمِي من دونك من النساء ، أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

وتوجه إلى الرجال فقال:

((أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم – في بعض الزيادات– ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

الجهل يقع في أعلى مستويات الأسباب التي تفضي إلى الشقاء الزوجي.

2 . ضعف الإيمان :

هناك سبب آخر؛ ضعف الإيمان، الآن قد تعلم أنه ينبغي أن تكون حليماً، ينبغي أن تكون كريماً، ينبغي أن تكون مسامحاً، قد تعلم الزوجة أنه ينبغي أن تكون زوجة دؤوبة على خدمة زوجها وأولادها، قد تعلم أنها ينبغي أن تعتني بأولادها، لكن ضعف إيمانها يسبب لها تهاوناً في تطبيق تعليمات الصانع، فإذا كان هناك جهل فالجهل هو السبب، وإذا كان هناك علم لكنه غير مطبق فضعف الإيمان هو السبب، ألا ترى إنساناً يدخن وهو طبيب؟ هو أشدّ الناس علماً بأضرار التدخين، إذاً هذا يعلم لكنه لا يعمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة الصف: 2-3]

3 . سوء التصرف :

الآن أحياناً هناك سوء تصرف، أنا أقول لك أيها الأخ الكريم:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[سورة البقرة: 269]

الحكمة أثمن عطاء يناله الإنسان، الإنسان بالحكمة يسعد بزوجة من الدرجة الخامسة، ومن دون حكمة يشقى بزوجة من الدرجة الأولى، بالحكمة يكسب المال الكثير، يعيش بالمال القليل، ومن دون حكمة يبدد المال الكثير، بالحكمة يحول الأعداء إلى أصدقاء، وبالحمق يجعل أعداءه أصدقاء، يمكن ولا أبالغ أثمن عطاء على الإطلاق أن يؤتيك الله الحكمة، إذاً سوء التصرف، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾

[سورة محمد :8]

الإنسان إذا كان مقطوعاً عن الله يلهم الحمق، تجده يضحي بعلاقته الزوجية لشيء تافه، بساعة غضب ينهي علاقته مع زوجته، يحلف طلاقاً مكرراً مثلاً بساعة غضب ينهي سعادته الزوجية، إذاً سوء التصرف أيضاً انعكاس لضعف الإيمان .

4 . التعالي :

الآن التعالي، التعالي صفة بغيضة جداً في الزوجين، قد تتعالى على زوجها، وقد يتعالى على زوجته، أما الشيء الذي يلفت النظر أن امرأة قبل الإسلام اسمها أمامة بنت الحارث أوصت ابنتها ليلة زفافها، قالت يا بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن المرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها أو لشدة حاجتهما إليها لكنت أغنى الناس عنهم، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً.

أي بنية: كوني له أمةً– أي ؛ تواضعي له – يكن لك عبداً .

أي بنية: خذني عني عشر خصال تكن لك ذخراً وأجراً.

الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتفقد لموقع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقو – ثبت الآن أن لجلد الإنسان رائحة عطرة لمجرد أن تتنظف، وأن تغتسل تبدو هذه الرائحة، لو أن المرأة فقيرة لا تملك ثمن عطور غالية يكفي أن تكون نظيفة فهي معطرة من قبل خالقها– والتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتراس لماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التدبير، وفي العيال حسن التقدير، ولا تعصي له أمراً، ولا تفشي له سراً، إنك إن عصيت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان ترحاً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي أني لن تصلي إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاكِ، وهواه على هواكِ فيما أحببتِ أو كرهتِ والله يختار لك .

هذه امرأة عاقلة جداً جاءت توجيهاتها قريبة جداً من توجيهات الشرع، لأن الفطرة واحدة، هذا من فطرتها، لو طبقت النساء هذه الوصية، أنا أتوقع أن تغلق المحاكم الشرعية أبوابها.

التعالي: أحد أسباب الشقاء الزوجي، تكون الفتاة بنت غني، جاءها موظف ذو خلق، وذو علم، وذو مكانة، تتعالى عليه بمال أبيها، أو بالعكس، تتعالى عليه بمستوى أبيها الاجتماعي، تتعالى بموقع بيت أبيها، أو بأصل عائلتها، أو بحسبها، أو بنسبها، أو يتعالى عليها، فأحد أسباب الشقاء الزوجي أن يتعالى كل منهما على صاحبه.

5 . الغياب الطويل عن البيت :

أستاذ زهير أنا في حكم عملي بالدعوة إلى الله، تصل إليّ قصص كثيرة .

هذه القصص يمكن أن تلخص ببنود، فالغياب الطويل عن البيت أحد أسباب الشقاء الزوجي، بل أقول أخطر من ذلك: الغياب المديد عن البيت أي يذهب الساعة السادسة، ويأتي الساعة الثانية عشرة ليلاً، يأتي منهمكاً في العمل، هذه الزوجة تركتها وحدها في البيت ثماني عشرة ساعة ماذا تفعل بهذا الوقت؟ ما الذي ينبغي أن يؤنسها؟ من الذي ينبغي أن يواسيها؟ من هذا الذي ينبغي أن تتحدث معه؟ من هذا الذي ينبغي أن يؤنس وحشتها؟ إنه زوجها، زوجها غائب، لو أنها ضعيفة الإيمان، لو أنها بعيدة عن أن تحس بمراقبة الله لها، ربما زلت قدمها، وأحد أكبر أسباب انحراف المرأة أحياناً غياب زوجها الطويل، فأنا أنصح الأخوة الأكارم أن الغياب الطويل عن البيت له مضاعفات خطيرة، الغياب الطويل، أو أن يختار عملاً بعيداً عن بلده، سنوات أربع متتالية، هذه الزوجة تركت سنوات طويلة، من لها غير زوجها؟ على كلّ أنا أتمنى أن يبرمج الزوج نفسه على أنه يكون وجوده في البيت معقولاً كي يؤنس زوجته، ويتفقد أولاده.



العمل المستمر من دون توقف ليس وسام شرف بحق الإنسان :

إن كان يعمل عملين ينبغي أن يأكل طعام الغداء مع زوجته فرضاً، وينتقل للعمل الثاني، ينبغي أن يأتي الساعة العاشرة ليلاً، أما من السادسة صباحاً وحتى الساعة الواحدة ليلاً، والله هذه مشكلة.

صدق أنه ما من إجراء تقوم به الدولة أفضل من أن تعلن عن نهاية الدوام في المحلات التجارية، هل تصدق في بعض البلاد ينتهي الدوام الساعة الخامسة، الآن كل أوروبا وأمريكا وتركيا، والدول التي تأخذ هذا المنهج، الدوام من الثامنة وحتى السادسة، لا يوجد عمل بعد السادسة، أي يوجد مشكلة عندنا في البلاد النامية تقريباً، أنت ينبغي أن تعمل عملاً واحداً، وأن يكون دخل هذا العمل يكفيك أنت وأولادك وزوجتك، هذا الأصل، أنت إنسان، الإنسان الذي ليس عنده وقت فراغ شوه إنسانيته، العمل المستمر من دون توقف ليس وسام شرف بحق الإنسان، لأنه مقابل هذا الشيء ضيع أشياء كثيرة .

اسمح لي بمثل أستخدمه كثيراً: إنسان ذهب إلى بلاد الغرب لينال دكتوراه، هو عصامي، يعمل وينفق على نفسه، وجد عملاً مدته ساعة في اليوم يكفيه ثمن حاجاته كلها، بعد حين طمع بساعتين، بعد حين بثلاث ساعات، ثم وجد عمل حارس بأربع و عشرين ساعة، ودخل كبير، لكن ألغى دراسته، ألغى الدكتوراه، ألغى هدفه الأساسي لوجوده في فرنسا، ألغى علة وجوده في هذا البلد، فحينما يمتص العمل كل الوقت قد تلغى علة وجودي في الأرض، أنا طبعاً أعرف أن هناك متاعب كثيرة، وهناك ضغوط شديدة، وهناك متطلبات عديدة، وهناك دخول محدودة، وهناك حاجات كثيرة، أنا والله أقدر الزوج الذي يعمل طويلاً، أنا أعده بطلاً، بالمقابل لابد من بعض التوازن، إذا لم يكن عندك وقت فراغ إطلاقاً لتصغي إليها، أنت دائماً مشغول، هي تحتاج إلى مؤنس، طبعاً الفضل لله عز وجل معظم الزوجات المؤمنات الطاهرات صابرة وطاهرة وتقية وعفيفة، هذا هو الأعم الأغلب، أنا أضع احتمالات لإنسانة ضعيفة الإيمان زوجها يبتعد عنها كثيراً .

الشرع ليس للنخبة، الشرع لعامة الناس، أنا أتحدث عن قضية قد تنطبق على بعض الناس، لا شك أن هناك أناساً متميزين، تقدر زوجاتهم انهماكهم في عملهم، وتعينهم على هذا العمل، هذا شيء موجود، أما إذا تحدثت كقضايا عامة فنتناول الوضع الثاني السلبي، أنا أقول الحقيقة المرة دائماً أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

6 . الطمع المالي :

الآن الطمع المالي أحياناً يسبب الشقاء الزوجي، أي زوج له دخل كاف، له زوجة توفي والدها وترك لها إرثاً كبيراً، هو يتدخل في شؤون الإرث لدرجة أنه يهددها بالطلاق إن لم ينال من هذا الإرث شيئاً، من حرم ابنته ميراثه سيحاسب حساباً عسيراً كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الرجل يعبد الله ستين عاماً ثم يضار في الوصية فتجب له النار))

لكن ليس معنى هذا أن أجعل هذا الإرث من الزوجة هو سبب استمرار الزواج أو عدم استمراره، هذه مشكلة كبيرة جداً، قد يكون لها أخوة أشداء عندهم انحراف، ليس عندهم عدل كاف.



فلذلك أنا أرى أحياناً عقب وفاة أحد الأبوين ولاسيما والد الزوجة تنشأ مشكلات بينها وبين زوجها من أجل الميراث، لو طلب حصتها بتلطف، بلطف، باعتدال، لو ذكرها، لا يوجد مانع، أما حينما يجعل هذا النصيب من الإرث سبب استمرار الزواج أو عدم استمراره فهنا مشكلة كبيرة.

أستاذ زهير أنا لا أرى من صفة مريحة للزوجة في زوجها من الكرم، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

أي صفة الكرم هي أول صفة في الزوج، بينما صفة البخل والحرص من صفات الزوجة المطيعة لزوجها، هذا المال ليس مالها، فهناك زوجة تعطي بغير حساب لأهلها ولجيرانها، ولمن يلوذ بها دون علم زوجها، فكلما حرصت المرأة على حفظ مال زوجها تكون أقرب إلى الله عز وجل، وكلما كان الزوج أكثر خيرة وإنفاقاً وتسامحاً كان أقرب إلى الله عز وجل، أضرب لك مثلاً: لا سمح الله ولا قدر الأب البخيل يتمنى أقرب الناس إليه موته، أقرب الناس إليه لأنه يشدد عليهم إلى درجة أنهم يفقدون صوابهم، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

سيدنا أبو ذر الغفاري يقول: " حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي ".

أحياناً الزوج يأتي بحاجات إلى البيت يوفرها إذا كان في بحبوحة، لكن الشرع ما كلفه ما لا يطيق، أما إذا كان في بحبوحة ووسع الله عليه فينبغي أن يوسع على عياله، أو يطعمهم مما يشتهون، أن يلبسهم ثياباً لطيفة فيحبونه، أما أن يقسو عليهم في الإنفاق فهذا يتناقض مع قربه من الله عز وجل.

ما دمنا تحدثنا عن البخل والشح يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾

[سورة الحشر:9]

الشح مرض خطير، أنا والله أشبهه بالسرطان.

7 . سوء الظن :

أخي الكريم سوء الظن من كلا الطرفين أحد أسباب الشقاء الزوجي، نحن نعلم - وهذه كثيرة في المجتمع- أن سوء الظن عصمة كما ورد، وأن الحزم سوء الظن، وإن بعض الظن إثم، كيف نوفق بينهما؟ العلماء قالوا: إذا كان هناك دليل فسوء الظن واجب، إذا لم يكن هناك دليل فسوء الظن إثم، فالذي يجعل سوء الظن إثماً أو حزماً هو الدليل، فإذا لم يكن هناك أي دليل وأسأت الظن فأنت آثم عند الله، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

[سورة الحجرات: 12]

أما إذا كان هناك دليل وتعاميت عنه، وتجاهلته فأنا غبي، هكذا، من الغباء أن يكون هناك دليل ويتعامى عنه الإنسان، من هنا ورد أن الحزم سوء الظن، احترس من الناس بسوء الظن، هذا احتراس، أما من دون دليل فإثم، مع الدليل حزم.

يروى أن سمكات ثلاث كن في غدير، مرّ بها صيادان، تواعدا أن يرجعا ومعهما شباكهما ليصيدا ما فيه من سمك، فسمعت السمكات قولهما، أما أكيسهن فإنها ارتابت وتخوفت ولم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت، وقالت: العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها، الثانية الأقل ذكاء منها بقيت في مكانها حتى عاد الصيادان، فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا بالمكان قد سد، قالت: فرطت وهذه عاقبة التفريط غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي، ثم إنها تماوتت، فطفت على وجه الماء منقلبة تارةً على ظهرها، وتارةً على بطنها، وأخذها الصياد ووضعها على الأرض بين النهر وبين الغدير فوثبت في النهر فنجت، أما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت.

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾

[سورة النساء: 35]

الأمور لا ينبغي أن تصل إلى الشقاق، إذا كان هناك بوادر طفيفة جداً ستؤدي إلى الشقاق ينبغي أن تعالج، فأنا ذكرت هذه القصة في معرض الحديث عن سوء الظن، وعن حسن الظن، حينما يكون هناك بوادر أو دليل ولو كان ضعيفاً ينبغي أن تحتاط، وأن تتحرك، وأن تراقب، وأن تدقق، لا أن يكون الزوج آخر من يعلم، فسوء الظن مع الدليل حزم، وسوء الظن من دون دليل إثم.

8 . خروج المرأة من البيت :


خروج المرأة الكثير من البيت أحد أسباب الشقاق الزوجي

خروج المرأة من البيت أحد أسباب الشقاق الزوجي، كيف؟ نشأت مشكلة .

المرأة خرجت إلى بيت أهلها، أستاذ زهير أصغر مشكلة إذا تبعها خروج إلى بيت الأهل تصبح أكبر مشكلة قد تنتهي إلى الطلاق، وأكبر مشكلة إذا نشبت بين الزوجين إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها ربما تطامنت، وتقلصت، وحلت، لذلك الهجر في المضاجع، قال:

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء : 34]

لماذا قال في المضاجع؟ إنك إن هجرت زوجتك في غرفة أخرى علم الأولاد المشكلة فأصبحوا عناصر متدخلة، إن هجرتها في بيت أختك علم الأهل، أرادك أن تعاملها فيما بينك وبينها حصراً:

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

حينما تخرج إلى بيت أهلها وتشتكي على زوجها، أصبح الأم والأب والأخوة والعمة والخالة، وكل واحد له رأي، وكلهم يدعونها إلى متابعة النشوز، إذا بقيت في البيت، أول يوم المشكلة كبيرة، ثاني يوم تصغر هذه المشكلة، بعد أيام قال: والله أنا لعلي بالغت، فأنا أقول: أكبر مشكلة بين الزوجين إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها تغدو بعد حين أصغر مشكلة، وأصغر مشكلة بين الزوجين إذا تبعها خروج من البيت تغدو أكبر مشكلة، وقد تنتهي إلى الطلاق، وأنا أقول: حالات لا تعد ولا تحصى من الطلاق كانت بسبب بسيط جداً، تفاقم هذا السبب.

9 . خلو الزوجة ببعض الأقارب :

طبعاً خلو الزوجة ببعض الأقارب أحد أسباب الشقاق الزوجي – الاختلاط بشكل عام – والله في الإنترنيت وجدت عنواناً: اعترافات زوجة خائنة، فتحت هذا الموقع وجدت شيئاً لا يصدق، زوجة في مصر من أعلى مستوى اجتماعي، تحمل الماجستير، ولها زوج غني، أي احتمال أن تخونه واحد بالمليار، جاء برجل يحبه كثيراً ميكانيكي يعينه في أعماله، يدخله إلى بيته، إلى أن جلس معه على الطعام كل يوم، صحفي كبير طلب مقابلة هذه المرأة المحكومة بالإعدام، لأنها تآمرت على قتله بعد حين، فقالت: لولا أنه سمح لهذا الإنسان الغريب أن يدخل إلى هذا البيت لما خنت زوجي، فالاختلاط محرم بالشرع ، محرم بنصوص كثيرة جداً، أما حينما نلغي هذا الحكم الشرعي، والأمور متداخلة فيما بين الناس فهناك مضاعفات، قال له: " يا رسول الله عظني ولا تطل؟ قال له: قل آمنت بالله ثم استقم، قال: أريد أخف من ذلك، قال إذاً فاستعد للبلاء".

ونحن حينما لا نقف عند حدود الشرع ينبغي أن نستعد للبلاء، وقد يكون البلاء بانهيار الأسرة، وانهيار الأسرة بسبب مخالفة منهج الله – الأسرة جزء من المجتمع، إذا انهارت الأسرة انهار المجتمع، وانهيار المجتمع يعني انهيار الدولة –، هذه بعض النقاط.

10 . الميل لأحد الأولاد دون الآخ

أحياناً الميل لأحد الأولاد دون الآخر، فالعدل أصل في العلاقة مع الأولاد .

قال:

((يا رسول الله اشهد أنني نحلت ابني هذا بستاناً، قال عليه الصلاة والسلام: ألك ابن غيره ؟ قال: نعم، قال: هل نحلتهم مثل ما نحلته؟ قال: لا، قال: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور))

[أبو داود والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

فينبغي أن تعدل حتى في القبل كما قال النبي الكريم، وحتى في النظرات، حتى في بشاشة الوجه، أحياناً الإنسان يبش وجهه أمام ابن ويقطب أمام ابن آخر، هذا يجرحه للأعماق، فإذا كان هناك عدل بالمعاملة بين الأولاد من قبل الزوج والزوجة تضعف فرص الشقاق الزوجي، لأنه أحياناً ما الذي يحصل؟ هي تنحاز إلى ابن وهو ينحاز إلى ابن، فيبدأ الشقاق .

فالغياب الطويل عن البيت، الاختلاط، الميل لأحد الأولاد، سوء الظن من دون دليل، بخل الزوج، الطمع المادي بمال الزوجة.

11 . التقليد الأعمى :

التقليد الأعمى شيء مهم جداً، أخت تسكن في بيت جيد صحي، ولها زوج يحبها وتحبه، والأمور طبيعية جداً، و هناك سعادة كبيرة بينهما، لها أخت زوجها تاجر كبير، فحينما توازن مستوى بيتها مع بيت أختها، مستوى فرش البيت مع فرش أختها، مساحة البيت مع مساحة بيت أختها، تنشأ مشكلة من التقليد الأعمى، يعطي الله عز وجل الإنسان عطاء بمجموع واحد فقد يعطي إنساناً مالاً كثيراً، ويعطيه الصحة الكافية للتمتع بهذا المال، فالمجموع عشرة، وقد يعطيه مالاً قليلاً بصحة وافرة المجموع عشرة، فالمجموع ثابت أحياناً، الإنسان لضعف أفقه، ولضيق أفقه، ولسوء ظنه بالله عز وجل يتمنى ما عند الآخرين، فأيضاً التقليد الأعمى أحد أكبر أسباب الشقاق الزوجي، هذه بعض الأسباب طبعاً ذكرتها اطفاء.

أسباب السعادة الزوجيّة :

بشكل عام يمكن أن يكون عكس هذه الأسباب أسباب السعادة الزوجية، لكن أنا أذكر قصة لطيفة جداً لقاض اسمه شريح، لقيه صديقه الفضيل، قال له: يا شريح كيف حالك في بيتك؟ قال: والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكر صفائي، قال: وكيف ذلك؟ قال: تزوجت من أسرة صالحة، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً- أي صلاحاً في دينها، وكمالاً في خلقها- فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، وتشكر بشكري، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها، فقالت لي: على رسلك يا أبا أمية، ثم قامت فخطبت، قالت: أما بعد فيا أبا أمية إنني امرأة غريبة لا أدري ماذا تحب، ولا ما تكره، فقل لي ما تحب حتى آتيه، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك، وكان لي من رجال قومي من هو كفء، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فاتقِ الله فيّ، وامتثل قوله تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]

ثم جلست، فقام أبو أمية زوجها، قال: فألجأتني إلى أن أخطب- أي ما كان يتمنى أن يخطب في هذا الموقف- قال: وقفت وقلت: أما بعد فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما وجدت من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها، ولا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه، وأيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس لن ترح رائحة الجنة))

قال: وما وجدت من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها، قالت: كيف أزور أهلي وأهلك؟ قال: نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين لئلا يملونا، وفي الحديث الشريف:

((زر غباً تزدد حباً))

قالت: فمن من الجيران تحب أن أسمح لهن بدخول بيتي ومن تكره؟ قال: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم غير ذلك، قال: وعدت إلى البيت في أحد الأيام بعد عام من زواجي فإذا أم زوجتي عندنا، رحبت بها أجمل ترحيب، وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال، قالت: يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك؟ قلت: والله هي خير زوجة، قالت: يا أبا أمية ما أوتي الرجال شيئاً أسوأ من المرأة المدللة فوق الحدود، فهذب ما شئت أن تهذب، وأدب ما شئت أن تؤدب، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة، ومضى عليّ عشرون عاماً لم أجد من زوجتي ما يعكر صفائي إلا ليلةً واحدة كنت فيها أنا الظالم.

هذه أخلاق السلف الصالح، حينما يتقِ الله في زواجه يسعده الله في زوجته، وحينما لا يتقِ أحد الزوجين ربه ينشأ الخلاف والشقاق بينهما .

بعض التوجيهات الخاصة المستنبطة من واقع الحياة الزوجية :

أولاً: التعبير عن الحب أحد أسباب السعادة الزوجية، أنا لمست هذا من قول النبي عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه، عندما قال أحد الأصحاب وقد مرّ رجل: والله إني أحبه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: هل أعلمته بهذا؟ قال: لا، قال: اذهب فأعلمه، أي إذا كان هناك زوجة مخلصة، تعتني بهندامها، تعتني ببيتها، بأولادها، لمَ لا يعبر زوجها عن إعجابه بها؟ لا يبق صامتاً، لمَ تطول المكالمة في أيام الخطبة إلى ست ساعات ثم بعد الزواج لا تنطق بكلمة واحدة؟ فلذلك التعبير عن الحب هو من أسباب السعادة الزوجية، الثناء على عملها، إن في هندامها، وإن في بيتها، وإن في نظافة البيت، وإن في العناية بالأولاد، أيضاً يشجعها على متابعة خدمة الزوج الجلوس معها والإنصات إليها، هناك من يجلس مع زوجته لكن لا يصغي إليها، بيده مجلة، أو يتابع شيئاً، أو يقرأ، أو يستخدم الكمبيوتر، فهذا ليس جلوساً، الجلوس ولو لنصف ساعة كل يوم تجلس أمامها وهي أمامك وتتحادثان، هذا أيضاً مما يمتن العلاقة، لو أنك رأيتها متعبة منهكة مريضة جئت لها بطعام من السوق، راعيت شعورها، وراعيت متاعبها، وراعيت وضعها الصحي، هذا يمكّن العلاقة بينهما، حينما تأخذها من حين لآخر إلى نزهة منضبطة وفق منهج الله، إن لم تكن النزهة منضبطة وفق منهج الله قد تكون سبباً للشقاء الزوجي، اختلاط، ونساء كاسيات عاريات، وعينه عليهن، وهي تغار عليه، وهي عينها على الرجال، والغناء يصدع، النزهة المنضبطة وفق منهج الله تمتن العلاقة بين الزوجين، وتخفف متاعب الحياة، وتجدد النشاط .



هناك أشياء أخرى يمكن أن تكون معينة على السعادة الزوجية، أنت سافرت ينبغي أن تتصل بها، إذا سافرت إلى خارج البلدة ينبغي أن تتصل بها، وأن تعطيها رقم الهاتف، فهذا يشعرها أنها تحتل مكانة في قلبك، إذا كنت متأخراً ينبغي أن تتصل بها لتعلمها أنك متأخر، أما أن تنتظر حتى الساعة الواحدة، وأنت منغمس مع أصدقائك في حديث ممتع، فهذا شيء يسبب المتاعب، إذا سافرت إلى مكان بعيد ينبغي أن تعلمها كم تفتقدها، وكم لها من مكانة عندك، وأن العيش من دونها لا يطاق مثلاً، حينما تأتي من سفر ينبغي أن تخبرها متى تأتي، لا أن تفاجئها، وقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أنه إذا كان في غزو يقيم في ظاهر المدينة يوماً كي يعلم كل من في المدينة أنه قد اقترب اللقاء، أما أن تفاجأ، الآن بالهاتف تحل القضية، التعاطف مع مشاعرها يسبب الود بين الزوجين، قد تكون مضطربة، قد يكون قد توفي أحد أقربائها، أنت تمرح وتضحك في البيت، تكون في وضع بعيد عن مشاعرها، هذا يسبب الشقاء الزوجي، أن تقدم لها هدية من حين إلى آخر بشكل مفاجئ لو أنها رمزية، هذه تمتن العلاقة بين الزوجين لقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((تهادوا تحابوا))

[مالك في الموطأ عن مالك بن عطاء الخراساني]

أي إن كانت مريضة اطمئن عن أحوالها، عن وضع مرضها، عن الأدوية هل تناولتها؟ عن أوقات الأدوية هل زرت هذا الطبيب؟ هذا الاهتمام يسبب هذه السعادة، بالإضافة إلى توجيهات القرآن.

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[سورة النساء: 19]

قال علماء التفسير: ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها بل أن تحتمل الأذى منها.

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

[سورة النساء: 34]

قائمون على إدارة البيت، وخدمة أهل البيت، والإنفاق على البيت، ورعاية البيت، وضبط البيت، ومراقبة الأولاد، ليست القوامة استعلاءً، ولا تغطرساً، ولا قمعاً، ولا شدةً، ولا كبراً، القوامة خدمة، كما قال سيدنا عمر: لست خيراً من أحدكم لكني أثقلكم حملاً.

هذه بعض التوجيهات العامة في القرآن والسنة، بعض التوجيهات الخاصة المستنبطة من واقع الحياة الزوجية.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : آداب المعاشرة

الدرس (1-1) : منهج الله في العلاقات الزوجية مع أدعية الزفاف واللقاء الزوجي

الفصل الثالث: آداب المعاشرة

الدرس (1-1) : منهج الله في العلاقات الزوجية مع أدعية الزفاف واللقاء الزوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الإنسان مخير فكل شيء حوله يوظف بالخير أو بالشر :

أيها الأخوة الكرام: الإنسان في الأصل مخير، ولولا هذا الاختيار لما كان من معنى للثواب والعقاب، والجنة والنار، والتكليف وحمل الأمانة، وفي اللحظة التي تنفي عن الإنسان اختياره تتفجر أمامك ملايين الأسئلة التي لا أجوبة لها، فالإنسان مخير:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾

[سورة الإنسان]

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[سورة البقرة]

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148) ﴾

[سورة الأنعام]

الحديث طويل حول أن الإنسان مخير لكن لأنه مخير كل شيء حوله، وكل حظوظه التي يتمتع بها، وكل الشهوات التي أودعت فيه حيادية، يمكن أن توظف في الخير، ويمكن أن توظف في الشر.

الشهوة حيادية يمكن أن تكون سلماً نرقى بها أو دركات نهوي بها :

الله عز وجل خلق الذكر والأنثى، ويوجد بينهما علاقات مشروعة هي علاقات الزواج، علاقات تأسيس بيت المسلم، علاقات امرأة ترتبط بمسلم تكون زوجته، ينجب منها الأولاد، تعيش هذه الأسرة في وئام إلى نهاية العمر، هذا هو التصميم الإلهي، لكن الشهوة كما قلت حيادية، ويمكن أن تنطلق منها وفق منهج الله، أو من دون منهج تأتمر به، كل فساد الأرض فيما يتعلق بالمرأة هو انطلاق من هذه الشهوة من دون منهج، لذلك في الإسلام زوجة، أم، أخت، بنت، عمة، خالة، وامرأة أجنبية، والعلاقات مضبوطة وواضحة جداً.

لي صديق سافر قبل أسبوعين إلى بلاد بعيدة شرقاً، التقى بمدير مبيعات شركة، سأله هل أنت متزوج؟ قال: لا أنا عندي صديقة تسكن معي وهي موظفة عندنا، هذه الصديقة لا حقوق لها، ولا عقد بينهما، ولاشيء يربط بينهما إلا المزاج، ففي أية لحظة أراد أن يطردها من البيت جعلها في الطريق، بينما في الإسلام أقدس عقد على الإطلاق هو عقد الزواج.

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

[سورة النساء]

مشكلة المسلمين اليوم أنهم اعتنوا بالعبادات الشعائرية و تركوا العبادات التعاملية :

لذلك الإسلام منهج كامل، يبدأ من أدق علاقاتك وأقربها وهي الزوجة، وينتهي بالعلاقات الدولية، والذي يظن أن الإسلام صلاة وصيام وحج وزكاة ليس غير لم يفهم من الإسلام شيئاً، الإسلام منهج كامل، لكن مشكلة المسلمين اليوم أنهم اعتنوا بالعبادات الشعائرية وعاشوا حياتهم على النمط الغربي، وقعوا في تناقض شديد، ليس بين الذكر والأنثى من علاقة حميمة إلا الزواج، فالله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يصف المؤمنين ماذا يقول؟

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

[سورة الفرقان]



ما من سعادة تغمر قلب الأم والأب كسعادة أن يروا أبناءهم صالحين، هذه العلاقة بين الذكر والأنثى أنجبت طفلاً وابناً وبنتاً، وهذه البنت جاءت بصهر، وهذا الابن جاء بزوجة، تجد الإنسان حينما يتزوج بعد حين يجد حوله بضع عشرات من الذرية وهو في حياته كلهم له في أشد أنواع الولاء، أما لو أن هذه العلاقة تمت خارج منهج الإسلام فإنها الزنا، نزوة أو شهوة عابرة، مادام في هذه الفتاة مسحة جمال فهي مرغوب بها، فإذا زوي جمالها ألقيت في الطريق! فلذلك تجد في العالم الإسلامي أن الأم والزوجة والأخت مقدسة، يوجد ترابط وتعاطف، المرأة مقدسة جداً، بينما في العالم الغربي المرأة سلعة كأي سلعة، وقد تستهلك أبشع وأقذر استهلاك، فالأدعية دخلت إلى بيوتنا:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

الإسلام نظام كامل :

سيدنا إبراهيم بماذا دعا الله عز وجل؟

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾

[سورة إبراهيم]



أخوتنا الكرام: أنا لا أصدق أن مؤمناً يطمئن لإيمانه وبيته ليس كما يريد، بيتك جزء من دينك، أولادك جزء من دينك، الإسلام نظام كامل، فسيدنا إبراهيم قال:

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾

[سورة إبراهيم]

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

[سورة التحريم]

يصور ربنا عز وجل لنا في آية أخرى حرص الآباء المؤمنين الأولياء لا على صحة أولادهم كما هو الحال اليوم القلق فقط على الصحة، وعلى الدراسة، التقصير الدراسي والصحة، بينما الأصل أن الأب ينبغي أن يقلق على عقيدة ابنه، قال تعالى:

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة البقرة]

النظام الإسلامي والمبادئ الإسلامية تدخل إلى البيوت، وتوجه الآباء أن يقلقوا على عقيدة أبنائهم، ويطلبوا من أبنائهم أن يكونوا صالحين حتى يكونوا قرة عين لهم.

الدعاء التالي يسن حينما يلتقي الإنسان بزوجته أول لقاء :



الإنسان حينما يتزوج وتكون ليلة الزفاف علمنا النبي عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء يقول:

((إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ....())

[سنن أبي داود عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

الشؤم في ثلاث؛ من هذه الثلاث الزوجة قد تكون سبب بلاء على زوجها، أو مدمرة لزوجها، أو تسوقه لجهنم، وهذا المعنى الذي ورد في قوله تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾

[سورة التغابن]

قال علماء التفسير: هي عداوة المآل لا عداوة الحال، حينما تضغط عليك زوجتك كي تأتيها بأشياء تحقق رغائبها في الدنيا من مال حرام، وحينما يصل الأمر بالإنسان إلى النار بسبب زوجته عندئذ يعاديها أشد العداوة. امرأة من نساء الصحابة الكرام سألت زوجها شيئاً من متاع الدنيا وهو لا يملك ثمن هذا الشيء قال لها: "اعلمي أنه في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بك من أجلهن، أهون من أن أضحي بهن من أجلك":

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ ()

[سنن أبي داود عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً))

[مسند الإمام أحمد عن عائشة]

((وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ....))

هذا الدعاء يسن حينما يلتقي الإنسان بزوجته أول لقاء.

الدعاء التالي قبل اللقاء الزوجي حتى يأتي المولود طاهراً :

صار اللقاء الزوجي الحميم هل هناك من دعاء؟ علمنا النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

((أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَرُزِقَا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ))

[صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

لابد من دعاء قبل اللقاء الزوجي حتى يأتي هذا المولود طاهراً بعيداً عن الشيطان، أرأيت إلى هذا الدين؟ يصل مع الإنسان إلى أدق علاقاته، إلى علاقاته الحميمة، أي وأنك في أعلى درجات الشهوة ينبغي أن تكون مع الله، وأن الإنسان حينما يقضي شهوته في القناة النظيفة المشروعة يشعر أنه قريب من الله عز وجل، وازن بين علاقة شرعية بين زوجين وبين علاقة شائنة غير شرعية بين عاشقين، الزوجان ينعمان بالراحة والأمن ويفتخرون بهذه العلاقة، وكلما تمّ حب بين الزوجين كان هذا الحب دليل نجاح الزواج.

من نعم الله العظمى أن يحب المرءِ زوجته و تحب المرأة زوجها :

هل تصدقون أن النبي عليه الصلاة والسلام حمد الله على حب زوجته قال:

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]



ومن نعم الله العظمى أن يحب المرءِ زوجته، ومن نعم الله العظمى أن تحب الزوجة زوجها.

وقد سألت السيدة عائشة النبي ﷺ ذات مرة كشأن كل أنثى كيف حبك لي؟ قال: كعقدة الحبل، أتاها بتشبيه يعبر عن عمق العلاقة بينهما، فأصبحت تسأله من حين إلى آخر؟ كيف العقدة يا رسول الله؟ يقول: على

حالها.

فالدعاء في أعلى درجات المتعة في درجة اللقاء الزوجي، أنت مع الله ووفق منهج الله وفي القناة النظيفة، يمكن أن يكون لقاء زوجي ويمكن أن يعقبه قيام ليل، أرأيت إلى هذه الحياة المتوازنة النظيفة المريحة؟ بينما لو ملأت عينك من حرام نظراً فقط وقعت في الإثم والحجاب، وقعت في الحرام دون أن تفعل وتلمس شيئاً، ودون أن تنطق بكلمة، تحجب عن الله عز وجل، لأن هذا لا يحق لك لأنه مخالف لمنهج الله، بينما لو وصلت لأعلى درجات المتعة مع من تحل لك أنت مع الله في الدعاء قبل اللقاء الزوجي:

((اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَرُزِقَا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ))

[صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

ما من نعمة تفوق أن يأتي للإنسان غلام سليم معافى :



الحقيقة قضية الحمل والولادة قضية ثابتة ما من نعمة تفوق أن يأتيك غلام سليم معافى.

مرة دخلت لبيت أظن قيمته تزيد عن ثمانين مليوناً، رأيت بنتاً صغيرة طولها كعرضها وهي بلهاء والعياذ بالله! مرض أصاب غدتها الدرقية فبلغت وزناً لا يعقل، وبلاهة لا تعقل، أنا قلت:

صاحب هذا البيت لو خيرته أن يكون ذا دخل محدود، ويسكن بيتاً في أقاصي المدينة، ولا يملك إلا قوت يومه، لما تردد ثانية في قبول الثانية !

حدثني مرة أخ قال: إذا أنجب الإنسان مولوداً سليماً كأن مع هذا المولود مليون ليرة، قلت كيف؟ قال: رزقت ابنتي بمولودة زرقاء، فحصها الطبيب قال: هناك خطأ خلقي في قلبها، الشريان مكان الوريد والوريد مكان الشريان، ولابد من عملية خلال عشر ساعات و إلا تموت! العملية ليست في بلدنا، فأخذها لقطر مجاور قال:

أربعمئة ألف أجرة الطبيب، وثلاثمئة ألف تكاليف المشفى، وخمسة وعشرين ألفاً نقلت من دمشق لبيروت، قال: خلال عشر ساعات دفعت سبعمئة وخمسة وعشرين ألفاً، حينما تحمل الأم أن يأتي المولود سليماً معافى هذه نعمة لا تعدلها نعمة، فقد أُثر عن رسول الله ﷺ في حالات ما قبل الولادة يقول:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ))

[سنن الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

فالأب العاقل المؤمن أول دعاء إذا كانت زوجته على وشك الولادة أن يسأل الله الرحمة و السلامة من كل عيب.

((اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ....))

[صحيح مسلم عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ]

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

[صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

النبي عليه الصلاة والسلام جعل الخيرية المطلقة هي أخلاق الزوج في بيته :

وهناك لفتة رائعة من لفتات النبي عليه الصلاة والسلام أنه جعل الخيرية المطلقة أخلاق الزوج في بيته قال:

((خيركم خَيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

والحقيقة أن الإنسان خارج البيت يتجمل، ينتقي ألطف الألفاظ، ويرتدي أجمل الثياب، يصافح، يبتسم، يعتذر، يحتمل، يصبر، أما إذا دخل البيت فلا رقيب عليه ولا سلطان عليه إطلاقاً، أخلاقه الحقيقية تبدو في البيت، تلك أخلاق تمثيلية هدفها المصلحة والحفاظ على المكانة والسمعة وقوة الشخصية أما في البيت الأخلاق الحقيقية فقال:

((خيركم خَيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

المرأة المؤمنة التي تحسن رعاية زوجها وأولادها هي في مرتبة المجاهدين :



أيها الأخوة الكرام: لاشك أن من بديهيات الدين أن المرأة المؤمنة التي تحسن رعاية زوجها وأولادها هي في مرتبة المجاهدين، والجهاد ذروة سنام الإسلام، أي ما من عبادة في الإسلام تفوق الجهاد في سبيل الله، والمرأة التي تحسن رعاية زوجها وأولادها هي كالمجاهدة في سبيل الله، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعادل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

وقال:

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : الشقاق الزوجي و نتائجه

الدرس (8-1) : أسباب الشقاق الزوجي والقضايا المتعلقة به

الدرس (8-2) التقليد الأعمى أحد أسباب الشقاق الزوجي

الدرس (8-3) – ميل أحد الأبوين إلى أحد الأولاد أحد أسباب الشقاق الزوجي

الدرس (8-4) : حرمان المرأة من الميراث والغياب الطويل عن البيت أحد أسباب الشقاق

الدرس (8-5) : سوء الظن أحد أسباب الشقاق الزوجي

الدرس (8-6) : عدم احترام الزوج لعائلة الزوجة أو عدم احترام الزوجة لعائلة الزوج

الدرس (8-7) : الكذب أحد أسباب الشقاق الزوجي

الدرس (8-8) : العلاقة المتبادلة بين النجاح الخارجي والفشل الداخلي أحد أسباب الشقاق الزوجي

الفصل الرابع : الشقاق الزوجي و نتائجه

الدرس (1-8) : أسباب الشقاق الزوجي والقضايا المتعلقة به

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيَّته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٍ بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذرِّيته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من أخطر قضايا المجتمع الإسلامي: التماسك الأُسري:

أيها الإخوة الكرام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني إلى أن أضع يدي على الجراح التي يعاني منها المسلمون، وعلى النقاط التي ينبغي أن تُعالج.

في أسبوعٍ سبق عُرِضَت علي عدة قضايا يعاني منها المسلمون، قضايا الشقاق الزوجي، فساد ذات البَيْن، انهيار الأسرة المُسلمة، هل المجتمع الإسلامي إلا مجموعة أسر ؟ فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع.



قضية تماسك الأسرة، وقضية صحتها، وقضية قوتها، وقضية انسجامها، هذه قضيةٌ مهمةٌ جداً المسلمون في أشد الحاجة إليها، ذلك أن الإنسان إذا كان مُرتاحاً في بيته، مطمئناً إلى أهله، انطلق إلى عمله، وأتقن عمله، ونفع المسلمين، وعاد الخير على كل المسلمين، أما إذا كان البيت جحيماً لا يطاق، إذا كان البيت مُفْعَمَاً بالمشكلات، مفعماً بالتنافس، مفعماً بالعداوة والبغضاء، إن هذا البيت على خلاف ما أراد الله عزَّ وجل، لأن الله عزَّ وجل حينما قال:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الروم: من آية " 22 ")

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

(سورة فصلت: من آية " 37 ")

قال:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم: من آية " 21 ")

الأصل في العلاقات الأُسرية: المودة والرحمة:

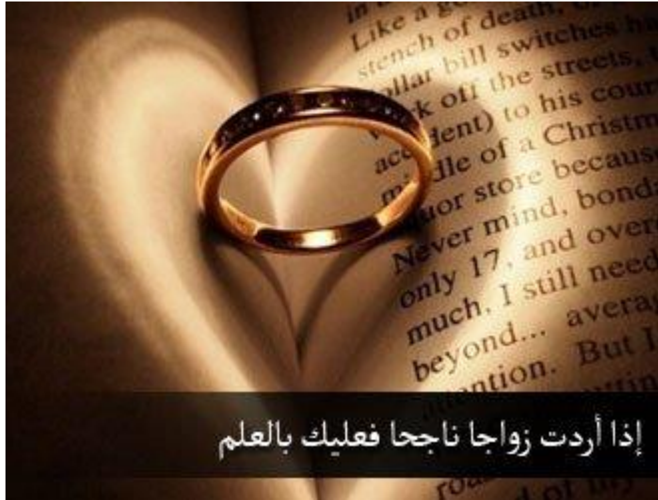
هذا هو الأصل في العلاقة الزوجية المودة والرحمة، هذا الأصل في الأسر ؛ التماسك، الود، الحب، الانسجام، الانضباط.

أيها الإخوة الكرام، يجب أن نعلم جميعاً علم اليقين أن المال لا يقدِّم ولا يؤخِّر في هذا الموضوع، قضية أن تعرف مالك وما عليك.

أسباب الشقاق الزوجي:

السبب الأول: الجهل بأحكام الشريعة:

أول سببٍ في الشقاق الزوجي الجَهْلُ، وكما أقول لكم دائماً: الجهل أعدى أعداء الإنسان، حينما يجهل الزوج واجباته تجاه زوجته، وحينما تجهل الزوجة واجباتها تجاه زوجها، وحينما يجهل الرجل حقوقه على زوجته، وحينما تجهل الزوجة حقوقها على زوجها، حينما يبنى زواجٌ على جهل، فهذا الزواج مصيره إلى التفكك وإلى الشقاق.



أيها الإخوة الكرام، لا يستطيع عدوك مهما كان حاقدا عليك أن ينال منك كما ينال منك الجهل، يجب أن ننطلق من بيوتٍ سعيدة، يجب أن ننطلق من بيوتٍ متماسكة، يجب أن ننطلق من أُسَرٍ نظيفة، من علاقاتٍ واضحة، الجهل أعدى أعداء الإنسان، لابدَّ من أن تعرف، حينما عقد القران قال خطيب الحفل: إن هذا العقد كان على كتاب الله وسنة رسوله، فهل عرف الزوجانِ ما في كتاب الله وما في سُنَّةِ رسوله من أحكامٍ تتعلق بالزواج ؟ هل عرف الزوج حقيقة الزواج ؟ هل عرف حقوقه وعرف واجباته ؟ هل عرفت المرأة حق زوجها عليها ؟ وأن المرأة إذا أحسنت تبعُّل زوجها كانت كالمجاهدة في سبيل الله، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله))

(كنز العمال)

لابدَّ من طلب العلم، ولا سيما اللذان يقدمان على الزواج، لابدَّ من طلب العلم، لابدَّ من معرفة أحكام الشريعة في شأن الزواج، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت زواجاً ناجحاً فعليك بالعلم، إذا أردت زواجاً مستقراً فعليك بالعلم، إذا أردت زواجاً سعيداً فعليك بالعلم، إذا أردت زواجاً متماسكاً فعليك بالعلم.

أيها الإخوة الكرام، يكاد الجهل يكون أول سببٍ من أسباب الشقاق الزوجي، والجهل كما أقول دائماً أعدى أعداء الإنسان، هو العدو الأول الذي يقوض الحياة الزوجية، يقوض هذه الأسرة، يجعلها في الشقاق، يجعلها في العداوة والبغضاء على خلاف ما أراده الله عزَّ وجل، الذي أراده الله المودَّة والرحمة بين الزوجين، هذه هي الحالة الصحيحة المستقيمة، فإن لم تكن كذلك لابدَّ من علاجٍ سريع، لابدَّ من عودةٍ إلى الصواب.

السبب الثاني: تفرُّق الزوجين وشيوع العداوة:

أيها الإخوة الكرام، السبب الثاني لانهيار الأسر، وتفرُّق الزوجين، وشيوع العداوة والبغضاء بينهما هو: التقصير في تطبيق ما تعلم، قد يكون السبب الجهل، ما بال الذي يعلمون حقوق الزوجة وحقوق الزوج، وواجبات الزوجة وواجبات الزوج ولا يفعلون..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)﴾

(سورة الصف)

ما قيمة العلم إن لم يُطَبَّق ؟ ما قيمة معرفة دقائق العلاقة الزوجية إن لم تكن واقعاً بين الزوجين ؟ ما قيمة التفقُّه بأحكام الفقه إن لم يكن هذا الفقه مطبقاً في البيت ؟

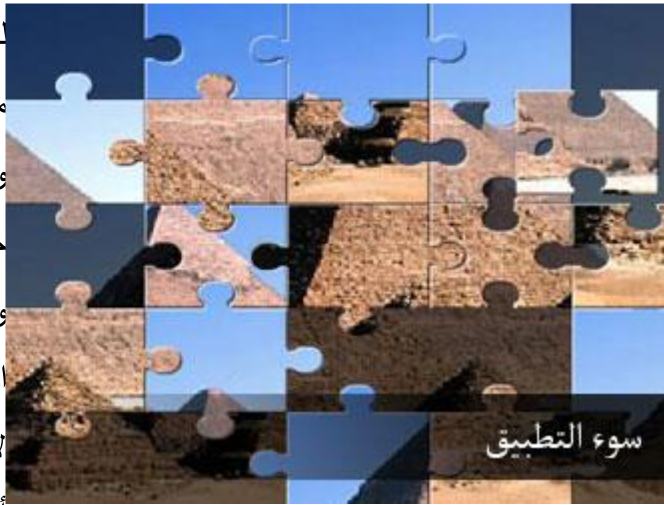
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الأنفال: من آية " 33 ")

قال علماء التفسير: ما دامت سُنَّتُكَ في بيوتهم، وفي أعمالهم، وفي أفراحهم، وأتراحهم، وفي إقامتهم وسفرهم، وبيعهم وشرائهم، فهم في بحبوحةٍ من عذاب الله.

وجوب تطبيق ما تعلّمه المسلم:

أيها الإخوة الكرام... لابدَّ من أن تعلم، ولابدَّ من أن تطبّق ما تعلم، ولابدَّ من أن تعلم، ولابدَّ من أن يكون واقعك وَفْقَ ما تعلم، وإلا كان النفاق، وإلا كان الانحراف، وكان التزوير، من السهل جداً أن تتزين بكلامٍ تنتزع به إعجاب الحاضرين ؛ ولكن البطولة أن يكون هذا الكلام مطبقاً في حياتك اليومية، شتانَ بين أن تقول مئة ألف، بين أن تلفظها وأن تملكها، شتانَ بين القولين، بين أن تملك مئة ألف أو مئة مليون وأن تتلفظ بها، فالتلفُّظ بالشيء لا وزن له إن لم يكن واقعاً تعيشه.



لذلك أيها الإخوة... كثيرٌ أولئك الذين يحضرون مجالس العلم، ويتعلمون شيئاً كثيراً عن حقوق الزوجة وعن واجباتها، وعن حقوق الزوج وعن واجباته، وعن حقيقة الزواج المُسْلِم، وعن حقيقة الزواج الإيماني، ولكنهم يقصرون، فإذا قصَّروا ما قيمة هذا العلم ؟ العلم ما عُمِلَ به، فإن لم يعمل به كان الجهل أولى، لأن هذا العلم الذي لم يعمل به أصبح حجةً عليك. أيها الإخوة الكرام، بين أن تستمع إلى حقيقة وأن تعيشها مسافةٌ كبيرة جداً، بين أن تترنَّمَ بحقوق الزوجين وأن تؤدي هذه الحقوق مسافةٌ كبيرةٌ جداً. فالسبب الثاني أيها الإخوة هو: أن الذي يعلمون لا يطبِّقون..

أول سبب: هناك من لا يعلم.

والسبب الثاني: هناك من يعلم ولا يطَبِّق، وهذا العلم الذي بين جوانحه حجةً عليه لا حجةً له.

إن الله مع الزوجين:

يا أيها الإخوة الكرام، ربما يبدو أن أحد أكبر أسباب السعادة الزوجية بين المؤمنين حقيقةٌ خطيرةٌ جداً هي: أن الله بين الزوجين، معنى أن الله بينهما، أي أن كل طرفٍ يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وأن كل طرفٍ يرجو رحمة الله بإكرام الطرف الآخر، فإذا كان كلٌ من الزوجين يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وإذا كان كلٌ من الزوجين يرجو رحمة الله بإكرام الطرف الآخر، لأن الله بين الزوجين، كان هذا الزواج سعيداً ومستمراً، بل إن الله عزَّ وجل حينما قال:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

(سورة الروم: من آية " 21 ")

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً



وقف العلماء وقفةً متأنيةً بين المودة والرحمة، المودة سلوكٌ يُعَبِّرُ بمقتضاه عن الحب، فالحب شعور والبسمة مودة، الحب شعور والهدية مودة، المودة سلوكٌ ظاهري يعبّر عن شعورٍ داخلي، وجعل بينكم مودة، هذه المودة بين الزوجين من خَلْقِ الله عزَّ وجل، ولا يمكن أن ينشأ بينهما العداوة والبغضاء إلا بسبب بعدهما عن الله، أو تفلتهما من منهج الله، التفلُّت والبعد يسبب العداوة والبغضاء..

﴿ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة المائدة: من آية " 14 ")

ولكن يا أيها الإخوة... قال تعالى:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

الرحمة أحياناً يستعان بها حينما تفقد المودة، حينما تنقطع المصلحة بين الزوجين، حينما يفتقر الزوج ولا يستطيع أن ينفق على الأسرة شيئاً، حينما تُصاب المرأة بمرضٍ شديد، ولا تغدو زوجةً ملء عين زوجها، ما الذي يحل محل المودة ؟ الرحمة، إذاً هذه المؤسسة الإسلامية أنشأت لتبقى، لتبقى بالمودة أو بالرحمة أو بكليهما، فإن لم تكن مودةٌ ولا رحمةٌ بين الزوجين، فهذه حالةٌ مرضيةٌ تقتضي المعالجة السريعة.

السبب الثالث للشقاق الزوجي: إطلاق البصر في الحرام:



أيها الإخوة الكرام، لعل من أبرز أسباب الشقاق الزوجي أن يملأ الإنسان عينيه من محاسن غير امرأته، إطلاق البصر، قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

(سورة النور: من آية " 30 ")

فإطلاق البصر أحد أسباب الشقاق الزوجي، لأن إطلاق البصر يجعل الإنسان في دوامةٍ لا نهاية لها، في دوامة الموازنة بين ما عنده وبين ما يرى، وقد يأخذ من صفات اللواتي يرى صفات لا تتمتَّعَ بها إحداهن، إذا وازن بين ما يرى وما عنده ربما وقع شقاقٌ بينه وبين أهله.

أيها الإخوة الكرام... هناك ما يسمَّى بمدرسة غض البصر..

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

(سورة النور: من آية " 30 ")

السبب الرابع: سوء التصرُّف:

أيها الإخوة الكرام، ولعل من أسباب الشقاق الزوجي سوء التصرُّف، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾

(سورة البقرة: من آية " 269 ")

أعرابيةٌ نصحت ابنتها فقالت: " واتقِي الفرح معه إن كان تَرِحَاً، والترح إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثاني من التكدير، لا تفشِي له سراً، لا تعصي له أمراً، اتقِي وقت طعامه ووقت منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة ".

نصائح كثيرة، حينما تقع المرأة أو الرجل في سوء التصرف فهذا سببٌ كبير.

ول سبب هو الجهل.

والثاني هو سوء التطبيق.

والثالث هو إطلاق البصر.

والرابع هو سوء التصرُّف.



حينما المؤمن يستقيم على أمر الله يكرمه الله عزَّ وجل بالحكمة، أن يقول الكلمة المناسبة في الوقت المناسب، بالقدر المناسب، مع الشخص المناسب، في الظرف المناسب، فالسكوت أحياناً من الحكمة. السيدة عائشة رضي الله عنها جاءها طبق طعامٍ من ضرتها صفية رضي الله عنها، أصابتها الغيرة، فكسرت الطبق، فالنبي عليه الصلاة والسلام امْتَصَّ هذا الغضب وقال:

((غَارَتْ أُمُّكُمْ))

[البخاري عن أنس]

أي إذا غضبت الزوجة على الزوج أن يمتص هذا الغضب، وإذا غضب الزوج على الزوجة أن تمتص هذا الغضب.

أيها الإخوة الكرام... هذا من حسن التصرف، وهذا من الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً.

السبب الخامس: التعالي:

يا أيها الإخوة الكرام، ومن أسباب الشقاق الزوجي الذي يعاني منه معظم مجتمع المسلمين، من أسباب الشقاق الزوجي التعالي، قد يكون الزوج في وضعٍ أغنى وأقوى من أهل زوجته، فالتعالي على أهل الزوجة يسبب الشقاق الزوجي، وقد يكون والد الزوجة أقوى وأغنى من أهل الزوجِ، تتعالى عليه ؛ تفتخر بأهلها ومالها وما عند أهلها، فهذا التعالي أحد أكبر الشقاق الزوجي.

التعالي أيها الإخوة معولٌ تهدِّم به سعادتك الزوجية، والتواضع أحد أسباب الوِفاق، والواقعية أحد أسباب الوفاق، والتعالي أسباب الشقاق.

((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))

(صحيح مسلم: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)

الكبر يتناقض مع العبودية لله عزَّ وجل، وهذا الذي يفتخر بشيءٍ ليس من كسبه، يفتخر بشكلٍ، أو بمالٍ، أو بقوةٍ، أو بحسبٍ، أو بنسب، وينسَ أن الله عزَّ وجل يقول:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(سورة الحجرات: من آية " 13 ")

ينسَ أن السُلَّمَ الذي نرقى به عند الله سُلَّمُ الطاعة والعمل، سلم العلم والعمل، قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: من آية " 132")

وقال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

(سورة المجادلة: من آية " 11 ")

فأنت عند الله حجمك بحجم معرفتك به، وحجمك عند الله بحجم العمل الذي أناطه الله بك.

فالتعالي أيها الإخوة سببٌ آخر من أسباب الشقاق الزوجي.

السبب السادس: عدم القيادة:

أيها الإخوة الكرام، وسببٌ آخر هو أن الأسرة لابدَّ لها من قيادة، لذلك قال تعالى:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة: من آية " 228 ")



هذه الدرجة هي درجة القيادة.

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

(سورة النساء: من آية " 34 ")

وفي آيةٍ أخرى:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة: من آية " 228 ")

هذه الدرجة درجة واحدة، هي درجة القيادة، لابدَّ لكل مؤسسةٍ من آمر، من قائد، من إنسان يملك القرار، وإلا ضاعت الأمور، وإلا فسدت الأسرة، لابدَّ لها من قائد، هذا القائد هو الزَوْج، لذلك هذه الدرجة التي يتمتع بها الزوج هي درجة القيادة، بين الزوجين درجة واحدة لا ألف درجة، درجة واحدة، لأن الله عزَّ وجل يقول:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة: من آية " 228 ")

هذه الدرجة هي درجة القيادة.

السبب السابع: التقليد الأعمى:

أيها الإخوة الكرام، ومن أبرز أسباب الشقاق الزوجي التقليد الأعمى، فكل بيتٍ له ظروفه، وكل أسرةٍ لها مُعطياتها، فإذا أرادت الزوجة أن تقلِّد أختاً لها، لها زوجٌ غني، وقعت في شقاقٍ لا ينتهي مع زوجها، السعادة الزوجية أيها الإخوة لا علاقة لها بالمال، لها علاقةٌ بالصلة بالله، لها علاقةٌ بتطبيق الإسلام في البيت، قد يكون بيتاً، قد يكون البيت بيتاً متواضعاً جداً، وأصحابه في جنة، وقد يكون قصراً مُنيفاً وأصحابه في جحيم، إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ؛ ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين.



قد يعيش الزوجان عيشةً خشنة، وهما أسعد خلق الله، وقد يعيش الزوجان عيشةً مترفة، وهما أشقى خلق الله، العبرة بطاعة الله، العبرة بالتفاهم، العبرة بالود، قد تأكل طعاماً خشناً مع من تحب، هو خيرٌ لك من أن تأكل أنفس مع من لا تحب، قد تسكن كوخاً مع من تحب، خيرٌ لك من أن تسكن قصراً مع من لا تحب..

رحب الفلاة مع الأعداء ضيقةٌ سم الخياط مع الإخوان ميدان.

أيها الإخوة الكرام... أحد أسباب الشقاق الزوجي التقليد الأعمى، نريد أن نقلِّد، لذلك قال: يا عائشة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ ، وَلا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ))

(من سنن الترمذي: عن عائشة)

وقد ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه **<< من دخل على الأغنياء . والمقصود بالأغنياء غير المؤمنين، غير المنضبطين، أما الغني المؤمن فتشتهي الغنى منه ؛ من تواضعه، وسخائه، ورِقَّتِهِ، وفضله، الأغنياء غير المؤمنين . من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط >>.**

فالتقليد الأعمى من قبل الزوجة يسبب الشقاء الزوجي.

السبب الثامن: الغياب عن البيت طويلا:



أيها الإخوة الكرام، وسببٌ آخر من أسباب الشقاق الزوجي هو الغياب عن البيت الغياب الطويل، هناك مشكلاتٌ كثيرةٌ جداً اطَّلعت عليها، السبب أن الزوج يخرج قبل الشمس، ويعود بعد منتصف الليل، لزوجته عليه حق أن يجلس معها، أن يؤانسها، أن يستمع إلى حديثها، أن تنظر إليه أن ينظر إليها، أن يأكلا معاً، أما هذا الغياب الطويل، وهذا الذي يبحث عن عملٍ ويبتعد عن أهله سنوات وسنوات، من يربي أولاده ؟ من يرعى زوجته ؟ الغياب الطويل عن الزوج وراء أكثر الجرائم التي تقع بين الزوجين وفي مقدمتها الخيانة الزوجية، الغياب الطويل عن البيت يفقدك رعاية أولادك، يفقدك تربيتهم التربية المُثلى.

فيا أيها الإخوة الكرام... هذا سببٌ آخر من أسباب الشقاء الزوجي.

السبب التاسع: الطمع المالي:

وقد يأتي الطمع المالي، قد ترث المرأة من أهلها إرثاً، يطمع زوجها بهذا المال فيضيق عليها، ويشدد عليها حتى تعطيه المال، طمعه في مال زوجته سَبَّبَ شقاءه البيتي، الزوج المؤمن يترفَّع عن مال زوجته، ولا يعلِّقُ أهميةً على أن يأخذ ما عندها، هو ملكها تفعل به ما تشاء.

السبب العاشر: البخل:

يا أيها الإخوة الكرام... بل إن من أشد الشقاق الزوجي البُخْلُ، البخيل لا يحبه أحد، لا تحبه زوجته، تتمنَّى موته، يتمنى أولاده أن يفتقدوه لأنه بخيل، لذلك أول صفةٍ من صفات الزوج المؤمن أنه كريم..

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتَّر على عياله))

(الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف)

ليس منا ينفي عنه النبي أن ينتمي إلى المؤمنين، من وسَّع الله عليه ثم قتر على عياله.

لكن بالمقابل أيها الإخوة..

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

(من سنن أبي داود: عن " عبد الله بن عمرو ")

هؤلاء الذين تطعمهم، وتكسوهم، وتغذيِّهم، وتسكنهم في بيتٍ مريح، وتعطيهم ما يشاؤون، إن لم تهتمَّ بدينهم، وأخلاقهم، واستقامتهم، ومعرفتهم أنت قد ضيَّعْتَهُم، هناك تضييعان، التضييع الأول ألا تنفق عليهم فيكرهوك، إذا أنفقت عليهم أعطيتهم ما يشاؤون، فإن لم تعرفهم بالله فقد ضيعتهم..

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

السبب الحادي عشر: سوء الظن:

أيها الإخوة الكرام... هناك من أسباب الشقاق الزوجي سوء الظن من دون دليل، قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

(سورة الحجرات: من آية " 12 ")

وقد ورد في الأثر: أن الحزم سوء الظن، وأن سوء الظن عصمة، واحترس من الناس بسوء الظن إذا كان هناك دليل، فإن لم يكن هناك دليل فسوء الظن إثم، قد ينشأ عند الزوجة غيرةٌ غير معقولة، بلا أي سبب، زوجها مؤمن تأخذ في المجيء للبيت تتهمه باتهاماتٍ لا تليق به، هذا مرض، وقد تكون الزوجة مؤمنةً طاهرةً عفيفةً، والزوج واقعٌ في سوء الظن، فيتهمها اتهاماتٍ لا تليق بها، إن لم يكن هناك دليل فسوء الظن معصية، إثم، أما إذا في دليل فسوء الظن عصمة، لذلك أحد أسباب الشقاق الزوجي سوء الظن الذي يقع به الأزواج أو تقع به الزوجات من حين إلى آخر.

السبب الثاني عشر: ميل أحد الزوجين إلى أحد الأولاد:



أيها الإخوة الكرام... وقد يميل الزوج لأحد الأولاد، أو قد تميل الزوجة لأحد الأولاد، هذا الميل يقتضي التعصُّب، ويقتضي الاندفاع غير الذكي، ويقتضي الهجوم على الطرف الآخر، فقد ينشأ خلافٌ شديدٌ بين الزوجين، لأن الأب منحازٌ إلى ولد والأم منحازة إلى ولد، وهذا أيضاً من أسباب الشقاق الزوجي.

أيها الإخوة الكرام.... ولا تنسوا قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما جاءه أبو النُعمان بن البشير، ففي الحديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلامًا، فَقَالَ: أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ ؟ قَالَ: لا، قَالَ فَارْجِعْهُ))

(من صحيح البخاري عن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)

فمن لوازم الوفاق الزوجي العدل بين الأولاد، ولا يقولَنَّ أحدكم: إنني أعطي البار، وأحرم العاق، إن حرمت العاق تزيده عقوقاً، وإن سوَّيت بين الأولاد دون أن تنظر إلى برهم أو عقوقهم قرَّبت العاق، وانتزعت إعجاب البار، البار يعجب بك والعاق يخف عقوقه، أما فرقت في العطاء بين الأولاد يزيد العاق عقوقاً وتسقط من عين الذي حابيته من أجل أخيه.

السبب الثالث عشر: تدخُّل الآباء والأمهات في خصوصيات العلاقة الزوجية:

أيها الإخوة الكرام... أحد أسباب الشقاق الزوجي، وهذه مشكلة المُشكلات، تدخُّل الآباء والأمهات في خصوصيات العلاقة الزوجية، الأم المُسَيْطِرَة التي تريد أن يعيش ابنها كما تتمنى على مزاجها، بعيداً عن قواعد الشرع، والأب المسيطر الذي يعلّق عطاءه لابنه على أن يكون الابن على شاكلة أبيه، والأم والأب اللذان لا يحترمان ابنهما، فيفرضان عليه ما لا يريد، وما لا يتمنى، ولا يحترمان اتجاهه الديني، تدخُّل الآباء والأمهات في خصوصيات العلاقة الزوجية هذا يفسد أيضاً العلاقة الزوجية بين الزوجين، وينبغي للشاب المؤمن أن يعرف الفرق بين طاعة الآباء وبِرِّهم، قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

(سورة الإسراء: من آية " 23 ")

الإحسان للوالدين، والعبادة لله وحده، فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق..

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾

(سورة لقمان: من آية " 15 ")

<< يا سعد إما أن تكفر بمحمد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت "، قال: " يا أمي لو أن لكِ مئة نفسٍ فخرجت واحدةً واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئتِ أو لا تأكلي >>.

يجب أن تعرف الفرق بين الإحسان للوالدين والعبادة، العبادة لله عزَّ وجل، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، والإحسان للوالدين.

السبب الرابع عشر: خروج المرأة من بيت زوجها دون إذن الزوج:

أيها الإخوة الكرام... خروج المرأة من بيت زوجها من دون إذن زوجها، مع أن الملائكة تلعنها، لكن هذا الخروج بلا إذن يسبب الشقاق الزوجي.

((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ))

(صحيح البخاري عن أبي هريرة)

وخروج المرأة من بيت زوجها من دون إذن زوجها أحد أسباب الشِقاق الزوجي.

السبب الخامس عشر: خلو الزوجة بأحد الأقارب:

والسبب الأخير أيها الإخوة... هو خلو الزوجة بأحد الأقارب، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ))

(صحيح البخاري عن ابن عباس)

فالتقاليد والعادات أنه جاء من مكان بعيد، هو أخو زوجي، ينبغي أن أستقبله لئلا ينتقدنا، لا يجوز أن تقع خلوةٌ بين المرأة ومن لا تحل له، إلا المحارم فقط.

الملخَّص: بناء الزوجين بيتهما على طاعة الله:



أيها الإخوة الكرام... هذه بعض أسباب الشقاق الزوجي، ولكن الذي يلخِّصُهُ جميعاً هو: أن الزوجان إذا بَنَيَا زواجهما على طاعة الله عزَّ وجل تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، وإن بنياهُ على معصيةً لله تولى الشيطان التفريق بينهما. أنت تحب زوجتك، وتحبك زوجتك، وتعيشان حياةً مِلْؤها السعادة والتفاهم بقدر طاعتكما لله عزَّ وجل، وينشأ النفور، والبغضاء، والعداوة، والشحناء، والخصومات بقدر تفلُّتهما من منهج الله عزَّ وجل، فإن أردت زواجاً سعيداً فاتقِ الله، اتقِ الله أن تعصيه فيما أمرك، ليس الولي الذي يمشي فوق الماء ولا الذي يطير في الهواء ؛ ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام، أن يجدك حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزّن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا، وسيتخطَّى غيرنا إلينا، فلنتَّخذ حذرنا، الكيِّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأماني.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-8) التقليد الأعمى أحد أسباب الشقاق الزوجي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تذكيرٌ وربطٌ :



سيدي ، كنا قد ارتحلنا وإياكم مع السادة المشاهدين في قضية هامة ، ومسألة في منتهى الخطورة تدب في أُسَرنا ، وفي مجتمعاتنا الصغيرة ، التي تشكل المجتمع الكبير ، تنسل هذه القضايا إلى ذلك المجتمع الصغير انسلالاً دون أن نتنبه إلى مواطن الخلل ، وإلى الشكوك التي تأتي منها هذه الرياح السموم ، هذه القضايا ولفترة وجيزة تعصف بالأسرة ، وتدمر أركانها ، وهي التي أرادها الله ، وأرادتها الشرائع أن تكون أسرة متوازنة متهادية متحابة ، تتعاون على الخير ، وتتعاون على البر ، وتتعاون على البناء ، هذه القضايا تأتي لتشكل جَبلاً أمام ناظري الزوجين ، لا يستطيعان زحزحة لا يمنة ولا يسرى ، فإذا بالشقاق الزوجي يأتي على هذه الأسرة ، ويدمر هذه الأسرة ، كما تعصف رياح في خيام غير ثابتة ، والنتيجة أن الأولاد هم الذين يتحملون كل هذا الضنك ، وكل هذا العناء .

سيدي وصلت إلى مجموعة الأسباب التي تؤدي إلى الشقاق الزوجي ، عند مسألة هامة ، قبل كل شيء نلخص بعض الأشياء التي مرت معنا ، ثم نأتي إلى التقليد الأعمى .

ضعفُ الدين أهم أسباب الشقاق الزوجي :



أستاذ علاء جزاك الله خيراً ، بادئ ذي بدء قلنا : في الأخبار موجز وفيها تفاصيل ، أنا أرى أن موجز الأسباب المتعلقة بالشقاق الزوجي ضعف الدين ، ضعف الالتزام ، ضعف معرفة مهمة الإنسان في الحياة ، ضعف معرفة المهمة التي كلف بها ، ضعف الإيمان باليوم الآخر .

حينما يؤمن الإنسان باليوم الآخر أُقسم لك بالله ولا أبالغ تنعكس كل مقاييسه مئة وثمانين درجة ، إن آمن باليوم الآخر يسره العطاء ، يسره أن يبث الأمن فيمن حوله ، يسره أن يعطي لا أن يأخذ ، يسره أن يؤلِّف لا أن يفرّق ، يسره أن يقدّم خدماته لكل من حوله ، لا أن يعيش على أنقاضهم ، هذه القضية في الأساس تصور صحيح أو خاطئ .

التصور الصحيح قاعدة مهمة للنجاح :

إن تصور الإنسان أنه في دار تكليف سوف يدفع فيها ثمن جنة عرضها السماوات والأرض يبني حياته على العطاء ، يبني حياته على الصبر ، يبني حياته على الإحسان ، يبني حياته على الرحمة ، وفي الأساس الإنسان حينما يجهل سر وجوده ، وغاية وجوده يصبح شرساً ، أحياناً يعبد لذَّته ، ويعبد هواه ، فإن لم تأتِ الأمور كما يتمنى ضاق بها ذرعاً ، فلذلك حينما يصح الإيمان ، ويستقيم السلوك تحل كل فصول الإنسان ، وزواجه أحد فصوله ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾

(سورة النساء الآية : 174)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

(سورة فصلت)

الله بيْن الزوجين المسلمَيْن ، وبين غيرهما المصالح الدنيوية :



فأنا أقول : في أصل الزواج الإسلامي اللهُ بيْن الزوجين ، في أيّ زواج آخر ليس بينهما الله ، بل بينهما مصالح متبادلة ، فإن ضعفت هذه المصالح كان الشقاق ، في الزواج الإسلامي الله بين الزوجين ، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، لذلك من أروع ما قرأت حول قوله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (19)﴾

(سورة النساء)

قال علماء التفسير : ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها ، بل أن تحتمل الأذى منها ، وأنت تعيش معها لرسالة .

1 – ضعفُ الإيمان والاستقامة ينعكس سلبًا على بيت الزوجية :

هذه أم أولادك ، هذه شريكة حياتك ، هذه قبِلَت وضعك المادي الضعيف ، فلما اغتنيت أصبحتَ لا ترضاها ، القضية قضيةُ وفاء ، قضية أخلاق ، قضية محبة ، قضية إيمان ، لذلك الحقيقة الدقيقة أن الإنسان إذا ضعف إيمانه ، وضعف التزامه ، وضعفت استقامته ينعكس هذا على بيته .

2 – خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ :



قد بينت في لقاء سابق بمعيتكم مقياسَ الخُلق الذي أراده النبي في البيت ، الإنسان خارج البيت يتجمَّل ليكون أنيقاً ، يبتسم ، يعتذر ، لأن مصلحته تقتضي ذلك ، أما في البيت فلا رقيب عليه ، فقد يكون شرساً ، وقد يكون قاسياً ، وقد يكون عنيفاً ، وقد لا يهتم بمشاعر الآخرين ، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[الترمذي]

عدم الكفاءة بين الزوجين من أسباب الشقاق :



لو طلبت مني بعض التفاصيل في الحلقات السابقة ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، ثم ضعف الإيمان ، ثم التعالي ، والتعالي يتأتى أحياناً من عدم الكفاءة بين الزوجين ، وتحدثت عن الكفاءة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فهذه بعض أسباب الشقاق الزوجي ، وهي كثيرة جداً ، وأنا أرى أن هذا الموضوع يمس معظم الأسر التي شردت عن الله عز وجل ، وصار البيت جحيماً لا يطاق .

إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ :



سبحانك يا رب على هذه التفرقة بين الدِّين والخُلق ، هو يصلي ، ويؤدي زكاة ماله ، ويحج بيت الله الحرام، ويصوم رمضان ، لكنه قاسٍ ، لكنه يحب لنفسه كل شيء ، لكنه لا يرحم ، فلذلك كأن الدين والخلق شرطان ، كلٌّ منهما شرط لازم غير كاف ، فالخُلق من دون دِين مشكلة كبيرة جداً ، لأن الإنسان الذكي جداً يجد مصلحته في أن يكون صادقاً أميناً ، فيبتغي الدنيا فقط ، أما إذا مست مصلحته فيصبح ثوراً هائجاً ، كما نرى في العالم الغربي اليوم ، قيم وحضارة ومبادئ ، ولما مسّت مصالحهم انقلبوا إلى وحوش ، فالبطولة لا أن أكون أخلاقياً بدافع الذكاء أو بدافع المصلحة ، بل أكون أخلاقيًّا بدافع العبادة لله عز وجل ، أخلاقيا تعبداً للدنيا والآخرة معاً ، أما الذكي فينال الدنيا وحدها فقط ، لكن ما له :

﴿ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

(سورة البقرة الآية : 200)

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

لكن الملمح في الحديث خطير جداً ، الملمح في تتمته :

((إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

يا تُرى إذا وضعنا عراقيل أمام الزواج فهل تنعدم العلاقة بين الذكر والأنثى ؟ لا تنعدم ، بل تنتقل من القناة النظيفة المشروعة الرائعة التي جاء بها هذا الدين القويم إلى قناة نجسة سيئة هي السفاح ، لأن المرأة إما زوجة , إمّا عشيقة ، وفي الإسلام الزواج هو القناة النظيفة .



كنت أقول دائماً : ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفة تسري خلالها ، فيجب أن يعتقد الإخوة الكرام أنْ ليس في الإسلام حرمان ، لأن هذا الدين دين الفطرة :

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

لذلك هناك قصص لبعض العلماء أنه : صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاما ، أنا لا أصدقها ، وفيها مبالغة غير واقعية ، الجسم له قوانين ، هل تستطيع ألاّ تنام ؟

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الإسلام دين الفطرة ، دين الواقع ، دين الحياة .

كنت أقول دائماً : الحق دائرة يتقاطع فيها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، والعقل الصريح ، والفطرة السليمة، والواقع الموضوعي ، أي أن الحق ما جاء به النقل الصحيح ، وقبِله العقل الصريح ، وارتاحت له الفطرة السليمة ، وأيّده الواقع الموضوعي .

الأستاذ علاء :

سيدي الكريم ، كما تفضلت ، أن الشهوة ، وخاصة رغبة الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل ، إن لم تنفذ بالطرق النظيفة والشرعية اتجهت نحو طرق غير شرعية ، كالماء عندما لا تصرف هذه الكمية من الماء في قنوات ، ومن خلال سدود تنقلب دماراً وتجريفاً للتربة والبيوت والإنسان والحجر والبشر .

الدكتور راتب :

لابد للشهوة أن تنفجر ، لكن في أيّ مكان ؟



لوحات التحذير ضمان للسلامة كذلك تعليمات الإله

وكنت أقول دائماً كلاما قريبًا من هذا الكلام : الوقود السائل في المركبة إن وضع في المستودعات المحكَمة ، وسال في الأنابيب المحكَمة ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ولَّدَ حركة نافعة ، أقلَّتك أنت وأهلك إلى مكان جميل ، السائل نفسه إذا صُب على المركبة أعطى شرارة فأحرقت المركبة ومَن فيها ، هذه الشهوة إما أنها قوة نافعة رائعة ، أو قوة مدمرة ، والمحرَّمات كلوحة كتب عليها: " حقل ألغام ، ممنوع التجاوز " ، هل يشعر المواطن إن قرأ هذه اللوحة أن هذه اللوحة قيَّدت حريته ، أم ضمنت سلامته ؟

وإن فهِمها ضمان لسلامته يكون عالما .

مثل آخر : هذه السيارة لماذا صنعت ؟ من أجل أن تسير ، ولماذا المكبح ؟ المكبح نظرياً أو إيديولوجياً يتناقض مع علَّة صنع السيارة ، المكبح من أجل سلامتها ، يوقفها ضمانًا لسلامتها ، وكنت أقول ردًّا على من يزعم أن الحجاب رمز إسلامي : الحجاب كالمكبح في السيارة ، وهو جزء أساسي في السيارة ، وليس رمزاً .

كيف يكون التقليد الأعمى سببًا للشقاق الزوجي ؟


السعي لتقليد الآخرين في حياتهم سبب للشقاق الزوجي

أحياناً تكون الزوجة مع زوجها أسعد الناس به ، يحبها وتحبه ، يقدرها وتقدره ، ولهما بيت يؤويهما ، ولهما مركبة صغيرها يستعملانها ، ولهما دخل معقول يغطي نفقاتهما ، لكن لها جارة ، أو أخت ، أو قريبة ، أو بنت خالة ، أو بنت عمة ، زوجها تاجر كبير ، بيتها مساحته أربعمئة متر ، الأثاث ، التزيينات ، الحفلات ، الولائم ، هي تضغط على زوجها بشكل أو بآخر كي تقلِّد هذه الجارة ، أو تلك الأخت ، أو تلك بنت الخالة ، هو سعيد بها ، وهي سعيدة به ، ولكن هذا الضغط المستمر من أجل أن تتباهى ، وأن تتظاهر بالرخاء والغنى تحطم سعادتها الزوجية ، هذه أخطر مشكلة ، لذلك المؤمن لا يقارن نفسَه مع آخر .

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ (32)﴾

(سورة النساء)

لابد للأزواج من الرضى بما قسم الله لهم :


الموت ينهي كل شيء

لا تتمنوا ، لأن الحياة مؤقتة ، وأيّ مستوًى مادي في الدنيا ينتهي عند الموت ، فالموت ينهي كل شيء ، ينهي قوة القوي ، وضعف الضعيف ، وغنى الغني ، وفقر الفقير ، ووسامة الوسيم ، ودمامة الدميم ، وذكاء الذكي ، ومحدودية المحدود ، ينهي كل شيء ، فنحن خلقنا للآخرة ، فلذلك قد تجد بيتا متواضعا جداً أثاثه متواضع جداً ، فيه سعادة زوجية لو وُزِّعت هذه السعادة على أهل مدينة لكفتهم ،

وبيت آخر يضجّ بالتحف ، بقيمة الملايين في الصالونات والشرفات والحدائق والأبهاء ، وفيه مركبتان أو ثلاث فارهة ، لكن هذا البيت قطعة من الجحيم ، لأن النقطة الدقيقة جداً أن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خَلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين ، فالرضا أحد أسباب السعادة ؛ أن تكون راضيًا عن الله فيما أقامك ، أقامك بشكل معين ، أقامك بقدرات معينة ، أعطاك هذه الزوجة هي هدية من الله ، أعطاكِ هذا الزوج هو هدية من الله عز وجل .



حينما أرضى عن الله أكون قد حققت أحد أسباب السعادة ، والرضا مقام ، والرضا أحد مدارج السالكين ؛ أن ترضى عن الله عز وجل ، والزوجة حينما ترضى بزوجها تسعد به .

المشكلة مثلاً : أن الزوجة يأتيها أخوها ، بيتها صغير ، يقول لها : كيف تعيشين في هذا البيت ؟ ينكِّد عليها حياتها ، لذلك :

((مَن فرَّق فليس منا))

الجامع الصغير عن معقل بن يسار بسند موضوع ، وله شواهد أخرى في الترمذي وأبي داود]

هذا حديث دقيق جداً .

حينما تلقي كلمة قد لا تلقي لها بالاً :

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[الترمذي]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ :



((مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا ، قَالَتْ :فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا ، كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً ، فَقَالَ : لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ))

[الترمذي ، أبو داود ، أحمد]

والله مرة زرتُ أحد إخواننا ، غرفة الضيوف عنده تتسع لشخصين أو ثلاثة فقط ، كهذه الطاولة ، هو استحيا ، قلت : لا تستح ، سيد الخلق ، وحبيب الحق غرفته التي كان ينام فيها لا تتسع لصلاته ونوم زوجته ، أنا طمأنته أن هذه القضية لا قيمة لها إطلاقاً ، العبرة أن تكون مطيعاً لله :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾

(سورة الأحزاب)

التقليد الأعمى يدمر السعادة الزوجية .

بين السعادة واللذة :

أنا مضطر الآن أن أفرق بين شيئين بين السعادة واللذة :



اللذة إحساس مادي ، تحتاج إلى أشياء خارجة عن الإنسان ؛ إلى مال ، إلى صحة ، إلى وقت ، أساسها بيت واسع جداً ، مكيف ، مدفّأ ، فيه كل الأجهزة ، له إطلالة رائعة ، أساسها مركبة فارهة جداً ، أساسها دخل كبير فلكي ، سفر ، رحلات ، فنادق، إلى آخره .

أما السعادة فتنبع من الداخل ، ولا تحتاج إلى شيء خارجي إطلاقاً ، لذلك قد تكون في أضيق بيت ، وأنت في قمة السعادة ، بعضهم قال : هذه السكينة وجدها إبراهيم وهو في النار :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾

(سورة الأنبياء)

وجدها أهل الكهف في الكهف ، ووجدها النبي ﷺ في غار حراء .

هذه السكينة أستاذ علاء تسعد بها ولو فقدتَ كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، إنها الصلة بالله عز وجل ، والزوجان حينما يؤمنان الإيمان الصحيح ويتصلان بالله يعيشان حياة والله الذي لا إله إلا هو يتمناها أغنى أغنياء العالم ، كيف نفسر أن أعلى نسب انتحار في العالم في الدول الغنية جداً ؟

في السويد والدانمارك والنرويج ، لأن الإنسان نهائي مصمم للآخرة ، فإذا اختار بحمقه هدفاً محدوداً بعد حين استوعبه وملَّ منه ، وأنا أفسر كل انحرافات الجنس في العالم الغربي لا لأن الذي انحرفوا إليه أمتع من الذي انحرفوا عنه ، إلا أن الملل والسأم أهلكهم ، والإنسان طاقاته كبيرة جداً ، اختار هدفا ماديا محدودا ، فلما استوعبه ، وختمه ، وأحاط به شعر بالملل .



أنا أقول لمن شرد عن الله : يسعد أول فترة في حياته ما دام يعيش الأحلام ، يحلم في زوجة معينة ، في بيت معين ، بدخل معين ، بمركبة معينة ، لما تتحدد زوجته ، وبيته ، ومعاشه يشعر بالفراغ ، أما المؤمن فلا يشيخ أبداً ، بل يصل إلى سن التسعين وهو شاب، لأن هدفه كبير ، وكان الشيخ بدر الدين الحسني . رحمه الله . لما يمشي أمام مقهى يقول : " سبحان الله! لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم " .



فلذلك التقليد الأعمى أساسه اللذة ، واللذة تحتاج إلى وقت ، وإلى صحة ، وإلى مال ، لحكمة بالغة هذه الأشياء الثلاثة لا يمكن أن تجتمع في وقت واحد ففي بدايات العمر لا يتوفر المال ، وتتوفر الصحة والوقت ، وفي منتصف الحياة الوقت قليل ، لكن هناك صحة ومال ، وفي النهاية لا صحة ، مع وجود المال والوقت .



حينما تتعرف إلى الله ، وتسعد به ، وتصطلح معه تنطلق بسعادة لا توصف ، لأن هدفك معك دائماً ، وهدفك واضح ، والوسائل واضحة .

إنسان في محل تجاري ، أسّسه حتى يربح ، والبيع على أشدِّه ، هو تعبان ، لكن يحقق هدفه الكبير ، لو أن البيع قليل ، وجلس ، وارتاح ، وأحضروا له القهوة والشاي والصحف والمجلات لا يرتاح .

الاقتناع بالموجود لا يعني الكسل وعدم الطموح :

أنا أشكرك على هذا السؤال ، وهذه المداخلة ، الحقيقة يجب أن ترفع مستواك ، وأنا أقول هذا الكلام : حينما تبذل كل ما تستطيع من جهد لترفع المستوى ، ولا يتاح لك شيء لحكمة إلهة أرادها الله ، عندئذ ارضَ عن الله ، لكن إذا كان الدخل قليلا ، وعندي أولاد ، حينما أسعى إلى رفع دخلي ، وحينما أعطي أولادي حاجاتهم ، وحينما أربطهم بي ، وحينما أحقق لهم طموحهم فهذا لا ينافي القناعة ، فحبذا المال أصون به عرضي ، وأتقرب به إلى ربي .



أنا أقول : حينما أبذل كل ما أستطيع ، وأصل إلى هنا لحكمة أرادها الله لم أستطع أن أتابع ، عندئذ أرضى ، أما أن أرضى بمستوى بإمكاني أن أرفعه فهذا لا ينبغي ، لذلك قالوا : أصلح دنياك ، واعمل لآخرتك ، فيمكن أن توسع البيت ، عندك بنات ، وعندك شباب ، يمكن أن تجعل البيت صحيا وتوسِّعه ، وأن تقتني مركبة تريح أولادك ، وتأخذهم في نزهة كل أسبوع ، هذا شيء مطلوب ، أنا لا أرضى أن

أكون بمستوى أقل من غيري إلا في الأشياء التي لا ترضي الله عز وجل ، أما أنا أسعى لرفع مستوى دخلي فهذا شيء طبيعي جداً ، لكن أنا أقول : في العالم الغربي إذا طمح الإنسان في شيء ، وما وصل إليه ينتحر ، لكن المؤمن لا ينتحر ، بل المؤمن يحمد الله على كل شيء .

النفقة بالموجود مع عدم تكلُّف المفقود :



سيدي ، هناك ملاحظة علمية : سجادة وطنية من الصوف ، ولها نقش جميل جداً ، ثمنها بالآلف ، وهناك سجادة ثمنها ثمانمئة ألف ، وهي أجمل ، الفرق في الجمال بالمئة عشرة ، أما الاستعمال فهما سواء ، والاستعمال واحد ، صوف عازل دافئ في الشتاء ، وفيها جمال ، لكن ليس كالسجادة التبريزية أو الحرير ، دائماً عندنا مستوى استعمال ومستوى جمال ، والفرق في السعر كبير جداً ، فقد يكون مئة ضعف ، أما الفرق في الاستعمال فقد يكون عشرة بالمئة ، وحينما أقنع مَن حولي أن هذه الأشياء بأسعار معقولة نعيش حياة سعيدة كلنا .

عندنا نفقات معالجة طبية ، ونفقات نزهات ، ونفقات ألبسة ، وحين أضع كل دخلي للمظاهر يكون عندي حمق، وهذه كلمة قاسية ، لكنها كلمة حق ، فلابد من الإنفاق بمستوى دخلي :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29)﴾

(سورة الإسراء)

هذه تحتاج إلى إقناع من قِبل الأب والأم ، ونحن لا نوازن نفسنا مع الآخرين .

على الأغنياء مراعاة مشاعر الفقراء و ظروفهم :


لابد من الاعتدال في إعطاء الأطفال مصروفهم اليومي

أنا أتمنى لأصحاب الدخل المفتوح غير المحدود ألاّ يفسدوا أبناء أصحاب الدخل المحدود في المدارس ، فإذا اشتريت فاكهة فأهدِ منها لجارك ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده ، ولا تؤذه بقتار قِدرك إلا أن تغرف له منها .

أنا أعطي ابني خمسمئة ليرة في الروضة ، والفقير أخذ من أبيه خمسين ليرة ، هذا عمل أنا لا أراه منطقياً إطلاقاً ، أو أعطي ابني أكلات مستوردة القطعة ثمنها مئة ليرة ، بل أعطي ابني عشرين ليرة ليشتري قطعتي حلوى ، فالذي أسرف بإعطاء ابنه المدلل الذي لا يحتمل أعطاه هذا المبلغ الكبير قد أفسد به عشرات الطلاب الذين حوله .

عندنا موقف كامل من أصحاب الدخل غير المحدود، أطعم ابنك ما تشاء في البيت ، اشتر له أي لعبة تشاء في البيت ، أما أن تجعله هو طفل صغير يغيظ أصدقاءه .


الفقير يعتدل بإنفاقه والغني يراعي مشاعر الفقير

أن تجعله يملأ قلب أصدقائه حقداً وحسداً ، فهذا شيء غير معقول ، وبصراحة يجب أن تعطيه فاكهة مما يأكل منها كل الناس ، تفاحة ، أما فاكهة غالية جداً ، أو قطع حلويات غالية جداً ، ومعه خمسمئة ليرة فهذا طفل جاهل يريد أن يفتخر ، ويقول : معي خمسمئة ليرة ، يشتري أشياء غير معقولة . كما أن الفقير عليه أن يعتدل بإنفاقه عليه أن يشتري الشيء المناسب بالوقت المناسب ، وعلى أصحاب

الدخل غير المحدود أن ينتبهوا لهذه الناحية ، ولا تؤذه بقتار قدرك ، إلا أن تغرف له منها ، وإذا اشتريت فاكهة فأدخلها سراً ، هكذا كان السلف الصالح ، يضع بعضهم غطاء من قماشٍ فوق السلة ، والمفروض من المؤمن أن يكون عنده إحساس عالٍ جداً ولو كان غنيًّا .

المؤمن الغني تشتهي الغنى منه ، وقد قيل : " العدل حسن ، لكن في الأمراء أحسن، والسخاء حسن ، لكن في الأغنياء أحسن ، والورع حسن ، لكن في العلماء أحسن ، والتوبة حسن ، لكن في الشباب أحسن ، والصبر حسن، لكن في الفقراء أحسن ، والحياء حسن ، لكن في النساء أحسن " .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-8) ميل أحد الأبوين إلى أحد الأولاد أحد أسباب الشقاق الزوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

تحدثنا عن الأسرة وعن أهمية الأسرة وعن الرباط الأسري ، وتحدثنا في حلقات أخرى عن المودة والرحمة وجعل بينكم مودة ورحمة ، ثم تحدثنا عن المظاهر التي نراها في المحاكم الشرعية نتيجة الشقاق الزوجي ، وتحدثنا عن أسباب الشقاق الزوجي بدأنا بضعف الإيمان بالله ، ضعف القناعة ، ضعف الإيمان باليوم الآخر ، التعالي ، الجهل ، سوء التصرف ، وتحدثنا عن التقليد الأعمى وهذا ما يورث الشقاق الزوجي ، ماذا عن إجمال هذه الموضوعات لنبتدئ بموضوع هام هو ميل أحد الأبوين إلى أحد الأولاد .

بطولة كل إنسان لا أن يعالج أعراض الداء بل أصل هذا الداء :

أحياناً يكون عندنا التهاب عميق بالجهاز الهضمي لهذا الالتهاب العميق أعراض ، ارتفاع حرارة ، أحياناً صداع ، أحياناً ارتفاع حرارة مع برودة (بردية)، فالبطولة لا أن تعالج هذه الأعراض أن تعالج أصل الداء ، فنحن قلت في حلقة سابقة الأصل أن هذا الإنسان غفل عن الله ، غفل عن سرّ وجوده ، غفل عن غاية وجوده ، غفل عن حقيقة الزواج قال سيدنا عمر : أقوم إلى زوجتي ، وما بي من شهوة إلا ابتغاء ولد صالح ينفع الناس من بعدي .



هناك أهداف نبيلة جداً ، أنا سبحان الله في عقود القران أحياناً أذكر آية ما لها علاقة بالزواج إطلاقاً متعلقة بالجهاد لماذا أذكرها في موضوع الزواج ، ما الآية ؟

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ (104)﴾

(سورة النساء)

يعني أي شاب أقدم على الزواج أمامه متاعب كبيرةٍ جداً ، تأمين البيت ، تأسيس البيت ، تأمين الحلي للمخطوبة، الحفلات ، تكاليف فوق طاقته ، أي إنسان أقدم على الزواج أمامه متاعب لا تعد ولا تحصى ، لكن المؤمن يرجو من الزواج ما لا يرجوه غير المؤمن :

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ (104)﴾

(سورة النساء)

أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها وأشقاهم فيها أرغبهم فيها :

لذلك موضوع أسباب الشقاق الزوجي أصلها جهل الإنسان بسر وجوده ، وغاية وجوده ، جهل الإنسان برسالته في الحياة لماذا الزواج ؟ ليس للمتعة ، المتعة موجودة ، لكن ليس للمتعة وحدها والفلاسفة ذكروا حقيقة خطيرة جداً ، الإنسان حينما يتوهم أن اللذة تسعده سوف تشقيه ، إن أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها وأشقاهم فيها أرغبهم فيها ، أنت حينما تعتقد أن اللذة تسعدك هذا أكبر خطأ ، لذلك قالوا : مبدأ اللذة إذا أصبح هدفاً انقلب إلى مبدأ ألم.



فلذلك الزواج برسالته راقٍ جداً ، برسالته سامٍ جداً ، برسالته مسعد جداً لكن من دون رسالة متعة ، الزوجة تمل ، والزوج يمل ، وكل شيء يمل في الحياة ، مادام لا يوجد رسالة ، لا يوجد هدف كبير كل شيء ممتع بدون رسالة يمل ، لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ))

[مسند الإمام أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

ليس القصد ألا تتنعم ، لا ، ألا تجعله هدفاً وغاية ، ألا يكون التنعم محط رحالكم ومنتهى آمالكم ، أنا معي رسالة ، هذه الأمة تصنع تاريخها بأبطالها وأبطال المسلمين صنعوا تاريخاً متألقاً جداً ببطولاتهم ، هم تزوجوا وأنا يغلب على ظني أنهم سعدوا بزوجاتهم لكن معهم رسالة ، إذاً الإنسان يحقق نجاحاً كبيراً بعمله ، في بيته مرتاح ، في أكل ، في شرب ، في زوجة ، لكن هذه الأشياء تعينه على رسالته ، ليس الهدف أن يكون له مقعد مريح في البيت ، ليس له عمل خارج البيت من أين يأتي بالمال ؟ هو له أعمال مهمة وناجح نجاحاً كبيراً لكن في بيته مرتاحاً .

المبادئ والقيم والرسالة والإيمان أساس كل علاقة زوجية :


الزواج عقد مقدس

لذلك حينما ننحي المبادئ والقيم والرسالة والإيمان جانباً نقع في إشكال كبير يغدو الزواج مملاً ، أنا مرة كنت في أمريكا لي قريب هناك له صديق أميركي ، على شرفته ألبسة ولادية منشورة ، زاره مرة فسأله كم ولد عندك ؟ قال أنا عندي كلاب ما عندي أولاد ، هذه ثياب الكلاب ، الولد ممل متعب ، المشكلة الكبيرة المجتمع الغربي يتناقص ، سكان أوربا نسبتهم إلى سكان العالم كان خمسة و عشرون بالمئة الآن خمسة عشر بالمئة وسنة 2020م سيكونون خمسة بالمئة في تناقص ، لا داعي للأولاد ، لا داعي أن يكون هناك زواج أصلاً هناك مساكنة فقط ، شاب اختار شابة في الجامعة سكن معها ، عاشرها كزوجة إلى أن يمل منها يركلها بقدمه ، هذه حياة ؟ نحن عندنا زواج ، عندنا مقدسات ، عندنا عقد :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21)﴾

(سورة النساء)

نحن الزواج مقدس ، الأولاد مقدسة ، مرة كنت في أستراليا فقال لي رئيس الجالية هناك بلغ أخواننا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا ، يعيشون في جنة هناك المادية طبعاً ، لما سألته لماذا ؟ قال لأن ابنك ليس ملكك هناك ، ابنك في بلاد الشرق أنت مطمئن أنه ابنك سيكون على شاكلتك ، هناك ملحد أو في حلقة في أذنه لها معنى سيئ جداً ، مشكلة كبيرة جداً ، نحن الزواج شيء مقدس .

أكبر سبب في الشقاق الزوجي أن نجهل حقيقة وجودنا :



كما تفضلت في بداية الحلقة السابقة قلت نقطة دقيقة جداً أن من دون أن يشعر الإنسان يحقق هدفاً كبيراً في الزواج ، فلذلك أنا أقول إما أن نعالج أصل المرض أو أن نعالج أعراضه ، أعراضه في مئة عرض الحل لا يكون إلا بمعالجة أصل المرض . لذلك : أن نجهل حقيقة وجودنا ، أن نجهل ما ينتظرنا بعد الموت ، يعدّ أكبر سبب في الشقاق الزوجي ، أما حينما أؤمن أن هذا الزواج مرحلي وله رسالة كبيرة إنجاب أولاد صالحين يعطون المجتمع بناء صحيحاً ، قيماً صحيحة ، أقول قد حققت الهدف من الزواج .

من بالغ بالعدل بين أولاده ألغى الفروق الفردية بينهم :

أستاذ علاء لا شك أن هناك فروقاً فردية ، الآن أنطلق من حقيقة علمية ، هناك ولد وسيم وسامته عالية جداً ، وهناك ولد غير وسيم ، هناك ولد ذكي ، وهناك ولد غير ذكي ، فأنت أحد شخصين إما أن أنساق مع رغباتي الفطرية الغرائزية فأهتم بهذا الوسيم وهذا الذكي وأهمل غير الوسيم وغير الذكي أنا أكون بحق الثاني مجرماً وإما أن أكون صاحياً مؤمناً وأعامل الاثنين بأعلى درجة فأخفف الفروق بينهما.



أنا حينما أعامل جميع الأولاد باهتمام واحد ، بعدل تام ، بعطاء واحد ، بمودة واحدة ، اعدلوا بين أولادكم في القبل ، أعطِ قطعة حلوى للأول وللثاني مثلها ، أنا حينما أبالغ في العدل بين الأولاد ألغي الفروق الفردية بينهم ، وألغي الأمراض النفسية التي تنشأ عندهم .

والله هناك أطفال يعانون من آلام اتجاه والديهم حتى الموت ، والله أنا أتلقى اتصالات من بعض أخواني تجد البنت متألمة من أبيها ألماً لا يحتمل لأنه فضل أخاها عليها ، لذلك في الآثار ورد : البنت يوم القيامة تقف أمام رب العزة ، تقول : يا رب ، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ، لأنه سبب شقائي في الدنيا ، والله أنا أهيب بالأخوة المشاهدين أن يبالغوا في العدل بين الأولاد ، لذلك النبي ﷺ :

((إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي النُّعْمَانَ نُحْلًا ، وَإِنَّ عَمْرَةَ سَأَلَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : فَقَالَ : أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَ النُّعْمَانَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي))

[أبو داود ، والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

((قَالَ : لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

[أبو داود ، والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

من حرم ولده زاده عقوقاً :

والله تكاد تكون المشكلة الأولى الآن ولا أبالغ عدم العدل بين الأولاد ، أو تحرم البنات ويأخذ الذكور كل شيء . الوهم الشيطاني أن هذا المال سيذهب إلى الصهر ، الصهر زوج ابنتك أقرب إنسان لها ، بالمناسبة النبي صلى الله عليه وسلم سئل :



((مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها، فلما سئل : مَن أعظم النساء حقاً على الرجل ؟ قال : أمه))

[الجامع الصغير عن عائشة بسند فيه ضعف]

إنّ أعظم رجل في حياة المرأة زوجها ، وأعظم امرأة في حياة الرجل أمه ، هذا زوجها إذا ورثت من أبيها مبلغاً واشترت سيارة تدعو له طول حياتها ، أنا أقول دائماً قضية العدل بين الأولاد فيها وعيد من الله خطير .

فإنّ الرجل وإن المرأة ليعبدان الله ستين عاماً ، ثم يضران في الوصية فتجب لهما النار ، في رواية إن الزوجين يعبدان الله ستين عاماً ، ثم يضران في الوصية فتجب لهما النار ، ليس شيئاً سهلاً حرمت ولداً و أعطيت ولداً ، يقول لك هذا عاق أنت حينما حرمته زدته عقوقاً ، صار مجرماً بحق أولاده ، منذ مدة انتحر إنسان لأن والده أعطاه كل شيء ، واغتصب أموال والده كلها فأخوته كادوا له بالمحاكم وبالقضاء وبالمالية إلى أن حملوه على أن ينتحر ، خطأ الأب ، فلذلك أنا أهيب بالآباء العدل التام بين الأولاد بكل شيء ، إن كانوا صغاراً حتى بالمودة حتى بالقبل .

المودة أساس العدل :



أنا أقول كلاماً آخر للمعلم ، تجد معلم صف ، عنده خمسة وعشرون طالباً ، خمسون طالباً كم طالب أذكياء جداً عينه عليهم فقط ، السؤال لهم وظيفتك يا بني ، والآخر يهمله ، وجد نفسه مهملاً هل تصدق أن من صفات المعلم الناجح أن يمر بعينيه على كل الطلاب بالتسلسل ، حتى الداعية يقف ليلقي كلمة في قسم يحبهم ثلاث أرباع الساعة هكذا والآخرون أهملهم ، تنقل عينك من واحد لواحد حتى يشعر أن له قيمة عندك .



الأب والأم حينما يعدلان بين أولادهما ينشأ مودة ، أما حينما يؤثر الأب ابن أذكى من ابن أو أحياناً يكون الابن بالتعبير العامي بهلول ، يمدح والده كثيراً، يستأثر بمودته ، والثاني مستقيم لكن ما عنده هذه الإمكانية يقلد أخوه ، ينحرف ، هذا خطأ كبير والله أنا لا أنطلق من فراغ ، والله إنسان ترك ألف مليون أحد أولاده يعمل على السوزوكي ، والثاني عنده ثمانين محضراً باسمه ، يجوز ؟ قريب مليار ، والآخر يعمل على السوزوكي ، أما هذا الذي باسمه ثمانين محضراً صالح جداً بعدما مات والده وزع التركة بالتساوي كان بطلاً ، أنا لا أتكلم من فراغ ، أنا أكبر مشكلة أعاني منها عدم العدل بين الأولاد ، تجعلهم أعداء ، يصبحون وحوشاً بعد الموت .

أكثر مشاكل الأسر بعد وفاة الأم والأب هي سوء العدل بين الأولاد :

الله عز وجل ما سمح للنبي أن يوزع تولاها بذاته ، الميراث وزعه القرآن الكريم ، كل إنسان يشتغل يحرم أخواته البنات .

أستاذ علاء خلاف الشرع ، المشكلة نحن توهمنا أن الدين صلاة وصوم وحج وزكاة ، الدين والله لا أبالغ خمسمئة ألف بند ، الدين منهج كامل الدين يدخل بأدق العلاقة خصوصية ، بالعلاقات الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية ، الدين متعلق بالميراث ، إذا أنت عادل مع الأولاد كلهم ، الكل مرتاحون ، الكل يتمنون بقاءك، أما إذا في ظلم أنا أقول لك إن شاء الله لا أبالغ قريب من تسعين بالمئة من الناس لا يعدلون ، وأكثر مشاكل الأسر بعد وفاة الأم والأب هي سوء العدل بين الأولاد .

على كل إنسان أن يهيئ لله جواباً عن كل شيء قبل أن يلقاه :

لابد أن تملك جواباً مقنعا لله في كل ما تفعل

مثلاً إنسان عنده أربع بنات ، ثلاث متزوجات من تجار أغنياء ، و الرابعة ما أصابها الزواج بقيت عانساً ليس لها أحد ، فكتب لها بيتاً في حياته غير الإرث ، له عند الله جواب مقنع ، لك أن تهاب ما تشاء لكن معك جواب لله ، أحياناً يكون عند الإنسان زوجتان تصر عليه الثانية التي يحبها وهي صغيرة في السن أن يكتب بيتاً لأحد أولادها من زوج آخر فيستجيب لها ، والأولى أم أولادك الوفية يحرم أولادها من كتابة بيت آخر لهؤلاء ، هذا اسمه هبة كيدية يحاسب عليها الإنسان أشد الحساب ، إذا شخص عنده ولد معاق فكتب له بيتاً ودكان في حياته يسكن في بيت ويؤجر الدكان يعيش منها وخلاف أخوته معه لله جواب .

العدل أساس الملك :

لذلك نحن نقول عندنا فرق بين العدل والمساواة ، أنت عندك ابن جامعي وابن في الحضانة ، تعطي ابنك في الحضانة خمسين ليرة ، تعطي الجامعي مئتي ليرة ، عنده مواصلات ، وسندويش ، وعنده كتب ، يا ترى أنت لست عادلاً ؟ لا أنت عادل ، إن أعطيت الصغير خمسين ليرة والكبير ثلاثمئة أنت في منتهى العدل تعطيه حاجته .



هناك نقطة ثانية أكبر ولد يشتري له بيت يزوجه ، يسلمه عملاً ، عنده ولد صغير يجب أن تهيئ للصغير ما أعطيت الكبير هذا خطأ كبير ، يقول لك الإرث بالتساوي لكن أنت آخذ البيضة والتقشيرة ، لذلك هو يفضل أن يكون ما يعطى للكبير ديناً عليه يحسم من نصيبه من الإرث ، هذا عدل ، أنا أمنت لابن كبير بيت وسيارة فرضاً وعمل ، دين عليه لما يموت الأب يوزع الإرث .

أنا مرة أحد الأخوة الكرام توفي والده آخذ بيوتاً لثمانية أولاد ، بيت باثني عشر مليوناً وبيت بخمسة ألف قديماً ، واختلفوا وترك مبلغاً ضخماً ، كان اقتراحي أن يأتوا بخبراء يُقيموا البيوت كلها بالسعر الحالي وكتبوا بيتك الآن ثمنه عشرون مليوناً ، والثاني ثمانية ملايين ، واعتبروا البيوت كلها من الإرث وتوزع المبلغ كله ، كان نصيب الواحد عشرين مليوناً فالذي بيته اثني عشر أخذ ثمانية ، والذي بيته ثمانية أخذ اثني عشر مليوناً . لا يصلح للناس إلا العدل أبداً ، بالعدل أنت ملك تكون والعدل أساس الملك .

المساواة بين الأبناء مستحيلة في ظروف متفاوتة :

معه جواب إلى الله ، الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يشفى ، والغائب حتى يعود . سبحان الله الآخرون يرضون عن هذا ، أحياناً يقول لك أنا أخذت لابنتي العانس بيتاً لكن أخوتها موافقون ، نقطة مهمة ، الأب إذا كان تصرفه حكيم وإنساني ومعه جواب لله مقبول عند أولاده أيضاً ، أربع بنات ثلاث متزوجات من تجار أغنياء والرابعة ما أصابها الزواج أخذ لها بيتاً أخوتها يرضون عن هذا .


قد يهتم الأب بابنه المريض أكثر من إخوته فجوابه مقنع لله

العدل شيء والمساواة شيء ، المساواة مستحيلة في ظروف متفاوتة ، شخص مثلاً أرسلته إلى حلب يدرس يحتاج إلى بيت يسكن ويأكل ، أما في الشام نائم في البيت نفسه ويأكل في البيت نفسه فتعطيه مصروف بيته فقط ، أما في حلب يحتاج إلى بيت وقسط جامعة ، أنت ما ظلمت الذي صحّ له في جامعة دمشق ، في كلية حلب يأخذ أكثر منه بكثير.

الإنسان بغرائزه يميل إلى الذكي والوسيم لكن بإيمانه يعدل بينهما :

أنا سوف أقول لك كلمة دقيقة : الإنسان بغرائزه يميل إلى الذكي ، إلى الوسيم دون أن يشعر بغرائزه ، لكن بإيمانه يعدل بينهما حتى في القبل ، حتى في الابتسامة ، عندما يكون أب حكيم جداً أولاده بالتساوي تماماً ، والله مرة جاءني اتصال هاتفي أن بنتاً زارت أباها في المصيف في العيد أعطاها خمسمئة ليرة ، وقال لها لا تطيلي المكوث لأن عنده زوجة ثانية ، الزوجة الثانية سيأتي بناتها يهتم بالزوجة الثانية قال لها لا تطيلي المكوث هذه خمسمئة واذهبي ، أما الثانية أعطى كل بنت خمسة آلاف وتغدوا عنده ، تقول أكثر من ستة أشهر كلما أتذكر تبكي ألم من أبيها ، أنا ابنتك أعطاها خمسمئة ولا تطيلي المكوث ، وبناته من زوجته الجديدة يأكلون عنده في بلودان ويأكلون لحم مشوي وكل واحدة عيدية خمسة آلاف ، لماذا هذه التفرقة ؟ لذلك البنت كأنك ذبحتها ، كأنك حطمتها ، والله يا أستاذ علاء إذا إنسان كان عادلاً يشعر بسعادة لا توصف .

أنا أؤكد مرة ثانية قضية الوسامة والذكاء متفاوتة ، بطولتك أن تكون عادلاً مع الكل حتى في القبل ، حتى في الابتسامة ، حتى في المودة ، حتى في الهدايا ، حتى مع أزواجهن ، أحياناً ترى هناك زوج لا يهتمون به كثيراً ، و هناك زوج غني محترم جداً ، ليس معقول الزوج الثاني آدمي وصاحب دين وورع وابنتكم مرتاحة عنده ، لكن دخله محدود ، الاهتمام بهذا .



هذه أمراض تنخر في مجتمعنا يا أستاذ ، ليس منا من فرق ، صار في تفرقة ، صار في حزازات ، صار في آلام ، صار في أحقاد .

من التزم جانب العدل أصبح بيته متماسكاً :

لا يوجد أب إلا سوف يموت ، ولا يوجد أب إلا عنده شيء يورثه لأولاده ولو بيته الوحيد ، عندما لا يكون عادلاً يجعلهم أعداء بعد وفاته ، أنا أعلم علم اليقين والله في مشاكل يأتيني اتصالات يومية أستاذ علاء من سوء العدل بين الأولاد ، فأنا أعاني مشكلة أنا أضع يدي على جرح كبير في المجتمع ، التفرقة بين الأولاد ، إن شاء الله ، الله عز وجل يلهم الأخوة المشاهدين أن يلتزموا جانب العدل مع أولادهم يصبح البيت متماسكاً ، أنا أستاذ علاء أحترم الأسرة المتماسكة احترام ما له حدود متماسة ، في مودة بالغة بين الأولاد بعد موت أبيهم ، الأب كان عادلاً ، لما كان عادلاَ ترك سمعة طيبة ، في زيارات، في لقاءات ، في محبة ، أنس ، في تبادل هدايا .

لذلك الآن في أسر بعد موت الأب لا يتكلمون ، لثلاثين سنة ما دخلت بيته ولا أسلم عليه ، من المرض النفسي الذي أورثه الأب ، العدل قيمة عليا ، الله هو العدل .



ما وجدت موضوعاً ألصق بهذا العنوان الإيمان هو الخلق ، من هذه الموضوعات.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : حرمان المرأة من الميراث والغياب الطويل عن البيت أحد أسباب الشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

لابد من النجاح الشامل لجميع نواحي الحياة :



أستاذ علاء ، جزاك الله خيراً ، لا بد من تاج تنضوي فقرات هذا اللقاء الطيب تحته ، وهو أنه ليس في العلم الاجتماعي ولا علم النفس ما يسمى بالنجاح الجزئي ، هو ليس نجاحاً ، فما لم تنجح في علاقتك بالله أولاً ، وفي علاقتك بزوجتك وأولادك ثانياً ، وفي علاقتك بعملك ثالثاً ، وفي علاقتك بصحتك رابعاً فإن أي خلل في هذه البنود الأربعة ينسحب على البنود الثلاثة ، فلا يمكن أن يكون هناك خلل في أحد هذه البنود إلا وينسحب على بقية البنود ، فذلك أنا أريد أن أؤكد للإخوة المشاهدين أنه لا يمكن أن تكون ناجحاً إذا كنت متألقا في عملك ، ولست ناجحاً في بيتك ، أو أنك ناجح في البيت وفي عملك ضعيف ، أو ناجح في البيت والعمل ، وعلاقتك مع الله ليست كما ينبغي ، أو ناجح في الثلاثة وتهمل صحتك .

لا بد من نجاح شمولي ، بل إن النجاح الجزئي لا يسمى نجاحاً ، فقد يذهب إنسان إلى بلد بعيد ليجمع أموال طائلة ، ويهمل زوجته وأولاده ، فالابن يربى في الطريق ، والزوجة من بيت إلى بيت ، يعود وقد رأى أسرة مهدمة، إذاً : لم ينجح ، ولو جاء معه بالأموال الطائلة .

أريد أن أبين أن النجاح لا يتجزأ ، النجاح شمولي ، لذلك قضية الأسرة أحد أركان النجاح العام ولأن البيت مكان فيه سكينة ، فيه راحة ، كل ضغوط الحياة ، كل متاعب الحياة ، كل إشكالات الحياة ، كل المشكلات التي يئنّ منها الإنسان خارج البيت إذا دخل إلي بيته ، وكان مرتاحاً مع زوجته فهذه الراحة تمتص كل هذه الهموم ، أما إذا جاء إلى البيت ، وبدأت المشكلات ، وخرج من البيت ، وبدأ المشكلات فهذه الحياة لا تطاق ، هي جحيم لا يطاق ، لذلك سمى الله عز وجل الزوجة سكناً ، قال تعالى :



﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

(سورة الروم)

الحقيقة الأولى : ليس هناك نجاح جزئي ، الإنسان لا يتبجح بنجاحه في عمله ، وبينه وبين زوجته ما صنع الحداد ، لا يتبجح أنه نجح في عمله ، وأولاده ليسوا كما ينبغي ، لا يتبجح بنجاحه في عمله ، وعلاقته مع الله ليست كما ينبغي ، لا يتبجح بنجاحه في عمله ، وصحته تعاني ما تعاني .

أنا أتمنى أن نقتنع أنه لا بد من نجاح شمولي ، والأسرة أحد أركان هذا النجاح ، هذا تاج تحته بنود .

لابد من مقدمة ، الإله العظيم خالق السماوات والأرض والخبير ، العليم ، الرحيم ، الحكيم :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)

الحرمان من الميراث سبب من أسباب الشقاق الزوجي :


حرمان البنات من الإرث تصرف جاهلي ويدل على أفق ضيق

والإنسان أعقد آلة في الكون ، ولهذه الآلة المعقدة تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز صانع حكيم ، له تعليمات التشغيل والصيانة ، فالجهة الوحيدة التي ينبغي أو يجب أن نأخذ بتعليماتها هي الجهة الصانعة ، لأنها الخبيرة ، فالخبير تولى بذاته العلية توزيع الميراث ، ولم يسمح لنبيه المعصوم المخلوق المكرَّم أن يوزع الميراث ، فهناك أسر لا تعد ولا تحصى تريد أن تحرم البنات ، بسلوك جاهلي ، بسلوك ينمّ عن أفق ضيق ، أن الثروة تذهب إلى الأصهار ، هذا الصهر زوج ابنتك ، هو أقرب الناس إليها ، بل إن النبي ﷺ حينما سئل : مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال النبي ﷺ : زوجها ، فلما سئل : من أشد النساء حقاً على الرجل قال : أمه .

إن الأسر التي تريد أن تحرم البنات الميراث بطريقة أو بأخرى ، بوكالة ، بتفويض ... والزوج الذي يرى أن امرأته التي هو وهبها كل شيء لا تهبه شيئاً ، وأهلها حرموه من كل شيء ، هنا تبدأ المشكلة ، هي تبدأ أولاً من أهل الزوجة ، وهناك أزواج آفاقهم ضيقة ، وقد يكونون في ضعف مادي شديد .

حرمان البنات من الميراث عنصرية مقيتةٌ :


كل إنسان يضع نفسه فوق الآخرين عنصري

أنا لي رأي دقيق : أن البشر جميعاً على أعلى مستوى ، على مستوى دول عظمى ، وعلى مستوى أفراد ، إما أن يكونوا إنسانيين أو عنصريين ، فالرجل الذي يرى أن أصهاره دونه ينبغي ألا يأخذوا شيئاً عنصري ، والزوج الذي يرى له ما ليس لزوجته عنصري ، وكل إنسان يضع نفسه فوق الآخرين فهو عنصري ، بل إن دولاً عظمى حينما

تخص نفسها بميزات ولا تسمح لأحد أن ينالها فهي جهة عنصرية ، بل إن كل جهة تعامل الآخر بخلاف ما تعامل الأقرب هي عنصرية ، فلذلك حينما الأب يحرم بناته من حقهن في الميراث فهو أب عنصري ، لا ينتمي إلى منهج ، ولا إلى قيمة ، ولا إلى تشريع سماوي ، ولا إلى وحي سماوي ، ينتمي إلى مزاجه الشخصي ، فلذلك القضية تبدأ من أولياء الزوجات ، وتنتهي شقاقاً ، وقد يودي إلى الطلاق ، وأنا عندي مئات القصص التي رفعت إلي لحل هذه المشكلة ، سببها أن أهل الزوجة يريدون ألا يعطوا صهرهم شيئاً ، فبأسلوب أو بآخر يحتالون ، أما الحديث الذي يقصم الظهر :

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ ، فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ ، فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ))

[الترمذي]

هذا العمل يحبط أعمال الإنسان كلها .

هنا ملمح دقيق جداً قالته السيدة عائشة لرجلٍ ممن عاصرها من أصحاب رسول الله بعد وفاة النبي ﷺ ، قالت : << قولوا لفلان أنه أبطل جهاده مع رسول الله >> .

وأنا أقول الآن ، وأنا أعني ما أقول ولا أبالغ فيما أقول : هناك أعمال يقترفها الإنسان فيها ظلم ، والله تلغي صلاته وصيامه وحجه وزكاته وإيمانه بالله .

كلمة (الله أكبر)وكلمة التوحيد بين لسان الحال ولسان المقال :

المشكلة أستاذ علاء أن الإنسان له لسان قال ، وله لسان حال ، نحن قريبو عهد من عيد الفطر السعيد ، ومن السنة وفي القرآن الكريم :

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾

(سورة البقرة)

فكلمة (الله أكبر)يلفظها مليار وخمسمئة مليون صبيحة أحد العيدين ، اللسان يقول : الله أكبر ، الآن الذي يغش الناس ، ويحقق ربحاً كبيراً ، غشهم قد تكون مادة غذائية مسرطنة ، قد تكون مادة غذائية انتهت صلاحيتها، قد تكون مادة لا تصلح للاستخدام البشري ، قد تكون مادة لها مشكلات كبيرة ، سمون غير مهدرجة، غير مشبعة ، أو مشبعة .


من يبني ثروته على إضرار الناس كأنه ما قال: الله أكبر

أنا أقول ولا أبالغ ، وأعد هذا جزءًا من الدين : الذي يبني ثروة على أنقاض الناس ، على أنقاض صحتهم، والله ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، لسان حاله يرى أن هذا المال الذي كسبه من هذا الغش أكبر من الله ، هذا لسان الحال ، رأى أن هذا المبلغ إذا حققه ، وأساء إلى صحة الناس أكبر من الله ، ولما يبيع إنسان دواء انتهى مفعوله ، ويحك مكان التاريخ ، والدواء يؤذي تفكك فهذا يبني ربحاً على مضرة الآخرين ، والله ألغى صلاته وصيامه وحجه وزكاته ، والله ألغى كل كلمات الإسلام ، ألغى كلمة : الله أكبر ، هذا الذي يطيع زوجته في معصية كبيرة ، لسان قالِه يوم العيد يقول : الله أكبر ، مع المصلين ، أما لسان حاله يرى أن إرضاء زوجته أكبر من إرضاء الله عز وجل ، ما قال : الله أكبر ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة .

مشكلتنا مع هذه الكلمات الكبرى في الإسلام ، لا إله إلا الله ، وتعني لا معطي ولا مانع ، ولا معز ولا مذل ، ولا ناصر ولا حافظ ، ولا مؤيد إلا الله ، فإذا توجه الإنسان إلى غير الله ، ونسي الله ، وأرضى غير الله بمعصية الله فما قال : لا إله إلا الله ، ولا مرة ، ولو رددها بلسانه ألف مرة ، هذه الكلمات الكبرى فرغت من مضمونها ، وأصبحت كلاما يردَّد لا معنى له ، فلذلك هذا الكمّ الكبير من المسلمين ، مليار وخمسمئة مليون ليسوا كما ينبغي، ليس أمرهم بيدهم ، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل ، هذا شيء مؤلم جداً .

وعودُ الله وشرط تحقُّقها :

إليكم الحقيقة المُرّة التي هي أفضل ألف مَرّة من الوهم المريح : والله إنه من سابع المستحيلات ، و والله لزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، فإذا قال الله عز وجل :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي (55)﴾

(سورة النور)

الشرط : يعبدونني ، فإذا أخل الطرف الآخر فيما عليه من واجبات فالله عز وجل في حل من وعوده الثلاثة ، فلذلك يجب أن نصطلح مع الله ، والكرة في ملعبنا ، وأسباب سلامتنا وسعادتنا وانتصارنا على أقوى أقوياء الأرض بيدنا ، وكل هذا التفوق ألغاه الله عز وجل بآية واحدة :

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

(سورة آل عمران الآية : 120)



أساطيل ، بوارج ، صواريخ عابرة للقارات ، درع صاروخي ، حاملات طائرات ، أقمار الصناعية ، الإعلام بيدهم ، الأموال بيدهم ، التحالفات بيدهم ، والله لو اصطلح المسلمون مع الله لألغيت كل هذه رموز القوة :

﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

(سورة آل عمران الآية : 120)

فالإسلام كلٌّ متكامل ، الإسلام نهج ، ولن نقطف ثماره إلا إذا طبقناه كلَّه .

متى تمشي السيارة ؟ تحتاج إلى محرك ، وبنزين ، وعجلات ، ومقود ، وكهرباء ، لها شروط من أجل أن تمشي، الذي عنده رفراف فقط فهذه ليس سيارة ، هذه اسمها سيكراب ، نحن عندنا دين سيكراب ، وما عندنا دين كامل ، لو كان كاملا لكانت النتائج مئة بالمئة ، وزوال الكون أهون على الله مِن ألاّ يحقق وعوده للمؤمنين ، فالكرة في ملعبنا ، أريد ألا نيئس ، ألا نحبط ، ألا نحسّ أن القضية انتهت ، الأمل كبير عند الله عز وجل ، وأنا أقول :

أخطر شيء أن نهزم من الداخل :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ (12)﴾

(سورة المائدة)

إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟

انتقلت من قضية أسرية حينما تحرم الفتاة من حظها من ميراث أبيها ، ويغضب الزوج الفقير ، ويتألم لهذا التصرف العنصري ، لا نسمح لهذا المال أن ينتقل من بيت فلان إلى بيت فلان ، نعطي الابن كل شيء ، مع أنه والله هناك فتيات فيهن خير لآبائهن لا يعلمه إلا الله ، فالتفرقة بين الذكور والإناث جاهلية ، كان عليه الصلاة والسلام حينما تأتيه بنت يضمها ، ويشمها ، ويقول : ريحانة أشمها ، وعلى الله رزقها .

أُثر على النبي ﷺ أنه كان يقف لابنته فاطمة ، يقف ترحيباً بها ، فأنا أرى أننا عندنا جاهلية كبيرة ، مع أن الإطار إسلامي .

لابد من وعيٍ الزوج في حال حرمان زوجته من ميراث أبيها :

لكن كتحفظ ، قد يكون الزوج واعيا جداً ، ودخله جيد ، وليس بحاجة ، فلا يعلق أهمية ، هذه حالات نادرة ، زوج واعٍ ، وإيمانه بالله قوي ، ودخله جيد ، وما له بحاجة لزوجته ، فما سأل ، وما علق أيَّ تعليق ، لكن يتألم لهذا الموقف العنصري ، أحياناً يكون نصيبها من الميراث يقابل ثمن سيارة ، والسيارة تحل مليون مشكلة ، السيارة مسعدة للأسرة ، تحل مشكلات المواصلات العامة والتأخير ، فلو أن هذه البنت أخذت هذا المبلغ ، وتسجله باسم ابنتك ، هذا البيت سجله باسم ابنتك ، فقويتَ لها مركزها ، وأعانت زوجها ، الزوج وجد قسما من المال لزوجته انضم إلى الأسرة ، انضم إلى الأولاد ، لذلك حينما أقول : لم يسمح الله لسيد الخلق وحبيب الحق أن يوزع

الميراث ، بل تولاه بذاته في القرآن الكريم ، معنى هذا أن الذي يضر في الوصية كما قال النبي ﷺ تجب له النار.

الغياب الطويل للأب من أسباب الشقاق الزوجي :

1 – الغياب الطويل ضمن المدينة :

بادئ ذي بدء ، أستاذ علاء ، قد يكون الغياب ضمن المدينة ، يخرج الرجل الساعة السادسة ، ويأتي الساعة الواحدة في الليل ، يأتي ليأكل وينام ، وهذه الزوجة التي حبستها من أجلك مَن يحادثها ؟ مَن يؤنسها ؟ مَّن يهتم بها ؟ مَن يبتسم في وجهها ؟ مَن يثني عليها ؟ بحاجة إلى من يثني عليها ، ومن يؤلّف قلبها ، مَن يصغي إليها، فإذا ذهب الزوج قبل ذهاب الأولاد إلى المدرسة ، ويعود بعد نومهم لم يصبح أبًا ، مَن يربي هذا الولد ؟ مَن يستمع إليه ؟ مَن يرشده ؟ مَن يعلِّمه ؟ مَن يربي أخلاقه ؟ لا أحد ، لم يصبح الأب أبا الزوج ولا الابن ابنا ، الشاشة تربي فقط .

2 – العمل الذي يمتصّ كل وقت الإنسان خسارةٌ :



أضرب مثلا تركيبيًّا لقضية الغياب الطويل : لو أن إنسانا عرضوا عليه لو جئت بدكتوراه في الطب تكون وزير الصحة ، هو لا يملك شيئا من حطام الدنيا ، على أن يعمل في بلد الدراسة ويأكل ، ذهب إلى باريس ، اضطر أن يعمل بمطعم ساعتين ليكفي مصروفه ، لكن مهمته كبيرة جداً ، أن ينال دكتوراه ، ويعود بأعلى منصب في بلده ، ومع أعلى منصب بيت فخم وزوجة جميلة ومركبة ، إلى آخره ، هذا طمع بعمل إضافي ، فضاعف ساعات عمله في المطعم ، فضعفت دراسته ، فجاءه عرض ثالث فضاعفه ثلاثة أضعاف ، بعد هذا عمل كل وقته في المطعم فألغى مهمته الأساسية ، لذلك العمل الذي يمتص كل وقتك هو خسارة ، لأنه ألغى وجودك .

بعض العلماء لهم كلمة : الإنسان الذي ما عنده وقت فراغ ليس إنساناً :

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ(50)فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(51)﴾

(سورة المدثر)

العمل الذي يمتص كل وقتك هو أكبر خسارة لك ، لأنه ألغى وجودك ، ألغاك كأب ، ألغاك كزوج ، الإنسان بحاجة إلى أن يمضي وقتاً مع من يحب ، مع أصدقائه ، بمسجد ، بلقاء مع عالم ، بلقاء مع صديق ، بسهرة لطيفه ، بسفر ، بنزهة ، وحينما يلغى وقت الفراغ يلغى وجود الإنسان .

3 – مجتمع التسوُّق والاستهلاك :



إنّ هذا الأسلوب المعاصر بعرض السلع في كل مكان في الطرقات ، وفي الشاشات ، وفي الصحف، المكيفات ، والمركبات ، يخلق حاجة استهلاكية كبيرة جداً ، والناس حيال هذه الحاجة الضاغطة ثلاثة أنواع ، النوع الأول : شخص ألغى وقت فراغه ، فألغى وجوده كأب ، وكزوج ، وكإنسان ، وعمل ليلاً ونهاراً ليؤمّن هذا المكيف ، وهذه المركبة ، فهذا إنسان شريف ، ما مدّ يده للحرام ، ولكن ألغى وقت فراغه ، وضيع زوجته وأولاده ، وفقَد أبوَّته ، وتحول إلى آلة .

النوع الثاني : يعيش بالحرمان المستمر ، ما عنده شيء .

النوع الثالث : مد يده للحرام ، فسقط من عين الله ، ومن عين الناس ، هذا مجتمع الاستهلاك .

دخلت امرأة إلى سوبر ماركت ، قالت : يا إلهي ، ما أكثر الحاجات التي لا يحتاجها الإنسان !!! نحن عندنا حمى استهلاك ، التسوق متعة ، هؤلاء الغربيون أرادوا لنا أن نكون متسوقين فقط لا منتجين .



مثلاً : سجادة وطنية صوف مئة بالمئة ، جميلة تقوم بالوظيفة التامة مئة بالمئة ، عزل ، ومنظر ، وصوف ، هذه ثمنها خمسة آلاف ، وسجادة ثمنها ثمانمئة ألف ، الفرق في الاستعمال بالمئة خمسة ، أما بالسعر فثمانمئة ضعف ، فحينما نسعى إلى الرفاه ، أو إلى الترف فهذا يعيق تقدم الأمة ، والإنسان له مصاريف ينبغي أن توفَّر .

فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا :

فلذلك النبي صل الله عليه وسلم قال :

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

[أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محصن]



هو أمن الإيمان ، فإذا أطعت الواحد الديان ألقى الله في قلبك الأمن :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾

(سورة الأنعام)

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

والله ما فاته من الدنيا شيء ، وخذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدرها هماً ، ومَن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه ، وهو لا يشعر .

4 – الغياب الطويل خارج البلد :

للعمل في بلده ، وقد يسافر إلى بلد بعيد ، إذا كان هناك تواصل في الهاتف ، ومتابعة الأخبار ، وإرسال أشياء ، وزوجة صارمة جيدة ، وأهل مربَّون كبار ، يمكن أن يخفف من أخطار الغياب الطويل ، أما الغياب لسنة بكاملها، وهو لا يعلم عن أولاده شيئا ، ولا عن دراستهم ، ولا عن أوقات فراغهم ، ولا عن علاقتهم بأصدقائهم ، ولا عن زوجته شيئاً ، هذا شيء يحتاج إلى دراسة مطولة وتدقيق .

الغياب الطويل إلغاءٌ للمساكنة الزوجية :

الغياب الطويل ألغى المساكنة ، ألغى أحد مقاصد الزواج ، وهناك زواج المسيار ، أنا لا أدخل في تفاصيل الحلال والحرام ، كمقيم في بلد إسلامي ، وله زوجة في بلد ثانٍ ، يمكن في سنة ما يزور هذا البلد ، أنت سميتها زوجة ، وصنفتها مع الزوجات ، وألغيت العنوسة منها ، وهي بقيت عانسا سنة ما نظرت إليها ، هي من شدة رغبتها بإنجاب ولد قبلت بهذا الزواج ، والزواج أكبر مقوم من مقوماته وهو المساكنة ، كما أن الرجل بحاجة إلى امرأة هي بحاجة إلى رجل ، الإنسان ليس مفتقر إلى الله وحده ، مفتقر على زوجة ، الزواج نعمة كبيرة ، بحاجة له ، أنا لا أرى من عمل أعظم من تيسير الزواج .


المرأة تأنس بوجود الزوج وتفتقده عند غيابه

وأن يؤنسها ، بتعبير أو بآخر جنس الرجل حسي ، تثيره منظر امرأة ، وهي جنسها اجتماعي ، يثيرها كلام طيب ، هذا شيء ثابت ، طبيعة الجنس عند المرأة طبيعة اجتماعية ، لذلك قال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ (32)﴾

(سورة الأحزاب)

نقطة ضعفها القول المعسول ، أما الرجل فقال له : غض بصرك ، الجنس الحسي غير الجنس الاجتماعي ، المرأة تحتاج إلى من يؤنسها ، من يلاطفها ، من يثني عليها ، من يثني على عملها ، على بيتها ، على أناقة أولادها ، لذلك النبي ﷺ قال :

((تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ))

[النسائي ، أبو داود]

الزوجة الصالحة تسرك إذا نظرت إليها ، لكن في رواية عجيبة ، تسرك إذا نظرت ، ليس إليها ، إلى غرفة النوم، إلى المطبخ ، إلى ثياب أولادك ، مرتبة ، نظيفة ، إذا بذلت زوجة جهدا كبيرا فالمفروض أن تسمع ثناء من زوجها ، وأحيانا الزوج أربعين سنة لا يتذكر ولا يثني عليها بكلمة ، الأكل ، الطبخ ، النظافة ، الأوامر ، والمحاسبة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-8) : سوء الظن أحد أسباب الشقاق الزوجي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسباب الشقاق الزوجي:



تحدثنا في حلقات ماضية عن أسباب الشقاق الزوجي، هذه الأسباب التي تتسرب إلى علاقاتنا الزوجية، إلى أسرنا، وربما لا نتنبه إليها، وربما لا نصغي إلى من ينبهنا إلى خطورتها، فبالتالي تدخل وتكبر ككرة الثلج ثم تفعل فعلها في هذه الأسرة التي هي لبنة أساسية من لبنات المجتمع، ومن تكرارها يتشكل جدار المجتمع، تحدثنا عن مسائل كثيرة منها الجهل، ضعف الإيمان، سوء التصرف، عدم الكفاءة، التعالي، في الحلقة الماضية تحدثنا عن الطمع المالي، وتحدثنا عن غياب الزوج الطويل، يعني آثر عمله على أسرته فالتغى وجوده كزوج، وألغى شخصه ورسالته بكل معنى الكلمة، وراح يلهث وراء عمل، هذا العمل استهلك كل وقته، بالتالي هذه المسائل، أي جنوح أي عدم اعتدال في أي جانب يدفع ثمنها الإنسان في الجانب الآخر. الآن نكمل في أسباب الشقاء الزوجي، وهذه رسالة لكل من يشاهد لكي يحرص ولكي يتنبه ولكي يسد تلك الثغرات التي تأتي منها رياح سموم.

سوء الظن سبب من أسباب الشقاء الزوجي:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.


التنافس حيادي يمكن أن يوظف للخير أو للشر

أستاذ علاء جزاك الله خيراً من هذه الأسباب سوء الظن، لا بد من مقدمة، المقدمة أن الإنسان خصائصه حيادية، وحظوظه حيادية، معنى خصائصه الإنسان يغار هذه خصيصة، ما معنى حيادية ؟ يمكن أن توظف في الخير أو في الشر، يمكن أن توظف للتنافس بين طلاب العلم، وبين البطولات، وبين إحقاق الحق، يمكن أن توظف هذه الخصيصة الغيرة لها مصطلح آخر الغبطة في الدنيا الحسد، هي خصيصة ثابتة لكن حيادية تُقيّم في ضوء استخدامها، فالذي عنده غيرة هذه صفة حيادية صماء، إن غرت من إنسان متفوق في الانحراف، أو في كسب المال الحرام، أو في الإيقاع بين الناس، أو في بناء قوته على أنقاض الآخرين، فهو الحسد المذموم، أما إذا غرت من إنسان صالح متفوق له خدمات لمجتمعه، متألق، عالم، فهذا الغيرة المحمودة، الآن الغيرة لها وضع سليم وضع صحي وضع سوي، فإذا زادت عن حدّها المعقول انقلبت إلى سوء ظن، في حد أدنى لا بد منه للغيرة على الزوج، الله يغار على عبده المؤمن أن يلتفت إلى غيره، إني لأشد غيرة من سعد وإن الله لأشد غيرة مني، فالغيرة صفة حيادية توظف في الخير أو في الشر، من نتائج الغيرة المرضية سوء الظن لكن متى يكون سوء الظن عصمة ؟ متى يكون القول الصحيح احترس من الناس بسوء الظن ؟ متى نقول سوء الظن له وظائف إيجابية ؟

الظن عصمة تعصمك من أن تتورط مع الناس:


لا تتعامل بسذاجة مع الناس وبالأخص بالتعاملات المالية

شخص لا تعرفه إطلاقاً يجب أن تعامله لا بسذاجة ولا بجهل بيقظة، أدنته مبلغاً خذ منه إيصالاً، هناك إنسان يهمل الوثائق يسكن في المحاكم، قيل لعمرو بن العاص: " ما بلغ من دهائك ؟ قال: والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه، قال له: يا عمرو، لست بداهية، أما أنا والله فما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه.

الغيرة حالة سوية، وحالة أساسية، وسمة عميقة بالإنسان، لكنها حيادية صماء بحسب توظيفها تُقيّم، إن وظفت غيرة في الخير والعمل الصالح وطلب العلم كانت الغبطة وإن وظفت لغير ما ينبغي كانت الحسد.



الآن الغيرة لها وضع صحي معتدل فإذا زادت عن حدّه انقلبت إلى سوء الظن، وسوء الظن له جانب إيجابي وجانب سلبي، الإيجابي سوء الظن عصمة، اعمل عقداً، دخلت مع إنسان بشراكة والمقر باسمه، اطلب أن يكون باسمك، لو نجح المشروع نجاحاً مذهلاً قد يدخل إلى نفسية الطرف الآخر أن يستأثر به، يقول لك المبلغ أخذته منك قرضاً لا شراكة، وقعت آلاف المرات لأنه تكاسل يعمل عقداً، وتكاسل أن يسجله في محكمة البداية، التوقيع ماله قيمة، في دعاوى التوقيع تبقى عشر سنوات، مادام مسجلاً في المحكمة خلاص، فلذلك احترس من الناس بسوء الظن، اطلب عقداً، اطلب إيصالاً، اطلب وثيقة، أما أن تبقى الأمور سبهللة بلا تسجيل هذا شيء مزعج جداً، نحن وسعنا قليلاً المفهوم، احترس من الناس بسوء الظن، سوء الظن عصمة تعصمك من أن تتورط.

عرت سيارتك، مرة كنت في الحج إنسان ما وجد معي حاجات إطلاقاً محفظة صغيرة، قال لي: هل لك أن تأخذ من بعض حاجاتي ما في معك وزن، قلت له ما في مانع لكن افتح لي الحقيبة، لو فيها مادة ممنوعة أو مهربة أنا مسؤول، فتشت وجدتها كلها ملابس وافقت، سوء الظن عصمة.

سوء الظن بلا دليل يعد ذنباً من الذنوب:


اللباقة واللطف مطلوبين في التعامل مع الناس

احترس من الناس بسوء الظن، الحزم سوء الظن، لكن النبي ﷺ كان يحذر الناس ويحترس منهم من دون أن يطوي بشره عن أحد، سوء الظن من الداخل، من الخارج في مودة وفي لطف وفي جواب لطيف وفي اعتذار لبق وفي كلام معقول وفقط، ليس معنى أنه لا سمح الله إذا شخص أساء الظن بإنسان يجرحه، يهينه، أبداً.

كان يحذر الناس، ويحترس منهم، من دون أن يطوي بشره عن أحد، بشره للجميع، أما سوء الظن الذي هو رذيلة، وهو خلق ذميم أن تسيء الظن بلا دليل، دخلت إلى البيت تتكلم بالهاتف لما لمحتك أقفلت الهاتف، في مشكلة، لذلك:

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ (34) ﴾

(سورة النساء)

بطولة الرجل لا أن يحل المشكلة بعد أن تقع، بعد أن تظهر بوادر خفيفة جداً منها،

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾


نهينا عن سوء الظن بلا دليل

ما وقع النشوز لكن في ظاهرة، في تصرف صعب تفسيره، النبي ﷺ كان يمشي مع زوجته قال، هذه زوجتي لصحابيين لماذا ؟ لئلا يقعا بسوء الظن، علمنا منهجاً، أنت كنت في مكان نزلت في فندق مؤتمر شخص له زوجة مقيمة عند ابنتها وهو داخل إلى غرفته سبعة أيام لوحده، مرة جاءت زوجته إلى

عنده للفندق وهناك شخص قاعد يراقب قل له هذه زوجتي، هو يظن أنه سبعة أيام لوحده في الغرفة هذه المرة لماذا معه واحدة ؟

سوء الظن الذي نهانا الله عنه هو سوء الظن بلا دليل، ما في ولا دليل، تأخر الزوج أين كنت ؟ أين أكون، معروف باتجاهه الديني واستقامته وعفته وكان في سهرة عمل أو مع رفقائه، لا مع من كنت ؟ لذلك حينما يكون سوء الظن بلا دليل يعد ذنباً من الذنوب، الله عز وجل قال:

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (12) ﴾

(سورة الحجرات)

دقق ما كل الظن إثم إن بعض الظن إثم.

أحد أكبر أسباب انهيار البيوت سوء الظن بلا دليل:



سوء الظن عصمة وذكاء وحرص واحتراز، سوء الظن عصمة، احترس من الناس بسوء الظن، الحزم سوء الظن، لكن النبي الكريم كان يحذر الناس ويحترس منهم من دون أن يطوي بشره عن أحد، فلما الزوج يجد ظواهر لا ينبغي أن تفسر تفسيراً واضحاً من زوجته يجب أن يسيء الظن، أن يراقب، أما ما في أي أثر، ما في أي غلط، ما في أي مظهر يثير الشك لماذا سوء الظن من دخل البيت إلى عندك ؟ أنت عندك زوجة شريفة راقية، صاحبة دين، تربيتها جيدة، ما هذا من دخل ؟ لذلك أحد أكبر أسباب انهيار البيوت سوء الظن بلا دليل. الأستاذ علاء:

هذه حالة اتهام.

البيان يطرد الشيطان:



لا يحتمل زوج يسيء الظن بلا دليل، ولا تحتمل زوجة تسيء الظن بلا دليل، اسمها حالة سوء ظن مرضية، تجاوزت الحد المعقول، كل إنسان يغار على زوجته وكل زوجة تغار على زوجها، ولو لم تغر الزوجة على زوجها لا تحب، حريصة عليه والعكس صحيح، أما حينما ترتفع نسبة الغيرة إلى درجة أنها اتهام مستمر، الإنسان ما في حوله ولا شبهة هذا سوء ظن يفسد العلاقة الزوجية.



في زوجة كل يوم في تحقيق مع زوجها، تفتش جيبه، يكون زوجاً ابن مسجد، ابن اتجاه ديني راقٍ جداً، يغض بصره عن محارم الله، يتهم بشيء بعده عنه بعد الأرض عن السماء، مثل بسيط لو فرضنا جامع فارغ ما في أحد إطلاقاً جالس شخصاً وفي معطف معلق وباب المسجد مفتوح، هذا الإنسان في آلة تصوير خفية نظر إلى الباب لم يجد أحداً، ثم قام إلى المعطف، وسحب منه ألف ليرة، صورناه، يمكن أن تفسَّر الصورة أنه سارق، أمّا إذا علمت أن هذا الإنسان هو الذي بنى هذا المسجد، دفع خمسين مليون وهذا معطفه، ولمح فقيراً فقام إلى المعطف، الصورة واحدة.

شخص يجد ليرة ذهب في الأرض انحنى وأخذها وضعها في جيبه صورناه، إذا نوى أن يبحث عن صاحبها ويضع أخباراً، في بعض المحلات فهي مؤاثرة وفضيلة، وإذا نوى أن يأخذها دون أن يبحث عن صاحبها فهي رذيلة.

الصورة وحدها لا تكفي، تعليل، لذلك قال هذه زوجتي، ويقاس عليها الحساب انتهى حسابك، أنا أعطيتك مبلغاً ضخماً، قدم لي فاتورة، أنت بريء ومستقيم وورع، لكن أنت ما بينت له، البيان يطرد الشيطان، قدم حساباً، قل له هذه مدفوعاتك وهذه المصاريف طلع الرصيد صفر، هذا بيان، هذه تابعة لسوء الظن عصمة، أو البيان يطرد الشيطان تنسحب على ملايين الحالات.

شخص فرضاً سافر ووصى أخو زوجته تفقد أخته وما بلغ أحداً من الجيران، هم رأوه مسافراً ورأوا رجلاً يدخل إلى البيت في غيابه، أوقعهم في مشكلة من غيرتهم على جارهم يبلغ أنا أودع الجيران قبل أن أسافر، وأقول: أنا وكلت أخو زوجتي بتفقد زوجتي، إذا شاهدوا رجلاً دخل إلى البيت واضح تمام، في إنسان لا يتكلم ينشأ من عدم الكلام شر كبير جداً.

الكتابة تلغي سوء الظن:



سوء الظن عصمة، والحزم سوء الظن، واحترس من الناس بسوء الظن، والله في غباء وفي سذاجة بعلاقات الناس تدمر، دفعت مبلغاً ضخماً ما في إيصال، ما في سند، ما في عقد ؟ المشكلة ليست مع الطرفين مع أولاد الطرفين، شخص وضع عنده أمانة مبلغاً ضخماً ما كتب أمانة توفي بحادث، الأولاد لا يقبلوا أن يكون المبلغ أمانة وجدوه في الصندوق الحديد، إذا ما كتب أمانة في مشكلة كبيرة أطعم أولاده المال الحرام، وكل ابن إذا صدق أي دعوى شفهية هذه مالها حل، أنا أريد مع والدك خمسة ملايين ؟

ضرورة الوعي عند الإنسان:

شخص دفع مبلغ لشخص ستمئة ألف، قصة قديمة بالسبعينات كان الدولار بثلاث ليرات، وقال له اعمل لي وصلاً، قال ما في داعي مساءً سأعطيك، العصر مات بحادث، جاؤوا أهله قالوا مالك معنا شيء، في مشكلة ما

في وثيقة، أحياناً الوعي القانوني أنا رأيي الشخصي المحامي ليس مهمته أن يدافع عنك أن يمنعك أن تقع، المحاماة الوقائية قبل أن تعمل العقد اسأل محامياً.

الثقة جزء أساسي في حياة كل إنسان:

للأزواج إذا في بوادر نشوز ابحث وسيء الظن، أما ما في ولا بادرة أحسن الظن، لا بد من التسليم، لأن يوجد جزء أساسي في حياتنا هو الثقة، إذا ما في ثقة تقف الحياة كلياً، في أرضية أما إذا في بوادر، في مشكلة، ما أعطاك الحساب، وضعت مالاً مع شخص ما أعطاك الحساب، أنا ما عندي حسابات، لماذا ما عندك حسابات ؟ أريد ميزانية، كل إنسان امتنع من تقديم ميزانية عنده إشكال، معنى منحك رغبة أن تبحث، هذا سوء الظن، سوء الظن عصمة، لا يوجد ولا بادرة قدم لك حساباً واضحاً جداً قانونياً وفنده لك، لا تعرف الله يعلم، هذا كلام، أحياناً يذكر اسم امرأة يعمل هكذا فقط، ورد في بعض الآثار قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة، أنت عملت هكذا عرفت ماذا فعلت ؟

((وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[رَوَاهُ البُخَارِيُّ وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

السيدة عائشة وصفت السيدة صفية رضوان الله عليهما بأنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((يا عائِشَة لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْه))

[رواه أبو داود والترمذي، عن عائشة رضي الله عنها]

أحياناً كلمة يرقى بها على أعلى عليين، وبكلمة يهوي بها إلى أسفل سافلين.

الشحّ مرض خبيث يصيب النفس:



أولاً هناك أمراض خبيثة السرطان يصيب الجسم أقسم لك بالله إن الشحّ مرض خبيث يصيب النفس، الدليل لولا الدليل لقال من شاء ما شاء:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) ﴾

(سورة الحشر)

لذلك الشحيح يتمنى أولاده موته أول شيء وهذه أكبر مصيبة، أن يتمنى الذين حول الإنسان أن يموت، الشحيح يعيش فقيراً ليموت غنياً، الشحيح ربما دخل بماله النار ودخل أولاده بماله الجنة، الشحيح مريض مرضاً عضالاً. لذلك الكرم يغطي كل سلبيات الإنسان، الكرم يغطي ألف عيب، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس منا من وسع الله عليه، ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف]

((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ))

[أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ]

بين أن الإنسان يعيش مع أولاده، ويتمنون حياته، يفدونه بأرواحهم، وبين أن يتمنوا موته، لو أنه أصابه مرض وجاء الطبيب وقال عرضية ينزعجون كثيراً ليست عرضية نريدها قاضية، ننتظرها بفارغ الصبر، الشح مرض خبيث، الكريم إنسان مؤمن بالله:

((أنفق بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا))

[الطبراني في المعجم الكبير والأوسط بسند حسن عن أبي هريرة]

((يا عبدي، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[الترغيب والترهيب بسند صحيح]

وما نقص مال من صدقة:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) ﴾

(سورة الحشر)

أكبر مصيبة أن يتمنى الذين حول الإنسان أن يموت من شدة بخله:



والله هناك أزواج يحصون حبات الفواكه في البراد، وهناك أزواج لا يسخون على زوجاتهم بما لا يحتاجونه من الأمور الأساسية، البخل مرض خطير، أنا أنصح كل أولياء الفتيات ألا يزوجوا بناتهم لشحيح لأن حياته جحيم لا يطاق.

ورد في بعض الآثار: أحب ثلاثاً، وحبي لثلاث أشد، أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد، أحب المتواضعين وحبي للغني المتواضع أشد، أحب الكرماء وحبي للفقير الكريم أشد، وأبغض ثلاثاً، وبغضي لثلاث أشد، أبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد، أبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبر أشد، أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد.

لذلك قالوا الورع حسن لكن في العلماء أحسن، والعدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن.

الزكاة تطهر الغني من الشح، وتطهر الفقير من الحقد:



لكن احتياطاً في ثلاثة أحاديث هي مقاييس دقيقة: برأ من الشح من أدى زكاة ماله، وبرأ من الكبر من حمل حاجته بيده، وبرأ من النفاق من أكثر من ذكر الله.

الذي يؤدي زكاة ماله قد يكون دخله محدوداً، وينبغي أن يتدبر هذا المبلغ في هذا الشهر، فأنت ليس لك حق أن تتكلم كلمة، هذا مقتصد ليس بخيلاً، أما البخيل من كان غنياً وهو يضن بماله كما قلت قبل قليل.

((ليس منا))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف]

هذا شيء خطير، أخرجه النبي عليه الصلاة والسلام من الإسلام:



((ليس منا من وسع الله عليه، ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم بسند فيه ضعف]

لذلك يوجد باب في الجنة لمن يُدخل الفرح على قلوب الصغار، فلذلك الإنسان إذا أنفق يسعد، ما معنى قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (103) ﴾

(سورة التوبة)

قال علماء التفسير: إن هذه الزكاة تطهر الغني من الشح، وتطهر الفقير من الحقد، وتطهر المجتمع من هذا التفاوت الطبقي الكبير الذي وراءه انحرافات وسرقات واحتيالات، حتى الدعارة، أمراض لا يعلمها إلا الله تتلاشى إذا في كرم وفي كفاية، بل وتطهر المال من تعلق حق الغير به.

بيت المؤمن جنة من جنان الأرض لكن يحتاج إلى علم و صلة بالله و ق رحيم:



أربع حالات، تطهر الغني من الشح، وتطهر الفقير من الحقد، وتطهر المجتمع من هذا التفاوت الطبقي الذي وراءه كل انحرافات المجتمع. ألم يقل سيدنا علي: كاد الفقر أن يكون كفراً.

أنا أقول كاد الفقر أن يكون إرهاباً أو قتلاً أو جريمة أو اختلاساً أو سرقة، أنا لي تعليق لطيف، رجل دخل إلى بستان أنصاري، وأكل من دون إذنٍ، فشكاه الأنصاري إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وسيق إليه على أنه سارق، ماذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قال له:

((هلاّ علمته إذا كان جاهلاً، وهلا أطعمته إذا كان جائعاً))

[ورد في الأثر]

أنت يجب أن تعالج القضية من بداياتها لا من نتائجها، أحياناً يكون الشح مرضاً وبيلاً يفسد العلاقة بين الزوجين وتكره المرأة زوجها، أكبر صفة الكرم، والله أعرف أزواجاً أنا أعدها فضيلة فيهم لو دعي إلى طعام نفيس لا يمكن إلا أن يأتي بمثله لزوجته، والمؤمن يأكل بشهوة أهله، هي تؤثره فيما يحب من طعام، وهو يؤثرها فيما تحب من

طعام، هذا هو المؤمن لذلك البيت جنة، البيت جنة من جنات الأرض لكن يحتاج إلى علم، وإلى فهم، وإلى حكمة، وإلى تدين، وإلى صلة بالله عز وجل، وإلى قلب رحيم.

الالتفاف والانفضاض:



أنا أقول دائماً في قانون اسمه قانون الالتفاف والانفضاض، الأب بحاجة إلى من يلتف حوله أولاده وزوجته، يحبونه، يخدمونه، ينصاعون له، يتلقون توجيهاته باحترام بالغ والأم بحاجة كذلك، ما قانون الالتفاف دقق:

﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ** ﴾

(سورة آل عمران الآية: 159)

أي بسبب رحمة استقرت بقلبك يا محمد هذه الرحمة انعكست ليناً، التف الناس حولك، ولو كنت منقطعاً عنا لامتلأ القلب قسوة، ولانعكست القسوة غلظة وفظاظة، فانفضوا من حولك، هذا القانون يحتاجه الأب والأم والداعية، والخطيب والمدرس وأستاذ الجامعة وأي منصب قيادي، قانون الالتفاف والانفضاض.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : عدم احترام الزوج لعائلة الزوجة أو عدم احترام الزوجة لعائلة الزوج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع:



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أستاذ علاء كنت أقول دائماً: إن النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شاملاً، وأركان النجاح نجاحك مع أهلك وأولادك، نجاحك مع ربك، نجاحك مع صحتك، نجاحك مع عملك، فكأن النجاح في الأسرة أربعة أركان هو أحد أركانها، نجاحك مع أهلك وأولادك ربع النجاح الشمولي، لذلك إذا شبهنا المجتمع ببناء كبير، الأسرة هي اللبنة، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، إذا تماسكت الأسرة تماسك المجتمع، إذا نمت الأسرة نما المجتمع، إذا طهرت الأسرة طهر المجتمع، إذا تكافلت الأسرة تكافل المجتمع.

اجتماع الشرائع السماوية على تدعيم الأسرة و قدسيتها:

كأن النظم الإلهية، الشرائع السماوية تجتمع على تدعيم الأسرة، وعلى قدسيتها، وعلى الحفاظ عليها، وعلى الوئام، بل إن الله عز وجل حينما قال وجعل المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (37) ﴾

(سورة فصلت)

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (22) ﴾

(سورة الروم)

ومن آياته الدالة على عظمته:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (21) ﴾

(سورة الروم)

وجعل بمعنى خلق بينكم مودة و رحمة.

كل إنسان فطر على حبّ أمه وأبيه:



إذاً بخطأ الإنسان، بتقصيره في أداء واجباته، بخروجه عن منهج ربه في معاملة أهله ينشأ الشقاق، الفساد أصله من الإنسان، يوجد دليل قوي جداً:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (41) ﴾

(سورة الروم)

أصل التصميم كمال مطلق، الفساد يتأتى من خطأ يرتكبه الإنسان، انظر إلى مركبة سحبت من الوكالة لتوها رائعة جداً، لو قادها إنسان مخمور فنزل بها في الوادي هذا الذي حصل هو سبب خطأ في قيادتها، أنا بشكل صريح أعزو أي مشكلة بين الزوجين إلى خطأ في السلوك من أحدهما أو من كليهما، الحقيقة فطر الإنسان على حبّ أمه وأبيه، أي ما بين الأب والأم وما بين الأب وأولاده وما بين الأم وأولادها شيء من صنع الله عز وجل، هي رحمة الله أودعها في قلوب الأمهات، هي محبة الله أودعها في قلوب الآباء.

من أراد أن يحافظ على ود زوجته عليه أن يتجنب السخرية من أمها و أبيها:


هناك خطوط حمراء يجب أن لا يتجاوزها الزوج

إذا أراد الزوج أن يسخر من أم زوجته يحطم زوجته، كما أن أمه مقدسة عنده أمها مقدسة عندها، بصرف النظر عن أخطائهما، هذا موضوع آخر، أنت أحياناً ولاؤك لأمك وأبيك لكن قد لا تعجب بتصرفاتهم موضوع آخر، لكن أنت منهما، لهم رعاية، لهم حق البر، الزوج حينما يتطاول على أم زوجته أو على والد زوجته يحطم زوجته لماذا ؟ لأنه أبوها ولأنها أمها، وهو زوجها، فبطولة الأزواج أن يضعوا خطوطاً حمراء أمام عائلات زوجاتهم، تبقى الزوجة على مودة ولن تستطيع أن تقطع فتاةً عن أمها وأبيها، في أزواج بحمق ما بعده حمق يمنعوها من زيارة أمها أو يمنعوا أمها من زيارتها، ماذا فعل بزوجته ؟ كيف تريد أيها الزوج أن تحبك زوجتك ؟ ردّ نفسي عنيف جداً، كيف تنتظر أن تحبك زوجتك وقد أصبتها بأقدس ما عندها ؟

كيف تحب أن تواليك هذه الزوجة وقد طعنتها بالظهر حينما طعنت بأبيها ؟ أنا لا أتحدث الآن عن أن الأب والأم على صواب أو على خطأ، قد يكونان على خطأ لكن أنت يجب أن تعامل والد زوجتك وأم زوجتك كما تعامل أباك وأمك.

ينبغي على الزوج ألا يقطع زوجته عن أمها وأبيها ولو كان هناك خطأ:


قطيعة أهل الزوجة مرفوضة

أنا كنت أقول دائماً هناك أب أنجبك، وأب زوّجك، وهناك أب دلّك على الله، فهذا الأب والد الزوجة اعتنى بابنته عشرين عاماً، اعتنى بحجابها وثقافتها، ثم قدمها لك هدية له حق عليك.الأستاذ علاء: سيدي من يسمع الآن ويشاهد قد يتساءل وهو يمارس هذه المسألة أنني أنا منعت زوجتي من زيارة أهلها،

أبيها، أمها، نتيجة تصرفات هذه التصرفات أنا جعلت من منع الزيارة كحرز ماذا نقول له ؟

أزور أهلها وأنا معها، هو يتوقع توجيهات معينة سوف تبث من قبل الأم لزوجته الحل أنا أزورهم كل أسبوع أنا وهي معاً، لن يستطيعوا في حضرتي أن يقولوا شيئاً، هذا حلّ، لا ينبغي أن أقطعها عن أمها وأبيها ولو كان في خطأ، الخطأ يصحح، الخطأ يعالج، أما مبدأ قطيعة الأم عن أمها وأبيها خطأ أكبر من أي خطأ آخر ينتج عن اتصالها.

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع:



هذه حالة أخرى، قالوا: دع خيراً عليه الشر يربو. قالوا: درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، هذه حالة خاصة إذا يمكن أن تكون هذه الصلة سبباً لفساد بيتك، يجب أن تقنع زوجتك أولاً بأن هناك خطر من زيارتك لأهلك، البطولة بالإقناع القمع لا يجدي، أنا أرى دائماً الأزواج إما أن يقمع وإما أن يقنع، البطولة أن تقنعها أن هذه الأفكار تفسد علاقتنا، تفسد بيتنا، تفسد تربيتنا لأولادنا، تفسد سعادتنا، تفسد سلامتنا، نحن لسنا مكلفين أن نكون أوصياء على الآخرين، فأنت حينما تقنع زوجتك وأنا أرى في الأعم الأغلب إذا كان الزوج محسناً لزوجته تقنع بكلامه، وتستجيب له، وهي تبادر فإذا جاءت المبادرة منها المشكلة خفيفة جداً، أنا كل ما جئت إليكم أفسدتم علاقتي مع زوجي، أنا سأبتعد عنكم قليلاً بالهاتف أطمئن عن صحتكم بالهاتف ممكن، طبعاً هذه حالة نادرة.

الإدارة تقتضي أن تقنع الذين حولك لا أن تلزمهم بما تريد:


شارك الآخرين في اتخاذ القرار بدل من فرضه

أريد دائماً، علموا ولا تعنفوا، أنا مع الإقناع ولست مع القمع، أحياناً الإله العظيم لما أمرنا أعطى التعليمات، سر في التربية رائع:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)﴾

(سورة البقرة)

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (103) ﴾

(سورة التوبة)

المطلق الذي كن فيكون، زل فيزول، أعطاك الأمر مع التعليل، أنت لا تعطي الأمر من دون تعليل، أنت لما تعطي التعليل تجعل الطرف الآخر ما هو مأمور تجعله شريكاً بالقرار، بطولة القيادة الذكية في المدارس، في الجامعات، في المؤسسات، من إدارة الأعمال أن تجعل هذا الذي معك شريكاً لك في اتخاذ القرار لا تجعله متلقياً للقرار، يوجد فرق كبير جداً، أنت إذا بينت له المشكلة، وأبعادها، والأخطار الناجمة عنها، تبنى معك هذا القرار، ونفذه عن قناعة، ونفذه بكرامة، ونفذه بروحه لا بنصه، فأنا أعد الإدارة تقتضي أن تقنع الذين حولك لا أن تلزمهم بما تريد.

هذا إذا كان من الزوج، وهذه الصور غالبة على أن تكون من الزوجة تجاه عائلة زوجها، هنالك تسمح لي أن أبحث بالتعبير العامي زوجة قاطوعة، يعني تقطع زوجها عن أهله، وتكسر رجل أهل زوجها عن البيت، ماذا نقول في هذه الحالة ؟

الزوجة العاقلة تسعى لتكون العلاقة بين زوجها وأهله علاقة طيبة تنعكس عليها استقراراً:



تخسر زوجها، لأن الإنسان حينما يعق أهله يضطرب، هذا يعود عليها، الزوجة العاقلة تسعى لتكون العلاقة بين زوجها وأهله علاقة طيبة، إن هذه العلاقة الطيبة تنعكس عليها استقراراً وراحة نفسية، فإذا جهدت في قطع زوجها عن أهله اضطرب الزوج لم يعد طبيعياً، أصبحت ردود فعله قاسية جداً، صار لأتفه سبب يثور، عنده خلل داخلي، أحياناً نجد في خلل داخلي عميق جداً قد لا ننتبه له وراء قسوتنا، وراء التطاول، وراء الكلمات القاسية، وراء الاضطراب، وراء سرعة اتخاذ القرار، هذا كله وراءه اضطراب داخلي، الإنسان لو كان عنده صحة نفسية، متوازن هادئ، قراره هادئ، تصرفه معقول، ردود فعله معقولة، متزنة، أما لما أنا أقطع زوجي عن أهله وأستطيع أن أفعل ذلك لما لي عنده من مكانة ؛ هو يستجيب لي إرضاء لي لكنني أوقعته في اضطراب، أوقعته في انهيار داخلي، ما ينتج عن هذا الانهيار الداخلي من آلام انعكس عليها، أنا أقول من ذكاء الزوجة أن تسعى لحسن علاقة زوجها بأهله، ومن ذكاء الزوج أن يسعى لحسن علاقة البنت مع أهلها مع الضوابط.

من بنت علاقة متوازنة بين الزوج و أهله أبعدت زوجها و أولادها عن العقوق:

هذه زوجة لا تقدر بثمن لكنها ذكية جداً وعاقلة جداً، هذه مبادئ ثابتة بالحياة الزوجية، هذا الابن ليس من شجرة، ليس من الحائط، له أب وأم، له أخوة، فحينما أقرّ بما هو فطري، بما هو طبيعي، بما هو مألوف، أنا أوظفه لمصلحتي.

أكثر مشاكل الأسر تتأتى من تدخل الآباء والأمهات من كلا الطرفين:

الحقيقة إذا كان الأب والأم ناضجين يتركان أولادهما مع أهلهم على ما يريدون، لا يتدخلون، أحياناً تتدخل الأم بوضع الأثاث في بيت ابنها، لها أذواقها، الزوجة أنت عمرك سبعين سنة، هي عمرها ثماني عشرة سنة، لها أذواقها هذا بيتها، تجدها تتدخل في كل شيء، هذا التدخل يخلق مشكلات كبيرة، أنا حينما أتدخل ألغي شخصية الزوجة لماذا قال الله عز وجل دقق أستاذ علاء:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ (1) ﴾

(سورة الطلاق: الآية1)



لماذا عزي البيت في القرآن للزوجة مع أنه ملك الزوج ؟ عزي إليها إشرافاً، الزوج يحقق ذاته في عمله، له مجالات عديدة يحقق ذاته فيها، أما الزوجة أين تحقق ذاتها ؟ في بيتها، في ترتيبه، في تنظيمه، في إدارته، في مملكتها، لذلك نسب البيت في القرآن الكريم إلى الزوجة لا نسبة تملك بل نسبة إشراف، فأنا أرى أن الأب العاقل لا يتدخل في تفاصيل حياة ابنه مع زوجته إلا إذا كان في خروج عن مبدأ، عن قيمة، عن سمعة عائلة، عن اتجاه، عندئذ تدخله تدخلاً مشروعاً، تدخلاً يشكر عليه، أما له نمط خاص بترتيب الأثاث، نمط خاص بالطعام والشراب، نمط خاص بترتيب البيت، هذه الأشياء لا أتدخل بها.

الزوجة العاقلة ترضي أهلها من طرف وترضي زوجها من طرف آخر:

أنا بحكم عملي في الدعوة أكثر مشاكل الأسر تتأتى من تدخل الآباء والأمهات من كلا الطرفين.

أحياناً أقرباء الزوج، أحياناً أقرباء الزوجة، الأم أحياناً، أستاذ علاء عند الإنسان حاجة اسمها تأكيد الذات، هي أم، ابنتها تزوجت أصبحت تابعة لزوجها كأنها خسرت .


تدخل الأقارب والأهل يفسد العلاقة بين الزوجين

فحينما تأمر ابنتها أن تفعل مع زوجها كذا وكذا تشعر أنها ما زالت مسيطرة وأن زوج ابنتها بيدها، وأنا أقول البنت غير الناضجة تستجيب لضغوط الأم أو الأب على زوجها فتغدو غبية، هذا البيت بيتك، وهذا الزوج زوجك، وليس من رجل أقدس عندك من زوجك هذا بنص كلام النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل:

((مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال: زوجها، فلما سئل: مَن أعظم النساء حقاً على الرجل ؟ قال: أمه))

[الجامع الصغير عن عائشة بسن فيه ضعف]

فهذا توجيه نبوي، فأنا حينما أرى زوجة عاقلة جداً، مصيرها مع زوجها، سعادتها مع زوجها، تألقها مع زوجها، تتلطف مع أهلها لا تزعجهم لكن لا تستجيب لهم، وقد تسلك طريقاً فيه ذكاء ترضيهم من طرف وترضي زوجها من طرف.

على الزوج ألا يسرف في مدح زوجته أمام أمه:

الإنسان حينما يتقدم بالسن ينشأ حالات أنا أسميها تقلصاً عقلياً، أو أسميها ثبات على شيء غير صحيح، أنا أعذر أب متقدم بالسن أو أم متقدمة بالسن أنا يجب أن أداريها لا أن أجابهها.

أحد أكبر أسباب الخيانة الزوجية هو غياب الزوج الطويل عن البيت:



والله لئلا أكون مبالغاً أنا عندي دراسة مؤصلة وعميقة جداً أنه أحد أكبر أسباب الخيانة الزوجية هو الغياب الطويل، كلمة قاسية وخطيرة، أحد أكبر أسباب الخيانة الزوجية هو الغياب الطويل، المرأة إنسانة أستاذ علاء تريد من يؤنسها، من يلاطفها، من يثني على جمالها أحياناً، من يثني على إدارة بيتها، من يثني على طبخها، من لها غير زوجها، هل لها غير زوجها يقدر وضعها ؟ أحياناً يذهب قبل شروق الشمس، يأتي الساعة الثانية عشرة على الطعام والنوم، هذا إنسان ؟ لا يحكي معها كلمة، لا يسألها عن صحتها، لا عن أولادها، لا يسمع لها، أحياناً النبي عليه الصلاة والسلام سمع للسيدة عائشة فترة طويلة عن أبي زرع وأم زرع، وحدثته عن شجاعته وكرمه، لكنها تأسفت أشد الأسف حينما أعلمته في النهاية أنه طلقها، فكان عليه الصلاة والسلام رفيقاً بها، فقال لها: أنا لك كأبي زرع لأم زرع، غير أني لا أطلقك.

المرأة إنسانة تريد من يؤنسها و يلاطفها:

هذه الزوجة تاركها أنت ثماني ساعات وحدها في البيت، رتبت، نظفت، طبخت، غسلت، اعتنت بأولادها، الآن تنتظر زوجها، لها حاجة عند الزوج أستاذ علاء، حاجة عاطفية، اترك العلاقة الجنسية، هي بحاجة من يقدرها الله يعطيك العافية، الله يخلي لي إياكِ، ماذا تكلفك هذه الكلمات ؟ ترى ملأت قلبها سعادة ولو ربع ساعة، أنا عندي قاعدة إن لم تصغِ إلى زوجتك بالحد الأدنى عشرين دقيقة كل يوم تنشأ مشكلة، لا يتكلم معها و لا كلمة، الجرائد، الأخبار، العشاء، النوم، أهو دابة ؟

مشكلة كبيرة، أحياناً أنت في المكتب اتصل بها الساعة العاشرة كيف حالك يلزمك شيء، اتصال، الحياة كلها ذكاء، إما أن يعيش بذكائه أو بإيمانه، أحياناً سافر يأتي الساعة العاشرة، صارت الساعة الحادي عشر، قل لها إنك متأخر، يوجد سبب قاهر، طمئنها إنسانة تنتظرك، الاتصال ولو هاتفياً، أحياناً تسافر خبرها مرتين ثلاثة، أيام ولا هاتف، أخبرها مرة، يلزمك شيء ؟ كيف الأولاد بخير ؟

الأستاذ علاء:

عندما لا تجد لهذه الساحة العاطفية من زوجها ما يسقيها سوف تبحث عمن يسقيها.

الزواج فن:



والله اليوم اتصال هاتفي أنه بحياته ما تكلم معها كلمة لطيفة، ذهبت إلى الطبيب تكلم معها كلمة لطيفة تعلقت به، سبب تعلقها بالطبيب أنه تكلم معها كلمة لطيفة، هي يجب أن تسمعها من زوجها هذه الكلمة، أستاذ علاء أنا عملي بالدعوة أتلقى مئات الاتصالات واضع يدي على المشكلة، يعني زوج لا يتكلم، ولا ينطق بكلمة طيبة، ولا يبتسم، وكل قسوته وتجهمه لزوجته، وكل نعومته لأصدقائه أو أهله، هذا زوج لن ينجح في علاقته مع زوجته، أنا عندي قصص والله تبكي الحجر والله يندى لها الجبين، إهمال، زوجة صالحة مستقيمة مؤمنة طاهرة تخدمك مالها منك نصيب، تقول لها كلمة طيبة، كلمة ثناء، كلمة محبة، عبّر عن محبتك لها، في مشكلة كبيرة، الحقيقة الزواج فن والذي يسعد بزوجته، أنا أقول الحب بيدك، بيدك أن تصنعه صناعة.

بطولة الإنسان لا أن يكون ليناً فيعصر و لا قاسياً فيكسر:

سهل جداً أن تكون قاسياً، لا تحتاج إلى بطولة، و سهل جداً أن تكون مسيب الأمور، البطولة أن تقع في حيرة تحبك إلى درجة مذهلة وتخشاك إلى درجة مذهلة، أن تمسك العصا من نصفها، دائماً التطرف صعب.


كن معتدلا بعيدا عن القساوة الشديدة أو اللين الشديد

لا تكن ليناً فتعصر أو قاسياً فتكسر، إن أردت أن تطاع فائمر ما يستطاع، فأنت حينما تجاوزت حدها سكت، أعرضت عنها إلى حين، أدبتها أنت من دون سباب، من دون رفع صوت، حينما تجاوزت حدها سكت، سكوتك موقف، رسالة، انتبهت هي، وحينما تجاوزت أنت حدك معها همدت لم تتكلم أيضاً رسالة، يمكن أن أبعث رسالة وأتلقى رسالة من دون كلام، فلما هي تتجاوز حدها سكت أنت لك مكانتك وهناك خطوط حمراء، ولما هي تتجاوز حدّها أيضاً هناك خطوط حمراء، أنا لما أرى مودة أقابل المودة بمودة، وجدت في تجاوز اعمل طريقة معينة، أبلغ رسالة، دائماً التساهل سهل والقسوة سهلة، بينهما يحتاج إلى جهد كبير ودائماً الفضيلة وسط بين طرفين.

الغياب الطويل سبب أساسي في الشقاق الزوجي:

قد ينتهي إلى خيانة أحياناً، إذا لم يكن هناك روادع دينية، لا يوجد قيم أخلاقية، إذا في تربية غير عميقة، هو في تفلت شديد وغائب عن البيت ليلاً نهاراً يكون هو السبب في هذه المسألة.

أسرار الزوجية لا يمكن أن يفضى بها دائماً:

شيء مؤلم إلى درجة غير معقولة أن تكون أسرار الزوجية على كل لسان، في زوجة فضاحة، في زوجة ستيرة، والنبي عليه الصلاة والسلام أثنى على الزوجة الستيرة وصف المرأة المؤمنة بأنها ستيرة.



يوجد للبيت حرمة، أنا أرى أن هناك أسرار يجب ألا يعلمها أحد، لا أم الزوجة ولا والد الزوجة ولا أم الزوج ولا والد الزوج، هذه أسرار يجب أن تبقى في البيت، فكلما كان الزوجان على فهم عميق وعلى نضج كبير جعلوا منطقة من المعلومات لا يمكن أن يفضى بها.

الاحترام المتبادل بين الزوج و الزوجة مطلوب دائماً:



أحياناً تؤدب ابنك بدافع محبتك له، ورحمتك، وحكمتك، وفضلك عليه، يقبل هذا التأديب وقد يبقى على مودة عالية معك، أما إذا أهنته أمام صديقه يمكن المشكلة ضرب مليون صارت، هذا مبدأ عام أنا أرى أن توجه للزوجة كلمة قاسية أمام أهلها، أو أمام أقربائها، أو أمام أولادها، أو أمام بناتها، هذا عمل خطير جداً، هذا عمل يسبب مضاعفات كثيرة، كما تفضلت قبل قليل يرضها رضاً عنيفاً، يزلزل كيانها.

لذلك الإنسان يجب أن يحترم الآخر، الإنسان لا يعيش بالخبز فقط، كلمة السيد المسيح ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، أنا أحضر أكل طيب، تتمنى منك كلمة طيبة وأن تحترمها وأن تأكل أخشن الطعام، أستاذ علاء الإنسان بحاجة إلى أن يأكل حفاظاً على وجوده الفردي، بحاجة إلى زوجة حفاظاً على النوع، هو بحاجة إلى كرامته أن تكون مصونة، بحاجة إلى تأكيد الذات، بحاجة إلى أن يعيش حياة فيها احترام متبادل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-8) : الكذب أحد أسباب الشقاق الزوجي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عدم اجتماع الإيمان مع الكذب:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.



هناك أشياء متناقضة، وهناك أشياء متعاكسة، المتعاكسة تجتمع والمتناقضة وجود أحدها ينقض وجود الآخر، أنا ممكن أطلي الجدار بأبيض وأسود كالنمط الشامي القديم، فالأبيض والأسود يلتقيان ويجتمعان في جدار واحد، لكن الضوء والظلام لا يجتمعان وجود الضوء يلغي وجود الظلام، ووجود الظلام يلغي وجود الضوء، أؤكد لك بكل صراحة وبكل إصرار أن الإيمان والكذب لا يجتمعان الدليل ورد في بعض الأحاديث:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

هناك مؤمن أنيق جداً، مؤمن أقل أناقة، مؤمن اجتماعي، مؤمن يميل إلى الجلوس في البيت، مؤمن مرح، مؤمن يأخذ وضع الهيبة الزائدة، هذه كلها طباع مقبولة:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

فإذا كذب وخان ليس مؤمناً أصلاً.

الكذب يهدم الثقة بين الزوجين:



لذلك ما من شيء يهدم الثقة بين الزوجين، الإنسان يعيش بالثقة، الثقة كنز، أحياناً إنسان يكون غنياً بثقة الناس به، تكون الزوجة قوية شخصيتها كثيراً لأن زوجها واثق بها، كلامها عنده لا يتطرق إليه الشك إطلاقاً، فأية زوجة تبدأ بالكذب تنتهي عند زوجها، وتنتهي عند أولادها، وتعلم أولادها الكذب، لا بالتلقين بل بالممارسة وهذا أخطر من التلقين.

لذلك الزوجة التي تكذب تخسر زوجها، والزوج الذي يكذب يخسر زوجته، والكذب معول يهدم السعادة الزوجية، لكن في استثناء لو أنها سألته أتحبني ؟ وكان حبه لها ليس كاملاً فاتراً، ما كل بيت يبنى على الحب الجامح، الحب الصاعق، فإذا قال لها وأكد لها أنه يحبها من أعماق أعماقه هذا كذب لكنه مطلوب، هي تطمئن على محبته لها، طبعاً النبي عليه الصلاة والسلام له وضع آخر سألته السيدة عائشة: كيف حبك لي ؟ يقول لها كعقدة الحبل، تسأله من حين لآخر: كيف العقدة ؟ يقول: على حالها.

هذا وضع ثان لا علاقة له بموضوعنا، موضوعنا إذا ما كان الحب كما ينبغي هو عبّر عنه كما ينبغي يكون ذكياً جداً، يكون حكيماً جداً، لو أنه سألها أتحبينني ؟ هو زوجها وأبو أولادها يقدم لها كل شيء، والحياة فيها متاعب، وفيها ابتلاءات، فقالت والله أحبك من لي غيرك، ما كذبت عند الله مع أن الواقع ليس كذلك، لكن أنا أتألم ألماً شديداً ممن يفهم الكذب على الزوجة بالأسعار، تكشفك، تطلع كذاب، ليس هذا المجال، أحياناً تحب أن تطمئن على محبتك لها، طمئنها، وأحياناً يحب الزوج أن يطمئن على محبة زوجته له. الأستاذ علاء: كأن جرت حادثة لسيدنا عمر.

من أنجب أولاداً عليه أن يضع حظه تحت قدمه من أجل أولاده:



سيدنا عمر قال ما كل بيت يبنى على الحب، في بيت يبنى على المصلحة في أولاد، نريد أن نربي أولادنا، نعلمهم، يصبحوا أبطال المستقبل، هذه رسالة، أنا أقول دائماً كلمة حينما ينجب الزوجان الأولاد يجب أن يضعا حظوظهما من بعضهما تحت قدميهما، حينما ينجبان الأزواج الأولاد ينبغي أن يضعا حظوظهما من بعضهما تحت أقدامهما من أجل أولادهما، أنا أقول كلمة أخرى من خلال معاناة طويلة في الدعوة ما رأيت طلاقاً حلت به المشكلة، بل بدأت به المشكلة طبعاً إذا في أولاد، أنا أقول إذا ما في أولاد موضوع ثان، بل بدأت به المشكلة، فلذلك ما كل بيت يبنى على الحب الصارخ، قالوا لو أن روميو تزوج جوليت لطلقها بعد حين.

الحب الجارف الصارخ إذا استمر بين الزوجين توقفت الحياة:



لي رأي ثان لو أن هذا الحب الجارف الصارخ يستمر تقف الحياة، لحكمة بالغة بالغة الحرارة بين الزوجين بالخطبة معقول لكن على طول ليس معقولة، نريد أن نبني حياتنا، نربي أولادنا، نشتغل، نعمل إنجازاً للأمة، يصبح عندك أهداف ثانية، الحب موجود أما الحب المتأجج هذا مستحيل يستمر.

من كذب مرة فقد مصداقيته دائماً:

إذاً الكذب يهدم السعادة الزوجية، ما عاد واثقاً منها، المشكلة أن الإنسان يكذب مرة، لكنه أفقد مصداقيته صار لو صدق مليون مرة يتهم بالكذب، هذه مشكلة، إنسان كذب مرة أخذت عنه أنه يكذب، الآن تكلم صواباً في شك، لا يوجد تأكد، عندما يتكلم الإنسان كلاماً غير مصدق هذه مشكلة كبيرة جداً، هو السبب فضلاً، عن تعليم الكذب للأولاد.

أنا أقول لكل إنسان في مؤسسة اقتصادية أنا أتحمل من موظف عندي آلاف الأخطاء، لكن لا أدعه عندي دقيقة لو كذب أو خان، إذا كذب انتهى، ممكن أتحمل منه آلاف الأخطاء، ما دام في خطأ مبرر في سوء خبرة، سرعة اتخاذ قرار كله مقبول أما إذا كذب قصداً أو خان انتهى.

الصدق مفتاح النجاة:



الصدق منجاة، أحياناً يتوهم الإنسان أن الصدق يعمل له مشكلة كبيرة، الصدق يكون مفتاح النجاة، الصدق له تأثير السحر.

((إنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إلي البِرِّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنةِ، وإن الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يُكتَب [عند الله] صِدِّيقا، وإن الكذبَ يهدي إلى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يهدي إلى النارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليكذبُ حتى يكتبَ عندَ اللهِ كذَّابا))

[أخرجه البخاري، ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صحيح]

التألق عند الزوجة مبعثه وشحنه من الزوج:


تتألق الزوجة بسبب زوجها

أكاد أقول إن الرجل يوجد بحياته فصول عديدة منها زواجه، منها عمله، منها دعوته، منها اختصاصه، منها دراسته، ومع أن المرأة لا تقل عنه إطلاقاً لكنها لحكمة بالغة بالغة الزواج عندها كل فصول حياتها فإذا خطبت نجحت في الحياة، وحينما يهددها الزوج بالطلاق أو بزوجة أخرى وهو لا ينوي ذلك يقع في حماقة كبيرة، لأنه خسرها من دون أن يكسب شيئاً، أصبحت قلقة، صدق أحياناً الزوجة تكون متألقة جداً وجميلة جداً إذا كانت مطمئنة إلى محبة زوجها إليها، وأحياناً تظهر عوامل القلق على محياها لوناً باهتاً، تكون لها لون متألق جداً يبهت لونها حينما تفقد ثقتها بزوجها، هي إنسانة تتألق وتكمد، تتألق وتتراجع، فأنت حينما لا تفكر بالزواج من غيرها ولا تفكر بطلاقها لماذا تمزح هذا المزاح ؟ أليس هذا المزاح حماقة ؟ في ألف موضوع.

الأستاذ علاء: التألق عند الزوجة مبعثه وشحنه من الزوج.

الزوجة هدية الله لك عليك أن تشعرها بأنك لن تتخلى عنها أبداً:


زوجتك هدية الله لك فحافظ عليها

أنا حدثني أخ، أقول أخ تجاوزاً، كل حياته يهدد زوجته بالطلاق، قلت له إما أن تفعل أو اسكت. يا أخي طلق أو اسكت، أما لا طلقت ولا تزوجت غيرها أنت أفقدتها الثقة فيك، حالة اضطراب دائمة، صدق شاب يتزوج زوجة رائعة، مستقيمة، من بيت أصيل، تربيتها عالية، لا يحلو له من أنواع المزاح إلا الزوجة الثانية أو الطلاق، في مليون موضوع للمزاح، كأنه يعرف المنطقة الحساسة عندها يحب أن يستفزها، أمنها أنا لا أتخلى عنك مدى الحياة، دعها تشعر أنها هي أحد أركان البيت، هي شريكة حياة، لا تطلق المرأة إلا

للريبة بسبب كالخيانة الزوجية أما للأسباب تافهة هذه أم أولادك، هذه هدية الله لك، هذه قدرك عند الله وأنا أقول كلمة بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى، لذلك قال تعالى:

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة الآية: 269)

وسائل الإعلام تطرح أحياناً قيماً لا ترضي الله عز وجل:


المسلسلات تسبب هدم البيوت لأنها تعطي صورة كاذبة عن الحياة

أنا أنقل كلمة قالها أحد كبار النقاد في الأدب العربي قال: يحق للأديب (طبعاً العمل التمثيلي عمل فني والقصة فن والمسرحية فن والمقالة فن) قال: يحق للأديب أن يصور الرذيلة (مسموح له، جزء من مهمته)، لكن على نحو نشمئز منها، نحتقرها، أما إذا صورها على نحو نعجب بها .

أحياناً أسرة متفلتة فيها كل المعاصي والآثام، بيت فخم جداً، امرأة جميلة جداً، متبذلة جداً مع أصدقاء زوجها، ما في عندها شيء محرم، همها أناقتها، همها زينتها، همها متعتها، همها أن تفتخر بزوجها، هكذا رأت بالأفلام، هي عندها زوج مستقيم منضبط له مبدأ، عندها خمسة أولاد، طبعاً الإنسانة حينما تتخلى عن أهدافها النبيلة في الحياة قد تكون متعة رخيصة للآخرين، حينما نتابع هذه الأفلام الهابطة التي تزين الانحراف والرذيلة والتفلت ما الذي يحصل ؟ هذا يعد المثل الأعلى، أي إنسانة توازن نفسها مع إنسانة بيت فخم أربعمئة متر مثلاً، صالونات، غرف جلوس، وفي خادمين أو ثلاثة، وحدائق، هي عندها بيت خمسة وخمسين متر، كرهت زوجها، كرهت دخله، كرهت أولادها، فأحياناً المسلسلات لها آثار سلبية كبيرة جداً تعطي صورة كاذبة غير صحيحة، كل منا سافر إلى بلاد الغرب، الحياة بسيطة جداً، بيوت عادية جداً، فأحياناً هذه الأعمال الفنية تسبب، وهناك شيء أخطر الشيء الآخر أنها تطرح قيماً لا ترضي الله عز وجل، تطرح قيماً أقسم لي رجل أنه تابع مسلسلاً قال

ثلاث عشرة خيانة زوجية في المسلسل الواحد، ماذا تفعل مع المشاهدات والمشاهدين ؟ مشكلة كبيرة في قيم هي هويتنا، هي سبب تقدمنا، أنت حينما تحطم هذه القيم في مسلسل، أنت حينما تزدري هذه القيم، أنت حينما تصور من يحمل هذه القيم إنسان محدود، غبي، غير متألق، أنت حينما تطرح من يحمل هذه القيم بهذا الشكل تكون أعلنت حرباً على القيم التي نؤمن بها جميعاً، مشكلة كبيرة.

ينبغي على كل كاتب أن يصور الرذيلة كمرض اجتماعي نشمئز منه:

إذا صورت الرذيلة على نحو نعجب بها، ونقدر أصحابها، ونطرب لها، صدق ولا أبالغ تتمة النص، فإن مجتمعاً بأكمله يمكن أن ينهار من خلال هذا الفن.

ينبغي أن أصور الرذيلة كمرض اجتماعي، أنا أديب، كاتب مسرحي، كاتب سيناريو، على نحو نحتقرها، ونشمئز منها، ولا نلتفت إليها، يكون عالج الموضوع معالجة حقيقة، لو أنت صورت إنساناً سارقاً كيف يعيش ؟ نوع سيارته، ما الذي فعلت مع المشاهدين ؟ رأيت السرقة طريقاً إلى المجد، هذه مشكلة كبيرة جداً، يجب أن تريني إنساناً مستقيماً متألقاً.

ما يأتينا من الفضائيات أخطر من الغزو الثقافي:



الدكتور راتب: والله أكاد أقول أستاذ علاء هذا الذي يأتينا من الفضائيات، من فضائيات ليست منضبطة إطلاقاً والله أخطر من الغزو الثقافي بالضبط، الأمة بقيمها، بمبادئها، الأمة تتماسك بهدف نبيل تسعى إليه كيف تبني الأمة ذاتها ؟ من خلال منظومة قيم، فإذا حطمتها قيمة قيمة، هناك فضائيات تطرح الدجل والشعوذة والسحر هذه خطيرة جداً، الطروحات كلها غير علمية.

كنت في ألمانيا قبل أيام أثر هذه الندوة رائع جداً في الجاليات السورية في جميع أنحاء ألمانيا.

الجهل بالثقافة الجنسية الشرعية المنضبطة من القضايا التي تفرق بين الزوجين:

الأساسية، نعم، ذلك أن الله عز وجل أودع في الإنسان حاجة إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده، وأودع فيه حاجة أخرى حاجة إلى الجنس حفاظاً على النوع، وهو حاجة أساسية متغلغلة في أعماق الإنسان، وحاجة أساسية متغلغلة في أعماق المرأة والرجل، الحديث عنها أو عدم الحديث لا يلغيها، هي موجودة وصارخة، الدليل:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

يا ترى إلا تفعلوا ألغيت هذه العلاقة بين الذكر والأنثى ؟ لا تلغى، تأخذ طريقاً منحرفاً، تأخذ طريقاً شاذاً، تأخذ طريقاً سفاحاً لا نكاحاً:

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوه تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ ﴾

هذا دافع متغلغل بأعماق الإنسان، فالإنسان حينما يكون أنانياً في علاقته الجنسية مع زوجته، وينصرف عنها قبل أن تقضي حاجتها كما وجه النبي ﷺ، هذا الدين الإسلامي منهج تفصيلي يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، فإذا انصرف عنها قبل أن تقضي حاجتها حرمها حقها الطبيعي، وإذا لم تلبِ حاجته وهو بحاجة إليها حرمته حقه الطبيعي، كم من بيت ينهار لأن الزوجة لا تلبي حاجة زوجها الجنسية، وكم من بيت ينهار لأنه لا يلبي حاجة زوجته الجنسية.

أكبر أسباب نجاح الزواج العلاقة الجنسية المتوازنة الطبيعية:

لو إنسان قرأ الشرع التفصيلي لرأى فيه ما يغنيه، لو اشترى أي كتاب منضبط في العلاقة الجنسية لقرأ فيه توجيهات رائعة جداً، الله عز وجل في القرآن الكريم قال:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ (223) ﴾

(سورة البقرة)

أنا أقول في جنس البهائم وفي جنس الإنسان، جنس البهائم من دون مقدمات.

جنس الإنسان مع مقدمات:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ (223) ﴾

(سورة البقرة)

وأنا قرأت كثيراً في كتب علم النفس أن أحد أكبر أسباب نجاح الزواج العلاقة الجنسية المتوازنة الطبيعية، التي تحقق هدف كل واحد من الطرفين، هذا شيء لابد من ذكره والنبي ذكره، النبي ﷺ ما أخفى.

النبي ﷺ زوجاً ناجحاً جداً علمنا النجاح حتى بالعلاقة الجنسية:

أبدأ بالقرآن:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ (223) ﴾

(سورة البقرة)

وكان النبي ﷺ زوجاً ناجحاً جداً، وعلمنا النجاح حتى بالعلاقة الجنسية، ومنهجنا كما قلت قبل قليل يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية.

هذا كله مطلوب أي كتيب صغير بالمكتبات ممتلئة به عن العلاقة الجنسية بين الزوجين، كتاب منضبط طبعاً، سيجد فيه كل التوجيهات التي ينبغي أن تكون بين الزوجين.

أحد أكبر أسباب الشقاق الزوجي إخفاق العلاقة الجنسية، من كليهما، أو من أحدهما، أو عدم اهتمام الطرف الأول بالطرف الآخر، زوجاً كان أو زوجة.

عدم اهتمام الطرف الأول بالطرف الآخر يعد عدواناً بحقهما:



والله تتزين له بأبهى منظر ولا ينظر إليها، أو بأمس الحاجة إليها تغيب عن البيت، تنشغل بأولادها قصداً، طبعاً هذا التصرف أنا أعده عدواني على الزوج، والزوج حينما يهمل زوجته عدوان على الزوجة، وهذه ناحية خطيرة جداً أنا أشكرك على أنك جرؤت وتكلمت بها.

والله حينما تستطيع الزوجة أن تلبي حاجة زوجها ليس الحاجة الجنسية فقط حاجة زوجها إلى أن تكون أنيقة (الروحية) متزينة، أن تكون أنيقة، أن تلبس ثياباً عصرية يراها بالطريق، والله هي في أعلى عبادة، الصحابية كانت قبل أن تصلي قيام الليل تقول له ألك بي حاجة ؟ تستأذنه، لأنها حينما تعبد ربها وتهمل حاجة زوجها إنها تعتدي عليه فحتى يقبلها الله في الصلاة يتجلى على قلبها تسأله قبل أن تصلي الليل ألك حاجة بي ؟ هكذا الصحابيات

((دَخَلَتْ عَلَيَّ خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةُ، وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَذَاذَةَ هَيْئَتِهَا، فَقَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ، مَا أَبَذَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ ! قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا، وَأَضَاعَتْهَا، قَالَتْ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ))

[أحمد عَنْ عَائِشَةَ]

((وجاءت في اليوم التالي عطرةٍ نضرة، فسألتها السيدة عائشة، ما الذي حصل ؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس))

[الطبراني عن أبي موسى الأشعري]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-8) : العلاقة المتبادلة بين النجاح الخارجي والفشل الداخلي أحد أسباب الشقاق الزوجي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

النجاح لا يمكن أن يسمى نجاحاً إذا كان جزئياً:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصاد الوعد الأمين. أستاذ علاء جزاك الله خيراً على هذا الموضوع، من الثابت أن النجاح لا يمكن أن يسمى نجاحاً أصلاً إذا كان جزئياً، لأن هناك أركان أربعة في حياة الإنسان، علاقته مع ربه، معرفة، انضباطاً، تقرباً، إحساناً لخلقه، سيدنا عيسى بالقرآن الكريم ورد على لسانه:

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ (31) ﴾

(سورة مريم)



حركة نحو الله عز وجل، تعبداً ومحبة وإقبالاً وانضباطاً وتفانياً وإخلاصاً وتوكلاً وحركة نحو الخلق إحساناً، وكأن هاتين الكلمتين لخصتا الدين كله معرفة بالحق وإحسان إلى الخلق، فأول محطة كبيرة جداً في حياة الإنسان أن يعرف ربه، فإن عرفه عرف كل شيء وإن سلمت عبادته سلم كل شيء، لذلك هذه المحطة الأولى، لكن هو إنسان يعيش في بيت له زوجة شريكة حياته، له أولاد جزء منه، قدره شاء أم أبى، زوجته وأولاده المحطة الثانية، المحطة الثالثة عمله، مكان رزقه، كسب رزقه، تأكيد شخصيته، تفوقه في الحياة، المحطة الرابعة صحته، النقطة الدقيقة جداً أن أي خلل في أحد هذه المحطات الأربع ينسحب على المحطات الثلاث ولو أنه من الممكن أن يكون خللاً في إحداها دون أن يؤثر على البقية أقول هناك نجاح جزئي،

لو أن بالإمكان أن خلل في علاقة الإنسان مع ربه، أو خلل في علاقته مع أهله وأولاده، أو خلل في علاقته مع عمله أو مع صحته، إن كان الخلل في إحدى هذه المحطات لا ينسحب على المحطات الأخرى أقول يمكن أن نسمي النجاح جزئياً إذا كان النجاح جزئياً يمكن أن نسميه نجاحاً، ولكن اعتقادي الجازم مع التجارب والتأكيدات العلمية أن أي خلل في أحد هذه المحطات سينسحب على المحطات الأربع.

من ساءت علاقته مع ربه ساءت علاقته مع كل الناس من حوله:



إن ساءت علاقة الإنسان بربه لن يكون أخلاقياً في بيته، لن يكون مربياً يبحث عن لذته، ردود فعله قاسية جداً، يهمل أولاده، لا يقيم لزوجته مكانة إطلاقاً، لو أهمل علاقته مع ربه لن يتقن عمله، لن يخلص في عمله، ما الدافع إذا أخلص العمل، لابد من دافع.

أخلاقية، لو أن علاقته مع ربه ساءت لماذا ينضبط في طعامه وشرابه وبعض ما أباح الله له من شهوات ؟ لا ينضبط بها يتفلت، لو أن العلاقة مع الله اختلت لاختلت علاقته مع زوجته وأولاده وبيته وعمله وصحته، لو أن علاقته مع صحته اختلت، صحته وعاء حياته، وعاء عمله، لا يقوى على العبادات، لا يقوى على العمل الصالح مثلاً لا يقوى على أداء واجباته، لو أنه في بيته بأعلى درجة وفي عمله مهمل فسمع كلمات قاسية من مديره أزعجته لأشهر عديدة، هذا الذي وصلت إليه من خلال تجربة طويلة أن المحطات الأربع يجب أن تكون كاملة حتى نسمي هذا الإنسان ناجحاً في حياته، النبي ﷺ أشار إلى هذه الناحية:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

أخلاق الإنسان الحقيقة لا تعرف إلا في بيته:



الإنسان خارج بيته يمكن يعتني بثيابه من أجل انتزاع إعجاب الآخرين، من أجل تحقيق نجاح في عمله، من أجل تحقيق نجاح اجتماعي، أما في بيته ما في رقابة عليه فأخلاقيته الحقيقية في بيته هذا ما قاله النبي ﷺ:

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً،

((أكرموا النساء، فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي بسند فيه مقال كبير]

فأنا حتى أسمي فلان ناجح في حياته لا بد من أن أؤكد أن النجاح يجب أن يكون شمولياً، يسافر ليكسب مالاً غاب عن أهله سنة من دون تربية لأولاده، في الطرقات مع رفاق السوء، زوجته متفلتة مع الجيران والأحاديث الفارغة، رجع وجد بيته مهدماً، معه أموال طائلة ما قيمة هذا المال على بيت مهدم ؟ لذلك قضية النجاح يجب أن يكون شمولياً.

من لم يكن فيه خير لمن أنجبه لن يكون فيه خير لأحد:


علاقة معظم المسلمين مع آباءهم هي بر وإحسان

أنا أبني على هذه الملاحظة الطيبة والعميقة أنك لا تشارك عاقاً لوالديه، إن لم يكن فيه خير لمن أنجبه لن يكون فيه خير لأحد.

نحن بفضل الله ثقافة المسلمين الاجتماعية بعلاقتهم مع أمهاتهم وآبائهم عالية جداً، مرة سافر إنسان إلى بلد غربي رأى شخصاً يقف على نهر السين ساهم قال ما الذي تتمناه ؟ قال أن أقتل أبي، قال لما ؟ قال أحب فتاة فأخذها مني.

نحن يبيع بيته في الشام يسكن خارج دمشق حتى يزوج أولاده، الأب عندنا سعادته الكبرى أن يهيئ لأولاده مستقبلاً، عندنا علاقات أسرية عالية جداً.

الموقف العلمي للإنسان أن يذكر الإيجابيات و السلبيات حتى يكون موضوعياً:



كن موضوعيا واذكر إيجابيات وسلبيات الأمور

أنا أتألم تألماً بالغاً مما يسمى الآن بجلد الذات، أحياناً بكل مجلس نذم أنفسنا، نحن عندنا حضارة، عندنا مبادئ، عندنا قيم، عندنا تماسك أسري، عندنا حب، عندنا رحمة بقلوبنا، فإذا إنسان شاهد تقصيراً في بلاده عن بعض البلاد المتطورة جداً لا ينسى النواحي الإيجابية، الموضوعية إن ذهبت إلى الغرب اذكر محاسنهم ومساوئهم حتى تكون موضوعياً، اذكر تبادل الزوجات، الإباحية، الشذوذ، اذكر كل هذا وإن جلست في بلدك اذكر النقائص والإيجابيات، هذا هو الموقف العلمي.

أنا الذي أؤكد عليه أننا حضاريون بقيمنا والغربيون متطورون جداً لكنهم بعلاقتهم مع الشعوب الأخرى ليسوا حضاريين، فنحن حضاريون لكننا لسنا متطورين كما ينبغي، أما الطرف الآخر متطور تطوراً مذهلاً لكن في العلاقات العامة متوحش.

شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم:



آية كريمة دقيقة جداً قال تعالى:

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) ﴾

(سورة طه)

الآية جاءت بالفعل (تشقى) بالضمير المفرد، أما بحسب السياق اللغوي: ولا يخرجنكما من الجنة فتشقيا، استنبط علماء البلاغة أن هذا إيجاز بليغ لأن شقاء الرجل شقاء حكمي لزوجته، أنا أبني على هذه الملاحظة هذه القاعدة، شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم، كنت مرة في أمريكا لإلقاء محاضرة قلت لو بلغت أعلى منصباً في العالم ككلينتون (وقتها كان كلينتون)، وثروة كثروة أوناسيس، وعلماً كعلم أينشتاين، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس.

أنا حينما أرى أباً ناجحاً في حياته، أولاده متفلتون، يأتون بعد الساعة الثانية ليلاً لا يجرؤ أن يسألهم أين كنتم ؟ أنا أرى أن هذا الأب أشقى الناس قاطبة، ما لم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس هذا المعنى القرآن الكريم أشار إليه بدعاء:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ (74) ﴾

(سورة الفرقان)

من كان له ابن صالح هذا الابن أفضل من أموال الدنيا كلها:


الابن الصالح خير من كنوز الأرض

والله السعادة التي يمتلئ بها قلب الأب حينما يرى ابنه صالحاً أقسم بالله تزيد عن الوصف، بالمقاييس المادية لو معه مليار دولار إن كان ابنه صالحاً والله هذا أغلى من الثروة، الناس الآن في أول حياتهم يهملون أولادهم، يكتشفون بعد حين أنهم خسروهم.

زارنا عالم متخصص بصناعة القيادة قال إن لم ترعَ ابنك من السنة الأولى وحتى السابعة بعد هذا التاريخ قد لا تجدي التربية، كيف الأولى ؟ يعني أطعمت الصغير عمره ثلاثة أشهر، بالشهر الثالث أطعمته وسقيته ونظفته وبكي فحملته، لما حملته عودته أن يتخذ البكاء وسيلة لإزعاجك.


العادات الجيدة التي نعلمها للأبناء تبقى معهم دائما

ينبغي ألا تحمله، فأنت حينما تهتم بابنك من السنة الأولى وحتى السابعة تغرس فيه المبادئ، الصدق، الأمانة، الاعتدال في الطعام والشراب مثلاً، الاعتناء بالأسنان، الاعتناء بالنظافة، ترتيب الثياب، تجد هذه العادات بقيت معه حتى الموت، وترى أكثر البيوت لا يوجد نظام في البيت و لا يوجد ترتيب للأغراض، الغرفة كلها فوضى، بالطعام لا يوجد نظام، بالشرب لا يوجد نظام، بالعلاقات لا يوجد نظام، هذه الأمراض الطفيفة بالبداية تتفاقم، يصبح البيت قطعة من الجحيم.

فلذلك أنا أظن أن الأب يظن أنه لما تزوج دخل في عالم آخر فيه متعة، دخل في عالم آخر فيه مسؤولية، دخل بأعلى درجة يحاسب عليها عند الله، ورد في بعض الآثار:

لذلك البنت يوم القيامة تقف أمام رب العزة، تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، هو الذي سبب فسادي.

الابن قدر ومهما أهملته يبقى ابنك وتبقى آلامه آلامك وانحرافه يضنيك:

أنا أقول الذي عنده أولاد بحاجة ماسة إلى العناية بهم أولاً بإيمانهم، بأخلاقهم، بصحتهم، بتحصيلهم، بعلاقاتهم الاجتماعية، أما الأب الذي يرى بيته منضبطاً، صدق أستاذ علاء لو كان الدخل محدوداً جداً، والأكل خشن جداً، والبيت صغير جداً، وبحيّ متواضع جداً، وبمساحة قليلة جداً أسعد الناس هذه حقيقة، وفي بيوت قصور قطعة من الجحيم:

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾

(سورة العنكبوت الآية: 41)



خيط العنكبوت، ثبت أنه أمتن من الفولاذ بخمسة أضعاف، الوهن ليس في الخيط في البيت لأن الأنثى تأكل زوجها وتأكل أولادها وهن اجتماعي، بيت فوضوي، بيت فيه شقاق، بيت فيه تمحور، بيت فيه قسم مع الأب وقسم مع الأم، لا في انضباط لا باللقاء و لا بغيره، أنا أنصح الإنسان أن يجلس مع أولاده كل يوم جلسة ولو على وجبة طعام واحدة الحد الأدنى، كما تفضلت شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم، يمكن أن تكون بديهية، يمكن أن تكون مسلماً بها، والله ألتقي بآباء في أعلى درجات النجاح إن سألتهم عن ابنهم تقطع قلبه ألماً، ابنه منحرف، هذا الشيء واقع، أحياناً في قضية صارخة، مُسلّمة لا تحتاج إلى برهان، العلاقة بين الأب والأم علاقة مصيرية، مرة شخص قال لي: إنني أنا مختلف مع والدتي من باب المداعبة قلت

له طلقها، قال ماذا أطلقها ؟ قلت له والدتك قدرك، أنا أقول الابن قدر ومهما أهملته يبقى ابنك وتبقى آلامه آلامك وانحرافه يضنيك.

محبة الأب لابنه محبة الله له ولولا هذه المحبة ما ربى أب ابنه:

كيف يعرفنا الله بذاته العلية، الله عز وجل لا تدركه الأبصار، كيف يعرفنا بذاته ؟ جعل نظام الأبوة مثل بسيط لعلاقة الله عز وجل بعباده، الأب قد يكون صحته طيبة، ووضعه المادي جيد، ليس بحاجة لأولاده، لا إلى مساعدتهم المادية، ولا المعنوية، ولا الاجتماعية، لكن حينما يرى ابنه متفوقاً وصالحاً ومستقيماً لو شققت على صدره لوجدته أسعد الناس، علاقة أخلاقية بلا نفع إطلاقاً، لذلك قال تعالى:

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) ﴾

(سورة البلد)



الله عز وجل أعطانا نموذجاً عن علاقته بعباده بعلاقة الأب بأولاده، من آيات الله الدالة عليه، مرة سيدنا موسى (رمزية) رأى أماً على التنور تقبل ابنها وتضمه وتشمه بين كل رغيفين، قال يا رب ما هذه الرحمة ؟ قال يا موسى هذه رحمتي أودعتها في قلب الأم وسأنزعها، قصة رمزية فلما نزعها وبكى ألقته في التنور.

فهذا الترابط بين الأب وأولاده وبين الأم وأولادها هذه رحمة الله، هذه محبة الله، بعضهم فسر قوله تعالى:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي (39) ﴾

(سورة طه)

محبة الأب لابنه محبة الله له ولولا هذه المحبة ما ربى أب ابنه، والآن والعياذ بالله الدول المتفلتة جداً تربي كلاباً.

استمرار وجود الإنسان بتربية ابنه تربية صالحة:

كله زائل، بابنه، والله مرة توفي عالم جليل في دمشق كان خطيباً في الجامع الأموي، اليوم الثالث أقيم له عزاء في الجامع الأموي، وقف ابنه خطيباً والله بكيت، إذاً ما مات الأب، مادام ترك ابناً صالحاً عالماً يتقن الدعوة إلى الله إذاً الأب ما مات، وأنا أتمنى أن يكون كل ابن استمراراً لأبيه، لأن الإنسان في أعماق أعماقه قد جُبل على حبّ وجوده وعلى حبّ سلامة وجوده وعلى حبّ كمال وجوده وعلى حبّ استمرار وجوده، سلامة وجوده بطاعة الله، وكمال وجوده بالبذل والتضحية في سبيل الله يرقى، والعمل الصالح يرفعه، واستمرار وجوده بتربية أولاده، وأنا أقول بطولة الأب في الأولاد الذين أنجبهم هل كانوا مواطنين صالحين ؟ صادقين ؟ أمناء ؟ أعفة ؟ متفوقين في دراستهم ؟ يتقنون العلاقة مع الناس إتقاناً جيداً ؟ لذلك الإنسان لما يرى ابناً صالحاً، الله يرحم الأب دون أن يشعر.

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

((صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، مسجد، ميتم، مستشفى، مدرسة، عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، ترك مؤلفات وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

من ربى ابنه تربية صالحة كل أعمال ابنه و ذريته بصحيفته إلى يوم القيامة:

في بعض الآثار الدينية أن المتوفى إذا كان له أولاد صالحون تأتيه الخيرات بعد وفاته من أولاده، يدعو له، بصراحة كل أعمال الأولاد في صحيفة الآباء، الدليل:



﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (21) ﴾

(سورة الطور)

قال علماء التفسير: ألحقنا بهم أعمال ذريتهم، ممكن إنسان ينجب ولداً صالحاً وإلى يوم القيامة في ثلاثة ملايين من ذريته مثلاً ولأن الابن صالح اختار امرأة صالحة وربى أولاده وأنجب أولاداً صالحين، وهذه السلسلة ثلاثة ملايين إنسان صالحين كل أعمالهم في صحيفة هذا الأب الذي ربى ابنه الأول، هكذا نظام العطاء الإلهي:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (21) ﴾

(سورة الطور)

على كل أب أن يوجه ابنه:

1 . توجيهاً إيمانياً:



لا بد من أن تعرف هذا الابن بربه لماذا خلقه ؟ ماذا ينبغي أن يفعل ؟ لماذا هناك أمر وهناك نهي ؟ هل أوامر الله تقييداً لحرية الإنسان أم ضماناً لسلامته ؟ الدولة حينما تضع تيار عالٍ ممنوع الاقتراب، هل تريد أن تحد من حركة المواطنين ؟ أن تزعجهم ؟ لا أبداً تريد أن تضمن سلامتهم، في اللحظة التي يفهم فيها الإنسان أوامر الله ضماناً لسلامته يكون فقيهاً، هذا الابن، الأب يجب أن يجلس معه جلسات طويلة، يا بني كسب المال المشروع مفخرة، فما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفة تسري خلالها، الشعور بالحرمان لا أصل له في الدين، تصور إنسان تزوج امرأة صالحة وأنجب ذرية صالحة بيته قطعة من الجنة، وإنسان لبى هذه الشهوة بطريق غير مشروع فسقط من عين الله وعين الناس، ففي فرق كبير جداً فلذلك لا بد من تربية إيمانية، ما سر وجودك ؟ ما غاية وجودك ؟ ما تعريف الحلال والحرام ؟ العمل الصالح ؟ ما الخير ؟ ما الشر ؟ هذه مبادئ قد يرضعها مع حليب أمه، هذه لا تجوز لأن الله نهى عنها هذه تفعل هكذا، الكذب

يفقدك مكانتك في المجتمع، عدم إتقان العمل ينفض الناس من حولك تخسر زبائنك، الأب عندما يوجه ابنه توجيه إيمانياً أولاً.

2 . توجيهاً أخلاقياً:

الآن توجيه أخلاقي الملمح الدقيق:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ))

[سنن الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

الصدق، الأمانة:

((أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ))

[أحمد عن أم سلمة]

الإسلام منهج أخلاقي لكن تربية إيمانية عقدية ثم تربية أخلاقية.

3 . توجيهاً نفسياً:

نريد تربية نفسية، الإنسان كيف يحاسب نفسه (النفس اللوامة) ؟ كيف لا يتكبر ؟ كيف لا يستعلي على الآخرين؟ كيف لا يبني مجده على أنقاض الآخرين ؟ كيف يتواضع ؟ كيف يكون محسناً ؟ هذه كلها تربية نفسية.

4 . توجيهاً اجتماعياً:

الاجتماعية: كيف يعتذر ؟ كيف يتقن عمله ؟ عندنا تربية اجتماعية، كيف يتواصل مع الآخرين ؟ أنا فاجئني مرة أنه في طلب لوظيفة في هولندا يوجد بند عجيب نحن لا نعرفه ؛ أن يصلح للعمل ضمن فريق، في إنسان يتنافس لا يتعاون.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : الحقوق

الدرس (5 – 1) : حق الزوج على الزوجة والعلاقة بينهما

الدرس (5 – 2) : حق الزوج على الزوجة والقوامة له

الدرس (5 – 3) : حق الزوجة على الزوج الإنفاق عليها وعدم الإساءة لها

الدرس (5 – 4) : حق الزوجة على الزوج في هدايتها ورعاية دينها وأخلاقها

الدرس (5–5) : حق الزوجة على الزوج والأحاديث التي تحث على ذلك

الفصل الخامس : الحقوق

الدرس (1 – 5) : حق الزوج على الزوجة والعلاقة بينهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيِّدنا محمَّد الصادق الوعد الأمين، اللهمَّ لا علم لنا إلا ما علَّمتنا، إنَّك أنت العليم الحكيم، اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علماً، وأرِنا الحقَّ حقّاً، وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنَه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة المؤمنون، لا زلنا في الحديث النَّبويّ الشريف، ولا زلنا في باب حقِّ الزوج على المرأة.

أحاديث نبوية في حقوق الزوج على زوجته

الحديث الأول:

ورد في هذا الباب حديثٌ شريفٌ، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

فتنتان لا قبل للإنسان بهما: المال والنساء

الإنسان أحياناً مِن أين يؤخَذ ؟ إذا كان مُستقيماً على أمر الله، أين تزِلُّ قدمه ؟ من أين يؤخَذ ؟ كيف ينتكس ؟ كيف يُحجب عن الله ؟ كيف يتقهقر ؟ كيف يتراجع ؟ كيف يفقد اتجاهه إلى الله في صلاته ؟ كيف يفقد إقباله على الله ؟ كيف يشعر أنَّ عبادته تافهة لا معنى لها ؟ حينما تدخل في حياته امرأةٌ بطريقٍ غير مشروع. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ))

[أحمد]

الإنسان قد يزني بعينه، وقد يزني بلسانه، وقد يزني بأذنه، وقد يزني بيده، فهذه المُخالفات هي حجابٌ بين العبد وربِّه، بل لو سألنا إنسانا سؤالاً آخر: ما هي المزالق الخطيرة في طريق الإيمان ؟ أغلب الظنّ أنّ عامّة المسلمين لا يشربون الخمر، ولا يسرقون، ولا يقتلون، هذه الكبائر التي ذكرها الله عزَّ وجلّ في القرآن الكريم وذكرها نبيّه العظيم في سنّته، هذه الكبائر يبتعد عنها مُعظم المسلمين، ولكن هذا المسلم مِن أين يؤتى ؟ كيف ينتكس ؟ كيف تُصبح صلاته جوفاء ؟ كيف يُصبح صيامه لا معنى له ؟ يؤتى من بابين كبيرين، من باب النّساء، ومن باب كسب المال، لو تتبّعت المعاصي وتكرارها، واتّساع رُقعتها في ساحة النّفس الإنسانيّة، لوجدتَ أن أكبر مساحةٍ يشغلها حبُّ المال، وحبُّ النِّساء، لذلك أكبر مزالق الإنسان من جهة المال ومن جهة النّساء، بل إنّ النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف يجعل المرأة أكبر خطرٍ على الإنسان، بمعنى أن تعصي الله بها، أيّة شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، جعل لها طريقاً مشروعاً، جعل لها قناةً نظيفةً، ربُّنا سبحانه وتعالى يقول:



﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * ﴾

(سورة المؤمنون)

أي مُعتدون، وإنه لعُدوانٌ أن تنظر إلى امرأةٍ لا تحِلُّ لك، وعُدوانٌ أن تُدير معها حديثاً، عُدوانٌ أن تتلطّف في مُحادثتها، هذا الذي يقطعُ عن الله عزّ و جلّ، فحين تقعُ عينك على امرأةٍ لا يحِلُّ لك أن تنظر إليها، وتستمرئ هذه النظرة، هنا بدأ الحِجاب، هذه هي تعليمات الصانع، ما من جهةٍ مؤهلةٍ أن تُقدّم لك التعليمات الصحيحة إلا الصّانع، لقول الله عزّ و جلّ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾

(سورة البقرة)

أي أن التعليمات النّافعة لهذه الآلة من الصّانع،

﴿ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾

(سورة البقرة: من الآية 147)

والنبي عليه الصّلاة والسّلام أرسله خالقنا العظيم ليُبيِّن لنا تعليمات التّشغيل لهذه الآلة، يقول عليه الصّلاة والسّلام:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

لا بد من هامش الأمان بين العبد والمعصية

في بعض الأيام نظرةٌ، إذا لم يغُضّ الإنسانُ بصره كانت النّظرة سبيلاً إلى أكبر معصية، لذلك ربُّنا عزّ و جلّ في بعض الآيات يقول:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

(سورة البقرة: من الآية 187)

وفي آياتٍ أُخرى يقول:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾

(سورة البقرة: من الآية 229)

لماذا مرّةً:

﴿ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

ومرةً:

﴿ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾

هناك نوعٌ من المعاصي فيها جذبٌ، فكُلّ معصيةٍ تجذبك إليها بدافعٍ من شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، هذه المعصية يجب أن تدع بينك وبينها هامش أمان، لا بُدّ من أن تدع بينك و بينها هامش أمان حتّى تنجو منها، لذلك جاءت الآية:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

تيّار فيه ستة آلف فولط، هذا التيّار حوله ساحة مغناطيسيّة عرضها ستّة أمتار، فأيُّ إنسان دخل إلى هذه الساحة جذبه هذا التيّار، وأحرقه، فإذا علمت أن هذا التيّار خطر، وأن حوله ساحة مغناطيسيّة لا تدخل إلى هذه الساحة، لأنّك إذا دخلتها جذبتك هذه الساحة إلى التيّار فاحترقت .

معصية النّساء من هذا النّوع، تحتاج إلى هامش أمان، طريقٌ موبوء لا تمشِ فيه، صديقٌ مُغرمٌ بالزنى لا تُصاحبه، ولا تجلس معه، ولا تستمع إليه، قصّةٌ ماجِنة لا تقرأها، لقاءٌ مُختلط لا تأته، هذا هو هامش الأمان، لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:

﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾

ولا تقربوا، أيْ يجب أن تدع بينك وبين الزنى هامش أمان، نظرةٌ، فابتسامةٌ، فموعدٌ، فلقاءُ.

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))



ضع في ذهنك أن المرأة في الحرام لغمٌ مُتفجّر، ربّما أطاح بدينك، ربّما أطاح بصلاتك، ربّما أطاح بوجهتك إلى الله عزّ و جلّ، ربّما أطاح بقُربك من الله عزّ و جلّ، أنت ذُقت طعم القُرب – المشكلة هنا – إذا ذاق المؤمن طعم القُرب حافظ على هذه الصِلة مهما بلغ الثّمن، أمّا إذا لم يذُق طعم القُرب، يرى أنّ أوامر الدّين عبئاً عليه، يرى أنّ الدين ثقيل، يرى أنّ الدين حِرمان، لكنّه إذا ذاق طعم القُرب من الله عزّ و جلّ فمن أجل الحِفاظ على هذا القُرب يضحي بكلّ غالٍ ورخيص، ونفسٍ ونفيس.

أحياناً يُوضع الإنسان في موقِفٍ حرجٍ، هذا الموقف يقتضي أن يُصافح، النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

((إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ))

[أحمد عن أميمة بنت رقيقة]

أيُّهما أغلى عليك اتّصالك بالله أم أن تنجو من انتقاد بعض المُنتقدين،

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾

القضيّة قضيّة موازنة، كلمة " الله أكبر" تعني: أنّك إذا رأيت أنّ الله أكبر من كلّ شيء، من كلّ هدف، من كلّ غاية، عندئذٍ تنضبط على أمر الله، حديثٌ يدعو إلى الوقوف والتّأنّي.

علاقة اتباع الشهوات بإضاعة الصلاة

ربّنا عزّ و جلّ ماذا قال عن المسلمين في آخر الزمان ؟ قال:

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾

(سورة مريم: الآية 59)

لماذا أضاعوا الصّلاة ؟ لأنّهم اتّبعوا الشّهوات، لماذا اتّبعوا الشّهوات ؟ لأنّهم أضاعوا الصّلاة، هناك علاقةٌ ترابطيّة، تارةً تكون إضاعة الصّلاة سبباً لاتّباع الشّهوات، وتارةً يكون اتّباع الشّهوات سبباً لإضاعة الصّلاة، وربُّنا سبحانه و تعالى يقول:

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

حينما يتّبعون الشهوات يُضيّعون الصّلاة، و حينما يُضيّعون الصّلاة يتّبعون الشهوات، هذا كلام الخالق، هذه قوانين حتميّة الحدوث،

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

اتّباعٌ للشهوات، إضاعة للصّلاة، تحمّل البغي والعُدوان، والغيّ والضّلال.

أحياناً ندخل إلى محطّة وقود، يوجد مكان لوضع إعلان، يُمكن كتابة كلمات عديدة في هذا الإعلان، لو فرضنا كُتِب في هذا الإعلان: يُرجى أن تقف في الدّور، مُمكن، لو كُتِب في هذا الإعلان: يُرجى المُحافظة على نظافة المحطّة، كذلك إعلان مقبول، لكن هذا الإعلان ليس خطيراً، أمّا إذا كُتِب على هذا الإعلان: ممنوع التدخين، التدخين شيء مصيري قد يُحرِق المحطّة كُلّها، فهذا إعلان من نوع خاص، قد نكتب مكان هذا الإعلان ألف إعلان، كلّها لا تُقدّم و لا تؤخر، لكن إذا كتبنا في هذا الإعلان: ممنوع التدخين، فإنّ هذا الإعلان متعلّق بمصير هذه المحطّة، و ربّنا عزّ و جلّ في القرآن حينما يقول لك:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

(سورة النور: من الآية 30)

لا خيار للمؤمنين أمام أمر الله ونهيه

هذا أمر يُقدّم و يؤخّر، أمر مصيري، أمر يتعلّق بإقبالك على الله، إمّا أن تُقبِل إذا طبّقتَه، وإمّا أن تنقطع إذا خالفته، فكلّ أمرٍ في القرآن، وكلّ نهيٍ في القرآن هما أمرٌ ونهيٌ مصيريّان، يُحدّدان مصير علاقتك بالله عزّ وجلّ، لأن الآية الكريمة تقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 36)

أنت لك الخيار في المُباحات، بين هذا البيت وهذا البيت، بين هذه الفتاة وهذه الفتاة، تخطب هذه أو تلك، بين أن تعمل بهذه الوزارة أو بهذه الوزارة، بين أن تكون موّظفاً أو تاجراً، بين أن تُمضي أسبوعاً في هذا المصيف أو في هذا المصيف، هذا الخيار، لكنّك إذا عرفت الله عزّ وجلّ فليس لك خيارٌ فيما أعطى الله فيه حُكماً،

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

الآن بعض أنواع اللباقة والذوق الاجتماعي أن تُرحِب بامرأةٍ، أن تستقبلها في البيت، ولو أنّ الزوجة غائبة، لباقةً، تقول: هذه أخت زوجتي، هذه بنت عمّي، هذه بنت خالتي، معقول أن أرُدّها، مثلاً، هذه اللباقة، والذوق الرفيع في مُعاملة النّساء، هذا قد ينتهي بالإنسان إلى القطيعة عن الله عزّ و جلّ، هذه مُجاملة يُروّج لها إبليس، لكنّ المؤمن وقّافٌ عند حدود الله، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرّمت، فإذا أحبّ المؤمن أن يُحافظ على هذه الصِلة بينه وبين الله، فليحفظ حدود الله، وإذا هان الله على النّاس هان النّاس على الله، يقول لك: الماء قليل، والأسعار مُرتفعة، وهناك ضائقة أحياناً، هذا كلام يُترجمه القول الشهير: هان الله عليهم فهانوا على الله، وهؤلاء لا يُبالون أحياناً أن هذا الأمر يجوز، أو لا يجوز، أو حرام، حلال، مسموح، أو غير مسموح، فيه معصية أو ليس فيه معصية، قال له: يا رسول الله عظني و أوجز، فقال عليه الصلاة والسلام:

((قُل آمنت بالله، ثمّ استقم))

[ورد في الأثر]

قال بدوي للنبي عليه الصلاة والسلام: عظني وأوجز، وفي حديثٍ آخر عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ:

((آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ))

[مسلم]

قال أريد أخفّ من ذلك – هذه ثقيلة – فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذًا: فاستعِدّ للبلاء))

إذا تعاملت مع الله بقواعد واضحة ترتاح وتُريح، ربّنا عزّ و جلّ إمّا أن تأتيه طائعاً أو أن يسوقك إليه بالسلاسل، سلاسل المصائب، فإمّا أن تأتيه طوعاً، مُبادرةً، رغبةً، طمعاً، شوقاً، و إمّا أن يُؤتى بك إليه على أثر مُشكلة، على أثر مرض، على أثر ضائقة، على أثر ضغط، فالبطل هو الذي يأتيه طائعاً:

﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾

(سورة فصلت: الآية 11)

لأن الله خلقنا ليُسعدنا، هذا كلامٌ قطعيّ، فإمّا أن تقبل أن تسعد باختيارك، وإمّا أن تُساق إلى هذه السعادة بشكلٍ أو بآخر، لذلك الآية الكريمة:

﴿ **لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ** ﴾

(سورة البقرة: من الآية 284)

إذا وجد مرض نفسي، إن أبديته أو أخفيته تُحاسب عليه، كيف المُحاسبة ؟

﴿ **فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ** ﴾

(سورة البقرة: من الآية 284)

إن أقبلت عليه طواعيّةً يغفر لك، وإن أدبرت عنه، تُؤتى إليه من خلال مُضايقةٍ فعندئذٍ يُغفر لك أيضاً لكن على أثر عذابٍ لا على أثر إقبالٍ، المغفرة: إمّا أن تكون على أثر إقبال أو على أثر عذاب.

﴿ **فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾

(سورة البقرة: من الآية 284)

يقول لك الطبيب: إمّا أن تستعمل الدّواء أو أن نجري لك عملية، الآن الدواء مُجدٍ، لكن بعد فترة لا بُدّ من عملٍ جراحي، أنت مُخيّر، فالإنسان يجب أن يقبل بالدواء قبل أن يُعالج بالجراحة، فإذا انطلقت من حبّك لذاتك، إذا انطلقت من حرصك على سلامتك، إذا انطلقت من رغبتك في كمال وجودك، في بقاء وجودك، فأطع الله عزّ و جلّ، لأنه:

﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 71)

الفائز بين مقاييس القرآن ومقاييس البشر

انظر إلى نظر الناس الآن، يقولون لك: هذا فلان هنيئاً له، عنده أرض ارتفع سعرها ثمانين ضِعفاً، قيمُ النّاس المال، فمن حاز المال بحجمٍ كبير وجهدٍ يسير، النّاس يرمقونه بأبصارهم، وإذا اشترى الإنسان بيتاً فخماً مريحاً في موقعٍ ممتاز، زيّنه تزيينات رائعة، أيضاً الناس يهنئونه، ويُثنون على شطارته وعلى ذوقه.

وإذا تقلّد الإنسان منصباً رفيعاً، أيضاً يهنئونه، وإذا أنجب أولاداً مُتفوّقين في مقياس الدّنيا يُهنّأ، هذه مقاييس البشر.

لكنّ البطل هو الذي يبحث عن مقياس الله عزّ و جلّ، مقياس الله عزّ و جلّ شرحه الله في القرآن الكريم، قال:



﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 71)

هل أنت مؤمن بهذا المقياس.

أضرب مثلاً للتقريب: لو أن صديقاً لك كان على مقعد الدراسة معك، وعمل بعملٍ حرّ فأصبح يملك ألوف الألوف، بل ألوف الملايين، وهو مُتفلّت من أمر الله، وأنت مستقيم على أمر الله، ولا تملك إلا قوت يومك، هل تشعر بأنّك محروم ؟ أو بأنّ هذا الصديق تفوّق عليك، وفاز عليك ؟ إن شعرت هذا فأنت لا تعيش هذه الآية، قد تفهمها، ولكن لا تعيشها، قد تفهم معناها، ولكن لا تعقلها، لا تعقل الآية إلا إذا عشتها، المؤمن الحقّ: يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النّار، المؤمن الحقّ يقول: ليس في الأرض من هو أسعد منّي إلا أن يكون أتقى منّي، و لو كان طعامه خشناً، ولباسه خشناً، هذا الإيمان، الإيمان أن تسعد بمعرفة الله، أن ترى أن الهدى هو كلّ شيء، وأنّ الدنيا كلّها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأنّ الله عزّ و جلّ إذا تجلّى على قلب الإنسان نسي الدّنيا وما فيها، ولا تنس خُطبة النبي عليه الصّلاة والسّلام:

((إنّ هذه الدّنيا دار التواء لا دار استواء))

[ورد في الأثر]

الدنيا لا تستقم لأحد

سبحان الله ! لا تستقيم الدنيا لإنسان، يأتيه المال ويفقد الطّمأنينة، تأتيه الطّمأنينة ويفقد المال، يأتيه المال والطّمأنينة ويفقد الزوجة الصّالحة، تأتيه الزّوجة الصّالحة ويفقد الأولاد الأبرار، يأتيه أولاد أبرار وليس له دخل يكفيهم، يأتيه دخل يكفيهم وأولاده أشرار، كلّ شيءٍ على ما يُرام لكن صحّته معلولة، إنّ هذه الدّنيا دار التواء – هكذا النبي قال – لا دار استواء، لا تستوي، مُحال أن تستقيم لك الأمور كلّها، رُكّبت على النّقص، رحمةً بنا لأنّه لو تمّت لكرهت لقاء الله عزّ و جلّ، لركنت إليها، لو جاءت الأمور كما تشتهي فهذه أكبر مصيبة، يقول الله عزّ و جلّ: عبدي، خلقت لك ما في السّماوات والأرض، ولم أعيَ بخلقهنّ، أفيُعيبني رغيفٌ أسوقه إليك كلّ حين، و عزّتي و جلالي، إن لم ترض بما قسمته لك، فلأُسلّطنّ عليك الدّنيا، الدّنيا تأتيك من كلّ جهة، فلأُسلّطنّ عليك الدّنيا تركض فيها ركض الوحش في البرّية،ثمّ لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، و كُنت عندي مذموماً،أنت تريد،و أنا أريد، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، و أن لم تسلّم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد،ثمّ لا يكون إلا ما أريد

إذا كان الإنسان مُنحرفًا، غارقا في المعاصي، وتأتيه الدنيا من كلّ جهة، هذه ليست نِعمة، ولكنّها نَعمة:

﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾

(سورة الدخان: الآية 27)

هذه ليست نِعمة، و لكنّها نقمة، يقول ابن عطاء الله السّكندري: " ربّما أعطاك فمنعك، وربّما منعك فأعطاك "، أحياناً يمنعك، فإذا منعك عن الدّنيا تتّجه إليه فتسعد بقربه، فيكون الخلاص بالحرمان من الدّنيا، وقد تأتي الدّنيا كما تريد فتكون حجاباً بينك وبين ربّ العزّة:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

هذا أوّل باب خطر، في بعض المرّات فلان لا يأتي إلى الدّرس، فما هو السّبب ؟ زار أقرباءه فالتقى بإحدى قريباته اللاتي لا ينبغي أن يراهُنّ، من حديثٍ إلى حديث تعلّق بها، قام ليُصلّي فرأى في نفسه تكاسلاً، شعر بالمُخالفة والمعصية، استمرأ هذه العلاقة وذلك التّكاسل حتى انقطع عن الله عزّ وجلّ، حالات كثيرة جدّاً سبب انقطاع الإنسان عن الله، و ن مجالس العلم أحياناً، أنّه وقع في مُخالفة متعلّقة بالنّساء، ولو على مستوى النّظر، أو مستوى الكلام، أو مستوى الحديث، حتى على هذا المستوى هذه معصية تقطع عن الله عزّ وجلّ.

الحديث الثاني:

بشارةٌ قالها النبي عليه الصّلاة و السّلام للنّساء كافّةً، أو للنّساء المؤمنات، عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ))

[الترمذي عن أم سلمة]

لأن رضاء الزّوج ربع دين المرأة، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[أحمد]

طاعة الزوج في المعروف سبب دخول الجنة

فطاعة الزّوج وإرضاؤه فيما لا يُغضب الله عزّ وجلّ، هذا يكفي كي تدخل المرأة الجنّة، وقلّما تجد رجلاً راضياً عن زوجته كلّ الرضى، و لو تعلم المرأة حقّ الزوج ما قعدت ما لم يحضر طعامه أو غذاؤه، لكن طبعاً الزوج المؤمن، لأن الزوج المؤمن يعرف حقّ المرأة أيضاً.

هذا الحديث رواه الترمذي، وقال حديثٌ حسن.

الحديث الأوّل مُتّفقٌ عليه، وهو أعلى درجة من الصّحة، ما اتّفق عليه الشّيخان الإمام البخاري والإمام مسلم، وهذا الحديث كأنّه ضوء أحمر خطر، اجعل هذا الحديث بالقلم الأحمر:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

وجوب اتخاذ الأسباب لاتقاء فتنة النساء

فالإنسان يستعين بغضّ البصر، يستعين بترك الأماكن الموبوءة، يستعين بترك رفقاء السّوء، بترك الحفلات المُختلطة، بترك مكان فيه امرأة لا تخشى الله عزّ وجلّ، بقطع العلاقة مع كلّ قريبة لها تطاول من حيث الاختلاط مع الرّجال، هذا كلّه من أجل الحفاظ على الدّين

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 - 5) : حق الزوج على الزوجة والقوامة له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

آية قرآنية أصل في حقوق الزوجين

ننتقل أيها الإخوة في رياض الصالحين إلى بابٍ جديد، هو الباب الخامس والثلاثون، وعنوان الباب: حق الزوج على المرأة، وكما هي عادة الإمام النووي مؤلِّفُ الكتاب . رحمه الله تعالى . حيث يبدأ الباب بآيةٍ قرآنية متعلقةٍ بأحاديث هذا الباب، قال الله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(سورة النساء: الآية34)

1- لا خيار للمؤمن أمام أمر الله ونهيه

الحقيقة أن الإنسان أمام كتاب الله جلّ وعلا، وأمام سنة رسول الله له موقف، هذا الموقف موقف التعبد، هذا أمر إلهي، أنت مخير في أمور الدنيا ؛ كمؤمن مخير أن تسكن في هذا البيت، أو في هذا البيت، أن تتزوج هذه المرأة أو تلك المرأة، أن تعمل عملاً حراً أو عملاً وظيفياً، لكنك كمؤمن صادق إذا كان هناك أمرٌ في القرآن فإنه:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 35)



إذا وُجد توجيه قرآني، حكم رباني، أو أمرٌ، أو نهي، في كتاب الله واضح الدلالة، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، فأنت كمؤمن ليس لك خيار، فربنا سبحانه وتعالى هو الصانع، وهو الذي صمم نظام الزواج، هذا الزواج أو هذه الأُسرة لها نظام، من لوازم نظامها أنه لابد لها من قائد، والسؤال الآن: لماذا يعصي الناس ربهم ؟ والله هذا سؤال مهمٌّ، معظم الناس غارقون في المعصية، هناك توجيهات قرآنية، هناك توجيهات نبوية لا أحد يُقيم لها وزناً، أي ينساق وراء نزواته وشهواته، وساعةً يقوده الهوى، وساعةً تقوده المصلحة، وساعةً يقوده التقليد الأعمى، أما أن يتحرك الإنسان وفق أمر الله تماماً، أو ينتهي عما نهى الله عنه تماماً فهذا يحتاج إلى شيءٍ آخر.

الحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعا إلى الله في مكة بقي ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى معرفة الله، بعدئذٍ نزل التشريع، فكأن الطريقة المُثلى أن تعرف الآمر أولاً، ثم الأمر ثانياً، فإذا كان أمر الله بين يديك في الكتاب والسنة، ولم تعرف الآمر معرفةً كافية يسهُل عليك أن تخالف أمر الله عزّ وجل، يسهل عليك أن تعصيه، يسهُل عليك ألا تنتهي عما عنه نهاك، لأنه مجموعة أوامر في الكتاب والسنة، لكنك إذا عرفت من هو الله عزّ جل ماذا يعني أن تعصيه ؟ إذا عرفت ما عند الله من إكرام، ما عند الله من عقاب، إذا عرفت الله حق المعرفة، أي أن يُقَطع الجسم إرباً إرباً أهون من أن تخالف أمر الله عزّ وجل.

2- لا بد للزواج أن يكون مبنيا على شرع الله

لذلك الزواج في الإسلام هو شيء رائع جداً، لكن إذا كان الزواج في جو من عدم التطبيق من أمر الله عزّ وجل يغدو جحيماً، لأن الزوجة تبتغي حظ نفسها، والزوج يبتغي حظ نفسه، وكلاهما وقد تتصادم هذه الحظوظ، ومن تصادمها تأتي المشكلات يأتي الشقاق، والنفاق يأتي الخصومات، لذلك شيءٌ مهمٌ جداً أن تعرف من هو الآمر، كما قال سيدنا بلال: **<< لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت >>.**

3- في الحياة ثوابت

في بالي مقدمة قبل أن أمضي في شرح هذه الأحاديث المتعلقة بحق الزوج على المرأة، هناك أشياء ثوابت في الحياة، فهذا الكون أليس كوناً عظيماً ؟ أي لو نظرت إلى المجرات لهالك هذا النظر لرأيت الأرض وما حولها من كواكب سيارة لا تعدو نقطةً في فراغ، فهذه المجرات التي تزيد على مَليون مليون مجرة، وفي كل مجرة ما يزيد على مليون مَليون نجم، والمسافات بين النجوم لا يعلمها إلا الله، وهي مسافاتٌ خيالية، هذا الكون بمجراته، بكازاراته، بمذنباته، هذا الكون بما فيه من آياتٌ دالةٍ على عظمة الله لمن سخره الله عزّ وجل ؟

أليس هناك آياتٌ في كتاب الله محكماتٌ تؤكد أن الله عزّ وجل سخر هذا الكون للإنسان ؟ بلا شك إطلاقاً وبكل تأكيد الكون مسخر للإنسان، والدليل:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

(سورة الجاثية: من الآية 13)

4- ماذا عليك أن تقدمه مقابل تسخير الله الكون لك ؟

فإذا كان هذا الكون كله مسخرا لي كإنسان، ماذا يُطالِبُني الله عزّ وجل ؟ يجب أن يكون هناك مطالبة بقدر هذا التسخير، فإذا أعطينا إنساناً أعلى راتب في الدولة، معنى هذا أنه هناك مسؤوليات كبيرة أمامه، إذا أعطيناه ميزات كبيرة جداً، معنى هذا أن مقابل هذه الميزات مسؤوليات، هذه النقطة الدقيقة، أي أن هذا الكون كله بما فيه، فكم من أنواع الأشجار ؟ وكم من أنواع الأزهار ؟ وكم من أنواع الأطيار ؟ وكم من أنواع الأسماك ؟

هذا الجسد بما فيه من أجهزة، من عضلات، من قلب، من رئتين، بما حولك من بيئة، ومن ظروف، من سماء، من هواء، من ماء، من بحار، من نجوم، من أطيار، هذا الكون كله مسخرٌ للإنسان، ماذا يقتضي هذا التسخير؟

أن تعبد الله عزّ وجل، إذاً: أنت مقابل هذا الكون العظيم مكلفٌ أن تعرفه معرفةً عظيمة، وهذه المعرفة العظيمة من لوازمها أن تطيعه طاعةً تامة، ومن نتائج هذه الطاعة التامة أن تسعد في الدنيا والآخرة، أي أن الهدف الأكبر من خلق السماوات والأرض، ومن خلق الإنسان هو أن يُسعدك في الدنيا والآخرة، هذا هو الهدف الأكبر، ولكن هذه السعادة لا متناهية، وهي تحتاج إلى عملٍ طيبٍ جداً منه وطاعةٌ وبذلٌ، هذا العمل الطيب يحتاج إلى معرفة طيبة، وهذه المعرفة الطيبة تحتاج إلى كون عظيم، هذا الكون العظيم هدفه أن تعرف الله من خلاله، هذه سلسلة ؛ كونٌ معجز، إذا تأملت فيه عرفت أن هناك إلهاً عظيماً لا حدود لعظمته، وأنه سخر لك هذا الكون لتعرفه ولتحبه، فإذا عرفته حق المعرفة أطعته حق الطاعة، إذا أطعته حق الطاعة سعدت بهذه الطاعة في الدنيا والآخرة.


الكون مسخر للإنسان وبالمقابل الإنسان مطالب بمسؤوليات

لذلك عندما يمر معك أمرٌ، الآن أنت كزوج أو كزوجة إذا مر أمرٌ قرآني فالقضية خطيرةٌ جداً، هذا الأمر تنفيذٌ جزئيٌ لما يتوجب عليك تجاه خالق الكون الذي سخر لك الكون كله، هذه هي العقدة، فأنت تجد إنساناً لا يبالي بأمر الله عزّ وجل، الله هين عليه، وأمره هين، ومعصيته هينة، ومخالفة أمره هينة، وأن يخرق حدوده، فهذا شيءٌ سهلٌ بسيط، يقول لك: لا تدقق، ولا تعقدها، والله غفور رحيم، ونحن عبيد إحسان، ولسنا عبيد امتحان، والله عزّ وجل لا يضع عقله بعقلنا ويحاسبنا، فهذا كله كلام الجهلة، لكن ربنا عزّ وجل حينما خلق هذا الكون من أجلنا، فهو ينتظر منا أن نعرفه معرفةً صحيحة، وينتظر منا أن نشكره، فإذا عرفناه، وشكرناه فمن لوازم المعرفة والشكر الطاعة التامة، الطاعة التامة تنتهي بالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، من هنا جاء توجيه الله عزّ وجل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

5- قوامة الرجل على المرأة

أي أن هذه الأُسرة كسفينة ومركبة لها قائد واحد، لابد من أحد الطرفين أن يكون هو القائد، فربنا عزّ وجل قال:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

لقد جعل الله عزّ وجل الرجل متكاملاً مع المرأة، فالرجل والمرأة متساويان في التكليف وفي التشريف، في التكليف؛ أي كلاهما كُلِّف بمعرفة الله عزّ وجل، وفي طاعته، وفي التقرب منه، والرجل كالمرأة في التشريف، أما التكليف في بقية التكاليف فهما مختلفان كالجهاد والجمعات وغيرها.

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 35)

إلى آخر هذه الآيات، أي من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثى فاستجاب لهم ربهم:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من الآية 195)

6- الرجل والمراة: أوجه التشابه والاختلاف

المرأة والرجل متساويان في التكليف وفي التشريف، لكن هناك بونٌ شاسعٌ بين بُنية المرأة وبُنية الرجل، المرأة لها بنيةٌ نفسية، ولها بنيةٌ جسدية، ولها بنيةٌ عقلية، تتناسب مع أعظم وظيفةٍ خلقها الله من أجلها وهي رعاية الأطفال، والرجل له بنيةٌ عقليةٌ خاصة، وله بنيةٌ نفسيةٌ خاصة، وله بنيةٌ جسميةٌ خاصة، تتناسب مع دوره في الأسرة لكسب الرزق، ولإدارة دفة هذه السفينة، ولاتخاذ القرار لبُعد الرؤية، إذاً: هناك تكامل، فربنا عزّ وجل اختار الرجل على علمٍ وعلى تصميمٍ دقيق ليكون هو قائد هذه الأسرة، إذاً:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

الرجل عقله يغلب عاطفته، الرجل بُعد نظره أشد من بُعد المرأة في النظر، المرأة تنظر إلى ما يحيط بها، تنظر إلى المظاهر بشكلٍ يلفت النظر، لكن الرجل ينظر إلى حقيقة الحياة، فلا تعنيه المظاهر بقدر ما تعنيه جوهر الحياة، وليس هذا انتقاصاً من المرأة، فالمرأة لها دور، والرجل له دور، ولكل منهما مكانة عند الله، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال للمرأة:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]



فوالله هناك امرأة صائمة قائمة مطيعة لزوجها تعدل ألف رجل، ألف بل عشرة آلاف، أو مئة ألف، فالقضية عند الله بالاستقامة والعمل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

أي أن الرجل له القِوامة، وله الإدارة، وله الإشراف، وله القرار، وله القِيادة، إلا لو كان هو قد تخلى عن القيادة لزوجته مثلاً، تدخل هي على المحل قبله، وتتكلم، وهو يبقى ساكتا، هو لدفع الثمن، هناك حالات هو يتخلى عن دوره، وهذا بحث ثانٍ، أما ربنا عزّ وجل فقد صمم الأُسرة بنظام فقال:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

يروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه في إدارته لشؤون الرعية اتخذ قراراً من أحد الأشخاص، يبدو أن زوجته رضي الله عنها سألته في ساعة سرور أن هذا الرجل ما شأنه ؟ سؤال فقط، ولماذا فعلت معه هكذا ؟ وهي لم تتدخل في شؤونه، ولم تطلب منه توقيف هذا القرار، ولم تطلب منه اتخاذ قرار آخر، ولم تطلب العفو عنه أبداً، بل إنما سألته: ما شأن هذا الرجل ؟ فما كان منه رضي الله عنه إلا أن قال لها: << يا أمة السوء، وما شأنك

أنت بهذا ؟ >>، وما علاقتك أنت بهذا الأمر، خليفة المسلمين يسمح لامرأة أن تتدخل بشؤونه ؟ امرأة على العين والرأس، ولها مكانةٌ عظيمةٌ جداً عند الله، لكن في دائرة اختصاصها، لذلك: " رحم الله عبداً عرف حده، فوقف عنده، ولم يتعد طوره ".

إذاً:

﴿ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

هنا بمعنى أن الله آتى الرجل قوةً في العضلات، قوةً في الجسم، وآتاه قوةً في العقل، وآتاه قوةً في العقل على حساب العاطفة، لأن بعض المواقف يقتضي القسوة أحياناً، بعض المواقف تقتضي الجُرأة، المرأة بحكم عاطفتها الغالبة قد لا تستطيع أن تقف موقفاً متيناً من قضية مُعينة.

7- التعليل القرآني لقوامة الرجل على المرأة

الآن:

﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

ربنا عزّ وجل ذكر تعليلين.

أول تعليل:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

والتعليل الثاني: بما أنفقوا من أموالهم.

9- من صفات المرأة الصالحة

الآن:

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

(سورة النساء: الآية 34)

أي طائعات، هذه المرأة الطائعة حافظةٌ للغيب، أي تحفظ نفسها في غيبة زوجها، تحفظ نفسها وماله، أي أن أعلى صفة في المرأة أنها إذا غِبت عنها حفظتك في نفسها وفي مالك، في نفسها أي لا تسمح لأحدٍ أن ينظر إليها، ولا أن يكلمها كلمةً:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 32)

هناك نساء في غيبة أزواجهن يفتحن الباب لإنسان طرق الباب، ويحدثن هكذا بطلاقة، ولا يتحفظن باللباس أمامه، يفتحن الباب على مصراعيه باستهتار، فهذه لم تحفظ نفسها، وهذه كأنها تدعوا الناس إليها، وهذه كأنها على وشك أن تخون زوجها، لكن المرأة المؤمنة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

لذلك في المغرب عادات طيبة جداً، إذا طُرِق الباب فتعيد الطرق على الباب من الداخل، أي نحن هنا فتكلم ما تريد، أما أهلاً وسهلاً، تفضل الآن سيأتي، ارتح، وادخل لنقدّم لك فنجان قهوة، هذه ليست مسلمة، فالمرأة المسلمة تحفظ نفسها في غيبة زوجها، لذلك عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنَّ عِنْدِي امْرَأَةً هِيَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَهِيَ لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ: طَلِّقْهَا...))

[النسائي]

هذه المرأة التي لا تحفظ نفسها في غيبة زوجها لا تُؤتَمن، وهناك مفهوم عند النساء خاطئ، أنها شريفة، ولا أحد أن يستطيع أن يكلمها، ولا أحد يستطيع أن يتطاول معها، لكنها تظهر هكذا على الشُرفات من غير احتياط، ومن غير تستر، هذه التي تُبرز مفاتنها للناس ليست شريفة بالتأكيد، هذه التي تعرض مفاتنها على الناس باستهتار هذه ليست مسلمة، وإن صلت، وصامت، وزعمت أنها مسلمة، فالمرأة المسلمة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

أي تحفظ نفسها في حضرة زوجها، وفي غيبة زوجها، وتحفظ ماله، أي أن البخل في هذا الموطن من صفات المرأة الفاضلة، لأن هذا المال مال زوجها هو الذي ينفق:

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

هذه المودة بين الزوجين، لذلك الوصية المرأة الثابتة لابنتها: " يا بنيتي، خذي عني عشر خِصال تكن لك ذخراً وأجراً، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتفقد لموضع عينه، والتعهد لموضع أنفه ؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه ؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة، وإياك والفرح إن كان تَرِحاً، والترح إن كان فرحاً، فإن الأُولى من التقصير، والثانية من التكدير، ولا تعصي له أمراً، ولا تُفشي له سراً، إنك إن عصيت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره..." إلى آخر الوصية.

المرأة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

هذا معنى الآية الكريمة:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

فإذا هو كان أقل منها وراًع، وأقل منها علماً، وأقل منها بُعد نظر، ولم ينفق من ماله عليها شيئا، والله هي القوَّامة عليه، فإذا كان هو أعلى منها في الورع والعلم والتُقى والصلاح وأنفق من ماله عليها ملك القِوامة، فإن لم يفعل كانت هي التي تنفذ أمرها، وهو لا يحير جواباً.

آحاديث نبوية في حقوق الزوجين

أول حق للزوج على المرأة كما قال عليه الصلاة والسلام:

الحديث الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

[متفق عليه]

هذا الحديث متفقٌ عليه أي رواة البخاري ومسلم، والحديث واضح، وفي روايةٍ للبخاري ومسلم أنه:

((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

أي أن الزواج أساسه هذا اللقاء بين الزوجين، فإذا ابتعدت عن زوجها، وهجرت فراشه لعنتها الملائكة حتى تصبح طوال الليل .

يتفرع من هذا الحق أنه لا يحل لامرأةٍ أن تصوم وزوجها شاهد، طبعاً صيام النفل، أما صيام الفرض فلا تستأذنه، صيام الفرض لا يحتاج إلى إذنٍ قط لأنه:

((لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزّوجَلَّ))

[أحمد عن ابن مسعود]

مهما يكن هذا المخلوق، كأب يقول لابنه: برضاي عليك طلقها، ما هذا ؟ تطليقها ظلم، فهي زوجةٌ فاضلة، أي رضا هذا ؟

((لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزّوجَلَّ))

حيث ما كان الأمر مخالفاً لأمر الله عندئذٍ الرضا والغضب يستويان.

الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إلا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ))

[متفق عليه]

ما معنى شاهد ؟ أي مقيم في البيت، أما لو أنه مسافر فلها الحق أن تصوم صيام النفل من دون إذنه، أما إذا كان شاهداً أي مقيماً فإنه سوف يجيء الظهر إلى البيت.

((وَلا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إلا بِإِذْنِهِ))

أي أن تأذن لرجلٍ أو امرأة بدخول البيت من دون إذنه فهذا لا يجوز، دخول الأشخاص إلى البيت يحتاج إلى إذن الزوج، لو فرضنا الزوج أعطى تعليمات: لا أسمح لكِ أن يدخل بيتي ابن عمك، هذا طبعاً لا يجوز بغيابه، فتدخله وتقول: والله جاء من سفر فاستحييت منه، فهذا كلام فارغ هذا، هذا البيت له قيادة، والقيادة بيد الزوج فإذا منعها من مخالفة أمر الله عزّ وجل يجب أن تمتنع، وإذا منعها من ألا تخالف أمر الله عزَّ وجل يجب أن تمتنع.

الحديث الثالث:

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

[سنن الترمذي، وقال حديثٌ حسن]

أي أن زوجها المؤمن راضٍ عنها، أي أنها تقوم بحقه قياماً تاماً ؛ ترعى أولادها، وترعى حقوقه، وترعى حاجاته، إذاً وفرت لهذا الزوج الطمأنينة، وفرت له راحة البال، وفرت له الراحة النفسية، جعلته ينطلق في عمله، جعلته ينتج، جعلته عضواً نافعاً في المجتمع، أما هذا الإنسان القلق في بيته فطوال الليل مشاحنات وبغضاء، هذا إذا انطلق إلى عمله لا ينتج، لأنه شارد البال، فهذه المرأة التي توفِّر لزوجها الراحةً النفسية وطمأنينة فهذه امرأة شريكته في الأجر، يقولون: " ما من عظيم إلا وراءه امرأة "، لكن امرأة صالحة، وهذا الكلام له معنى مقبول، أن الإنسان عندما انطلق في العمل الصالح، وعندما انطلق في خدمة المجتمع معنى ذلك أن باله مرتاح، قال الله عزّ وجل:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(سورة محمد)



من وفر له هذه الراحة ؟ أنا عندما أقرأ كتاباً أعجب، لأنّ أكثر الكتب يهدي المؤلفون الكتاب إلى زوجاتهم، والله معهم حق، فقد يكتب: إلى التي وفرت لي هذا الجو، وهو جو التأليف، إلى التي وفرت لي هذا العمل العلمي الهادئ، وإذا كان طول النهار في مشاكسات بينه وبينها فلا يوجد تأليف، يتوقف التأليف، يجب أن يكون هناك هدوء، وراحة بال، ومسالمة، ووادعة، وشعور متبادل بمعرفة قدر الآخر، فهذا الذي يقوله عليه الصلاة والسلام:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

المشكلة هي إذا أرادت المرأة أن ترضي ربها بخدمة زوجها، وإذا أراد الرجل أن يرضي ربه بخدمة زوجته، هذا هو الوضع الأمثل، أي أنه حينما تُعامل إنساناً لذاته قد لا يستحق، هناك أزواج لا يستحقون معاملة طيبة، وهناك زوجات لا تستحق إحداهن المعاملة الطيبة، فإذا أراد الزوج أن يعاملها على عملها، أو أرادت هي أن تعامله على عمله وقع الخصام والشقاق، لكن إذا أراد الزوج أن يتقرَّب إلى الله بالإحسان إليها، وإذا أرادت هي أن تتقرب إلى الله بالإحسان إليه، نشأت السعادة الزوجية، لذلك أي زواجٍ يبنى على طاعة الله يتولى الله التوفيق بين الزوجين. بالمناسبة، وهذه كلمة عابرة قد لا تكون لها علاقةٌ متينةٌ بالدرس، لكن أحب أن أقولها، غض البصر من قِبل الزوج ومن قِبل الزوجة له دورٌ كبير في التفاهم الزوجي، لأن عندما يرى الله عزّ وجل هذا المؤمن يغض بصره عن الحسناوات في الطريق خوفاً من الله عزّ وجل، فأول مكافأة له أنه يوفِّق بينه وبين زوجته، تجد أن هذا الزوج يحب زوجته، وهي كذلك، فغض البصر من قِبل الزوج ومن قِبل الزوجة له دور في توفير السعادة الزوجية، وهذا الشيء مهم جداً، لأن ربنا عزّ وجل يقول:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور)

أي إذا ظننت أيها الرجل أنك إذا نظرت إلى المرأة الأجنبية، وتمليت من محاسنها هو أزكى لك، فأنت مُخطئ، خالقك مربيك، ومسيّرك يقول لك:

﴿ ذَلِكَ أَزْكَ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾

أي أكثر راحةً لك، والمكافأة سريعة في نفس اليوم، أحياناً تكون المكافأة بعد شهر، المكافأة في نفس اليوم، حيث أن كلما بالغت في غض البصر وجدت في البيت السعادة الزوجية، والحقيقة أن السعادة الزوجية شيء مهم جداً، فإذا كان الإنسان مرتاحاً في بيته فإنه يمكن أن ينطلق في عمله ويُبدع، أما إذا كان في بيته معذبا، وفي بيته نكد ومشاحنة انعكس ذلك سلبًا على حياته العملية، فمن الحكمة البالغة أن الإنسان يحسن معاملة زوجته، قال ربنا عزّ وجل:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء: من الآية 19)

الحديث الرابع:

أمر إلهي، الله عزّ وجل يأمرك أن تعاشرها بالمعروف، واستوصانا بالنساء خيراً، استوصانا بالضعيفين المرأة واليتيم، استوصانا بالنساء، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي))

[سنن الترمذي]

((ما أكرمهن إلا كريم، ما أهانهن إلا لئيم، يغلبن كلَّ كريم، يغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، لا أن أكون لئيماً غالباً))

[ورد في الأثر]

فلذلك المؤمن ينبغي أن يفعل ذلك.

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

واللهِ من بعض السنوات كنت حاضراً في تعزية في حي الميدان، وبحسب معلوماتي أن الزوجة توفيت عن ثمانين عاماً، والزوج عمره خمس وتسعون سنة، فوجدته يبكي بكاء مراً، في هذا السن يبكي، وعندما انتهت التعزية بدأ الحاضرون يواسونه فقال: "ولم لا أبكي ؟ والله عشت معها خمسة وأربعين عاماً ما نمت ليلةٌ واحدة وأنا غاضبٌ عليها ".

يقول لك رجل آخر: " والله لا يوجد يوم انبسطت معها "، حتى اتفق أحدهم مع زوجته فقال لها: يوم للخصام ويوم للراحة، في يوم الراحة قالت له: غداً الخصومة، فحضر نفسك.

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

الحديث الخامس:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[مسند أحمد]

أي أن طاعة الزوج ربع دينها.

الحديث السادس:

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا))

[سنن الترمذي]

لا يجوز إغاظة الزوجة

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا))

سبحان الله ! أنا أعجب أشد العجب كيف أن زوجاً أحياناً يتمنى أن يغيظ زوجته ؟ ينطلق بشكل واضح ومركز كي يغيظها، وكيف أن امرأةً تفكر في أن تغيظ زوجها ؟ هذا الوضع مَرَضي، لأنه خلاف الآية الكريمة:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من الآية 21)



انظر إلى تصميم ربنا عزّ وجل، التصميم أن تسكن إليها، وأن تكون بينك وبينها المودة والرحمة، هذا تصميم ربنا، ما الذي يحدث ؟ تريد أن تغيظه ؛ يوم الجمعة الغسيل بأصعب وضع، مع توجيهات أن ضايقيه، هذا منتهى الحمق، ومنتهى الغباء، ومنتهى البعد عن الله عزّ وجل، لا يصح لامرأة أن تغيظ زوجها، ولا يصح لزوجٍ أن يغيظ زوجته، يقع خصام، ويقع سوء تفاهم، هذا شيء طبيعي، لكن لا ينطلق الإنسان من خلاف عفوي إلى خلاف مقصود، لا ينطلق من خلاف عفوي إلى خلاف مُركز.

نصيحتان غاليتان للمتزوجين

النصيحة الأولى:

والنصيحة التي أُقدّمها لكل أخ، طبعاً لا يوجد زوجين من غير مشكلة إطلاقاً، هذا كلام غير واقعي، فهذه النفس غير هذه النفس، لها طلب، وهذا الطلب هو لم يوافق عليه، فصارت المشاحنة، أي أن هذا الشيء لابد منه. فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

ومرة كسرت صحناً، جاءها طعامٌ من عند ضرتِها فكسرت الصحن، والنبي عليه الصلاة والسلام عاتبها. وسيدنا عمر جاءه شخص يشكو امرأته فسمع صياحاً فرجع، فسمع صوت طرق الباب، ذهب فرأى شخصاً راجعاً، فناداه، وقال له: **<<تعال، لماذا جئتني ؟ فقال له: جئتك أشكو مما أنت منه تشكو >>.**

هذا شيء طبيعي، ولكن الإنسان لا ينطلق من إغاظة الزوجة، فهذا لا يجوز، وهي بالمقابل لا تنطلق من إغاظة زوجها فتكون قد خالفت الآية الكريمة، خالفت نص القرآن الكريم.

النصيحة الثانية:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

تكون عندك فتنشأ مشكلة، أول كلمة يطردها إلى بيت أهلها، وفي بيت أهلها تغذية، هناك خالتها وعمتها، وابنة خالتها وأختها الصغيرة، وأختها الكبيرة، فيقولون لها: ماذا تريدين منه، وأنت تستحقين أحسن منه ؟ كان الأمر بسيطاً جداً، ويحل في يوم أو يومين، الآن وصل الأمر إلى الطلاق، وعندما لا يخبرونه بعد جمعة أو جمعتين يمتلئ من الغيظ، وهي أيضاً تمتلئ من الغيظ لأنه لم يخبرها، وهذه حلقة مُفرغة ومضحكة، هي تنتظر أن يتصل بها، وهو ينتظر أن تتصل به، وكل واحد منهما ركبه الشيطان، وأخذ منه كل مأخذ، وابتعد عن الآخر أليس الأحسن أن تبقيها عندك في البيت وثاني يوم تتصالحون ؟ وأنا أعني ما أقول بالضبط، أن أكبر مشكلة بين الزوجين تنتهي بعد أيام نهاية طبيعية إذا بقيت الزوجةُ في بيت زوجها، وأصغر مشكلة بين زوجين قد تنتهي بالطلاق إذا خرجت من بيت زوجها، فالأب العاقل لا يستقبل ابنته وهي غضبى، بنفس الليلة يحل الموضوع، يرجعها إلى بيت زوجها ويصالحهم، ولا يطمعها، يقول لها: صدر البيت لكِ، كلي واركلي السفرة برجلك، هذا الكلام كله سخيف، أنا سمعت أن السلف الصالح إذا كانت ابنته غاضبة من زوجها، فيتفق مع الأم ؛ اليوم تعزلي البيت، وغداً تعملي مجدرة، وثاني يوم نعمل لك مشكلة، حتى تجد هذه الابنة أن بيت زوجها أفضل من بيت أهلها، فهناك آباء عقلاء جداً، إذا رأوا أن البنت حردت، ويوجد خِصام فيريها معاملة قاسية، ويريها اشمئزازاً، ويريها الخشونة في المعيشة، وأعمال مُرهقة، وخصام مُفتعل، وتمثلية بالخِصام، كي تكره الابنة أن تأتي إلى بيت أهلها، وهذه هي الحكمة.



وهناك آباء يطمِّعون بناتهم، يقولون لها: ماذا تريدين منه اتركيه، غيظيه، هكذا حتى يقع الطلاق، وبعدها تقع المشكلة، فهذا كله من معاناة المجتمع المسلم، وهناك جهل كبير جداً.

أحياناً تجد أماً لا ترضى إلا وأن تبقى مسيطرة على ابنتها بعد الزواج، تجعل حياة ابنتها جحيماً بيدها، هذه أم ؟ لذلك: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا الْفُقَرَاءُ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، إِلَّا أَهْلَ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ))

[أحمد]

يجب أن يأخذ الرجل احتياطاً، الحقُ هو أن تقف على الحق تماماً، إذاً:

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا))

ألم يقل أحد الصحابة عندما طلبت منه زوجته ما فوق طاقته، قال لها: << اعلمي يا أمة الله، أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الدنيا لغلب ضوء وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أُضحي بكِ من أجلهن أهون من أن أُضحي بهن من أجلكِ >>.

هذه المرأة يجب أن تعرف حجمها وحدها.

وعن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلَّم قال:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[صحيح مسلم]

أي أن المرأة أكبر مأخذ للشيطان، وإن إبليس طلاعٌ رصاد.

وما هو من فخوخه . عنده شباك كثيرة، فخوخ جمع فخ . وما هو من فخوخه بأوثق لصيده في الرجال من النساء".

إن أضخم فخ عنده للرجال النساء، فليتقِ الله الإنسان، وليبتعد عن مواطن الشُبُهات.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 5) : حق الزوجة على الزوج الإنفاق عليها وعدم الإساءة لها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مقدمة

أيها الإخوة الأكارم، قبل عدة أسابيع عقد مرَّ معنا فصلٌ في رياض الصالحين حول حق الزوج على زوجته، وذكرت وقتها مجموعة من الأحاديث الشريفة حول حق الزوج على زوجته، وقد وعدتكم إثر ذلك الدرس أن أتحدث في درس قادم عن حق الزوجة على زوجها، لأن أساس نجاح الإنسان في الحياة سعادته الزوجية، والإنسان قد ينزعج من بيته، بإمكانه أن يغيره، وقد ينزعج من عمله، وفي إمكانه أن يبدله، وقد ينزعج من مركبته، وفي إمكانه أن يبدلها.

الاصل في العلاقات الزوجية المودة والرحمة



الفراق بين الزوجين تعني التشرد للأولاد

لكن الحياة الزوجية حياة مصيرية، بمعنى ؛ أنك إذا رزقت من هذه الزوجة بأولاد فإن الفراق يعني تشرد الأولاد، فلهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام حريصاً حرصاً لا حدود له على أن يكون الوفاق بين الزوجين تنفيذاً للمخطط الإلهي الذي يبدو من قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الروم: الآية 21)

إن الأصل في العلاقات الزوجية المودة والرحمة، هذا هو التخطيط الإلهي هذا هو الوضع الطبيعي، هذه هي الصحة النفسية بين الزوجين، فلو أن بين الزوجين مشاحنة أو بغضاء، أو جفاء، إن هذا حالة مرضية تقتضي المعالجة.

حرص النبي عليه الصلاة والسلام على سلامة الحياة الزوجية

إن النبي عليه الصلاة والسلام حرصاً منه، وقد أنبأنا الله عز وجل بأنه حريص علينا.

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة التوبة: 129)

من حرصه ﷺ على أن يكون في كل بيت مسلم، أن يكون في كل بيت من بيوت المسلمين سعادة مظللة، من حرصه هذا عليه الصلاة والسلام وجهنا توجيهات كثيرة فيما يتعلق من حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها.

الحقيقة أن الأزواج دائماً يتحدثون عن حقوق الزوج على زوجاتهم، هذا من قبيل أن الأحاديث في مصلحتهم، ولكن لكل حق واجب، فإذا كنت تعتز بما قاله النبي عليه الصلاة والسلام من حق على امرأتك، فيجب أيضاً أن تلقي أذناً صاغية، أن تصيغ السمع إلى الأحاديث الأخرى التي تتحدث عن حق الزوجة على زوجها، كما أنك تبدي اهتماماً بالغاً بالأحاديث التي تتعلق بحق الزوج على زوجته يجب أن تلقي بالاً، وأن تصيغ السمع، وأن تلقي أذناً مصغية لحقوق الزوجة على زوجها، والبحث قد لا يكفيه درس واحد، لكن نبدأ هذا الموضوع في هذا الدرس، وعلى الله التوفيق.

واجبات الزوج نحو زوجته: الاطعام والكسوة

الحديث الأول:

الاحسان في الكسوة والطعام


من حق المرأة الإنفاق عليها في المطعم

النبي عليه الصلاة والسلام بيّن في بعض الأحاديث الشريفة أن أول حقٍّ للزوجة على زوجها أن يحسن إليها في كسوتها، وطعامها هذا الحق الأول. عَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ حَيْدَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ ؟ قَالَ:

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ...))

[أحمد]

لكن العلماء قنّنوا أن هذا الإحسان في الكسوة وفي الطعام يجب أن يكون في الحدود المعتدلة، تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾

(سورة الإسراء: 29)

الإنفاق له حد معتدل، إذا زاد عن هذا الحد انقلب إلى الضد، وكان الفساد في الأرض.

لا لإرضاء الزوجة بمعصية الله

في الحديث إشارة خطيرة جداً، هؤلاء الذين يتحملون معصية ربهم من أجل إرضاء زوجاتهم ما قرؤوا هذا الحديث، ما كلفك الشرع أن تطعمها طعاماً لا تستطيعه، أن تطعمها إذا طعمت، إذا طعمت فأطعمها، أما إذا لم تقدر أن تأكل ما تشتهي فلا عليك شيء، لذلك كانت الصحابيات الجليلات يخاطبن أزواجهن قبل أن يغادر أزواجهن البيت، تقول له: يا فلان، نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام.

إنّ أيّ إنسان يقول لك: أنا أفعل هذا من أجل زوجتي، من أجل أولادي، من أجل أن أرضيها، يجب أن أحصنها، يجب أن أرضيها لا، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: أن تطعمها إذا طعمت، يعني لا ينبغي للزوج أن يأكل ما لذا وطاب، وأن يجعل طعام زوجته في مستوى أدنى، أن يطعمها إذا طعم، أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت.

((وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ))

لأن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان في وجهه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن ضرب الوجه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ))

وإذا ذكر الله فأمسكوا ولا تضرب الوجه، ولا تقبح بالكلام، هذا من حقها عليك:

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ))

يجب أن تبقى في البيت، لأنها إذا بقيت في البيت فالقضية سهلة الحل، أما إذا انطلقت إلى بيت أهلها، طردتها من البيت فالأمر يتفاقم، وقد ينتهي إلى الطلاق.

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾

إذاً: الله عز وجل أمر الزوج أن ينفق على زوجته بقدر ما أعطاه الله، إذا وسع الله عليه ينبغي أن يوسع على عياله، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾

(سورة الطلاق: من الآية 7)

الحديث الثاني:

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود وأحمد]

يعني يكفيه هذا الإثم العظيم أن يضيع من يقوت، هؤلاء عيالهم مَن لهم ؟ ليس لهم إلا الزوج، فإذا ضيع هذا الزوج من يقوت فقد ضيع أهله، وقد ألجأهم إلى التطلع إلى غيره، وقد حملهم على بغضائه، وقد حملهم على كراهيته، لذلك العاقل إذا آتاه الله مالاً.

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾



من غير إسراف، ولا تبذير، ولا مخيلة.

الإمام مسلم في صحيحه روى حديثاً عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ...))

[مسلم]

وفي رواية أحمد عن ي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

[أحمد]

أي في عتق رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، باب ثالث ودينار أنفقته على أهلك، من منكم يظن أو يتوقع أي هذه الدنانير الأربعة هي أفضل عند الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

الدينار الذي أنفقته على أهلك، لماذا ؟ لأنك إذا أنفقت دينارا في سبيل الله، ربما أنفق غيرك هذا الدينار، إن لم تنفق أنت أنفق غيرك، وإذا أنفقت دينار في عتق رقبة ربما أعتقها غيرك، وإذا أنفقت دينار على مسكين ربما أنفقه عليه غيرك، ولكنك إذا امتنعت على إنفاق المال على أهلك فمن ينفق عليهم ؟ من لهم غيرك ؟

أعيد عليكم رواية الحديث: روى الإمام مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده، واللفظ له:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

فهنيئًا للذي يسعى، ويجد، ويكد، وينفق على أهله، هذا نفقة هي عند الله أفضل من الأنواع الثلاثة التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث.

الحديث الثالث:

وفي حديث آخر روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله))

[الجامع الصغير عن جابر]

يجب أن تعلم الزواج جملة وتفصيلاً إنما شرع الله عز وجل من أجل أن يكون لك فرصة لعمل صالح تتقرب به إلى الله عز وجل، كيف أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض معايش، وأبواب لكسب الرزق، هل رفع الحرارة، الحر باب من أبواب كسب الرزق، معامل المكيفات، معامل المراوح، المرطبات، هذا كله، هذا باب كبير من أبواب كسب الرزق، والبرد أيضاً باب من أبواب كسب الرزق، وطول الشعر باب من أبواب كسب الرزق، والمرض باب من أبواب كسب الرزق، وجرثومة تصيب بعض النباتات باب من أبواب كسب الرزق، مهندسون، وأخصائيون، وأدوية، ومرشات، واستيراد بضاعة، وتحويل ثمن البضاعة و... كله بسبب هذه الجرثومة التي خلقها الله من أجل أن تكافحها.

ربنا عز وجل جعل في الأرض أبواب للرزق لا تعد ولا تحصى، وفي المقابل جعل أبواب للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى، إن من أعظم هذه الأبواب موضوع الزواج والأسرة، جهدك في عملك كسب الرزق.

((من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له))

[الجامع الصغير عن المقدام بن معدي كرب]

من أجل أن تنفق على زوجتك وعلى أولادك، من أجل أن تجعلهم يطمئنون إليك، ويلتفتون إليك، هذا كله من العمل الصالح.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله))

[الجامع الصغير عن جابر]

الزوج الصالح الذي يكسب مالاً حلالاً ينفق على أهله، يلبي لهم حاجاتهم، التدفئة، الأثاث المعقول، اللباس المعقول، الطعام المعقول، أنا أقول: المعقول من دون إسراف، ولا تبذير، ولا مخيلة، الشيء المعقول.

الحديث الرابع:

لا زلنا في الحديث عن حقوق الزوجة، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنْ الْمَاءِ أُجِرَ))

[أحمد]

هذا تشجيع للزوج أن يقيم مودة بينه وبين زوجته، من خلال أن يرعاها، وأن يحفظها، وما إلى ذلك. وفي حديث آخر:

((وأن يضع الرجل اللقمة في فم زوجته هي له صدقة))

[ورد في الأثر]

والعلماء قالوا: إن الزوج يجب أن ينفق على زوجته الموسرة، هذا حق، وإنْ كانت موسرة غنية، أو فقيرة، هذا ليس من شأنك، وإذا طابت لك عن شيء فكُلْهُ هنيئاً مريئاً، والعلماء قالوا: يُسمح للزوجة أن تدفع زكاة مالها لزوجها الفقير، لكنَّ الزوج لا يحِقُّ له أن يدفع زكاة ماله لزوجته، لكنَّ الزوجة الموسِرة يُمكِن أن تدفع زكاة مالها لزوجها.

الحديث الخامس:

روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ))

[البخاري]

صدقة بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنى.

ما هي أفضل الصدقات ؟

مثلاً: زوجته بحاجةٍ إلى معطفٍ في الشتاء، معطفها السابق لا يليق، يجعلها تشعر بأنها وضيعة، فاشتريت لها معطفاً يتناسب مع دخلك، ومع مستواها، إن هذا الذي تفعله يُعدُّ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نصِّ هذا الحديث صدقةً، وأعود و أُكرِّر: من دون إسرافٍ، ولا تبذيرٍ، ولا مخيلة، العلماء فرَّقوا بين الإسراف والتبذير، فالإسراف في الحلال، والتبذير في الحرام، والمخيلة هي الكِبر، أن تُطلِع الناس على ما عندك من أجل أن تجعلهم يتصاغرون، هذا أحد أنواع الفساد.

والإمام مسلمٌ في صحيحه أيضاً يروي حديثاً عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[مسلم]

إذا كان أخوك المؤمن بحاجة إلى شيء، هذا عمل طيّب جدّاً، لأنَّ المؤمن له مكانته، له كرامته، له مروءته، له حياؤه، له خجله، فإذا لبَّيت له حاجته، وحفِظت له ماء وجهه، وكففته عن السؤال، هذا عمل عظيم، فأفضل دينارٍ يُنفقه الرجل دينارٌ ينفقه على عياله، ودينارٌ يُنفقه على دابَّته في سبيل الله، ودينارٌ يُنفقه على أصحابه في سبيل الله.

ألا تعلمون أن إنفاق المال على الزوجة أحد أسباب القِوامة عليها، لقول الله عز وجلّ:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

الإنفاق من مقتضيات قوامة الرجل على المرأة

أحد أسباب القِوامة على زوجتك أنَّك تنفق عليها، فلو أنك امتنعت من الإنفاق عليها، شعرَت أنك لا تُنفِق عليها، وأنَّك تضِنُّ بمالك عليها، وعندئذٍ تستعصي عليك، وتبتعد عن تنفيذ أمرك، وقد تعصي، و قد تستفِزُّك، لأن أحد أسباب القِوامة أن تُنفِق على زوجتك، لذلك الزوجة التي لها دخلٌ – لا أقول: مُطلقاً – في الأعمِّ الأغلب، التي تشعر باستقلاليّتها عن زوجها كثيراً ما تُسيء مُعاملته، تقول لك: أنا أُنفِق على نفسي.

بالمناسبة ؛ أنت إذا طلبت من الله الرزق، لا تريد أن يأتيك رزقكَ عن طريق زوجتك، أطلب من الله أن يكون الرزق عن طريقك وحدك، هذا من فضل الله عز و جلّ، إذا قسم الله لك رزقاً حلالاً يكفيك، ويكفي أهلك كان أكثر عْونًا لك على إدارة هذه الزوجة.

العلماء يقولون: يسقط هذا الواجب – الإنفاق على الزوجة واجب – إذا فوّتت الزوجة على زوجها الهدف من الحياة الزوجية، وحينما تفوِّت الزوجة على زوجها الهدف الكبير من الحياة الزوجية يسقط حقُّها في الإنفاق عليها. مثلاً: إذا امتنعت عنه، هو لماذا تزوَّج ؟ من أجل أن يُحصِن نفسه، فإذا امتنعت عنه سقط حقُّها في الإنفاق عليها، وإذا هجرت بيته، وذهبت إلى بيت أهلها يسقط حقُّها في الإنفاق عليها، وإذا خرجت من البيت من دون إذنِهِ يسقط حقُّها في الإنفاق عليها، لذلك المحاكم الشرعيّة تعُدُّ هذا نشوزاً من الزوجة، لا تستحِقُّ النفقة إلا إذا دُعيَت إلى بيت زوجها، فإذا أبَتْ يسقط حقُّها في الإنفاق عليها.

الحديث السادس:

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى))

[البخاري]

أي ما جعلتَ الذين تنفق عليهم في غنى.

((وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))

تقول المرأة لزوجها: إمّا أن تطعمني، وإمّا أن تطلِّقني، ويقول العبد: أطعمني، واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى مَن تَدَعُني ؟.

هذا الذي يبخل على زوجته أو على عبده أو على أولاده، هذا عند الله آثمٌ إثماً كبيراً، تقول له الزوجة: أطعمني أو طلّقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى مَن تدعني ؟

الحقيقة أنّ بعض الفقهاء استنبطوا من هذا الحديث أن المرأة يجوز لها أن تطلب الفراق من زوجها إذا لم يُنفِق عليها، لعِلّة عدم الإنفاق، وعلماء آخرون آثروا أن تصبر المرأة على زوجها، فلا يُعقل أن تأخذ خيره حين كان دخله كبيراً، وأن تطلب الفراق منه إذا كبا به جواده، أو ضعفت قواه، أو قلَّ رزقه، ليس هذا من الوفاء، لذلك الأرجح أن تصبر المرأة على زوجها، لأن هذه بتلك.

وقد أجاز العلماء أن تستقرِض المرأة من أجل أن تأكل الأكل الأساسي الضروري على ذِمّة زوجها إذا امتنع من أن يُنفق عليها، فإذا يسَّر الله له وفّى هذا الدين، لقول الله عزَّ وجلّ:

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة: الآية 280

ويقول الله عزَّ و جلّ:

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرا ﴾

(سورة الطلاق: الآية 7)

الشيء الذي أحبُّ أن أقوله لكم: الإنفاق يجب أن يكون باعتدالٍ في المسكن والملبس والمطعم والمشرب. بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام فاطمة الزهراء جاءت أباها، طلبت منه خادمةً تُعينها على عمل البيت، فعَلِيٌّ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ:

((أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ))

[البخاري ومسلم]

النبي الكريم ما أحبَّ خادمةً لابنته فاطمة، هذا من باب الاعتدال.

الحقيقة هذا كلُّه عن الإنفاق على الزوجة، هذا أوّل حقٍّ من حقوق الزوجة على زوجها، أن يُحسِن إليها في مطعمها ومشربها وكسوتها، وأن يُطعِمها إذا طعِم.

واجبات الزوج نحو زوجته: حسن المعاملة والعشرة

لكنَّ الحقَّ الثاني: والذي يبدو لي أخطر من الأوّل، لأنَّه ما من بيتٍ إلا والطعام والشراب متوافرٌ فيه – في الأعمِّ الأغلب – ولكن المشكلة الآن في إساءة المعاملة، الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول في آيةٍ محكمةٍ واضحةٍ صريحةٍ لا تحتمل التأويل:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾

(سورة النساء: من الآية 19)

عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، فَقَالَ:

((أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ . العوان: جمع عانية أي ضعيفة، المرأة في الأصل ضعيفة . لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا...))

ما دامت هذه الزوجة لم تقترِف الفاحشة، وهي تحفظ نفسها، وتُطيع زوجها، وتُصلّي خمسها، و صوم شهرها، هذه زوجةٌ يجب أن ترعى حقوقها.

قال بعضهم: إنَّ المرأة التي تحبس نفسها على راحة زوجها حتى تكون لديه كالأسير، خروجها بإذنه، كلُّ علاقاتها منضبطة بموافقته، إذًا: هي كالأسيرة، مُقابل أنها أسيرةٌ عنده ينبغي أن يغمرها بالعطف والمودّة، والُّلطف والإحسان، ما دامت عندك أسيرة فيجب أن تعاملها معاملةً تُنسيها أنها أسيرة.

معنى المعاشرة بالمعروف

هذا من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

العلماء فسَّروا المعروف تفسيرات كثيرة:

المعنى الأول:

من هذه التفسيرات: العفو والمُسامحة، هناك زوجٌ لا يعفو، استُرضيَ ولم يرضَ، اعتذَرَتْ له، توسَّلتْ إليه، رَجَتْهُ، هو حقود، إن كنتَ حقوداً، إن لم تُسامح، إن لم تعف، فأنت عاصٍ لله عزَّ و جلّ في نصِّ هذه الآية.

المعنى الثاني:

من معاني:

﴿وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

نسيان الهفوات، وترك تتبّع العثرات، هذا من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

المعنى الثالث:

من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

العقوبة على قدرِ الذنب تماماً، تأديباً لا انتقاماً، أحياناً أزواج يستخدمون سلطتهم استخداماً تعسُّفيّاً لسببٍ تافه، لذنبٍ صغير، لهفوةٍ يحلف عليها بالطلاق و يطردها من البيت في منتصف الليل، لا، لا يجوز هذا، أساساً الحمقى لهم ردود فعلٍ عنيفة جدّاً، ردّ الفعل عنيف لا يتناسب مع الفعل، أمّا الموفَّقون في حياتهم الموصولون بالله، يُلقي الله في قلبهم الحكمة، فلا يُعاقب إلا بقدر الذنب، والنبي إذا كان أعرض عن زوجاته، فإذا كنت زوجاً ناجحاً جداً يجب أن يكون إعراضك عن زوجتك أكبر عقابٍ تعاقبها به، الإعراض فقط، أمّا السُباب والشتائم فإنك ستتلقَّى المثيل، ليس هذا من الحكمة، وليس من المعروف والإحسان، ولا من هذه الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة التي توصي الرجال بالنساء.

المعنى الرابع:

لكن أجمل تفسير لهذه الآية: ليست المُعاشرة بالمعروف كفُّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، لذلك تروي القصص أن رجلاً عنده زوجة سيئة جداً، فقيل له: طلِّقها يا أخي، قال: والله لا أُطلِّقها فأغُشَّ بها المسلمين، قد أُطلِّقها، ويأتي إنسان يتزوَّجها، إن فعلت هذا غششتُ بها المسلمين، فصبرُ الزوجة على زوجها أو صبر الزوج

على زوجته بابٌ من أبواب الجنّة، هذه الدُّنيا دار ابتلاء لا دار استواء، منزِلُ تَرَحٍ لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عُقبى، فجعل بلاء الدُّنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدُّنيا عِوَضاً، فيأخُذُ ليُعطي، ويبتلي ليجزي.

إذاً: ليست المعاشرة بالمعروف كفَّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحِلم عند طيشها وغضبها، في بعض الأيام يختلُّ توازن الزوجة، فتتكلَّم بكلامٍ منه ما يُسمَع، ومنه ما لا يُسمَع.

النبي عليه الصلاة والسلام هو المثل الأعلى، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[البخاري]

هو قدوتُنا، لا تصدِّق أن إنساناً لا يوجد بينه وبين زوجته بعض المشكلات، هذه سُنَّة الله في الخلق، ليمتحِن عفوك وحِلمك، وحكمتك وصبرك، واتّزانك وضبط نفسك، النبي عليه الصلاة والسلام كان قدوةً لنا، فكان يقف موقِف الحليم الرحيم من زوجاته، لا تُصدِّق أن النبي الكريم عنده زوجات لم يسمع منهن كلمة، بل كانت زوجاته يُراجِعنه الكلام، ويهجُرنَهُ إلى الليل أحياناً، وكان يحلُم عليهم، هكذا ورد في السيرة.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام ينزل إلى مستوى زوجاته، إلى مستوى عقولهنَّ، و قد ذكرت لكم من قبل كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام تسابق مع زوجته عائشة فسبقته لأنها شابّة، بعد سنوات تسابق معها فسبقها فقال: هذه بتلك، تعادُل، هذه بتلك.

النبي عليه الصلاة و السلام إذا دخل بيته بسَّاماً ضحّاكاً، فإذا كنت مرحاً، وكنت لطيفاً، وكنت ليّن العريكة مبتسماً، والله هذا شيء جميل، هذه أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

المعنى الخامس:

من حُسن المُعاشرة التي أمر الله بها أن تنظر إلى مزاياها إذا نظرت إلى مساوئها، لا يوجد إنسان كامل، وهناك أزواج يركِّزون على المساوئ فقط، بعض العيوب في شكلها، بعض العيوب في أخلاقها، في طباعها، لكنها حَصَان، عفيفة، شريفة، نظيفة، مِطواعة، يتجاهل ميِّزاتها، ويُبرز أخطاءها، ليس هذا من حُسن المُعاشرة.

المعنى السادس:

من حُسن المُعاشرة إذا نظرتَ إلى عيوبها، أو إلى بعض عيوبها، انظر إلى مزاياها أيضاً، هذا هو العدل والإنصاف، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

قال تعالى:

﴿ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة النساء: من الآية 19]

قد لا يُعجبك شكلها، لكن قد تُنجب لك أولاد أذكياء، موفَّقين، قد تكون الزوجة طيّعة، قد تكون صبورة، قد تكون متواضعة، طلباتها معقولة، لو أنَّك تزوَّجتها كما تريد لأتعبتْك تعباً لا حدود له، فالله عزَّ و جلّ هو الحكيم، هو اختارها لك، اختياره، ألا ترضى باختياره ؟.

المعنى السابع:

من حُسن مُعاشرة الزوجة – هذه كُلُّها معاني حُسن المُعاشرة – أن لا تُسيء الظنَّ بها، هناك أزواج عندهم سوء ظنّ، طبعاً سوء الظنِّ ضروري و غير ضروري، ضروري إذا شككت بشيء، إنسان نبَّهك: انتبه، في منزلك حركة غير طبيعية، لا أنا حَسَن الظنِّ بزوجتي، فأنت إذا أجدب، إذا كان هناك ملاحظات، دلائل، ريب، فيجب أن تُسيء الظنّ و أن تبحث، لكن عندما لا يوجد أي دليل على وجود خطأ، ولا يوجد لفت نظر، عندها نهانا

النبي عليه الصلاة والسلام عن أن لا نُسيء الظنّ بالزوجة، لأنّ إساءة الظنِّ بالزوجة يُحطِّمها، يُفقدها معنويَّاتها، فنهى النبي عليه الصلاة والسلام عن سوءِ الظنِّ بها، وأن يتَّبَّع زوجها عوراتها.

ثلاً: دخل إلى البيت فجأةً من دون أن يطرق الباب، جاء من سفر فداهم البيت مُداهمةً فجأةً، هذا يعني أنه يشُكُّ بها ؟

هذا يفعله من يُسيء الظنَّ بزوجته، فالنبي كان إذا قَدِمَ من سفر أعلم أهله قبل أن يدخُل البيت، هكذا علَّمنا النبي عليه الصلاة والسلام، الآن هناك هاتف، أخبرهم من المطار أنك وصلت، أمّا المُداهمة، والمُفاجأة فتعني أنَّك تشُكُّ بها، لذلك ورد في الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ أَهْلَهُ لَيْلًا))

[البخاري]

أن يطرُق أهله ليلاً يتخوَّنهم – كأنّه يتخوَّنهم – أو يطلب عثراتهم، لأن هذا يوَفِّر الأمن للزوجة والسلام، ويوَفِّر لها كرامتها وموَدَّتها معك.

كلُّ هذه المعاني مُستنبطة من آيةٍ واحدة:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

ربَّما كان هذا الحقّ أبلغ من حقِّ الطعام والشراب، لا يوجد بيت ليس فيه طعام وشراب، والزوجة تأكل طعاماً خشناً، ولا تحتمل أن تُسيء الظنَّ بها، تأكل طعاماً خشناً، ولا تحتمل أن تكون قاسياً معها، تأكل أخشن الطعام، ولا تحتمل أن تهجرها، لذلك حُسنُ العُشرة مع الزوجة ربّما كان مُقدَّماً على واجب الطعام و الشراب. و هناك حقوق كثيرة للزوجة، لأنه كما قُلت في بداية الدرس: الأزواج يطرَبون طرباً لا حدود له لحقوق الزوج على زوجاتهم، يقول لك اللهم صلّ عليه... هكذا قال...هكذا قال... اصبر، هناك أحاديث أخرى، كما أن لك عليها حقّ، لها عليك حقّ، والإنسان إذا عرف ما له و ما عليه و أعطى كلّ ذي حقٍّ حقَّه، ساد السلام في البيت.

بقي علينا نماذج من مواقف النبي عليه الصلاة والسلام، الآن ننتقل إلى السيرة المتعلّقة بهذا الموضوع.

نماذج نبوية في معاملة الزوجة

الحديث الأول:

عَن عَائِشَةَ قَالَتْ:

((لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ بِحِرَابِهِمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ))

[متفق عليه]

تطييباً لخاطرها.

الحديث الثاني:

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ . يعني بالدُمى . عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي))

[متفق عليه]

هناك من يتزوَّج بنتاً صغيرة، فتقول له: أريد لعبة، فيسُبُّها، اجلب لها لعبة، وحُلَّ المشكلة، فالسيدة عائشة تقول:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ . أي بلعب الأطفال . عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي))

فالنبي يسمح لهُنَّ فيلعبنَ معي، بموافقته، هذا تطييبٌ لخاطرها، فإذا كانت زوجتك صغيرة، وطلبت منك شوكولا مثلاً فلماذا الانزعاج ؟ حنَّت إلى طفولتها، هكذا فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُريدها في سنٍ صغيرة و عقلٍ كبير.

الحديث الثالث:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ . أي هذا الأمر صحيحٌ . وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ))

[متفق عليه]

الحديث الرابع:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى النِّسَاءِ، تَعْنِي فِي مَرَضِهِ فَاجْتَمَعْنَ فَقَالَ:

((إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأْذَنَّ لِي فَأَكُونَ عِنْدَ عَائِشَةَ فَعَلْتُنَّ، فَأَذِنَّ لَهُ))

[أبو داود]

انظر إلى الأدب، ما رضي أن يبقى عند عائشة إلا بعد أن جمع نساءه كُلَّهُنّ، واستأذنهُنَّ في ذلك، لأنها لها حقّ.

الحديث الخامس:

عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَتْ:



((كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ خَرَجَ))

[البخاري]

كان إذا فَرَغَ كان في خِدمة أهله – أي يُساعدهم في أعمال البيت – من دون أن يشعُر أنه مُهان، كان في مَهنة أهله، فكان يحلِبُ شاته، ويكنُسُ أرضه، ويخصِف نعله، وكان في مَهنة أهله.

الحديث السادس:

فعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ . أي انكسرت . فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[البخاري]

كان عادلاً، تلك أرسلت صحناً جديداً فكُسر، فأرسل لها صحناً بدلاً عنه.

كان عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمّهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه، لا يسمح أبداً، هناك شخص يسمح لزوجته الأولى أن تتكلّم عن الثانية، يقول لها: والله معك حقّ، ثُمَّ يذهب مساءً إلى البيت الثاني فتتكلم زوجته الثانية عن الأولى، فيُصغي لها، النبي عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمّهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه.

الحديث السابع:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ:

((مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ))

[الترمذي]

الحديث الثامن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

[البخاري]

الحديث التاسع:

وفي رواية عن سَمُرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقَامَةَ الضِّلْعِ تَكْسِرْهَا، فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا))

العملية تحتاج إلى مُداراة.

الحديث العاشر:

وفي روايةٍ أُخرى في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ))

الحديث الحادي عشر:

و في روايةٍ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا))

[مسلم]

الحديث الثاني عشر:

في خِتام هذا الدرس، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خِيارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))

[ابن ماجه]

قصة وعبرة: أشكو مما منه تشكو

بقيت قصّةٌ قصيرة: كان أعرابيٌّ يُعاتِبُ زوجته، فعلا صوتُها صوتَه، فساءه ذلك منها، وأنكره عليها، ثُمَّ قال: و الله لأشكوَنَّكِ إلى أمير المؤمنين عُمَر، وما أن كان بباب أمير المؤمنين ينتظر خروجه حتى سمِع امرأة أمير المؤمنين تستطيل عليه، وتقول له: اتَّقِ الله يا عُمَر فيما ولاّك، و ساكتٌ لا يتكلَّم، فقال الرجل في نفسه و هو يهُمُّ بالانصراف: << إذا كان هذا هو حال أمير المؤمنين، فكيف حالي أنا ؟، و فيما هو كذلك خرج عمر، ولمّا رآه قال: ما حاجتك يا أخَا العرب ؟ فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، جئتُ إليك أشكو خُلُق زوجتي، واستطالتها عليّ، فرأيت عندك ما زهّدني إذ كان ما عندك أكثر مما عندي، فهممتُ بالرجوع، وأنا أقول: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته، فكيف حالي ؟ قال، فتبسَّم عمر رضي الله عنه و قال: يا أخَا الإسلام، إنّي احتملتها لحقوقٍ لها عليّ . إنّي احتملتها، أنا قادر أن أكون لئيماً، وأن أحطِّمها، ما أكرمهُنَّ إلا كريم، ولا أهانهُنَّ إلا لئيم، يغلِبنَ كلَّ كريم ويغلبهُنَّ لئيم، وأنا أحبُّ أن أكون كريماً مغلوباً لا أن أكون لئيماً غالباً . قال له: يا أخا العرب، إنّني

احتملتها لحقوقٍ لها عليّ، إنّها طبّاخةُ لطعامي، خبّازةٌ لخُبزي، مُرضعةُ لأولادي، غاسلةٌ لثيابي، وبقدر صبري عليها يكون ثوابي، ألا يكفي هذا الكلام من سيّدنا عمر ؟ وبقدر صبري عليها يكون ثوابي >>.

وللبحث بقيّة في درسٍ قادم

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4 – 5) : حق الزوجة على الزوج في هدايتها ورعاية دينها وأخلاقها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الخبير، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة

أيها الإخوة المؤمنون، لازلنا في حقوق الزوجة على زوجها.



ويبدو أن الإنسان إذا أدى ما عليه من حقوق وجد الطريق إلى الله سالكا، فأيّ تقصير أو أيّ مخالفة إنما هي عقبة في الطريق إلى الله، فإذا أديت ما عليك من حقوق لزوجتك أو لأولادك أو لجيرانك، أو لمن حولك، لعل الله سبحانه وتعالى بتأدية الحقوق يزيل كل العقبات التي في طريق الإنسان إلى الله عز و جل.

معنى حسن المعاشرة

تحدثت في الدرس الماضي عن حق الزوجة في الإنفاق عليها، وقد تحدثت أيضا عن حقها في حسن المعاشرة، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا في القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: من الآية 19)



وقد تحدثت حول هذه الآية كثيرا، و لعل من أبرز ما كان الحديث عنه في هذه الآية أن حسن المعاشرة لا تعني أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل تعني أن تحتمل الأذى منها، وشتان بين الفهمين والموقفين، إذا تحدثنا عن حقين من حقوق المرآة على زوجها. وقد قلت أيضا: إن الإنسان يحلو له أن يبحث عن حقوقه، وعن واجبات الآخرين له، ولكن البطولة أن تبحث أيضا عن واجباتك تجاه الآخرين، والبطولة أيضا أن تبحث عن حقوق الآخرين التي تطالب بها يوم القيامة.

من حقوق الزوجة على الزوج: حفظ الدين والسلوك وحسن التوجيه

الحق الثالث من حقوق الزوجة: أن تحافظ على دينها، وأن ترعى سلوكها، وأن تحسن توجيهها، لأن الأزواج في هذه الأيام ما دامت الزوجة تروق له، وتقدم له خدمات جيدة , نظيفة , مرتبة , تعرف ما ينبغي أن تفعله الزوجة, فهذا في المرتبة الأولى، أما أمر دينها ففي المحل الثاني، إذا خرجت بطريقة لا ترضي الله يتساهل , إذا استقبلت الرجال يتساهل، وهذا لا يرضي الله يتساهل، لكنه قد لا يتساهل في أمر يمسّ علاقته بها، أو نصيبه منها، هذه المرأة إذا تركتها مع رقة في دينها، و تقصير في معرفة ربها، وضبطها في النواحي المادية، هذه لها حق عليك كبير يوم القيامة، وربما صدق على هذا الزوج أن هذه المرآة تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أُدخل زوجي قبلي، لأنه لم يوجهني، ولم يبصرني، ولم يعرفني، ولم يأخذ بيدي إليك.

طبعا ما من زوج إلا ويهتم بسلامة جسم زوجته، ويخشى عليها من الأمراض، لأنه هو سيدفع الثمن، فأيّ مرض عضال يصيبها هو وحده سيدفع الثمن باهظا، لذلك ترى معظم الأزواج حريصين حرصا لا حدود له على صحة زوجاتهم، وعلى سلامة أعضاء زوجاتهم، وعلى رفاهية زوجاتهم، هذا الحرص يجب أن يقابله حرص آخر على سلامة دين زوجتك، وعلى حسن معرفتها بالله، وعلى حسن علاقتها بالله... وإلا فأنت تخونها، هي شريكة حياتك، لماذا هي شريكتك في الطعام، في المسكن ؟ وفي نصيبك منها ؟ وليست شريكتك في معرفة الله ؟

وليست شريكتك في فهم القرآن الكريم ؟ وليست شريكتك في التفقه في سنة رسول الله ؟

لذلك فهذا الذي يهمل دين زوجته، ويهمل معرفتها بالله، ولا يعلق أهمية على تعليمها العلم الشرعي، لا يقيم وزنا لفهمها لدينها، هذا مقصر أشد التقصير في حقها، هذا كلام طيب ومقنع، ومنطقي ومعقول.

الأدلة القرآنية على وجوب حفظ الزوج دين الزوجة

ولكن أين الدليل ؟ وكما عودتكم ما من إنسان بعد النبي عليه الصلاة والسلام يقبل منه أن يقول كلاما بلا دليل، كلام طيب، ولكن هل له دليل ؟ نعم:

الآية الأولى:

يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: من ا لآية 6)



﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾

أي: أنت مأمور أن تقي نفسك نار جهنم، ومأمور أيضا وفي الدرجة نفسها، وبالمستوى نفسه أن تقي أهلك نار جهنم، وكيف تقي أهلك، والأهل هم الزوجة والأولاد ؟

تقيهم بتوجيههم، بتعريفهم، بإرشادهم ومراقبتهم، ومحاسبتهم.

شيء آخر، ولعله مهم جداً، وهو أن الله سبحانه وتعالى جعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فأنت ولي أخيك المؤمن، فإذا رأيت منه اعوجاجا أو انحرافا، أو تقصيراً أو مخالفة، أو معصية فلا بد من أن تنصحه، ولا بد من أن توجهه، ولا بد من أن تأخذ بيده، ولا بد من أن تعاونه، لماذا ؟ لأنه أخوك في الله، وله حق عليك، فإذا كان

المؤمنون بعضهم لبعض أولياء، وكل واحد منهم له حق على الآخر، فمن باب أولى أن يكون الزوج وزوجته من أول من تطبق عليهم هذه الآية.

الآية الثانية:

يقول الله عز و جل:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

(سورة التوبة: من الآية 71)

ما معنى:

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

أي: إذا كنت راكباً سيارة، وأمامك أخ يركب مركبة، وشعرت أن هناك بوادر احتراق بالسيارة، وصاحبها لا يدري، أنت كأخ له، أنت كمؤمن، وهذا الذي أمامك مؤمن أكبر حق له عليك أن تنبهه أن تلفت نظره، والأصح من هذا أنت مكلف بأي إنسان، الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله انفعهم لعياله، ولكن الحديث هنا عن المؤمنين لسبب، وهو أن غير المؤمن لا يستمع إليك، فلو رأيت إنساناً في الطريق يعصي الله، يشرب الدخان في رمضان، فربما لو نصحته أسمعك كلاما لا يرضي، وهذا ليس هو المقصود، فالحديث هنا عن المؤمنين، يقول ربنا سبحانه و تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

فأنت ولي أخيك، وأخوك وليك، من كان منكم أكثر علما، وأقرب إلى الله، وأكثر ورعا وفهما فلينصح الأخ الآخر.



إذاً: المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، والمنافقون بعضهم لبعض غششه متحاسدون، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعض غششه متحاسدون، ولو اقتربت منازلهم))

[ورد في الأثر]

وقد مر بنا قوله سبحانه و تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

ولكن ما معنى: بعضهم أولياء بعض ؟

﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة التوبة: من الآية 71)



فإذا كان أخوك المؤمن له حق عليك ؛ أن تنصحه، له حق عليك، أن ترشده، له حق عليك، أن تأخذ بيده، له حق عليك أن تبصره، وأن تنور بصيرته، فهذه شريكة حياتك، هذه التي نذرت نفسها لخدمتك، هذه التي حبست نفسها من أجلك، هذه التي شاركتك في الضراء والسراء، أليس لها حق عليك أن تأخذ بيدها إلى الله عز وجل ؟ أليس لها حق أن تعرفها

أمر دينها، أن تبصرها سنة النبي عليه الصلاة والسلام، أن تصلح اعوجاجها، وأن تقيم انحرافها، من باب أولى، إذا كان أخوك المؤمن العادي له حق عليك فهذه زوجتك، لذلك إن شئت على قوله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: من ا لآية 6)

وإن شئت على قوله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أحاديث نبوية في وجوب حفظ دين المرأة

الآن من أقوال النبي عليه الصلاة و السلام:



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

[أبو داود، النسائي، ابن ماجه]

شيء رائع جداً فوق مستوى الروعة أن ينهض الرجل ليصلي قيام الليل، وأن يقيم زوجته معه.

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

هذه المشاركة.... فقد تكون الزوجة أكثر نشاطا من زوجها، وقد يكون الزوج أكثر نشاطا من زوجته، فلا بد من التعاون، لا يقلّ قدرك، ولا يقلل من شأنك أن توقظك زوجتك على الصلاة، فهذا شيء لطيف.. فإما أنت وإما هي، فأنت تشتهي زوجتك بالطعام، فالذي ذاق حلاوة الطاعة، وحلاوة القرب ألا يشتهي زوجته بهذا القرب؟

هذا هو حق التوجيه والإرشاد , حق التعريف بالله عز وجل، وحق أن تأخذ بيدها إلى الله.



مما روي أن امرأة قالت لابنتها يوم زفافها وزوجها يسمع: يا آبا أمية، ما أوتى الرجل شرا من المرأة المدللة . فوق الحدود . فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب , ثم التفت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة ".

لذا فإن قال بعض الأزواج تحت غطاء " يجب أن نأخذ بيدها إلى الله ": يجب أن نكرمها، فيعطيها شيئاً يفوق الحد المعقول، فتستطيل على الناس، وتفخر عليهم، وتوقع في قلوبهم اللوعة...لا:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ

***

وقد قال تعالى:

﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾

[سورة الإسراء: الآية 29]

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

((اخشوشنوا، وتمعددوا، فإن النعم لا تدوم))

[الجامع الصغير عن ابن أبي حدرد]

فالإنسان يجب أن يعوّد أهله على الأحوال كلها.

الحق الرابع للزوجة على الزوج: التزين لها

الحق الرابع للزوجة على زوجها أن يتزين لها كما تتزين له، فهذا أمر الشرع، فكما أنك تريد أن تظهر لك بمظهر حسن فهي إنسان أيضا تتمنى أن تكون أنت في مظهر مقبول، ومظهر حسن، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة: من الآية 228)

إنها درجة القوامة.

أتت امرأة إلى سيدنا عمر بن الخطاب، وزوجها أشعث أغبر، فقالت: يا أمير المؤمنين، لا أنا ولا هذا، خلصني منه، فنظر إليه عمر، وكان لماحا فطنا، فعرف ما كرهت منه، فأشار إلى رجل، وقال له: اذهب بهذا، وحممه، وقلم أظافره، وخذ من شعره، وائتني به، فذهب، و فعل ذلك، ثم أتاه به، فأومأ عمر إليه، أن يأخذ بيدها فقالت: يا عبد الله، سبحان الله ! أبين يد أمير المؤمنين تفعل هذا ؟ فلما عرفته أنه زوجها ذهبت معه، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا فاصنعوا لهن، فإنهن يحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم.

فهذه القصة تبين أن للزوجة حقا في أن يتزين لها زوجها، والنبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلا أشعث الشعر، فقال:

((احلق، فإنه يزيد في جمالك))

[ورد في الأثر]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ))

[أبو داود]



والنظافة من الإيمان، فالمؤمن نظيف ؛ نظيف في أخلاقه، نظيف في البدن، نظيف في الملبس، وسيدنا على كرم الله وجه يقول: << إن الله يكره من عباده القاذورة.

و يقول ابن عباس: **<< إنني ألبس، وأتجمل، فان الله جميل يحب الجمال >>.**

والنبي صلى الله عليه و سلام كان يعرف بريح المسك إذا مر.

وكان يقول:

((إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ))

[أحمد عن أبي الدرداء]

والنبي عليه الصلاة والسلام كان له ثياب خاصة جديدة يلبسها في أيام الجمع، وإذا حضرته الوفود، وقد كانت علية قومه تفعل ذلك.

فالمؤمن يحتاج إلى ثوب نظيف أنيق، والمؤمن يمثل الدين الإسلامي، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك.

يقول أبو الحسن: " هيئة الرجل لامرأته مما يزيد في عفتها ".

فتراك في مظهر حسن , نظيف , شعرك مرجّل، فهذا مما يصونها، ويجعلها تعتز بك، و تعف عن الآخرين.

الحق الخامس للزوجة على الزوج: عدم الزهد فيها وهجر مضجعها

الحق الخامس من حقوق المرآة على زوجها: ألا يزهد بها، وألا يهجر مضجعها.

فهذا الذي قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، هذا عاقبه الله عز وجل بأنه حرَّمها عليه ما لم يصم ستين يوما، أو يطعم ستين مسكينا، فكما أن له عندها حاجة فلها عنده حاجة، ومن الظلم أن تتجاهل حاجتها. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[متفق عليه]



فأي منهج يطبقه المسلم خلاف هذا المنهج فإنه يخالف به سنة النبي الكريم، فأولئك الذين تركوا الزواج نهائيا، أو تركوا العمل، هؤلاء قد خالفوا سنة النبي ﷺ، فسنة النبي تضمن لك أن تصل بها إلى أعلى مستوى، فقد كان له زوجات كثر، وكان يطوف عليهن جميعاً، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ))

[الترمذي]

وفي عهد عمر بن الخطاب أتت امرأة إليه وقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي قوام، فقال سيدنا عمر: بارك الله لك في زوجك، فقالت: إن زوجي قوام، وإني أكره أن أشكوه، فكان عند سيدنا عمر صحابي اسمه كعب الأسدي فقال: إنها تشكو زوجها، فقال عمر: هكذا فهمت من كلامها ؟ فإذا فهمت هكذا فاحكم بينها وبينه، فقال كعب: علي بزوجها، فأتوني به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، فقال: أفي طعام أو شراب ؟ قال: لا، فقالت المرأة، و قد صاغ أحد الشعراء شكواها بأبيات شعرية:

يا أيها القاضي الحكيم رَشَدُه ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهَّده في مضجعي تعبُّده فاقضِ القضا كعب و لا تَردّه
نهاره و ليله ما يرقده فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفي الحجل أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
ففي سورة النحل وفي السبع الطوال و في كتاب الله تخويف جلل

فقال له القاضي كعب:

إن لها حقا عليك يا رجل نصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العِلل

***

أي أن الله عز و جل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فكل ثلاثة أيام تعبد بها ربك، ولها الليلة الرابعة , فقال عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب، أمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما , اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

الحق السادس: إرشادها الى الخير وإبعادها عن الشر وصيانة نفسها

ومن حق الزوجة على زوجها أن يرشدها إلى طريق الحق، وأن يبعدها عن مواطن الشر.



ومن حقها عليه أن يأمرها بأن تصون نفسها، فمثلا: هناك شرفة في المنزل، خرجت الزوجة إليها بملابس البيت، و لمارة ينظرون، فلم يتأثر الزوج، فرأته ساكتا، فاستمرت، و إذا رأته تساهل استمرأته، فمن حقها عليك أن تأمرها أن تستر نفسها، فلو لم تفعل لحوسبت حسابا شديدا، والدليل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 59)

و قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 33)

يعني هذا أن المركز الأساسي أن تبقى في البيت لتقدم للمجتمع أكبر خدمة، فما من وظيفة أخطر من أن تربي أولادها، تماما كالطيار الذي لا بد من التزامه بغرفة القيادة للحفاظ على أرواح الركاب، فالبيت مركز قيادة المرآة، ويقول النبي عليه الصلاة و السلام:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[لجامع الصغير عن أنس]

((أي اعلمي أيتها المرآة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرآة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[كنز العمال عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

و هذا لنساء الرسول صلى الله عليه و سلم، فإذا كان نساؤه قد قررن في بيوتهن، وهن المحصنات التقيات الطاهرات فلأن يكون هذا الأمر موجها لنساء المؤمنين من باب أولى. وهذا مبدأ في الفقه، وقاعدة أساسية. مثلا: قوله تعالى:

﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾

(سورة الإسراء: من الآية 23)

فمن باب أولى أن يكون الضرب ممنوعاً.

و قوله تعالى:

﴿ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور: من الآية 31)

إذ أن هناك مشية للمرأة تلفت النظر، وهذه مشية المرأة مأمورة أن تبتعد عنها، كما أن هناك ثيابا ذات ألوان زاهية، وكذلك هناك أحذية ذات صوت يلفت نظر الرجال إليها، وأشد من ذلك كله أن تكون متعطرة، فإذا خرجت المرأة متعطرة لعنتها الملائكة حتى تعود، فكل شيء يلفت نظر الرجال إلى المرأة محرم بشكل قطعي.

أحيانا تهمل المرأة زينتها فيتضايق زوجها، وقد يصل الأمر إلى الطلاق، فالمذنب هو الرجل، إذ يجب أن يأمرها أن تصلح من هيئتها، ويجب أن يدقق عليها، فقد تكون صغيرة لا تعلم، أو لا تهتم، أو لا تبالي، فإذا استمرأت إهمال زينتها، وانزعج منها من دون أن يعرفها، ومن دون أن يلفت نظرها، ثم اتخذ منها موقفا صارما، وأرسلها

إلى بيت أهلها من دون أن تعلم السبب فهو آثم، لذلك يجب أن يذكرها بواجبها تجاهه، ومن أولى هذه الواجبات أن تكون حسنة المظهر أمامه من أجل أن تعفه عن النظر إلى الحرام، ألم يقل النبي عليه الصلاة و السلام

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ...))

[متفق عليه]



فهذا هو الهدف الأول من الزواج للمؤمن، أن يكون عفيفاً عن الشهوة، فإذا أهملت نفسها، وأهملت ثيابها، وأهملت زينتها، ثم كرهها، وأبغضها، وطردها فقد أخذها على غرة، إذ يجب أن ينبهها، وأن يلفت نظرها، وأن يأمرها، وأن يدقق عليها لكي تبقى على مستوى طموحه، والدليل: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ، اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: أَتَزَوَّجْتَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ: أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وتستحدث الْمُغِيبَةُ))

[متفق عليه]

فلم يرض النبي ﷺ أن يباغت الزوج زوجته إذا كان مسافراً، فقد تكون غير مستعدة لاستقباله، وقد تكون هيئتها دون الوسط، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا ألا نأتي من السفر إلى البيت مباشرة، فلا بد من إعلام الزوجة بأنك قد حضرت من أجل أن تأخذ المرأة من شعرها، ومن زينتها، ومن هيئتها، هذا من السنة النبوية. فقال:

((أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وتستحدث الْمُغِيبَةُ))

قد لا يترك الزوج لزوجته وقتا لتعتني بنفسها، وهنا تظهر المشكلة، فلا بد من أن ترضيه، ولا يوجد وقت لترضيه، فلا بد من أن تتجاهل بعض الوقت حتى تكون كما يريد، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[البخاري]

ويتبادر إلى الذهن هنا أن تتكلم المرآة كالرجال، أو أن ترتدي لباسا مما يرتديه الرجال عادة، أضف إلى هذا إذا أهملت المرأة زينتها، وآثرت الخشونة على النعومة والرقة، فقد تشبهت بالرجال، لذلك فقد أمر النبي النساء بالتزين حتى لا يتشبهن بالرجال في الخشونة والشدة.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كَانَتْ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ تَخْتَضِبُ، وَتَتَطَيَّبُ، فَتَرَكَتْهُ، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهَا: أَمُشْهِدٌ أَمْ مُغِيبٌ ؟ فَقَالَتْ: مُشْهِدٌ كَمُغِيبٍ، قُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ ؟ قَالَتْ: عُثْمَانُ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَلَا يُرِيدُ النِّسَاءَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأُسْوَةٌ مَا لَكَ بِنَا... فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ))

[أحمد]



فاعتنى بزوجته، وأعطاها حقها، فجاءت الزوجة في اليوم الثاني إلي السيدة عائشة، وقالت: لقد أصابنا ما أصاب النساء، فإهمال الزوجة مسؤولية.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

((أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً . وسادة . فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاذَا أَذْنَبْتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ ؟ قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ))

[متفق عليه]

ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان المصور ينحت الصنم، وكان الصنم يعبد من دون الله، ومن معاني التصوير النحت، وهو التجسيم، وقد كان الناس يعبدون هذه الأصنام من دون الله، فلذلك سدًّا للذرائع قال النبي الحديث الشريف:

((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

الحق السابع: الغيرة على الزوجة



ومن حق الزوجة على زوجها أن يكون غيوراً عليها، إذ إن هناك بعض الأزواج ليس لديهم الغيرة على زوجاتهم، اذهبي وحدك، تعالي وحدك، عند الطبيب وحدها، عند البائع وحدها، ومن حق الزوجة أن يغار عليها، وأن يوجهها إلى ما يحفظ عليها شرفها وشرفه، ولكن ليس معنى هذا أن يشتطّ الزوج في الغيرة عليها، فالشطط في الغيرة مرض فلا بد من غيرة سوية، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))

[متفق عليه عن المغيرة]

الغيرة قسمان: محبوبة وغير محبوبة

فالغيرة مطلوبة، ولكن هناك غيرة سوية، وغيرة مَرَضية، والنبي عليه الصلاة والسلام فصل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا مَا يُحِبُّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ))

[ابن ماجه]

فهناك غيرة يحبها الله ورسوله، وهناك غيرة يكرهها الله ورسوله.

فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، مثلا: أنت ارتبت، جاءتك معلومات مقلقة، شعرت أن هناك تصرفات عير صحيحة، تدعو للشك، فما دام دخل الريب إلى قلبك فالغيرة الآن يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يكرهها الله ورسوله فالغيرة من غير ريبة، فليس هناك دليل، ولا داع، ولا عبارة، ولا أي شارة، ولا تصرف مقلق، والأمور كلها طبيعية، فالآن إذا غرت فهذه الغيرة يكرهها الله ورسوله.

هناك حالات كثيرة اطلعت عليها لغيرة في غير موضعها تسبب نفور الزوجة، وهناك غيرة من الزوجة في غير موضعها تسبب نفور الزوج، إذ أن هناك زوجات غيورات، فزوجة مؤمنٍ إذا تأخر تسأله: أين كنت ؟ ومع من كنت ؟ وزوجها مؤمن، فمع من سيكون ؟ مع رفاقه، أو في شغله، أو قد يكون هو أيضا فيسألها: هل دخل أحد في غيابي ؟ ما هذا الكلام ؟ فغيرة من دون ريب، من دون سبب، من دون دليل، من دون إشارة، من دون تنبيه، من دون لفت نظر ، هذه غيرة يكرهها الله ورسوله، أما الغيرة مع الريب، مع تصرف مشبوه فمطلوبة.



مثلا: دخلت البيت، اضطربت، تسألها: لماذا هذا الاضطراب ؟ باب أغلق فجأة ....شيء خرج ...

شيء دخل، في مثل هذه الحالات لا بد من أن تكون غيوراً.

بالمناسبة، إن كل إنسان لا يتفقه في الدين يدفع الثمن باهظا، والله قبل خمسة عشر عاما في هذا المسجد عقب خطبة أمسكني رجل من يدي، وقال: أريد أن أحدثك بحديث خطير، فقلت له: تفضل، فقال: لقد اكتشفت اليوم أن زوجتي تخونني مع جار لنا منذ سنين، فسألته: ما السبب ؟ فقال: لنا جار، ومرة زارني، فناديتها يا أم فلان تعالي فاجلسي معنا، هذا فلان مثل أخيك، فجهله بالشرع دفع ثمنه باهظا، لذلك حضور مجالس العلم كما قال النبي عليه الصلاة و السلام حتم واجب على كل مسلم، إذا أن هناك قواعد خطيرة جدا، فالاختلاط طريق إلى الزنى، فإنسان رأى في هذه الزوجة ما ليس عند زوجته فمال إليها، ومالت إليه، أغراها وأغرته، ومن وراء ظهر الزوج فعلوا الفاحشة، فكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظا.

مثلا: يقول أحدهم: جاءنا خاطب شاب راقٍ مؤدب، فيسأل: هل عقدتم العقد ؟ فيجيب بأن العقد ليس ضروريا، وأمامنا وقت، يدخل ويخرج الخطيب، ثم يختفي وينتفخ البطن، فكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظا، هذه غيرة يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يبغضها الله ورسوله فهي الغيرة من دون ريب

دفع الزوج مواطن الريبة أمام الزوجة لاتقائها عن نفسها

و هناك شيء آخر، إذا كنت ماشيا مع زوجتك، وكنت تنظر إلى النساء من حولك، أو أن امرأة زارت زوجتك، فاستقبلت ورحبت، ونظرت، فأنت قمت بعمل خطير، فزوجتك رأتك، وأنت تخالف الشرع، فأنت الآن تعطيها مبررا لتعاملك بالمثل، فإذا رأتك في عفة وفي حشمة، وفي ورع وفي غض بصر اقتدت بك، وهنا نتدبر قول سيدنا موسى:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

[سورة القصص: من الآية 23]

فهل هناك في اللغة العربية بأكملها عبارة أشد اختصارا، وأكثر جدية، وأقطع لكل تعليق من هذه ؟ قالتا:

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة القصص: من الآية 23]

و مرة أخرى:

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

[سورة القصص: من الآية 25]

فلم تقل له: أبي يدعوك، وسكتت، فسألها: لماذا ؟ وهذا حتى لا يكون هناك حوار مباشرة،

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

انتهى الأمر بكلمة.

﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾

[الأحزاب: من الآية 32]

فلا كلمة زائدة، مثلا: سعرها كذا، ادفعي، وامشي، فإذا قالت: نحن جيرانك، فقد أصبح هناك حوار لا مبرر له، قال تعالى:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾

[الأحزاب: من الآية 32]



فحتى على الهاتف كلمة فقط، مثلا: فلان موجود ؟ لا، بلغوه أن فلانا قد اتصل به، انتهى، دق الباب، فلان موجود ؟ لا، تفضل، هذا كلام مخالف للأصول، فالإنسان يجب أن يتعلم كيف يتكلم، وهذا الذي يقول عنه النبي عليه الصلاة والسلام فعليه أن يكون عفيفا أمام زوجته، وأمام الله، فحين يكون عفيفا على مرأى منها يعلمها أن تكون عفيفة مع غيره، مع البائع، مع الشاري، مع أي إنسان، أما إذا هو أخذ، وأعطى في الكلام، وكان لطيفا جدا، وكان لينا في الكلام، ونظر، وأدار حديثاً ممتعاً ومازحاً مع امرأة لا تحل له على مرأى من زوجته، فكأنه يعطيها مبررا لتشطط في الحديث.

ومن حق الزوجة على زوجها أن يأمرها بالصلاة، وأفضل شيء أن يصلوا سوية، ففي البيت الزوجة مع الأولاد، أصبحت الصلاة صلاة جماعة، فتوضؤوا، وصلوا جماعة، فمن حقها عليه أن يأمرها بالصلاة، وأداء الفرائض لقوله تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة طه: الآية 132]

لذلك ورد في بعض الأحاديث أنّ الزوجة تتعلق يوم القيامة برقبة زوجها، وهي تقول: يا رب، خذ لي حقي من زوجي، لأنه كان يراني أفعل كذا وكذا من الموبقات فلم ينهني، وكان يراني أبتعد عن كذا وكذا من الخيرات وأداء الصلوات فلم يأمرني، يا رب، خذ لي حقي من زوجي.

إنّ الإنسان إذا لم يفعل فسوف يحاسب عن زوجته حساباً عسيراً.

الحق الثامن: عدم التحدث عن الأسرار الزوجية

شيء آخر، لا يجوز، ولا بأي شكل من الأشكال، ولا بأي تلميح أو تصريح، لا يجوز تحت طائلة أشد العقوبات أن يتحدث الزوج عن أسرار الحياة الزوجية للناس فهذا الذي يفعل ذلك لا يغار على عرضه، ما كان بين الزوج والزوجة يجب ألا يعلمه إلا الله، فالنساء في بعض المجالس يتحدثن عن أزواجهن، وعن أسرار الحياة الزوجية، والزوج أحيانا يتحدث عن زوجته، وأسرار العلاقة الزوجية، هذا الذي يفعل هذا فاقد للمروءة، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ))

[مسند أحمد]

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))

[مسلم]

ولكن هذا لا يدخل في نطاق السؤال: هل صار العرس ؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام سأل أبا طلحة، فقال: أعرّستم الليلة ؟ ولم يقصد النبي إلا أن يسأله: هل دخل بامرأته ؟ فهذه ليس لها علاقة بالعلاقة الزوجية.

الحق التاسع: عدم تكليف الزوجة بعمل فوق طاقتها

ومن حق الزوجة على زوجها ألا يكلفها عملاً فوق طاقتها، فهناك أحيانا زوج يضع برنامجا لتنظيف البيت غير معقول، ويحاسب حسابا شديدا .

فالتدقيق سهل، والفحص سهل، أما الإنجاز فيتطلب جهداً كبيراً، فإذا كان لديها أولاد، وعندها عمل كبير، وأنت تحاسبها: لماذا لم تفعلي كذا ؟ ولماذا لم تفعلي ؟ فهذا خلاف الشرع، إذ لا يحل للزوج أن يكلف زوجته فوق استطاعتها، فقد تكون الأوامر في ذاتها مشروعة، ولكنها لظروف الزوجة تصبح غير مشروعة، كحالة الدورة الشهرية، حيث تكون المرأة ضعيفة، فيكلفها فوق طاقتها، ويحاسبها، وكأنها شديدة عتيدة، فهذا أيضا مخالف للشرع، والنبي عليه الصلاة والسلام أوصى ألا يكلف الإنسان خادمه فوق طاقته، فلأن يمتنع أن يكلف الإنسان زوجته فوق طاقتها من باب أولى.

السيدة فاطمة رضي الله عنها اشتكت إلى أبيها صلوات الله وسلامه عليه ما تلقى من مشقة الخدمة، فأمرها عليه الصلاة والسلام أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر ، فهذا إشارة إلى أن من واجب الزوجة أن تقوم بخدمة زوجها، وبيتها بالمعقول، إلا أن الرأي الدقيق أنه إذا كان هناك مودة ومحبة ترتفع التكلفة، إذ إن الزوجة قد تعمل فوق طاقتها اختيارا ومبادرة منها، والزوج يعين زوجته، فمادام هناك محبة وألفة وإخلاص فكل شيء يحل.

هذه بعض حقوق الزوجة على زوجها، والإنسان كلما أدى الحقوق كلما اقترب من خالقه، وكلما شعر أن الطريق إلى الله سالك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : حق الزوجة على الزوج والأحاديث التي تحث على ذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

حق الزوجة على زوجها :

أيها الأخوة الكرام؛ الآية الأولى هي قوله تعالى في سورة المجادلة:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة: 1]

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمشي في أسواق المدينة ويركب دابةً، فرأى امرأةً فسألته سؤالاً، فنزل عن دابته وبقي معها تكلمه طويلاً، فعجب من حوله من هذا التصرف، خليفة المسلمين ينزل عن دابته، ويستمع إلى امرأة ضعيفة طويلاً، فلما سئل، قال: هذه المرأة التي سمع الله شكواها من فوق سبع سموات أفلا أسمع أنا شكواها؟

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة: 1]



هذه المرأة جاءت رسول ﷺ وقالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهلٍ، ومالٍ، وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني- عندها خمسة أولاد- وذهب مالي، وتفرق أهلي، قال لي: أنت عليّ كظهر أمي - أي هجرها - ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فبكى النبي عليه

الصلاة والسلام، قال: ما أظن إلا قد بنتي منه– كأنه طلاق– ثم جاء التشريع فسماه الله ظهاراً، أنت عليّ كظهر أمي.

أي هذه المرأة التي حبست من أجلك، نحن ليس في شرعنا أن امرأة لها زوجان، هناك رجل له امرأتان، المرأة محبوسة لزوجها، فإذا تركها و لم يطلقها لن تستطيع أن تتزوج، وهي ليست زوجة تنال حقها من زوجها، فيكون بذلك قد ظلمها ظلماً شديداً. قال تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]

القاضي شريح تزوج امرأة، أراد أن يمس يدها ليلة الزفاف، فقالت: على رسلك أبا أمية، ثم قامت فخطبت، قالت: أما بعد فيا أبا أمية إنني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب، ولا ما تكره، فقل لي ما تحب حتى أطيع، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك، وكان لي من رجال قومي من هم كفء لي، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله، ليقض الله أمراً كان مفعولاً، فاتق الله فيّ، وامتثل قوله تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]

أما إمساك بغير معروف، فالزوجة لن تنال حقها من زوجها، وليست مطلقة لتتزوج، إن لم تعجبك هناك من تعجبه، إما أن تمسك بمعروف، أن تعاملها كزوجة، وتنال منك كل حظوظها المادية والمعنوية، وإما دعها وشأنها، الله عز وجل يرسل لها من يأخذ بيدها، فالنبي عليه الصلاة والسلام بكى.

أشدّ أنواع الظلم ظلم إنسان لا يستطيع أن ينتصر لنفسه :

أخواننا الكرام؛ الإنسان أحياناً يطغى:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾

[سورة العلق: 6–7]

يغتني أحياناً، يشعر بنشاط، بقوة، يعلو شأنه، تزداد أمواله، فيهمل زوجته، هذه من لها إلا أنت؟ لذلك أشدّ أنواع الظلم أن تظلم إنساناً لا يستطيع أن ينتصر لنفسه.

يقول لك: مقطوعة ليس لها أحد، أو أهلها فقراء، أقل كلمة يقولها لها: اذهبي لبيت أهلك، هي تعلم علم اليقين أن أهلها لن يحتملوها، لذلك أهلها معك لا لأنك على حق، بل لأنك تحل مشكلتهم.

فأنا أقول لكم أيها الأخوة، عد للمليون قبل أن تظلم إنساناً لا يستطيع أن ينتصر لنفسه، وعندئذ يتولى الله الدفاع عنها.

يروى أن امرأةً تعيش مع زوجها، طرق الباب، ذهبت لتفتح الباب، فإذا بالباب سائل، وكانت تأكل مع زوجها دجاجاً، فهمت أن تعطيه قطعة من الدجاج يسد بها رمقه، فما كان من زوجها إلا أن سبها وعنفها، قال: اطرديه، فطردته، والعلاقات ساءت بينها وبين زوجها إلى درجة أنه طلقها، فجاء من يخطبها وكان رجلاً ميسور الحال، والشيء الذي لا يصدق أنها كانت تأكل الدجاج مع زوجها الجديد فطرق الباب طارق، فذهبت لتفتح الباب فاضطربت، شعر زوجها بها، قال: من الطارق؟ قالت: سائل: قال: لماذا اضطربت؟ قالت إنه زوجي الأول، قال: هل تعلمين من أنا؟ أنا السائل الأول. فالله يبدل الأحوال، يجعل عاليها سافلها، وسافلها عاليها.

فالإنسان يتكلم كلمة قاسية، يظلم زوجة، والله أذكر أيها الأخوة: أحد أخواننا الكرام حدثني عن رجل، آتاه الله مالاً كثيراً، خطب ابنته مهندس، فاحتقره قال له: كم تأخذ راتباً؟ خمسة آلاف؟ عشرة آلاف؟ هذا المبلغ لا يكفي، فطرده، والأيام دارت، وهذا الإنسان افتقر – والله عز وجل يدهش إذا أعطى، ويدهش إذا أخذ– وكان له أعمال في المنطقة الحرة، وعليه التزامات ضخمة، لا يستطيع أن يسدد فأفلس، هذا التاجر قال لرجل يعرفه – وهذا الرجل الوسيط هو أحد أخواننا–: هذا المهندس الذي خطب ابنتي هل تزوج؟ قال له: لا، قال له: أقنعه مرة ثانية أن يتزوج ابنتي، أقنعوه فتزوج ابنته، وهذا العم عمل عند الصهر موظفاً، الله عز وجل يجعل عاليها سافلها.

تعليم الفتاة أمور الدين أخطر من تعليم الشاب :

دقق في كلامك، عد للمليون قبل أن تظلم امرأة، قبل أن تظلم موظفاً عندك، قد تكون عنده موظفاً في المستقبل، فربنا عز وجل قال:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة: 1]



هذه المرأة أيضاً رسمت منهجاً، أنها لو ضمتهم إليّها جاعوا، هو الذي يكسب، ولو تركتهم إليه ضاعوا، هي التي تربيهم.

لذلك من علم فتاةً أمور دينها، وعلمها أحكام الفقه، وحقوق الزوج، وواجباتها تجاه الأولاد، من علم فتاةً علم أسرةً، والذي أراه الآن أن تعليم الفتاة أمور الدين أخطر من تعليم الشاب، لأن هذه الفتاة في النهاية أم، وزوجة، فإذا عرفت أمر دينها رعت أولادها وربتهم التربية العالية.

اللعب بدين الله يفسد العلاقة بين الأزواج :

الآن العقاب:

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

يوجد هنا حكم فرعي، تقعد مع فتاة وتقول: إن شاء الله مثل أختي، لا هي ليست أختك، إن شاء الله مثل أمي، إن شاء الله مثل خالتي، هي أجنبية، وتشتهيها، وتملأ عينيك من محاسنها، وتعمل على الناس دجلاً، مثل أختي إن شاء الله، هذا كلام فارغ. قال:

﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

تقول: هي عليّ كظهر أمي، هي ليست أمك هي زوجة، لها حق عندك، أمك موضوع ثان.

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

فقط، لا تدخل شعبان برمضان، مثل أختي، ومثل خالتي، ومثل عمتي، خالتك شيء، وعمتك شيء، هي امرأة غريبة، أجنبية تُشتهى، يمكن أن تزل قدمك فتقع في الفاحشة.

إنسان مقيم بجدة، زوجته أرادت أن تذهب إلى بيت أهلها في الشام، أرسلها مع سائق على انفراد، من جدة إلى الشام، قال: هذا الشخص موثوق، ما هذا الكلام؟ امرأة شابة، في ريعان الشباب، ترسلها مع سائق إلى الشام ليومين وليلة، وتقول: موثوق؟! هذا لعب بدين الله، هذه الآية دقيقة:

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾

[سورة المجادلة: 2]

أي غداء مشترك، خمس كنائن أو ست مع أزواجهن، نحن أسرة واحدة، لا نحب أن نفرق العائلة، هذا الشب نظر إلى امرأة أخيه، فرآها أجمل من زوجته بكثير، ماذا حدث معه داخلياً؟ نظر إلى امرأة أخيه الثانية، كلامها أحلى، نظر إلى امرأة أخيه الثالثة قوامها أجمل، نظر إلى امرأة أخيه الرابعة مثقفة، كلامها منطقي، إذاً ماذا حصل في الداخل؟ في الخارج لا يوجد شيء، أهلية بمحلية، بالداخل ماذا حصل؟ فسدت العلاقات بين الأزواج، ودائماً الشيطان يزين لك المرأة الأجنبية، ويبخس في نظرك زوجتك، دائماً هناك عزوف عن الزوجة، وتعلق بامرأة أجنبية، هذا من عمل الشيطان، المؤمن بالعكس، يزهد فيما سوى زوجته، ويتعلق بزوجته، قال:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾

[سورة المجادلة: 2]

كلام كذب، وكلام منكر.

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

كفارة يمين الظّهار :

إذا الإنسان لم يكن يعرف:

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾

[سورة المجادلة: 3]

كلمة كبيرة جداً:

﴿ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾

[سورة المجادلة: 3-4]

لأنك قلت: أنت عليّ كظهر أمي وحرمتها على نفسك، عقابك صيام شهرين متتابعين، هل تستطيع؟ فكر، هذا كفارة يمين الظهار، كفارة يمين الظهار صيام شهرين متتابعين.

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾

[سورة المجادلة: 4]

قبل أن يضع يده على يدها يجب أن يصوم ستين يوماً، لأنه هي لها حق عندك، هي زوجة، حبست نفسها من أجلك، أين تركتها و غادرت؟ حبست نفسها من أجلك.

﴿ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[سورة المجادلة: 4]

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]

يجب أن تعاملها كزوجة، في المبيت، وفي الإنفاق، وفي المعاشرة، وفي المسكن، وإلا طلقها، والطلاق له حساب طويل عند الله، لا تطلق المرأة إلا من ريبة، وأبغض الحلال إلى الله الطلاق، والطلاق يهتز له عرش الرحمن.

تكامل الأنثى مع الذكر :

شيء آخر: إن النساء خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج ما فيه أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وكسرهن طلاقهن، فاستمتعوا بهن على عوج.

هكذا علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، طبعاً لها عقلية غير عقليتك، لها تفكير غير تفكيرك، لأنها أنثى مصممة بعقلها، وجسمها، ونفسيتها، وعلاقاتها أن تكون أنثى، تتكامل معك، فلو أنها تشبهك لما تفاهمت معها، لو أنها تشبهك لكانت نداً لك، هي تتكامل معك.

الابتعاد عن الظلم و الاستقامة على أمر الله :

أيها الأخوة؛ ملخص هذا الدرس إياكم أن تظلموا إنساناً لا يستطيع أن ينتصر لحقه عندئذ يتولى الله الانتقام، والله إذا انتقم فانتقامه مخيف.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج :12]



هؤلاء الذين يطلقون زوجاتهم طلاقاً تعسفياً، هؤلاء لهم عند الله حساب كبير، لو أن قدمها زلت، وانحرفت، وأنجبت من ذريتها مئات الفتيات الفاسدات، كل هذا الفساد في صحيفة الذي طلقها طلاقاً تعسفياً.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ ﴾

[سورة يس: 12]

أي لينجُ الإنسان بجلده من الله عز وجل، ليكن مستقيماً، ويؤدي الحق إلى أهله، ليكن محسناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الباب الثالث : قضايا متعلقة بالأسرة

الفصل الأول : حقوق الآباء على الأبناء

الفصل الثاني : حقوق الأبناء على الآباء

الفصل الثالث : أحكام العورة

الفصل الرابع : انحراف الاولاد

الفصل الخامس : أحكام الطلاق

الفصل الأول : حقوق الآباء على الأبناء

الدرس (2–1) : حق الأب على الابن أن يكون باراً به

الدرس (2–2) : حق الأب على الابن ألا يعقه

الباب الثالث : قضايا متعلقة بالأسرة

الفصل الأول :حقوق الآباء على الأبناء

الدرس (1-2) : حق الأب على الابن أن يكون باراً به

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدرس:

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... لا زلنا في الحديث النبوي الشريف، ولا زلنا في موضوع الحقوق والواجبات، وقد مضى درسان أو أكثر في الحديث عن حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، واليوم ننتقل إلى حقوق الآباء على الأبناء، ومن ثَمَّ . إن شاء الله تعالى . نتحدث عن حقوق الأبناء على الآباء.

مفهوم العدل والإحسان:

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

العدل قسري، والإحسان طوعي:

أي أن أداء الحقوق لا بدَّ من أن تفعله، أيها المؤمن، أما أن تحسن، فهذا بحسب رغبتك وإمكاناتك وطموحك في القرب من الله عزَّ وجل، فالحديث في الحقوق والواجبات لا يتعلّق بما هو طوعي، بل يتعلق بما هو قسري، إلا أن المؤمن مأمور بالإحسان كما هو مأمور بالعدل. أضرب على هذا مثلاً للتوضيح:



لو أنك بعت بضاعةً وكان البيع وفق الشرع تماماً، وتمَّ الإيجاب والقبول، وعُلِم الثمن، وعُلِمت حالة البضاعة، وقبضتَ الثمن، وسلَّمتَ البضاعة، وكان الرضا، وكان الشهود.. هذا بيعٌ شرعي، بيعٌ ملزم، فلو أن أحد الطرفين امتنع عن دفع بقية الثمن، ورفع الآخر أمره إلى القاضي، فالقاضي يلزم الممتنع.. هذا هو العدل.

لكن هذا الشاري إذا جاءك، ورجاك أن تلغي له هذه الصفقة، وبين لك العذر، وأنت تستطيع أن تفعل هذا من دون أن تصاب بالضرر، وفعلت هذا، فهذا من قبيل الإحسان.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

لذلك: فالقضايا فيما بين الناس، إن لم تحلَّ وفق قواعد العدل ؛ حلَّت وفق قواعد الإحسان، ولا سيما بين الزوجين، بين الجارين، بين الأخوين، بين الشريكين، إما أن تُحَكِّم قواعد العدل، وأنعم بها من قواعد، وإما أن تحكِّم قواعد الإحسان، وهي تتسع لما ضاقت عنه قواعد العدل، فهذه الآية لو طبقها الناس لأغلق قصر العدل أبوابه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان ﴾

(سورة النحل: آية 90)

إذاً:إذا ضاق العدل اتسع الإحسان، والعدل قسري، والإحسان طوعي.

العدل وأداء الحقوق:

درس اليوم والدروس التي سبقته، والدروس التي تلحقه إن شاء الله تعالى، كلها متعلّقةٌ بالعدل وأداء الحقوق، ولا بدَّ من أداء الحقوق، والنبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المروي عن عمرو بن خارجة قال: خطب رسولُ الله ﷺ فقال:

((إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، أَلا لا وصية لوارث))

حديث حسن، أخرجه الترمذي والنسائي

ولن يكون الطريق إلى الله سالكاً إلا إذا أعطيت كلَّ ذي حقٍ حقه، لن تشعر أن الله راضٍ عنك إلا إذا أعطيت كلَّ ذي حقٍ حقه، فالزوجة لها حق، والأم لها حق، والأخ له حق، والأخت لها حق، والابن له حق، والبنت لها حق، والجار له حق، وكلُّ من يتصل بك له حق، وإن الله ليسأل العبد عن صحبة ساعة.

حقوق الآباء على الأبناء :

أيها الإخوة الكرام... الدرس في الحديث الشريف، ولكن الموضوع متعلّقٌ بحقوق الآباء على الأبناء، ومادام في القرآن آيةٌ كريمةٌ تتعلَّق بحقوق الآباء على الأبناء، فلا بدَّ من أن تقدم هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

معاني كلمة (قضى) في القرآن الكريم:

ما معنى " قضى " ؟

كلمة " قضى " تنقلنا إلى موضوع دقيق، وهو أن الكلمة . في القرآن الكريم . قد ترد بمعاني كثيرة، والسياق وحده يحددها، فمثلاً:

قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

أي: (أمَرَ)، كلمة قضى في هذه الآية تعني أنه أمرَ، أي أن الله سبحانه وتعالى أمرَ المؤمن.. أمر الإنسان ألا يعبد إلا الله وبالوالدين إحساناً.

آيةٌ ثانية:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾

(سورة فصلت: آية 12)

معنى قضاهن، أي: (خلقهن).

قال تعالى:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

(آية 72 سورة طه)

حينما خاطب السحرة فرعون، أي بمعنى: (احكم بأي حكم).

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

(سورة يوسف، آية 41)

أي: (فرغنا منه).

﴿ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(آية 35 سورة مريم)

هنا بمعنى: (أراد).

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(آية 44 سورة القصص)

يعني: (إذ عهدنا)

كلمة (قضى) تأتي مرةً بمعنى أمر، ومرةِ بمعنى خَلَق، ومرة بمعنى حكم، ومرة بمعنى فرغ، ومرة بمعنى أراد، ومرة بمعنى عَهِدَ..

إذاً: من السذاجة أن تظن أن الكلمة القرآنية لها معنىً واحد، فحيث ما جاءت أخذتْ هذا المعنى الواحد، فالقرآن واسع البيان، وسياق كل آية هو الذي يحدد معناها.

عطف الشيء على الشيء في القرآن الكريم:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

في الآية دقة بالغة، أنا ماذا أقول حينما أعطف شيئاً على شيء ؟ أقول: اشتريت أرضاً وبيتاً، اشتريت مركبةً فخمةً ومركباً في البحر، اشتريت كتاباً ثميناً ومجلداً، لكن ليس من طبيعة العرب أن يعطفوا شيئين متفاوتين، هل يعقل أن تقول: اشتريت أرضاً وملعقةً ؟ هذا غير مألوف، اشتريت بيتاً فخماً ودفعت ثمنه مبلغاً طائلاً واشتريت معه سكيناً، لا يوجد تناسب.. فلمجرد أن الله سبحانه وتعالى عطف الإحسان للوالدين على عبادة الله عزَّ وجل، فالإحسان للوالدين شيءٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيم، قَرَنَه الله عزَّ وجل بعبادته:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

آيةٌ ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(آية 5 سورة محمد)

صلاح البال، راحة البال، الطُمأنينة، الرضا، الاستسلام لله عزَّ وجل..

بيتٌ ليس فيه مشكلات، ليس فيه منغِّصات، فيه سلم، فيه مودة، فيه محبة، صلاح البال رفعه الله إلى مستوى الهدى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(آية 5 سورة محمد)

العطف يقتضي التناسب، لمجرد أن الله سبحانه وتعالى، عطف الإحسان إلى الوالدين، على عبادة الله عزَّ وجل، معنى ذلك أن الإحسان إلى الوالدين شيءٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيم، يرتقي إلى مستوى عبادة الله عزَّ وجل. شيءٌ آخر:

في حقوق الآباء على الأبناء، في آيةٍ ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

دائماً الأحكام تحتاج إلى ثبات، والثبات أساسه التكرار، لو أن الله سبحانه وتعالى في آيةٍ واحدة قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله عزَّ وجل، هذه آيةٌ، لكن لا نعلم ما إذا كانت قاعدة، فحينما تأتي آيةٌ ثانية تَقْرِن ضرورة شكر الله عزَّ وجل بضرورة شكر الوالدين إذاً يستنبط من تكرار هذا المعنى أن هناك قاعدةً ثابتة ألا وهي أن برَّ الوالدين شيءٌ يرقى إلى مستوى عبادة الله عزَّ وجل:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

وفي صحيح البخاري:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألتُ رسولَ الله ﷺ:

أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال:

((الصلاة لميقاتها، قلتُ: ثم أيُّ ؟ قال: برُّ الوالدين، قلتُ: ثم أيُّ ؟ قال: الجهاد في سبيل الله))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

فأحب الأعمال إلى الله: الصَّلاة على وقتها، وبِر الوَالدين، والجهَاد في سَبيل اللَّه

بعض معاني برّ الوالدين:

من معاني بر الوالدين:

1 . عدم التسبب في سبّهما:

ألا يتعرض الإنسان لسبِّهما إطلاقاً.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال:

((إن من الكبائر: شتْمَ الرَّجُل والديه، قال: وهل يشتِم الرجل والديه ؟ قال: نعم يَسُبُّ الرجلُ أبا الرَّجُل وأمه، فيسبُ أباه وأمه))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي

الكبائر التي نهى عنها القرآن الكريم:

الكبائر مهلكة تستحق دخول النار، فهذه الكلمات التي يعتادها السوقة من الناس في سبِّ الوالد، إذا اعتادها الإنسان ألحق بأبيه سباباً لا يعدُّ ولا يحصى، وهذا من الكبائر كما قال عليه الصلاة والسلام.

في هذه المناسبة، أحد العلماء واسمه " أبو طالب المكي " رحمه الله تعالى، أحصى الكبائر التي وردت في كتاب الله فقال:

أربعةٌ في القلب: الشرك بالله تعالى، والإصرار على معصية الله تعالى، والقنوط من رحمة الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى.

وأربعةٌ في اللسان: شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاثةٌ في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا.

واثنتان في اليدين: وهما القتل والسرقة.

واثنتان في الفرج: وهما الزنا واللواط.

وواحدةٌ في الرجل: وهي الفرار من الزحف.

وواحدةٌ في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين ".

أربعةٌ في القلب، وأربعةٌ في اللسان، وثلاثةٌ في البطن، واثنتان في اليدين، واثنتان في الفرج، وواحدةٌ في الرجل، وواحدةٌ في جميع البدن.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ، فقال

((ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر – ثلاثاً – قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، ألا وشهادةُ الزور، وقولُ الزور – وكان متَّكئاً فجلس – فما زال يكرّرُها حتى قلنا: ليته سكتَ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

" الإشراك بالله " كلمة مطلقة، والمطلق على إطلاقه، أي يشمل الشرك الخفي، والشرك الجلي، أن تقول: زيد وعبيد وفلان أزعجني، وفلان أعطاني، وفلان حرمني، وفلان وعلان، وفلان وفلان، هذا كلّه شرك.

قال تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

(آية 213 سورة الشعراء)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

((الكبائرُ: الإشراكُ بالله، وعُقوقُ الوالدين، وقتْلُ النفس، واليمينُ الغموسُ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري والترمذي والنسائي

((إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة، الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة، وتعلم السحر وأكل الربا، وأكل مال اليتيم))

من حديث صحيح لغيره،أخرجه النسائي ومالك والدرامي والطبراني وابن حبان وعبد الرزاق والحاكم وابن خزيمة، عن عمرو بن حزم رضي الله عنه.

عقوق الوالدين من الكبائر:



هذه الأحاديث كلها مفادها أن "عقوق الوالدين من الكبائر".

كيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك بالإحسان إليهما، وقرن الإحسان إلى عبادته، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك أن تشكرهما وقرن شكرهما إلى شكره، كذلك عقوق الوالدين جعله الله في مستوى الشرك، الإشراك بالله وعقوق الوالدين صنوان.

ولا بدّ من اجتناب الكبائر.

والآية التي تعرفونها جميعاً هي قوله تعالى:

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾

(سورة النساء، آية 31)

تحريم عقوق الأمهات على وجه الخصوص:



عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومَنْعاً وهاتَ. وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

حديثٌ لطيف، خصَّ الأمهات لعظم فضلهن على الأبناء، ومعنى " منعاً وهات " منع أداء الحقوق، وأخذ المال بالباطل، و " قيل وقال " الكلام الذي لا طائل منه، و " كثرة السؤال " في المسائل التي لا حاجة لك بها.

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

من حديث رواه البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده ضعفاء

و " إضاعة المال " إنفاقه إسرافاً وتبذيراً.

بعض الأحاديث الزاجرة عن عقوق الوالدين:

عن ابن عمر، رضي الله عنهما عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة..

أي أكبر عقوبةٍ يعاقب بها الإنسان يوم القيامة أن يحرم من النظر إلى وجه الله الكريم، والدليل قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

(آية 15 سورة المطففين)

((ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنَّان عطاءه، وثلاثةٌ لا يدخلون الجنة، العاقُّ لوالديه، والديّوث، والرجلة))

حديث أخرجه البزار في مسنده، ورجاله ثقات

و " الرجلة " هي المرأة المسترجلة التي تتشبه بالرجال، أي الفاجرة.

الأحاديث المتعلقة بعقوق الوالدين لا تعدُّ ولا تحصى.

((أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقال للعاق: اعمل ما شئت فلن يغفر لك.

((ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف))

حديث رواه الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه، و في سنده رجل ضعيف

وورد أيضاً:

((ثلاثةٌ لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌ، ومنانٌ، ومكذبٌ بالقدر))

حديث رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما رجل متروك وفي الآخر رجل ضعيف

هذا كله متعلقٌ بعقوق الوالدين لعظم حقهما على الإنسان:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

(سورة الإسراء: آية23)

الآن نتابع بعض التفصيلات المتعلقة ببر الوالدين:

2 . عدم مخالفة الوالدين في المباحات:

من عقوق الوالدين أن تخالف الأبوين في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن من برهما أن توافقهما في أغراضهما ؛ فإذا أمرك الأب أمراً لا يتعلق بمعصية الله عزَّ وجل وجب عليك أن تنفذه، إلا إذا كان معصية، للقاعدة الشهيرة:

((لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق))

من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط

بعض قواعد برّ الوالدين التي نصَّ عليها العلماء :

بعض العلماء قالوا:

" إذا أمر الوالد بالمباح صار في حق الولد مندوباً "

أي ينتقل أمر الأب إلى ابنه في المباح إلى مستوى المندوب، إذا أمرك بشيءٍ مباح أصبح في حقك مندوباً، " إذا أمر الوالد بالمندوب، أصبح في حق الولد تأكيداً في ندبيته "،

" الأبوان لا يأثمان إذا منعا ابنهما من الحج "

إذا كانا في مرضٍ عضال وفي حاجةٍ ماسةٍ إليه، ومنعاه من الحج على أن يحج في العام القادم لا يأثمان، لأن بعض العلماء يرى أن الحج على التراخي لا على الفور، وبعضهم يرى الحج على الفور، إذا كان هناك مرضٌ عضال وحاجةٍ ماسة وهناك احتمالٌ كبير أن يموتا في غيبة ابنهما، فالأولى أن يبقى معهما ولا يأثمان إذا منعاه من الحج.

" لا يحل للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنهما "

لا يحق للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنهما، هذا ما ورد في شرح بعض الأحاديث، وما لا خطر فيه، فيحل للابن أن يسافره من دون إذنهما، من هذا السفر الذي لا خطر فيه، السفر في طلب العلم.

" لا يجوز للمصلي إذا دعته أمه أو غيرها أن يقطع صلاته "

قوله ﷺ:

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

سبق تخريجه

تصلّي في غرفة وأمك تناديك أو أبوك في غرفة ثانية، بعض العلماء يقول: " لا يجوز للمصلي أن يقطع صلاته إجابةً لنداء أمه "، لأن حق الله عزَّ وجل آكد من حقوق الأبوين، لكن العلماء يستحبون أن يخفف من صلاته فيقرأ سورة الإخلاص، مادام أحد أبويه يناديه أن يقرأ سورة قصيرة، أما إذا شرع في سورةٍ طويلة وتابعها فهو الآن مخالف، لك أن تقرأ سورةً قصيرة كي تجيب أمك أو أباك في الوقت المناسب.

" إن الصلاة إذا كانت نفلاً، وعُلم تأذي الأب أو الأم بترك إجابتهما فلك أن تقطع صلاتك النافلة لتجيب أمك أو أباك إذا كان في عدم الإجابة أذىً لهما ".

إذا أمك مقعَدَة وتحتاج إلى أن تغير جلستها، انتهى السيروم مثلاً، متألمة من قضية، نادتك وأنت في صلاة النفل، فبعض العلماء أجازوا أن تقطع صلاتك كي تجيب نداء أمك أو أبيك.

أما إذا ضاق الوقت وكانت الصلاة فرضاً فلا عليك ألا تجيب، عند المالكية " إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادي فيها "

" يجب أن تدع أيَّ صلاة ولو كانت فرضاً إغاثةً للملهوف "

كأن يكون الابن قريباً من المدفأة، أو الابن نائماً يكاد أن يقع من فوق سرير عالٍ وقد يرتج دماغه، أي أن هناك قضية خطيرة، فيجب أن تقطع الصلاة إغاثةً لملهوف، أو لغريق أو لحريق، أو إجابةً لنداء أحد الأبوين بلا استغاثة في النفل، أي في صلاة النفل لك أن تقطع الصلاة لأي نداء منهما.

ظلم الوالدين للولد لا يرفع وجوب برّهما:

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

((لا يكون لرجل أبوان فيُصبح محسناً إلا فُتحَ له باب إلى الجنة، ولا يُمسي وهو محسن إلا فتح له بابان من أبواب الجنة،...، فإن كان واحداً فأصبح محسناً فتح له باب من أبواب الجنة، ولا يسخط عليه أحدهما أو واحد منهما فيرضي الله عنه حتى يرضى قيل: وإن كان له ظالماً ؟ قال: وإن كان له ظالماً))

من حديث موقوف، أخرجه مسدد بن مسرهد في مسنده بإسناد مختلف فيه

أي حتى لو أوقع الأب ظلماً بالابن، لكن العلماء استدركوا وقالوا: " إن ظلماه في الدنيا لا في الآخرة "، أي إذا كان الأمر متعلق بالدين، فعندئذٍ: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ".

أما إن ظلماه في الدنيا ويحتمل هذا الظلم، الأولى ألا يغضبهما، هكذا قال العلماء الظلم في الدنيا إذا كان محتملاً، فالأولى أن ترضيهما.

حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْن صَحابتي ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أبُوك))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم

أي: حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب .

الإمام مالك جاءه رجل وقال له: إن أبي في بلد السودان، وقد كتب إلي أن أقدم عليه، وأمي تمنعني من ذلك، فماذا أفعل ؟

الإمام مالك بحسب علمه قال: " أطع أباك ولا تعصِ أمك ". ففهم من هذا القول: أن حق الأب وحق الأم سواء. لكن أكثر العلماء على أن حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب.

تخاصم أبو الأسود الدؤلي مع امرأته إلى القاضي، على غلامٍ لهما منه، أيهما أحق بحضانته ؟ فقالت المرأة: " أنا أحق به لأنني حملته تسعة أشهرٍ، ثم وضعته، ثم أرضعته، إلى أن ترعرع بين أحضاني كما تراه مراهقاً ".

فقال أبو الأسود أمام القاضي: " أيها القاضي حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، فإن كان بعض الحق علي، فلي الحق كله أو جلّه ". فقال القاضي: " أجيبي أيتها المرأة عن دفاع زوجك "، قالت: " لئن حمله خفيفاً، فقد حملته ثقيلاً، وإن وضعه شهوةً، فقد وضعته كرهاً ". فنظر القاضي إلى أبي الأسود وقال له: " ادفع إلى المرأة غلامها، ودعني من سجعك ".

يبدو أن حق الأم يزيد على حق الأب.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

((أن امرأة قالت يا رسول الله، ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه عني، قال لها رسول الله ﷺ: أنت أحق به ما لم تنكحي))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

أي: إذا تزوجتِ فهو أحق به منكِ.

العلماء قالوا: " الأم أحق بحضانة ولدها إلى سبع سنين، إن كان ذكراً، وإلى تسعٍ إن كانت أنثى، إلا أن يرى القاضي استمرار حضانة الأم فيزيد سنتين لكليهما ". هذا الحكم الشرعي.

3. الآثار الطيبة لبر الوالدين:

مما يتعلق ببر الوالدين أن العارف بالله الشهير أبا يزيد البسطامي رحمه الله، أراد أن يذهب إلى بغداد لطلب العلم وكان غلاماً يافعاً، فأعطته أمه أربعين ديناراً هي ميراثه من أبيه، وقالت له: " ضع يدك في يدي وعاهدني على التزام الصدق فلا تكذب أبداً، فعاهدها على ذلك وخرج مع قافلةٍ يريد بغداد لطلب العلم، وفي أثناء الطريق خرج اللصوص، ونهبوا كل ما في القافلة، ورأوا البسطامي رثّ الثياب فقالوا: يا غلام هل معك شيء ؟ قال: معي أربعون ديناراً، لأنه عاهد أمه على الصدق، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه، وراحوا إلى الكهف الذي كان به كبيرهم ينتظر ما يأتون به، فلما رآهم قال: هل أخذتم كلَّ ما في القافلة ؟ قالوا نعم: إلا غلاماً سألناه عما معه فقال: معي أربعون ديناراً فتركناه احتقاراً لشأنه، ونظن أن به خبلاً في عقله، قال: عليّ به، فلما حضر بين يديه، قال: هل معك شيء ؟ قال: نعم معي أربعون ديناراً، قال: أين هي ؟ فأخرجها وسلمها له، فقال كبير اللصوص: أمجنون أنت أيها الغلام ؟ كيف تخبر عن نقودك وتسلّمها باختيارك ؟ فقال له: لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي على الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي أبداً، عندئذٍ صُعق كبير اللصوص، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت أيها الغلام تخاف أن تخون أمك ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله، ثم أمر كبير اللصوص بردّ جميع ما أخذ من القافلة وقال: يا غلام أنا تائبٌ على يديك ".

فإذا كان هناك مثل هذا اللص فلا عليكم فأعطوه النقود، فقال من معه: " كنت كبيرنا في قطع الطريق، واليوم أنت كبيرنا في الطريق إلى الله ".

4 . عدم ارتباط وجوب البر بإسلام الوالدين:

وعندنا قضية أخرى متعلقة ببر الوالدين:

الشيء الأساسي أن العلماء قالوا: " لا يختص بر الوالدين، بأن يكونا مسلمين "

يعني أحياناً شابٌ يتعلم الدين في المسجد، ويرى أن أباه دينه قليل، فيتهمه بألفاظ كبيرة ويسيء العلاقة مع أبيه. استمعوا أيها الإخوة: لا يختص برّ الوالدين بأن يكونا مسلمين، فلو كانا مشركين فأنت ملزمٌ ببرهما، فكيف إذا كانا مسلميْن ولكنهما مقصّريْن ؟ أيحق لك أن تتهمَهما في دينهما ؟ أيحق لك أن تغلظ عليهما القول ؟ أيحق لك أن تكون عنيفاً معهما ؟ يقول الله عزَّ وجل:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(آية 8 سورة الممتحنة)

إذا كان الله سبحانه وتعالى لا ينهانا عن الذين لم يقاتلونا في الدين أن نبرّهم، فلأن نبرَّ والدينا من باب أولى.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت:

((قَدِمَتْ عليَّ أمِّي وهي مشركة في عَهْد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسولَ الله ﷺ، قلت: ' قَدِمَتْ عليَّ أمِّي وهي رَاغِبة، أفأصلُ أمِّي ؟ ' قال: ' نعم، صِلي أمكِ '. زاد في رواية، فأنزل الله فيها: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((مر رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي بن سلول، وهو في ظل أجمة فقال: " قد غبَّرَ علينا ابن أبي كبشة " فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: " والذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب، لئن شئت لأتيتك برأسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته "))

حديث حسن، أخرجه البزار وابن حبان والحاكم

ألدُّ أعداء النبي، رأس المنافقين، أمر النبي عليه الصلاة والسلام ابنه أن يبرَّه.. هذا هو الشرع، هذا هو الدين، هذا هو الإسلام.

5 . بر الوالدين مقدم على الجهاد الكفائي:

في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فَاستأْذَنَهُ في الجهاد، فقال: " أحَيٌّ وَالِدَاك ؟ "، قال: نعم، قال: " ففيهما فجاهد"))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

وفي رواية أخرى:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: جئتُ أبَايِعُكَ على الهجرة، وتركتُ أبَوَيَّ يبكيان، قال: ' فارجع إليهما، فأضْحِكْهُما كما أبْكَيْتَهُما '))

حديث صحيح، أخرجه أبو داود والنسائي

ترون من هذه الفقرة عظم برّ الوالدين.

وفي الأثر:

((نومك مع أبويك يضاحكانك ويلاعبانك أفضل من الجهاد معي))

فهذا كله يؤكد بر الوالدين.

6 . عدم التسبب في بكائهما حزناً وضيقاً:



قال العلماء:

" من أبكى والديه كان عاقاً ".

حدثته حديثاً عن الله فبكى، هذه ليس لها علاقة، حدثته بقضية، رفضت له طلّب أو رجاك بشيء فأنت لم تستجب، رجاك أن تكون مع أخيك فانفصلت عنه، أي أنه طلب منك طلباً معقولاً، فأنت امتنعت فبكى الأب، فالعلماء قالوا: " بكاء الوالدين من عقوقهما " طبعاً هذا القول مأخوذ من الأثر:

((بكاء الوالدين من العقوق))

وفي أثر آخر:

((من أحزن والديه فقد عقهما))

7 . مواصلة أحباب وأصحاب الوالدين:

من برّ الوالدين صلة أهل ودهما، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صلَةَ الرجل أهلَ ودِّ أبيه بعد أن يُولِّي))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

بعد أن يولي . أي يموت . الأب، مَنْ هم أصدقاؤه ؟

إخوانه الذكور، أخواته الإناث، أقرباؤه، أصدقاؤه، أصحابه..

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صلَةَ الرجل أهلَ ودِّ أبيه بعد أن يُولِّي))

سبق تخريجه



والحديث الشهير الذي تسمعونه مني، عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، قال:

((بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبويَّ شيء أبرّهما به من بعد موتهما ؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في المستدرك

النبي ﷺ، كان يهدي لصديقات خديجة اللحم بعد موتها برّاً بها، ووفاءً لها وهي زوجته فما ظنك بالوالدين ؟

عن أبي بردة رضي الله عنه قال:

((قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال لي: تدري لِمَ جئتك ؟ قلت: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من أحب أن يَصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده "))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه أبو يعلى

كان لابن عمر رضي الله عنهما حمار يَتَرَوَّحُ عليه إذا مَلَّ ركوبَ الرَّاحِلَةِ، وعِمَامَةٌ يَشُدُّ بها رأسَه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذْ مَرَّ به أعرابيٌّ، فقال: ألستَ ابْنَ فلانٍ ؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، والعمامة، وقال: اشدد بها رأسَكَ، فقال له بعض أصحابه: غَفَرَ الله لك، أعطيتَ هذا الأعرابي حماراً كنتَ تَرَوَّحُ عليه وعِمَامَةً كنتَ تشُدُّ بها رأسَكَ. فقال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صِلَةَ الرجل أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يُوَلِّيَ))

وإنَّ أباه كان وُدّاً لِعُمَر.

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

8 . الدعاء لهما بعد موتهما:

الشيء المعروف عندكم جميعاً، أن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

فالولد الصالح الذي يدعو له هذا صدقة جارية، إذاً: حق الأب عظيم، أي أن الإنسان إذا ربى ابناً صالحاً ودعا له من بعده فإن كلَّ أعماله الصالحة من بعده تسجَّل في صحيفة الأب، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضل كسب الرجل ولده))



من حديث رواه الطبراني وفي سنده رجل مختلف فيه السيوطي الشهير مصنف الأحاديث له أبيات يعدد فيها الصدقات الجارية أخذاً عن السنة النبوية المطهرة يقول:

إذا مات ابن آدم جاء يجري عليه الأجر عند ثلاث عشرِ

علومٌ بثـها ودعاء نجلٍ وغرس النخل والصدقات تجري

وراثة مصحفٍ ورباط ثغرٍ وحفر البئر أو إجراء نـهر

وبيتٌ للغريب بناه يأوي إليه أو ابتناءُ محلِّ ذكر

و تعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ فخذها من أحاديثٍ بشعري

سئِلَ أحد العلماء: " كم يدعو الإنسان لوالديه، أفي اليوم مرة، أم في الشهرة مرة، أم في السنة ؟ فقال: تدعو له مع كلِّ صلاة، خمس صلوات، أي خمس مراتٍ في اليوم.

قال بعض التابعين: " من دعا لوالديه خمس مراتٍ فقد أدى حقهما في الدعاء لأن الله تعالى يقول:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

فالصلاة شكر، وشكر الوالدين مع الصلاة... إذاً: خمس مرات، هذا هو الاستنباط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول: باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد

9. رضا الوالدين سبب للنجاة من النار:

آخر قصةٍ في الدرس:

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال:

((كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه. قيل له: قل لا إله إلا الله: فلم يستطع، فقال: " كان يصلي ؟ ". فقال: نعم: فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: " قل: لا إله إلا الله ". فقال: لا أستطيع. قال: " لم ؟ ". قال: كان يعق والديه. فقال النبي ﷺ: " أحية والدته ؟ ". قالوا: نعم. قال: " ادعوها ". فدعوها فجاءت، فقال: " هذا ابنك ؟ ". فقالت: نعم. فقال لها: " أرأيت لو أججت ناراً ضخمةً فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار، ألست تشفعين له ؟ ". قالت: يا رسول الله إذاً أشفع. قال: " فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه ". فقالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني. فقال له رسول الله ﷺ: " يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ". فقالها فقال رسول الله ﷺ: " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار "))

حديث رواه الطبراني وأحمد وفي سنده رجل متروك

هذا عمل صالح: أن توفق بين أمٍ وابنها، بين أخٍ وأخيه، بين أبٍ وأبنه، بين جارٍ وجاره.

النبي عليه الصلاة والسلام على عظم شأنه وعلى عظم قدره حمد الله عزَّ وجل على أن مكنه من أن ينقذ هذا الشاب من النار، حيث جاء بالأم وأقنعها أن تعفو عنه، فماذا كان يفعل معها ؟ وكان هذا الشاب كما ورد في كتب الحديث يؤذي أمه، ويؤثر عليها زوجته وللحديث بقية في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : حق الأب على الابن ألا يعقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الدرس:

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

يجب أن يعين الآباء أبناءهم على برهم:

أيها الإخوة المؤمنون... لازلنا في الحديث عن حقوق الآباء على الأبناء، ولكن هناك ملاحظة أريد أن أضعها بين أيديكم، هي أن الآيات الكريمة المتعددة، والأحاديث الشريفة الكثيرة، التي تحضّ الأبناء على أن يكونوا بارين بآبائهم، هذه الآيات والأحاديث ينبغي أن تحْمل الآباء على أن يكونوا في مستوى الأبوة المطلوب، مادام ربنا سبحانه وتعالى يحضُّ الأبناء على أن يكونوا بارين بآبائهم، فالآباء يجب أن يكونوا في المستوى المطلوب، فقد ورد في الأثر:

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

وورد أيضاً:

((من أكل من مال ابنه فليأكل بالمعروف))

يعني: ربنا سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وأحاديث كثيرة، يحضّ الأبناء على برّ آبائهم، فينتظر من الآباء أن يكونوا مثاليّين في معاملة أبنائهم.

أفضل البر بالوالدين، متى يكون، وأين يكون:

ربنا سبحانه وتعالى في الآية التي بدأنا شرحها في الدرس الماضي يقول:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

تشتد حاجة الآباء إلى البر عند كبر سنهم:


تشتد حاجة الآباء للبر عند الكبر

الحقيقة أن الأب الشاب اليقظ الواعي هو في غنى عن ابنه، ليس في هذا شك، ولكن متى تشتد حاجة الأب إلى ابنه ؟ إذا بلغ من الكبر عتياً، إذا تقدمت به السن، إذا ضعف بصره، إذا انحنى ظهره، إذا خارت قواه، إذا ضعفت ذاكرته، إذا كلَّت يده، إذا أصبح عبئاً على ابنه، يكون الأب في أشد حالات الحاجة إلى ابنه إذا تقدمت به السن، وإذا وقف كسبه، وإذا أصبحت حاجاته كثيرة، وأدويته كثيرة، ومطالبه كثيرة، وله أبناء في أوج شبابهم، وفي عنفوان رجولتهم.

لذلك ربنا عزَّ وجل أشار في هذه الآية إلى الكبر:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

بر الوالدين يكون في بيت الولد لا في مأوى العجزة:



أشارت الآية أيضاً في كلمة (عندك) إلى المعنى التالي:

الابن أحياناً يكون أبوه قد تقدمت به السن ولكنه يقطن عند أخيه، فيزوره من حينٍ إلى آخر، ويقدم له واجبات الخضوع والمحبة ويجلس قليلاً وينصرف، أما عبء الأب فهو على الأخ الثاني، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يشير إلى أن حقوق الأب تشتد ويعظم أجرها إذا بلغ من الكبر عتياً وكان (عندك) في البيت، أي: كنت أنت ترعاه.

فبعض الدول الغربية تفتخر بأن لديها مأوىً للعجزة، أي أن هذا الإنسان إذا تقدمت به السن التحق بهذا المأوى، قد يقدموا له كل شيء، أطيب الطعام، وكل الخدمات الصحية ولكن لا يستطيعون أبداً أن يقدموا له المحبة، ولا العطف، ربما كانت سعادة الأب أن يمتّع نظره بأولاده، فإذا زجّوه في مأوى العجزة، وتخلوا عنه، وأنفقوا عليه الأموال الطائلة، فوالله قد فعلوا في حقه جريمة لا تغتفر.

لذلك، الإسلام يوجد فيه نظام التضامن الاجتماعي، أي أن كل أُسرة متضامنة متكافلة فيما بين أفرادها، فلو تقدمت بالأب السن، لو ضعف بصره، لو خارت قِواه، لو أصبح عاجزاً، إنه بين أولاده، بين بناته، بين أقربائه، هذا الذي ينسيه ألمه، فإذا زجَّ في مأوى العجزة، فَقَدَ العطف، فقَدَ الحنان، فكيف إذا كان هذا المأوى فيه القسوة وفيه الضرب وفيه الإيذاء بالكلام ؟

سمعت قصة امرأة لها أموال طائلة أكثرها غير منقول ؛ أي حوانيت وأبنية وبيوت وأراضٍ ومزارع، تقدمت بها السن، وفقدت حركتها، أودعها أولادها في مأوى العجزة، لأن زوجاتهم أبَيْنَ أن يخدمنها، فحينما رأت نفسها في مأوى العجزة وأن أولادها الذين ربتهم تخلوا عنها، استدعت الكاتب بالعدل، وكتبت للجمعيات الخيرية كل أموالها، عقاباً لهؤلاء الأولاد الذين كفروا فضل أمهم عليهم.

لذلك:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أنه قال:

((رَغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبَر فلم يُدْخِلاه الجنة))

قال الراوي: وأظنه قال:

((أو أحدهما))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذي

أي: أن تكون باراً بأبيك وقد تقدمت به السن، وقد ضعُف بصره، وقد خارت قِواه، وقد ضعفت ذاكرته، وقد فقد ضبط نفسه، بأن يبقى عندك معززاً مكرماً مخدوماً، فهذا العمل من الأعمال التي يستحق عليها الإنسان كلَّ إكرامٍ في الدنيا قبل الآخرة، وما رأيت إنساناً موفقاً في حياته إلا بسببٍ وجيهٍ من برهِ بوالديه، فمن كان له أبٌ حيّ فليغتنم هذه الفرصة، إنها فرصة العمر، فرصةٌ لا تعوض، وكذلك الأم.

دور اللسان والكلام في ميدان البر بالوالدين:

من ذلك:

كلمة (أف) ومعانيها السيئة:

قال تعالى:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾

(سورة الإسراء، آية 23)

الأُف: اسم فعل مضارع، أي أتضجر، وهي من الكلام الرديء الخفي، فحتى لو رأى الابن من أبيه شيئاً لا يحتمل، لا ينبغي أن يقول له: أُف، كل ما يُضجِر ويستثقل ويقال له أُف،إن كان من الأب، لا ينبغي أن يقول الابن هذه الكلمة لأبيه، ورد في الأثر:

((لو علم الله من العقوق شيئاً أقل من أُف لذكره))



يعني أقل شيءٍ في العقوق أن تقول: أُف، وهو زفير بصوت مسموع، وهو تضجر. ولو علم الله من العقوق شيئاً أردأ من أف لذكره،فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة.

لكن إياكم أن تتوهموا أن البار بوالديه لو عصى الله عزّ وجل فإنه يدخل الجنة هذا ليس مقصوداً من هذا الكلام.

كلمة أُف . بالتعريف الدقيق . رفض للأب، رفض لنعمته وجحود لتربيته، وردّ للوصية التي أوصانا الله بها بحق الآباء، وهذا معنى كلمة أُف، والدليل هو قول الله عزّ وجل على لسان سيدنا إبراهيم حيث قال لقومه:

﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(آية 67 سورة الأنبياء)

يعني أنا أرفضكم بسبب كفركم، وأرفض عبادتكم، وأرفض موضوع عبادتكم.

ما يساوي كلمة (أف) من ردود الأفعال القبيحة:

العلماء قالوا: " مجرد النظر إليهما بغضبٍ يعتبر عقوقاً "

يعني إذا نظر إلى أبيه بعبوس، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

((ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب))

حديث أخرجه الطبراني في الأوسط، وأحد رجاله متروك

النظر بغضب للأبوين من أشكال العقوق

بل إن إغلاق الباب بعنفٍ من العقوق أيضاً، وهو يساوي أُف.

ووضع الإناء بعنف من العقوق.

أحياناً يغضب الابن، فيقود سيارته برعونة ليعبر عن غضبه من أبيه، هذا أيضاً من العقوق، وفي الأثر:

((لم يتلُ القرآن من لم يعمل به، ولم يبرَّ والديه من أحدَّ النظر إليهما في حال العقوق أُولئك براءٌ مني وأنا منهم بريء))

القول الكريم واجب في حق الوالدين:

قال تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

(سورة الإسراء: آية 24)

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

النهر: يعني الزجر والغلظة.

وقل لهما قولاً كريماً: يعني قولاً ليناً لطيفاً، يا أبتاه، يا أُماه، من غير أن يسميهما أو يُكنيهما، يعني لو أن الأب اسمه سعيد وكنيته أبو أحمد، الأولى أن تخاطبه بأن تقول له: يا أبتِ، يا أبي، يا أبتاه، وهذا أولى من أن تقول: يا أبا أحمد.

أنا مرة اصطحبت أحد الإخوة في مسجدنا لعند ابنه لقضيةٍ، فلما دخل عليه، ناداه ابنه بكُنيته لئلا يشعر أحد أنه أبوه، وقال: اجلس هنا يا أبا فلان، وأبوه شخصية مرموقة، لكنه ما أراد أن يُعرّف الناس أن هذا والده. لذلك الأولى أن يناديه بكلمة يا أبتاه، يا أبي، يا والدي، من غير أن يسميهما باسمهما أو أن يناديهما بكنيتهما، وابن المسيب يفسر قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

قال: " القول الكريم كما يخاطب العبد سيداً فظاً غليظاً "، أي كأن عبداً مذنباً يخاطب سيداً فظاً غليظاً فإنه يتلطف، ويرجو، ويتضرع، ويتحبب، ويتوسل.

بعض الآداب الواجبة في حق الوالدين:

من بَر الوالدين، ألا يرفع الابن يديه إذا كلمهما، أي أنه لا يشير بيديه حين يتكلم معهما، فيرفع يده ويخفضها، لأن حركات اليدين في أثناء الكلام استخفاف بالأب، لذلك من بر الوالدين ألا يرفع الابن يديه في أثناء مخاطبته أمه أو أباه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((أتى رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ فقال له: " يا فلان من هذا معك ؟ ". قال: أبي. قال: " فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له "))

حديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا اثنين فيهما كلام

لا تستسب له: أي لا تكن سبباً في سبه، هذا من أدب النبي عليه الصلاة والسلام

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ما من مسلم يصبح ووالداه عنه راضيان إلا كان له بابان من الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وما من مسلم يُصبح ووالداه عليه ساخطان إلا كان له بابان من النار، وإن كان واحداً فواحد))

حديث أخرجه ابن أبي عمر في مسنده، بإسناد ضعيف جداً

إذا عق والديه فأبواب النار مفتحة له، وإذا برَّ والديه فأبواب الجنة مفتحة له.

الولد وما يملك ملك لأبيه:



تروي كتب السيرة أن رجلاً جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله إن أبي قد أخذ مالي، فقال عليه الصلاة والسلام:

((اذهب فأتني بأبيك))

شيءٌ دقيق جداً، إنسان شكا لك على إنسان، فمادام يتكلم وحده سيتكلم ما يحلو له، سيخفي بعض الحقائق، سيبرز بعض الحقائق، سيبالغ ببعض الحقائق، لكن إذا قلت له اذهب وأتني به، أنا أؤكد لكم أن تسعة أعشار ما كان ينوي أن يقوله سوف يسكتُ عنه، إذا أحضرت المتخاصميْن مع بعضهما أمامك، فإن تسعة أعشار ما ينوي أحدهما أن يقوله في غيبة الآخر سوف يسكت عنه، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا قال:

((اذهب فإتني بأبيك))

اسمع من الطرف الآخر، قال سيدنا سليمان:

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(آية 27 سورة النمل)

تريّثْ، استمع من الطرف الآخر، حق الدفاع مشروع، قال له:

((اذهب فأتني بأبيك))

روت كتب السيرة أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ، فقال:

((" إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه"))

أي أن الشيخ في طريقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام كان يحدث نفسه، وكل واحد منا إذا كانت عنده مشكلة، فإنه يمشي وهو يحدِّث نفسه، هذا حديث النفس، يبدو أن هذا الشيخ لشدة ألمه من ابنه كان يحدث نفسه شعراً، فسيدنا جبريل جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن الشيء الذي قاله في نفسه..

((فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: " ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقته إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي ؟ فقال النبي ﷺ: " إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك ". فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت شيئاً في نفسي ما سمعته أذناي فقال: " قل وأنا أسمع " قال: قلت:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً تُعِلَّ بما أجني عليك وتنهلُ
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبِتْ لسقمك إلا ساهراً أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي طُرقتَ بهِ دوني فعيني تهملُ
تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغتَ السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلتَ جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
تراه معداً للخلاف كأنه بردٍّ على أهل الصواب موكل

قال: حينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه فقال:

((أنت ومالك لأبيك))

القصة أخرجها الطبراني عن جابر بن عبد الله، ولها شواهد مختصرة رجالها رجال الصحيح.

النبي ﷺ بكى، وأمسك الابن من تلابيبه وقال: أنت ومالك لأبيك، من أنت ؟ ما أنت إلا حسنة من حسنات أبيك.

حدود البر بالوالدين:

لكن بر الوالدين له حدود، لو أن الأم أو الأب أمرك أن تكفر بالله أو أن تكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، ماذا تفعل ؟ الله سبحانه وتعالى علمنا فقال:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة العنكبوت: آية 8)

قصة سيدنا سعد رضي الله عنه مع أمه، قال: " كنت باراً بأمي فأسلمتُ، فقالت: لتَدَعَنَّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي، ويقال لك: يا قاتل أُمه. وبقيت يوماً أو يومينً لا تأكل ولا تشرب، فقلت: يا أماه لو كانت لكِ مائة نفسٍ، فخرجتٍ واحدةً تلو أخرى، ما تركت ديني هذا، فكلي إن شئت أو لا تأكلي ".

يعني في موضوع الإيمان بالله، وموضوع طاعة الله، يتوقف هنا رضا الأُم والأب " فكلي إن شئت أو لا تأكلي "، لكنها أكلت، فلما رأت ذلك أكلت، ونزل قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾

(سورة لقمان: آية 15)

بعض الأحكام المتعلقة ببر الوالدين:

بعض الأحكام الشرعية المتعلقة في هذا الباب:

1- طاعتهما تكون في ميدان المباحات لا في المعاصي:

طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب الكبيرة أو ترك الفريضة، هذا الحكم الشرعي المستنبط من هذه الآية، هذا شيءٌ مقطوعٌ به، وتلزم طاعتهما في المباحات، الأشياء المباحة يلزمك أن تطيعهما فيها، ويستحسن ترك المندوبات من أجلهما، مثال ذلك:

الأكل على الطاولة، وأبوك يغضب بسرعة، وأنتم في شهر رمضان، وتريد أن تصلي أنت وزوجتك وأولادك المغرب قبل الإفطار، والأب يحب أن يأكل مع الأذان، فأن تصلي قبل الإفطار هذا مندوب، فإذا تركت الصلاة قبل الإفطار، وصليتها بعد الإفطار إرضاءً لأبيك وحفاظاً على أعصابه فإن هذا مطلوبٌ منك، فهذا ترك المندوبات، أما في المباحات فأنت ملزمٌ بطاعتهما، وفي ارتكاب الكبائر أو ترك الفرائض لست ملزماً بطاعتهما، أما إذا رأيت أن ترك بعض المندوبات مما يريحهما فلا عليك إذا فعلت هذا من أجلهما، هذا هو الحكم الشرعي.

2- طاعتهما مقدمة على الجهاد الكفائي إن لم يأذنا:

كذلك ترك الجهاد الكِفائي، الجهاد الكِفائي إذا قام به البعض سقط عن الكل، يعني إذا الإنسان تطوع في الخدمة العسكرية، فالتطوع يحتاج إلى إذن الوالد، أما الخدمة الإلزامية فلا تحتاج، الجهاد العيني هذا ليس بإذن من الوالد، ترك الجهاد الكِفائي من أجلهما، أو الإقدام عليه فبإذنهما.

3- يجوز ترك الصلاة النافلة من أجل إجابة الوالدين:

تحدثنا في الدرس الماضي عن إجابة الأُم في الصلاة، فإذا أمكنك أن تعيد الصلاة وكانت في حاجةٍ إليك لا عليك أن تدع الصلاة من أجلها.

كمال طاعات سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال يوماً:

((" من أصبحَ منكم اليوم صائماً " ؟ قال أبو بكر الصِّدِّيق: أنا، قال: " فمن تَبِعَ منكم اليوم جنازة " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فَمَنْ أطعم منكم اليومَ مِسْكِيناً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فمن عاد منكم اليوم مريضاً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال رسولُ الله ﷺ: " ما اجْتَمَعْنَ في رجل إلا دخل الجنة "))

حديث صحيح، أخرجه مسلم

يعني سيدنا الصديق كان سباقاً ؛ في بر الوالدين، وفي إطعام الطعام، وفي رد السلام، وفي تشيع الجنازة..

بر الوالدين من صفات الأنبياء:

لا تنسوا أن الله عزّ وجل نوَّه بالأنبياء الكرام وبرِهم بآباءهم، فقال متكلماً عن سيدنا يحيى:

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾

(سورة مريم، آية 14)

وعن سيدنا عيسى:

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾

(آية 32 سورة مريم)

وعن سيدنا يوسف:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾

(سورة يوسف: آية 100)

وعن سيدنا إسماعيل:

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(آية 102 سورة الصافات)

تروي بعض الكتب . من باب التفصيلات . أن سيدنا إسماعيل عليه السلام قال: " يا أبت إذا أردت ذبحي، فاشدد وثاقي لئلا يصيبك شيءٌ من دمي فينقص أجري، وإن الموت لشديد ولا آمن أن أضطرب عنده إذا وجدتُ مسه، فاشحذ شفرتك حتى تُجهز عليّ، فإذا أنت أضجعتني لتذبحني فاكببني على وجهي، فإني أخشى إن أنت نظرت إلى وجهي أن تأخذك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك، وإن رأيت أن تردّ قميصي إلى أُمي، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني فافعل، قال إبراهيم: نعم العون يا بني أنت على أمر الله.

ما هذا الابن ؟.. نِعم العون يا بني أنت على أمر الله، ثم إنه هم بالتنفيذ، فتله للجبين ليذبحه فنودي:

﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (*) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

(آية 104،105 سورة الصافات)

وافتُديَ بكبشٍ عظيم، وجده إبراهيم على مقربةٍ منه فذبحه.

يعني نحن جميعاً نرى القضية سهلة، أُفتدي بكبشٍ عظيم، هذا متى عرفته أنت ؟ بعد أن أُفتدي، أما حينما أمره الله بذبح ابنه هل كان يعلم أن هناك حل لهذه المشكلة ؟

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾

(آية 106 سورة الصافات)

الآثار الطيبة لبر الوالدين:

منها:

الالتجاء إلى الله ببر الوالدين ينجي من الكروب:

النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتفق عليه . أي اتفق عليه الشيخان،البخاري ومسلم، وهذا أعلى مستوى من الأحاديث الصحيحة . عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول:

((انطلقَ ثلاثةُ نَفَر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدرتْ صَخرَةٍ من الجبل، فسَدت عليهم الغارَ، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا الله بصالح أعمالكم..))

كل واحد منا وقع في مشكلة أو في ورطة، أو لاح له شبح خطر، أو لاح له شبح مصيبة، كمرض عُضال لا سمح الله، أو دمار للمال فجأةً، إذا وقع أحد في مشكلة كبيرةٍ جداً، لا ينام لها الليل، فالسُنة النبوية أن تدعو الله بصالح عملك.

حدثني رجل كان من تجار الأغنام التقيت به وكان عمره يزيد على التسعين عاماً، وقال لي: " إنني خرجت لِتَوي من الفحص الطبي فكانت النتيجة سليمة مائة بالمائة "، أي أنه لا يشكو شيئاً وهو في التسعين، وقد أقسم لي أنه لا يعرف الحرام بكل أنواعه، وكان باراً بوالديه، فقال لي: " كنت في البادية مرةً، وامرأة راودته عن نفسه، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، واشترى قطيعاً من الغنم وسار به، فأدركهم العطش إلى درجةٍ أنه وأغنامه أصبحوا على وشك الموت، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنني عففت عن هذه المرأة خوفاً منك ففرج عنا. هذه سنة، يعني إذا أحب الله عزّ وجل أن يمتحن إنساناً، وضعه في ورطة، أو في مشكلة.. الطريق انقطع، عطش شديد، مرض شديد، مشكلة كبيرة، شبح إتلاف المال كله، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله، يا رب إن كنت تعلم أنني فعلت هذا العمل من أجلك وخالصاً لك لا أبتغي به شيئاً فأنقذني من هذه الورطة، هذه هي السنة.

((قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخانِ كبيران، وكنتُ لا أَغْبُقُ قبلهما أهلا ولا مالا..))

الغبوق: معناه شرب الحليب مساءً

((فنأَى بي طلبُ شَجَر يوماً، فلم أَرُحْ عليهما حتى ناما..))

أي عدت إلى البيت فإذا هما نائمان

((فَحَلَبْتُ لها غَبوقَهُما، فوجدتهما نائمين، فكَرِهتُ أَن أَغْبُقَ قبلهما أهلا أو مالا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى بَرَقَ الفَجْر..))

لا يشرب قبلهما حتى استيقظا من نومهما

((فاستيقظا، فشرِبا غَبوقَهُما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرةِ، فانفرَجَتْ شيئاً لا يستطيعون الخروج..))

لكنها تزحزحت

((قال النبيُّ ﷺ: قال الآخر: اللهم كانت لي ابنةُ عمّ، كانت أحبَّ الناس إليَّ، فأردُتُها على نفسها، وامتنعت مني، حتى أَلَمَّتَ بها سَنَة من السنين..))

أي: فقرٌ شديد

((فجاءتني، فأعطيتُها عشرين ومائةَ دينار، على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قَدَرْتُ عليها، قالت: لا أُحِلُّ لَكَ أَن تَفُضَّ الخَاتَمَ إلا بِحقِّه، فتحَرَّجْتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ، وتركتُ الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرَجَتِ الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها))

((قال النبيُّ ﷺ: وقال الثالث: اللهم استأَجَرْتُ أُجَرَاءَ، وأعطيتُهم أجرَهم، غير رَجُل واحد، تَرَكَ الذي له وذهب، فَثَمَّرتُ أَجْرَهُ حتى كَثُرَتْ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أَدِّ إليَّ أجري، فقلت: كلُّ ما ترى من أَجْرِكَ، من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئُ بي، فقلتُ: إني لا أستهزئُ بك، فأخذه كلَّه، فاسْتاقه، فلم يتركْ منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجتِ الصخرة، فخرجوا يمشون))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

يعني إذا الإنسان وقع في شدة، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله.

دعوة الأب لابنه، دعوة مستجابة:

وعن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَاباتٌ، لا شَكَّ في إجابَتِهِنَّ: دَعوَةُ المظلُومِ، ودَعوةُ المُسَافِرِ ودَعوةُ الوَالِدِ على الولد))

حديث حسن، أخرجه الترمذي

وفي الأثر:

((أربعةٌ دعوتهم مستجابة، الإمام العادل، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ورجلٌ يدعو لولده))

بر الوالدين سبب لمغفرة الذنوب، وزيادة في العمر و الرزق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:

((أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله أذنبت ذنبا كبيراً، فهل لي من توبة، فقال له رسول الله ﷺ: ألك والدان ؟ قال: لا، قال ألك خالة ؟ قال: نعم قال فبرها إذاً))

حديث صحيح، أخرجه الترمذي والإمام أحمد وابن حبان والحاكم

وهذا حديث لطيف، يعني إذا كان إنسان توفيت أمه وله خالة فالإحسان إلى الخالة بمثابة الإحسان إلى الأُم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

((من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه))

حديث أخرجه أحمد في مسنده، ورجاله رجال الصحيح

وقال عليه الصلاة والسلام:

((من بر والديه طوبى له، زاد الله في عمره))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

وعن ثوبان رضي الله عنه ن قال: قال رسول الله ﷺ:

((لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم

ثلاثة أحاديث عن أن بر الوالدين يزيد في العمر وفي الرزق.

بشارة للمقصّرين كي يتداركوا:

ورد في الأثر:

((إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما لعاق فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله باراً))

من زار قبر والديه ودعا لهما كتب بارا

هذه بشارة، فلو أن أباً مات غاضباً على ابنه، فهذا الابن العاق دعا لوالديه واستغفر لهما وفعل الأعمال الصالحة من أجلهما، ربما كتبه الله باراً ولو مات أبوه غاضباً عليه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول: باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد عن أبي هريرة

وفي الأثر:

((من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له وكُتب باراً))

بعض القصص المتعلقة بموضوع بر الوالدين:

بقي علينا بعض القصص المتعلقة بهذا الموضوع:

1- كما تدين تدان:

قيل: كان رجل يطعم والده المُسن طعاماً في إناءٍ من الخشب . الآن يوجد كأس من البلور وكأس من الإستالس، فيريد الوالد كأس من الماء فيعطيه ابنه كأس الإستالس لأنها لا تنكسر . فكان هذا الرجل يطعم والده المُسن في إناءٍ من الخشب، فسأله ولده عن السبب في هذا، الابن الصغير سأل أباه: لماذا تطعم جدي في هذا الإناء الذي هو من الخشب ؟ فقال له: لأنني إذا أطعمته في إناءٍ صينيٍ أو من الزجاج كسره، فقال له ابنه: إذاً يا أبت سأحتفظ لك بهذا الإناء الخشبي حتى أُقدم لك طعامك فيه عندما تكون في سن جدي، فعند ذلك انتبه الوالد وأدرك أن ما يفعله الآن مع والده سيفعله ابنه معه، وتاب إلى الله من هذا الذنب.

أقل استهانة أحياناً تهين الأب، كأن يقدم له فنجاناً فيه عيب، ويقول: خذ اشرب بلهجة المتذمر، أو كأس متسخة فيحزن الأب، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم))

حديث أخرجه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر

2- يشتكي أمه وينسى فضلها:

قيل: إن رجلاً شكا إلى نبي سوء خلق أمه، فقال:

((لم تكن أُمك سيئة الخلق حين أرضعتك حولين كاملين ؟ ولم تكن سيئة الخلق حين أسهرتها الليل، ولم تكن سيئة الخلق حين رعتك، لقد جازيتها بهذا ؟))

هذا الذي يذم والديه ليس مؤمناً.

3- الولد ملك لأبيه:

ولد اشتكى إلى النبي عليه الصلاة والسلام أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا هو شيخٌ يتوكأ على عصا فسأله، فلعله قال: يا رسول الله إن ابني وهو صغير كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيفٌ وهو قوي، وأنا فقيرٌ وهو غني يبخل علي بماله، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وقال للولد:

((أنت ومالك لأبيك))

من حديث صحيح،أخرجه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله

4- آداب بعض البررة:

. قيل لعمر بن ذر: كيف كان برّ ابنك ؟ قال: " ما مشيت نهاراً إلا ومشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقى سطحاً وأنا تحته ".

. قيل لعلي بن الحسين: أنت من أبر الناس بأمك، ولكن لماذا لا تأكل معها ؟ قال: " والله أخاف أن تمتد يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها ".

يعني: قطعة من اللحم في الصحن وهي عينها على هذه القطعة،فإن أكلتها أنا أكون قد عققتها... كانوا إلى هذا المستوى.

أبو يزيد البسطامي رحمه الله قال: " كنت ابن عشرين سنة، فدعتني أُمي لتمريضها ذات ليلة فأجبتها، فجعلت يدي تحت رأسها، والأخرى أمسِّد يدها بيدي، وأقرأ (قل هو الله أحد) فخدرت يدي، فكدت أفقد قوة اليد، فقلت: اليد لي وحق الوالدة لله ".

هذا من بره لأُمه.

5- ترجو هي حياتك، وترجو أنت موتها:

ورجل قال لسيدنا عمر: " إني أخدم أُمي كما كانت تخدمني في الصغر فهل قمت بحقها ؟ فقال: لا، إنها كانت تخدمك وهي تتمنى لك الحياة، وأنت تخدمها وأنت تتمنى لها الموت ". وبعبارة أخرى أو مهذبة: (أن يخفف الله عنها).

6- الأم الصابرة المحتسبة:

كان رجلٌ يجلس إليَّ، فبلغني أنه نزل به الموت وإذا أُم عجوز كبيرة جعلت تنظر إليه حتى غُمِّض وعصِّبَ وسُجِّي، فقالت: رحمك الله يا بني لقد كنت بنا باراً، وعلينا شفوقاً رزقنا الله عليك الصبر، فقد كنت تطيل القيام وتكثر الصيام، فلا حرَمَكَ الله ما أملت من رحمته، وأحسن عنك العزاء، ثم نظرت إليّ وقالت: لو بقي أحدٌ لأحد لبقي النبي عليه الصلاة والسلام لأمته.

كل حالٍ يزول، لذلك يقال للميت كما في الأثر: " رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت ".

وأخيراً:

من خلال هذه الآيات والأحاديث والتعليقات والأحكام الفقهية والقصص يتبين لنا أن بر الوالدين بابٌ كبير من أبواب الجنة.

((رَغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبَر فلم يُدْخِلاه الجنة. قال الراوي: وأظنه قال: أو أحدهما))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذي

فمن كان له أب على قيد الحياة أو أم، أو من كان له أب وأم، فليغتنم هذه الفرصة، لأن الله عزّ وجل أمرنا أن نحسن إلى الوالدين وقرن هذا الأمر بعبادته..

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : حقوق الأبناء على الآباء

الدرس (1 – 4) : حق الابن على الأب اختيار الأم والاسم والتعليم

الدرس (2 – 4) : حق الابن على الأب تأديبه بالآداب الإسلامية

الدرس (3 – 4) : حق الابن على الأب تعليمه للقرآن وإطعامه الطعام الحلال

الدرس (4 – 4) : حق الابن على الأب العدل بينه وبين أخوته

الفصل الثاني : حقوق الأبناء على الآباء

الدرس (1 – 4) : حق الابن على الأب اختيار الأم والاسم والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

حقوق الأبناء على الآباء :

أيها الأخوة المؤمنون, في الدرس الماضي أنهينا بفضل الله عزَّ وجل حقوق الآباء على الأبناء، وها نحن أولاء في هذا الدرس ننتقل إلى موضوعٍ آخر متمِّمٍ للأول, ألا وهو حقوق الأبناء على الآباء ، لأن كل حقٍ يقابله واجب، وكل واجبٍ يقابله حق، فما دام للآباء حقوقٌ على الأبناء، لا بدَّ من أن يكون للأبناء حقوقٌ على الآباء، والحديث الشريف الذي تعرفونه جميعاً:

((رحم الله والداً أعان ولده على برّه))



موضوع حقوق الزوج على الزوجة، وحقوق الزوجة على الزوج، وموضوع حقوق الآباء على الأبناء، وحقوق الأبناء على الآباء، هذه موضوعاتٌ دقيقةٌ جداً، لأنه ما من واحدٍ من الأخوة الحاضرين إلا وتمسُّه هذه الموضوعات، فإذا أدَّيت ما عليك من حقوق صار الطريق إلى الله سالكاً، وإذا كان هناك تقصيرٌ، أو مجاوزةٌ، أو جنوحٌ، أو مخالفةٌ، أو إساءةٌ

كانت هذه الأعمال حجاباً بين العبد وبين ربه، والحديث الذي تعرفونه أيضاً جميعاً, هو أن الإنسان قد يستحق النار يوم القيامة, فيقف بين يدي الله عزَّ وجل ويقول:

((يا رب لا أدخل النار حتى أُدخِل أبي قبلي))

وهذا الطفل الذي شبَّ على الانحراف، وشجَّعته أمه الجاهلة على ذلك، وكبر وارتكب جريمةً, استحقَّ عليها الإعدام، قُبَيْلَ إعدامه طلب أن يلتقي أمه -هكذا الصحيح أكثرهم يقول : أن يلتقي بأمه-, فلما جيء له بأمه, قال: مدي لسانك كي أقبِّله, مدَّت لسانها فعضَّه وقطعه، وقال: لو لم يكن هذا اللسان مشجِّعاً لي على الجرائم ما فقدت حياتي:

إهمال تربية البنينَ جنايةٌ عادت على الآباءِ بالويلاتِ .

إذاً: الحديث النبوي الشريف:

((رحم الله والداً أعان ولده على برِّهِ))

هو عنوان هذا الموضوع: حقوق الأبناء على الآباء.

ما هي هذه الحقوق؟

1-أن يحسن الأب اختيار الزوجة :



يا أيها الأخوة الأكارم, جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر سيدنا عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- ابنه, وأنَّبه على عقوقه لأبيه, فقال الابن: يا أمير المؤمنين, أليس للولد حقوقٌ على أبيه؟ قال: بلى, فقال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلِّمه الكتاب –القرآن-

فقال الابن: يا أمير المؤمنين, إنه لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجيةٌ كانت لمجوسي، وقد سماني جُعْلاً –أي خنفساء– ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً, فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل, وقال له: أجئت تشكو عقوق ابنك؟ لقد عققته قبل أن يعقَّك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

هذا النص أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلِّمه القرآن، فإذا أهمل الأب هذه الأشياء, يكون قد عَقَّ ابنه قبل أن يعقَّه ابنه، ويكون الأب قد أساء إليه قبل أن يسيء الابن إلى أبيه.

فأول واجبٍ على الآباء تجاه الأبناء: أن يحسن الأب اختيار الزوجة، إن هذا الواجب يسبق وجود الولد، الواجب الأول بل هو أخطر واجب إنه يسبق وجود الولد، وهو: أن يحسن اختيار أمه.

صفات الزوجة الصالحة :

النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول:

((خير فائدة أفادها المرء المسلم بعد إسلامه امرأة صالحة, تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في غيبته في ماله ونفسها))

فأثمن شيءٍ أن تحسن اختيار الزوجة، ينبغي أن تكون الزوجة صالحة:

((تسرُّه إذا نظر إليها –أي أنها نظيفة– وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في غيبته في ماله ونفسها))

وفي حديثٍ آخر: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:

((يا رسول الله, أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ))

في هذا الحديث ليس فيه كلمة إليها؛ أي إذا نظر إلى غرفة النوم تسره، منظَّمة ومرتَّبة والملاءة نظيفة، وإذا نظر إلى المطبخ تسرُّه، وإذا نظر إلى أولاده تسرُّه، وإذا نظر إلى البيت إجمالاً تسرُّه، أي أنها تقوم بواجبها خير قيام، أي تحسن تبعُّل زوجها.

والنبي –عليه الصلاة والسلام كما تعرفون– يقول:

((اعلمي أيتها المرأة, وأعلمي من وراءك من النساء: أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله))

يعني الجهاد في سبيل الله.

((تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه بما يكره في نفسها وماله))

هذه صفات الزوجة الصالحة، لأن اختيار الزوجة الصالحة أول واجبٍ على الآباء تجاه الأبناء الذين سوف يأتون إلى الدنيا.

وفي حديثٍ آخر: عن أبي سعيدٍ الخدري –رضي الله عنه– قال:

((قال عليه الصلاة والسلام : تنكح المرأة على إحدى خصال؛ لجمالها، ومالها، وخُلُقها، ودينها, فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك))

[أخرجه أحمد في مسنده]

وفي حديثٍ آخر: عن النبي –عليه الصلاة والسلام–، رواه البخاري ومسلم، يقول عليه الصلاة والسلام :

((تنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولخلقها، ولجمالها، ولدينها, فاظفر بذات الدين تربت يداك))

أي إن لم تفعل ما نلت إلا التُراب، والتراب شيءٌ لا قيمة له إطلاقاً، إذا جهدت، وتحمَّست ، وانقضضت، وأمسكت بشيء فإذا هو تراب، يقال: تربت يمينك؛ أي لن تأخذ شيئاً، لم تنل شيئاً، لم تفلح في هذا الزواج. العلماء قالوا: يستحب أن تختار امرأة تسرُّك إذا نظرت إليها.



هذا من السنة، لكن العلماء أيضاً, ومنهم الماوردي يقول: كره العلماء أن يختار الإنسان امرأةً ذات جمالٍ بارع, لأنها متعبةٌ إلى أقصى الحدود، فإنها تزهو بجمالها، وتحب أن ينظر الناس إليها، وربَّما تعاند زوجها، وربَّما تتفلَّت من أوامر الشرع تفلُّت البعير.

لذلك هذا رأي بعض العلماء: أنه يجب أن تختار زوجةً تسرك إذا نظرت إليها، أما أن تختارها فائقةً فائقةً, فهذا ربما عاد عليك بالمتاعب التي لا حصر لها.

في حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((من تزوَّج المرأة لجمالها أذلَّه الله.

-هي تزهو عليه بجمالها, وهو يتصاغر أمام هذا الجمال، فكأنها هي الآمرة الناهية، وكأنها هي القَيِّمة، وكأن لها القِوامة، لذلك-:

من تزوَّج المرأة لجمالها أذلَّه الله -أي لجمالها فقط-

ومن تزوَّجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً, فعليك بذات الدين تربت يداك))

لكن لو أنك تزوجت امرأةً غنيَّة, وطابت لك عن بعض مالها، فهذا يأكله الزوج هنيئاً مريئاً، كما قال الله عزَّ وجل في القرآن الكريم :

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾

[سورة النساء الآية: 4]

والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول:

((إياكم وخضراء الدمن.

–الدِّمَن جمع دِمْنَة وهي المزبلة، وخضراء الدمن أحياناً تنبت نبتةٌ في هذه القمامة، فإذا هي نضرة، لأنها كلها سماد، هذه سمَّاها النبي –عليه الصلاة والسلام– خضراء الدمن، قال عليه الصلاة والسلام– :

إياكم وخضراء الدمن، فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء))

البيئة سيِّئة، البيئة غير إسلاميَّة، البيئة غير ديِّنة، متفلِّتة، الجو العائلي جو مريض، الجو العائلي جو غير صحي، الشاعر الحكيم قال:

ليس الجمال بأثوابٍ تُزيننا إن الجمال جمال العلم والأدبِ .

حديثٌ آخر: رواه سيدنا أنسٌ, عن النبي –عليه الصلاة والسلام– :

((من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره, ويحصن فرجه, أو يصل رحمه, بارك الله له فيها وبارك لها فيه))

والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان إذا حضر عقد قِران, يقول:

((بارك الله لكما وعليكما وفيكما))

وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: لا تزوجوا النساء لحسنهن))

فإذا ذُكرت كلمة حُسن أو جمال, المقصود الجمال وحده؛ أي أنك آثرت الجمال على الدين، هناك رقَّةٌ في الدين وتفوُّقٌ في الجمال، آثرت الجمال على الأخلاق، هناك شراسةٌ في الأخلاق، ورقةٌ في الدين، وتفوُّقٌ في الجمال, فالأمر فيه نذر السّر، إذا ذكر النبي –عليه الصلاة والسلام– كلمة الجمال أو الحُسن, فالمقصود به من آثره على بعض الشروط الأخرى.

يقولون: إن واحداً وضع عشرة شروط: أول شرط الجمال، ثاني شرط الكمال، الثالث الغنى –المال– الرابع الحسب، الخامس النسب، السادس الثقافة، السابع إلى أن صاروا عشرة ، أرسل والدته فلم يجد، فتخلَّى عن شرط، عمل جولة ثانية بعد سنة فلم يجد فتخلى عن شرط ثانٍ، عمل جولة ثالثة فلم يجد فتخلى عن شرط ثالث، بعد عشر سنوات بقي على شرطٍ واحد: وهو أن يعثر على امرأةٍ ترضى به، فعلى المرء ألا يعقِّد الأمور كثيراً.

((لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن .

–أي جميلة وجاهلة، حسنها يرديها، يجعلها تستعلي عليه، لا يحتملها زوجها فيطلِّقها، وهذا يحصل دائماً، استعلاؤها على زوجها يحملها على أن تكون فظَّةً معه، وقد لا يحتمل الزوج هذا، فيكون الفراق والشِقاق، إذاً–:

لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوَّجوهنَّ لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن

–المال يطغي–

ولكن تزوَّجوهنَّ على الدين، ولأمة خرماء –أي أذنها مشرومة– سوداء ذات دينٍ أفضل))

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالباءة –أي بالزواج– وينهى عن التبتُّل نهياً شديداً، ويقول :

((تزوجوا الودود الولود, فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة))

النبي –عليه الصلاة والسلام, وهو سيد الخلق, وحبيب الحق– اختار لنا هذين الشرطين: الودودِ الولود. أي ما من طبعٍ أبغض عند الرجل في المرأة من أن تكون لئيمة، أو قاسية، أو متكبِّرة، أو لها لسانٌ سليط، أو مستعلية.

النبي –عليه الصلاة والسلام– قال:

((تزوَّجوا الودود –تحب زوجها، تتحبَّب إليه، ترضيه، تؤثره على كل شيء، هذه الودود– الولود –لأنها إذا أنجبت لك طفلاً, ملأ هذا الطفل البيت أنساً ولطفاً، ومحبَّةً واشتياقاً، ومتَّن العلاقة بين الزوجين–.
تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواها .

-أي كلامها لطيف, وليست كلما تحدثت بكلمتين, قالت عن زوجها الأول: المرحوم ما كان يفعل هذا، المرحوم ما كان يفعل هذا، وفي هذا تنغيص لزوجها الحالي-.

عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواها -أي كلامها لطيف- وأنتق أرحاما، وأرضى باليسير))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

هذا كلُّه من حقوق الأبناء على الآباء، أي ليحسن الأب اختيار الزوجة الصالحة.

((الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والنسائي في سننه]

الزواج سنة الأنبياء :

أراد ابن عمر -رضي الله عنه- ألا يتزوَّج، فقالت له أخته حفصة: أي أخي لا تفعل، تزوَّج فإن ولد لك ولد فماتوا كانوا لك أجراً، وإن عاشوا دعوا الله عزَّ وجل لك. لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ, أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ, أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

الأنبياء العِظام –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– كلهم تزوَّجوا، قال الله عزَّ وجل :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾

[سورة الرعد الآية: 38]



الأنبياء تزوَّجوا، الزواج لا يتعارض مع الدين بل هو في خدمة الدين:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

[سورة النحل الآية: 72]

من فضل الله على الإنسان أن جعل له زوجة، وجعل له منها أبناءً، ورزقهم من الطيّبات.

هناك أب ذكر لأبنائه فضله عليهم, فقال:

وأول إحساني إليكم تخيُّري لماجدة الأعراق بادٍ عفافها .

هذا هو الحق الأول: حق ابنك عليك أن تحسن اختيار أمه.

2–التعوذ بالله من الشيطان قبل اللقاء الزوجي :

الآن الحق الثاني: التعوُّذ بالله من الشيطان قبل اللقاء الزوجي.

لأن في هذا الموضوع أحاديث كثيرة, وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام، لكن هناك سؤال دقيق: كلَّما سألني سائل حول التعوذ, قال: إنني تعوَّذت بالله فلم يحصل ما أريد؟ وأرد عليه قائلاً: ربنا عزَّ وجل قال:

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾

[سورة فصلت الآية: 36]

يقول لك: استعذت بالله ولم يحصل شيء، فما جدوى هذه الاستعاذة؟.

في الجواب عن هذا نقول: إن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم :

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة فصلت الآية: 36]

السميع باستعاذتك، والعليم لما في قلبك، استنبط العلماء من هذه الآية: أن الاستعاذة باللسان لا قيمة لها، ولا تكفي، ولا جدوى منها، ما لم يكن القلب في أعماقه متجهاً إلى الله بالاستعاذة، فلذلك:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

[سورة الناس الآية: 1-6]

-قل أعوذ- لا تقبل هذه الاستعاذة، ولا تُجدي، ولا تقطف ثمارها, إلا إذا كانت نابعةً من قلبك، بالدليل: أن الله سبحانه وتعالى ختم الآية, فقال:

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة الأعراف الآية: 200]

سميعٌ لهذه الاستعاذة, ولكن يعلم أن قلبك ليس في مستواها، فإذا اتجه الإنسان إلى الله عزَّ وجل بكليَّته مستعيذاً, لا بدَّ من أن ينجيه من كل مكروه، هذا شيءٌ ثابت.

الله عزَّ وجل قال :

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾

[سورة الإسراء الآية: 64]

فالمشاركة في الأولاد: أن الزوج الذي ينسى أن يستعيذ بالله قبل اللقاء الزوجي، قد يشرَكه في هذا اللقاء الجن، وعندئذٍ يأتي الابن شريراً مخيفاً، هذا تفسير بعض العلماء لهذه الآية.

النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما روى البخاري ومسلم، عن ابن عبَّاسٍ –رضي الله عنهما– من طرقٍ كثيرة – أي صار هذا حديثاً متواتراً تواتراً معنوياً– أنه قال:

((لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ, اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ, وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا, فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ, لَمْ يَضُرَّهُ))

أي الشيطان لم يضر هذا الولد. هذا الحديث واضح .

الإمام الداودي قال: معنى لم يضرَّه؛ أي لم يفتنه عن دينه إلى الكفر.

وليس المراد أن هذا الابن معصومٌ عن المعصية، فالقضية سهلة, إذا كان الواحد قد سمى, فهل يأتيه ولد صالح عالِم جليل؟ لا, بل إن العلماء يقولون: ليس معنى هذا أنه يصبح معصوماً عن المعصية، ولكن لم يضرُّه الشيطان فيهوي به إلى الكفر، إذا كان قد استعاذ الزوج بالله من الشيطان الرجيم قبل اللقاء الزوجي.

وكلكم يعلم: أن الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلِّم, قال الشيطان لأخوانه: أدركتم المبيت في هذا البيت –الليلة هنا، طول الليل مشاكل– فإذا جلس إلى الطعام ولم يسمِ, قال الشيطان لأخوانه : وأدركتم العشاء –كذلك وعند العشاء، يشبع الجماعة– فإذا دخل ولم يسلِّم، وجلس إلى الطعام ولم يسمِّ, قال الشيطان لأخوانه: أدركتم المبيت والعشاء معاً.

أي أنكم الليلة نومكم هنا والعشاء كذلك جاهز.

إذاً خلاصة التوجيه النبوي: أن الإنسان عليه أن يسلِّم إذا دخل إلى بيته قائلاً: السلام عليكم، وعليه أن يسمي إذا أكل، عندئذٍ يجنبه الله الشيطان في علاقاته وفي طعامه.

3-أن يتخير له اسماً ذكراً كان أو أنثى :

الواجب الذي يلي هذا الواجب هو :أن يتخيَّر له اسماً حسناً ذكراً كان أو أنثى .

ففي الحديث الشريف:

((إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم))

[أخرجه أبو داود في سننه]

هكذا قال عليه الصلاة والسلام, بعضهم يسمي ابنه جعيفص مثلاً، ما هذه جعيفص؟ عبد الرحمن، عبد اللطيف مثلاً، عبد الله، حَسن، حُسين كذلك، هناك أسماء كثيرة جداً؛ أسماء إسلاميَّة، وأسماء أخلاقيَّة، من ذلك اسم مجيب أحياناً، واسم هُمام، لدينا أسماء كثيرة فيها معنى الشجاعة وغيرها.

طبعاً سبب هذه الأسماء القبيحة جهلٌ قائم بالأهل، إن سمَّاه اسماً قبيحاً يعيش ولا يموت كما يزعمون، يسميه فلفل، فجلة، خيشة، جدي، في أسماء أخرى أيضاً، هذه الأسماء يتوهَّم الآباء أنها تقي ابنهم من الأمراض ومن الموت، هذا كله كلام فارغ ولا أساس له من الصحَّة ، هذه أسماء مزرية بأصحابها.

وهناك أسماء مستوردة؛ ميمي، وشونو، وسونا، وفيفي، وشوشو، هذه أسماء لا تليق بالمسلم أساساً، لا تسمي اسماً خشناً ولا اسماً مستورداً، نريد اسماً إسلامياً، والآن لدينا الكثير من الكتب بالأسواق، وعندنا معاجم حوالي أربعة أو خمسة آلاف اسم مرتَّبة ترتيباً جيداً، اقتنِ كتاباً منها، فاختيار الاسم شيء مهم جداً، هذا الاسم سوف يكون علماً على هذا الابن, في حلِّه وترحاله، في علاقاته، في حركاته وسكناته، في نشاطاته.

الأسماء المحبب إلى الله؟ :

النبي -عليه الصلاة والسلام- عن ابن عمر -رضي الله عنه- وفيما رواه الإمام مسلم يقول:

((إن أحب أسمائكم إلى الله عزَّ وجل؛ عبد الله وعبد الرحمن))

وكان عليه الصلاة والسلام إذا لم يعرف اسم إنسان, قال له:

((ادن مني يا عبد الله))

هذا اسم يطلق على الكل: يا عبد الله.

وعن جابرٍ -رضي الله عنه- قال:

((ولد لرجلٍ منا غلام فسمَّاه القاسم، فقلنا: لا نُكنيك أبا القاسم ولا كرامة -رسول الله أبا القاسم- فُأخبِر النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: سمّ ابنك عبد الرحمن))

أحياناً يكون بالأسرة رجل وقور وله قيمته يسمونه باسمه، وهذا الابن أحياناً يشذ، ينحرف، يتعرض لدعاء سوء من الأهل، فتصير هذه مشكلة، فيفضَّل إذا كان في الأسرة إنسان وهو عميد الأسرة له قيمته، فلا تعمل إحراجات وتسمي الصغير باسمه.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- لم يرضَ، قال له:

((سمه عبد الرحمن))

والنبي أمرنا في حديثٍ آخر رواه أبو داود:

((تسموا بأسماء الأنبياء))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما]

((وأحب الأسماء إلى الله؛ عبد الله وعبد الرحمن))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما]

إبراهيم، سيدنا إبراهيم:

((تسموا بأسماء الأنبياء , وأصدقها حارثٌ وهُمام، وأقبحها حربٌ ومرَّة))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما]

وكان عليه الصلاة والسلام يبدِّل الأسماء.

أحياناً هذا الكلام أسوقه للمعلمين، إذا عندك طفل له اسمه لا يليق، أنت بدِّل له اسمه أثناء العام الدراسي في تعاملك معه، لا أقول بالسجلات فلها وضع آخر، وقت تقديم الشهادة تأخذ اسمه الصحيح، لكن أثناء التعامل اليومي أطلق عليه اسماً لطيفاً, ينتعش فيه هذا الطفل.

فالنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: عن سعيد بن المسيِّب بن حَزْن, أعطيه الحُزن, والحَزَن هو المعروف، معروف عند الجميع، وهو ما يعتري النفس من ألم ..:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة النمل الآية: 70]

الحُزن والحَزَن بمعنى واحد، لكن الحَزْن الأرض الوعرة.

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلاثًا, أَلا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

الحَزْن الأرض الوعرة، أما الحَزَن والحُزن بمعنى واحد وهو الألم النفسي.

فعن سعيد بن المسيب بن حَزْن, عن أبيه, أنه جاء النبي –عليه الصلاة والسلام– فقال:

((ما اسمك؟ قال: حَزْن, فقال: أنت سهل, قال: لا أغير اسماً سمَّانيه أبي, فقال بن المسيِّب فيما بعد: فما زالت الحزونة فينا بعد))

أي غلظ الوجه وشيءٌ من القساوة.

النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول لك: أنت سهل, وهو يقول: لا اسمي حزْن ويرفض تسمية النبي.

قال: فما زالت الحزونة فينا بعد.

والحزونة غلظ الوجه وشيءٌ من قساوة القلب.

امرأةٌ اسمها عاصية سمَّاها النبي جميلة، لماذا عاصية؟.

ما اسمكِ؟ قالت:

((أنا عاصية, فقال لها: بل أنتِ جميلة))

وامرأةٌ اسمها برَّة فقال عليه الصلاة والسلام:

((أنتِ زينب))

الأنسب أن يختار الإنسان اسماً مناسباً، والذي أعرفه أن الإنسان له الحق أن يبدِّل اسمه، فإذا لم يرق له اسمه الذي سماه به أبوه, فله الحق أن يبدّل اسمه حتى في قيود الدولة وسجلاتها، هذا من حقوق الأبناء على الآباء.

الحقيقة: الأسماء القبيحة أسبابها عادة قبيحة، وعقليَّة قبيحة، وتصوُّر قبيح, إذ يزعم الجهلة أن هذه الأسماء القبيحة تقي صاحبها من الضرر، والهلاك، والموت، والآفة، والمرض، والحق أنه لا يقي الإنسان إلا الله عزَّ وجل، لكن النبي قال:

((العين حق، إن العين –أي عين الحسود– تضع الجمل في القدر، والرجل في القبر))

المحسود الغافل عن الله عزَّ وجل تؤثِّر فيه عين الحسود، أما المحسود المُقبِل على الله لا تؤثِّر فيه عين الحسود. وللتعوُّذ موضوعٌ آخر إن شاء الله، التعوُّذ بالله من الحسد وغيره يحتاج إلى موضوع تفصيلي نتحدَّث عنه في وقتٍ آخر.

ما ورد عن الغزالي في رياضة الصبيان :

نختار أيضاً من حقوق الأبناء على الآباء ما ورد في كتاب إحياء علوم الدين عن رياضة الصِبيان:

فاعلم أن الطريق في رياضة الصبيان -والمقصود هنا بالرياضة هي التربية- من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ساذجة، خاليةٌ من كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكل ما نُقِش، ومائلٍ إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلمٍ له ومؤدِّب، وإن عوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له، وقد قال الله عزَّ وجل:



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[سورة التحريم الآية: 6]

إذا كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فلأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته عن نار الآخرة بأن يؤدِّبه ويهذبه -الكلام للإمام أبو حامد الغزالي- ويعلّمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قُرَناء السوء، ولا يعوِّده التنعُّم، ولا يحبِّب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيّع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه, إلا امرأةً صالحةً متدينةً تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، إذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث, فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث, قال: فإذا رأى فيه مخايل التمييز -صار مدركاً- فينبغي أن يحسن مراقبته ..

((لاعب ولدك سبعاً، وأدِّبه سبعاً، وراقبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه))

1-أن يعلمه الحياء :

وأول ذلك ظهور أوائل الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحي، ويترك بعض الأفعال, فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض الآخر، وهذه عندئذٍ هديَّةٌ من الله تعالى إليك وبشارةٌ تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب.

2-أن يعلمه الأدب في الطعام :

وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام، فينبغي أن يؤدَّب فيه, فلا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه: بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، فقد ورد عن عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنهما- قال: كنت غلاماً في حجر النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكانت يدي تطيش في الصحفة -أي يأكل من كل الأطراف- فقال لي النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((يا غلام, سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما, ومالك في الموطأ]



وأن يعوِّده ألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل، ولا أن يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغَ، وألا يوالي بين اللُّقم، ولا يلطِّخ يديه ولا ثوبه، وأن يعوَّد الخبز القِفار في بعض الأوقات -من حين لآخر خبز فقط، هذا توجيه الإمام الغزالي - وأن يعوَّد في بعض الأوقات الخبز القفار حتى لا يصير الإدام حتماً.

-هذا مصداق قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم))

ويقبِّح عنده كثرة الأكل، ويمدح عنده الصبي المتأدِّب القليل الأكل، وأن يحبِّب إليه الإيثار بالطعام، وقلَّة المبالاة فيه، والقناعة بالطعام الخشن أي طعامٍ كان.

-ابن المقفَّع له صديق قال عنه: من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظَّمه في عيني, صغر الدنيا في عينيه، فكان خارجاً عن سُلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد, ولا يكثر إذا وجد.

3-أن يحبب إليه الثياب البيض دون الملون :

قال-: وأن يحبِّب إليه الثياب البيض دون الملوَّن، والإبريسيم -أي المعرَّق- فإن هذا من شأن النساء والمخنَّثين، وإن الرجال يستنكفون منه، ومهما رأى على صبيٍ ثوباً من إبريسيم أو ملوَّن, فينبغي أن يستنكره ويذمَّه.

4-أن يحسن تأديبه :

وإن الصبي إذا أهمل من ابتداء نشأته, خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذَّاباً، حسوداً، سروقاً، نمَّاماً، لحوحاً، ذا فضول، وضحك، وكِياد، ومجانة -أي من المجون-, وإنما يُحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يُشغل في المكتب؛ فيتعلَّم القرآن، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم، ليغرس في نفسه حب الصالحين, ويحفظ من الشعر والنثر الأدبي ما يقوِّم لسانه، ويجعله محباً للغة العربيَّة وعاشقها.

5-أن تثني عليه إذا رأيت منه خلقاً حميداً :

-قال-: فإذا ظهر على الصبي خُلقٌ جميل وفعلٌ محمود، فينبغي أن يكرَّم عليه -يجب أن تثني على ابنك إذا رأيت منه خُلقاً حميداً؛ أمانةً، وفاءً، صدقاً- ويجازى عليه لما يفرح به، وأن يُمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرَّةً واحدة, فينبغي أن يتغافل عنه.



الثناء على الابن يشجعه على تبني الأخلاق الحميدة

-غلط غلطة ننتقده انتقاداً صارخاً أمام الناس على غلطة واحدة، لا, فهذا لا ينبغي أن نفعله, وكما جاء في وصية الغزالي: فإذا خالف ذلك في بعض الأحوال مرَّةً واحدة, فينبغي أن نتغافل عنه, وأن لا نهتك ستره، وألا نكاشفه، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر على أحدٍ مثله, أي أن التغافل على أخطاء قليلة حكمةٌ تربويَّة، أما إذا عاد ثانيةً يُعاتب عتاباً رقيقاً فيما بينك وبينه، ويقال له: إياك أن تعود إلى ذلك مرَّةً ثانية.

قال-: وليكون الأب حافظاً مع ابنه هيبة الكلام، فلا يوبِّخه إلا أحياناً، والأم تخوِّفه بالأب, وتزجره عن القبائح.

6-أن يمنع الابن من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل وألا يمنع منه ليلاً :

-قال-: وينبغي أن يمنع الابن من النوم نهاراً, فإنه يورِّث الكسل، وألا يمنع منه ليلاً، ولكن يُمنع الفُرش الوطيئة حتى تتصلَّب أعضاؤه -الفرش الوثيرة المريحة هذه تعوِّده النوم-, وينبغي أن يمنع من كل فعلٍ يفعله خفيةً، فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تعوَّد ترك فعل القبيح فقد تعوَّد شيئاً طيباً، ويعوَّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة, حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعود ألا يكشف أطرافه, وألا يسرع في المشي، وألا يرخي يديه, بل يضمهما إلى صدره.

7-أن يمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبوه :

ويُمنع أن يفتخر على أقرانه بشيءٍ مما يملكه أبوه -أبي كذا، أبي عنده بيته، سيارته، حاجته- أو بشيءٍ من مطاعمه وملابسه، أو أدواته، بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره, ويُمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً بطريق الحيلة، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء والدناءة في الأخذ، وإن كان الأخذ من أولاد الأغنياء لؤمٌ وخسَّة، فإن الأخذ من أولاد الفقراء يعلِّم الطمع والمهانة والذِلَّة -على الحالتين- وأن يُقبَّح عند الصبيان حب الذهب والفضَّة والطمع فيهما.

8-أن يعود ألا يبصق في مجلسه وألا يتمخط ... :

ويعوَّد ألا يبصق في مجلسه، وألا يتمخَّط، ولا يتثاءب بحضرة غيره، وألا يستدبر غيره ، وألا يضع رجلاً فوق رجل، وألا يضع كفَّه تحت ذقنه، ولا يعتمد رأسه في ساعده, فإن هذا دليل الكسل، ويعلّمِ كيفية الجلوس, ويمنع كثرة الكلام، ويمنع أن يبتدئ بالكلام، ويعلَّم ألا يتكلَّم إلا جواباً, وبقدر السؤال، ويعلَّم حسن الاستماع ممن هو أكبر منه سناً، وأن يقوم لمن هو أكبر منه سناً، ويوسِع له في المكان، ويُمنع من لغو الكلام والفُحش، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيءٌ من ذلك.

9-ينبغي ألا يكثر الصراخ والشغب إذا ضربه المعلم ولا يستشفع بأحد بل يصبر :

وإذا ضربه المعلِّم ينبغي ألا يكثر الصُراخ والشَغَب –هذه الزعبرة– ولا يستشفع بأحد بل يصبر، وينبغي أن يعلَّم طاعة والديه ومعلِّمه ومؤدِّبه، وكل من هو أكبر منه سناً من قريبٍ أو أجنبيٍ، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم.

هذا فصل ورد في إحياء علوم الدين عن رياضة الصبيان – تأديب الصبيان– وهو فصلٌ تربويٌ مهمٌ جداً, إذا أخذ الأب به، وإذا طبَّقه بقدر إمكانه, ولكن الظروف صعبةٌ جداً، أي قبل أن تستطيع أن تؤثِّر بابنك هناك ألف مؤثِّرٍ آخر، كما قال الله عزَّ وجل:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

[سورة الروم الآية: 41]

فأرجو أن يكون هذا الكلام واقعياً، لكن قبل سنواتٍ طويلة، قبل مئات السنين, كان الجو جواً صحياً، والأخلاق هي السائدة، والحكمة هي المسيطرة .

الخاتمة:

وفي درسٍ آخر -إن شاء الله- هناك واجباتٌ كثيرة هي على الآباء تجاه أبنائهم؛ تعليم القرآن، وتعليم السباحة، والرماية، وركوب الخيل، والخِتان، والأذان في أذنه، وتحنيكه، والعقيقة.

أشياء كثيرة -إن شاء الله- نأخذها في الدرس القادم تتميماً لموضوع حقوق الأبناء على الآباء :

((ورحم الله والداً أعان ولده على برِّه))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 4) : حق الابن على الأب تأديبه بالآداب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من حقوق الأبناء على الآباء أيضاً :

4- أن يؤدب الأب ابنه بالأدب الإسلامي :

أيها الأخوة المؤمنون, لا زلنا في موضوع حقوق الأبناء على آبائهم، وربَّما كان هذا الدرس هو الدرس الأخير في هذا الموضوع.

من حقوق الأبناء على آبائهم: أن يُؤدَّب بالأدب الإسلامي.



كل دينٍ، أو كل مذهبٍ، أو كل مبدأٍ، أو أية حضارةٍ هي مجموعة أفكار، ومجموعة قيَم، ومجموعة أخلاقيات، وقد يعبَّر عنها بالأدبيات، الإسلام له أفكاره، وله قيمه، وله آدابه.

هناك آداب الاستماع، آداب الحديث، آداب الطريق، آداب طلب العلم، آداب تلقين العلم، هناك آداب الزوج مع زوجته، آداب الزوجة مع زوجها، آداب الجار مع جاره، في الإسلام بعامة وفي السُنَّة المطَّهرة بخاصة موضوعٌ كبيرٌ ويحتل مساحةً كبيرةً: إنه موضوع الآداب.

فالابن فضلاً عن أن الأب مُلزم عن أن يعلِّمه مبادئ الإسلام، وأن يعلِّمه قيم الإسلام, عليه أن يؤدِّبه بأدب الإسلام.

ومرَّةً ثانية أوضِّح حقيقةً دقيقةً جداً هي: أن الأب دوره كدور الطبيب, عليه أن يبذل قُصارى جهده، أما أن يكون تحقيق النجاح محاسباً عليه, فهذا شيءٌ فوق طاقته، لأن الله عزَّ وجل خاطب النبي –عليه الصلاة والسلام وهو سيِّد المُربين، وإمام المعلِّمين، وسيِّد العلماء، وسيد الأتقياء، وأخشع خلق الله–, قال:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: 272]

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

[سورة هود الآية: 86]

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾

[سورة الغاشية الآية: 21–22]

سيدنا نوح –عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام– كان من أنبياء الله عزَّ وجل، ومع ذلك لم يتمكَّن أن يلقِّن العلم الشريف لابنه الذي هو من صُلبه.

أقول هذا الكلام لأن موقف الأب يجب أن يكون دقيقاً جداً، لو أنه أهمل فهو محاسبٌ على إهماله، لو أنه عجز عن تحقيق الهدف الذي أراده الله من الإنسان في ابنه, نقول له: إن هذا العجز لست محاسباً عليه، لأن الطبيب عليه أن يبذل قُصارى جهده وليس عليه ضمان الشفاء، هذه حقيقةٌ مسلَّمٌ بها لا تقبل الأخذ والرد.

ما دور الكلام في نقل الآداب وما دور الكلام في نقل القيم؟ :

فعلى الأب أن يؤدِّب ابنه بالآداب الإسلاميَّة، ولكن وهذه كلمةٌ صريحة: ما دور الكلام في نقل الآداب؟ ما دور الكلام في نقل القيَم؟ .

إن دور الكلام دورٌ ضئيلٌ جداً، محدودٌ جداً، ولكن يكفي أن يتأدَّب الأب بالأدب الإسلامي، وأن يكون في بيته مسلماً صادقاً، يكفي أن يَصْدُق ليعلِّم أبناءه الصدق من حيث لا يشعر ولا يشعرون، لمجرَّد أن يكشف الابن أن الأب يكذب على أمِّه، وأن الأم تكذب على الأب، وأن الأخ يكذب على أخيه, هذا اسمه كذبٌ ممارس، الواقع فيه كذب، فالابن يتعلَّم من الواقع أضعاف ما يتعلَّم بالتلقين، من هنا قالوا:

لغة العمل أبلغ من لغة القول.

المسلمون في أندونيسيا أسلموا لا عن طريق الدعوة؛ ولكن عن طريق الممارسة، عن طريق المعاملة .

في موسم الحج الماضي, حدَّثني أخٌ كريم فقال لي: التقيت برجل من أوروبا، هو في عرفات يدعو ويبكي، مظهره يُنْبِئُ عن أنه ليس عربياً، وليس من بلاد الشرق الأوسط، فلما سأله, عرف أنه من دولةٍ في قلب أوروبا، أول سؤالٍ يخطر في باله: كيف أسلمت؟ أو لماذا أسلمت؟ فكانت الإجابة في منتهى البساطة :

إن طالباً مسلماً سكن في بيته، هذا الطالب رآه مثلاً أعلى في الاستقامة؛ عفَّةٌ ما بعدها عفَّة، صدقٌ ما بعده صدقٌ، جديَّةٌ ما بعدها جديَّة، انضباطٌ، صلاةٌ، ذكرٌ، عبادةٌ، من حيث لا يشعر, هذا الطالب ترك أبلغ تأثيرٍ في هذا الإنسان، وكان إسلام هذا الرجل على يد هذا الطالب، وجاء إلى بلاد الحجاز ليؤدي الفريضة.

إذاً: هذه كلمة أقولها من القلب: الإسلام الآن لا يحتاج إلى كلام، الكلام ولا سيما في هذا العصر, هناك منه طَوَفان، أو هناك طُوفان، أي من الكلام، الكتابات، المقالات، الكتب، التسجيلات، الخُطَب، المحاضرات، الندوات بلغت من الكثرة، والعمق، والتفنُّن، والتنوُّع، والقدرة على التأثير الحَدَّ الأقصى، وما لهؤلاء الناس لا يرتدعون، ولا يؤثِّر فيهم هذا الكلام؟ لأن لغة العمل أبلغ من لغة القول .

أنا أقول لكم هذه الكلمة: "بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء.

الآن لا يؤثِّر في أخيك، ولا في جارك، ولا في زميلك، ولا في صديقك، ولا في أي إنسان تلتقي به, لا يؤثِّر فيه دقة الفكرة ولا دليلها، بل يؤثِّر فيه الموقف الإسلامي؛ أن تكون صادقاً، أن تكون منضبطاً، أن تكون عفيفاً، أن تكون سَخياً، أن تضع المادة تحت قدمك من أجل مبدئك، أن تكون عند وعدك، عند ما تقول، فإذا كان هذا هو الطريق الوحيد لنشر الدين في الأوساط، فأن يكون الطريق الوحيد لتلقين أولادك: فمبادئ الإسلام وقيمه وآدابه

من باب أولى, لذلك قبل أن تقول لأولادك: عُدَّ للألف وللمليون, هل أنت في مستوى هذا القول؟ إن دعوتهم إلى الصدق فهل أنت صادق؟ إن دعوتهم إلى أن يفعلوا كذا وكذا فهل تسبقهم أنت إلى فعل كذا وكذا؟ هذه الازدواجيَّة في شخصية الإنسان هي الطامَّة الكبرى في هذا العصر, هناك شرخٌ كبير بين ما تعتقده، وبين ما تؤمن به، وبين ما تدعو إليه، وبين ما تمارسه في حياتك اليوميَّة، هذا الشرخ الكبير، هذه الهوة الكبيرة, فصلت الإسلام عن الحياة .

ما تسمعه في المسجد، ما تسمعه من خطيب المسجد, كلامٌ طيب مائة في المائة، ولكن ما تراه في الحياة اليوميَّة شيءٌ آخر مختلفٌ كل الاختلاف، لذلك الكلمة الفصل، والكلمة الصادقة:

إذا أردت أن تربي أبناءك على أي شيء, لا تنتظر أن يكونوا كما تريد, إن لم تكن أنت كما يريد الإسلام، إذا كنت أنت عاجزاً عن أن تكون صادقاً, فأولادك أعجز عن الصدق منك، إذا كنت أنت عاجزاً عن أن تضبط شهواتك، يكفي أن يراك ابنك تستقبل امرأةً لا تحلُّ لك؛ قريبة أو صديقة، أو، أو ....، ويكفي أن ينظر إليك ، وأنت تدير معها حديثاً لطيفاً, وأنت تملأ عينيك منها، أي كلامٍ تقوله لابنك عن غض البصر، وعن العفَّة، وعن كلامٌ لا قيمة له إطلاقاً، يجب أن يرى الابن من أبيه الصدق، العفَّة.

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((الإسلام عفيفٌ عن المحارم، الإسلام عفيفٌ عن المطامع))

إذا أردنا أن نوسِّع الدائرة فهذا ممكن, دعونا من تربية الأبناء ووسِّعوا الدائرة إلى الدعوة إلى الله، لن تستطيع أن تؤثِّر في إنسان كائناً من كان, إن رأى هذا الإنسان مسافةً بين أقوالك وأفعالك، الكلام سهل، لذلك قال بعض الأدباء:

إن أكثر الناس يستطيعون الحديث عن المُثُل العُليا، ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوها.

أي لك أن تقول: هذه حقوق الأم, ولكن البطولة أن تعرف هذه الحقوق وأنت متزوِّج، حينما تصطدم أمك مع زوجتك، تقف مع من؟ تقف مع مبدئك أم مع شهوتك؟ تقف مع مصلحتك العاجلة أم مع مصلحتك الآجلة؟.

كيف أؤدب ابني بالأدب الإسلامي؟ :

لذلك هذه الكلمة لا بدَّ منها تقديماً لهذا الموضوع الدقيق؛ أي يا رب كيف أؤدِّب ابني بالأدب الإسلامي؟ يجب أن تكون أنت مسلماً، يجب أن يكون هذا البيت إسلامياً، يجب ألا تعد وعداً إن لم تكن متأكِّداً من أن توفيه, الطفل يصدِّق كل ما تقوله له، لقد وعدته بمكافأةٍ إذا نجح ، وها هو ذا قد نجح أين المكافأة؟ هو لا يعرف أنك لا تملك مالاً ولكن يعرف أنك وعدته، أنت أبوه وهو يظن كما يقولون: المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيءٍ قدير, هكذا تظن المرأة وابنها في وقتٍ واحد، فإذا كنت لست متأكِّداً من قدرتك على أن تفي بوعدك فلا تعد؛ أي علِّم ابنك قدسيَّة الكلمة.



أنا ألاحظ ملاحظة هي مشكلة؛ على مستوى الأقارب، على مستوى الأصحاب، الأصدقاء، على مستوى الجيران، على مستوى العلاقات اليوميَّة، تطلب طلباً: أنا بحاجة لهذا الشيء, تجد أربعة أو خمسة اندفعوا اندفاعاً عجيباً لتقديم خدماتهم، تنتظر يوم الأحد، والاثنين, والثلاثاء، والأربعاء، بل يمضي أسبوع واثنان وثلاثة ولا تجد استجابةً لهذا الطلب، فلماذا؟

هذا الذي قال لك: أنا سأفعل هذا, هذا كلام، أما وعد الحر دين، أنت ابق صامتاً، الصامت في سلام، والمتكلِّم إما له أو عليه، أنت إذا كنت لست متأكِّداً من قدرتك على أن تفي بما وعدت فابقَ صامتاً، فهذا أشرف موقف تقفه.

أحياناً الأخ يزور أخته، تشكو له بعض ما هي بحاجةٍ إليه, فيقول لها: هذه اتركيها لي، وهذه على عيني, الأخت تصدِّق, وتنتظر الأسبوع والأسبوعين، والشهر والشهرين، ولا من مجيبٍ، ولا من سميعٍ، ولا من قريب، فهذه المشكلة أن الوعود كثيرة، التبجُّح كثير، التوجيه كثير، الوعظ كثير، ولكن التطبيق قليل، فلذلك قبل أن تفعل شيئاً:

يا أيها الرجل المعلِّم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليمُ؟

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

هذه أبياتٌ بليغة.

والآن يطالعنا سؤال دقيق: ما هو الفرق الجوهري بين دعوة الأنبياء –عليهم صلوات الله– وبين دعوة الدعاة؟.

الفرق الجوهري هو: أنك لن تجد في حياة النبي أي مسافة بين ما يقول وبين ما يفعل، هذا هو ملخَّص الملخَّص، إذا أردت أن تؤثِّر في الناس فكن في مستوى دعوتك، إذا علَّمت الناس السُنَّة طبِّقها قبل أن تعلمهم إياها، إذا علَّمت الناس أدب التواضع كن متواضعاً، إذا علَّمت الإنسان أدب إنكار الذات أنكر ذاتك أولاً، إذا علَّمت الناس أدب التوكُّل توكَّل أنت قبلهم، إذا علَّمت الناس أدب السخاء كُن سخياً قبل أن تعلِّمهم السخاء، هذا إذا فعلناه رضي الله علينا جميعاً، لأن النبي –ﷺ– يقول:

((إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما, ومالك في الموطأ]

الأبوة مسؤولية :

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم))

[أخرجه ابن ماجة في سننه]

سبحان الله! هناك جبلَّةٌ جبلها الله عزَّ وجل في قلب كل أب، هذه الجبلَّة هي الحرص على أولاده، ولكن المشكلة أنك تحرص على أولادك من زاوية نظرك، من وجهة نظرك، فالأب الذي لا يعرف الله عزَّ وجل يحرص على مستقبل أولاده وفق تخطيطه هو، هذا الذي يسميه الناس ضالٌ مُضل، يحب أن يكون أولاده أحراراً في أعمالهم، وفي حركاتهم، وفي سكناتهم، ولا يتأثَّر كثيراً إذا رأى انحرافاً, لا بدَّ من أن يكون ابنه كذا وكذا، لذلك تعلُّم الأب فرض عينٍ قبل أن يُعَلِّم، الأبوَّة مسؤوليَّة.



فكل إنسان يتزوَّج ينجب أولاداً، هذا في مقدور أي إنسان؛ جاهل، عالم، عظيم، تافه، أخلاقي، لا أخلاقي –أمر واضح– كائن مع كائن ينجبان مولوداً، ولكن الأبوَّة في الإسلام مسؤوليةً قبل أن تكون مُتعة، مسؤوليَّة كبيرة، هذا الذي أنجبته له حقٌ عليك. النقطة التي ذكرتها لكم في الدرس السابق: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– لماذا جعل الدِرهم الذي تنفقه على عيالك خيراً من أي درهمٍ آخر؟ لأن إنفاق المال على الفقراء مثلاً قد تنفق عليهم أنت وهناك آخرون ينفقون عليهم، أي هو بابٍ من أبواب الخير, إن امتنعت أنت عن الإنفاق تقدَّم غيرك، ولكن رعاية الأولاد، هؤلاء الأولاد إن تخليت أنت عنهم من لهم؟ ليس لهم أحد، من هنا كان الدرهم الذي تنفقه على عيالك أو على أولادك خيراً من أي درهمٍ آخر، كما قال عليه الصلاة والسلام في مقدمة هذا الموضوع.

والحديث الثاني: عن أيوب بن موسى, عن أبيه, عن جده, أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال:

((ما نحل والدٌ ولداً أفضل من أدبٍ حسن))

معنى نحل؛ أي أعطى.

قلت لكم سابقاً فكرةٌ مهمة أُعيدها مرة ثانية:

الله سبحانه وتعالى جعل في الأرض معايش، معنى معايش: أي جعل في الأرض أبواباً لكسب الرزق، كل واحد له حرفة؛ هذا مدرِّس والتدريس بابٌ لكسب الرزق، هذا محامٍ والمحاماة بابٌ لكسب الرزق، هذا موظَّف، هذا صاحب مهنةٍ يدويَّة –حرفةٍ يدويَّة–, كل إنسانٍ يعيش من عملٍ والناس في أمس الحاجة إليه، وهذا تصميم الله عزَّ وجل، فالإنسان يُتقن عملاً واحداً, وهو بحاجة إلى آلاف آلاف الخدمات والحاجات، الحياة تقوم على العلاقة المتبادلة , كذلك ربنا سبحانه وتعالى جعل في الحياة الدنيا أبواباً للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى, الأسرة أحد أكبر هذه الأبواب؛ أي يكفي أن تكون زوجاً مثالياً، أن ترعى زوجتك، أن تحملها على طاعة الله، أن تعرِّفها بأمر آخرتها، أن تعطيها سؤلها بالمعقول من دون شطط، من دون إسراف، من دون تبذير، من دون مباهاة، أن تكفيها

مؤنتها، أن تطمئنها لا أن تهددها بالطلاق صباح مساء، يكفي أن تبثَّ في قلبها الأمن والطمأنينة، وأن تطعمها مما تأكل، وأن تلبسها مما تلبس، وأن توقِّرها توقيراً يليق بها كزوجة شريكة حياة، هذا بابٌ كبير من أبواب العمل الصالح.

أولادك يكفي أن تحرص على مستقبلهم، يكفي أن تحرص على هدايتهم، يكفي أن تسعى لتنشئتهم نشأةً صالحة, بناتك يكفي أن ينشأن على طاعة الله ورسوله، يكفي أن تكون هذه البنت وفق ما أراد النبي –عليه الصلاة والسلام–، وأن تبحث لها عن زوجٍ مؤمن, فإن في هذا المسعى عملاً عظيماً هو مدخلٌ لك على الله عزَّ وجل.

الأبواب المفتحة إلى الجنة لا تعد ولا تحصى :

الآن أوسِّع الدائرة؛ حرفتك, عملك يكفي أن تتقنه، وأن تكون صادقاً فيه، وألا تغش به المسلمين، وأن تمارسه وفق الشرع، وأن تبتغي به خدمة المسلمين, حتى ينقلب هذا العمل إلى عملٍ صالح.

فأحياناً الإنسان يتوهَّم أنه عدداً قليلاً من الناس فقط لهم عند الله مكانة كبيرة، أقول: إن هذا وهم, فحسب ظنه أن الذي يبني هذا المسجد، وهذا الداعية، وهذا الخطيب مثلاً فقط هم أصحاب الخطوة عند الله، لا, أنت أنت أيها الأخ الكريم بحرفتك، وعملك اليومي، وفي بيتك، ومع زوجتك وأولادك، وفي علاقاتك الاجتماعيَّة إذا أوقعتها وفق منهج الإسلام، وضبطت عملك, هذه كلها أبوابٌ لدخول الجنَّة، فهل من المعقول أن يكون كل الناس دعاة؟ لا، وكن أنت صاحب مهنة، صادق، مستقيم، أمين، تنصح المسلمين، تبتغي بعملك هذا خدمة المسلمين, هذا بابٌ كبير من أبواب دخول الجنَّة.



فأنا أريد أن أقول: إن الأبواب المفتَّحة للجنَّة لا تعد ولا تحصى، وذو مكانة عند الله كثيرون.

شيءٌ آخر: عن عبد الله بن عامر –رضي الله عنه– هذا الحديث يؤكِّد كل هذا الكلام الذي قيل قبل قليل– قال:

((جاء النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى بيتنا –يبدو أن بينهم قرابة– وأنا صبيٌ صغير، فذهبت لألعب, فقالت لي أمي: يا عبد الله تعالَ أعطيك, فقال عليه الصلاة والسلام: ما أردتِ أن تعطيه؟ قالت: تمراً، فقال عليه الصلاة والسلام: أما إنكِ لو لم تفعلي ذلك لكُتبت عليكِ كذبة))

فعليك أن تمارس مع ابنك الصدق قبل أن تأمره بالصدق .

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:

((أخذ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه

–أحياناً الأب لا يبالي ماذا يأكل ابنه؛ من طعام حلال، من طعام حرام، هذا الشيء يجوز أكله، أو لا يجوز أكله؟ شاهد معه حاجة ليست له, فلم يسأله: من أين هي؟ هذا الذي لا يبالي, ربَّما شجَّع ابنه على أكل مالٍ حرام وهو لا يدري–.

فقال عليه الصلاة والسلام لحفيده الحسن، وقد أخذ تمرةً من تمر الصدقة: كخ كخ –هذه كلمةٌ فصيحة وهي اسم فعل: ارم بها– أما علمت أَنَّا لا نأكل الصدقة؟))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

هذه حرام، فإذا مرَّ الأب على بائع وأكل شيئاً من هذا المبيع وهو لا ينوي الشراء، على مرأى من ابنه، صار عند ابنه شعار: ضع في الخُرج, هذا شعار آخر: لا تدقِّق، أما إذا تعفَّف الأب انتبه الابن، وصار لديه انضباط، لذلك مرَّ بنا سابقاً أنه:

من أكل لقمةً من حرام جُرِحَت عدالته.

تطفيفٌ بتمرة تجرح العدالة.

عندنا قاعدة شهيرة جداً: لا يستقيم الظلُ والعود أعوجُ.

أحضر عوداً أعوج وضعه في الشمس، هل يمكن أن يأتي ظلُّه مستقيماً؟ مستحيل، متى يستقيم العود والظل أعوج؟ والبيت الشهير الذي تعرفونه جميعاً:

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيتِ كلُّهم الرقص .

فالأب كما قلت لكم سابقاً: يكون ابنه في سن لا يُجدي معه إلا الملاعبة والمداعبة.

((لاعب ولدك سبعاً .

–طفل صغير، هذا الذي يستيقظ ليضرب ابنه ضرباً مبرّحاً, إذا بكى في الليل وأيقظه، وعمره سنتان، هذا ليس أباً، هذا الإنسان ليس في مستوى أن يكون أباً لولد، من عام لسبعة أعوام, هذا الطفل الصغير يحتاج إلى إيناس، يحتاج إلى ابتسام، يحتاج إلى ملاعبة، يحتاج إلى أن تهبِط إلى مستواه، يحتاج إلى أن تمضي معه فترةً في تأليف قلبه، فالنبي على عظمة شأنه ، وعلى عِظَمِ قدرهِ كان يمشي على أربع، ويركب الحسن والحسين على ظهره, ويقول:

((نعم الحملان أنتما، ونعم الجمل جملكما))

((نعم الجمل جملكما, ونعم العدلان أنتما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

من كان له صبي فليتصابى له .

وكانت الجارية تأخذ بيد رسول الله –البنت الصغيرة جداً– وتمضي به حيث تشاء.

الآن–:

لاعب ولدك سبعاً، وأدبِّه سبعاً))

من السابعة إلى الرابعة عشرة تأديب، تكلَّم الابن قليلاً خلاف الحق, أو أخذ ما ليس له، أو نظر نظرةً غير مؤدَّبة، فيجب أن تؤدِّبه باستمرار, لكن ما هي المشكلة؟.

أنه أحياناً ألف إنسان ينظّف, لا يستطيع أن يزيل أثر إنسان يوسّخ، فكيف إذا كان منظّف واحد وألف موسّخ؟ اعكسوها, الإنسان أحياناً بحكم الفساد الاجتماعي العام، يجد مصدراً واحداً للتوجيه وألف مصدرٍ للإفساد، على كلٍ؛ وأدّبه سبعاً.

وصية لقمان لابنه وهو يعظه:

1-أن يتقي الله :

هناك وصية لسيدنا لقمان مأثورة عن هذا النبي الكريم, وهي من وصايا كثيرة أثرت عنه، وبعضهم يقول: هو ليس نبياً، على كلٍ؛ ورد ذكره في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾

[سورة لقمان الآية: 13]

قد تواجهك مرحلة لا تملك عندها إلا التوجيه الصحيح وأن تكون قدوةً، وعلى الله الباقي.

يا بني, اتخذ تقوى الله تعالى تجارتك, يأتك الربح من غير بضاعة.

أول ملاحظة: استقيموا ولن تحصوا:

-استقم على أمر الله, واجعل تجارتك أن تكون مستقيماً على أمر الله، ولا تسأل عن كثرة الخير الذي سيأتيك من كل جانب-.

2-أن يحضر الجنائز :

النصيحة الثانية: يا بني احضر الجنائز فإن الجنائز تذكّرك بالآخرة.

-الجنائز تذكر بالآخرة، فأحياناً الشباب في مرحلة من حياتهم, أسقطوا من حساباتهم كلياً موضوع الموت، أو موضوع مغادرة الدنيا، هناك مفاجآت، فكم من شابٍ مات في مقتبل العمر؟! هذه الفكرة الخاطئة أنا شاب الآن،

هذا كلام غير صحيح، نسمع كل يوم بنعوات الشاب أو الشابَّة، أو فلانة الوالدة مع ابنها، إذاً الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً. فالنصيحة الثانية: أن يتجه الشاب إلى أمر الآخرة-.

3-أن يستيقظ في وقت السحر :

يا بني, لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوِّت بالأسحار, وأنت نائمٌ على فراشك.

-أي في الصباح ساعة فيها من التجلِّي، وفي من البركات والخيرات لا يعلمها إلا الله.

((لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))

ربنا عزَّ وجل في هذا الوقت يتجلَّى على عباده، فلذلك هناك من يستيقظ ليأخذ من هذا التجلِّي شيئاً، وهناك من يمضي هذا الوقت نائماً.

على كلٍ؛ الله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي :

((إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر))

4-أن لا يؤخر التوبة :

يا بني, لا تؤخِّر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

-لذلك مرَّ معي أن من أدعية المصطفى -صلى الله عليه وسلَّم-: اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا, وإسرافنا في أمرنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

هذا دعاء قرآني كان النبي -عليه الصلاة والسلام- كثيراً ما يتمثَّله.

وهناك شيء آخر هام جداً: "اللهمَّ تب علينا من نسيان التوبة، وتب علينا من تأخير التوبة.

نسيان التوبة ذنب يضاف إلى ذنب الذنب، وتأخير التوبة ذنب، أيضاً وبعض الشباب دائماً يردد: أنا شاب، وغداً أتوب, وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((ويحك! أو ليس الدهر كله غدا؟))

والقول الشهير : هلك المسوِّفون- .

5-أن لا يرغب في ود الجاهل :

يا بني, لا ترغب في ود الجاهل, فيرى أنك ترضى عن عمله.

-إذا أثنيت على جاهل فكأنك تثني على جهله، من هنا الحديث الشريف:

((إن الله يغضب إذا مُدِحَ الفاسق))

إذا مدحت فاسقاً أمام ابنك، هو لا يصلي، يشرب الخمر، يا أخي لطيف، تقول عنه لابنك : مهذَّب، لبق، ذكي، شاطر، فإلى أين أنت مندفع في ثنائك الزائف؟ ابنك يصدِّقك، إذا خلعت على هذا الإنسان العاصي لربه، المقترف للكبائر, ووصفته بكل صفات الأدب, والذكاء، واللطف، فهذه مشكلة، يجب أن تسكت, وإلا فإنك تكون قد وضعت ولدك في خصم المتناقضات ...:

((إن الله يغضب إذا مُدِحَ الفاسق))

يغضب، حينما تمدح الفاسق ماذا تفعل؟ تجعل القيم تضطرب في ذهن ابنك.



لذلك: أحياناً في القصص والأعمال التي تجسِّد هذه القصص في بعض أجهزة اللهو، ما الذي يحصل؟ أن شخصيةً من الشخصيات يسبغ عليها كاتب القصَّة البطولة، الشهامة، المروءة، حب الآخرين، حب خدمة الناس، الصدق، الأمانة، كل الصفات البطوليَّة تُسْقَطُ على هذه الشخصيَّة، ومع ذلك يشرب الخمر، ولا يأبه لأوامر الله عزَّ وجل، إذا قرأ الإنسان هذه القصَّة، أو شاهدها ممثَّلةً، ماذا يحصل؟ هذه القيم تتسرَّب إلى أعماقه، إلى عقله الباطن، فأخطر ما في القصَّة إذا أراد الكاتب منها تدمير القيَم هذا الخطر الماحق، إذ أن كل صفات البطولة يخلعها كاتب القصَّة على شخصيَّةٍ ما، وفي الوقت نفسه يظهر أن هذه الشخصيَّة ليست منضبطة بأوامر الدين، في أعماق المشاهد أو القارئ, يتسرَّب إلى عقله الباطن: أن البطولة ليس من مقوماتها معرفة الله ولا طاعته، بل إن المعصية من لوازم البطولة.

يكفي خطراً أن تبرز امرأةً, وتصفها بأنها دينةً, مع أنها ثرثارة، أو مهملة لأولادها، وأنها جاهلة، أو أن تظهر امرأةً متبرِّجةً متفلِّتةً من كل أدبٍ إسلامي على أنها امرأةٌ صالحة، وزوجةٌ ناجحة، صادقة، مربِّية، مخلصة لأولادها، ترعى زوجها، مثل هذه المتناقضات في الأحكام, كمن أن تقضي على مجتمعٍ بأكمله, وتحيله إلى ضلال في السلوك والعقيدة، والضلال ضياع وكفر, لذلك:

إذا قرأت أدباً, وشعرت أنه حرَّك مشاعرك العُليا وتفكيرك المرتفع, فأنت أمام فنٍ رفيع، فإذا لم يحرِّك هذا الأدب إلا المبتذل من مشاعرك، والتافه من تفكيرك, فأنت أمام فنٍ رخيص، ويستطيع الكاتب الرخيص؛ كاتب القصَّة الرخيص، كاتب الشعر الرخيص، كاتب المقالة الرخيص, يستطيع إذا آتاه الله مقدرةً أدبيَّةً رائعة أن يدمِّر مجتمعاً بأكمله.

يجب أن تعرف ماذا يقرأ ابنك؟ إذا جئت بمطبوعات من المستوى الهابط إلى البيت, فتعلم أن هذا يُقرأ من قِبَل الزوجة والأولاد، إذاً من أنت؟ أنت وعاء تفكيرك، تصوراتك محصلة ما يملأ في هذا الوعاء, فهذا الذي يعاشر رفاق السوء، هذا الذي يعاشر أناساً متفلِّتين من أوامر الدين، هؤلاء يبثون فيه قيماً أخرى غير قيم الدين، يبثون

فيه عادات ليست إسلاميةً ، يبثون فيه مبادئ ليست إسلاميَّة، لذلك أنت أو ابنك في النهاية وعاء، ماذا يصبُّ في هذا الوعاء؟.

فإذا كنت ممن يقرأ القرآن، ممن يقرأ سُنَّة النبي العدنان، إذا كنت ممن يحضر مجالس العلم، إذا كنت ممكن يقرأ كتاباً إسلامياً يغذي قلبه وعقله, فأنت في النهاية إنسانٌ مبدؤك صحيح، قيمك صحيحة، وكذلك عاداتك وتقاليدك وأخلاقك، أما إذا سمحت لمُغَذِّياتٍ أخرى، لثقافاتٍ أخرى، للباطل المزيَّن المزخرف أن يملأ بيتك، عن طريق كتاب، أو مجلَّة، أو قصَّة، هناك أثر للقصَّة لا يعرفه إلا المختصّون، أن تقرأ ما تشاء هذا غذاء، حتى إن هناك دراسات –الآن– تؤكِّد: أن أكثر الجرائم التي يرتكبها الصغار، والراشدون، والمراهقون, إنما هي مستقاةٌ بشكلٍ أو بآخر مما يرونه من خلال الأعمال الفنيَّة التي تجسِّد بعض القصص.

حدَّثني رجل أثق به, فقال لي: في بعض القصص التي انقلبت إلى قصص مشاهدة، ثلاث عشرة خيانة زوجيَّة، لو أن شابةً رأت هذا العمل الفني، فإن الخيانة الزوجية لديها تصبح شيئاً بسيطاً جداً, يمكن أن تفعله المرأة انتقاماً من زوجها، أو تأديباً لزوجها، أما المرأة المسلمة بينها وبين أن تنزلِق في هذا العمل مسافاتٌ لا يعلمها إلا الله، بعيدةٌ عنه بعد الأرض عن السماء؛ فهذا الذي تقرؤه، هذا الذي تسمعه، هذا الذي تشاهده شئت أم أبيت، أحببت أم لم تُحب, في النهاية هو الذي يصنع عقيدتك، وهو الذي يصنع قيَمك، وهو الذي يصنع عاداتك وتقاليدك، فالخطر يأتي من هنا, اقرأ القرآن فهذا كلام الله عزَّ وجل:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

[سورة فصلت الآية: 42]

مرَّة قرأت في مجلَّة كلمة مداها سطر واحد، إنها سُمٌّ من أشد أنواع السموم فتكاً، قال قائلها:

أنت أخلاقي لأنك ضعيف، وأنت ضعيف لأنك أخلاقي.

بلاء، أربع كلمات، هذا يدعوك من خلالها لتكون لا أخلاقياً من أجل أن تكون قوياً، أو من أجل أن تأخذ ما تريد، لذلك لا بدَّ من مقصٍ بيد الأب, يقصُّ به كل شيءٍ لا يعجبه حتى لا يقرأه ابنه، إذا أردت أن تؤدِّبه أدباً إسلامياً–.

6- اتقِ الله ولا ترى الناس أنك تخشاه لشيءٍ ما :

يا بني, اتقِ الله ولا ترى الناس أنك تخشاه لشيءٍ ما.

-فأحياناً الإنسان لا يخشى الله ابتغاء مرضاة الله، بل إنه يخشى الله ابتغاء ألا يتعرض لغضب الناس، هذا نوعٌ من الشرك-.

يا بني ما ندمت على الصمت قط، فإن الكلام إذا كان من فضَّةٍ كان السكوت من ذهب.

-لأن الصامت في أمان أو في سلام، والمتكلِّم إما له أو عليه-.



يا بني, اعتزل الشر يعتزلك, فإن الشرَّ للشر خُلِق. يا بني عليك بمجالسة العلماء، واستمع إلى كلام الحكماء, فإن الله يحيي القلب الميّت بنور الحكمة, كما يحيي الأرض بوابل المطر، وإياك والكذب وسوء الخُلُق، فإن من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمُّه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

-عندنا باللغة مصطلحان: الفهم والتَفَهُّم، الفهم معروف، أما التفهُّم هو محاولة الفَهْمِ، وتجد إنساناً لا يحب التفهُّم، أي ليس مستعداً أن يبذل أي جهدٍ ليفهم، وتجد إنساناً لا يفهم ولكنَّه يتفهَّم-.

يا بني, لا ترسل رسولاً جاهلاً, فإن لم تجد حكيماً, فكن رسول نفسك.

-أحياناً الإنسان يكلِّف إنساناً بمهمَّة، فهذا الإنسان يشوّهِ سمعته، يسئ إليه، الرسول يجب أن يكون من جِنس المرسل، وشرف الرسول من شرف المُرسل-.

يا بني, يأتي على الناس زمان لا تقرُّ فيه عين حليم.

-النبي -عليه الصلاة والسلام- تعجَّب من آخر الزمان، كيف أنه يدع الحليم حيران؟-.

يا بني, اختر المجالس على عينك، فإن رأيت المجلس يُذكر فيه الله عزَّ وجل, فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالِماً يزدد علمك، وإن تكن جاهلاً يعلّموك، وإن يطلع الله عزَّ وجل عليهم برحمةٍ تصبك معهم.

يا بني, لا تجلس المجلس الذي لا يُذكر فيه الله عزَّ وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن غبياً يزدك غباءً، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخطٍ تصبك معهم.

–أي أن أجدى شيءٍ لك: أن تحضر مجالس العلم التي تثق بها–.

يا بني, لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

يا بني, إن الدنيا بحرٌ عميق وقد غرق فيه ناسٌ كثير، فاجعل سفينتك تقوى الله عزَّ وجل.

يا بني, إني حملت الجندل والحديد –الجندل هو الصخر– فلم أحمل شيئاً أثقل من جارِ السوء، وذقت المرارة كلها فلم أذق أشدَّ من الفقر .

يا بني, لا تتعلَّم ما لا تعلم، حتى تعمل بما تعلم .

– من عمل بما علم ورَّثه الله علم من لم يعمل–.

يا بني, إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره.

–فالبطولة أن تنصف الناس وأنت غضبان لا وأنت فرحان–.

يا بني, إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دارٍ أنت عنها راحل.

يا بني, عوّدِ لسانك أن يقول: اللهمَّ اغفر لي، فإن لله ساعاتٍ لا يُرَد فيها الدعاء.

يا بني, إياك والدَين, فإنه ذلّ في النهار, وهمّ في الليل.

هذه بعض الكلمات التي أُشرت في الكتب القديمة عن سيدنا لقمان الحكيم.

على كلٍ؛ إذا بلغ ابن الرجل السن التي يميّز بها, فليس عليك إلا أن تنصحه، هذا كل ما تملكه نحو ابنك.

سيدنا ابن عباس –رضي الله عنه– قال:

((كنت خلف رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم– يوماً, فقال لي: يا غلام, إني أعلِّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإن استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف))

[أخرجه الترمذي في سننه]

هذا أيضاً من توجيه الأب لابنه، حديثٌ رائع .

حديثٌ آخر في توجيه الأولاد :

((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، إن مع العسر يسرا))

الحق الذي قبل الأخير من حقوق الأبناء هو :أن يعوله حتى يبلغ سن الرشد.

أنا لست مجبوراً بك، لا إنك مجبور به، هذا الكلام الصحيح، أنت حينما أردت أن تكون زوجاً وأباً, فلهؤلاء الأولاد حقوق عليك، لذلك:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قالا:

((قال عليه الصلاة والسلام

–استمعوا جيداً–:

كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقوت))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود في سننه]

مجبور فيه وزيادة .

الشيء الآخر: عن أبي قلابة, عن أبي أسماء, عن ثوبان, أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((أفضل دينارٍ ينفقه الرجل على عياله، ودينارٌ ينفقه على دابَّته في سبيل الله))

إذاً: أن تعوله حتى يبلغ سن الرشد ويستطيع الكسب.

الخاتمة :

بقي حقٌ ليس في الوقت فسحةٌ كي نشرحه، وسوف أُؤخره -إن شاء الله تعالى- إلى درسٍ قادم, لأنه من أعظم أبحاث هذا الموضوع أهميةً: إنه العدل بين الأولاد في العطاء والوصيَّة، فهذا الذي يقع فيه معظم الناس في تفضيل الذكر على الأنثى؛ في الوصيَّة, وفي الإرث، ويلجؤون إلى أساليب لا يرضاها الله عزَّ وجل في التهرُّب من إعطاء البنات حقَّهن، هذا الموضوع -إن شاء الله تعالى- نرجئه إلى درسٍ قادم, لننتقل بعده إلى حقٍ آخر من حقوق الإنسان مما له أو عليه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 - 4) : حق الابن على الأب تعليمه للقرآن وإطعامه الطعام الحلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تتمة حقوق الأبناء على الآباء :

5-أن يعلم الأب ابنه القرآن الكريم :

أيها الأخوة المؤمنون, لا زلنا في موضوع الحقوق، ولا زلنا في موضوع حقوق الأبناء على آبائهم، وقد تحدَّثت في الدرس الماضي عن بعض هذه الحقوق، وفي هذا الدرس نتابع الحديث عن هذه الحقوق .

فمن هذه الحقوق: أن يُعَلِّمَ الأب ابنه القرآن الكريم، هذا حق الابن على أبيه.

فقد ورد في حديثٍ شريف, رواه البيهقي, عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:

((حق الولد على الوالد: أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وألا يرزقه إلا طيباً))

هذا الحديث الذي رواه البيهقي, عن رسول الله ﷺ, ورد في الجامع الصغير في الجزء الأول .

لماذا وجه النبي أبناء أمته ليتعلموا القرآن الكريم؟ :

أيها الأخوة الأكارم, القرآن الكريم لماذا وجَّهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– كي نعلمه لأبنائنا؟



لأن القرآن الكريم منهجٌ تفصيليٌ للإنسان، تعليمات الصانع، فأيَّة حركةٍ في مضمونها وفي شكلها تكون خارج هذا الكتاب، فهي حركةٌ ليست مجدية بل إنها مؤذية, أي أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وخلق الخلق وفق سننٍ ثابتة، وخلق الإنسان وفطره على فطرةٍ ثابتة، وربنا سبحانه وتعالى نظَّم تنظيماً دقيقاً علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فما دام الإنسان وفق هذا المنهج فعمله ينجح، فإذا خرج عن هذا المنهج فلا بدَّ من أن يشقى.

والمقولة التي تعرفونها جميعاً هو أنه: ما من مشكلةٍ على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسببِ جهلٍ به، إذاً كل مصيبةٍ، كل مشكلةٍ: أساسها الجهل وعلاجها العِلم، والقرآن الكريم كتاب الله عزَّ وجل، فيه هذا كتاب مقرر ، فيه تعليمات الصانع، فمن أخذ به فقد أمسك مفتاح النجاح، ومن أهمله فقد جانب النجاح، ومن هنا قال الله عزَّ وجل:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾

[سورة مريم الآية: 59]

وقد لقي المجتمع الذي جعل هذا المنهج وراء ظهره وانغمس في شهواته، لقي هذا المجتمع الغَي كما وعد الله عزَّ وجل .

الأهداف التي يستفيدها الطفل من تعليم القرآن الكريم :

إذاً في تعليم الابن القرآن الكريم, هناك أهدافٌ لا تعدُّ ولا تحصى، أول هذه الأهداف: أن القرآن الكريم فيه النُظُم التي لا بدَّ من تطبيقها في الحياة، فربنا عزَّ وجل في هذا الكتاب ذكر أشياء، وسكت عن أشياء، وأقرَّ بعض الأشياء، وبعض الأشياء تركها مَرِنَة، فالشيء المَرِن هو الذي يمكن أن يتطور وفق الزمان والمكان، والشيء الذي بَتَّ القرآن فيه, هو الشيء الذي لا علاقة له لا بالمكان ولا بالزمان ولا بالبيئة, والشيء الذي سكت عنه القرآن الكريم, هو الذي لا يتعلق بسعادة الإنسان ولا باتصاله بخالقه.

فحينما يعلِّم الأب ابنه كتاب الله عزَّ وجل، يكون قد أدى ما عليه من حقوقٍ تجاه الدين.

لكن هنا ملاحظة مهمة جداً: يربي الأب ابنه, فهذا عمل يختلف اختلافاً كلياً عن أي عمل آخر، فمثلاً:

أن تمسك بقطعة خشب وتنجِّرها وفق ما تريد، فهذا أمر سهل لأن قطعة الخشب مطواعةٌ لك، فأنت تفعل بها ما تشاء؛ تقطعها، تنجِّرها، تصلها بأختها، ولكن الابن له اختيارٌ مستقلٌ عن أبيه، فكأن الأب مطالب أن يبذل العناية الكافية، ولكن ليس على الأب أن يحقق النتائج المرجوة في ابنه، فهذا فوق مقدور الإنسان، لأن الله عزَّ وجل ضرب بسيدنا نوح مثلاً، ابن سيدنا نوح، ومن هو سيدنا نوح؟ نبيٌ كريم, قال:

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾

[سورة هود الآية: 42-43]

وبعد بضع آيات قال:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة هود الآية: 45-46]

أنا ذكرت هذا الكلام حتى يبذل كل أب أقصى جهده في تربية ابنه، ولكن أحياناً مع بذل غاية الجُهد وأقصى العناية والتوجيه، فالابن قد يأخذ موقفاً آخر لأن الابن مخَيَّر، من هنا قال الله عزَّ وجل للنبي –عليه الصلاة والسلام–:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: 272]

وهذه آيةٌ ثانية في الموضوع ذاته:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾

[سورة القصص الآية: 56]

وآيةٌ ثالثة :

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

[سورة هود الآية: 86]

وآيةٌ رابعة :

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾

[سورة الغاشية الآية: 21–23]

فعلى الإنسان أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح، هذا الكلام أريد أن أذكره, لئلا يتألَّم أبٌ بذل قصارى جهده في تربية ابنه، وفي تعليمه، وفي إرشاده، وفي توجيهه، فرأى هذا الأب ابنه في طريقٍ آخر، وفي وادٍ آخر، ولم يستجب له, النجَّار علاقته بقطعة الخشب شيء، والأب علاقته بابنه شيءٌ آخر، لو أن عناية الأب وحدها كافيةٌ لهداية الابن, لما نشأ ابنٌ عاقٌ عند أبٍ مؤمن.



ولكن كما يُمسك الطبيب مريضاً, فيبذل الطبيب قصارى جهده في معالجته، وتشخيص دائه، ووصف الدواء المناسب، ثم تنتهي مهمة الطبيب عند بذل العناية، ولذلك أجمع الفقهاء على أن أجرة الطبيب ليست من المعاوضات، ما هي المعاوضات؟ . أي حينما تشتري بيتاً تدفع العِوَض، تستلم المَبيع وتدفع الثمن، فهذا عقد معاوضة، الإيجار والبيع وما شاكل ذلك، ولكن أجرة الطبيب والمحامي سمَّاها العلماء جُعالة؛ أي أن الطبيب يستحقها لا عند شفاء المريض ولكن عند بذل العناية الكافية، يأكل الطبيب أجرته حلالاً مائة في المائة إذا بذل العناية الكاملة للمريض، أما أن يشفى المريض أو أن لا يشفى فهذا شيءٌ آخر بتقدير الله وبعلمه.

إذاً: شأن الأب كشأن الطبيب, هناك بعض المهن تكون العلاقة خلالها بينك وبين الإنسان الآخر علاقة عناية وبذل جهدٍ ليس غير، لكن بالمقابل هناك أخطاءٌ كثيرةٌ عند الأبناء سببها تقصير الآباء، وكل إنسانٍ يعلم بالضَبط ما إذا كان قد بذل العناية القصوى أو لم يبذل، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾

[سورة القيامة الآية: 14-15]

الأب يعرف، إذا كان انحراف ابنه أو تقصيره بسبب تقصير الأب أو إهماله، أو بسبب إصرار الابن على اختيارٍ معين، هذا الشيء يعلمه الأب وحده دون غيره، فلذلك المسؤولية تنتهي حينما تبذل قصارى جهدك مع ابنك، وإذا أكرم الله عزَّ وجل أحد الآباء بابن طيّع بار، فأنا أنصحه نصيحةً غالية أن يسجد لله عزَّ وجل، ويشكر الله على هذه الموهبة.

أقول: على هذه الهبة, لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾

[سورة العنكبوت الآية: 27]

وهبنا، ومعلومٌ لديكم أن الهبة بلا مقابل، فإذا كان عند إنسان ابن صالح مؤمن، دَيِّن، مطواع، بار، فهذا من فضل الله عليه، وأنا أنصحه مرةً ثانية ألا يعزو هذا إلى تربيته، ولا إلى ضبطه، ولا إلى توجيهه، ولا إلى حَزْمِهِ، ولا إلى شدته، يجب أن يعزو هذا لفضل الله وحده, فكم من أبٍ منحرفٍ، سيءٍ، ضالٍ، مضلٍ، جاءه ابنٌ صالحٌ كأنه مَلَك؟ وكم من أبٍ مؤمنٍ مستقيمٍ, جاءه ابن منحرف؟

فهذا الحال جزءِ منه، داخل باختيار الإنسان، وجزءٌ آخر داخلٌ بتقدير الله عزَّ وجل، ولذا أنصح أن يتأدب الإنسان مع الله عزَّ وجل، فإذا عزوت هذا إليك، إلى قدراتك، إلى حزمك، إلى خبراتك في التربية، فهذا من الضلال ومن الشرك.

إذاً:

((حق الولد على الوالد: أن يعلمه الكتابة, والسباحة, والرماية، وألا يرزقه إلا طيباً))

الفرق بين المتعلم والجاهل

الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- يقول: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، فهو نورٌ يهتدي به الحائر. أي كما تعلمون مني سابقاً: أن هذه القيَم التي يتفاضل الناس بها في الدنيا؛ القوة، الغنى، الوسامة، الجمال، الذكاء، الصحة، هذه القيَم قد رفض القرآن الكريم أن يعتمدها قيماً مُرَجِّحَة، إلا قيمةً واحدة هي قيمة العلم والعمل به، فلذلك قال الله عزَّ وجل:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر الآية: 9]

وقال الله عزَّ وجل :

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾

[سورة طه الآية: 114]



والفرق الدقيق الدقيق بين الإنسان الذي أكرمه الله بالعلم، وبين الإنسان الذي بقي جاهلاً هو فرقٌ كبيرٌ جداً فهما لا يستويان، فلذلك على الأب أن يحرص على تعليم ابنه في الدرجة الأولى المنهج الإلهي الدقيق.

فمرة ثانية، وثالثة, ورابعة: إذا كانت لديك آلة معقدة جداً، غالية جداً، ذات نفع عظيم جداً، وأنت حريصٌ عليها حرصاً بالغاً، إذا كنت حريصاً عليها، وإذا كان ثمنها باهظاً، وإذا كان نفعها عظيماً, فما عليك إلا أن تقرأ كتاب التعليمات المرافق لهذه الآلة وإلا خسرتها. والقرآن الكريم في جوهره تعليمات الصانع لهذا الإنسان الأول، لذلك إذا جاء الأب بابنه وأحضره ليعلمه القرآن الكريم؛ ليعلمه تجويده، ليعلمه تفسيره، ليعلمه أحكامه، ليعلمه إعجازه، هذا الوقت الذي يبذله الأب، أو يمضيه الأب في تعليم ابنه القرآن الكريم, هو توظيف الموقت واستثمارٌ له، وليس تضييعاً كما يتوهم جهلة الناس. أعرف أباً بلغ من نجاحه في الدنيا مرتبةً عاليةً جداً، فقد نجح في تجارته وفي صناعته إلى درجة أن تفرَّد في الشرق الأوسط في صناعةٍ معيَّنة، فحاز بها قصب السبق ودخلت عليه الأموال بغير حساب، ولكنه أهمل أولاده، نشؤوا على المعاصي، والانغماس في الشهوات، قُبَيْلَ وفاته قال لزوجته باللغة الدارجة: يا فلانة فرطنا بالذهب واتَّبعنا الفحم, لأنه هذه الأموال الطائلة سوف تغدو بين أيدي أبناء فسقة منحرفين، فعرف هذه الغلطة الكبيرة. من هنا سيأتي معنا: أن خير كسب الرجل ولده؛ أي مهما بذلت من وقتٍ، من جهدٍ، من تعليمٍ، من توجيهٍ، من حلمٍ، من صبرٍ، من خسارةٍ، إذا أمكنك أن تصل بهذا الابن إلى الطريق الصحيح, فأنت الرابح الأكبر. بعض الأبيات الشعرية اللطيفة :

بالعلم تحيا نفوسٌ قط ما عرفت

من قبل ما الفرق بين الصدق والمَيْنِ

العلم للنفس نورٌ يسـتدل به

على الحقائق مثـل النور للعين

-المَيْنِ: هو الكذب-.

ولولا العلم ما سعدت نفوسٌ ولا عرف الحلال من الحرام

فبالعلم النجاة من المخازي وبالجهل المـذلة والرغام



أنا مرة ضربت لكم مثلاً: عامل في بعض المطارات أثناء تنظيف الطائرة, رأى غرفة العجلة -والطائرة وعندما تكون جاثمة, فإن عجلاتها على الأرض، فوق العجلة غرفة كبيرة, حينما تُقلع الطائرة، فإن هذه العجلة تُرفع من قِبَل الطيار، من أجل ألا يعيق حجمها حركة الطائرة- هذا العامل نظر إلى هذه الغرفة رآها واسعة، قال: لمَ لا أقبع بها, وأنتقل من مطار إلى مطار, بلا أجور، وبلا رسوم، وبلا جواز سفر، وفي ذاك البلد أعمال كثير جداً؟ فصعد إلى هذه الغرفة، فلما أقلعت الطائرة, اضطر ربان الطائرة -حسب تعليمات القيادة- أن يرفع العجلة للغرفة المخصصة بها، فابتعدت جوانب الغرفة عن بعضها لتأخذ العجلة مكانها، فسقط هذا الإنسان على أرض المطار من على ارتفاع ثلاثمائة متر، فمات فوراً.

هذه قصة أُعلّق عليها أهميةً كبرى، ما الذي قتل هذا الإنسان؟ جهله، هل كان يريد أن يموت؟ لا والله، كان يظن أنه ذكيٌ جداً، وأنه سوف يوِّفر رسوم السفر، ورسوم الخروج, وجواز السفر، وينتقل بلا قيود ولا شروط إلى بلد آخر، ولكن لو عرف أن هذا المكان مكانٌ لا بدَّ من أن يموت الإنسان فيه إذا دخله, لما ألقى به وأوردها حتفها.

قال لي واحد: لو كان في الغرفة مكان ثابت وغير متحرك ليبقى فيه الإنسان, لمات بسبب البرد, إذ تبلغ الحرارة في الجو خمسين تحت الصفر فيموت برداً، إذاً: أعدى أعداء الإنسان هو الجهل، فإذا علمت ابنك القرآن الكريم، الإنسان العالم إنسان ثمين جداً، هل هو شخصية فَذَّة؟ والجاهل مهما ارتفع قدره في الدنيا, هذا ارتفاعٌ هوائيٌ لا قيمة له، مهما انتفخ جيبه، هذا غنىً لا قيمة له، لأن الله عزَّ وجل قال:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾

[سورة طه الآية: 114]

وسيدنا علي –كرم الله وجهه– يقول: العلم خيرٌ من المال, لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

وأنا أذكر أخاً قبل اثنتي عشرة سنة، بعد خطبة الجمعة سألني سؤالاً والدموع من عينيه تسيل: إن زوجته خانته، وله منها خمسة أولاد، وهو في بحبوحة، يسكنها بيتاً فخماً، وهو يعجب لماذا حدث هذا؟ ماذا يفعل؟ أيطلقها؟ أيسكت عنها؟ أيعفو عنها؟ تكلَّم والبكاء والدمعة تترقرق من عينه والألم يعتصر قلبه, قلت: كيف حصل هذا؟ قال لي: من سنتين تقريباً وأنا لا أدري, مع من؟ مع جارنا, لكن كيف تعرف على زوجتك؟ قال لي: والله أنا السبب، فقد طرق علينا الباب ذات مرة زائراً فأمرتها أن تجلس معنا، وكان الحريق المدمر من تلك الشرارة الواهية. فهذا الزوج لو كان يحضر مجالس العلم، ولو عرف الحرام من الحلال، وأن هذا يجوز وهذا لا يجوز ما وقع في هذه الورطة، فلما يترك الإنسان نفسه بلا علم، يدفع الثمن غالياً في تجارته، في بيعه، في شرائه، في زواجه، في أولاده، في صحته أحياناً.

فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

فالله عزَّ وجل كرم الإنسان بالعلم، فإذا أهمل العلم وقع ضحية الجهل, وليس العار أن تكون جاهلاً، ولكن العار كل العار أن تبقى جاهلاً.

إذا أحببت إيضاحاً أكثر: فما من قصةٍ تصل إلى أذنيك إن حلَّلْتها, تَرى أن هذا الطلاق، وأن هذا الإفلاس، وأن هذا المرض العُضال –أحياناً أقول أحياناً– وأن هذا الخلاف الزوجي، وأن هذه الجريمة، وأن هذه المشكلة، وأن هذه الفضيحة، وأن هذه الفِتنة سببها معصية، وأن هذه المعصية سببها الجهل، لذلك: العلم نور وهدى.

اللهم صلِّ عليه قال:

((إنما بعثت معلماً))

بعثة النبي –عليه الصلاة والسلام– في أصلها بعثة تعليم.

حقيقة مسلم بها :

وبالمناسبة: يا أخواني, الإنسان يحب ذاته، هذه حقيقةٌ مُسلَّمٌ بها، والمطلب الثابت للإنسان في كل مكانٍ وفي كل زمان: السلامةُ والسعادة، ولو سألت خمسة آلاف مليون من البشر واحداً واحداً: ماذا تريد؟ يقول لك: السلامة من كل مرض، من الفقر، من الخوف، من الشقاق الزوجي، من الضعف، من الذل، من أن أفقد حريتي، وأتمنى البحبوحة في المال، والسعادة الزوجية، و و....

إذاً: أنا أستطيع أن أقول: إن المطلب الثابت لكل إنسان في كل مكانٍ وزمان هو السلامة والسعادة، والسلامة والسعادة لا تكونان إلا إذا سرت على منهج الله:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: 123]

هذا كلام ربنا، والله الذي لا إله إلا هو, لزوالُ الكونِ –لا أقول الأرض بل الكون– أهون على الله من أن كون هذا الكلام غير صحيح:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: 123]

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه:.

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 38]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل الآية: 97]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه الآية: 124]

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

[سورة طه الآية: 125 –126]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة الجاثية الآية: 21]

وهكذا ....

إذا علّمْتَ ابنك القرآن فقد علمته منهج الحياة حقيقة، والقرآن ليست وردةً تتزين بها، أنا تعلمت القرآن, وأنت إذا تعلمت القرآن تعلمت أهم شيء في حياتك، تعلمتَ المنهج.

مرةً ضربتُ مثلاً: كمبيوتر ثمنه ثلاثون مليوناً لتحليل الدم، وكل كبسة زِر أجرها ألف ليرة، وينتظر مائة زبون بالدور، نقطة دم تضعها وتكبس زراً يعطيك أربعةً وعشرينَ تحليلاً بكبسة زر واحدة، وكل نتيجة مسجلة على الورق، هكذا حاسوب، وعندك مائة زبون ينتظرونك، وكل زبون بألف ليرة، مائة ألف كل يوم، مبلغ ضخم، هذا الحاسوب اشتريناه، لكنْ حدث خطأ هو: أن الشركة نسيت أن تبعث لنا كتيب التعليمات، إن شغلته من دون تعليمات تخربه، وإن خفت عليه عطلت المائة ألف دخله كل يوم، يا ترى أليست هذه التعليمات أهم مِن هذا

الجهاز؟ إن استعملته بلا تعليمات خرَّبته، وإن خفت عليه فلم تستعمله، جمدت ثمنه وفاتك ربح وفير, إذاً: يمكن أن تركب الطائرة وأن تدفع عشرات الألوف كي تحصل على هذه التعليمات.

إن القرآن الكريم في علاقته بالإنسان لأخطر من هذه التعليمات؛ أخطر بكثير وأهم، كيف تعيش؟ كيف تفكر؟

كيف تعتقد؟ كيف تقف؟ كيف تَصِل؟ مَن تصل؟ مَن تقطع؟ مَن تعطي ؟ مَن تمنع ؟ كيف تتعامل مع شهواتك؟

هذه الشهوة مسموح بها، هذه ممنوعة، هذه محرمة، هذا مكروه، هذا محرَّم، هذا واجب، هذا مُباح، هذا فرض، فالإنسان بلا علم بهيمة، وإن كانت الكلمة قاسية: بهيمة، وأنا أقول: دابة فلتانة، دابة جموح, فلتانة، هكذا الإنسان بلا علم, لذلك:

((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

أي على كل شخصٍ، أي على كل مسلمٍ ومسلمة بالتعريف الدقيق .

وصف للقرآن الكريم من قبل إنسان غير عربي :

هناك إنسان وصف القرآن الكريم وهو ليس عربياً، لكن هؤلاء الذين يؤمنون بدافع قناعتهم وسلامة فطرتهم فقط، يفعلون المستحيلات.

قال هذا الإنسان العالم الدكتور: إن القرآن الكريم هو بمثابة ندوةٍ علمية للعلماء، ومعجم لغةٍ للغويين، ومعلم نحوٍ لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عروضٍ لمحب الشعر وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتابٍ سماوي جاء قبله لا يساوي أدنى سورةٍ من سوره في حُسن المعاني وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية من الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً به، واقتباساً لآياته، ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعةً في القدر ونباهةً في الفكر.

أي أنه كتاب شامل، فدائماً ضع الفرق بين القرآن وبين كلام البشر، ادخل لمكتبة، فلو أن فيها مائة ألف مجلد، كل هذه المجلدات من تأليف البشر، والإنسان يخطئ ويصيب, ففي كلٍ منها تجد الخطأ والصواب، لكن كلام الله عزَّ وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, لذلك:

دخل إنسان إلى مكتبة في إيطاليا، فلفت نظره القرآن الكريم مترجماً، فسأل صاحب المكتبة: مَن مؤلف هذا الكتاب؟ فقال له: خالق الكون, وهو مغنٍ شهير، فاشترى الكتاب وقرأه مترجماً، ويبدو أنه آمن به، الآن هذا المغني الشهير من المؤمنين المتفوقين، ترك الغناء وصار يشتري كل تسجيلاته ليحرقها، يشتريها بماله، بثروته الطائلة، وهو حالياً يعيش في لندن.

فهذا كلام الله عزَّ وجل، منهجك في الحياة، إنسان بلا منهج كالبهيمة.

ضرورة تعليم القرآن للإطفال :

فإننا نرحب بكل أخ عنده ابن حريص عليه، ونحن عندنا معهد تحفيظ القرآن الكريم، طبعاً تحفيظه، وتجويده، وتعليم أحكامه أحياناً، وشيء من علومه وتفسيره، كذلك درس التفسير , هذا درس مهم جداً، لماذا هو مهم؟ هذا منهجنا في الحياة، فهل هناك عمل أخطر وأهم وأعظم من أن تتعلم المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه؟.

فقد يقول أحدنا: الفصل شتاء فإلى أين نذهب لنسهر فالليل طويل؟ درس التفسير جيد, نذهب ونسمعه عقب صلاة العشاء, لا, ليس هذا الموضوع بل الموضوع أخطر من ذلك، لا لأن الفصل شتاء، فهذا صار ذبوناً شتوياً، بل لأن هذا منهج منهجك بالحياة، فإذا عرفت ما هو التوكل؟ ما هو الصدق؟ ما هو اليقين؟ ما هو التوحيد؟ ما هو الشرك؟ فقد عرفت الخير والإيمان حقاً.

هذه أشياء خطيرة جداً تدخل في صميم حياة كل إنسان، لذلك حضور مجلس علم هو الأجدى، وليس قولك: اليوم عندي فراغ وليس لدي ما يشغلني، أو أن أقول: أنا مشغول لا أقدر أن آتي, فموضوع أن تكون مشغولاً أو غير مشغول، الفصل شتاء، والليل طويل، لا يوجد شيء يشغلني، هذا كله مرفوض, ما من عملٍ أعظم من أن تتعلم منهج الحياة وهو القرآن.

ولابنك محل آخر عندنا، لدينا معهد يعلمه التجويد مبدئياً، يعلمه التحفيظ، مع شيء من أحكام القرآن، وشيء من العقيدة، يعلمه شيئاً من السُنَّة أحياناً، فلذلك على الإنسان أن يحرص على ذلك، عندنا لكل المستويات، عندنا ابتدائي، وإعدادي، وثانوي .

6-أن يعلمه السباحة :

الحق الآخر: أن يعلمه السباحة.

أحياناً باللغة أنت تذكر الجزء وتريد الكُل، مثلاً: الفقراء والمساكين, العلماء قالوا:

إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

كيف؟ أي أن الله عزَّ وجل إذا قال: للفقراء والمساكين, معناها: أن الفقراء هم الذين لا يجدون حاجتهم، دخل أحدهم أقل من حاجته، أما المساكين فهم الذين لا يستطيعون العمل، أو هم بلا أعمال، إذا اجتمعا افترقا، ولكن إذا افترقا اجتمعا, فإذا قال ربنا عزَّ وجل: للفقراء؛ أي للفقراء والمساكين، إذا قال: للمساكين؛ أي للفقراء والمساكين، حيثما اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.



فالنبي -عليه الصلاة والسلام- عندما قال في حديثٍ رواه البيهقي:

((أن يعلمه الكتاب والسباحة ....))

أنا أعتقد أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يقصد بالسباحة مدلولها بالذات، بل مدلول السباحة عموماً, لأنها تحرِّك كل عضلات الجسم، فكأنه لما ذكر هذا النوع من الرياضة, وأراد به كل أنواع الرياضة، فقد يكون الإنسان بمكان لا يوجد فيه أنهار أو مسابح إطلاقاً، كما هو الحال في بعض القرى، إذاً صار المقصود من السباحة هنا, أي يجب أن ينشأ ابنك في بنيته الجسمية نشأةً قوية، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

لكن روعة الحديث: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قيَّد القوة بالإيمان، لأن القوة وحدها شيءٌ خطير، شيءٌ مخيف، شيءٌ مدمِّر، أما المؤمن القوي، لم يقل: القوي, بل المؤمن القوي، لأن الإيمان فيه ضوابط:

الإيمان قَيْدُ الفتك ولا يفتك مؤمن.

المؤمن القوي، والإنسان –كما قال سيدنا علي، هذا كلام واقعي وخطير– أعظم نعمةٍ تمتلكها ما هي؟ نعمة الإيمان.

فسيدنا عمر إذا أصابته مصيبة, كان يقول: الحمد لله إذ لم تكن في ديني ...

أي أن أعظم نعمة ألا تكون واقعاً في الكبائر، ألا تكون ذا مالٍ حرام، ألا تكون مصلحتك لا ترضي الله عزَّ وجل، ألا يكون في بيتك منكر لا تستطيع أن تزيله، هذه أكبر مصيبة، بل هي مصيبة المصائب، فإذا كان الإيمان، ما هي أكبر نعمةٍ بعد الإيمان؟ أكبر نعمة –أقول وأعني ما أقول–: هي الصحة, فما قيمة المال من دون صحة؟ لكن ما هي أكبر نعمةٍ بعد الصحة؟ أن تكون مكتفياً, لذلك: الإيمان والصحة والكفاية إذا توافرت لك, فالدنيا كلّها لا تعدل شيئاً أمامها، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ, مُعَافًى فِي جَسَدِهِ –الآمن أي مطمئن إلى ربه– عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ, فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

[أخرجه الترمذي في سننه]

فالإنسان متى يطمئن؟ هل يطمئن إنسان عاصٍ؟ أبداً فهو في قلق، لا يطمئن إلا المؤمن، والدليل :

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِي آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: 81-82]

هذه آية قرآنية، أي لا تمتع بنعمة الأمن حصراً إلا المؤمن.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

[سورة الحشر الآية: 2]

أقوى إنسان في الأرض، أغنى إنسان في الأرض، إذا أشرك, قذف الله في قلبه الخوف، وقد ذكرت هذا في درس الشِرك، كيف أن أصحاب أموال الطائلة إذا اعتمدوا على أموالهم فهم معذَّبون, كيف؟ لأن الله عزَّ وجل يقول:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية: 213]

لكن كيف يعذَّب هذا الغني؟ هذا الغني يعذب بخوف فقد المال، هذا عذاب، وإذا فقده يعذب بفقده، فهو إن كان معه المال معذبٌ بخوف فقده، وإن فقده معذبٌ بفقده، في كلا الحالين هو معذب، لذلك: أعظم نعمةٍ أن تكون مؤمناً:

آمناً في سربه.

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين. فالسكينة هي الطمأنينة:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ, مُعَافًى فِي جَسَدِهِ –صحة– عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ, فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"بحذافيرها))

[أخرجه الترمذي في سننه]

إذاً: صحة الجسد شيءٌ مهم، والحقيقة: أن الجسد مطيَّتك إلى الله عزَّ وجل، فمن الناس من يقول: يا أخي إن العمر محدود, وهذا صحيح, لكن هل من الممكن لأحد الناس أن يعيش ثلاثةً وثلاثين عاماً مسطحاً على ظهره أو واقفاً على قدميه؟ العمر هو العمر، لكنك إذا اعتنيت بصحتك، بين أن تعيش هذا العمر في راحةٍ وطمأنينة، لأنه جسمك مطيَّتك، الإنسان بالصحة يعمل، ويدرِّس، ويدعو إلى الله عزَّ وجل، ويكسب المال، ويفعل كل شيء،

أما إذا تعطلت صحتك, فإنك تتعطل عن العمل بسبب المرض، فالقضية خطيرة جداً، أي أن العناية بالصحة, أريد أن أقول شيءٌ يلي الإيمان في الأهمية، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((علموا أولادكم الكتاب والسباحة))

المقصود بالسباحة؛ أي الرياضة، فالإنسان بطعامه، بشرابه، وبكل أموره, يجب أن يكون دقيقاً, وإلا فالخسارة محققة.

سمعت من يومين أن سرطان الفم أسبابه –هذه نصيحة للأخوان– إذا كان لديك سن انكسرت ولم تقلعها، إذا وجد نتوء حاد بالفم والإنسان بدافع الفضول يدأب بلسانه ليحكه، هذا التخريش أحد أسباب سرطان الفم، إذا انتبه الإنسان لهذه النقطة, فإنه لن يترك شيئاً من النتوءات الحادة بفمه، لأن الحركة الدائمة مع النتوء الحاد يسبب تخريشاً، هكذا سمعت من طبيب يقول، فالعلم مهم حتى في صحتك، هناك مواد مؤذية، ومواد مخرشة، ومواد كيميائية، وأصبغة إذا تراكمت, تسبب أمراضاً معينة، فالإنسان قبل أن يأكل، قبل أن يشرب، قبل أن يتحرك, قبل أن يفعل هذا كله, عليه أن يكون واعياً من أجل سلامته.

وقد يُبهر البعض فيقول: جهاز يسخن الأكل خلال ثوانٍ, هذا الجهاز أساسه تخريب الخلايا، يا ترى: هل أنت متأكد مائة بالمائة أنه لا خطر منه؟ لا تعرف، تضع الطعام في صحن بارد، واللحمة مثل الحطبة، وخلال ثوانٍ يصبح اللحم مثل النار, والصحن بارد، يتعرض الطعام لإشعاعات تخرب الخلايا وتسخنه, هذا إنجاز حضاري عظيم, لكن يا ترى: هل نحن متأكدون أن هذا الإنجاز الحضاري ليس له مضاعفات ثانية؟ لا نعرف، لذلك على الإنسان أن يبقى طبيعياً في شؤونه، فكل إنجاز حضاري قد يكون له أخطار كبيرة تكتشف بعد سنوات من وجوده، فأنا ليس عندي معلومات دقيقة حول هذا الموضوع، ولكن مجرد استنباط عام، فقد يكون هناك شيء ضار، هذا الطعام الذي تم تحضيره بثوانٍ حسب الظاهر؛ أنه إنجاز سريع، تسخين سريع.

قصة بين فيلسوف وملاح :

قالوا: إنَّ فيلسوفاً من كبار الفلاسفة ركب سفينة, فالتقى بملاَّح على ظهر السفينة، فسأله عن درجة علمه: ما معك من شهادات؟ هذا الملاح قال له: والله لا أعرف شيئاً, قال له : إنك لا تنفع مطلقاً لأنك لا تعرف شيئاً, ما قيمتك بالحياة ألم تدرس أبداً؟ فقال له الملاح: يا مولاي أتعرف السباحة؟ قال: لا إنها لا تجدي نفعاً, واتفق بعد

زمنٍ يسير أن حدث هياجٌ واضطرابٌ عظيمٌ في البحر، حتى أشرفت السفينة على الغرق، فدنا الملاح من هذا الفيلسوف العظيم, وقال: يا سيدي إننا هالكون لا محالة, فهل تعرف السباحة؟ فقال الفيلسوف: والله لا مفر لي من الموت، ولا حيلة بيدي, فقال الملاح: ادعُ معارفك وعلومك لعلها تنجيك, فقال الفيلسوف: إن معارفي لا تنجي من الغرق, فقال الملاح: أما أنا فأعرف السباحة، وهي تنجي من الغرق بإذن الله، رغم أنك قلت لي قبل قليل: أنها لا تجدي نفعاً, وها أنت الآن تعرف أنها تجدي حقاً.

وبينما هما يتكلمان, لطمت الأمواج السفينة فقلبتها, وسقط من فيها في الماء، فأمسك الملاح الفيلسوف بإحدى يديه وسبح بالأخرى حتى نجا كلاهما، فقال الفيلسوف: صدقَ من قال: علمك بالشيء خيرٌ من الجهل به .

المؤمن –شيء عالٍ– إن كان يسبح، وكان جسمه قوياً، وهو ذو مصلحة, بيده مهنة، يقول أحدهم: أنا كهربائي، أنا خياط، أنا مزارع, شيء رائع جداً.

فسيدنا عمر يقول: إني أرى الرجل ليس له عمل يسقط من عيني.

وقال سيدنا علي: قيمة الرجل ما يحسن.

لذلك: المؤمن الذي بيده حرفة, مصلحة، تجارة، صناعة، حرفة, خدمات، دارس، مدرِّس، طبيب، مهندس، خيَّاط، نجَّار، حدَّاد، فهو إنسان نافع، إذاً تعلَّم للآخرة، وتعلَّم مصلحة للدنيا، واجمع بينهما، و ..:

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفر والإفلاس في الرجل

إذاً: السباحة بمعنى مُطلق القوة؛ القوة الجسمية، الرياضة البدينة.

قواعد فقهية :

لكن بالمناسبة: الآن لا بدَّ من التحفُّظ, فأذكركم بالحكمة الثانية:

دع خيراً عليه الشر يربو .

لو فرضنا أني أردت أن أعلم ابني السباحة، والمسبح فيه كشفٌ للعورات، أو على شاطئ فيه نساءٌ كاسيات عاريات، هذه سباحة ولكن معها فسادٌ كبير.

وعندنا قاعدة فقهية تقول:

دَرْءُ المفاسد مقدمٌ على جلب المنافع.

أي أنك إذا علمت ابنك السباحة, وفسدت أخلاقه من جراء ذلك, وانجرف إلى شهواتٍ محرمة، وضيّع دينه ودنياه وآخرته، ماذا تجديه السباحة؟.

أريد أن أعلم ابني اللغة الإنكليزية مثلاً, قالوا لي: أفضل شيء ابعثه إلى بريطانيا، إذا لم يقم لدى أسرة قد اختلط بأفرادها شهراً بكامله، وصار لديه براتيك –محادثة– فإنه لا يتقوّى, شيء جميل، بعث ابنه إلى مجتمع فاسد منحرف، الزنا في هذا المجتمع كشربة الماء، شاب في مقتبل حياته مثل الوردة, تضعه في أسرة فيها صبايا وفتيات، والأب منحرف، والأم منحرفة، رجع الابن يُتقن البراتيك ولكنه رجع زانياً، فما قولك؟ أيُّ براتيك هذا؟ .

دع خيراً عليه الشر يربو.

درء المفاسد مقدمٌ على جلب المنافع.

أحياناً تكون مصلحة تجارية رائجة جداً، لكن في السوق فيه فساد كبير، والربح ثلاثون بالمائة، وكل يوم رواج وبيع، لكن كل العلاقة مع النساء، علاقة صارخة مع النساء، الإنسان يصبر يوماً، يومين، شهراً، ثم بعد ذلك يستسلم، بعد ذلك تزل قدمه:

درء المفاسد مقدمٌ على جلب المنافع.

قاعدة أساسية، فإذا تحدثنا عن الرياضة والسباحة, فالحديث جميل بشرط ألا نضيع من أجلها أخلاق أبنائنا، هذه قاعدة مهمة جداً، كشف العورات، الاختلاط، هذا كله يتناقض مع قواعد الدين.

في أحاديث أخرى :

((علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية))

والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول :

((ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

وهذا من إعجاز النبي –عليه الصلاة والسلام–، فأحدث سلاح الآن أساسه دقة الرمي، والآن اسمع:

يقول لك الخبراء: الخطأ متر.

إن كان السلاح مدافع، وإن كان صواريخ، وإن كان صواريخ موجهة، وأي سلاح، قوة السلاح بدقة إصابته، والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول :

((ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

هذا الحديث الشريف من أحاديثه التي تُنْبِئ عن نبوته ﷺ .

ويقول في حديثٍ آخر رواه أبو داود :

((ارموا واركبوا, ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبةً عنه فقد كفر))

أي كفر هذه النعمة نعمة الرمي، طبعاً هذا كله من أجل إعداد العدة من أجل قتال الأعداء .

النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يشجّع أبناء المسلمين على الرمي:

فعن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- قال:

((مر النبي -عليه الصلاة والسلام- على قوم ينتضلون؛ -أي يستابقون في الرمي- فقال: ارموا بني إسماعيل, فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان -فريقان انضم النبي لأحد الفريقين, وقال: ارموا أنا مع بني فلان- فأمسك أحد الفريقين بأيديهم -الفريق الثاني توقف عن الرمي- فقال عليه الصلاة والسلام: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: يا رسول الله كيف نرمي وأنت معهم؟ -فهل نتسابق مع قوم أنت معهم!! لا يعقل هذا؟ إنه منتهى الأدب, كيف نرمي وأنت معهم؟- عندئذٍ قال عليه الصلاة والسلام: ارموا وأنا معكم جميعاً))

أي أنا مع الفريقين فتنافسوا. هذا من تشجيعه ﷺ للرماية .

وفي حديث آخر رواه الطبراني :

كل شيءٍ غير ذكر الله فهو لهوٌ أو سهوٌ:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 5]

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 1-3]

فسر القرطبي هذه الآية: بأن اللغو هو كل ما سوى الله هو لغو-، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((كل شيءٍ غير ذكر الله فهو لهوٌ أو سهوٌ, إلا أربع خصال؛ مشي الرجل بين الغرضين -بين الأهداف أي تعلمه الرمي- وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة))

أي إذا قعد الإنسان مع أولاده، فليس هذا لهواً, فقد كان النبي يمشي على يديه ورجليه ويركب الحسن والحسين على ظهره.

الفرق بين اللهو وملاعبة الأطفال

ويقول:

((نعم الجمل جملكما, ونعم العدلان أنتما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

النبي –عليه الصلاة والسلام– كانت بنتٌ صغيرة جارية تأخذ بيده وتقوده حيث شاءت، فإذا الإنسان دخل بيته أحداً, صار هذا القادم واحداً من أهله، داعب أولاده، أدخل على قلوبهم السرور، كن بسَّاماً، كن ضحَّاكاً، هذا ليس من اللهو، لأن هؤلاء لهم حقٌ عليك، والرجل العظيم هو عظيم خارج بيته, أما إذا دخل بيته فهو إنسان عادي بين أهله.

المشي بين الغرضين, وتأديبه فرسه, وملاعبته أهله, وتعليمه السباحة.

7–ألا يرزقه إلا طيباً :

الآن: الحق الثالث: ألا يرزقه إلا طيباً.



والمراد بالرزق الطيب الكسب الحلال، ومعنى ذلك: أن يتحرى الحلال في تجارته، وأن يؤدي الأعمال بإتقان, قضية دقيقة جداً, فإذا كنت صانعاً صاحب مهنة، وطلبت أجراً لهذا العمل مبلغاً معتدلاً جداً ومناسباً، لكن الأداء مستواه منخفض، هذا الأجر الذي تأخذه أجرٌ حرام، هذا مثل بسيط:

قريب لي اضطر إلى أن يكسر كل البلاط، بلاط رخام إيطالي بالحمام، كسرناه كله, السبب: أنبوب الماء الساخن ينحصر بالإسمنت مع خوابير، وينحصر بالجبصين، فيه يحف سريعاً، بين أن يضع الخوابير حتى يحصر الأنبوب, ويضع له إسمنت, وينتظر خمس ساعات لكي يجف، وبين أن يضع قطعة من الجبصين بعد خمس دقائق جفّت فتثبت، الجبصين يأكل الحديد أكلاً، فخلال عدة سنوات يحدث ثقب كبير قدر الباهم في الأنبوب، فهذا مبلط بالرخام، والحمام قَلد بسيراميك، والمالك أحسن كساءه، وقد دفع دم قلبه بهذه الكسوة، وأنت لكي تختصر خمس ساعات, ثبت الأنابيب بالجبصين, فماذا حصل؟ بعد خمس سنوات الحيطان سال الماء عليها، فاضطر صاحب المنزل لإصلاحها لتكسير كل الرخام، نتيجة إهمال مقصود من قبل العامل، ولذلك الأجر الذي يأخذه صاحب المهنة, إذا أهمل مهنته أو أساء أو أدَّاها أداءً منخفضاً, هذا الأجر حرام، سرقة، ولذلك: فإتقان العمل جزءٌ من الدين.

قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))

يقول بعضهم: أنا صلاتي متقنة, وأنا أقول: إذا لم يكن عملك متقن, فكل صلاتك ليست لها قيمة، لأن الدين في التعامل.

قال له: هل عاملته بالدرهم والدينار؟ هل حاككته؟ هل جاورته؟ قال: لا، قال: إذاً أنت لا تعرفه.

فالدين لا يبدو في الصلاة والصوم والحج والزكاة، الدين يبدو في أداء العمل، العمل المتقن، فبالمهن كلها هناك أشياء مخيفة جداً.

أحدهم باع طقم كنباة, جاء لبيت الذي اشتراه ضيوف, فمن أول يوم قعدوا نزل، سارع لعند البائع قائلاً: نزل, قال له: يمكن أنكم قعدتم عليه، استعملته؟ فلماذا اشتراه؟ هل اشتراه ليقف بجانبه أم ليقعد عليه؟.

إذاً: الكسب الحلال، ومعنى الحلال: أن يتحرى الحلال في تجارته, وأن يؤدي أعماله بإتقان, حتى يكون كسبه حلالاً.

الآن بالتصريح, يقول له: هذه البضاعة متينة, قل له الحقيقة: هذه بضاعة درجة ثانية، هذه ليست أصلية، هذه فيها خيط تركيبي، يقول لك: صوف مائة بالمائة، وثمنها ثلاثمائة ليرة، والحقيقة: إذا كان صوفاً مائة بالمائة ثمنها ألف ومئتا ليرة، لماذا تكذب عليه؟ فهذا خيط تركيبي، عند الغسيل يشلف، قل له: هذا خيط تركيبي, هذا سعره، لا يوجد منها صوف مائة بالمائة كله كلام فارغ، والمشتري معه هذا المبلغ, فقنع أنه صوف مائة بالمائة فاشتراه، لو قلت له: هذا تركيبي, لما اشتراها، فأنت أخذت من تعبه، هذا اسمه عدوانٌ على الكسب. وهناك كسب الكسب: أنت اعتديت على كسب الإنسان، أخذت من كسبه الحلال كسباً حراماً، طبعاً إذا بيَّن البائع فلا مانع، وأصبح ليس بغاش، فلو قلت للمشتري: هذا قماش درجة ثانية، هذا ينكمش، هذا خشب نوع ثانٍ، هذه طاولة مصنوعة من نشارة، يظنها لاتيه، يضع لها برغي, يغوص كل البرغي، ينساها تحت المطر فيزيد سمكها، قل له: هذه نشارة وليست لاتيه ، بيِّن له، وضِّح له .

قال عليه الصلاة والسلام:

((من أصاب مالاً في مهاوش –أي بالهيلمة– أذهبه الله في نهابر))

يذهب المال نهيباً، كيف يأتي المال يذهب.

حديثٌ ورد في الجامع الصغير:

((من أصاب مالاً في مهاوش, أذهبه الله في نهابر))

قال لي: تعاملت مع واحد أربع أو خمس سنوات، أشتري بوراً على أساس أنه أجنبي, والسعر ثلاثة أمثال، فظهر لي أنه يعطيني بللوراً وطنياً، يستنظف بعض الألواح, ويعطيني على أساس أنها من صنع أجنبي بثلاثة أمثال السعر، وإذا أذّن المؤذّن للظهر يذهب أول واحد للجامع:

((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))

((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

انظر الفرق: من غشنا ومن غش؛ من غش مطلقاً، لو غششت مجوسياً فلست من أمة محمد، ليس من غشنا، بل مطلق الغش فليس منا.

قال:

((الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ, أَشْعَثَ أَغْبَرَ, يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ, يَا رَبِّ يَا رَبِّ, وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ, وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ, وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ, وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ, فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك!؟))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

((يا سعد, أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

معنى الغش: -وهذا بحث طويل -إن شاء الله- نعالجه- الغش بالوصف، إن قلت أجنبي وهو وطني فهذا غش، إن قلت من نوع أول، وهو من النوع الثاني فهو غش، إذا وصفته وصفاً وهو على وصف آخر فهو غش، إن كنت أعطيته وزناً أقل من وزنه، ونوعاً أقل جودة من نوعه، إن حددت له وقتاً أبعد من الوقت المطلوب، وفوّت عليه ربحاً كثيراً، فكل هذا من أنواع الغش، إذا أديت عملاً أداء لا إتقان فيه فهو غش، وهذا أيضاً يسبب الكسب الحرام.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من سعى على عياله من حِلِّه, فهو كالمجاهد في سبيل الله, ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف, كان في درجة الشهداء))

وفي الأثر أنه:

((من لم يبال من أين مطعمه, لم يبال الله عزَّ وجل من أي أبواب النيران دخل))

هذه كلمة: حط بالخرج؛ هذه كلمة الشيطان، ومثلها كلمة: لا تدقق، ضعها بذمتي, هذا كله كلام فارغ، ومن وحي الشيطان.

كلكم يعلم: أن أكل لقمةٍ من حرام يجرح العدالة، تطفيفٌ بتمرة يجرح العدالة.

الإمام ابن حنبل –رضي الله عنه– له صديق اسمه يحيى بن معين، له معه صحبةٌ طويلة، الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– هجر صديقه سنوات طويلة, لأن صديقه قال: إني لا أسأل أحداً شيئاً ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته, –هكذا قال له صديقه–، فحينئذٍ غضب ابن حنبل حتى اعتذر يحيى، وقال: " كنت أمزح, فقال: " تمزح بالدين؟! أما علمت أن الأكل من الدين؟!!

بل هو أخطر ما في الدين، قدمه تعالى على العمل الصالح.

في قوله تعالى في سورة المؤمنون الآية الحادية والخمسون:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية: 51]

الله عزَّ وجل قدم الأكل الحلال على العمل الصالح؛ أي أن عملك الصالح من دون أن تأكل مالاً حلالاً لا قيمة له:.

﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 51]

إذاً: العمل الصالح ليس مجدياً إلا إذا كان كسب المال في الأصل حلالاً .

أبناء أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– كانوا يوصون أباهم قبل أن يذهب إلى العمل، يقولون له: اتقِ الله فينا ولا تعد علينا إلا بالحلال، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على عذاب الله.

إن شاء الله في الدرس القادم نتابع حقوق الأبناء على آبائهم، واعتقد أن هذه الموضوعات تمس كل إنسان منا، وهي مهمة جداً, لأنه ما من إنسان إلا وله أب أو ابن, فليعرف إذا كل واحد منهما ما له وما عليه .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4 – 4) : حق الابن على الأب العدل بينه وبين أخوته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من حقوق الأبناء على الآباء أيضاً :

8–العدل بين الأولاد في العطاء والوصية :

أيها الأخوة المؤمنون, لا زلنا في حقوق الأبناء على الآباء، وقد وصلنا في الدرس الماضي إلى حقٍ جديد، إنه: العدل بين الأولاد في العطاء وفي الوصية.

المشكلة التي يعيشها بعض المسلمين: هو الفصل بين العبادات وبين المعاملات، فإذا أدَّى صلواته الخمس، وصام شهره، وحج بيت الله الحرام، وأدى زكاة ماله، يظن أنه قد أدَّى كل شيء، أما أن يأتي فيحابي ولداً على حساب ولد، أو يعطي ولداً على حساب ولد، فيظن أن هذا من شأنه الشخصي، مع أن الإسلام نظامٌ كاملٌ أمثلٌ لكل مواقف الإنسان، سواءٌ أكانت هذه المواقف أُسَرِيَّة، أو في عمله، أو في علاقته بربه.

الحق الأخير من حقوق الأبناء على الآباء: العدل بينهم في العطاء والوصية .

فقد ورد عن رسول الله –ﷺ–, أن أحد أصحابه أعطى أحد أولاده عطيةً، وأراد أن يُشهد النبي ﷺ– على ذلك, فسأله النبي الكريم:

((أَفَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ؟ فقال هذا الصحابي: لا, فقال عليه الصلاة والسلام: فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا –هذا العمل لا يصلح– وَإِنِّي لا أَشْهَدُ إِلا عَلَى حَقٍّ))

وفي رواية:

((لا أشهد على جور))



من خلال هذا الحديث يتضح: أن الذي يفرق بين أولاده في العطية, خرج عن سنة النبي –عليه الصلاة والسلام– إلا في حالات خاصة.

فأحياناً هناك أبٌ يزوج بناته الأربع، ثلاث بناتٍ منهن في وضعٍ ماديٍ جيّد، بينما بنتٌ رابعة زوجها فقير، فإذا أعطاها في حياته شيئاً, فأعانها على صعوبات الحياة، وقد رضي بقية الأخوة، فهذا وضعٌ استثنائي, له عند الله حُجَّة ومبررات، ولكن الأصل أن يعدل المُسلم بين أولاده في العطية.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما, أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال:

((اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم))

أمر:

اعدلوا بين أولادكم.

أمرٌ من النبي عليه الصلاة والسلام.

المشكلة: أن الإنسان أحياناً يظن أن هذا حديث شريف وقد مر به، قد قرأه, أو سمعه من مدرس، أو اطلع عليه، وهذا مجرد أمر:

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: 7]

أي أن الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض, هو الصانع، هو الخالق، بيده كل شيء، أعطاك أمراً واضحاً بيناً، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، يقول لك: اعدل بين أولادك, وتقول: هذا حديثٌ شريف, قرأته, واطلعت عليه، وقد مر بي, القضية أخطر من ذلك، إنه أمرٌ من عند النبي –عليه الصلاة والسلام–, الذي فوَّضه الله عزَّ وجل أن يشرع لنا:

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: 7]

والنبي –عليه الصلاة والسلام– لم يشرِّع من عنده, إنما كما قال الله عزَّ وجل:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآية: 3-4]

اتقوا الله واعدلوا في أولادكم

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهما, ومالك في الموطأ]

والحديث الآخر :

((سووا بين أولادكم في العطية –سووا: فعل أمر من التسوية– فلو كنت مفضلاً أحداً لفضَّلت النساء))

وهذا الحديث أيضاً رواه الإمام الطبراني.

العدل بين الأولاد :

إذاً: حديثٌ أول، وثانٍ، وثالث: يحضُّ المسلمين على أن يعدلوا بين أولادهم، والدين تطبيق هذه السنة.

لعلك رأيته يصلي, قال: نعم, قال: أنت لا تعرفه.

هذه العبادات إن لم تكن مبنيةً على استسلامٍ لأمر الله, وعلى طاعةٍ له، وعلى انصياعٍ كامل في كل ما أمر، وفي كل ما نهى، فهذه العبادات جوفاء لا تقدِّم ولا تؤخِّر ولا قيمة لها.

النبي –عليه الصلاة والسلام– رفض أن يشهد على جور, حينما بلغه أن أحد أصحابه فضَّل ولداً من أولاده على آخر، والنبي –عليه الصلاة والسلام– يأمرنا أن نتقي الله, وأن نعدل في أولادنا، والنبي –عليه الصلاة والسلام– في حديثٍ ثالث يقول:

((سووا بين أولادكم في العطية, فلو كنت مفضلاً أحداً لفضَّلت النساء))

هذه النصوص الثلاثة الصحيحة التي هي الأصل في العدل بين الأولاد .

العلماء قالوا: يحرم على المرء أن يوصي لأحدهم بأكثر مما يستحق شرعاً، أو أن يحرمه مما يستحق، أو أن يحرمه بعض ما يستحق.



يحرم؛ أي دخلنا في الحرمة، هناك حرمة، وهناك كراهةٌ تنزيهية، وهناك كراهةٌ تحريمية، وهناك أمرٌ مباح، وهناك سُنَّةٌ غير مؤكدة، وسنةٌ مؤكدة، وواجب، وفرض, أن تحرم أحد أولادك من حقه، أو من بعض حقه، أو أن تعطي أحد أولادك فوق حقه، فهذا مما يحرُم شرعاً، فهذا الذي سيغادر الدنيا كيف سيلقى الله عزَّ وجل؟ يلقاه وقد ظلم أولاده، وقد فضَّل بعضهم على بعض، وقد حابى بعضهم على حساب بعض,

إن هذا يزيد البعيد بعداً، قد يقول قائل: إن هذا الابن لا يَبَرُّني, إن هذا التصرُّف من قبل الأب, يزيد الابن البعيد بعداً، وتنشأ عداواتٌ بين الأخوة بعد الوفاة لا يعلمها إلا الله, لذلك الأولى أن تبقى على السُنَّة، السنة منهج، طريق مستقيم، فالإنسان مهما اجتهد، وفكر، وتأمل، ليس أعظم فهماً من خالقه ومربيه الذي شرع له هذا الدين.

الآن عندنا نقطة دقيقة: ويجب أن يعطي أبناءه في الوصية مثل ما أخذه أحدهم زيادةً عنهم.

فأحياناً ولد يأخذ نصيباً كبيراً من والده, بحكم كونه أكبر أولاده، فيزوجه، يشتري له بيتاً، ويغادر الدنيا, وعنده أربعة أولادٍ آخرون، هؤلاء سوف يقتسمون الإرث بالتساوي مع أخيهم الأكبر الذي أخذ هذه الدفعة الكبيرة، الأولى أن يسوّي بينهم في العَطية، بمعنى أنه إذا أعطى الأخ الأكبر، فيجب أن يعطي كلاً من الصغار بقدر ما أعطى الأكبر، هذا أيضاً حكم الله عز وجل، أي يجب أن يتم التوازن بين الأولاد في تقسيم الميراث.

شيءٌ آخر: لا يحق للأب أن يعطي في وجوه الخير أكثر من الثلث، والثلث كثير.

أي أنه إذا كان مندفعاً لفعل الصالحات, فيدع ورثته عندئذٍ من بعده عالةً يتكففون الناس, وهذا لا يرضي الله عزَّ وجل أبداً، لا يرضيه أبداً, فأحياناً يقول لك: يجب أن أوصي بثلث المال للمساجد, وقد ترك بيتاً واحداً، ويسكنه أولاده، فمن أجل أن توصي للمسجد فسوف ترغم أولادك على بيع هذا البيت، فإذا كان هناك بيت وحيد يأويهم، ففي مثل هذه الحالة لا ينبغي أن توصي لا للمسجد ولا لغيره.

((لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون))

هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام, فسواء في حياته، أو بعد مماته, فلا ينبغي أن يعطي أحداً فوق ما يستحق، ولا أن يحرم أحداً حقه ولا جزءاً من حقه، وإذا أعطى أحداً دفعةً كبيرة، فينبغي أن تدخل هذه في حساب الإرث، أما أن تكون خارج الحساب, وهو أعطاه بيت وزوجه، وفتح له محلاً, ثم توفى، وترك أربعة أولاد آخرين، فما تبقى لهؤلاء الخمسة، صار في تفاوت كبير جداً، الأولى أن يكون لكل ولدٍ حقٌ معلوم, إلا أنه في حالات أخرى، قد يكون الأب يعمل مع والده، هذا له جُهد نظير عمله، فمثلاً:

ولد في البيت لا يعمل، وولد يعمل, صار هناك تفاوت كبير جداً، فإذا أخذ الذي يعمل نصيب الجهد, واقتسم مع أخوته الباقين بالتساوي، ما تبقى فهذا أيضاً محض عدلٍ.

9-أن تدخل السرور على أولادك :

الآن: من توابع هذا الحق: أن تدخل السرور على أولادك.

فقد ورد أن مر قومٌ من الأعراب على النبي -ﷺ- فقالوا: تقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم، فقالوا: لكنا والله لا نقبل, فقال النبي -ﷺ-:

((وما أملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة))



أي أن هناك عطاءً معنوياً، كان الحديث قبل قليل عن العطاء المادي, ولكن عندنا عطاء معنوي، فالابن أحياناً بحاجة إلى عطف، بحاجة إلى قلب كبير، بحاجة إلى اهتمام، أحياناً لمسة حنانٍ من الأب أو الأم تغني عن آلاف الليرات، الإنسان مفتقر إلى العطف، لذلك هذا الذي ينشأ في حجر أمه وأبيه يكون في المستقبل متوازناً نفسياً، أما الذي ينشأ في بيت فيه خصومات، وفيه شقاق، وفيه طلاق، هذا الطفل ينشأ عنده خلل في عواطفه، فلذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- أشار إلى أن من واجبات الأب تجاه أبنائه: ليس أن يطعمهم، أو أن يسقيهم، أو يكسوهم فقط, بل هناك واجبٌ آخر, وهو: أن يغمرهم بالعطف والحنان، الاهتمام بطعامه وبشرابه، وبغرفته, وبحاجاته، وبملابسه، هذا الاهتمام هو الذي يزرع العطف والحب في قلب الأبناء.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- حينما أنكر هذا الأعرابي تقبيل الولد، قال عليه الصلاة والسلام:

((وما أملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة))

شيءٌ آخر: النبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن يَخُصَّ البنات بشيءٍ من العطف الزائد، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- نشأ في بيئةٍ كانت البنت فيها مظلومة، ويكفي أن تقرؤوا قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

[سورة التكوير الآية: 8-9]

النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول:

((أكرموا النساء فإنهن المؤنسات الغاليات))

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

واستوصوا بالنساء خيراً: قالها كثيراً في حياته، فلذلك هناك أحاديث خاصة بالنساء.

فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه–, قال رسول الله –ﷺ–:

((من عال جاريتين –أي ابنتين صغيرتين– حتى تبلغا, جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا، وضم أصبعيه كناية عن قرب الجوار في الجنة))

طبعاً كل من عنده بنتان صغيرتان يرعاهما، لكن بشرط أن ينشئهما تنشئةً طاهرة، بشرط أن ينشِّئهما على حب الله ورسوله، وعلى تلاوة كتابه، بشرط أن ينشِّئهما وفق الشرع، أما إذا سيب أمرهما, وجعلهما تعيشان كما يعيش بقية الفتيات غير الملتزمات، فهذا ما زاد عن أن أطعم هاتين البنتين فقط, والحديث الذي تعرفونه سابقاً: أن البنت إذا نشأت نشأةً منحرفة بتشجيعٍ من أبيها، أو بغفلةٌ منه، أو بإهمالٍ لها، ورأت مصيرها في النار، تقول:

((يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي))

لقد كان هو السبب، فلذلك الأبوة مسؤولية.

((من عال جاريتين حتى تبلغا, جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا, وضم أصبعيه كنايةً عن قرب الجوار في الجنة))

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت:

((جاءت امرأةٌ ومعها ابنتان لها تسألني أي شيءً, فلم أجد عندي شيئاً.

–انظر بيت سيدنا رسول الله, سيد الخلق, حبيب الحق، نبي هذه الأمة, ليس في بيته إلا تمرةٌ واحد–.

فلم أجد عندي شيئاً غير تمرةٍ واحدة أعطيتها إيَّاها, هذه الأم أخذتها فشقتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً، فدخل عليه الصلاة والسلام على أثر ذلك, فحدثته حديثهما, فقال عليه الصلاة والسلام:
من ابتلي –أي من كان له بنت– من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهن, كن له ستراً من النار))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

في رواية:

((من ابتلي –أنه بلاء وليس مصيبة، البلاء من معانيه الامتحان– مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ, أو من ابتنى –من البنوة؛ أي من كانت له بنت من هذه البنات– مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ, كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ))

هذا الحديث وحده يكفي كي يدفع الآباء إلى الإحسان إلى بناتهم، فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا جميعاً بالإحسان إلى أولادنا وبناتنا.

وعن عوف بن مالكٍ –رضي الله عنه–, أن رسول الله –ﷺ– قال :

((من كانت له ثلاث بناتٍ ينفق عليهن حتى يَبِنَّ –أي بمعنى يبتعدن عنه بمعنى يتزوجن– أو يمُتن, كن له حجاباً من النار))

في الحديث الأول: بنتان يحسن إليهن, وهنا ثلاث بنات ينفق عليهن.

وعن عوف بن مالكٍ أيضاً, قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من عبدٍ يكون له ثلاث بناتٍ, فينفق عليهن, حتى يَبِنَّ أو يمُتن, إلا كن له حجاباً من النار, فقالت امرأة: يا رسول الله وابنتان؟ قال: وابنتان))

أي أن ملخص الملخص: إذا جاء ملك الموت ينبغي أن يكون معك عملٌ تلقى الله به، عمل طيِّب، يا رب ربيت هاتين الابنتين تربيةً صالحة، تربيةً إسلامية، علَّمتهما كتاب الله، زوَّجتهما من مؤمنين، أنفقت عليهما، حتى أدخلت على قلبيهما السرور، هذا عمل، أو ربيت ولدين فصارا صالحين من بعدك، هذا عمل، أو دعوت إلى الله, هذا عمل، أو تركت علماً نافعاً, هذا عمل، وكل ذلك عمل صالح .

فدائماً لديك سؤال كبير كبير كبير: ماذا أعددت للقاء الله عزَّ وجل؟ .

قال له: جئتك لتعلمني من غرائب العلم, قال: فماذا صنعت في أصل العلم؟ قال: وما أصل العلم؟ قال: هل عرفت الرب؟ قال: ما شاء الله, قال: فماذا صنعت بحقه؟ قال: هل عرفت الموت؟ قال: ما شاء الله, قال: فماذا أعددت له؟ .

فهذا السؤال، ينبغي أن يكون هذا السؤال في مكانٍ بارزٍ من البيت: ماذا أعددت للقاء الله عزَّ وجل؟ .

أكلت فالمأكولات مستهلكات، سكنت هذا البيت مستهلك، قمت بهذه النزهة استهلاك، لكن نريد الاستثمار، فأنت معك مبلغ من المال، سنشبه الوقت بمبلغ ضخم من المال، هذا المبلغ إما أن تستهلكه وإما أن تستثمره، فكل عملٍ ينتهي عند الموت استهلاك، وكل عملٍ يستمر إلى ما بعد الموت استثمار، فهذا السؤال الكبير: ماذا أعددت للقاء الله عزَّ وجل؟.

هل أعددت لهذا اللقاء استقامةً تامة؟ هل أعددت حباً لله ورسوله؟ هل أعددت حفظاً وفهما لهذا الكتاب وتعليماً له؟ هل أعددت أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر؟ هل أعددت تربية أولادٍ تربيةً صالحة؟ ماذا أعددت لهذا اللقاء؟.

يقول له: رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا, وأنا الحي الذي لا يموت.

و: إن الغنى والفقر بعد العرض على الله.

هذا الغنى في الدنيا لا قيمة له إطلاقاً، الغنى والفقر –كما قال الإمام عليٌّ كرم الله وجهه–: بعد العرض على الله.

ماذا أعددت لهذه الساعة؟.

لدينا نقطة مهمة جداً أحب أن أقولها لكم: فأن تكون أباً وعندك زوجة وأولاد هذه أبواب مفتَّحة للعمل الصالح، فسوف تتعرض لتعب، وعليك مسؤولية، تعاني سَهَراً، وهموماً، وحُزناً، لا بد من توجيه، وتتعرض لإحباط، أحياناً يواجهك إخفاق، لكن الله عزَّ وجل وضعك بموضع لكسب ثواب العمل الصالح، فالزواج كله من أوَّله إلى آخره بدءاً بمسرَّاته وانتهاءً بمآسيه، الزواج كله بابٌ من أبواب العمل الصالح، فالجهد المبذول للتوجيه، ولإدخال السرور على قلب الأولاد، وإكرام الزوجة, هذا كله من الأعمال الصالحة التي يرضى الله عنها.

وكنت قد حدَّثتكم من قبل: من أن الأعمال الصالحة الأخرى إذا قمت بها أنت فأنعم وأكرم، وإن لم تقم، قد يقوم بها غيرك، ولكن أسرتك من لها غيرك؟ ليس لها أحدٌ غيرك، فلذلك إذا قصَّرت في حقها فأنت محاسبٌ عند الله.

الأخوة الإيمانية التي كانت تسود بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام :

ويطالعنا شيء آخر: نحن قاربنا أن ننتهي من حقوق الأبناء على الآباء، فسوف ننتقل إن شاء الله تعالى إلى حقوقٍ أخرى, نأخذها في درسٍ قادم, وأريد فيما تبقى من هذا الدرس: أن أضع بين أيديكم نموذجاً من الأخوة الإيمانية التي كانت بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

أردت أن يكون في هذا الدرس قصة من قصص أصحاب النبي عليهم رضوان الله، لتروا بأم أعينكم كيف ينبغي أن تكون علاقتنا فيما بيننا؟ .

طبعاً هؤلاء الصحابة الكرام –رضي الله عنهم ورضوا عنه– احتلوا عند الله مرتبةً ثابتة، بقينا نحن، ولا ينبغي أن تفهموا من كلامي هذا: أن الموضوع يتعلق بالصحابة، بل يتعلَّق بنا، لكن هذا نموذج حي من نماذج أصحاب النبي عليهم رضوان الله.

قصة سالم مولى أبي حذيفة :

صاحب القصة سيدنا -انظر لكلمة سيدنا- سالم مولى أبي حذيفة, كان عبداً رقيقاً -انظروا كيف أن الإنسان إذا عرف الله حقاً, ينتقل من العبودية إلى مرتبة السيادة:

سبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعتك.

وربنا عزَّ وجل قال:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية: 4]

فأنا أقول: سيدنا وهو سيدنا فعلاً، وهو عبدٌ رقيق -سيدنا سالم مولى أبي حذيفة- فالنبي -عليه الصلاة والسلام- أوصى, فقال:

((خذوا القرآن من أربعة -خذوا القرآن، أي أن هذا سيدنا سالم من أهل القرآن، من أهل كتاب الله عزَّ وجل-؛ من عبد الله بن مسعود، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن أبي بن كعب، ومن معاذ بن جبل))

أربعةٌ من أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- هم مرجعٌ كبير في القرآن الكريم، والقرآن -كما تعلمون- غنىً لا فقر بعده، ولا غنىً دونه.

و: من تعلَّم القرآن متَّعه الله بعقله حتى يموت.

و:

((من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه, فقد حقَّر ما عظَّمه الله تعالى))

و:

((خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه))

[أخرجه البخاري في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]



كان عبداً رقيقاً رفع الإسلام من شأنه، حتى جعل منه أخاً لواحدٍ من كبار المسلمين، بعد أن كان قد تبناه في الجاهلية, كان قبل إسلامه شريفاً من أشراف قريش, وزعيماً من زعمائها، ولما أبطل الإسلام عادة التبني, صار أخاً ورفيقاً ومولى للذي كان يتبناه، وهو الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة، سيد من أسياد قريش، زعيمٌ من زعمائها، شريفٌ من أشراف مكة, وهذا سالم كان عبداً رقيقاً عنده، فلما أسلم صارا أخوين في الله.

–أنا أريد من هذه القصة: أن تلمسوا أن الإسلام دينٌ يجمع ولا يفرق، يُلغي كل مظاهر الطبقيَّة، فإنسان في قمة المجتمع وإنسان في الحضيض، بعد أن أسلما صارا أخوين، وما لم تكن لك هذه النفسية فلست مسلماً، حينما تقول: أنا ابن فلان، أو أنا أملك كذا وكذا، أو أنا أحمل هذه الشهادة، أو إن أبي فلان, حينما تعتزُّ بشيءٍ غير الشيء الذي ينبغي أن تعتزَّ به وهو الإيمان, فأنت لست مؤمناً –فعلاً مفارقة كبيرة جداً–؛ إنسان يتبوأ قمة المجتمع، وإنسان يقع في الحضيض, حق الإسلام منهما أخوين، وسوف تروا معي كيف أن الإسلام سوى بينهما؟ والإنسان إذا دخل المسجد يجب أن ينسى أنه يحمل شهادة عليا، أو أنه له وظيفة مرموقة، أو أنه صاحب معمل، هذا كله يجب أن يضعه تحت قدمه إذا كان مسلماً، وأن ينظر إلى أخيه في الإيمان كما لو أنه ينظر إلى إنسانٍ مساوٍ له تماماً.

فأحد الصحابة –رضي الله عنهم– تكلم بكلمة، يبدو أنها كانت ساعة غضب, قال لأحد أصحاب النبي الأرقاء العبيد: يا بن السوداء, فما زاد النبي عن أن قال: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ , فلم يرض هذا الصحابي بعد ذلك, إلا أن يضع رأسه على الأرض, ليدوس هذا العبد الرقيق بقدمه على رأسه، حتى يغفر الله له.

أبو حذيفة بن عتبة، عتبة بن شيبة من أَلَدِّ أعداء النبي، من زعماء الكفر في قريش, هذا ابنه، عتبة بن شيبة هو الذي خاطبه النبي –عليه الصلاة والسلام– حينما رآه قتيلاً في بدر, قال :

يا عتبة بن شيبة، يا فلان، يا فلان، يا فلان.

هذا ابنه– تبنى أبو حذيفة سالماً بعد أن أعتقه, وصار يدعى سالم بن أبي حذيفة –هذا قبل أن يبطل الله عزَّ وجل عادة التبني، صار اسمه سالم بن أبي حذيفة، كما أن زيد بن حارثة –رضي الله عنه– كان اسمه زيد بن محمد، ابن النبي، تبناه النبي، لكن الله عزَّ وجل لحكمةٍ رآها حرَّم التبني، عندئذٍ أصبح اسمه زيد بن حارثة، وسالم ليس له أب، أبوه غير معروف، فصار اسمه سالم مولى أبي حذيفة، مولاه.

لم يكن شيءٌ أحبَّ إلى أحدهم بعد رسول الله –ﷺ– من أخوانهم في الله.

الترتيب كان على الشكل التالي: الله سبحانه وتعالى، ثم النبي –عليه الصلاة والسلام–، ثم المؤمنون, والله هذا مقياس دقيق، إذا كنت تحب إنساناً منحرفاً عاصياً لأسباب، لمصالح، لقرابة، أكثر مما تحب أخاً في الله طاهراً مستقيماً, هذه بادرةٌ خطيرة، وشرخٌ كبير في الإيمان ، أصحاب النبي –عليهم رضوان الله– كانوا يحبون بعضهم حباً لا يصدق، فإذا كان أخوةٌ في مسجدٍ واحد، على قلبٍ واحد، يدهم واحدة، مشكلتهم واحدة، خيرهم واحد، سرَّؤهم واحد، ضراؤهم واحدة, فهذه علامة إيمانهم، والله سبحانه وتعالى يقول:

((يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ما تميز به سالم مولى أبي حذيفة :

سيدنا سالم مولى أبي حذيفة, كان إماماً للمهاجرين من مكة إلى المدينة، وكان حجةً في كتاب الله، حتى أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– المسلمين أن يتعلموا منه، وقد قال عنه النبي –ﷺ– :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ يا سالم))

وكان أخوانه المؤمنون يصفونه سالمٌ من الصالحين، هكذا، آمن له مالنا وعليه ما علينا،- المسلمون جميعاً سواسية كأسنان المشط.

لا فضل لعربيٍ على أعجميٍ إلا بالتقوى:.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية: 13]



ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضلٌ إلا بالتقوى.

أتعلمون من هو حِبُّ رسول الله؟ أي من أحب الناس إليه؟ كان سيدنا أسامة بن زيد، ولو أتيح لكم أن تقرؤوا عن أوصافه لها لكم الأمر، كان أبوه سيدنا زيد عبداً أسود اللون، وكان ابنه كذلك، فكان يضع النبي -عليه الصلاة والسلام- أسامة على ركبته اليمنى, والحسن والحسين على ركبته اليسرى، وكان يقبلهم معاً، حتى إن أصحاب النبي سموا سيدنا أسامة حِب رسول الله هكذا.

إذاً: المؤمن الصادق يحب لأسبابٍ دينية، للكمال الذي ينطوي عليه، أما وهناك حديث شريف دقيق, قال:

((الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء))

أي لو كان إنسان عادلاً، وكرهت هذا الإنسان العادل لسبب أو لآخر، وإذا مال قلبك لإنسان جائر ظالم لسبب أو لآخر, فأنت في وضعٍ خطيرٍ في الدين، صار هذا شرك، فالمؤمن الصادق علاقاته كلها على أساس ديني، على أساس الكمال الإنساني .

وهذه قصة تفيدنا جداً: فقبل فتح مكة, بل وقبل الهجرة, -قصة سالم كقصة بلال، وقصة عشرات العبيد- بادر سيدنا أبو بكر الصديق, وأتى صفوان بن أمية, واشترى هذا العبد سيدنا بلال، ويقول له صفوان: والله لو دفعت به درهماً لبعتكه, ليس له قيمة خذه بدرهم، فيقول سيدنا بكر: "والله لو أبيت إلا أن تأخذ ثمنه مائة ألفٍ لأعطيتكها.

سيدنا الصديق على عظم شأنه وبلال عبد رقيق، حينما خرج أبى إلا أن يضع يده تحت إبطه -هذا تعبير عن المودة والأخوة في الله، سيدنا الصديق وضع يده تحت إبط سيدنا بلال، تعبيراً عن أخوته الصادقة- وقال: هذا أخي حقاً.

هل تصدقون: أن سيدنا عمر يخرج إلى ظاهر المدينة، وهو أمير المؤمنين, وخليفة المسلمين, لاستقبال سيدنا بلال، سيدنا عمر، خليفة المسلمين، عملاق الإسلام، أمير المؤمنين يخرج إلى ظاهر المدينة, لاستقبال سيدنا بلال!؟ سيدنا بلال يدخل على عمر بلا إذن هو وصهيب، بينما وقف أبو سفيان ساعةً وساعتين, فلم يؤذن له, وهو زعيم قريش، فلما دخل عليه عاتبه, قال: أبو سفيان زعيم قريش يقف في بابك الساعات الطوال, وصهيبٌ وبلال يدخلان ويخرجان بلا استئذان!! فما زاد عن أن قال: أأنت مثلهما؟!.

هذا هو الإسلام؛ فإذا كنت مستعداً أن ترى أن أخاك في الله، ولو كنت أنت في قمة المجتمع, وهو في حضيضه، ولو كنت في قمة العلم, وهو لا يحمل شهادات، ولو كنت أنت في قمة الغنى, وهو لا يملك شر ولا نقير، إذا شعرت أن هذا الإنسان أخوك في الله, له ما لك وعليه ما عليك، إذا شعرت هذا الشعور, فأنت بفضل الله مؤمنٌ ورب الكعبة، أما إذا كان لديك شعور بأنك غيره رفعة ومنزلة، أنت فوقه، أنت أعلى منه، أنت من أسرةٍ أرفع وأسمى، فهذا شعور جاهلي مرضي، يحتاج إلى معالجة, لذلك فإن المؤمنين كتلة واحدة؛ مدني، ريفي، موظف، تاجر، كبير, صغير، وسيم، دميم، كلهم في الإسلام سواء:

المؤمنون طبقةٌ واحدة، يأخذ بذمتهم أدناهم، ويرعاهم أكبرهم.

كلكم يعلم: أنه عند فتح مكة أعطى النبي -عليه الصلاة والسلام- أوامر مشددة, ألا يهرق دمٌ إطلاقاً, في ظرف من الظروف فيه ملابسات، سيدنا خالد اضطر إلى استعمال السيف، حتى إن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما سمع بهذا الخبر, اعتذر إلى ربه طويلاً, وهو يقول:

((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد))

[أخرجه البخاري في الصحيح, والنسائي في سننه]

-فهذا الكلام له مغزى كبير، ليس الهدف أن تريق دم الكافر أبداً، الهدف أن تهديه، الهدف أن ينضمَّ إليك، الهدف أن تحتويه، الهدف أن يسلم على يديك، هذا أخوك في الإنسانية، وحينما شرع الله الجهاد, شرعه من أجل صيانة الدعوة, ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا, لذلك فإن النبي -عليه الصلاة والسلام- أعطى توجيهات مشددة ألا يستعمل السيف، ولكن لسببٍ لسنا الآن بصدده، فإن سيدنا خالداً وهو من الصحابة الأجلاء الكرام, اضطر إلى استعمال السيف- وظل عمر -رضي الله عنه- يذكرها له, ويأخذها عليه, ويقول: إن في سيف خالد رهقاً.

والآن: نعود إلى قصة سالم-:

فقد كان مع سيدنا خالد، وسالم عبدٌ رقيق، وسيدنا خالد شريفٌ من أشراف مكة، وقائد الحملة، وقائد هذه الفرقة، سيدنا سالم أخذ على سيدنا خالد هذا المأخذ، وحاسبه، وكأنَّه نِدٌ له، فقد سوَّى الإسلام بينهما -سيدنا سالم ما نظر إلى سيدنا خالد على أنه إنسان, يجب أن نقدس أخطاءه، ولا نظر على أنه فوق أن يحاسب، كان هناك نوع من الصراحة، ونوع من الواقعية، على كلٍ؛ هناك حديث شريف قاله النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))

قالها ثلاثاً .

فالحديث ما أدقه، وفي الأحاديث الشريفة تعاريف للدين جامعة مانعة مثلاً :

رأس الدين الورع.

أي تعلم ما شئت ما لم تكن ورعاً فلست ديناً:



رأس الدين الورع, فإن لم تكن ورعاً قطع رأس الدين.

فلو شبهنا الدين بإنسان وقطعت رأسه ماذا بقي منه؟

انتهى.

رأس الحكمة مخافة الله.

رأس الدين الورع.

الدين –بالتعريف الجامع المانع الدقيق الدقيق–: النصيحة.

فإذا لم تنصح المسلمين فلست ديِّناً، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– قال:

((إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ, إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ, إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ))

في حديثٍ كررها ثلاثاً.

[أخرجه أبو داود في سننه]

لكن هناك نصيحة وهناك فضيحة، هناك من يفضح وهناك من ينصح، كن نصوحاً ولا تكن فضوحاً–.

النبي –عليه الصلاة والسلام– لما بلغه ما صنع خالد, سأل هذا السؤال الخطير, قال:

هل أنكر عليه أحد؟ فقالوا: نعم راجعه سالمٌ وعارضه.

فاطمأن النبي.

من مواقف عمر بن الخطاب :

–وقال أحد عامة المسلمين لعمر: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوَّمناك بسيوفنا, فقال عمر –رضي الله عنه–: " الحمد لله الذي جعل في أصحابي من يقومني إذا اعوججت.

سيدنا عمر مرةً كان مع أصحابه، -هذه قصص, هذه سنن، هذه مناهج، هذه طرائق للتعامل مع الآخرين-. سيدنا عمر كان مع أصحابه, قال أحدهم: والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله, -أي أنه من الطراز الأول، أين سيدنا الصديق؟ إنه قد مات، نريد أن نمدح الحالي، والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله-, سيدنا عمر غضب وحَدَّ فيهم النظر، إلى أن قال أحدهم: لا والله لقد رأينا من هو خيرٌ منك, قال: ومن هو؟ قال: أبو بكر, فقال عمر: كذبتم جميعاً وصدق هذا.

-اعتبر سيدنا عمر أو عد سيدنا عمر أن سكوتهم كذبٌ، وأن هذا الذي قال الحقيقة هو الصادق- ثم قال: والله لقد كنت أضل من بعيري، وكان أبو بكرٍ أطيب من ريح المسك.

-فهل يجرؤ أحدٌ بعد هذا الموقف أن ينافق له؟ انتهى كل النفاق-.

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: هل أنكر عليه أحد؟ قالوا: نعم راجعه سالمٌ وعارضه.

-عبد رقيق، وسيدنا خالد قائد الجيش, ومع ذلك راجعه في موقف، نحن كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

لكنني أردت من هذه القصة أن أبين: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))

وقال: هل راجعه أحد؟ هل أنكر عليه أحد؟ قالوا: نعم, راجعه سالمٌ وعارضه.

فإذا كنت تحب الله ورسوله, فقل الحق ولو كان مراً, ولا تخشَ في الله لومة لائم، والشيء الذي تعرفونه جميعاً, هو:

أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾

[سورة الأحزاب الآية: 39]

من صفات هؤلاء الذي يبلغون رسالات الله: أنهم يخشون الله وحده، فإذا خشوا غير الله انتهوا وانتهت رسالتهم-.

قصة استشهاد سالم مولى أبي حذيفة :

كلكم يعلم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- انتقل إلى ربه، وبعد انتقاله ظهرت فتنة الرِدَّة، -ويعدُّ سيدنا الصديق بحقٍ المؤسس الثاني للإسلام، وقف وقفةً لا يستطيع أحدٌ من أصحاب النبي أن يقفها إلا هو- .

خرج المسلمون لقتال المرتدين الذين تزعَّمهم مسيلمة الكذاب، -الآن كانوا تحت إمرة سيدنا خالد-، وتعانق الأخوان أبو حذيفة وسالم، وتعاهدا على الشهادة في سبيل الحق، وقذفا بنفسيهما في الخِضَمِّ الرهيب, كان أبو حذيفة ينادي, -اسمعوا جيداً-:

يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم.

-والكلام لنا الآن، أنت حافظ للقرآن، يحب أن تزيّن هذا الكتاب بأعمالك، الكون قرآنٌ صامت، القرآن كونٌ ناطق، سيدنا رسول الله قرآنٌ يمشي، كان خلقه القرآن، أنت مؤمن, وقتك كله في قراءة القرآن, وفي حفظه، وفي تجويده، وفي فهم أحكامه وآياته، نريد عملاً يزين القرآن-: "



يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم.

وكان سالمٌ يصيح: بئس حامل القرآن أنا، لو هوجم المسلمون من قبلي, فقيل له: " حاشاك يا سالم بل نعم حامل القرآن أنت.

وكان سيفه صوَّالاً وجوالاً في أعناق المرتدين, الذي هبوا ليعيدوا جاهلية قريش, ويطفئوا نور الإسلام، وهوى سيفٌ من سيوف الردة على يمناه فبترها –لسيدنا سالم–, وكان يحمل بها راية المهاجرين, بعد أن سقط حاملها زيد بن الخطاب، ولما رأى يمناه تبتر التقط الراية بيسراه, وظل يلوِّح بها إلى أعلى, وهو يصيح تالياً هذه الآية الكريمة:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 146]

أحاطت به غاشيةٌ من المرتدين، فسقط البطل، ولكن روحه ظلت تتردد في جسده الطاهر، حتى انتهت المعركة بقتل مسيلمة الكذاب, واندحار جيشه, وانتصار المسلمين، وبينما المسلمون يتفقَّدون ضحاياهم وشهداءهم, وجدوا سالماً في النزع الأخير، وسألهم: ما فعل أبو حذيفة؟ –مولاه, أخوه في الله– ما فعل أبو حذيفة؟ قالوا: استشهد, فقال: أضجعوني إلى جواره, فقالوا: إنه إلى جوارك الآن.

–هو بجانبك مضطجع، لقد استشهد في المكان نفسه.

سيدنا عمر حينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي قال: هل صلى المسلمون الفجر؟.

هو في حالة النزع وبين الموت والحياة، ما الذي يعنيه؟ هل صلى المسلمون الفجر؟

فأحدنا إذا كان ألمَّت به شدة، ماذا يقول: البيت هل طوَّبتموه؟ ماذا صار بالبضاعة هل بعتموها؟ اشتريتموها؟ هل صلى المسلمون الفجر؟–.

ما فعل أبو حذيفة بن شيبة؟ قالوا: استشهد, فقال: أضجعوني إلى جواره, فقالوا: إنه إلى جوارك يا سالم. هل تصدقون: أن سيدنا عمر بن الخطاب وهو عملاق الإسلام, قال وهو يموت : " لو كان سالمٌ حياً لوليته الأمر من بعدي.

أي لو كان سالم حياً، لكان ثالث الخلفاء الراشدين، وهو عبدٌ رقيق:

اسمعوا وأطيعوا ولو تولى عليكم عبدٌ رأسه كالزبيبة.

هكذا قال عليه الصلاة والسلام.

هذه كلمة خطيرة جداً: لو كان سالمٌ حياً لوليته الأمر من بعدي.

إذاً الباب مفتوح، كن من تكون، أي إنسان كن؛ بأي مستوى، بأي دخل، بأي شكل، من أي لون، من أي جنس، من أي بلد، ما دمت عبداً لله، فباب البطولة مفتوحٌ أمامك على مصاريعه كلها، وما عليك إلا أن تقوم، ما عليك إلا أن تجاهد في سبيل الله:

﴿جَاهَدُوا فِينَا﴾

[سورة العنكبوت الآية: 69]

والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول بعد عودتهم من إحدى الغزوات:

((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر؛ جهاد النفس والهوى))

فلذلك –أيها الأخوة– الله سبحانه وتعالى يقول:

((لو يعلم المعرضون حبي لهم, وانتظاري إلى ترك معاصيهم, لتقطعت أوصالهم من حبي, ولماتوا شوقاً إلي، هذه إرادتي في المعرضين, فكيف إرادتي في المقبلين؟))

فالمفروض أن يَصدق الإنسان في طلب الحق, حتى يكون من السعداء في الدنيا والآخرة. .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : أحكام العورة

الدرس (1 – 5) : تعريف العورة والترغيب في سترها والترهيب من كشفها

الدرس (2 – 5) : عورة الرجل بالنسبة للرجل

الدرس (3 – 5) : عورة الرجل بالنسبة للمرأة

الدرس (4 – 5) : عورة المرأة بالنسبة للمرأة

الدرس (5 – 5) : عورة المرأة بالنسبة للرجل

الفصل الثالث : أحكام العورة

الدرس (1 - 5) : تعريف العورة والترغيب في سترها والترهيب من كشفها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

العورة والترغيب في سترها والترهيب من كشفها :

أيها الأخوة الأكارم... من فقه الرجل أن يعلَّم المنطقة الخطرة التي يمكن أن يؤخذ منها، والشيء الثابت أن من أخطر المناطق في حياة الإنسان التي يمكن أن يؤخذَّ منها المال والنساء، وما استطاع أحدٌ أن ينال من أحدٍ إلا عن طريق هاتين النقطتين؛ المال والنساء، لذلك لأنَّ الله جلَّ جلاله هو الخالق، هو الصانع، هو المصمم، هو الذي جبل الإنسان على كذا وكذا، هو الذي أودع في الإنسان هذه الشهوات، هو الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر: 19]

لذلك ترى - الآيات طبعاً مفعول به منصوب بالكسرة نيابةً عن الفتحة، لأنه جمع مؤنثٍ سالم- في الآيات القرآنية الصفة تتبع المحلّ وليس اللفظ، الآيات تحذر الإنسان من موضوع كسب المال الحرام، أو اقتراف الإثم الحرام، من هذا المنطلق نرى في كتب الفقه أبواباً كثيرةً تتعلّق بموضوع العورة، وسوف نرى بعد قليل كيف أن من شأن المؤمن أن يستر عورته، وكيف أنَّ من شأن الكافر المتفلت أن يكشف عورته.

شخص قال لي: ابني في البيت، يقوم بالثياب الداخلية أمام إخوته البنات، وأمام أمه، وأمام أبيه، وأمام أولاده، فهذا شيءٌ مخالفٌ مخالفةً صريحةً لتوجيهات النّبي عليه الصلاة والسلام.

فكما عوَّدتكم، وأرجو الله عزَّ وجل أن يوفقني دائماً، إلى أن أضع يدي على الجرح، على الموضوعات الحساسة التي نحن في أمسِّ الحاجة إليها، هذا اليوم يوم الأحد مخصصٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلم، إما أحاديثه، وإما الأحكام الفقهية المستنبطة من أحاديث و توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.

فموضوع العورة، والترغيب في سترها، والترهيب من كشفها، وفضائل غضّ البصر، ومغبة إطلاق البصر، وعورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، وعورة الرجل بالنسبة إلى المرأة، وعورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، وعورة المرأة بالنسبة إلى الرجل، أربع موضوعات، لا أعتقد أن واحداً منا وأنا معكم لا نحتاج إليها، كلُّنا محتاجون لهذا الموضوع الدقيق الحساس، يبدو أن الإنسان حينما يتساهل في هذا الموضوع يحجب عن الله عزَّ وجل، وكشف العورة أو النظر إلى عورة الإنسان الآخر مذلة قدمٍ خطيرة قد تنتهي إلى الزنا.

في شخصية المؤمن نقطتا ضعفٍ الكسب الحرام والنظر الحرام :

قلت لكم سابقاً: هناك معاص، فيها قوة جذب، بمعنى أن الإنسان حينما يخطو الخطوة الأولى، في الأعم الأغلب الخطوة الأولى تقوده إلى الخطوة الأخيرة؛ نظرةٌ، فسلامٌ، فابتسامٌ، فموعدٌ، فلقاء ، يمكن أن أشبه هذا بصخرةٍ على رأس جبل، تبقى على رأس الجبل إلى أبد الآبدين، فإذا أزحتها عن مكانها، إلى أول المنحدر، خرج الأمر من يدك، هي في قمة الجبل بيدك، أما إذا أزحتها عن قمة الجبل إلى أول المنحدر، لا بدَّ من أن تصل إلى أعمق ما في الوادي، لهذا في موضوع النساء، في موضوع كسب المال، لا يوجد حل وسط.

كيف الإنسان أحياناً ينفخ بالون؟ لو قال: والله حجمه كبير عن اللزوم سأحضر دبوساً وأثقبه، إذا ثقبه الهواء كلّه يخرج منه.

فأنا أقول لكم: عندما نفهم الدين فهماً علمياً، فهماً دقيقاً، لا يوجد حل وسط، الإنسان حينما يختار الحل الوسط يجد نفسه، ينتقل من الوسط إلى الطرف السالب، من الوسط إلى نهاية الوادي، إلى أعمق أعماق الوادي، فأتمنى على الأخوة الكرام أن يعلموا علم اليقين أن في شخصية المؤمن نقطتي ضعفٍ خطيرتين، موضوع الكسب الحرام وموضوع النظر الحرام، ما من شابٍ يسلك طريق الإيمان ثم ينتكس إما لعلّة النساء، أو لعلّة الكسب الحرام، إما لأن في دخله شبهةً حجبته عن الله، فانقطعت عنه الموارد وانقطعت عنه التجليات، فرأى الدين عبئاً عليه، وسئم الصلاة والصيام، وسئم مجالس العلم، لأنه محجوب، أي إذا أردت كلَّ شيء من الدين فاستقم على أمر الله

تقطف كلَّ الثمار، وتجني كلَّ الثمرات، وتسعدُ كلَّ السعادة، وإذا زلَّت القدم في موضوع النساء أو موضوع كسب المال الحرام، كان الحجاب، والحجاب من لوازم البعد، أن تؤدَّى العبادات بشكلٍ أجوف، بشكلٍ لا معنى له، الإنسان يسأم أداء العبادات، ثم يملّ، ثم ينقطع، ثم ينجرف، ثم بين عشيةٍ أو ضحاها يأتيه ملك الموت، ليجد أنه خسر خسارةً كبرى.

العورة لغة و شرعاً :

العورة في اللّغة الخلل، والعورة في اللّغة هي السَّوْأَةُ، والعورة في اللّغة هي كلُّ ما يستحيا منه، الخلل، والسوأة، وكلَّ ما يستحيا منه.

وشرعاً العورة هي كلَّ ما حرم الله تعالى كشفه أمام من لا يحلُّ له النظر إليه.

يوجد عندنا تعريف لغوي، تعريف شرعي، شخص طرق الباب، قال لك: الوالد موجود؟ أنت دارس لغة، قلت له: والله يا عم الآن راح، قال لك: سلِّم عليه، أنت صادق، والدك داخل البيت، الآن أتى، قلت: والله يا عم الآن راح، إذا قلت له: الآن راح باللّغة معناها الآن جاء، لأن غدا بمعنى ذهب إلى عملِه قبل الشمس، وراح عاد إلى بيته، الغدو والرواح، أنت صادقٌ لغةً، ولكن الذي يقول هذا الكلام، ووالده داخل البيت، كاذبٌ شرعاً، اللغة شيء والشرع شيء.

لو قال إنسان: والله لا آكل اللحم لشهرٍ، فإذا أكلَ السمك لا يحنث، لأن اللحم بالعرف هو لحم الضأن، الإنسان يقول: والله اليوم أكلنا سمك، لا تقل: أكلنا لحماً، أكلنا سمكاً، لكن باللّغة السمك لحم، فأحياناً تفترق اللغة عن الشرع، فنحن دائماً بحاجة إلى التعريف اللغوي، والتعريف الشرع.



كنا من مدة بمولد، قال أحدهم: أنا شعرت بوحشة، لا يوجد معي أحد، فقال له الآخر: الله معك، ما معنى الله معك؟ أي انصرف، هذا معناها الاصطلاحي، لكن معناها اللغوي الله معك ناصر ومؤيد، أحياناً الحقي بأهلك، لغةً اذهبي لعند أهلك، تفضلي زوريهم، هم مشتاقون لكِ، أمك طلبت مني أن تزوريها، اذهبي إليها، هذا معنى اللغة، لكن إذا نوى الطلاق، الحقي بأهلك، أي طلقتك، فرقٌ كبير، فأحياناً تفترق اللّغة عن الشرع، لذلك تجد في أكثر الكتب، كتب الفقه، المعنى اللغوي، والمعنى الشرعي، فالمعنى اللغوي للعورة الخلل، والسوأة، وكلَّ ما يستحيا منه، والمعنى الشرعي هو كلُّ ما حرَّم الله تعالى كشفه أمام من لا يحلُّ النظر إليه، أما الزوجة فلك أن تنظر إليها، بل إن النّبي عليه الصلاة والسلام حينما وصف المرأة المؤمنة قال : الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا :

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ قَالَ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَلا فِي مَالِهِ))

[أحمد عن أبي هريرة]

وفي رواية للحديث رائعة جداً الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ :

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ قَالَ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ))

[النسائي عن أبي هريرة]

لا يوجد إليها.. أي إن نظرت إلى غرف البيت ورأيتها مرتبة، تشعر بالراحة إن نظرت إلى أولادك، ورأيتهم بهندامٍ حسن، ونظافةٍ باهرة، فإما أن تسرَّ بالنظر إليها بالذات، تعتني بشكلِّها، وهندامها، وأناقتها أمام زوجها، بل إن

السلَّف الصالح، بل إن النساء الصالحات، كنَّ لا يرتدين الثوب أولَّ مرة إلا لأزواجهنّ، أما الآن فالزوج آخر من يرى الثوب، آخر من يراه.

فالعورة في اللغة: الخلل، والسوأة، وكلُّ ما يستحيا منه، وشرعاً: هي كلُّ ما حرم الله تعالى كشفه أمام من لا يحل له النظر إليه.

إظهار العورة أمام الغير إخلال بالصفة الإنسانيّة :

الآن نقول: هنا في الحدود عورة، أي مكان فيه خلل، مكان ضعيف، الله جلَّ جلاله سمى ما حرم علينا إبداؤه عورة، لأنَّ إظهاره أمام الغير إخلالٌ بالصفة الإنسانية، ألم نقل قبل قليل: العورة هي الخلل، فإذا أظهرت ما ينبغي أن يُستر فقد أختلت عندك الصفة الإنسانية، أي هناك فطرة، الله عزَّ وجل جبلنا جبلة، فطرنا فطرة، فإذا أبديت ما حقَّه الإخفاء، فقد اختلت فطرتك، أصبح هناك خلل، وعدم توازن .

أحياناً الإنسان إذا رأى النساء متبرجات، متبذلات، يكشفنَّ ما ينبغي أن يستر، ورأيت امرأةً بينهن، ترتدي ثياباً ساترةً لخطوط جسمها، ساترةً لمفاتن جسمها، تشعرُّ بتقديسٍ لهذه المرأة، هذه الفطرة، قال لي أحدهم مرةً ولا أظنه ديناً: والله يا أستاذ حينما أرى امرأةً محجبةً لا يبدو منها شيء أشعر بقشعريرة في جسمي احتراماً لها. وأنا أقول لكم: لا يمكن لامرأة سترت ما أمرها الله به أن يستر، أن يتحرَّش بها أحد، أو يطمع بها طامع، أو يضايقها مضايق، أو ينال منها رجل، أبداً، أقول لكم مرةً ثانية: المرأة حينما تكشف عما ينبغي أن يستر، لسان حالها يقول: تعالوا تحرشوا بي، إنني أرتدي هذه الثياب كي تتحرشوا بي، هذا لسان الحال، يوجد عندنا لسان المقال، ولسان الحال، لسان حال المرأة التي تتبذل في ثيابها كأنها تدعو الشباب إلى التحرُّش بها، فلذلك حينما أمر الله المؤمنات بالحجاب، قال:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾

[سورة الأحزاب: 59]

أنهن مؤمنات، حينما تحتجب المرأة، هذا إعلانٌ، وتصريحٌ، وإشارةٌ بليغةٌ لكل من حولها أنها مؤمنة ومسلمة:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾

[سورة الأحزاب: 59]

لا يوجد بهذه الآية بأنهن مسلماتٌ طاهرات، بأنهن محصنات، بأنهن عفيفات.

إذاً سُميت العورة عورةً لأنك إذا كشفتها اختلت إنسانيتك، اختلت فطرتك. أنا أذكر قصة، مرة قرأت بمجلّة كلمة، سألوا امرأة تمتهن التمثيل، ولها سمعة كبيرة، ما شعورك وأنت على خشبة المسرح؟ هي ليست مسلمة، وليست من أهل الكتاب، لا دينية إطلاقاً، لكن لها فطرة، قالت: شعور الخزي والعار، وهذا شعور كل أنثى، تعرض مفاتنها على الناس، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين، وفي غرفٍ مغلقة، هذه إجابة الفطرة، ليست مسلمةً، وليست من أهل الكتاب، لكنّها تحدثت عن فطرتها، والفطرة صادقة.

تسمية العورة بالعورة لأن كشفها يصيب الأخلاق الاجتماعية بالخلل :

هناك شيء آخر.. سُميت العورة عورة لأن كشفها يصيب الأخلاق الاجتماعية بالخلل، صار هناك اضطراب، طبعاً من فضل الله علينا أحدنا إذا الله أكرمه بالحج، في مكة والمدينة ليس هناك امرأةٌ سافرةٌ أبداً، نحن في الشام نغضُّ البصر، والفضل لله عزَّ وجل، ولكن لو جلسنا في مجتمعٍ، الحجاب من نظامه الاجتماعي، والنساء يحتجبن إما طواعيةً، أو قسراً، أي إذا عشت في مدينةٍ ليس فيها امرأةٌ سافرة، حتى ولا وجهها تشعر براحةٍ لا حدود لها، تشعر بالصفاء، قلّما يأتي خاطر نسائي، لذلك المجتمعات التي فيها فجور، فيها فتن، مجتمعات طبعاً فيها أجر كبير، أحبابي يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر، أي المجتمع كلُّه مصاب بالخلل إذا كشفت العورات، هذه فطرة الإنسان، هذه الفطرة، والعقل يقول بذلك، والنقل يقول بذلك، والواقع يقول بذلك.

في أمريكا، إحصاء قرأته مرة في صحيفة، اعتقد عام خمسة وستين، كلُّ ثلاثين ثانيةً ترتكب جريمة قتلٍ، أو سرقةٍ، أو اغتصاب، مرة حدثت أخواننا بهذا الرقم قال: هذا رقم قديم جداً أستاذ، الآن كل ثلاث ثوان، كل ثلاث ثوان، ترتكب جريمة قتلٍ، أو سرقةٍ، أو اغتصاب، هذا من كشف العورات، ولو كنت ضابطاً في الأمن الجنائي

واطلعت على الجرائم التي تجري في كل بلد لوجدت العجب العجاب، لوجدت أن وراء كلَّ جريمةٍ كشفٌ للعوارت، دائماً كشف العورة دعوة إلى الزنا. فمن صفات المؤمن ستر العورات، ذكوراً وإناثاً، فالعورة: هي الخلل و السوأة. وسميت العورة سوأة لأن إبداءها أمرٌ سيّئ يسوء الناس، يسوء المجتمع، يسوء الفرد، يسوء كلَّ ذي فطرةٍ سليمة، الله عزَّ وجل قال:

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾

[سورة المائدة : 31]

اتفقنا الآن على أن العورة تطلق على كلِّ شيءٍ يحرَّم اظهاره، يلحق كاشفها والناظر إليها العار، والمذمة، والخلل. الأصفهاني يقول: العورة سوأة الإنسان، وهي كناية، وأصلّها من العار، سميت عورة، لأنه من العار أن تظهر . أنا حدثني صديق درس في بلد من البلدان الشرقية، التي كانت ترفع شعار: لا إله، قال لي: دخلنا إلى جامعة ضخمة من أضخم الجامعات، دورات المياه، صالات كبيرة جداً، لا يوجد فيها جدران، أي كل صالة تتسع لخمسين أو مئة طالب، بهو كبير كلّه مراحيض، فكلُّ هؤلاء الطلاب يقضون حاجاتهم أمام زملائهم، الإنسان حينما تنعدم منه القيم الخلقية يصبح كالبهيمة، وهكذا العلماء قالوا: الإنسان من دون علم، من دون إيمان كالبهيمة ، الآن المعنى الأول:

﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾

[سورة الأحزاب: 13]

أي فيها خلل، أي نقطة ضعف يمكن أن يصل العدو منها:

﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً ﴾

[سورة الأحزاب: 13]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾

[سورة النور: 58]

أي شيء قبيح أن يطلع الابن على ما يكون بين أمه وأبيه، شيء قبيح جداً، فلذلك هذه آداب الإسلام، يجب أن يربَّى الطفل تربيةً متكررةً حازمةً، مؤدِّبةً أحياناً، في هذه الأوقات الثلاث، لا ينبغي أن يدخل إلا بعد أن يستأذن. إنسان قال: يا نبي الله، إنها أمي، هذه أمي، فقال عليه الصلاة والسلام: أتحب أن تراها عريانة؟ انتهى الأمر، أتحب أن تراها عريانة؟ لذلك البيت المسلم، خلع الثياب له نظام، ثياب الأخت أمام أخيها محتشمة، كلمة أخي ماذا تعني؟ تعني يجب أن تظهر الأخت أمام أخيها بثياب محتشمة.

ستر العورة لأن إظهارها فتنة :

نحن عندنا بهذا الموضوع ثلاثة مستويات، ليس بين الزوجة وزوجها مانع، الزوجة لوحدها بند، أما المحارم فمحارم جمع امرأة محرم أي الأم، والأخت، والابنة، وبنت الابن، وبنت البنت، والعمة، والخالة، المحارم يجب أن يظهرن أمام أقاربهن، من حقهم أن ينظروا إليهن بثياب الخدمة، ثياب الخدمة أي الصدر مستور، والعضد مستور، تحت الركبة، هذه هي ثياب الخدمة، أما ثياب شفافة أخت أمام أخيها فهذا شيء مخالف للسنة. أنا حينما اخترت هذا الموضوع اليوم لعلمي بأن بيوتاً إسلاميةً كثيرة هذه الحقائق لا يعرفونها، هناك تبذُّل، إذاً:

﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة النور : 58]

﴿ يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

[سورة الأعراف : 26]

إذاً اللباس، النبات القطن، القطن مصمم خصيصاً ليكون ثياباً لك، الصوف مصمم خصيصاً ليكون ثياباً لك، الكتان، الذي خلق الإنسان خلق الكتان، الذي خلق الإنسان خلق الصوف، الذي خلق الإنسان خلق القطن.

﴿ يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾

[سورة الأعراف : 26]

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾

[سورة طه: 121]

العورة بهذه الآية ما يجب ستره، لأن في إبدائه فتنةً.

زينة الإنسان ستر عورته :



هناك استنباط لطيف جداً، زينة الإنسان ستر عورته، هل في القرآن الكريم آية تؤكد ذلك؟

زينة الإنسان ستر عورته؟ بارك الله بك، الإنسان مكلف في المسجد، التعطُّر واجب، أن يتزين بلباس فخم؟ لا.. إذا ارتدى ثياباً نظيفةً ساترةً لعورته فهذه هي الزينة، حينما قال الله عزَّ وجل:

﴿ يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

[سورة الأعراف : 31]

فالزينة هي ستر العورة.

﴿ يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾

[سورة الأعراف : 27]

انظر إلى الشيطان، ينزع عنهما لباسهما، أبداً البيت الغير المسلم دائماً هناك تكشُّف، تكْشيف للعوارت:

﴿ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأعراف : 27]

الزينة ستر العورة، والفحشاء كشفُها.

عدم اتباع خطوات الشيطان :

الأمر الثابت للشيطان:

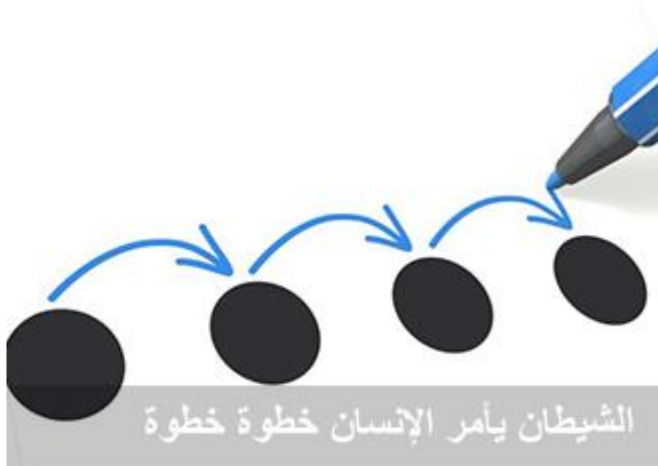
﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾

[سورة البقرة: 268]

قال بعض المفسرون: يأمركم بكشف ما ينبغي أن يستر .

طبعاً له حجج، ساعة مثل أخيك، ساعة لا يوجد أحد غريب، ساعة ربينا معاً، ساعة هكذا نشأنا، ساعة هل ستأكله؟ هذه الكلمات مفادها كشف للعورات، والذي أمر بالتستر، وأمر بغض البصر، هو الخبير.

إذا كان عندك كمبيوتر، وصار فيه خلل، تكلف جارك الذي يشتغل بالخضرة أم تكلف مهندس الكمبيوتر بهذا؟ تحتاج للخبير، هذا على عيننا ورأسنا، ولكن ليس خبيراً في الكمبيوتر، فأنت أعقد آلة في الكون، يجب أن تسأل الخبير الصانع.



مرة أحد أدباء مصر، عاصر حركة قادها مفكِّر في مصر، يدعو إلى السفور، فعمل مقالة أدبية، طلبه للدار الآخرة، وقال له: تعال انظر ماذا حدث، أنت أمرت بكشف الوجه فقط، تعال انظر ماذا حدث، فلما أطلعه على ما يجري في المجتمعات الماجنة، على شواطئ البحار، في دور اللّهو، في الطرقات، قال له: والله أنا ما أردت ذلك، أبلغهم أنني بريء من هذه الدعوة، هو حوار فني أدبي، أي هو طلب كشف الوجه فقط، كشف الوجه انتقل لكشف الشعر، وكشف الشعر انتقل لكشف النحر، وكشف النحر انتقل لكشف الساق.

فالشيطان دائماً، خطوة، خطوة، خطوة، خطوة، الشيطان ذكي، بالمناسبة لم يأمر امرأةً أن تخلع ثيابها، يقول لها: أنت كبيرة، لا ينظر إليك أحد، تكون هي ليست كبيرة، لكن الآن لكي تكشف عن وجهها تصدق الشيطان بأنها كبيرة، دائماً الشيطان يأمر الإنسان خطوةً خطوة، يقول السيد المسيح اطلّعت على كلمة، هناك كتاب: أن ليس الشريف الذي يهرب من الخطيئة، لكن الشريف هو الذي يهرب من أسبابها ، نحن عندنا قاعدة، أن هذه الشهوة الجنسية مثل تيار، ثمانية آلاف فولت، من اليمين ستة أمتار، هذه منطقة خطرة، تجذب، وستة أمتار من اليسار، فوزير الكهرباء العالم، الرحيم، إذا مرّ تيار ثمانية آلاف فولت، يضع لوحات، ممنوع الاقتراب وليس ممنوع اللمس، إذا كتب ممنوع اللّمس، و اقترب أحدهم يسحبه التيار فيموت، فهذه الشهوات معها قوة جذب، فلذلك لا بدَّ من هامش أمانٍ بينك وبينها، لذلك قال الله عزَّ وجل:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

[سورة البقرة: 187]

اسمع الآيات:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾

[سورة النور: 21]

خطوة.. خطوة، أول خطوة خلوة، والله يوجد أخوان حدثوني، وأنا أثنيت عليهم والله، يعد المصعد خلوة، لا يصعد مع امرأة بمصعد، يصعد ستة طوابق، أو ينزل على الدرج، إذا دخل إلى غرفة حتى إذا أغلق الباب صار خلوة، النبي الكريم قال:

((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))

[الترمذي عن ابن عمر]

لم يقل: كافر، لم يقل: فاسق، رجل، أي رجل بامرأةٍ إلا كان الشيطان ثالثهما:

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهم عَنْهم خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَامِي فِيكُمْ فَقَالَ اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْرًا ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بَحْبَحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ لا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ))

[أحمد عن ابن عمر]

أنت في البيت بمفردك طرق الباب، صديقة زوجتك، أخت زوجتك، ماذا تفضلي؟ ما هذه المجاملات الشيطانية ؟ والله ليست هنا، دينك أغلى، ليس هذا مجاملة إطلاقاً ، فقال:

﴿ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة النور : 21]

إذاً هنا الأمر لا تتبعوا خطوات الشيطان.

ستر العورة واجب على كل إنسان :

الأمر الثاني:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

[سورة الأنعام:151]

إذاً العورة يجب سترها، فدروسنا القادمة مهمة جداً، ما هي العورة؟ حدودها بالنسبة للرجل إلى الرجل، للرجل إلى المرأة، من المرأة إلى المرأة، من المرأة إلى الرجل.

((حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ قَالَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ قُلْتُ وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ))

[الترمذي عن بهز بن حكيم]

عوراتنا للنساء، رجل مع رجل، لا يوجد أحد، الله أحق أن يستحيا منه.

عدم قبول عمل الإنسان إلا إذا كان خالصاً و صواباً :

هناك حديثٍ آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنا نهينا أن ترى عوراتنا))

[العلل لابن أبي حاتم عن عَنْ جبار بن صخر]

في الحديث نقطة دقيقة، بالصياغة، إنا نهينا أن ترى عوراتنا، فعل ترى ما إعرابه؟ فعل مضارع مستمر، وهناك شيء ثان بالمضارع، يأتي مبني للمجهول، أي أنت غير قاصد، لو إنسان كشف عورته طبعاً آثم، لكن وأنت آثمٌ أيضاً، إذا بدت وأنت لا تدري، إذاً يجب من الاحتياط.

((إنا نهينا أن ترى عوراتنا))

[العلل لابن أبي حاتم عن عَنْ جبار بن صخر]

هذا يذكرني بحديث:

((مَن كذب عليَّ مُتعمِّدا فليتبوأ مقعدَهُ من النار))

[أبو داود والترمذي عن علي بن أبي طالب]

((تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار))

[البخاري عن أبي هريرة]

يقول لك: والله أنا لست قاصداً، هذا الحديث قرأته وأتكلم به، نقول له: هناك حديث آخر:

((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ))

[الترمذي عن المغيرة بن شعبة]

لو لم تكن قاصداً، لذلك أهم شيء أن عملك لا يقبل عند الله إلا إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة.

((لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

وقوله: لا يفضي، أي لا يلصق جسده بجسده، أي أن تلامس البشرة البشرةَ بين رجلين، أو امرأتين، هذا منهي عنه في قول النبي عليه الصلاة والسلام.

ستر العورة من ثمرات الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر :

كان ﷺ يرى أن ستر العورة من ثمرات الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، ولذلك شَرَط ستر العورة لمن أراد الإيمان، قال عليه الصلاة والسلام، انظر أحياناً هذا الربط خطير جداً:

((عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلا بِمِئْزَرٍ))

[النسائي عن جابر]

ستر العورة، من صفات المؤمن، هذا يفهم منه، المعنى المخالف من تبذَّل في كشف عورته فكأنما نُزِعَ منه الإيمان.

أخرج عبد الرزاق بن جريج، قال: بلغني أن النبي ﷺ خرج فإذا بأجيرٍ له يغتسل عارياً– إذا الإنسان اغتسل بالأكمل، يغتسل بالثياب الداخلية، بعد ذلك يعصرها وينشرها، بعد ذلك يغسلها – فقال له: لا أراك تستحي من ربك، خذ إجارتك، لا حاجة لنا بك ، فهمكم كفاية.

((عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ))

[أحمد عن عبادة بن الصامت]

إطلاق البصر في الحرام إفساد لكل شيء :

بالمناسبة الحديث المشهور:

((كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

ولكن له تتمة، وتتمته:

((.... فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]



وفي روايةً لمسلم وأبي داود:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِكُلِّ ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا بِهَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ: وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ فَزِنَاهُمَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ فَزِنَاهُمَا الْمَشْيُ وَالْفَمُ يَزْنِي فَزِنَاهُ الْقُبَلُ))

[أبو داود عن عن أبي هريرة]

و:

((عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ وَالرِّجْلانِ تَزْنِيَانِ وَالْفَرْجُ يَزْنِي))

[أحمد عن ابن مسعود]

والإثم حوَّاز القلوب، وما من نظرةٍ إلا وللشيطان فيها مطمع، أي إن إبليس طلاعٌ رصَّاد، وما هو من فخوخه بأوثق لصيده في الأتقياء من النساء، فاتقوا الله واتقوا النساء.

هناك حديث معروف عندكم جميعاً فذكر إن الذكر ينفع المؤمنين :

((النظرة سهمٌ مسموم....))

[الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة]

لماذا قال النبي: سهمٌ مسموم؟ لأن السهم إذا أصاب الجسم أصاب موضعاً معيناً، لكن السهم المسموم يجري السم في كل أنحاء الجسم، وهذا كلام والله دقيق جداً، الإنسان إذا أطلق بصره في الحرام يفسد بيته، يفسد عمله، تفسد دراسته، تفسد تجارته، يسري السم في كلِّ نواحي حياته، لهذا:

((النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه))

[الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة]

غض البصر عبادة الإخلاص :

سؤال: الله عزَّ وجل أمرنا بخمس صلوات لماذا؟ كي نبقى مع الله دائماً، وكأن الصلوات الخمس – كما وصف النبي ذلك:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا))

[البخاري عن أبي هريرة]

شيء جميل، هل يوجد عندنا صلوات بين الصلوات، هنا السؤال؟

أردت إن أنت صليت الصبح، والظهر، وانطلقت لعملك، كل امرأة تراها وتغض بصرك عنها، سببٌ لإقبالك على الله، فكأنما المرأة التي في الطريق ثمرة غض بصرك عنها أنك تتصل بالله، فصارت الصلوات الخمس مناسبة للاتصال بالله، وكل غض بصرٍ عن امرأة أجنبيةٍ لا تحل لك مناسبةٌ أو حافزٌ أو مدعاةٌ لإقبالك على الله عزَّ وجل.

بالمناسبة ليس هناك قانون يأمر بغض البصر في الأرض كلها، لا في شرقها، ولا في غربها، والآن هناك دول الشمال ودول الجنوب، دول الشمال غنية جداً، دول الجنوب فقيرة جداً، فإذا قلنا: هذه من دول الشمال أي دولة غنية، لا في شرق الأرض، ولا في غربها، ولا في شمالها، ولا في جنوبها، دولة في قوانينها أمرٌ بغض البصر، وهذه حكمةٌ أرادها الله عزَّ وجل، إنك إن غضضت بصرك عن محارم الله لا ترجو ثواباً ولا عقاباً، لكن ترجو أن يرضى الله عنك، فكأن غض البصر عبادة الإخلاص، أي الإنسان يستطيع أن ينظر ولا أحد يحس به، يوجد مناسبات، جالس ببيتك والنافذة مفتوحة، البيت الذي أمامك انفتحت النافذة وطلت امرأة، لا يوجد إنسان بالأرض يكشفك إلا الله، لذلك يعلم خائنة الأعين، هو وحده يعلم خائنة الأعين، فإذا غضضت البصر هذا يعبر على أن الله يراك، إيمانك أن الله يراك، وطموحك أن يرضى الله عنك.

لكن بالمناسبة لا تظنوا الدين غض بصر فقط، هذا فهم، الدين مئة ألف بند، أحد هذه البنود غض البصر، لكن إذا الإنسان ظن الدين فقط غض البصر فهذا فهم خاطئ، غض بصره وأكل مالاً حراماً، غض بصره واغتاب الناس، غض بصره وكان ذو وجهين ولسانين، الدين مئة ألف بند، من باب التقريب أحد هذه البنود غضُّ البصر.

الآن النبي عليه الصلاة والسلام في حديثٍ من أحاديث الزواجر، يقول:

((لعن الله الناظر والمنظور إليه))

[البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن]

الناظر ملعون، والمنظور إليه ملعون، لولا أنها كشفت عورتها لما نظر الرجال إليها.

التساهل و التسيب يغري الآخرين بالحرام :

الآن أنا أقول لكم نقطة دقيقة تكلمت عنها الدرس الماضي، أن إنساناً سرق، كم إثمه عند الله؟ كبير جداً، والله الذي لا إله إلا هو الذي يهمل ماله ويغري الناس بأكله، الذي لا يضبط أموره، الذي لا يسجِّل، الذي لا يكتب العقد، الذي لا يفعل أشياء موثَّقة، بتساهله وتسييب أموره أغرى الناس بماله فأكلوه، والله الذي لا إله إلا هو ليس الذي أكل المال غصباً بأكثر إثماً من الذي أغراه به، العوام: يقولون المال الداشر يعلم الحرامي السرقة ، فكل إنسان يسيِّب أموره، ومن صفات الفاسق أن أمره سائباً، وكان أمره فرطاً، أموره سائبة، قال لي مرة رجل عنده

معمل مفروشات: ما كنت أربح أبيع كثيراً ولكن لا يوجد ربح، بعد ذلك اكتشف الأمر، يطلب مثلاً خمسة آلاف متر وجه كنبات، يحضرونهم بشاحنة، يقول لهم: ضعوهم بالمستودع، انتبه السائق أنه لم يعد هناك تسجيل، أول مرة وضعهم، ثاني مرة، أخذ توبين، المرة الثالثة أخذ خمسة أتواب، مرة سلب نصف الكمية، فإذا الإنسان لم يستلم البضاعة، وسجلها، قد يكون الموظف أميناً لكن عندما رآك لم تستلم منه بضاعة، و لم تعدها و لم تسأل عن الفاتورة، وأين المتراج، والله ممكن أن يأخذ توباً أو توبين، فهذا الذي قال له: ضعهم في المستودع ولم يستلمهم منه، هو الذي أغرى هذا الشاب المستقيم بالانحراف، إذاً في صحيفة كل إنسان يسيب ماله.

الآن قيسوا عليها المرأة المتبذلة، النساء الكاشفات المتبذلات، الكافرات، يتفلسفن بأنهن شريفات، لا يقدر إنسان أن يتكلم معهم كلمة، حينما خرجت هذه الفتاة بشكلٍ متبذِّل ليست شريفة، لأن لسان حالها يدعو الناس إلى النظر إليها.

((لعن الله الناظر والمنظور إليه))

[البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن]

سمعت قصة من يومين تركت في نفسي أثراً، امرأة على جانب من الجمال، زوجها ليس منضبطاً، وليس ملتزماً، أطلق لها العِنان، العَنان أم العِنان ؟ العِنان، والعَنان هو السحاب، إذاً العِنان بالكسر، العِنان الزمام، بلغت الأصوات عَنان السماء، أطلق زوجها لها العِنان، فانطلقت متبذلة، في ثيابها الفاضحة، وعاشت كما يقول الجهلة والفسَّاق، عاشت وقتها، عاشت شبابها، عاشت تألُّقها، الحبل مرخى، نحن عندنا اصطلاح بيننا الحبل مرخى، يشد الحبل، أصيبت بمرضٍ خطيرٍ في العضو التي كانت تُكثر من كشفه للأجانب، لن نسميه باسمه ترفعاً، هذا العضو صار يحتاج إلى عملية جراحية في دولة أجنبية، العملية كلفت مليوني ليرة وعادت من هذا البلد الأجنبي بوضع غير مريح، هي في البيت تمشي فجأةً وقعت، لم تستخدم العكازة فوقعت، فهذا العظم الذي صنِّع من الستانلس والمرمر أدخل في عظم الحرقف تماماً، في بلد أجنبي أجرت عملية كلفت العملية مليوني ليرة، خرج من مكانه، وبرز من اَللّحم، فبقيت أربع ساعات تصيح صياحاً، لم يبق في البناء كله إنسان إلا ونزل ليرى ماذا حدث، اتصلوا بالطبيب الأجنبي عن طريق التلكس، قال الطبيب: أنا لست مكلفاً بإجراء عملية ثانية، القصة طويلة جداً، ليس هذا هو المغزى، المغزى أنها بعد هذه العملية الجراحية، وهذه الآلام المبرِّحة، تابت إلى الله، وتحجبت، وتسترت، وبدأت تحفظ كتاب الله.

قالت هذه المرأة لصديقتها: والله الذي فعله الله بي قليل، العضو التي كانت تكثر من كشفه أمام الأجانب هو الذي تلف، وهو الذي أذاقها الله به آلاماً مبرِّحة، لذلك أنا أتمنى على كل إخوتنا أن هذا الحبل، انظر للحبل، لا تنظر إليه مرخياً، الحبل يشد بلحظة واحدة، فإذا أنت في قبضة الله عزَّ وجل.



أنا بصراحة أقول لكم، لا أقبل من أخ مؤمن يقول: والله يا أخي هكذا تريد زوجتي، ماذا أفعل لها؟ هذه والله صعبة أن أقبلها منه، أين جهدك؟ جعلك الله قيّماً على أهل بيتك أين إقناعك؟ أين إحسانك؟ أين حزمك؟ فأنا أتساهل بكل شيء إلا بهذا الموضوع، الرجل المومن أمور الدنيا يتساهل فيها، ليس شديداً، إلا في حدود الله إذا انتهكت فهو شديد جداً، في أمور أخرى ليس شديداً، أما إذا انتهكت حدود الله عزَّ وجل، فتقول: والله ماذا نفعل؟ والله لا يعجبونني. خير إن شاء الله، فقط لم يعجبوك، وأنت مؤمن!! يقول عليه الصلاة والسلام:

((كل عينٍ باكيةٌ يوم القيامة))

كل عينٍ :

((كل عينٍ باكيةٌ يوم القيامة إلا عيناً غضت عن محارم الله، وعيناً سهرت في سبيل الله، وعيناً خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله))

[حديث أبي بكر الأنباري عن أبي هريرة]

اسأل نفسك هذا السؤال ولو كان محرجاً: مرة بكيت خشوعاً لله عزَّ وجل؟ هل هناك مرة واحدة انهمرت الدموع إما شوقاً أو خوفاً أو رجاءً أو ندماً أو حباً؟ قال:

((كل عينٍ باكيةٌ يوم القيامة إلا عيناً غضت عن محارم الله وعيناً سهرت في سبيل الله، وعيناً خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله))

[حديث أبي بكر الأنباري عن أبي هريرة]

الإصرار على الصغائر يقلبها إلى كبائر :

هناك حديث آخر:

((ثلاثة لا ترى أعينهم النار، عينٌ حرست في سبيل الله، وعينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ كفَّت عن محارم الله))

[الطبراني في معجمه الكبير, عن معاوية بن حيدة]

الآن الناس، ماذا يظنون ؟ أن أخي الخمر– أعوذ بالله– أنا لا أشرب والله، أنا لا آكل مالاً حراماً، يحسب أنه عظيم من ترك الكبائر، من قال لك: إن الصغائر لا تنقلب إلى كبائر إذا أصررت عليها؟ من قال لك ذلك ؟ الصغائر إذا أصررت عليها تنقلب إلى كبائر، أبداً، اسمعوا الحديث روى الإمام أحمد:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا فَأَجَّجُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا))

[أحمد عن عبد الله بن مسعود]

مرة ضربت مثلاً تعرفونه أنتم: طريق أوتستراد مستقيم، عريض، ستون متراً يقول لك: شارع الستين بمكة، ما معنى شارع الستين؟ عرضه ستون متراً، طريق مستقيم طويل عرضه ستون متراً، على يمينه واد سحيق، أنت راكب سيارة، هذا المقود انحرف تسعين درجة فجأةً، هذه كبيرة، رأسا صرنا في الوادي ، أما إن انحرفت سنتمتراً على اليمين ولم تتراجع وثبتت السنتمتر، بعد مئتي متر بالوادي، أين النتيجة؟ بالوادي، إن كان الانحراف تسعين درجة، أو سنتمتراً واحداً أو درجة واحدة، لكن الدرجة لو استمرت بالوادي، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع استغفار))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس]

و

((.. إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ...))

[أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه]

مصافحة، وإطلاق بصر، وسماع غناء، واختلاط، صفرة واحدة، فقط هذه المشكلة، ويظن نفسه لم يفعل شيئاً. إن شاء الله الدرس القادم نتحدَّث في صلب الموضوع، عن عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، وبعدها عورة الرجل بالنسبة للمرأة، وبعدها عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، وأخيراً عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 – 5) : عورة الرجل بالنسبة للرجل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

التستر من صفات المؤمن الأساسية :

أيها الأخوة المؤمنون... بدأنا في الدرس الماضي في موضوعٍ، أظن أننا في حاجةٍ ماسةٍ إليه، ولا أنطلق في اختيار الموضوعات إلا من الواقع، حينما أرى عدم انضباط في موضوعٍ جاء به حكمٌ شرعيٌ واحد أجد نفسي مضطراً أن أبين الحكم الشرع في هذا الموضوع.



بادئ ذي بدء يمكن أن نقول: إن من لوازم المؤمن، المؤمن له صفات كثيرة لكن هناك صفات أساسية، قلت لكم في درس سابق: إن من صفات المؤمن الأساسية أن حياته مبنية على العطاء بينما حياة غير المؤمن مبنية على الأخذ، وهناك مشعرٌ دقيق ما الذي يسعدك أن تعطي أم أن تأخذ ؟ إن كان الذي يسعدك أن تعطي فأنت من أهل الآخرة، وإن كان يسعدك أن تأخذ فأنت من أهل الدنيا، لذلك أهل الإيمان، أهل الله، الذين ينتظرهم عطاءٌ كبير في الآخرة يسعدهم العطاء، بنوا حياتهم على العطاء، لا على الأخذ، لذلك كان الأنبياء في هذا الموضوع قمماً، كانوا قمماً، أعطوا ولم يأخذوا، أعطوا كل شيء، حياتهم كلها عطاء بعطاء.

من لوازم المؤمن، من سماته الأساسية، التستُر، بينما غير المؤمن التعري سمة أساسية، في بيته، في عمله، في لهوه، في مناسباته ، في نزهاته، حياة المؤمن حتى في بيته، حتى في شرفاته، غير المؤمن متبذِّل، لا يبالي ما ظهر من أعضائه، لذلك كان موضوع العورة موضوعاً دقيقاً جداً، إذاً يجب أن يبقى في ذهنكم أن من صفات المؤمن الأساسية التستُر.

لكن قد يسأل سائل: ما حكمة ذلك؟ قبل أن أخوض في الحكمة لي تعليقٌ دقيقٌ جداً، أنت كلما أردت أن تقدم على تنفيذ أمر لله عزَّ وجل، إن سألت عن الحكمة ما الذي يحصل؟ أن المؤمن يستوي مع غير المؤمن؟! المؤمن الصادق إذا ثبت له أن هذا أمر الله عزَّ وجل، وأن هذا أمر نبيه، بادر إلى التطبيق، من دون أن يسأل عن الحكمة لكن الله جلَّ جلاله يكرمه بعد التطبيق، وبعد الانصياع للأمر بكشف الحكمة.

تعليق التطبيق على الحكمة ليس من حق المؤمن إن جاءه أمرٌ من خالقه :

نحن في حياتنا دائماً يوجد شخص أعلم منا، وشخص في مستوانا، وشخص أدنى منا، لا يسأل عن الحكمة إلا المساوي، فإذا أمرت من هو أدنى منك بأمر، أنت لست مطالباً أن تبيّن له الحكمة، وإذا أمرت بأمر، أنت لا تستطيع أن تسأله عن الحكمة، لكن إذا قال لك زميلك، الذي من سنك، وفي مستواك، وفي مرتبتك، أو شريكك في العمل: افعل. تقول له: لماذا؟ كلمة لماذا من يقولها؟ المساوي، أما الأدنى فليس من حقه أن يسأل هذا السؤال، عليك أن تنفِّذ فقط، ومع ذلك فالله جلَّ جلاله في آيات كثيرة تحبباً إلينا وتكريماً لنا، ورفعاً لشأننا أعطانا الأمر مع حكمته، أعطى الأمر مع حكمته، إذاً أنا كمؤمن مهمتي أن أتحقق من أمر الله عزَّ وجل، فإن ثبت لي أن هذا أمر الله بنص الكتاب، وبنص السنة، ما عليّ إلا أن أبادر إلى التطبيق، أما إن سألت عن الحكمة فهذا من قبيل أنني إذا عرفت الحكمة ربما نقلت هذا الأمر للناس، فاستطعت أن أقنعهم بتطبيق هذا الشرع، لا من باب أنني لا أطبِّق حتى أعرف الحكمة، هذا ليس وارداً إطلاقاً.

لكن أحياناً وهذا من باب التمثيل، أحياناً الأب في ذهنه أشياء كثيرة، عندما ينتظر ابنه في المستقبل، يقول له: يا بني ادرس، ابنه صغير في الصف الابتدائي، في الصف الخامس، كيف سيقنعه أن الحياة سوف تكون معقدة جداً؟ ولا مكان إلا للمتعلم، والمتعلم يملك رأس مال ثابت، هناك تعليلات كثيرة، قد لا يملك فهمها هذا الطفل، لذلك قد يعطيه حكمةً في مستوى سنه، يقول له يا بني ادرس، فإن درست فلك مني جائزة، الأب في ذهنه أهداف كبيرة جداً وبعيدة جداً، يريد من ابنه أن يكون إنساناً متميزاً، متفوقاً، متكيفاً مع الحياة في مستقبلها.

فنحن قبل أن نبحث عن الحكمة، الحكمة إن سألتها تأدباً من أجل أن تعلم الآخرين لا مانع، لكن ليس من حقك كمؤمن جاءك أمرٌ من خالقك أن تعلِّق التطبيق على الحكمة، هذا ليس من صفات المؤمن، وأن فعلت هذا استوى المؤمن وغير المؤمن.

أوامر الشرع ليست حداً لحرية الإنسان ولكنها ضمان لسلامته :

الشيء الثاني، هذا الشيء قادني إلى مثل، ضربته من فترة طويلة، إذا أنت عندك محطة وقود، ويوجد فيها مكان للإعلان، كم إعلان ممكن أن تعلق بهذا المكان؟ ويوجد عندك فراغ أبيض في مدخل المحطة، يصلح لإعلان، أو لتنبيه، أو لتحذير، ممكن أن تقول: يرجى أن تقف بالدور، ممكن، ممكن أن تقول: حافظ على نظافة المحطة، لكن يجب أن تنتقي أخطر شيء في هذه المحطة، أطفئ المحرِّك، إذا كان هناك بخار بنزين، أو ممنوع التدخين مثلاً، تختار إعلاناً مصيرياً، ممكن أن تكتب مئة إعلان، لا يقدِّم ولا يؤخر، فأنت يجب أن تؤمن أن الشيء إذا ذكره الله في القرآن فهو خطيرٌ جداً، القرآن سكت عن مليون قضية، القرآن سكت عن مئة مليون قضية، الموضوعات التي عالجها، التي بيَّن فيها حُكماً، التي أمر فيها أو نهى فيها، يجب أن تؤمن أن هذه موضوعات خطيرة بل هي موضوعاتٌ مصيرية، بل ممكن أن يهلك الإنسان إذا خالفها، كما أنه من الممكن أن أكتب في هذا المكان ألف إعلان وإعلان، وألف تنبيه وتنبيه، وألف تحذير وتحذير، لكن أخطر تحذير أن هذه المحطة لو جاءتها شرارة لالتهبت كلها، إذاً ممنوع التدخين أطفئ المحرك، هذا إعلان مصيري.

إذاً أنت أمام شرع، فيه أمر، و نهي، و سنة، و شيء سكت عنه الشرع، الذي أمر به تتوقف عليه سعادتك، والذي نهى عنه أساسه الهلاك، هذا الإيمان الذي أمر به تتوقف عليه سعادتك، والذي نهى عنه طريق الهلاك في الدنيا والآخرة، والذي جاء به النبي من سنةٍ عليه الصلاة والسلام هذا من قبيل تكميل الفرض، والذي نهى عنه النبي بمستوى الكراهية هذا من قبيل الابتعاد عن المحرَّم، أما الذي سكت عنه الشرع، ففي الذي سكت عنه الشرع حكمة بالغة بالغة لا تقل عن حكمة الذي أمر به أو نهى عنه.

الأوامر والنواهي الإلهية لمصلحةَ الإنسان وليست للحد من حريته

النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث صحيحة نهانا عن كشف العورة، والقرآن الكريم فيه آيات كثيرة جداً. إذاً ربما كان كشف العورة طريقاً إلى الزنا، وربما كان الزنا طريقا للبعد عن الله عزَّ وجل، وربما كان البعد عن الله عزَّ وجل هلاكاً محققاً للإنسان.

إذاً عندما يشير القرآن الكريم بآيات كثيرة ذكرتها في الدرس الماضي إلى وجوب ستر العورة، فهذا شيء مهلك، كشف العورة مهلك، وإذا أردت على هذا برهاناً الذي يجري في مجتمعات أهل الدنيا، في المسابح، في سواحل البحر، في المتنزهات، في الفنادق، في الحفلات، في المناسبات التي يخرج بها الإنسان عن حدود الانضباط، ماذا يجري هناك ؟

أنا أعرف أخاً كريماً ذكر لي أسرتين ذهبتا إلى الساحل، نزهة في الصيف، يبدو من تكشُّف النساء أمام الرجال، عادت الأسرتان إلى الشام، أحد الأزواج طلَّق زوجته، وتزوج التي كانت معه في النزهة، وعندها سبعة أولاد، هذا كشف العورة، فليست قضية سهلة، الدين كله عورات، ووضوء، وحيض، ونفاس يا أخي، هذا الدين، الدين يعالج أخطر قضية، يجب أن تؤمن أيها الأخ الكريم أن أوامر الشرع ليست حداً لحريتك، ولكنها ضماناتٌ لسلامتك، تماماً كما لو كنت في حقل، ورأيت لوحةً بلونٍ صارخ: ممنوع الاقتراب، حقل ألغام، هل تشعر بحقد على من وضع هذه اللوحة ؟ لا والله، أشعر بامتنان هل هذه اللوحة تحد من حريتي؟ لا والله، تضمن لي سلامتي ، إن فهمت النواهي في الدين كهذه اللوحة فأنت مؤمن، أنت صرت فقيهاً، أما إن رأيت أوامر الدين ونواهيه عبئاً، يا أخي الدين ثقيل، الإنسان من دون تدين يقول لك: أريح، يتحرَّك حركة طبيعية، هذه حرام، وهذه حرام، وهنا غض بصرك، وهنا ممنوع أن تمشي، طبعاً هذا ضيق الأفق.

أما حينما نرى أن كلام الله عزَّ وجل، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، تشير إلى موضوع، يجب أن تؤمن بادئ ذي بدء أن هذا الموضوع خطير، أن هذا الموضوع يمكن أن ينتهي إلى هلاك.

حالات الانحراف والزنا أساسها كشف العورات :

لا أريد أن أذكر لكم قصصاً تناهت إلى سمعي بحكم عملي في الدعوة إلى الله لا تصدق، مثل بسيط أذكره لكم، إنسان ساكن في الشام، بحكم عمله له أخوان من خارج دمشق، فسكنا معه ليدرسا في دمشق، طبعاً في البيت زوجة أخيهما يقول أحد هذين الأخين الزائرين لأستاذٍ له هو زميلٌ لي، قال له: يا أستاذ لأخي ثلاثة أولاد، منه

ولد، ومني ولد، ومن أخي الثاني ولد، إذا إنسان يريد أن يقول: لا تعقدوها، لا تدققوا، هذا الشرع، أنا عندي مثل هذه القصة مئات، كل شيء حرمه الله، كل شيء نهى الله عنه، معنى هذا هناك أخطار كبيرة جداً ولا أريد أن أدخل في تفاصيل، لا يليق بهذا المجلس أن تذكر، لكن الشيء الذي حرَّمه الله يجب أن تعلم أن الذي حرم هو الخالق، أن الذي حرم هو الصانع، أن الذي حرم هو الخبير، قال تعالى:



﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: 19]

فيجب أن تؤمن أن أكثر حالات الانحراف، والزنا، وما شاكل الزنا من انحرافاتٍ خلقية أساسها كشف العورات، أساسها التبذل، أساسها عدم التقيُّد بالشرع.

عظمة هذا الذين أنه إحاطة من أول الطريق، الصخرة وضعها في مكانٍ أمين لكن بعد أن تنطلق في المنحدر، ليبقى هذا المثل في ذهنك، بعد أن تنطلق في المنحدر، لا بد من أن تصل إلى قاع الوادي، إذا تساهلنا في البدايات، نصل إلى النهايات.

إذاً أول فكرة: المؤمن من سماته الأساسية التستر في بيته، في شرفات بيته، في ثيابه في البيت، في ثيابه في النزهات، حتى إذا أراد أن يسبح له ثياب خاصة، هذا مؤمن، من نوع ثياب السباحة هذا مؤمن، هذا مؤمن يسبح يستر عورته، فالتكشف من صفات غير المؤمن، الحقيقة أن التكشف عودة للجاهلية، عودة إلى مستوى البهائم، وإن من البهائم أشدّ حياءً من الإنسان، معروف إلا الخنزير طبعاً، يقول لك: فلان مخنزر، أي يشبه في أخلاقه أخلاق الخنزير.

عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل :

الآن درسنا اليوم.. عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، أولاً: تأكد أنك إذا طبقت السنّة في البدايات ما وصلّت إلى مناطق خطرة أبداً، كل منطقة خطرة لها بداية، الإسلام أغلق عليك الطريق منذ البداية، الإنسان غير الدين، البدايات مفتوحة يجد الباب مفتوحاً يدخل فيه، بعد هذا يجد الطريق زلقاً، لا يتمكن أن يقف، إلى أن يصل إلى آخر الطريق، إذاً الإسلام أغلق الأخطار من بداياتها التي تبدو كأنها طبيعية، من هنا أغلقها.

عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، قال: إما أن يكون الرجل قريباً كالأب، والابن، والأخ، وابن الأخ، وابن الأخت، والعم، والخال، وغيرهم، هذه قرابات، وإما أن يكون أجنبياً، ليس بقريب، على كل موضوع العورة في هذا يستوي فيه القريب وغير القريب، ينظر الرجل من الرجل سواء أكان قريباً أو أجنبياً، ومن غلامٍ بلغ حدَّ الشهوة بأن صار مراهقاً، سوى ما بين سرته إلى ما تحت الركبة، إن تيقَّن عدم الشهوة وإلا فلا، هذا الحكم الأول، أي رجل لرجل، أب لابن، ابن لأب، أخ لأخ، أخ لأبن أخ، أخ لابن أخت، ابن أخت لعم، لخال، هذه هي القرابة، أو شخص غريب، غريب أو قريب لا يحلُّ لك أن تنظر إلى رجلٍ مثلك في ما دون السرة وما فوق الركبة. إذاً السباحة مع أناس يرتدون القصير، لو أنك ترتدي الطويل، هناك مخالفة شرعية، أنت ناظر، لو نظر إليك أحدٌ لا يرى منك شيئاً، أنت لابس سروالاً طويلاً، لكن الذي يرتدي القصير ما تفعل به ؟

النبي عليه الصلاة والسلام فيما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم:

((ما فوق الركبتين من العورة، وما أسفل من السرتين من العورة))

[ورد في الأثر]

ادخل فرك لي ظهري، لو كان ابن لأبيه أو أب لابنه، أو أخ لأخيه، لا يجوز أن يرى الرجل من الرجل، ولو كان غلاماً بلغ حدّ الشهوة، معنى بلغ بالمناسبة يوجد عندنا حالتان، إما سناً، أو علامةً، السن خمس عشرة، لو أنه بلغ أي خرج منه ماء الرجال في الثانية عشرة، أيهما أقل؟ إما على أساس السن، أو على أساس العلامة، إذاً من السرة إلى ما تحت الركبة، من العورة، فالإنسان ينتبه.

حديث آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن ما تحت السرة إلى الركبة من العورة))

[ورد في الأثر]

حديث ثالث:

((ما بين السرة والركبة عورة))

[أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

الفخذ من العورة، لذلك قال عليه الصلاة السلام:

((عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لا تُبْرِزْ فَخِذَكَ وَلا تَنْظُرَنَّ إِلَى فَخِذِ حَيٍّ وَلا مَيِّتٍ))

[أبو داود عن علي]

هذا توجيه.

((عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ عَلَى مَعْمَرٍ وَفَخِذَاهُ مَكْشُوفَتَانِ، فَقَالَ: يَا مَعْمَرُ غَطِّ فَخِذَيْكَ فَإِنَّ الْفَخِذَيْنِ عَوْرَةٌ))

[أحمد عن محمد بن جحش]

مرّ عليه الصلاة والسلام برجل وفخذه مكشوفة، قال:

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَفَخِذُهُ خَارِجَةٌ فَقَالَ غَطِّ فَخِذَكَ فَإِنَّ فَخِذَ الرَّجُلِ مِنْ عَوْرَتِهِ))

[أحمد عن ابن عباس]

ثلاثة أحاديث ما بين السرة إلى الركبة عورة.

حديثٌ رابع:

((أَخْبَرَنِي ابْنُ جَرْهَدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ كَاشِفٌ عَنْ فَخِذِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَطِّ فَخِذَكَ فَإِنَّهَا مِنَ الْعَوْرَةِ))

[الترمذي عن ابن جرهد]

حديث خامس:

((الركبة من العورة))

[ورد في الأثر]

كاشف الركبة ينكر عليه برفق وكاشف الفخذ يعنَّف وكاشف السوأة يؤدَّب :

اليوم درسنا الرجل للرجل فقط، هذا الموضوع يمس الحمام، مسبح، خلع الثياب، أثناء ارتداء الثياب، الاغتسال في البيت، خارج البيت، في الرياضة، في الركض، في السباحة، لا تنظر ولا تدع أحداً ينظر إليك، ولا تُطع أحداً في معصية ربك، هذا الطريق من أوله.

لكن الطبيب وحده له أن ينظر إلى مكانٍ محرمٍ إظهاره، والطبيب المسلم ينظر بالقدر الذي يُسْمَح.


الطبيب وحده له أن ينظر إلى مكان محرم إظهاره

طبعاً الركبة حرمة إظهارها أخف من حرمة إظهار الفخذ، وحرمة الفخذ أقل من إظهار السوأتين، أيضاً يوجد تدرُّج، لكن العورة من السرة وحتى الركبة. العلماء قالوا: كاشف الركبة ينكر عليه برفق، وكاشف الفخذ يعنَّف، وكاشف السوأة يؤدَّب، أحدهم يلفت نظره برفق، والثاني يُعَنَّف، والثالث يؤدَّب، أي قد يضرب. وما يباح النظر إليه يباح مسه، إذا إنسان رجل أمسكته من يده، المكان الذي يباح النظر إليه يباح

مسه، والمكان الذي لا يباح النظر إليه لا يباح مسه، لا فوق الثياب ولا تحت الثياب، يكره تحريماً للرجل أن يُمَكِّن رجلاً من تنظيفه بالكيس والليفة ما بين سرته وركبته، يكرهِ تحريماً، هذه أحكام الشرع في هذا الموضوع. هناك قول للإمام مالك يغني أحياناً، يحدث تعلُّقاً بحكم دون أن يفقه الناس حقيقة الحكم، يعتقد بعضهم أن الإمام مالك أجاز النظر إلى الفخذ، حقيقة الأمر أن الإمام مالك من بين العلماء قسَّم العورة إلى عورة مغلَّظة، وعورة مخففة، ويرى الإمام مالك أن من كشف عورته المغلَّظة عليه أن يعيد الصلاة والتي قبلها، أي أية صلاةٍ صلاَّها وعورته المغلَّظة مكشوفة عليه أن يعيدها، أما إذا كشف عورته المخففة وهي الركبة وجزء من الفخذ، فهذا يعيد الصلاة الوقتية فقط.

إذاً الإمام مالك ما خرج عن إجماع العلماء، العلماء بأكملهم وجميعهم قالوا: إن الفخذ عورة، لكن الإمام مالك فصَّل بين عورةٍ مغلظةٍ وعورةٍ مخففة، العورة المغلظة لو كشفت عليه أن يعيد كل صلاةٍ صلاَّها وقد كشف عورته المغلظة، بالمناسبة كاشف العورة المغلظة يستوي في كشفها إن كان عامداً، أو جاهلاً، أو ناسياً، عليه أن يعيد الصلاة كلَّها، إن كان جاهلاً، أو ناسياً، أو عامداً، في أحكام الفقه سواء.

فالإنسان عندما تكون حياته بهذه الانضباط، يعيش في برّ الأمان، يعيش في راحة نفسية، أما إذا فتح على نفسه هذه الأبواب فربما ساقته إلى ما لا تحمد عقباه.

حكم النظر :

حكم النظر، يوجد عندنا نقطة دقيقة إنه إذا كان هناك فتنة، أيُّ شيءٍ يجب ستره، أي نأخذ مئة شخص، التسعون شخصاً من المئة أسوياء، طبيعيون، أما إذا كان بالمئة عشرة شاذين، فلا ينبغي أن يرى من الرجل لا ما بين السرة إلى الركبة، ولا فوق ولا تحت، إذا كان هناك إنسان مريض، شاذ، منحرف الأخلاق، تخشى معه الفتنة، كلُّ شيءٍ يصبح عورةً، هناك حالات، أشخاص غير طبيعين مثلُ هؤلاء هذه الأحكام ليست لهم، هذه الأحكام للأسوياء.



إذاً موضوعنا للأسوياء، لعامة المؤمنين، أما أحياناً تكون بعصر من العصور هذه النواحي آخذة حيّزاً كبيراً بحياة الناس، طبيعة الحياة الحديثة، طبيعة الإعلانات، طبيعة الطرقات، تعمل مشاعر استثنائية، أي أهل الدنيا، أهل الكفر، والفجور، استخدموا المرأة في كلِّ شيء حتى في الإعلان عن أتفه البضاعات، علبة بويا عليها صورة امرأة هكذا، الإعلان عن كل شيء أساسه المرأة وكأنها سلعة، لذلك في هذا العصر عصر تيقُّظ الشهوات، عصر الفتن، هذا العصر من لوازمه أن هذه النواحي تبرز في حياة الإنسان، لذلك الفتنة الآن قائمة، كل شيء سمح به العلماء في الأيام الطبيعية مع الأشخاص الأسوياء، الآن هناك حرج، فلذلك موضوع الفتنة موضوعٌ يلغي كلَّ هذه الأحكام ويجعلك تنظر نظرةً أخرى للأمور. ما هي الفتنة بعد الضبط؟ لو أن إنساناً عنده ابن صبيح الوجه، كيف الأب ينظر لابنه؟ نظرة كلُّها براءة، كلُّها اطمئنان، أي إذا نظرت إلى وجهٍ صبيحٍ كنظرة الأب لابنه هذا حال طبيعي، إلى وجه صبيٍ مثلاً، أو غلامٍ، أما إذا تمنَّى الإنسان أن يلمسه، معنى ذلك هناك قضية شهوة، ففي هذه الحالة ينبغي أن يأخذ الأمر أحكاماً أُخرى، إذاً لو تحرَّك القلب، وتحرَّكت الشهوة، وصار هناك رغبة، عندئذٍ هذه هي الفتنة، عندئذٍ لا يجوز لا أن تنظر، ولا أن تستمع، ولا أن تمسك، ولا أن تلمس إطلاقاً.

أحياناً تنظر إلى وردة، أحياناً تنظر إلى لوحة فنية، منظر طبيعي، تستمتع بجماله هذا الحد الطبيعي، لكن جمال الإنسان له مشكلة أخرى، ليس كجمال وردة، ولا كجمال شجرة، ولا كجمال غزال مثلاً، الأشياء التي خلقها الله هو الجميل، وخلق الجمال، لكن الشهوة التي أودعها الله في الإنسان، لا يكتفي الإنسان بالنظر إلى الجمال، بل يتحرك التحرك هو الفتنة، هو الفساد، هذا الذي قاله العلماء: عند أمن الفتنة.

لو فرضنا.. الآن نتكلم عن الرجل للرجل فقط، وجه صبيح إذا نظرت إليه وكأنه ابنك وضع طبيعي، أما إذا كان هناك مشكلة، هذا الذي نهى عنه الفقهاء فالحكم معروف.

وعدم الشهوة، كما جاء في التعريف الفقهي ألا يتحرك قلبه إلى شيء من ذلك بمنزلة، من نظر إلى ابنه الصبيح الوجه بالضبط، هذا هو المقياس. أمْنُ ميل النفس إلى القرب منه، أو المس له، إذا هناك أمن، عدم الرغبة بالقرب، أو المس، الوضع طبيعي، كما لو أنه ابنك، هذا حكم النظر إلى وجه الرجل إذا كان شاباً.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((الإثم حوَّاز القلوب، وما من نظرةٍ إلا وللشيطان فيها مطمع))

[شعب الإيمان عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه]

عورة الصغير :

أنا أسأل أحياناً كثيرة عن عورة الصغير، العلماء قالوا: دون أربع سنوات عورته هي السوأة فقط، لكن بعد الأربع سنوات تزداد العورة فيما حول السوأتين، بعد العشر سنوات تصبح له عورة، يجب غض البصر عنها، أما إذا بلغ، دخل في حكم الرجال، كما بينا قبل قليل.

هناك موضوع أن الغلام ينبغي أن يمنع من الدخول على النساء، متى؟ الآية تقول:

﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾

[سورة النور: 31]

أي الطفل إذا دخل على النساء، ولا يفرّق أبداً بين الحسناء والدميمة، لا يعرف ما عندهن من فتنة، إذا كان في هذا المستوى فهو دون سن البلوغ، أما إذا بدأ يفرّق فلا ينبغي أن يسمح له بالدخول على النساء.

المشكلة أن مع تقدم الحضارة المادية التي جاءتنا من الغرب، ومع هذه الأجهزة التي لا ترضي الله عزَّ وجل، والتي تعرض فيها النساء كاسيات عاريات، هذه تنمِّي عند الصغار الميل الجنسي، تنميه في وقت مبكر، لذلك ما يصح قبل مئة عام لا يصح الآن، هذا الطفل الصغير الصغير تظنه بريئاً، وهو ليس ببريء، وهو يفهم كالكبار، إذاً الحكم الآن: يجب أن يأخذ منحىً آخر، أن الأحكام تدور مع الأزمان، ومع تغير البيئات والحالات، والعياذ بالله الآن الوضع، البرامج الفنية، وأجهزة اللهو في البيوت، هذا يسبب فتناً كبيرة جداً، حتى أن الصغير أصبح في

إدراكه لهذه الموضوعات كالكبير، فلذلك الإنسان كلما ابتعد عن هذه الملهيات، وكلما أزالها من بيته، كان في بحبوحةٍ، وفي طمأنينةٍ كبيرة، لأنه شيء فيه فساد ثابت.

حكم الدخول على النساء :

النّبي عليه الصلاة والسلام في حديثٍ صحيح يقول:

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

[البخاري عن عقبة بن عامر]

أخطر شيء القريبات، بحكم الاعتياد، والعلاقات الاجتماعية، هذه امرأة أخي، وهذه كنة عمي، هذه الكلمات هي ينظر إليها، ويتحادث معها، ويتملىَّ من محاسنها، وقد يمازحها، وقد يقع الشيء الخطير بحكم القرابة، والدخول، والخروج، والزيارات، والطُمأنينة الساذجة من الأهل، هذا كلُّه ينبغي أن يكون في حساب المؤمنين.



أقول لكم كلاماً: إذا اكتشف الرجل في بيته مشكلة خطيرة، بين ابنته وبين شاب، أو بين ابنه وبين شابة، أي شيء لا يحتمل، لا تحتمل أعصابه هذا الخبر، والمفرط أولى بالخسارة، وإذا كان لا يعلم فالمصيبة أكبر بكثير، مصيبة كبيرة جداً، فلذلك أخذ الاحتياط هو الأحزم، الحزم سوء الظن، سوء الظن عصمة، احترس من الناس بسوء الظن، الشرع أقوى، والتقوى أقوى، أي قضية مخالفة للسنة ابتعد عنها، ولو بدوت أمام الناس الجهلاء متعصباً، ومتزمتاً، لماذا قال عليه الصلاة والسلام:

((مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَإِذَا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ أَوْ أَجِيرَهُ فَلا يَنْظُرَنَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَوْرَتِهِ فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ عَوْرَتِهِ))

[أحمد عن عمرو بن شعيب]

لكي لا يقع الفساد، فرقوا بينهم في المضاجع، وماذا قال الله عزَّ وجل؟

﴿ لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾

[سورة النور: 58]

لماذا الإذن؟ قال:

((إنها أمي يا رسول الله !! قال: أتحب أن تراها عُريانة))

[ورد في الأثر]

الموضوع فيه حرج قليلاً، والتفاصيل فيه محرجة، إلا أن الحق هكذا، أيهما أشد عاراً أن نخوض في هذه الموضوعات أو أن نجهلها؟ أن نخوض فيها، هذا دين شرع، منهج، أما أن نجهلها فهذا أشد عاراً بالإنسان، أن يجهل حقيقيةً مصيريةً خطيرةً في حياته، فلذلك الكلمة الشهيرة: التقوى أقوى، أقوى لعلاقاتك، أقوى لمستقبلك، أقوى لطهارتك، أقوى لنزاهاتك، أقوى لعفتك، الله عزَّ وجل قال:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[سورة الأحزاب: 53]

غض البصر أطهر، غض البصر، الخلوة، مثلاً، التبذل، الآن أكثر الناس عندهم وهم أن هذه أختي، هذه أمي، هذه بنت أخي، هذه بنت أختي، هذه عمتي، هذه خالتي، هذه من المحارم، لا يجوز، أن تراهُنَّ إلا بملابس الخدمة، وثياب الخدمة كما نصَّ عليها الفقهاء ثيابٌ تستر الصدر، والعضُد، وتحت الركبة، هذه هي ثياب الخدمة، أما إذا كان هناك ثياب فيها تبذل، ولو كان أختك، لو كان ابنتك، ولو كان عمتك، ولو كان خالتك، ولو كان والدتك، ثياب التبذل هذه لا يجوز أن يراها المحارم، لكن نحن عندنا كله يجوز، هذا لا يجوز، الزوجة لها

حكم، والمحارم لهن حكم، أما زوجة الابن فلا يجوز الخلوة بها، وزوجة الأب لا يجوز الخلوة بها، هذا في الفقه الحنفي، وفي حاشية ابن عابدين، لا يجوز الخلوة بالصهرة الشابة. وسمعت قصصاً كثيرة عن حالاتٍ يُندى لها الجبين، بين الابن وزوجة الأب، وبين الأب وزوجة الابن.

الابتعاد عن الخلوة بالنساء :

الصنف الثالث، لا يجوز الخلوة بهن، أول صنف: حكم خاص، الزوجة، و المحارم، لا يجوز أن تنظر إليهن إلا بثياب الخدمة، الثياب المتبذلة لا تجوز، الصنف الثالث: لا يجوز أن تخلو بهن، هذا حكم الفقهاء، والسفر قالوا:

خلوة، السفر خلوة، وأي شيءٍ نهى الله عنه، هناك حالاتٌ كثيرةٌ جداً، والله سمعتها، وصلتني، وما زادتني إلا إيماناً بعظمة هذا الشرع، إن كل مشكلة أساسها مخالفة، وأجمل شيء بالحياة أن الإنسان يعيش عمراً مديداً، لا يوجد عنده ببيته مشكلة أبداً، لا يوجد انحراف، لا يوجد قصة يستحي أن يسمعها، لا يوجد قصة يُصْعق لو سمعها، شيء صعب جداً أن الإنسان يكتشف بوقت متأخر أن هناك خللاً ببيته، فيما بين أولاده، فيما بين أقاربه، هذا الشيء أساسه التقصير في تطبيق الشرع، كلُّ هذه المشكلات الخطيرة التي تهُدُّ الإنسان هداً أساسها تقصيرٌ في تطبيق الشرع، لأن النظرة، النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، طبعاً عندك الناظر والمنظور، أحياناً الخطأ من الناظر، وأحياناً الخطأ من المنظور، لو أن المنظور كان متستراً، لو أنه كان ملتزماً، لو أنه طبَّق السنة، لما حدث شيء، مخالفة المنظور وضعف الناظر سببت هذه الفتنة الكبيرة.

إذاً الموضوع بشكل مجمل، عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، ومن الرجال من كان شاباً بلغ الحلم، ما بين السرة إلى الركبة، والركبة من العورة، أما إذا كان هناك فتنة فلا يجوز، ما أبيح من قِبَل الفقهاء، كلّ أحكام الفقهاء عند أمن الفتنة، فإن لم تؤمن فلا ينبغي أن نسمح. أحياناً، يقول لك: أخ وأخته، لكن لو شعر الأب أن هذا الابن له نظرات غير طبيعية، ودخل على أخته في غرفتها مرَّات عديدة، إذا شعر الأب أو الأم شعرت فهذا صار حكماً آخر، هناك حكم آخر، هذه الأحكام عند أمن الفتنة، عند الأشخاص الأسوياء، عند الأشخاص العاديين. طبعاً الله عزَّ وجل منح الأشخاص جمالاً، أما إذا رأيت شاباً وجهه صبوح وكأنه ابنك، وهذا شيء تعرفه أنت، عادي، وضع طبيعي، معنى ذلك أنت مع الأسوياء، مع الطبيعين، مع من تنطبق عليهم أحكام الشرع، أما إذا كان مع النظرة تحريك للقلب، أو رغبة بالمس، فهذه فتنة خطيرة جداً، عندئذٍ حتى لو كان شاباً، هو عورةٌ من فرقه إلى

قدمه، كما قال العلماء، الشاب الوسيم إن لم تؤمن الفتنة عورةٌ من فرقه إلى قدمه، أصبح عورة كالمرأة تماماً، أما إذا كان الإنسان سوياً والوضع طبيعياً وما شعر بشيء، فهذا وضع أيضاً طبيعي.

والإنسان كلَّما طبق هذه الأحكام شعر بما يسمى بالطُهر، شعر بالعفة، وضمن أن حدثاً خطيراً لم يقع في بيته، وضمن أن هذا البيت نظيف بكلِّ ما في الكلمة من معنى فأرجو الله جلَّ جلاله أن ننتفع بهذه الأحكام.

غض البصر عن النساء :

وردتني أوراق: يقول أحد الأخوة الأكارم: أعمل في محل لبيع المرطبات، والمحل يعجُّ بالنساء ولكنني أبيعهن، ولا أنظر إليهن، ومعلمي ينبهني، ويطلب إلي أن أنظر إليهن، فهل في وضعي هذا خطأ؟ هذا هو عين الصواب:

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

[سورة العلق :19]

هكذا قال الله عزَّ وجل، طبعاً غض البصر عن النساء أثناء العمل هذا عمل عظيم، وهذا فيه جهد كبير، وهذا الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

((القابض على دينه كالقابض على الجمر أجره كأجر سبعين))

[الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

لكن ما من غض بصرٍ عن امرأةٍ أجنبيةٍ إلا عوَّضك الله سعادةً ولذةً تجد حلاوتها في قلبك إلى يوم تلقاه..

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ *فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ ﴾

[سورة المعارج: 29-31]

أي شيءٍ خلاف الذي ذكر دخل في وراء ذلك:

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

[سورة المعارج: 31]

فالذي سألني هذا السؤال، جاءه الجواب:

﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

[سورة المعارج: 31]

تطبيق عملي: الرياضة، لا بدَّ لها من ثياب طويلة، وطبعاً مسموح، إنسان عنده ابن، لا يأخذ له بنطالاً قصيراً، يأخذ له بدلة رياضة، بالمدرسة هذه هي السنة، السباحة، تحتاج إلى بنطال طويل، بالحمام لا ينبغي أن نجمع الأولاد بالحمام دفعةً واحدة، هذا خلاف السنة، أنتم خذوا تطبيقات لأنفسكم رأساً، أثناء خلع الثياب، كل إنسان بمفرده يخلع ثيابه، يخلع الابن أمام أبيه، والأب أمام ابنه لا يجوز، علِّم الأولاد أن هذا الشيء ممنوع، خلع الثياب، الحمام، السباحة، الرياضة، هذه كلُّها يجب أن تطبق، أنت ومن حولك، ومن يلوذ بك، ومن تليه، ومن تتولى أمره.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 5) : عورة الرجل بالنسبة للمرأة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ماعلمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

شهوتا البطن و الفرج :

أيها الأخوة المؤمنون... بدأنا في الدرس الماضي، بموضوع العورة في الإسلام، وقد قدمت للموضوع بمقدمةٍ مهمةٍ جداً، لأنها تُلقي ضوءاً على ذلك الموضوع، أُحب في هذا الدرس أن أُشير إليها، وأن أُقدم مقدمةً ثانية، تُلقي ضوءاً إن شاء الله كاشفاً على ذلك الموضوع الحساس.

أولاً: الله جلَّ جلاله، أودع في الإنسان شهوتين، أو شهواتٍ كثيرة، لكن أبرز هذه الشهوات شهوة البطن، وشهوة الفرج.



شهوة البطن من أجل الحفاظ على وجود الإنسان، وشهوة الفرج من أجل الحفاظ على نوعه، وهناك حاجاتٌ أُخرى لا مجال إلى ذكرها في هذا الدرس. خالقُنا وربنا نظَّم لنا نظاماً، شرَّع لنا شرعاً، وضع لنا منهجاً، شهوة البطن تختلفُ عن شهوة الفرج، شهوة البطن هناك منبهات نوبية، مهما كنت مشغولاً، مهما كنت غارقاً في عملك، تُحسّ بالجوع ، تحس أن المعدة قد فرغت من الطعام، وأنه لا بدّ من أن تأكل، ولولا الإحساس بالجوع لهلك الناس، أي السيارة يوجد بها عدادات، لو أن الإنسان غافل عن العدادات، وارتفعت الحرارة إلى أعلى درجة، يحترق المُحرك، ويُكلفك العمل مبلغاً كبيراً جداً، الآن يوجد عدادات سمعية، لو أن هناك

ضجيجاً كبيراً ولم تنتبه لهذا التنبيه السمعي هناك التنبيه الصوتي، لكن الإحساس بالجوع ما طبيعته؟ يا ترى عداد مرئي أم سمعي؟ تُحس أن كل كيانك يحتاج إلى الطعام، فالحاجة إلى الطعام أكَّدها الله عز وجل بالإحساس بالجوع.

لكن شهوة الجنس لها طبيعةٌ أُخرى، ليس هناك منبهات دورية، منبهات كلها خارجية، الجوع المنبِّه داخلي، والأطباء يعرفون آلية الجوع، هناك مركز في الدماغ يُنبه والمركز في الدماغ يُعطي أمراً للعصارات في المعدة فتفرز ، وهناك أبحاث دقيقة وعميقة في موضوع الجوع، ولكن شهوة الجنس ليس لها مُنبه دوري، منبهها خارجي، فإذا طبق المجتمع الشرع الإلهي، وطبق المنهج الرباني، وطبق القرآن الكريم، فالإنسان لا يُحسُّ بهذه الحاجة، إلا إذا نُبه، دعونا قليلاً من شهوة الجنس ولنعد إلى شهوة البطن.

الحكمة من أمر النساء بالتستر و الرجال بغض البصر :



الإنسان يحتاج باليوم إلى ثلاث وجبات، أو وجبتين، لو فوضنا في مدخل البناء هناك طعام نفيس، بالمصعد يوجد طعام، بغرفة الضيوف يوجد طعام، بالمكتب يوجد طعام، بالسيارة يوجد طعام، والطعام نفيس، والشهوة موجودة، الإنسان يقتل نفسه، أصبح هناك مُثيرات مستمرة، لو أن هذا المُثير الآخر، حينما تخرج المرأة متكشِّفةً، حينما تُبرز مفاتنها للناس، هذه كلها إثارات مستمرة، فهذه الإثارات المستمرة تسبب للإنسان يقظة كما قيل: الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

وكذلك هذه الشهوة نائمةٌ، لعن الله من أيقظها، من هنا جاءت الأوامر الإلهية، والتشريعات النبوية، بأمر النساء بالتستر، وأمر الرجال بغض البصر، أنتم لو عشتم في مجتمع حُجبت فيه النساء كما أراد الله عزّ وجل، وغضّ فيه الرجال أبصارهم تماماً عما حرم الله لعاش الإنسان بسلامٍ مع نفسه أيما سلام.

إذاً حينما تجد في القرآن الكريم آياتٍ تأمُرنا بغض البصر، وحينا تجد في القرآن الكريم آياتٍ تأمر النساء بالتستر، هذه الآيات ما كان الله عز وجل ليُشرع في موضوعٍ إلا إذا كان ذا خطورةٍ بالغة، لو أن محطة وقود، أرادت أن تضع إعلاناً واحداً، تختار من بين ألف إعلان أخطر الإعلانات، تأمر بعدم التدخين، لئلا يشتعل الوقود، وكذلك إذا ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم أمراً أو نهياً فهذا شيءٌ مصيري.


إذا كان الرجل ببيته سعيدا كان إنتاجه وفيرا

بالمناسبة الله عزّ وجل أمر بأشياء، ونهى عن أشياء، وسكت عن أشياء، ولو دققت النظر في الذي أمر، أو في الذي نهى، أو في الذي سكت، لوجدت أن هناك حكمةً ما بعدها حكمة، وموعظةً ما بعدها موعظة، حينما أمر بأشياء وسكت عن أشياء لأنه كما تعلمون أساس سعادة الرجل بيته وعمله، فإذا كان في بيته سعيداً، كان إنتاجه في المجتمع وفيراً، مكان الاستقرار، مكان السُكنى، مكان الراحة، فلو كان هناك تشويش أو تطلُّع إلى غير الزوجة، إطلاق البصر يُسبب هذه الاتجاهات، فلذلك هناك أوامر كثيرة في القرآن وفي السنة تأمر النساء بالتستر، و تأمر الرجال بغض الأبصار، وقد علل الله جلَّ جلاله، ذلك فقال:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[سورة الأحزاب: 53]

من غضّ بصره عاش في سلام مع نفسه :

وكما قُلت لكم: الشهوة الثانية التي نحن بصددها منبهاتها كلها خارجية، فلو عشنا في مجتمعٍ مسلمٍ حقيقةً، مطبق لشرع الله عزّ وجل، لعشنا حياةً أُخرى، أكثر هدوءاً، وأكثر استقراراً، وأكثر طمأنينةً، ولكن إذا كان الطرف الآخر وهم النساء، لسن متقيداتٍ بأمر الله عزّ وجل، فعلينا نحن الطرف الثاني أن نغض الأبصار وهذا هو الذي يحمينا من فتنة النساء، وكما تعلمون:

((اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طَلاَّع رَصَّاد حَصَّاد وما هو بشيء من فُخُوخه بأوثق لصيده في الأتقياء من فخوخه في النساء))

[الديلمي عن معاذ]

و:

((اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء))

[مسلم عن أبي سعيد]

وفي حديثٍ آخر: يقول النبيّ عليه الصلاة والسلام :

((النساء حبائل الشيطان))

[أحمد عن أبي الدرداء]

أي مصيدة بيد الشيطان، لكن فعَّالة، والإنسان يؤتى أحياناً من حبه للمال أو حبه للنساء، يُهلكه حب المال، ويُهلكه حبه للنساء، وحينما يُغادر الإنسان الدنيا، ويجد أنه من أجل امرأةٍ ضيَّع سعادته الأبدية، عندئذٍ هي خسارةٌ ما بعدها خسارة.

و هناك شيءٌ آخر أُحب أن أؤكده لكم، أنه ليس في الإسلام حرمان، وأنا أعني ما أقول أي ما كان الله عز وجل ليودع في الإنسان شهوةً ثم يمنعه من ممارستها، لكن أودع فيه شهوةً، ونظمها له، فتح له قنواتٍ نظيفة، أي بين الزواج، بين النِكاح، وبين السِفاح مسافات شاسعة جداً، هنا الطمأنينة، وهنا الاستقرار، وهنا الولد، وهنا الشعور بالطهارة، وهنا الشعور بالنظافة، كل المشاعر المُقدسة تأتي من الزواج؛ وجميع المشاعر المنحطة، والاختلال، والشعور بالذنب، والشعور بالنقص، والحجاب عن الله عز وجل يأتي من مخالفة منهج الله عز وجل.



إذاً حينما نجد في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المُطهرة، أمراً، أو نهياً فهذه موضوعاتٌ مصيرية خطيرةٌ جداً، فالنظرة قد تتبعها نظرة، والنظرة قد تتبعها حركة، والحركة تنتهي بالفاحشة، والفرق قد يقول أحدهم: إن الله جميلٌ يحب الجمال، هذا كلام صحيح، الله عز وجل يتجلَّى على بعض الأشياء باسم الجميل، فيمنحه جمالاً ما بعده جمال، لكن جمال الأشياء شيء، وجمال المرأة شيءٌ آخر، جمال الأشياء، أي الإنسان يكتفي بالنظر، وردة جميلة، جبل أخضر، ساحل جميل، حديقة مُنسقة، هذه الإنسان إذا نظر إليها يكتفي بالنظر، لكن الطرف الآخر، الذي هو موضوع درسنا، الإنسان أودع فيه شهوة تُحرّكه، لا تبقيه على مستوى النظر، فكل الكوارث الكبيرة مبدأها من النظر، ومعظم النار من مستصغر الشررِ، هذه موضوعات دقيقة.

أي ما دام الله عز وجل حرم، فالأمر خطير، هذه أول فكرة، الفكرة الثانية شهوة الجنس تختلف عن شهوة البطن، بأن مُثيرها خارجي، وليس داخلياً، فإذا الإنسان امتنع، غض بصره، والمرأة تسترت، عاش الإنسان في سلام مع نفسه، والدليل: عندما يكون الإنسان مشغولاً في موضوع خطير، ينسى هذا الموضوع كُلياً، أما الجوع فلا ينساه، هناك حافز نوبي، حفاظاً على وجودك وعلى قِوام حياتك.

العلم أمانة فلابد من تبليغ الأمانة إلى أهلها :

بدأنا في الدرس الماضي بعورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، وكنت قد شعرت بحرجٍ شديد في معالجة هذه الموضوعات، بعد الدرس سألت بعض الأخوة الكرام عن انطباعهم حول هذا الموضوع، فأُناسٌ كثيرون شجعوني على متابعته، وأنا أنطلق من فكرة هو أن من العار أن يخوض الإنسان في موضوعات أي الأولى ألا يخوض بها، لكن من العار الأشد أن يجهل هذه الموضوعات، خوضها يُحرج المُتكلم والسامع، لكن أن نبقى في جهلٍ شديد، وأن نخالف شرع الله عز وجل، دون أن ندري، فالعلم أمانة، فلابد من إبلاغ الأمانة إلى أهلها. فطبيعة حياتنا، في المسابح، على شواطئ البحار، في الحمامات أحياناً، في الطرقات، في أثناء التدريبات الرياضية، قد تتكشف العورات، وكما قلت قبل قليل: النظر إلى عورة الرجل، أو إلى عورة المرأة، قد يكون حافزاً

إلى ميل النفس إلى شيء لا يرضي الله عز وجل، فكأن الشرع تماماً كما قلت في الدرس الماضي، كيف أنك إذا سرت في حقل ألغام، لا سمح الله ولا قدَّر، ورأيت لوحةً كُتب عليها: حقل ألغام، ممنوع التجاوز، كيف أنك تشعر وأنت في أعلى درجات الوعي أن هذه اللوحة وضعت ضماناً لسلامتك، ولم توضع قيداً لحريتك. فأحياناً الجاهل يتوهم، يا أخي الدين صعب، الدين كله قيود، هذه حرام، وهذا لا يجوز، وهذه تغضب الله عز وجل، أنا من غير دين أريح لي، حر طليق، أفعل ما أشاء، أتطلع إلى من أشاء، أذهب إلى حيث أشاء.

الهدى و الاستقامة يرفعان صاحبهما إلى العلياء :

الإنسان حينما يتفلَّت من المنهج، لا تنسوا أن الله عز وجل في آياتٍ كثيرة قال:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

[سورة البقرة: 5]

أجمل ما في الآية، كلمة على، على تفيد الاستعلاء، أي أن المهتدي فوق الهُدى، أو أن الهدى رفع المهتدي، لا يزال الهدى، والمنهج، والاستقامة، وتطبيق الأمر وترك النهي، يرفع صاحبه إلى أن يبلغ به العلياء:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

[سورة البقرة: 5]

لكن الفاسق، أو الضلال:

﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة الأحقاف: 32]



لماذا قال الله في؟ الضلال من شأنه أن يُقيدك، والهدى من شأنه أن يرفعك وعلى خلاف ما تتوهم، مع أن الهدى كله قيود لكنه يرفعك، مع أن الضلال كله تفلُّت لكنه يقيُّدك.

فرضاً لو إنسان أحب أن يعمل معمل غسالات أحدث نوع، واجه صعوبة في شراء الكمبيوتر، الذي يحركها تحريكاً مبرمجاً، هذا صعب وغال، فلغاه، لغى الكمبيوتر، جهاز التسخين لغاه، صعوبة لغاها، جهاز الدوران لغاه، كلما واجه صعوبة ألغاها، أصبحت تنكة غسيل، ليس لها قيمة، كان ثمنها اثنين وثلاثين ألفاً، أصبح ثمنها خمس ليرات، أي الإنسان إذا لم يواجه الصعوبة أصبح ليس له قيمة، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، ...))

[أحمد عن ابن عبَّاس]

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَوْمَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إِلَى الأَرْضِ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلاثًا أَلا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتَنَ وَمَا مِنْ جَرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلا مَلأَ اللَّهُ جَوْفَهُ إِيمَانًا))

[أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]

أي يوجد جهد، بيت جميل جداً، لكن في رأس تلة، والطريق إليه صاعد، وقد يكون متعرّجاً، وقد يكون فيه تراب، وقد يكون فيه أكمات، وقد يكون فيه عقبات، لكن فوق يوجد قصر مُنيف، فيه ما لذَّ وطاب، وإن عمل النار، يشبه طريقاً منحدراً، معبداً، تحف به الأشجار، والأزهار، لكن ينتهي بحفرة ما لها من قرار، دائماً العاقل ينظر إلى النتيجة.



الآن الناس، إنسان راكب دراجة، لا يوجد فيها محرك، بقوة عضلاته، واجه طريقين، طريق نازل، وطريق صاعد، بحسب طبيعته، بحسب طبيعة الدراجة، وفيها جهد، أريح شيء النزول، والطريق النازل معبد، وحوله أشجار، ويوجد أزهار، وفيه مناظر جميلة، لكن لو أن هذا الطريق ينتهي بحفرةٍ سحيقةٍ ما لها من قرار، فيها وحوشٌ جائعة، تنتظرك؛ الطريق الثاني، ترابي، وفيه صعوبات، وفيه أكمات، وفيه صخور، وتعرفون أن أصعب شيء عند راكب الدراجة الصعود، فأين العقل؟ العقل أن تدع الطريقَ النازلة، المريحة، وأن تسلك الطريق الصاعدة المتعبة، لأن الطريقَ الصاعدةَ المتعبة تنتهي بقصرٍ مُنيف، والطريق النازل المريح ينتهي بحفرةٍ ما لها من قرار، هكذا قال عليه الصلاة والسلام، قال:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ))

[مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

((أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، ...إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عبَّاس]

أين طريق جهنم؟ طريق جهنم موجود، تفلُّت من أي قيد، انظر إلى ما تشاء كلما رأيت امرأةً انظر إليها، كلما رأيت طعاماً كلْه، حلال أو حرام، كلما دُعيت إلى مكان جميل، اذهب إليه، اختلاط بلا اختلاط، فحركة طليقة، ونظر طليق، وسماع طليق، سماع، ونظر، وأكل، وطعام، وشراب، واختلاط، وهو قد تكون روحه مرحة، كلما رأى امرأةً مازحها، وأدار معها حديثاً، هذا عمل جهنم.

((...إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عبَّاس]

التّكليف و الطّبع :

لماذا سمي التكليف تكليفاً؟ لأنه ذو كلفةٍ، يكلف جهداً، الإنسان جسمه يتمنى أن يرتاح في الفراش، أمرك الله بصلاة الفجر، طبيعة الجسم، طبيعة الشهوة التي أودعها الله في الإنسان تدفعه إلى أن ينظر، إلى محاسنِ امرأة تمشي في الطريق، لكن التكليف يأمره بغض البصر.



شهوة المال في الأخذ والتكليف يكون بالعطاء

شهوة المال التي أودعها الله في الإنسان تدفعه إلى أن يأخذ، لكن التكليف أمره أن يعطي، التكليف عطاء، الطبع أخذ، التكليف نظر، التكليف غض بصر، الطبع إطلاق بصر، الطبع نوم، التكليف استيقاظ، إذاً التكليف ذو كلفة، أي أحدنا يجب أن يوطِّن نفسه على أن بلوغ الجنة، وبلوغ المستويات الرفيعة، يحتاج إلى جهد.

الآن لا تبتعد، حتى الإنسان يجلس في عيادة فخمة جداً، ويحضر لعنده مريض، يبالغ في تعظيمه، يا دكتور، تجد المريض يبالغ في احترام الطبيب، وحتى يتحرك الطبيب حركتين، يفحص له ضغطه، يسمع دقات قلبه، يعمل له تخطيطاً، يأخذ ألفي ليرة، إنسان آخر يشتغل من الصباح إلى المساء بحمل الحاجات، يأخذ مئة وخمسين ليرة، إذاً هذا الطبيب حتى قعد في العيادة، والناس أقبلوا عليه، ويدخل عليه كل دقيقتين مريضاً، أو كل ثلاث دقائق، أو كل خمس دقائق، يأخذ ألف ليرة، بين إيكوا، بين تخطيط، يجمعهم يصبحون ألف ليرة، معنى ذلك الإنسان عندما يريد أن يصل إلى مستوى مريح، الراحة تتطلب الجهد، وكل إنسان يتصور أنه سيصل إلى مستوى مريح من دون جهد يكون أحمقاً، أما ربنا عز وجل فعادل.

طلب الجنة من دون عملٍ ذنبٌ من الذنوب :

هذه الجنة، أي من السذاجة، من الغباء، من ضيق الأُفق، تظنها شيئاً سهلاً، هذه التلبسة التي يقولها الناس، انتهى كل شيء، بيته كله غير إسلامي، يعمل مولداً، يدعو عدداً من العلماء ليلقوا كلمات، يحس نفسه أصبح من أهل الجنة، لكن أنت الدخل له مشكلة، الدخل فيه شبهة، والعلاقات فيها شبهة، والسلوك فيه شبهة، و البنات

لهم شبهة، فإذا دعوت إنساناً له مكانته الدينية، وقال لك: بارك الله فيك يا فلان، انتهت المشكلة ؟ لو أخذت كلاماً من فم رسول الله، ما انتهت المشكلة، هناك عدل.

لذلك طلب الجنة من دون عملٍ ذنبٌ من الذنوب، الآن الإنسان هل يستطيع أن يدخل على أضخم بائع سجاد، وموضوع على الأرض أكثر من خمسين سجادة، يقول له: أرني هذه، أطلعني على الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، كم ثمنها؟ قال له: ثمانون ألفاً، قال له: يوجد معي ألف ليرة، هل يجعله البائع يخرج بسلام من عنده؟ لأنك أنت احتقرته، تطلب الجنة بركعتين وانتهى الأمر، الناس الآن بهذا الشكل، الله عز وجل:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 2]

يجب أن توطِّن نفسك على الامتحان.

المراحل التي يمر بها المؤمن :

ذكرت من درسين أو ثلاثة أن المؤمن يمر بثلاث مراحل، مرحلة التأديب، ومرحلة الامتحان، ومرحلة الإكرام، ولن يصل إلى مرحلة الإكرام حتى يمر بمرحلة التأديب، ومرحلة الامتحان، لكن كلما استجاب بسرعة يقصر المسافة، إذا استجاب بسرعة، فهم على الله بسرعة، حلت مشاكله، أصبح في فهم مباشر، أن الله أعطاني هذه مقابل هذه، هذه عاقبني بها مقابل هذه، حينما ترى أن أفعال الله عز وجل حكمةٌ ما بعدها حكمة، عدالةٌ ما بعدها عدالة، تصل إلى ما تريد.

أنا من يومين كنت ذاهباً إلى عملي، أخ كريم دعاني أن أركب سيارته وأصر عليّ، ركبت معه، سألته متى اشتريت هذه السيارة؟ قال لي: لهذه السيارة قصة يا أستاذ، هذه ثمنها كان في الدرج، موضوع في الدرج، مدة خمس سنوات، ودخل إلى بيتنا حرامي– قال لي أولاً: كلما أهم لأضع المبلغ في المصرف أخاف أقول: هذا حرام، أمتنع، وضعته في درج طاولة– في غيابنا، لم يترك درجاً إلا وخلعه، لم يترك ديواناً إلا ورفع فراشه، إلا هذا الدرج لم يقترب منه، أنا بعدما نزلت قلت: سبحان الله، ورعه وخوفه من الله، الله أراه آية من آياته، كل شيء يحدث فيه حكمة ما بعدها حكمة.

نتائج الاختلاط :


الحفاظ على المودة بين الزوجين يكون بغض البصر

الآن بحسب موضوعنا، لو إنسان غض بصره عن محارم الله، ألا يشعر بسعادة زوجية؟ أنا أقول لكم: والله يا إخوان كل من أطلق بصره في الحرام دفع الثمن باهظاً في بيته قبل كل شيء، أي هذه المودة، وهذا التراحم، وهذه السكينة، وهذا النجاح الزوجي، هذا يتلاشى، لذلك أكاد أقول: إن بين الطاعة وبين نتائجها علاقةً علمية، أي علاقة سببٍ بنتيجة، هناك أفكار كثيرة خطرت في بالي وأنا في الطريق إليكم في زحمة السير، لكن بعضها ذهب من ذهني، لكن الموضوع لماذا أمر الله بغض البصر؟ لأنه إله خالق الكون، هو الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: 19]

ولماذا أمر المرأة أن تتستر؟ من عند الخبير، توجيه الخبير، فالإنسان لا يستهين، ماذا حدث؟ لم نأكلها مثلاً، تجد أهل الدنيا يخففون من وقع المعصية، ما عملنا شيئاً، لا سرقنا، ولا قتلنا، ولا شربنا خمراً، جلسنا مع بعضنا، ما الذي حدث؟

أنا قلت لكم سابقاً: سمعت قصتين، ثلاث، أربع، خمس، الاختلاط انتهى بالطلاق، أُسرتان ذهبتا إلى الساحل، في الصيف، وجلسوا في شاليهات على البحر ثم عادا إلى الشام، أول أُسرة طلَّق الزوج امرأته، وله منها سبعة أولاد، وتزوج امرأة صديقه، ولها أولاد، تصور سبعة أولاد أُمهم مطلقة، هذه آثار الاختلاط.

دائماً كلما وجدت مشكلةً اجتماعيةً، مأساةً اجتماعية، افعل كما يفعل ضباط الأمن الجنائي، يقول لك: ابحث عن المرأة، بكل جريمة يقول لك: ابحث عن المرأة، أنا سوف أعمل تعديلاً طفيفاً، ابحث عن المعصية، أينما تجد مشكلة، ابحث عن المعصية، منهج الله عز وجل دقيق، إذا طبقته لا يوجد مشكلة، أي الله عز وجل خبير.

الإنسان أحياناً في البلاد التي فيها معامل سيارات، فيها مراكز صيانة رفيعة المستوى، فيها صيانة دورية، تجد السيارات تظل جديدة، أحياناً يفحصون الدولاب، ممنوع تدخل البلد نهائياً إذا جفت الدواليب، هنا عندنا تقول:

نحن عندنا دولاب جديد، هذا قد ينفجر في الطريق، إذا طبقت كل المقاييس العالمية، في أمور السيارة، تظل السيارة جديدة، أما إذا كان هناك تقصير، هذا دولاب قديم، والزيت لم نضعه في مكانه، والبطارية نسينا أن نضع لها الماء، تفاجئك وتقطعك في الطريق، تعمل لك مشاكل جديدة، السيارة لها نظام، لها تعليمات دورية وتعليمات صيانية، وتعليمات لو طبقتها تقطف ثمارها يانعة، تعيش معك عمراً طويلاً وتخدمك، فكيف الإنسان لو طبق منهج الله عز وجل؟

عورة الرجل بالنسبة إلى المرأة :

الآن القسم الثاني، نحن القسم الأول، عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، الدرس الثاني: عورة الرجل بالنسبة إلى المرأة.

الآن لا يُحلُّ للمرأة أن تنظر إلى الرجل، من هي المرأة؟ عندنا أربعة أنواع من النساء، عندنا زوجة، وعندنا قريبة محرمة، وقريبة غير محرمة، وعندنا أجنبية، زوجة، قريبة محرمة، معنى محرمة: أم، بنت، أخت، عمة، خالة، بنت ابن، بنت أخ، بنت أخت، محرمات، غير محرمة: بنت خالته، بنت عمه، امرأة عمه، هذه غير محرمة، قريبة غير محرمة، وأجنبية، لا تمتُّ له بصلة، أية امرأةٍ هذه امرأة أجنبية ؛أجنبية، قريبة غير محرمة، قريبة محرمة، زوجة.

يوجد عندنا عدة قواعد عامة، أي الشيء المسموح أن تنظر إليه مسموح أن تمسه، الشيء المسموح أن تمسه مسموح أن تنظر إليه، ليس بين الرجل وبين زوجته أي حرج، لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : 4-6]

انظر إلى معنى ملومين، لو إنسان نظر إلى امرأةٍ لا تحلُّ له، أو أدار معها حديثاً، لا يرضي الله عز وجل، أو أنه فعل الفاحشة، لماذا يحدث انهياراً نفسياً؟ هذه الفطرة، قلت لكم سابقاً: إن في علم النفس، علم النفس عبارة عن علوم، الظاهرة النفسية علم حقيقي، فهناك شعور، فالعقل له دليل، لكن الله عز وجل من فضله وكرمه، أعطاك مقياساً آخر، مقياس الفطرة، الفطرة تشعر أنك أخطأت، تسمونه شعوراً بالذنب، صحيح، تسمونه عقدة الذنب، صحيح، تسمونه اختلال توازن، صحيح، تسمونه وخز الضمير، صحيح، الله عز وجل عبر عنه:

﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : 6]

الموازنة بين طريق النّكاح و طريق السّفاح :

أنا مرة قلت لكم: لي صديق ساكن بأحد أحياء دمشق، في المهاجرين، فقال لي مرة: طرق بابنا الساعة الرابعة والنصف، فتح لم يجد أحداً، عجيب استدار فوجد سكاً، فتحه فوجد فيه طفلاً صغيراً مولوداً حديثاً، أي أن هذا الإنسان مظنة صلاح، هذا لقيط، ابن زنا، فظنوا هذا البيت فيه صلاح وفيه دين، فألقوه أمامه ودقوا الباب وهربوا.

هنا القصة على أنها بسيطة لفتت نظري، أنه عندما يتزوج الإنسان، وتحمل زوجته، يفرحون، تنتقل الأخبار السارة أنه الحمد لله حملت، ابنتي حملت الحمد لله، أي ترتاح الأم، الطفل يثبت، يثبت العقد، الآن هناك مُثبّت عقد بالنبات، أيضاً الطفل مثبت عقد، الأخبار تتناقل بين الأُسرة، صار الوضع، تجد احتفالاً ومباركة وهدايا، للرجال حفلة، وللنساء حفلة، بالتلفونات، الحمد لله جاء لها صبي، أو بكرت البنت، كما قال النبي:

((من بركة المرأة تبكيرها بالأُنثى))

[الديلمي عن واثلة بن الأسقع]



هكذا النبي علمنا، وعندما جاءته السيدة فاطمة، ضمها، وشمها، وقال: " ريحانةٌ أشمها وعلى الله رزقها"

انظر، وازن بين طريق النكاح وطريق السفاح، طبعاً الطفل قبل أن يولد بشهرين أو ثلاثة، هيؤوا له سريراً، هيؤوا له حاجات أساسية، يحتاج إلى بانيو صغير، تجد الأسرة كلها في حركة ونشاط، هذا طريق الحق، أي لا يوجد خجل، الواحد لا يستحي بزواجه، يملؤون الدنيا صخباً، لأن الشرع هكذا، والدين هكذا، والمنهج هكذا؛ أما إذا الإنسان تكلم مع إنسانة في طريق مهجور، ففاجأه شخص، تجدهم يستحون ويخافون، هي تدير وجهها وهو يدير وجهه، هنا تهمة، إذا كان الوضع غير مشروع يصبح تهمة، أما المشروع ففيه فخر، انظر الآية:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

[سورة المؤمنون : 5-6]

لا يوجد لوم، ممكن إنسان يكون له زوجة، ويصلي الصبح حاضر، ويعمل ورده، ويعمل ذكره، قام بواجبه الزوجي، فلا يوجد حرج، لا يوجد لوم، أما لو نظر المؤمن إلى امرأةٍ لا يحل النظر إليها، يشعر بهبوط، شعر بحجاب، أي يوجد فطرة، هنا طريق مسموح، هنا طريق ممنوع، إذا كان الإنسان يمشي في طريق ممنوع يكون خائفاً، يفاجئه شرطي، تفاجئه دورية، ويقول عليه الصلاة والسلام وقد روى الحديث الخمسة:

((.... احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ...))

[الترمذي عن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ]

((حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ قَالَ احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ قَالَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ قُلْتُ وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ))

[الترمذي عن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ]

أي بين الرجل والمرأة لا يوجد مشكلة، هذه أول صنف الزوجة، الزوجة قريبة محرمة، قريبة غير محرمة، أجنبية.

عورة الرجل بالنسبة إلى قريباته :

وأما عورة الرجل بالنسبة إلى قريبة محرمة كانت أو غير محرمة أو أجنبية طبعاً الرجل عورته من سرته إلى ركبته، فهذه المنطقة لا يجوز أن يراها أحد، لا الأم، ولا الأخت، أحياناً الرجال يسبحون الرجال على مرأى من زوجاتهم، طبعاً ومن أخواتهم، ومن بناتهم أحياناً، بلباس قصير، هذا مخالف للإسلام، هذا مخالف للشرع، أن الإنسان يسبح ولو كان المسبح خاصاً، ما دامت بناته موجودات، ما دامت أخواته موجودات، قريباته المحرمات، لا يجوز أن ترى القريبة المحرمة من الرجل إلا ما فوق السرة وما تحت الركبة، المحرمة طبعاً، أما غير المحرمة لا يوجد لقاء إطلاقاً أي كما تعلمون أنتم.

إذا كان مسموح للأم أن ترى ابنها، أن ترى يده، صدره مثلاً، ظهره، يجوز لها أن تمس يده، أن تصافحه، الواحد يقبِّل يد والدته، والدته تُصافحه أحياناً، المكان المسموح الذي تراه المحرمة مسموح مسه طبعاً ، لكن العلماء الورعين يقولون دائماً: إذا أُمنت الفتنة.

طبيعة هذا العصر توقظ الشهوات و تثيرها :

قلت لكم: يوجد عندنا إنسان، طبيعي، أي سوي، فالإنسان الطبيعي السوي الشرع كلّه له، أما إذا كان هناك حالات خاصة، كان هناك انحراف، فلا يجوز أن ينظر إلى أخته، ونمنعه بأن يختلي بأخته، إذا كان هناك انحراف، لا يجوز إطلاقاً، كلُّ هذه الأحكام كما قلت في الدرس السابق: إذا أمنت الفتنة، لكن طبيعة هذا العصر، كما قلت أيضاً في الدرس السابق، نحن نألف أن نأكل ثلاث وجبات، أو وجبتين، أما إذا كان هناك مثيرات، أينما ذهبت، أينما ذهبت في الطريق، في الدوائر الحكومية، في المدارس، أحياناً في المطاعم، أينما

ذهبت، رأيت امرأةً متكشفةً تبدي مفاتنها، أصبح الإنسان أينما تحرك، هناك أكل، هنا وضعوا له كبة مقلية، هنا سندويش، هنا وضعوا له موالح، غير معقول! معقول أن يأكل الإنسان أربعاً وعشرين ساعة باستمرار !.

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النّهم

***

فطبيعة العصر، هذا العصر، عصر الشهوات، عصر النساء الكاسيات العاريات، المائلات، المُميلات، النبي قال:

((سَمِعْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهُمْ كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ))

[أحمد عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرو]

النبي قال:

((...الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ ...))

[أحمد عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرو]

فهذا العصر، الفتن كلُّها يقظى، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

((اشتقت لأحبابي، قالوا: أو لسنا أحبابك؟ قال: لا أنتم أصحابي أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، أجره كأجر سبعين، قالوا : منا أم منهم؟ قال : بل منكم، قالوا: و لمَ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير معواناً و لا يجدون))

[الترمذي عن أنس]

فالإنسان إذا دخل لكي يدفع فاتورة، دخل ليلاحق معاملة، يجد امرأة متكشفة ليست منضبطة، تُبدي مفاتنها، متعطرة، متزينة، بالطريق، في درج البناء، في المصعد، في البقالية، أينما ذهب، اشترى حاجة، اشترى علبة بويا عليها امرأة، والله هذه مشكلة، أية بضاعةٍ يشتريها، عليها امرأة، ولا سيما البضاعة الأجنبية، لذلك طبيعة هذا العصر توقظ الشهوات، وتعمل وعياً جنسياً مبكراً، لذلك الفتنة الآن لا تؤمن.

أنا قدَّمت هذا التقديم، الفتنة الآن لا تؤمن، الفتنة لا تؤمن في هذه الأيام، فكل شيء يدعوك أن تنظر، كلّ ما حول المؤمن فتن وإثارات، يقول لك: كبت، كلمة كبت لها عندي معنى كبير جداً، ما هو الكبت؟ حينما يستثار الإنسان، وليس في إمكانه أن يفعل شيئاً، هذا هو الكبت، إذا ضغطت شيئاً، ولم تنفسه، تشعر بقوة دفع يسمونها رد الفعل، لو كان هناك ضغط و تنفيس لا يوجد مشكلة، فطبيعة هذا العصر لشيوع التفلت، لشيوع التبرج، لشيوع التكشف، لأن أجمل ما في المرأة مبذول في الطرقات، أجمل ما فيها في الطرقات مبذول.

نزع النخوة من رؤوس الرجال آخر الزمان :

لذلك بالمناسبة أحياناً الإنسان يشتكي ارتفاع أسعار اللحم، والله اللحم غال، بعضهم قال: كلما رخصت لحوم النساء ارتفع لحم الضأن، عندما يكون لحم النساء رخيصاً متبذلاً، متكشفاً في الطرقات، في كل حركات المرأة وسكناتها تبدو مفاتنها، لذلك تجد أن الله يضيق على الناس، وكلما قلّ ماء الوجه قلّ ماء السماء، لا يوجد حياء، النبي عليه الصلاة والسلام وصف آخر الزمان بأنه تنزع النخوة من رؤوس الرجال، لا يوجد به نخوة يمشي مع زوجته بأبهى زينة، يفتخر بها، وكلما رأى صديقاً يعرفه عليها، هذه زوجتي تصافحه، يبتسمون، أو يجلس معها على الشرفة، وقد تكون بثياب متبذلة، لا يحس بشيء، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً الديوث من الرجال ....فقالوا : يا رسول الله فما الديوث من الرجال ؟ قال : الذي لا يبالي من دخل على أهله))

[شعب الإيمان عن عمار بن ياسر]

لو أخذت ألف رجال، الذي يرضى الفاحشة في أهله قلائل جداً، لكن الذين لا يغارون على أعراضهم كُثُر، فالنبي عليه الصلاة والسلام هكذا وجه.

شيوع المرأة ينمّي الإحساس الجنسي :

إذاً أردت من هذه التفاصيل التي كنت أتمنى ألا أذكرها، أردت من هذه التفاصيل أن أبين لكم أن شيوع المرأة أينما ذهبت تجدها متكشفة، هذا ينمّي الإحساس الجنسي، ينميه نمواً شديداً، إذاً لا تؤمن الفتنة، وكثيراً ما سمعت قصصاً يندى لها الجبين أساسها، فيما بين المحارم أيضاً، لذلك كلُّ هذه الأحكام تتوجه لمن؟ للأسوياء، للطبيعيين، للشخص صاحب الفطرة السليمة، أما المرضى فلهم أحكامٌ خاصة.

طبعاً القريبة غير المحرمة، لا نظر، ولا مس، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني عن معقل بن يسار قال:

((لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تحلُّ له))

[الطبراني عن معقل بن يسار]

الآن إذا إنسان مثلاً أقبل على دروس العلم كثيراً، ويريد أن يحفظ القرآن، وداوم الدروس كلّها، هو شاب، بعد ذلك اختفى فجأةً، سألت عنه لم أعد أراه، أغلب الظن، زلَّت قدمه في النظر، حينما ينظر الإنسان، والنظر يعقبه أحياناً لقاءات، واللقاءات يعقبها خيالات، بعد ذلك رسائل، دخل في عالم ثان، دخل في عالم آخر، يتناقض مع عالم المساجد، وعالم الطهر والعفاف.

من حفظ نفسه كافأه الله بزوجة صالحة :

بالمناسبة، هذا الكلام أقوله للشباب، والله أيها الأخوة الشباب، أي واحدٌ منكم يحفظ نفسه قبل الزواج المكافأة من الله عز وجل، زوجة صالحة، وكما قال عليه الصلاة والسلام:



((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ]

((الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ متاعها المرأة الصالحة))

[مُسْلِمٌ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ]

التي إذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عتها حفظتك في مالك ونفسها، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا نظرت إليها سرتك، أمرتها أطاعتك، أقسمت عليها أبرتك، غبت عنك حفظتك، في مالك ونفسها، في كل شيء، فكلما الإنسان غض بصرهِ عن النساء، كأنه خبأ خمسمئة ليرة و عندما يأتي الزواج يفتح فيجد معه مئات الألوف، فالإنسان عندما يغض بصره كأنه خبأ عند الله عز وجل، أودع عند الله سعادة زوجية، فكل شيء محفوظ.

((وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

أنا سمعت قصة من مدة فتأثرت، في أحد أحياء دمشق الغنية، شاب عفيف له مجالس العلم، يحضر مجالس العلم، ومستقيم، وحييْ، ويغض بصره، عنده مكتبة عنده صغيرة، أمام أبنية شاهقة من أهل الغنى واليسار، يرى الفتيات داخلات و خارجات، وأكثرهن محجبات، تاقت نفسه أن يقترن بإحدى هذه الفتيات، فطلب من والدته أن تخطب له، فوالدته واقعية، قالت له: أنت إنسان لا يوجد معك شيء، فلن تستطيع أن تتزوج، ألح عليها، رفضت، ألح عليها، رفضت، و عندما ألح عليها كثيراً ذهبت إليهم مجاملة، قالت له: والله لم يوافقوا، هي لم تطلب، من غير المعقول أن تطلب، ليس من المعقول أن تطلب، هذه القصة سبحان الله، هو يقول لأمه: أنا شاب طاهر وأنا عفيف، والله لا أعرف الحرام، وأغض بصري، فلماذا لا يعطوني؟ تقول له: أنت لا تفهم شيئاً الآن، أحد سكان هذه الأبنية الشاهقة، من أهل اليسار، مرّ لعنده، قال له: يا بني هل أنت متزوج؟ قال له: لا والله يا سيدي، قال له: والله أنا عندي ابنة تناسبك، ابعث أهلك، الله ألقى في قلب الرجل، يبدو أن هذا الرجل يراقبه، رآه شاباً، عفيفاً،

أديباً، صادقاً، حيياً، والرجل غني، وإذا الله عز وجل أكرم الإنسان بالمال، واختار زوجاً مؤمناً وهو اشترى له بيتاً، لا يوجد مانع، هناك أناس يقولون: لا أريد أن أعوده، ماذا تعوده؟ الآن لا يوجد بيوت، إذا كان عندك إمكانية، وجاء لك شاب مؤمن حيي يحفظ لك ابنتك، لا مانع من أن تشتري له بيتاً، هذه ابنتك، قال له: يا بني ابعث أمك، قال هذا الشاب: لابد من أن يكون لهذه البنت علة، غير معقول، و لكن ظهر أنها بنت ممتازة جداً، والأمر تمّ، وهناك قرابة، والقصة أنا أحكيها عن معرفة، ولم أسمعها سماعاً، عاينتها معاينة، هو طالب من الله، وصادق، فالله عزّ وجل أكرمه.

فلا يوجد إنسان يغض بصره، يعف، إلا والله عز وجل يخبئ له سعادة زوجية، وعندما يريد الإنسان أن ينظر، قال: لعن الله الذواقين والذواقات .

هذه يعبرون عنها بالتعبير الحديث، أن عنده خبرة قبل الزواج، لعن الله هذه الخبرة، هذه ليست خبرة، هذه معصية، يسمونها خبرة، أي يعرف كل شيء، لا، في هذه الموضوعات يجب ألا تعرف، الأكمل ألا تعرف شيئاً حتى الله يعرفك أحسن شيء.

الناظر و المنظور كلاهما محاسب :

الأحكام الفقهية، طبعاً أحكام الفقه كلها حنفية، وهي قضية متفق عليها وحاصل هذا الموضوع، يقول: لا يجوز للرجل– دققوا الآن بالكلام، هذه فقرات منتزعة من حاشية ابن عابدين، وهي أعلى مرجع في الفقه الحنفي– أن يبدي شيئاً مما بين سرته وركبته، أمام أمه، أو أخته، أو عمته، أو خالته، أو بنت أخته، أو بنت أخيه إطلاقاً، وهن القريبات المحرمات، قال: لا وقت خلع الثياب، ولا لغسلٍ، ولا لنومٍ، ولا في ركضٍ، أي في رياضة تقريباً، فكل ما ذكر، ركض رياضة، اغتسال، نوم، خلع ثياب، لا يعدّ عذراً في جواز النظر إلى العورة، لا من الأم، ولا من غيرها.

الآن عندنا مشكلة، لا ليست مشكلة، لكنها موضوع لاحق، دائماً هناك طرفان، عندك ناظر، ومنظور، طبعاً إذا المنظور تكشَّف، والناظر نظر، لعن الله الناظر والمنظور، كلاهما داخل في اللعنة، بهذا الموضوع طرفان، لو الطرف الثاني غير متقيد، ماذا عن الطرف الأول؟ أن يغض بصره، أي لو أنّ امرأةً أخوها، والله أنا قال لي أخ– أصلحه الله– ليس هو طالب علم إطلاقاً ببيته، عنده أخت، وعنده أم، يقوم أمامهم باللباس الداخلي بالصيف،

فهذا منتهى قلة الأدب، منتهى التفلُّت، هذه أشياء أنطلق بها من واقع، أنا أعرفه، هويته مسلم، وينتمي إلى هذا الدين، ومع ذلك لا يستحي أمام أخته، وأمام أمه، وأمام بناته، أن يقوم بالثياب الداخلية القصيرة، فلذلك لا في الرياضة، لا في الركض، لا في النوم، لا في التغسيل، لا في خلع الثياب، كلُّ هذا ليس عذراً، لو فرضنا الطرف الثاني ليس متقيداً لابأس، أنا أتقيد بغض البصر، فأنت إذا كان الاثنان متقيدين شيء جميل جداً، هذا مجتمع راق، إذا كان هناك طرف متفلت، أنت تغض بصرك، يتضاعف أجرك.

تلخيص لما سبق :

إذاً نحن القريبة المحرمة، الغير محرمة، والأجنبية سواء، الزوجة لها حكم والقريبة المحرمة لها حكم، والقريبة غير المحرمة والأجنبية لها حكم، وإذا لم تؤمن الفتنة، فالرجل كلُّه عورةٌ من فرقه إلى قدمه، وإذا كان هناك فتنة فهناك شعور جنسي مبكر، لا يجوز أن ترى الأخت من أخيها شيئاً، طبعاً إذا كان هناك خوف، يجب أن تبعد، يجب أن تنتبه، يجب أن تراقب، وإلا يقع المحذور.

وفي درسٍ قادمٍ إن شاء الله، نأخذ موضوع عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، وعورة المرأة بالنسبة إلى الرجل. أنا سألت عدداً من الإخوان بعد الدرس الماضي، أنه هل من المعقول أن نستمر في هذا الموضوع؟ قالوا: نعم، فتتابعت الموضوعات.

الطبابة :

هناك سؤال عن الطبابة، هذا بحث آخر، موضوع الطبابة، هذا بحث آخر يجوز للطبيب أن يرى أية امرأةً أجنبية، لكن امرأة مثلاً نحيفة قليلاً، وتحب أن تسمن، إذا كان جسمها متعباً قليلاً، هذه أشياء عادية جداً، هل يجوز أن تكشف جسمها أمام الطبيب؟ لا يجوز.

يوجد عندنا حكم آخر.. إذا وجدت طبيبة مختصة، ومتفوقة باختصاصها، لا يجوز أبداً أن تكشف المرأة جسمها أمام طبيب، لكن إذا كان الطبيبة غير متفوقة، والمرض مشكلة، المرض دقيق، أو مرض حار به الأطباء، وهناك إنسان متخصص، رجل، لا يوجد مانع.

يجوز للقاضي أن يرى وجه المرأة، يجوز للطبيب أن يرى من جسمها بالقدر الذي يحتاج أن يفحصه، وهذه عندنا قاعدة أوصولية: الضرورة تقدَّر بقدرها.

مرة زرت طبيباً – جزاه الله خيراً– أعجبني، إذا كان يريد أن يفحص مريضة، طبعاً لا يسأل، يجب أن تكشف عن بطنها، فهذا الطبيب، عنده شرشف أبيض، مفتوح فتحة صغيرة، يسترها تستيراً كاملاً، المؤمن له ترتيب، الطبيب المؤمن أولاً، يغض بصره و لا ينظر إلا بالقدر الذي يحتاجه ضرورةً.

فالطبابة في درس أخير إن شاء الله، موضوع الاستثناءات لها درس مستقل، لا نستعجل به.

ما ملكت أيمانكم :

أما موضوع ما ملكت أيمانكم، لا أحد يفكر فيها الآن إطلاقاً، لا أحد يسن أسنانه، لا يوجد شيء إطلاقاً من هذا القبيل، هذه بالعصور الأولى عندما فتحت البلاد الأجنبية، وهذه المرأة بدلاً من أن تقتل تؤخذ أسيرةً، وتربى في بيوت المسلمين، لتنشأ على الإسلام، هذا بحث آخر، فالآية الآن معطلة، أي هذا القسم من الآية غير موجود إطلاقاً، لأنهم أحياناً أصبحوا يفسرونها تفسيرات ثانية.

حكم محرمات النسب و محرمات المصاهرة :

أم الزوجة لك أن تنظر، هذه طبعاً المحرمات، موضوع نأخذه بوقت قادم إن شاء الله، يوجد عندنا زوجة، هذه حكم، عندنا محرمات نسب، عندنا محرمات مصاهرة، محرمات المصاهرة أم الزوجة، زوجة الابن، زوجة الأب، هؤلاء لهم حكم آخر، مثلاً لا يجوز في حاشية ابن عابدين للرجل أن يخلو بكنته الشابة، أي إنسان يدخل إلى بيت ابنه بغيابه، وامرأة ابنه صبية، عروس جديد، وابنه غير موجود، يقعد معها ساعات طويلة، هذه ليس واردة إطلاقاً، هذه فيها تحريم، لا يجوز للرجل أن يخلو بكنته الشابة، كما لا يجوز للابن أن يخلو بامرأة أبيه الشابة، إذا إنسان بالستينات أخذ فتاة بالثلاثين، وابنه عمره ثلاثون سنة، لا يجوز أن يختلي مع امرأة أبيه، هي مثل أمي، لا هذه ليست مثل أمك، فأم الزوجة على التأبيد.

هناك سؤال جاءني مرتين، العادة السرية، الله عز وجلّ قال:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾

[سورة المؤمنون : 4-7]

تدخل هنا ؟ تدخل هنا:

﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

[سورة المؤمنون : 7]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4 – 5) : عورة المرأة بالنسبة للمرأة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الشهوة و الميل :

أيها الأخوة المؤمنون... لا زلنا في موضوعٍ وجدتم أنتم أننا جميعاً في أمس الحاجة إليه ألا وهو موضوع العورات، وقد بينت لكم في درسين سابقين قبل الحديث عن أحكام العورة وأقسامها، بينت لكم أن الشيء الذي أمر الله به، أو نهى عنه، هذا الشيء يعد مصيرياً في حياة الإنسان، فإما أن يقوده إلى سعادةٍ، وإما أن يقوده إلى شقاءٍ أبدي.

وفي الشرع كما تعلمون شيءٌ أمر الله به، وشيءٌ نهى الله عنه، وشيءٌ سكت عنه، فالذي سكت عنه هناك حكمةٌ بالغةٌ جداً، لا تقلُّ عن حكمة الذي أمر به، وعن حكمة الذي نهى عنه، أما الذي أمر به فتقوم عليه سلامتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة ؛ والذي نهى عنه سببٌ أساسيٌ لهلاكنا في الدنيا والآخرة، والذي سكت عنه لا يتعلّق لا إيجاباً ولا سلباً بحياتنا الدنيا، بسعادتنا في الدنيا والآخرة، إنما هو نوعٌ من ألوان الحياة الخشنة أو المترفة، كل عصرٍ، وكل قطرٍ، وكل بيئةٍ، وكل مستوىً يحدد ملامح الحياة التي لا علاقة لها لا إيجاباً ولا سلباً بأُمور الدين. الشهوة والميل: هناك سؤال كثيراً ما يطرق بال الناس، لماذا أودع الله فينا الشهوات؟ ما ذنبي أنا؟ ركَّب الله في كياني الميل للمرأة، وركب في كيان المرأة الميل للرجل، فإذا عبَّر الإنسان عن ميلٍ فطريٍ فيه أيكون عاصياً؟ أي كيف يحاسبنا ربنا وقد أودع فينا هذه الشهوات؟ هذا سؤال يطرحه كثيرٌ من الشباب، وقد يجيبون عنه في غيبة الشرع، هذه حاجة فطرية إن لم نفعل هكذا نتعقَّد.

والشيء المؤسف أن معظم الأطباء النفسيين قد يوجِّهون الشباب إلى شيءٍ لا يرضي الله عزَّ وجل، ولا يحلُّ لهم في الشرع، لأنهم تعلموا في بلاد الغرب أن هذه حاجة أساسية في الإنسان، فإذا رواها بطريقةٍ أو بأخرى فقد توازن، وإن لم يروها فقد اختل توازنه، هذا كلام أهل الكفر.

بطولة الإنسان أن يبتعد عن أسباب المعصية :

نوَّهت في درسٍ سابق إلى أن الإنسان إذا أثير ولم يلبِّ هذه الإثارة يقع الكبت، لكن عظمة الدين أنه أبعدنا عن كل المثيرات، حينما قال:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾

[سورة الإسراء: 32]



أبعدنا عن هذه الحالة غير الطبيعية، أن تعيش في جو من الإثارة، وأن تكبت هذه العواطف، هذه حالة مرضية، ليس فيها توازن، فلذلك غض البصر، وعدم صحبة الأراذل، وعدم ارتياد الأماكن المشبوهة، كل ما من شأنه أن يقرِّبك من المعصية فهو معصية، وهذه قاعدة: ما لا يكون الواجب إلا به فهو واجب، وما كان طريقاً إلى المعصية فهو معصية .

فالبطولة أن يبتعد الإنسان عن أسباب المعصية لا عن المعصية، ابتعاده عن المعصية بعد أن دخل في أسبابها شيءٌ فيه مغامرةٌ، ومقامرة، إذا نجا واحد فالأكثرون يهلكون، إذا دخلت في أبواب المعصية ثم واجهت لبَّ المعصية وجوهر المعصية قد ينجو، إنسان واحد ويهلك الآخرون، لكنك إذا امتنعت من الولوج في أبواب المعصية في الأصل فإن هذا الامتناع يضعك في حصنٍ حصين.

الجواب الأول: أن الإنسان خلق ليسعده الله إلى الأبد، هناك فرقٌ بين أن يعطي الله المخلوق شيئاً، وبين أن يستحقَّ المخلوق شيئاً، أنت إذا أردت أن تعطي نبتةً صغيرةً ماءً وفيراً قد تميتها، يا ترى الماء الذي تعطيه لهذه النبتة الصغيرة يجب أن يتناسب مع كرمك أم مع طاقة احتمالها، يجب أن يتناسب لا مع كرمك ولكن مع طاقة احتمالها.

الإنسان هو المخلوق الأول والمكرَّم، الذي أعدَّه الله لسعادةٍ لا نهاية لها مادام الإنسان قد أعدَّ لسعادةٍ لا نهاية لها. الحيوان سعادته محصورة، محدودة، غير مكلَّف، الحيوان يكفي أن يأكل هذا الحشيش الأخضر، هذه كل سعادته، وانتهى الأمر، تنتهي سعادته بتلبية شهواته، لا يحاسب عن شيء، لكن لا يرقى إلى مستوى الإنسان.

الملك يسبح، عقلٌ كله، ولكن لا ترتقي سعادته إلى مستوى الإنسان، لأنه ليس هناك شهوات يصارعها، وليس هناك صراعات، وليس هناك خيارات، خُلق ليسبِّح الله عزَّ وجل، ركِّب من عقلٍ فقط، يسعد بتسبيحه، والحيوان يسعد بشهواته، وكلاهما غير مسؤولين وغير مكلَّفين ولا يرقيان أبداً لمستوى الإنسان.

سعادة الإنسان بالله عز وجل :

موضوع الشهوات وموضوع العورات موضوع متداخل، وخير معالجةٍ للموضوعات ما ربطنا الجزئيات بالكليّات، ما ربطنا النتائج بالمقدمات.

سؤال: أنا ما ذنبي؟ أودع الله فيّ هذه الشهوة، فلماذا أمرني بغض البصر؟ لماذا قال لي: هذا حرام، وهذا حرام، وهذا حرام؟ يا رب كنت في الأصل انزع منا هذه الشهوات وانتهى الأمر، هذا منطق ساذج.

الله جلَّ جلاله خلقنا، الإنسان مخلوق وحيد، مكرَّم، مخلوق أول، قال الله عزَّ وجل:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾

[سورة الأحقاف: 33]



ولكن خلق الإنسان من أجل أن يسعد بالله عزَّ وجل، كل مخلوقٍ يسعدُ بشيءٍ مما سِوى الله إلا أن الإنسان يسعَدُ بالله عزَّ وجل، فلكي يحتمل التجليات الإلهية في الآخرة، لكي يحتمل هذه السعادة التي لا حُدُودَ لها، أرسله إلى الدُنيا، ليستعد لهذه السعادة، ليُحصِّل موجِبات رحمة الله، أرسله إلى الدُنيا ليُقوّي طاقة احتماله، أرسله إلى الدُنيا ليؤهِّل نفسه لهذه السعادة التي ينفرد بها الإنس والجن من بين سائر المخلوقات، إذاً الشهوة في ظاهرها توريط، لكن في حقيقتها دفعٌ إلى الله عزَّ وجل .

التقرب إلى الله عزَّ وجل يعني هذا المخلوق، كيف يستطيع هذا المخلوق أن يتقرَّب إلى الله؟ لو أنه لا يُحِبُ شيئاً، ولا يكره شيئاً، لا يُحبُ النساء، ولا يحب المال، ولا يحب العُلو في الأرض، ولا يكره الجوع، ولا يكره الخوف، ولا يكره الذل، ما دام بالإنسان شهوات، إذاً هناك شيء يسعده، وشيء يُزعجه، هذه البنية، بنية مخلوق، يسعد بأشياء، ويتألَّم بأشياء، الآن جاء التكليف، أودع فيه حُب النساء، وأمره أن يغُض الطرف، الإنسان بهذه الطريقة يرقى إلى الله، أودع فيه حُب المال، وجعل الله طُرُقاً عديدة لِكسب المال، لكن طُرُق كسب المال المشروع طرقٌ قد تكون صعبةً أحياناً، أما الطرق السهلة، الحرام، قد تكون سهلاً ليرقى بترك الحرام، وأكل الحلال، أي بشكلٍ مُلخَّص، أقول هذا الكلام كثيراً: أودع الله فينا الشهوات لنرقى بها مرتين، مرةً صابرين، ومرةً شاكرين، إلى الله عزَّ وجل، يمكن أن أقول: إن الشهوة قوةٌ مُحرِّكة، قوةٌ دافعةٌ نافعة يوم القيامة حتى يستحقٌ المؤمنون الجنة، يقولون:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

[سورة الزمر : 74]

لولا أن الله عزَّ وجل خلقنا في الأرض، وأودع فينا الشهوات، وكلَّفنا وأمرنا أن نفعل، وألا نفعل، لولا أن هناك شهوات، حينما خالفناها ارتقينا إلى الله، ولولا أن هناك شهوات حينما رويناها وفق منهج الله ارتقينا إلى الله، لما كُنا في الجنة.

لا تستغرِبوا أن يأتي عليكم جميعاً إن شاء الله وأنتم ترفُلون في حُلل الجنة إن شاء الله، الجنة رجاؤنا، هناك عشرة أشخاص استحقوها يقيناً، هم العشرة المُبشرون بالجنة، وما سِوى هؤلاء نرجو الله عزَّ وجل، أن نكون من هؤلاء، لكن لا تستغربوا أن تُدرِكوا في لحظةٍ من لحظات الجنة أنه لولا الشهوات التي أودعها الله فينا لما كُنا في الجنة، قد يقول المؤمن وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

[سورة الزمر : 74]

كيف تتقربُ إلى الله؟ لا يوجد طريق إلا أن تُحب شيئاً، أن تتمنى أن تقترب منه، والأمرُ يمنعك عنه، فتقول: إني أخاف الله رب العالمين.

الزواج و غضّ البصر :



من باب بيان فضل الله علينا، أنت تُصلي في اليوم خمس مرات، بل هل تعلم أنك كلما رأيت في الطريق امرأة وغضضت عنها بصرك تُصلي؟ أراد الله عزَّ وجل أن تكون المناسبات للاتصال به كثيرةً، فأمرك بغض البصر، ولئلا تكون محروماً سمح لك بالزواج، فالزواج يمنع عنك الحرمان، وغض البصر، يرقى بك إلى الواحد الدّيان.

فلسفة الأُمور مُريحةٌ جداً، الإنسان إذا أخذ أوامر الشرع هكذا في نهاياتها، في حيثياتها، دون أن يربطها بكلّيات العقيدة، بفلسفة الوجود، بحقيقة الكون، بحقيقة الحياة، بجوهر الإنسان، يقع في متاهات، تنشأ معه آلاف الأسئلة، ولا يدري لها جواباً، حينما تمشي في الطريق يجب أن تعلم أن الله هو الذي أودع فيك حب النساء، هو هو، وهو الذي أمرك بغض البصر، من أجل أن يكون غضُّ البصرِ طريقاً إلى الإقبال عليه دائماً وهذا ما أكدّته لكم كثيراً، قد تتفق الشرائع مع القوانين.

اتفاق الشرائع مع القوانين وافتراقهما :

السرقة محرمة في الشرع، ومحرمة في القانون، فمن ترك السرقة، ممكن لأنه يخاف من السجن والمسؤولية، ولك أن تقول: يخاف من الله، ما الحقيقة؟ الله أعلم، لكن الذي يغضُّ بصره عن محارم الله يقيناً يخاف من الله، لأنه ليس في الأرض كلها تشريعٌ أو قانونٌ يأمرُ بغض البصر، إذاً هنا افترقت الشريعة عن القانون.

الصيام: بإمكانك أن تدخل البيت في أيام الصيف الحارة، وأن تدخل الحمام بعيداً عن نظر أولادك وزوجتك، وأن تشرب الماء النمير البارد، من العداد رأساً، ولا يدري بك أحد، إذاً الصيام عبادة الإخلاص، ما دمت تمتنع عن أن تشرب قطرة ماء إذاً أنت تُراقب الله عزَّ وجل.، فحكم العِبادات أحياناً من أجل أن تعلم أنك تحب الله، من أجل أن تعلم أنك تعلم أن الله يُراقبك، من أجل أن ترتفع معنوياتك، من أجل أن تُحس أنك في رضى الله عزَّ وجل، إذاً لا تستغرب، أنه يا أخي ما هذه الحياة؟ كلها صراع نفسي، وفي الطريق نساءٌ كاسياتٌ عاريات، والله يأمرني أن أغض بصري، وضع غير طبيعي، لا، هذا هو الطبيعي، لأنه خلقك للجنة، وثمن الجنة ضبط الشهوات، لأنه خلقكَ لحياةٍ أبدية لا تنتهي، وأن ثمن هذا كله الجنة:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾

[سورة النازعات : 40]

فأنا أتمنى دائماً أن أوضح لإخواننا الشباب كما أنه ليس في الإسلام حرمان ليس فيه تفلُّت، الله قال:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الحديد: 27]

هم كتبوها على أنفسهم، هم اجتهدوا فأخطؤوا، والدليل أنهم أخطؤوا:

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾

[سورة الحديد: 27]

لم يتمكنوا، لأنها خلاف الفطرة، الترهُّب، الرهبنة، خلاف فطرة الإنسان، لذلك القصص التي تروى عن الرهبان في انحرافاتهم الجنسية لا تعدُّ ولا تحصى، لأنهم ألزموا أنفسهم ما لا ينبغي أن يكون، ما كتبناها عليهم، والدليل أنهم:

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾

[سورة الحديد: 27]

فالإسلام دين الفطرة، فكما أن الإسلام ما كلفك ما لا تطيق، كذلك ما أطلقك إلى حيث تريد، هناك منهج، مثلاً طريق، الطريق عريض، لك حرية الحركة في حدود هذا الطريق، لكن بعد الطريق هناك ممنوعات. فأجمل حياة يعيشها حياة القيم، حياة المنهج، حياة الدستور، انظر إلى السيارة أروع ما تكون وهي على الطريق المعبَّد، لأن هذا الطريق صنع لها، وهي صنعت له، فإذا سارت على الطريق المعبدَّ تجدها كلها مرتاحة، لا يوجد أصوات أبداً، أما إذا نزلت إلى الطريق الوعر فتحس أن هذا الطريق ليس لهذه السيارة، وهذه المركبة ليست لهذا الطريق.

ربط الجزئيات بالكليات :

أردت من هذه المقدمة أن نربط الجزئيات بالكليات، لا أن نبقى في هذه حرام، لماذا حرام؟ أنت تعيش في مجتمع، هناك أناس ليس لديهم وازع ديني إطلاقاً، أما آتاهم الله منطقاً، عندهم عقل، فإذا ملكت الحجَّة، بالمناسبة: ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، لو اتخذه لعلمه :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة الأنعام: 83]

أي يوجد قوة للمؤمن، قد تكون غير مادَّية، قد يكون مؤمناً أي من أقل المراتب في المجتمع، قد يكون موظفاً صغيراً جداً، ضارب آلة كاتبة، حاجباً، لكن قوته نابعةٌ من حجته، لما ربنا قال:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[سورة الأنعام: 83]

لكل مؤمنٍ من هذه الآية نصيب، قوةٌ، يجوز حاجب في دائرة يناقش المدير العام المتفلت، الذي عقيدته فاسدة، هذا الحاجب أقوى منه في المناقشة، المؤمن يعلّم لماذا يغضُّ بصره، يعلَّم لماذا يصوم، يعلّم لماذا يصدق، يعلّم لماذا يتكلَّم بالحق، فنحن نريد مؤمناً متمكّناً، لا أريد مؤمناً يطبّق الإسلام إلى حين، لو أنَّك عرفت الأمر الشرعي من دون حيثيات، من دون أن تربطه بالكلّيات، من دون عقيدة صحيحة، يمكن أن تطبق الأمر لكن مقاومتك هشة، أي أدنى ضغط، أو أدنى إغراء، تجد مقاومتك قد انهارت، لذلك كلّ إنسان يربي، كل إنسان يبني إخوانه بناء، إذا بنى النفوس بناء صحيحاً، بناء علمياً، بناء منطقياً، على أساس من العقيدة الصحيحة، تجد هذا الأخ قوياً، أي قوي في دينه، أينما ذهب مستقيم، أي أنت عندما تعرف أن هذا الأمر مربوط بهذه العقيدة الصحيحة، مربوط بهذه الكلّية، أي أنت مؤمن بخالق الكون، أنت مخلوق للجنّة، والجنّة ثمنها ضبط الشهوات، الشهوات أودعت فيك لترقى بها إلى الله، أودعت فيك، هذا الذي أتمنى أن يكون واضحاً للكل.

قوة الشهوة والوقوف أمامها :

قوة الشهوة والوقوف أمامها: كل إنسان بيتبرم بالشهوات، يقول: يا أخي ليس بيدي، لكن الله أودعها فيك، وقوية هذه الشهوات .



أي مثلاً تصوَّر طناً من الحديد ألقيناه من عشرة آلاف متر، هذا يتسارع، ماذا يقف في وجهه؟ طبق ورق؟ أعوذ بالله، قماش؟ مستحيل، سقف يحطمه كذلك الشهوات، قوة اندفاع شديدة، لا يقف أمام الشهوات إلا يقين، إلا إيمان قوي، إلا عقيدة صحيحة، إلا اتصال بالله، حينما تستقيم، وتتصل، تصبح كالجبل قويّاً، تحس أنه يوجد عندك مقاومة كبيرةً جداً، لذلك المؤمن الصادق لا يضعف لا أمام أقوى المغريات، ولا أمام أقوى الضغوط، لا الضغط يؤثر فيه، ولا الإغراء يؤثر فيه، التِبْر عنده كالتراب، والحياة والموت سواء، قال له:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

[سورة طه : 72]

الحقيقة نحن لا نقدر أن نستعيد مجد أمتنا، ولا نرجع كما كنا قادة للأمم، النّبي الكريم جاء إلى قومٍ هم رعاةٌ للغنم، فجعلَّهم قادةً للأمم، من رعاة غنّم لقادة أمم، بعقيدة صحيحة، وبالتزام صحيح، أصعب شيءٍ في مجتمعاتنا الإسلامية أن يظنَّ المسلمون أنَّ الدين صوم وصلاة، الدين منهج، منهج طويل عريض، فيه كل شيء، فيه تفصيلات لكلّ شيء، فهذا المنهج. مرة قرأت كتاب: الإسلام إما أن تأخذه كلُّه أو فدعه كلُّه، أنا لا أوافق على هذا العنوان، أوافق على الشق الأول، خذه كلَّه، ولن تقطف ثماره إلا إذا أخذته كلّه، هذا أصح، خذه كلُه، بأدق تفاصيله.

إيداع الشهوات في الإنسان ليرقى إلى ربه صابراً و شاكراً :

إذاً ملخص المقدمة أن الله أودع فينا الشهوات لنرقى بها صابرين بغض البصر، وشاكرين بنعمة الزواج، إلى رب الأرض والسموات، أودع فينا الشهوات، المال، لنرقى بحب المال صابرين بإنفاقه، شاكرين بكسبه، أودع فينا حب العلو في الأرض لنرقى به صابرين، بترك معاونة الظلام، ولنرقى شاكرين بخدمة الضعيف، وهكذا، كلُّ الشهوات يمكن أن توظَّف في الحق.

أخ كريم.. استوقفني في الدرس الماضي، وقال لي- أنا والله أعجبني ورعه، وأعجبني غيرته على دينه-: أنا محامي، قلت له: أنعم وأكرم، قال لي: لماذا بعض العلماء يذمّون هذه المهنة؟ قلت له: والله أنا ما فعلتها في حياتي لأنني أعتقد أنَّ أية مهنةٍ لا تستعصي على الالتزام بالدين، والمحامي المؤمن الذي يضع كلَّ علمه، وكلَّ ذكائه، وكلَّ طلاقة لسانه، وكلَّ ثقافته القانونية الواسعة في خدمة الضعيف، ويأخذ أجره حلالاً جُعالةً، هذا يرقى إلى الله، قد يرقى المحامي، قد يستحق دخول الجنّة لأنه محامي، أعتقد يجب أن توظِّف كلَّ شيء في الحق، الآن حتى الذين آتاهم الله أصواتاً عذبة، أليس من الممكن أن يقرؤوا القرآن وأن تصبح أصواتهم خالدةً إلى آلاف السنوات؟ مرة أنا سمعت أذاناً لمؤذن، أعتقد أنه مات قبل خمسين سنة بمصر، قلت: هذا الصوت بقي مستمراً، الصوت الحسن يمكن أن يوظَّف في الحق، في تلاوة القرآن، في الأذان، في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، كلُّ ما أودعه الله في الإنسان يمكن أن يوظف في الحق وفي الباطل، في الخير، وفي الشر.

إذاً من أجل أن تربط غضَّ البصر وحفظ العورة، عدم إبداء العورة وعدم إطلاق البصر إلى العورة، من أجل أن تربط هذا الحكم الجزئي الصغير بكليةٍ كبرى في الدين، اعتقد دائماً أن الله جلَّ جلاله خلقك للجنّة، وهذه الدنيا دار دفع الثمن، كيف العام الدراسي، الآن الطالب الجامعي، مقاعد الجامعة مريحة؟ لا والله، مقعد خشبي عرضه خمسة وعشرون سنتيمتراً، وقائم لا يوجد به إسفنج ولا جلد والتدفئة أقل من الوسط، وبعض البلور مكسَّر دائماً، في أيام البرد لا يوجد تدفئة جيدة، ولا مقعد مريح، ولا يوجد أثناء الدرس بعض من الموالح، أو قليل من العصير مثلاً،لا يوجد إلا محاضر أمامك، لا يوجد غير كلام الصراحة.

لكن سنة سنتين، ثلاث، أربع بهذه الجامعة، أصبح طبيباً مثلاً ، أو مهندساً، عندما كان لهذه المهن الراقية دخل كبير، فبعدما أخذ الشهادة، وأصبح له مكانة اجتماعية، وركَّز وضعه بالتعبير التجاري، واشترى بيتاً، وجاءه دخل كبير، لولا هذه السنوات التي قضاها في الجامعة، اثنتا عشرة ساعة باليوم بلا غداء، أكثر الأيام بلا غداء، اثنتا عشرة ساعة، وكل محاضر له طبع خاص، وظائف، حلقات بحث، ومفاجآت بالامتحانات، ومعركة بين الأستاذ والطلاب، هم يتوقعون قسماً فيفاجئهم بقسم، وسلم صعب، ولا يمكن أن تراجع ورقتك، لولا هذه المتاعب خلال ست أو سبع سنوات، لا يقال لك: الدكتور فلان تفضل، يقول لك: إيكو بخمسمئة ليرة، هذا غير تخطيط، تحتاج لإيكو، وتخطيط، وكذا، لولا هذه المتاعب ما كنت في هذا المستوى، طبعاً أنا أضرب أمثلة من واقع الحياة. ولولا أنك جئت إلى الدنيا، ووضعت فيك الشهوات، حب المال، حب النساء، حب العلو في الأرض، وجاء الشرع، غضْ بصرك، ولا تصافح، ولا تخلُ بأجنبية، وهذه حرام، وهذه حلال، وهنا غض بصرك، والفخذ عورة، وهذه، منهج طويل عريض تفصيلي، وهذا الكسب حرام، وهذه شبهة الربا، وسألت، وجلست بمسجد، وعلى ركبك جلست ، و كان الدرس ساعة ونصف، ما كنت ترقى إلى هذا المستوى.

لذلك هذا الدرس جزئيته صغيرة أما كليته فكبيرة، أنت حينما تطبِّق منهج الله عزَّ وجل من أجل أن تكون في عداد السعداء في الآخرة.

عورة المرأة بالنسبة للمرأة :

عورة المرأة بالنسبة للمرأة الآن، درسنا هذا اليوم عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، أي أكثر الناس يظنون أنه لا يوجد عورة بين النسوة، امرأةٌ على امرأة، أي نحن وهذا ما أعتقده اعتقاداً جازماً أنَّ مجتمعنا والحمد لله مجتمع مسلم، مجتمع نظيف، المجتمع المؤمن مجتمع أرقى، مجتمع روَّاد المساجد الملتزمين، هذا مجتمع أرقى وأرقى، لذلك الانحرافات الأخلاقية إذا ذكرناها لا أعتقد أن من بين الحاضرين من هو واقع بها، لأنه شيء بعيد جداً.

شخص يدرس جامعة تسأله: هل تقرأ وتكتب؟ أنا معي بكالوريا ماذا أقرأ وأكتب؟ كلام لا معنى له، ما وصل إلى الجامعة حتى أخذ البكالوريا، فنقول لأحد: أخي توجد انحرافات؟ هذا أغلب الظن بعيد جداً عن رواد المساجد، عن مجتمع المؤمنين الصادقين، ولكن هناك انحرافاً بين النساء سببه التكشُّف، وهناك انحراف بين الجنس الواحد اللواط و هو معروف، والسِحاق معروف، فالانحرافات الجنسية في الجنس الواحد سببها عدم التقيُّد بأوامر الله عزَّ وجل.

فالدرس اليوم عن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، إما أنها قريبة، وإما أنها أجنبية، ما معنى أجنبية؟ هل معنى هذا أن معها جواز سفر؟ لا ولكنها ليست قريبة، أو فاجرة، أو كافرة، أربع نساء؛ قريبة، أجنبية، فاجرة، كافرة. الفاجرة قد تكون هويتها مسلمة في الأصل، ولكن هذا الانتماء التاريخي لا قيمة له إطلاقاً، أما هي ففاجرة، ليست منضبطة، هذه لها حكم.

والكافرة الكتابية، هذه لها حكم، والقريبة، والأجنبية، الأجنبية ليست قريبة جارتنا، أما القريبة فأخت، أم، عمة، خالة، بنت أخ، بنت أخت.

فالقريبة، والأجنبية، لمَّا جمعنا بين القريبة والأجنبية معناها القرب النسبي لا قيمة له في هذا الموضوع، القريبة، أو الأجنبية، كلاهما واحد، لا يوجد فرق بين جارتي وبين عمتي، فيما بين المرأة والمرأة فقط، درسنا اليوم عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة.

قال: فلهما لكلا المرأتين، النظر من المرأة إلى المرأة إلى سرتها فما فوق، وإلى ما تحت ركبتيها، لأن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة ما دون سرتها إلى مادون ركبتها، فالسرة ليست من العورة، والركبة من العورة، أي أن عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة كعورة الرجل بالنسبة إلى الرجل.

الأحاديث التي حددت عورة الرجل مع الرجل هي نفسها حددت عورة المرأة مع المرأة :

وقد اتفق العلماء على أن الأحاديث التي حددت عورة الرجل مع الرجل هي نفسها بيانٌ لعورة المرأة مع المرأة، قال صلى الله علية وسلَّم:

((لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ.....))

[مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

طبعاً هذه القريبة، والأجنبية، الحاصل أنه لا يجوز للأُم أن ترى من ابنتها، ولا للبنت أن ترى من أُمها، ولا للأُختِ أن ترى من أُختها، ولا للمرأة أن ترى من عمتها، أو خالتها، أو بنت أُختها، أو بنت أخيها، أو إحدى النساء، قريباتٍ كنّ أو أجنبيات، شيئاً مما بين السرة والركبة، لا في الحمام ولا في غير الحمام، ولا وقت خلع الثياب، ولا في الاستقبالات، والاحتفالات، ولا في عمل المنزل، ولا في تنظيفه.. هذا الحكم الشرعي. فإذا كشفت إحداهن، شيئاً من عورتها وأثمت بهذا الكشف، لا يحلُّ للباقيات النظر إليها أبداً، بل يجب عليهن الإنكار عليها، ويجب عليهن منعها من إبداء شيءٍ من عورتها، وإن أصرت إحداهن على كشفها، لا يجوز الجلوس وهي كاشفةٌ عورتها، وقد لعن رسول الله ﷺ الناظر والمنظور إليه.

نحن نتمنى أن يلتزم الفريقان، الناظر والمنظور، فإذا أخلَّ المنظور على الناظر أن يغُض البصر، عليه أن ينصح، عليه أن يغُضَّ البصر.

مرة ثانية، وثالثة، ورابعة، هذه الأحكام للأسوياء، للإنسان الطبيعي، أما لو أنه خُشيت الفتنة من نظر امرأةٍ مريضةٍ، أو منحرفةٍ، أو فاسقةٍ، أو فاجرةٍ، إلى امرأةٍ سوى ما بين السرة والركبة فلا يجوز، الوضع الطبيعي، المألوف، المرأة السوية التي تمثِّل الخط العريض في المجتمع، هذا هو الحكم، أما في عدد قليل، نسب قليلة، منحرفة المزاج، الاتجاه غير سليم، فهذه المرأة لا يجوز لها أن تبدي حتى لامرأةٍ أُخرى قريبةٍ أو غير قريبةٍ ما فوق السرة، وما تحت الركبة.

ما حلَّ للمرأة النظر إليه حلَّ مسُّه :

والحكم الذي قلته لكم سابقاً ما حلَّ للمرأة النظر إليه حلَّ مسُّه؟ أي ممكن بنت تنظف ابنتها فيما سوى العورة في الحمام، ممكن الشيء المسموح النظر إليه مسموح مسَّه بلا شهوة، فإذا خُشيت الشهوة حُرِم مسه، وحُرِم النظر إليه، مع وجود الشهوة، مع خوف الفتنة، هناك أحكام أُخرى، يقول عليه الصلاة والسلام:

((....وَلا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ...))

[مسلم عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

كما أنه لا يجوز أن يتلامس الجسدانِ للذكور، لا يجوز أن يتلامس الجسدان للإناث، الحكم نفسه، لأن فيما بين الذكور انحرافاً معروفاً، وفيما بين الإناث انحرافاً معروفاً..

تحريم وصف المرأة امرأة أخرى أمام زوجها :

يوجد عندنا حكم مهم جداً هو أن المرأة إذا رأت امرأةً، الآن انظر، أكثر الأُسر الإسلامية أين كنتم؟ في بيت فلان، ماذا صار؟ الزوج عنده فضول، ماذا رأيتم؟ والله عندهم بنت جميلة جداً، صفيها لنا؟ قالت: كذا و كذا، قال: لا يجوز لمرأةٍ أن تصف امرأةً لزوجها إطلاقاً، طبعاً يوجد معها دليل، يقول عليه الصلاة والسلام، فيما ورد في الصحيحين:

((لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم]

أنا أقول لكم: لو أن امرأةً وصفت امرأةً لزوجها ذهب خيال الزوج إلى صفاتٍ أعلى بكثير مما وصفت. الإنسان ينزع نحو الكمال دائماً، لذلك النبيّ عليه الصلاة والسلام حينما رأى زيد الخيل، وهذا رجل كان من أصحاب المُروءة في الجاهلية، النبيّ أُعجب به، قال له: من أنت؟ قال له: أنا زيد الخيل، قال له: بل أنت زيد الخير، لله درُّك يا زيد، ما وصف لي شيءٌ فرأيته إلا رأيته دون ما وصف، إلا أنت يا زيد.

هذه قاعدة، يقول لك: جلسنا في مكان جميل جداً، وإذا رأيته فتقول له: والله ليس لهذه الدرجة، لم يطر عقلنا، الوصف دائماً أكبر بكثير من الواقع، لأن هذا من عجز اللغة، اللغة لماذا هي عاجزة؟ تقول: كبير، ما معنى كبير بالنسبة للمتكلم؟ أي إذا إنسان دخله محدود، يقول لك: فلان غني، يجوز هذا الغني مع الغني الحقيقي فقير، لكن كلمة غني من إنسان فقير تختلف عن كلمة غني من إنسان غني، فمن عجز اللغة أنها لا تُعطي الحجوم حقيقتها.

لذلك حينما تصفُ امرأة، الأصل محرم، لكن لو أنها وصفت لا يقف الزوج في تصوّرِه عند حدود الواقع، بل قد يشتط خياله إلى أبعد من الواقع، هذا الذي حرَّمه الشرع، إذاً لا يجوز، قال: إذا جاز للمرأة أن تنظر إلى امرأةٍ أُخرى، قريبةٍ أو أجنبية، في تلك الحدود الضيّقة، التي سمح بها الشرع، إذا جاز لها ذلك، فلا يجوز لها أن تصف ما رأت لزوجها أو قريبها أو لأجنبيّ إطلاقاً. لذلك أكثر الأُسر يحضرون أعراساً، يتكلمون بعد العرس، فلانة كذا و كذا، لو أنهنّ تكلمنّ على مسمعِ الزوج فهذا حرام، حرامٌ حرمةً قطعيةً أن تصف امرأةٌ امرأةً لزوجها فكأنه ينظر إليها.

يوجد عندنا استثناء واحد، من يعرف هذا الاستثناء؟ الخاطب، أن الخاطب له حق أن يراها مباشرةً، فإذا وصفت له أقل من الرؤية، الخاطب من حقه أن يراها، لذلك إذا ذهبت امرأة لتخطب لابنها، ووصفت له مخطوبته، الأمر مشروع لا شيء عليه، لكن لا يجوز أن تصف له هذه الفتاة أمام أخيه المتزوج، ليس له علاقة، هذه دقة الشرع، تصف الأُم لابنها مخطوبته، دون أن ينتقل هذا الوصف إلى آخرين.

لا يحلّ للمرأة أن تبدي زينتها أمام المرأة الفاجرة أو الكافرة :

قال: أما الفاجرة، الفاجرة قد تكون بالهوية مسلمة، لكنها فاجرة، فاسقة، قد تكون زانية، قد تكون متفلّتة من كل الشرائع تقريباً، قال: هذه الفاجرة لا يحل للمرأة أن تبدي أمامها زينتها، لا يحل للمرأة المسلمة أن تبدي زينتها للمرأة الفاجرة، لأن الفاجرة ليس عندها قاعدة، المسلمة إذا رأت مسلمة، المسلمة لها زوج، و زوجها معلمها، وأبوها معلمها، وأمها علمتها، أي المسلم يغلب عليه الورع، يغلب عليه الانصياع لله عزَّ وجل، فحينما تبدو امرأة أمام امرأة، أغلب الظن أنها لن تصفها للآخرين، لكن هذه المرأة الفاجرة إذا نظرت إلى زينة امرأة مسلمة، رُبما وصفتها للأجانب، تصور امرأة ماشية بالطريق وهي محجَّبة، وقد وصفت عضواً عضواً للأجانب، ما قيمة هذا الحجاب؟

يعرفونها من الداخل هم حسب الوصف، إذاً ما قيمة حجاب المرأة إذا رأتها فاجرةٌ ووصفتها للأجانب؟

الفاجرة، لا يحل للمرأة المسلمة أن تبدي أمامها زينتها، لأنها تصفها عند الرجال، فلا تضع جلبابها ولا خِمارها عندها، لذلك أنا والله أستمع إلى أخوات مؤمنات يحضرنّ أعراساً، ويرتدين ثيابهنّ الخارجية تماماً، هذا موقف سليم، لماذا؟ قد يكون في هذا العرس امرأة فاجرة، القصد حضرن ولبين الدعوة، فالمرأة المسلمة تبقى في ثيابها المُحتشمة في الأعراس، أما هذا التقليد أن تخلع ثيابها الخارجية، وأن تبدو في أبهى زينة ولا تعلم من هنّ المدعوّات، فإن كان من بين المدعوات فاجرة، الهوية مسلمة لكن فاجرة، هذه الفاجرة من طبيعتها أن تتكلم لأن الشيطان يؤزها أزاً الشيطان، لأنها مع الشيطان، والشيطان يُغري بكل معصية، أنا الذي أتمناه أنه حتى في الاحتفالات أن يكون المدعوون قد انتقاهم الداعي انتقاء جيداً، فإذا كان الانتقاء عشوائياً فيجب أن تبقى المرأة المسلمة في الحدود التي لا تبدو زينتها أمام الفاجرات، الآن الدليل، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾

[سورة النور : 31]

أين بيت القصيد، أين الشاهد؟ أو نسائهن.

تحريم خلع المؤمنة ثيابها بين يدي مشركةٍ أو كتابية :

ورد في رد المحتار في تفسير قوله تعالى "أو نسائهن" أي الحرائر المسلمات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد، أي أن تخلع ثيابها بين يدي مشركةٍ أو كتابية، هذه معنى أو نسائهن ، والشيخ النابلسي له كتاب اسمه" هدية ابن العماد" يقول: " لا يحل للمسلمة أن تتكشف بين يدي يهوديةٍ، أو نصرانيةٍ، أو مشركةٍ أبداً، هذا تفسير قوله تعالى أو نسائهن" . وقال ابن كثير: " أو نسائهن، أي ألا تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة، أي الكتابيات، لئلا تصفهن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد". فيغلب الظن أن المرأة المسلمة لا تصف المرأة المسلمة لزوجها، أما الكافرة، والفاجرة، فتصِفُها لزوجها، إذاً يجوز للمرأةِ المُسلِمة المؤمنة أن تُظهر زينتها لمن؟ لامرأةٍ مسلمةٍ مثلها، أما لغير المُسلمة فلا يجوز، الكافرة لا يجوز، الفاجرة لا يجوز والحديث الشريف:

((لا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم]

سيدنا عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عُبيدة بن الجراح، وقد بلغه أن في الشام حمامات عامة قديماً، هذه القصة قديمة جداً، من عهد سيدنا عُمر، قال له: " أما بعد، فإنه بلغني أن نساءً من نساء المُسلمين، يدخُلن الحمامات مع نساء أهل الشرك، فإنه من قبلك لا يحل لامرأةٌ تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملَّتها ".

هذا كلام سيدنا عمر لأبي عبيدة بن الجراح.

وقال الإمام مُجاهد في تفسير قوله تعالى: " أو نسائهن " نسائهن المسلمات، ليس المشركات من نسائِهن، وليس للمرأة المسلمة أن تتكشف بين يدي مشركة، ولا يحل لامرأةٍ غير مُسلمةٍ أن ترى من المرأة المُسلمة زينتها أو مكان الزينة .

وروي عن مجاهدٍ أيضاً قال: "لا تضع المُسلمة خِمارها عند مشركة، لأن الله تعالى يقول: أو نسائهن فليست المُشركة من نسائهن".

كم دليل أصبحوا؟ سبعة أدلة تقريباً، وفي تفسير الخازن: "أو نسائهن، أي المؤمنات من أهل دينهن" أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة، ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية، أو الكافرة ، لأن الله تعالى قال: أو نسائهن،

والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا، ولأنها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الأجنبي .

هذا الموضوع الذي هو في الترتيب الثالث عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة وكُنا قد أخذنا في الدرس الماضي عورة الرجل بالنسبةإلى الرجل.

والدرس الأول عورة الرجل بالنسبة إلى المرأة، بقي الموضوع الأخير وهو عورة المرأة بالنسبة إلى الرجُل، هذا في الدرس القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5 - 5) : عورة المرأة بالنسبة للرجل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل :

أيها الأخوة المؤمنون... مع الدرس الرابع من دروس العورة، وقد بينتُ بفضل الله عز وجل في دروسٍ سابقة، عورة الرجل بالنسبة إلى الرجل، وعورة الرجل بالنسبة إلى المرأة، وعورة المرأة بالنسبة إلى المرأة، وبقي الموضوع الرابع، وهو عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل.

أولاً: تختلف عورة المرأة بالنسبة للرجُل، باختلاف الرجل، من هو هذا الرجل؟ ما كل رجل ككل رجل، عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل تختلف باختلاف الرجل.

كم احتمال يوجد للرجال؟ هناك رجُلٌ زوج، وهناك قريبٌ محرم، وهناك قريبٌ غير محرم، وهناك أجنبيّ، أربع أنواع من الرجال، زوجٌ، قريبٌ محرمٌ، قريبٌ غير محرمٍ، أجنبيّ.

أما المرأة بالنسبة لزوجها فليس لها عورة، وله أن يرى منها كل شيء، من فرقها إلى قدمها، بشهوةٍ وبغير شهوة، لأنه لما جاز المسّ والغشيان فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر إلى جميع بدنها من باب أولى، إلا أن الأولى- الآن دقة الحكم- إلا أن الأولى ألا ينظر كل واحدٍ منهما إلى عورة صاحبه، طبعاً المغلظة، السوأة، ومن نظر فقد ترك الأولى، لقول النبيّ عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ وَلا يَتَجَرَّدْ تَجَرُّدَ الْعَيْرَيْنِ))

[ابن ماجة عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ]

أي هذا توجيه إرشادي، فمن ترك هذا ترك الأولى، ولقول النبيّ عليه الصلاة والسلام:

((رَأَى رَجُلا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلا إِزَارٍ فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ))

[النسائي عَنْ يَعْلَى]

ولقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ))

[الترمذي عَنْ ابن عمر]

إذاً عورة المرأة بالنسبة إلى زوجها ليس لها عورة، له أن ينظر إليها من فرقِها إلى قدمها، بشهوةٍ وبغير شهوة، لأنه جاز المس والغشيان، فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر من باب أولى، لكن ذوق النبيّ الراقي وجّه إلى عدم النظر إلى السوأة، فمن نظر فقد ترك الأولى.

ليس هناك قضية تحتاج إلى بحث، أو إلى أخذ ورد، فيما بين الزوج وزوجته، وإذا كان هناك من تفصيلات تتعلق فيما بين الزوجة وزوجها فله درسٌ آخر مستقل، أي موضوع الحيض والنفاس وما إلى ذلك، لكن طبيعة هذا الموضوع تقتضي أن ننتقل من هذا الجزءِ من الدرس إلى الجزءِ الآخر، وهو عورة المرأة بالنسبة لقريبها المحرم.

الجزء الأول، عنوان الدرس عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل، أجزاءٌ كثيرة من هذه الأجزاء عورة المرأة بالنسبة لزوجها.

عورة المرأة بالنسبة لقريبها المحرم :


تظهر المرأة أمام القريب غير المحرم كالغريب تماما

الجزء الثاني: عورة المرأة بالنسبة لقريبها المحرم: من هو القريب المحرم؟ القريب المحرم أي ما حرُم عليه الزواج منها، الأب، الابن، الأخ، العم، الخال، ابن الأخِ، ابن الأُختِ. قال: هؤلاء الأقرباء المحارم، لا يمكن للمرأة أن تُظْهِر أمامهن إلا .. والآن عدم الفهم، أنه أخي، أخوكِ له حدود، ابني، ابنك هناك حدود، أبي، أبوكِ له حدود.

قال: هؤلاء الأقرباء المحارم لا يحل لهم أن ينظروا إلى المرأة إلا إلى الرأس، والشعر، والوجه، والعنق أي أعلى الصدر، والأُذن، والساعد، والكف، والساق، والقدم هذه المواضع التي يجوز للأقرباء المحارم أن ينظروا إليها من المرأة، التي يحرم عليهم الزواج منها.

المحارم بحكم المصاهرة :

طبعاً هناك أقرباء محارم بحكم النسب، وأقرباء محارم بحكم المُصاهرة، فالإنسان حماته، أُم زوجته، هذه من محارمه، زوجة ابنه من محارمه، زوجة أبيه من محارمه، أُمه، أُختِه، ابنته، ابنة أخيه، ابنة أُخته، عمته، خالته، هذه النساء القريبات المحارم.

إذاً الرأس، الشعر، الوجه، العنق، الأُذن، أعلى الصدر، الساعد، الكف، الساق، القدم، تُلخص هذه المواضع بأن المرأة عليها أن ترتدي أمام أقاربها المحارم ثياب الخدمة، وثياب الخدمة هي الثياب التي تغطي سائر الجسد، ماعدا هذه الأعضاء التي ذكرتها قبل قليل، قال تعالى:

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة النور: 31]

مرّ شرح هذه الآية بالتفصيل، في سورة النور، فمن أراد التفصيل الدقيق فليرجع إلى تفصيل سورة النور، وهي مُسجلة.

دليل عدم رؤية القريب المحرم الظهر والصدر في النساء المحارم :

الآن ما الدليل على أن الظهر والصدر في النساء المحارم لا ينبغي أن يراها القريب المَحْرَم؟ دليل قوي جداً، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

إذا قال الزوج لزوجته: أنت عليّ كظهر أُمي، أي حرامٌ أن أنظر إليك كحرمة نظري إلى ظهر أُمي، فظهر الأُم بإمكان الابن أن يراه؟ هذا دليل قوي جداً، إذاً أيهما أكثر فتنة الظهر أم الصدر والبطن؟ من باب أولى إذا كان ظهر الأُم طبعاً، والأُخت، والابنة، والعمة، والخالة، وبنت الأخِ، وبنت الأُختِ، وأُم الزوجة، وزوجة الابن، وزوجة الأبِ، أي النساء المحارم، محارم نسب، ومحارم مُصاهرة، إذا قال الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾

أي حينما قال أحدهم: أنت عليّ كظهر أُمي، الله عز وجل قال:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾

[سورة المجادلة: 2]

إذاً فلأن تكون حرمة النظر إلى البطن والصدر من بابِ أولى، إذاً ما بقي إلا الرأسُ، وما عليه من الشعر، والوجه، والأُذنُ، والعنق، والكف، والساعد، والساق ما تحت الركبة، والقدم، أي ثياب الخدمة، إذاً في بيوتنا، البنت أمام أخيها، أمام أبيها، أمام ابنها، أمام عمها، أمام خالها، أمام ابن أخيها، أمام ابن أُختها، أمام والد زوجها، أمام ابن زوجها، لا يحل لها أن تُظهر إلا رأسها، وشعرها، ووجهها، وأُذنيها، وعنقها، وساعدها، وكفَّها، وساقها، وقدمها، أي عليها أن ترتدي ثياب الخدمة، أي الثياب المحشومة.

أما قميص نوم يشف عما تحته، أخي، أي أخٍ هذا؟ هذا خلاف الشرع، ألبسة ضيقة، ألبسة شفافة، ألبسة فيها إبراز للمفاتن، ألبسة فيها تبذُّل، ألبسة تصف ما تحتها، تصف خطوط الجسم، هذه كلُّها محرمةٌ، أن تبدو المرأة أمام أقاربها المحارم، إن أردت الإسلام، إن أردت الشرع، إن أردت منهج الله عزَّ وجل، إن أردت أن يبقى هذا البيت مصوناً، إن أردت ألا تقع فيه شبهة، إن أردت النظافة والعفاف، فعليك باتباع الشرع.

ما حلّ من المحارم النظر إليه حلّ مسه وغمزه :

طبعاً يوجد عندنا حكم فرعي، ما حلَّ نظره من محارمه حلّ مسه، الإنسان له حق أن يُصافح أُخته، أن يُمسك بكفها، ما حلّ نظره من محارمه حلّ مسه، طبعاً قال: إذا أمن الشهوة، الإنسان السوي، الشخص الطبيعي، الإنسان الذي يمثل الخط العريض، أما النسبة الشاذَّة فهذه لها حكم آخر، كل الأحكام التي تلوتها عليكم في هذه الدروس الأربع، هي متعلقةٌ بالإنسان السوي، فكان عليه الصلاة والسلام يقبّلُ رأس السيدة فاطمة رضي الله عنها، وكان يقول:

((من قبّل رجل أُمه فكأنما قبل عتبة الكعبة))

[روي في كتاب شرعة الإسلام]

لك الحق أن ترى الساق، والقدم، والساعد، والكف، والعنق، والرأس، والوجه، والأُذن، فما حلّ نظره حلّ مسه عند أمن الفتنة.

لكن أنا أتمنى، أن تجعل هناك فرقاً بين الأقارب- أقارب النسب- وبين أقارب المُصاهرة، أقارب المصاهرة يجب أن تأخذ احتياطاً أكثر، فعادات التقبيل بين الصهر والحماية هذا ليس وارداً، أي حتى هناك رأي متشدد، أنه من قبّل أم زوجته، وشعر بشيء، حرمت عليه زوجته، فالأولى أن نبتعد كُلياً عن تقبيل المحارم، بسبب المصاهرة، أي زوجة الابن مشتهاة، لذلك لا يجوز الخَلوة بها، زوجة الأب التي في سن الابن مشتهاة، لا يجوز الخلوة بها، أم الزوجة، يوجد حالات تشتهى، لا يجوز، لذلك النساء المتعلقات بالمصاهرة، هؤلاء يجب أن تأخذ احتياطاً أكبر بكثير من احتياط الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وابنة الابن، وابنة البنت.

كان بعض التابعين يمشّط رأس أُمه، لا يوجد مانع، الرأس مسموح، الشعر مسموح، لكن الحكم الدقيق من لم يأمن ذلك، بأن خاف الشهوة على نفسه، أو عليها، أحياناً يكون الوضع معكوساً، خاف الشهوة على نفسه، أو عليها، أو شك، يوجد درجة أشد من الخوف هي الشك، لو شك فلا يحل له النظر ولا المس، قال: وكذا ما حلّ من محارمه النظر إليه حلّ مسه وحلّ غمزه بالتدليك، إذا الإنسان دلَّك، أي بين الكتفين، أو الساق لا يوجد مانع، فالتدليك يجوز لما يجوز النظر إليه، أما ما لا يجوز النظر إليه، انظر الدقة، فيحرم مسُّه مباشرةً، ويكره تحريماً دلكه من فوق الثياب، تدليكه، ما حرم النظر إليه يحرم تحريماً قوياً، مسه مباشرةً، أو دلكه من فوق الثياب.
إذاً أول قسم في الدرس: عورة المرأة بالنسبة لزوجها، القسم الثاني: عورة المرأة بالنسبة لأقاربها المحارم، محارم النسب، ومحارم المُصاهرة، ومحارم المُصاهرة درجة يجب أن تكون أدق، وفيها احتياط أكثر.

عورة المرأة بالنسبة لقريبها غير المحرم :

أما عورة المرأة بالنسبة لقريبها غير المحرم مثلاً قال: ابن عمها، ابن عمتها، ابن خالها، ابن خالتها، وهكذا سائرُ أقاربها، الآن قريب غير محرم، ابن العم، وابن العمة، وأخو الزوج، أخو الزوج قريبها لكنه غير محرم، وابن الخال، وابن الخالة، وسائرُ أقربائها من النسب، وزوج الأُختِ، وزوج الخالة، وزوج العمة، وأخ الزوج، زوج الأُختِ، وأخو الزوج، واضح تماماً، زوج الأخت، وأخو الزوج، وزوج الخالة، وزوج العمة، وابن أخِ الزوج، وعم الزوج، وخال الزوج، وأبناؤهم، وابن أُخت الزوجِ، وغيرهم أي تقريباً الأقرباء غير المحارم، ابن العم، وابن الخال، وابن العمة، وابن الخالة، زوج الأخت، أخو الزوج، زوج الخالة، زوج العمة، ابن أخِ الزوج، عم الزوج، خال

الزوج، وأبناؤهم، ابن أخت الزوج، وغيرهم، الحكم سهل جداً، قال: هؤلاء المحارم غير النسبيين كالأجانب تماماً، بل هناك قولٌ للنبيّ عليه الصلاة والسلام، لأن الأقارب يمكن أن يطرقوا الباب، هنا أخي؟ لا والله تفضل، أخو الزوج، زوج الأُخت صهري، أهلاً وسهلاً صهري، هذا زوج الأُخت، قال: الحرمة أشد، فلما سُئل عليه الصلاة والسلام عن الحمو قال:

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ))

[البخاري عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ]

لأن له مدخل، يوجد قرابة، هو أجنبيٌ تماماً، والخطر قائم وأشد.

لذلك مرة ثانية: الأقرباء غير المحارم: ابن العم، وابن العمة، وابن الخال، وابن الخالة، وزوج الأخت، وزوج الخالة، وزوج العمة، وأخو الزوج، وابن أخِ الزوج، وعم الزوج، وخال الزوج، وأبناؤهم، وابن أخت الزوج، وغيرهم، قال: لا يحل لهم أن يروا من المرأة شيئاً، كالأجانب تماماً، إلا للضرورة الشرعية، إذا ابن عمها طبيب، له الحق أن يرى وجهها وكفيها، طبيب، إلا أن يكون هناك ضرورة شرعية، وعند أمن الفتنة، شرطان: أمن الفتنة، والضرورة الشرعية.

وهؤلاء لا ينظرون من المرأة شيئاً، فإذا نظروا إليها لضرورةٍ شرعيةٍ، كأن يكون ابن عمها قاضياً، فينظرون إلى الوجه والكفين، أما ما لم تكن هناك ضرورةٌ شرعية فالنظر إلى وجه المرأة حرام، بشهوةٍ حرامٌ حُرمة شرعية، وبغير شهوةٍ مكروهٌ كراهة تحريمية، بغير شهوةٍ مكروهٌ كراهةً تحريمية، أي ترقى إلى الحرمة، أما بشهوة فحرامٌ مطلقاً. وقال مؤلف الدّر، وهو كتابٌ في الفقه الحنفي: " وينظر من الأجنبية وجهها وكفيها فقط للضرورة الشرعية، فإن خاف الشهوة أو شكّ، امتنع نظره إلى وجهها وكفيها، فحِلُ النظر مقيدٌ بالضرورة وبعدم الشهوة وإلا فحرم" الإمام السرخسي، وهو من أعلم علماء السادة الأحناف، وله موسوعة في الفقه، اسمها المبسوط للسرخسي، يقول: " وحرمة النظر إلى الوجه لخوف الفتنة، لأن خوف الفتنة في النظر إلى وجهها، وعامة محاسنها في وجهها، ووجهها أشد فتنةً من أكثر سائر الأعضاء "

وفي الهدية العلائية: " تمنع المرأة من كشف وجهها خوف الفتنة "

الأحاديث الواردة في تحريم النظر ووجوب غض البصر :

و الآن إلى الأحاديث الواردة في تحريم النظر، ووجوب غض البصر، لا تقولوا إنني أتشدد، أنا أُعطيكم الأدلة، أنا لا يوجد شيء من عندي إطلاقاً، لا يوجد إنسان عنده شيء أساساً، ليس أنا فقط، لا يوجد إنسان يسترجي أن يأتي بشيء من عنده، هذا شرع، ودين، هذا دين الله، هذه الأدلة، إذا ألقيتها على مسامعكم انتهت مُهمتي، أنتم أحرار بعدئذٍ، أنا لا ألزمكم بشيء، لكن أُبيّن لكم.



يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ))

[ابن ماجة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ]

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله، فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته في قلبه))

[أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة]

وعن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاوَتَهَا))

[أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال:

((لتغُضُن أبصاركم، ولتحفظُن فروجكم، أو ليكسفنّ الله وجوهكم))

[الطبراني عن أبي أمامة]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

((الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ وَالرِّجْلانِ تَزْنِيَانِ وَالْفَرْجُ يَزْنِي))

[أحمد عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ]

((عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزًا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا فَلا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ))

[أحمد عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ]

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال عليه الصلاة والسلام:

((كل عينٍ باكيةٌ يوم القيامة، إلا عيناً غضت عن محارم الله، وعيناً سهرت في سبيل الله، وعيناً خرج منها مثل رأس الذباب، من خشية الله))

[البيهقي عن أبي هريرة]

وعن جريرٍ رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي عليه الصلاة والسلام، عن نظر الفجأة، فقال:

((عَنْ جَرِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفَجْأَةِ فَقَالَ اصْرِفْ بَصَرَكَ))

[مسلم وأبو داود والترمذي عَنْ جَرِيرٍ]

الخلاصة: وجه المرأة ليس بعورة في الصلاة فقط، وعورةٌ بالنسبة للأجانب من حيث حرمة النظر إليه خارج الصلاة، خوف الفتنة، وهي في هذا الزمان متحققة، الفتنة متحققة، والفتنة كلها في وجه المرأة، والدليل الخاطب إن لم يعجبه الوجه قلّما قبل بمخطوبته، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾

[سورة الأحزاب: 53]

نساء النبي عليه الصلاة والسلام إذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب.

المعاني المستفادة من الآية التالية :

وقال الله للمؤمنين عامةً:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[سورة النور: 30]

من أروع ما في هذه الآية، أن هذه المن للتبعيض، أي إذا نظرت إلى محارمك، فغُضّ من بصرك، كيف؟ أُمه، أُخته، ابنته، ابنة أخيه، ابنة أخته، عمته، خالته، لا تدقق في التفاصيل، لا تنظر نظرةً تفصيليةً، انظر بعض النظر، غضّ من البصر، لك أن تنظر شيئاً، أما التدقيق فلا يجوز، هذا معنى من أبصارهم.

والمعنى الثاني أنك إذا نظرت إلى امرأةٍ فجأةً فغض من بصرك، أي الثانية ليست لك.

المعنى الثالث أن هناك نساء لا يحلّ لك أن تراهنَ، فمرة الغض لنوعٍ من النساء، ومرة الغض لجزءٍ من المرأة، ومرة الغض لزمنٍ من النظر، واحدة للزمن، واحدة للجزء، واحدة للنوع ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

[سورة الأحزاب : 59]

معاني قوله تعالى ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ :

الآية السابقة دقيقة جداً، وأدقُّ ما فيها قول الله عزّ وجل:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾

[سورة الأحزاب : 59]

بعض العلماء قال: ذلك أدنى ألا يعرفن، امرأةٌ تكشف عن وجهها، ألا تُعرف من هي؟ الوجه هوية، هذه فلانة، هذه بنت فلان، هذه زوجة فلان، فمن أجل ألا تُعرف يجب أن تستر الوجه، الوجه هوية، نريد الدليل، أنا الآية فسرتها سابقاً، فالقرآن حمّال أوجه.

المعنى الأول: أي هذا هو الحد الأدنى، الذي تعرف فيه المرأة أنها مؤمنة فإذا عرفت أنها مؤمنة، لم يطمع بها أحد، أية امرأةٍ تكشف عن محاسنها، لسان حالها يقول: أنظروا إلي، أنا أظهر أمامكم بهذا المظهر، كي تنظروا إليّ، دعوةٌ صريحة، لكن ليست قوليةً، إنما هي عملية، أيما امرأةٍ تكشف عن مفاتنها، إنما تدعو الرجال، بل تدعو الذئاب من الرجال، إلى أن ينهشوها، إذاً من أجل أن تُعرف المرأة أنها مؤمنة، ومُسلمة، ولا تبتغي فتنةً، ولا تعرض نفسها على أحد، عليها أن تتحجب:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾

[سورة الأحزاب : 59]

الحد الأدنى، الطالب ما حدّه الأدنى الذي يعرف فيه بين الناس أنه طالب مدرسة؟ إذا ارتدى ثياب الفتوة، هذا مستوى الطالب، أن يكون قوياً في اللغة العربية، والرياضيات، والتاريخ، والجغرافيا، والفيزياء، والكيمياء، والأخلاق، والمنطق، والتربية السلوكية، والأخلاقية، وحسن التهذيب، لكن الحد الأدنى الذي تعرف أن هذا طالب مدرسة هو ثيابه.



فأقلُّ شيءٌ تعرف به المسلمة حجابها، بقي أدبها، بقي حياؤها، بقي ضبط لسانها، بقي أداؤها لواجباتها، بقي أداء ما عليها من حقوق زوجها، حسن رعاية أولادها، خدمة زوجها، أي هناك آلاف الصفات التي يجب أن تتصف بها المرأة المسلمة، لكن أدنى شيء تُعرف به أنها محجبة، وحينما تحجب كأنها تقول: أنا محجبة، أنا مسلمة، إياكم أن تطمعوا فيّ، هذا المعنى الأول:

﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

[سورة الأحزاب : 59]

انظر دقة القرآن، أي الحد الأدنى، أقل شيء مقبول في المرأة المسلمة أن حجابها ينبئ عن إسلامها، وحجابها يُشير إلى عفَّتها، وإلى صونها.

المعنى الثاني: ذلك أدنى ألا يعرفن، قد يقول قائل: من أين جئت بهذا المعنى؟ الله قال: أدنى أن يُعرفن، أتيتكم بدليل من آية ثانية، استمعوا قال تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة المائدة : 19]

ما معنى أن تقولوا؟ لئلا تقولوا، فماذا نقدّر؟ العلماء قدروا المضاف قال: يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترةٍ من الرسل كراهة أن تقولوا يوم القيامة، يوجد مضاف محذوف.

كذلك هنا، ذلك أدنى خوفاً أن يعرفن، أي لئلا يعرفن، روعة القرآن أنك إذا قرأت الآية، ذلك أدنى أن يعرفن، لها معنى راق جداً أي هذه المرأة حينما تحجب مفاتنها، هذا هو الحد الأدنى.

إذا إنسان وضع على صدره ميزاناً، ما المعنى؟ هذا محام، يا ترى فهمان؟ على كل حال معه ليسانس حقوق أقل شيء، وداخل في نقابة المحامين، ومعه إجازة، وله مكتب، هذا أقل شيء، أما محامي فهمان، متفوق، مستقيم، فهذا بحث آخر، أما أدنى شيءٍ يعرف به الإنسان أنه محام هذا الشعار.

دخلت إلى غرفة طبيب، رأيت دكتوراً في الطب، الإجازة معلقة توقيع وختم، هذه الشهادة هي الحد الأدنى أنه طبيب.

امرأةٌ محجبةٌ هذا هو الحد الأدنى الذي تُعرف فيه أنها مسلمة، لكن هل حجابها هو الإسلام؟ لا هذا أقل ما في الإسلام، أقل ما فيه، تماماً كالطالب، الحد الأدنى أنه طالب مدرسة ثيابه لونها أخضر، أي طالب ثانوي، وإذ كان لون ثيابه أزرق فهذا طالب جامعي، هذا الحد الأدنى، يا ترى يدرس، لا يدرس، يداوم، لا يداوم، فهمان، ليس فهماناً، ناجح بجهد، بالنقل، بالغش، بحث ثان، لكن الحد الأدنى أنه طالب، فهذه المرأة المحجبة هذا هو المظهر الذي يمثل الحد الأدنى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

[سورة الأحزاب : 95]

محجبة، إذاً لا تطمعوا فيّ إطلاقاً.

والمعنى الثاني، أدنى ألا يعرفن، من فلانة؟ لا أعرف، محجبة أما وجهها فمكشوف، هذه زوجة فلان، هذه فتون، سهام، سحر، ما دام الوجه مكشوفاً دخل الاسم، ذلك أدنى ألا يعرفن، هذا المعنى الثاني.

فالقرآن حمّال أوجه، أي إذا قلت: أدنى أن يعرفن، الحد الأدنى أنها معروفة أنها مسلمة مؤمنة، إذا قلت: أدنى ألا يعرفن، ألا تعرف من هي، محجبة، هذا هو المعنى.

الله سبحانه أمر النساء بإرخاء الجلاليب لئلا يُعرفن :

و قال تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[سورة الأحزاب : 33]

قال: فسّر عبيدة السلماني هذه الآية، فقال فيما أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده، قال: " فلبسها عبيدة بعباءة، فتقنَّع بردائه، فغطَّى أنفه وعينه اليسرى، وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق، حتى جعله قريباً من حاجبه، أو على الحاجب"

قال: " ورجال هذا السند جبالٌ في الثقة والضبط" أو وضع حجابٍ غير صفيقٍ على الوجه، بحيث لا يمنع المرأة من رؤية الطريق التي تمشي فيها، يعد مثل ذلك في المعنى.

إما أن نبقي عيناً واحدة، لترى الطريق، أو حجاباً غير صفيق، أي غير رقيق ترى منه، ولا تُرى منه.

يقول عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس " أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن لحاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلاليب، ويبدين عيناً واحدة"

هذا كله تفسير هذه الآية.

الجصاص في تفسيره: " في هذه الآية دلالةٌ على أن المرأة مأمورةٌ بستر وجهها، عن الأجنبيين وإظهار العفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الريب فيهن "

أحد العلماء يقول: " أمر سبحانه النساء بإرخاء الجلاليب لئلا يُعرفن، ثم قال: وقد ذكر عبيد السلماني وغيره أن نساء المؤمنين كن يدنين عليهن الجلاليب من فوق رؤوسهن حتى لا يظهر إلا عيونهن، لأجل رؤية الطريق " الآن يوجد أدلة أُخرى، قال ورد في الآثار الكثيرة: " أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام وعامة المسلمات كن يخفين وجوههن عن الأجانب، حتى في حالة الإحرام"

ويدل ذلك على لزوم ستر الوجه خشية الفتنة، ولو في حالة الإحرام، وفي سنن ابن داود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ))

[أبو داود عَنْ عَائِشَةَ]

وفي الموطأ للإمام مالك رحمه الله تعالى عن فاطمة بنت المنذر قالت:

((كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ))

[مالك عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ]

وفي فتح الباري في شرح صحيح البخاري في كتاب الحج عن عائشة قالت:

((تسدل المرأة جلبابها، من فوق رأسها على وجهها))

[البخاري عن عائشة]

وفي حديث عائشة الطويل، حديث الإفك تقول:

((أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ

وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ....))

[البخاري عن عائشة]

ماذا رأى صفوان؟ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ.

فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي كتب السيرة أن سبب غزوة بني قينُقاع، محاولة اليهود كشف حجاب امرأةٍ مسلمةٍ عن وجهها.

وأخرج الترمذي في الرَضاع، قال:

((الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ))

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ]

تلخيص لما سبق :

المرأة كلها عورة فيجب سترها، هذه أدلة، من أقوال السلف، والخلف، في تفسير هذه الآيات والأحاديث، وكلها تؤكّد بشكل مختصر أن عورة المرأة بالنسبة إلى الرجل على أربع مستويات: زوجها لا عورة بينها وبينه، يحل له أن يرى منها كل شيء من فرقها إلى قدمها، بشهوةٍ وبغير شهوةٍ، لأنه لما جاز المس والغشيان جاز النظر من باب أولى، لكن النبي يوجد توجيه إرشادي ألا ينظر كل منهما إلى عورة الآخر، ومن فعل هذا فقد خالف الأولى. النوع الثاني، نظر الرجل إلى المرأة من محارمه، المحارم؛ محارم نسب ومحارم رضاع، النسب: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخِ، وبنت الأخت، زوجة الأب، أم الزوجة، هن قريبات بالنسب. .

الرأس، شعر، وجه، أذن، عنق، أعلى الصدر، الساعد، الكف، الساق، القدم، ثياب الخدمة.

أما الأقارب غير المحارم فحكمهم حكم الأجانب، لا يجوز أن ينظرن إلى المرأة إطلاقاً، وهذه الآيات والأحاديث التي تؤكّد أن الوجه يجب أن يُستر، وهذا ما جاء في كتب الفقه، وإن شاء الله في درسٍ قادم، نتابع بعض الموضوعات الفرعية في هذا الدرس.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : انحراف الاولاد

الدرس (1-1) : انحراف الأولاد و أسبابه

الفصل الرابع : انحراف الأولاد

الدرس (1-1) : انحراف الأولاد وأسبابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم، رسول الله سيِّد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر، اللهمَّ صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم... لا زلنا في البيت المسلم، والإسلام أولى جُلّ عنايته للبيت المسلم، لأن البيت خليّة المجتمع، فإذا صلح صلحَ المجتمع.

شقاء الأب بشقاء الابن:

ويا أيها الإخوة المؤمنون... ما من شيءٍ يُشقي الآباء كانحراف الأولاد، وانحراف الأولاد ظاهرةٌ تعاظمت في الزمن الأخير.

أيها الإخوة الأكارم... لو ملكت أكبر الثروات، ولو حققت أقصى الغايات، ولو ارتفعت إلى أعلى المَقامات، ولم يكن أولادك كما تريد، فربما شقيت بشقائهم، فلذلك الإسلام حرص حرصاً لا حدود له على صيانة البيت المسلم من الانحراف، ما الوسائل التي اتخذها ؟ وما الأهداف التي رسمها ؟ وما الاحتياطات التي أخذ بها ؟

أسباب انحراف الأولاد:

بادئ ذي بدء، لو سألت العلماء عن أسباب الانحراف، لكانت كلمتهم مُجْمِعَةً على أن خروج الطفل من البيت، واقترانه بقُرناء السوء سببٌ كبيرٌ جداً للانحراف، ولكن السؤال الآن لِمَ يخرج الطفل من البيت؟ لِمَ لا يكون البيت سَكَناً له ؟ لِمَ لا يجد الطفل في بيته مأوىً له ؟ لِمَ يخرج منه حيث الفساد والانحراف وحيث التحلل والشذوذ ؟ يا أيها الإخوة الأكارم... انحراف الأولاد ظاهرةٌ معقدةٌ أشد التعقيد، وحينما نُرجعها إلى أسبابها، إنما نفعل ذلك تبسيطاً للبحث، وتيسيراً للدراسة.

السبب الأول: خروج الطفل من البيت:

أول سببٍ لخروج الطفل من البيت: إذا لم يجد الطفل في البيت ما يكفيه من طعامٍ ومن كساء، لذلك حينما يسعى الأب لكسب رزقٍ حلال يكفي أهله، فهذا أحد أنواع العبادة، إنك أيها الأب الكريم لست مسؤولاً عن نفسك وحدك بعد أن تزوَّجت، ولكنك مسؤولٌ عن هؤلاء الصغار الذين أَوْكَلَ الله إليك تربيتهم.



الأب الكسول الذي لا يعمل، الأب الذي لا يحب عمله، الأب الذي يؤْثر الراحة على بذل الجهد ليس أبًا حقيقيا، في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة سمعتموها، وتسمعونها دائماً، كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما سأله بعض أصحابه عن شابٍ خرج من بيته يسعى لرزق عياله، فتمنى أصحابُه لو أن هذا السعي كان في سبيل الله، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ومن أدراكم أنه في سبيل الله ؟ من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفوراً له))

(من الجامع الصفير عن أنس)

من خرج ليسعى على أطفالٍ صغار وزوجةٍ فإنما يسعى في سبيل الله، الإسلام قدَّس العمل، لأن العمل طريقٌ إلى كسب الرزق الشريف، وكسب الرزق الشريف وسيلةٌ لحماية الابن من الشذوذ والانحراف.

قد يقول أحدكم: فمال بال أولاد الأغنياء ينحرفون ؟ هناك انحرافٌ آخر بسببٍ آخر، ولكن ربما عُزِيَ انحراف الطفل إلى خروجه من البيت، والتجائه إلى رفقاء السوء، وما خرج من البيت إلا حينما فقد ما يشتهيه، وفقد ما يطمح إليه، فإذا سعى الأب عن طريق الكسب المشروع وعن طريق العمل الصادق، لتأمين حاجات أولاده الأساسية، فقد سعى في سبيل الله.

كلكم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

(من الجامع الصغير: عن " جبير بن مطعم ")

النبي عليه الصلاة والسلام نفى عن هذا الإنسان أن يكون منتمياً إلى هذا الدين العظيم،

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

(من الجامع الصغير عن جبير بن مطعم)

وكلكم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((درهمٌ تنفقه في سبيل الله، ودرهمٌ تنفقه على مسكين، ودرهمٌ على فقير، ودرهمٌ تنفقه على أهلك، الدرهم الذي تنفقه على أهلك أفضل هذه الدراهم كلها))

لماذا ؟ لأن أهلك ليس لهم إلا سواك، ليس لهم إلا أنت، فإذا ضيعتهم، وأهملتهم ألجأتهم إلى غيرك، ومع غيرك الانحراف والشذوذ.

السبب الثاني: منع الأغنياء للزكاة:

فيا أيها الإخوة المؤمنون... الآن يأتي دور الأغنياء، هؤلاء الذين إذا قصَّروا في دفع زكاة أموالهم، فجهد الفقراء، وحينما جهد الفقراء انحرف أبناؤهم، لو أن الله سبحانه وتعالى أطلع هذا الغنيّ الذي يمنع زكاة ماله، أطلعه على النتائج الخطيرة التي تترتّب على حبس زكاة ماله، وكيف أن الفقير خرج ابنه من البيت، والتجأ إلى جهاتٍ أخرى، وكيف أن ابنه انحرف، وكان الانحراف سبباً لشقاء هذه الأسرة، وكان شقاء هذا الأسرة يتلافى فيما لو دفع الغني زكاة ماله، فاطمأن بها الفقير وربى أولاده، لأراه الله سبحانه وتعالى الآثار الخطيرة التي تترتب على عمله. أيها الإخوة المؤمنون... يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ ﴾

(سورة يس: من آية " 12 ")

أي من الآثار البعيدة المترتبة على تقصير الإنسان في دفع زكاة ماله، الإمام عليّ كرم الله وجه يقول: **<< قوام الدين والدنيا أربعة رجال ؛ عالمٌ مستعملٌ علمه، وجاهلٌ لا يستنكف أن يتعلم، وغنيٌ لا يبخل بماله، وفقيرٌ لا يبيع آخرته بدنياه، إذا ضيَّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله . هنا موطن الشاهد . باع الفقير آخرته بدنيا غيره >>**، أي باع نفسه للشيطان، من أجل تأمين حاجاته، ففي أموال الأغنياء حقٌ معلوم للسائل والمحروم.

أيها الإخوة المؤمنون... سيدنا عمر رضي الله عن عمر ، حينما سأل والياً وقال له:

. ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارقٍ أو ناهب ؟

. فقال هذا الوالي: أقطع يده، عندئذٍ ماذا قال عمر لهذا الوالي ؟

إذاً فإن جاءني من رعيَّتك من هو جائعٌ أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورَتهم، ونوفِّر لهم حرفتهم، فإذا وفَّينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خُلِقَت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

الرجل الراشد المؤمن قد يصبر، قد يصبر، وهو يعلم أن ما عند الله خيرٌ وأبقى، ولكن الطفل الصغير لا يصبر، كلكم يذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا قُدِّمَت له فاكهةٌ أول مرةٍ لم يكن يأكلها، بل يُقَبِّلها ويعطيها أصغر طفلٍ في المجلس، لماذا ؟ لأن الطفل لم يبلغ بعدُ مرتبة القيَم التي تحجزه عن الحرام. فالأب الذي لا يعمل ويصبر على الجوع والفقر، لا يجب أن يقيس ابنه عليه، الابن قد لا يصبر، لذلك سيدنا عمر كان يقول: << إني أرى الرجل لا عمل له فيسقط من عيني >>.



العمل له أهدافٌ بعيدة، حينما تعمل، وحينما تتقن عملك، وحينما تكسب رزقاً حلالاً، عندئذٍ قد تكفي أهلك، فإذا كفيتهم أمكنك أن تُرشدهم، وأن توجِّهَهُم، لذلك يعد خروج الطفل من البيت والتجاؤه إلى رفقاء السوء، بحثاً عن شيءٍ أو آخر، أول سبب من أسباب انحراف الأولاد.

أيها الإخوة المؤمنون... ألا تذكرون أن سيدنا عمر حينما رأى عبد الرحمن بن عوف وقال له: تعالَ نحرس هذه القافلة . قافلة جاءت من أقاصي البلاد وأقامت في أطراف المدينة . فلما توجه سيدنا عمر إلى هذه القافلة رأى طفلاً يبكي فقال لأمه:

. أرضعيه، بكى مرةً ثانية، فقال: أرضعيه، بكى مرةً ثالثة: فتوجه إليها غاضباً، وقال: يا أمة السوء أرضعيه.
. فقالت: دعك عنا يا رجل، وما شأنك بنا إنني أفطمه.

. قال: ولِمَ تفطمينه.

. قالت: لأن عمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفِطام.

تروي السيرة: أن هذا الخليفة العظيم صاح صيحةً تقطع لها نياط قلبه قال: ويحك يا ابن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين ؟ وتوجه في صلاة الفجر ليصلي بأصحابه، فقال أصحابه: والله ما فهمنا ما قرأ من شدة بكائه، وكان يقول: << يا رب، هل قبلت توبتي فأهنِّئ نفسي، أم رددتها فأعزيها ؟ >>.

حينما يجوع الطفل الصغير قد ينحرف، وحينما ينحرف يفسد المجتمع بأكمله .

فيا أيها الإخوة الأكارم... كما قال الفقهاء: حينما تخرج من بيتك لتؤدي عملاً ترتزق منه، إذا نَوَيت بهذا العمل أن تكفي نفسك، وزوجتك، وأولادك، وأن تكفَّها عن الحرام، وحينما تنوي بهذا العمل أن تخدم المسلمين في قضاء حاجاتهم، وحينما يكون أصل العمل شريفاً، وحينما تمارس هذا العمل وفق الشريعة الإسلامية ؛ من دون غشٍ، ولا تدليسٍ، ولا كذبٍ، ولا رباً، هذا العمل الذي ترتزق منه ينقلب إلى عبادة، ويمكن أن تلقى الله به يوم القيامة. الأعمال الصالحة يا أيها الإخوة لا تعدُّ ولا تحصى، من أبرزها عملك الذي ترتزق منه، فاحرَص على أن يكون شريفاً، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إِنَّ رُوح القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي، وقال: إنَّ نَفْساً لن تموت حتى تَسْتَوْفيَ رِزْقَها، فاتَّقُوا الله، وأَجْمِلُوا في الطلَب))

(ابن ماجه عن جابر)

لا ترضَ بمهنةٍ فيها معصيةٌ لله، لا ترضَ بالاتجار ببضاعةٍ لا ترضي الله، لا ترضَ بالتعامل في بيعك وشرائك بطريقة فيها معصية لله عز وجل، لأن:

((رُوحَ القدُسِ نَفثَ في رُوعي، وقال: إنَّ نَفْساً لن تموت حتى تَسْتَوْفيَ رِزْقَها، فاتَّقُوا الله وأَجْمِلُوا في الطلَبِ))

ابحث عن حرفةٍ شريفة، ابحث عن عملٍ طيب نظيف، إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك. النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ما جهد الفقراء إلا بما ضيع الأغنياء))

[الترغيب والترهيب عن علي]

السبب الثالث: الخصومة في البيت:

أيها الإخوة الأكارم... شيءٌ آخر: يخرج الطفل من البيت إن لم يجد في البيت الطعام الذي يُشْبِعُه، أو الكساء الذي يكسوه، وقد يخرج من البيت أيضاً إذا كان في البيت الخصام، والمشاحنة والبغضاء بين الأب والأم، البيت المَشحون بالبغضاء، البيت المشحون بالعَداوة، البيت المشحون بالمُشاحنة، هذا بيتٌ ليس جواً يسكُن إليه الطفل، لو سألت الأطفال الصغار الذين يرون في آبائهم وأمّهاتهم أعداء، هؤلاء الصغار ينفرون من البيت، ويلتجئون إلى جوٍ مريح، وقد يأتي رفقاء السوء يوفرون لهم هذا الجو المريح، ولكن ينحرفون بهم إلى أسفل سافلين، فالبغضاء والشحناء ليست من صفات البيوت المسلمة.

طرق العلاج والوقاية الشحناء والبغضاء في السنة:

1 – اختيار الزوجة ذات الدين:



فيا أيها الإخوة المؤمنون... النبي عليه الصلاة والسلام كيف عالج هذا الموضوع ؛ الشحناء والبغضاء ؟ عالجه علاجاً وقائياً قبل أن تتزوَّج، فاظفر بذات الدين تربت يداك، من تزوج المرأة لجمالها أذله الله، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً، فاظفر، ما أروع هذه العبارة: فاظفر، أي إذا تزوجت امرأةً صالحةً فقد ظفرت بشيءٍ ثمين، لم يقل لك: فاختر، أو عليك، بل فاظفر، إن وفقت إلى زوجةٍ صالحة، فقد ظفرت بجوهرةٍ ثمينة، إن كنت قد أحسنت الاختيار من قَبْلُ، قطفت ثماره في بيتك المسلم، أما إذا رَغِبْتَ الجمال وحده، أو السمعة وحدها، أو النسب وحده، أو المال وحده، صار البيت مكاناً للنزاع والشقاء، وحينما يُشْحَنُ البيت بالنزاع والشقاق خرج الطفل منه إلى رفقاء السوء.

السبب الرابع لانحراف الأولاد: الطلاق:

أيها الإخوة المؤمنون... شيءٌ آخر، النبي عليه الصلاة والسلام كيف وقانا من هذه المنازعات التي تفضي إلى الطلاق ؟ وإذا حدَّثتكم عن الطلاق وما يجر من ويلاتٍ على الصغار، وكيف أن هذا الطفل الذي طُلِّقَت أمه، أو افترقت أمه عن أبيه يدمِّر، عندئذٍ يعد الزوج للمليون .

كما يقولون . قبل أن يفكر بالطلاق.



روى البزار والطبراني أن نسوةً اجتمعن مرةً في عهد النبي ﷺ، وأرسلن إحداهن إلى النبي عليه الصلاة والسلام لتقول له: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك . أنا مندوبةٌ عن النساء . هذا الجهاد الذي كتبه على الرجال، فإن يصيبوا يثابوا، وإن يقتلوا كانوا أحياءَ عند ربهم يرزقون، ونحن مَعاشر النساء نقوم عليهم . نعتني بهم، نطبخ لهم طعامهم، نقضي لهم حوائجهم، نربي لهم أولادهم، إذا قتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإذا انتصروا نالوا الأجر والثواب . ونحن مالنا ؟ . ما دورنا ؟ ما محلنا ؟ . فأجابها عليه الصلاة والسلام إجابةً بليغة، لو تعرف المرأة عمق هذه الإجابة، وأبعاد هذه الإجابة ما قعدت عن خدمة زوجها وأولادها، قال عليه الصلاة والسلام:

((أبلغي من لقيتِ من الناس أن طاعة المرأة للزوج، وإعترافها بحقه يعدل ذلك . الجهاد في سبيل الله . وقليل منكن من تفعل ذلك))

(البزار والطبراني عن ابن عباس)

فالمرأة إذا قامت بحق زوجها حق القيام، فهي كالمُجاهدة في سبيل الله، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((وذروة سنامه الجهاد))

(الترمذي عن معاذ)

أي أعلى درجة في البذل هو الجهاد، وبذل النفس كما يقولون أقصى غاية الجود، ذروة الإسلام هو الجهاد، وأن تقوم المرأة بحق زوجها وأولادها فقد جاهدت في سبيل الله.

والقصة التي ذكرتها كثيرا، أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما ترويه كتب الحديث قال:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأةٌ تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي قلت: من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأةٌ مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم))

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

(من الجامع الصغير عن أنس)

2 – توفير الزوجة الجو المريح في البيت:

أيما امرأة قعدت على بيت أولادها ؛ رعتهم حق الرعاية، وفَّرت لهم حاجاتهم، وفَّرت لهم الجوَّ المريح، الجوَّ المناسب، جعلت بيتها سكناً لأولادها ولزوجها، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من آية 21)

فالمرأة التي تطمح أن تكون عند الله في أعلى مقام، يجب أن توفِّر لزوجها وأولادها السَكَنَ الذي ورد في الآية الكريمة، والذي هو عِلَّة الزواج، لماذا أمرنا الله بالزواج ؟ ليكون الزواج سكناً لنا، وليكون منطلقاً للأعمال الصالحة.

أيها الإخوة المؤمنون... لو أن المرأة أدَّت هذا الحق لما كان النزاع والخصام في البيت.

3 – حفظ المرأة زوجها في ماله ونفسها:

حقٌ آخر، على المرأة أن تحفظ الزوج في ماله ونفسها، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

[ابن ماجه عن أبي أمامة]

إذا حفظت المرأة زوجها بماله ونفسها فقد أدَّت ما عليها، إذاً قطع دابر الشقاق، والخصومات، والعداوة والبغضاء، وسد طريق الطلاق.

4 – عدم امتناعها عن زوجها:

شيءٌ آخر من واجبات المرأة التي تسد طريق الطلاق الذي يدمِّر الأسرة والذي يشتت الأطفال، عدم امتناعها عن زوجها، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أيما امرأة دعاها زوجها إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح))

(من الجامع لأحكام القرآن)

كي يبقى طموحه في البيت.

5 – إنفاق الزوج المعتدل:



شيءٌ آخر، أما الزوج فعليه أن ينفق من ماله الحلال على أهله وعلى أولاده، سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: **<< حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي >>.**

قال الله عز وجل:

﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة البقرة: من آية " 233 ")

بالوضع المُعْتَدِل من دون إسرافٍ ولا تبذير، من دون أن تَبْسُط يدك، ومن دون أن تردّها مغلولةً إلى عنقك.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (29)﴾

(سورة الإسراء)

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (67) ﴾

(سورة الفرقان)

هذا من واجبات الزوج، من أجل أن يسُدَّ طريق المُشاحنة والبغضاء وطريق الطلاق، فكم من طلاقٍ، وكم من مُخالعةٍ أساسها بُخل الزوج.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة الحشر)

6 – استشارة الزوجة:

شيءٌ آخر، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((آمروا النساء في بناتهن))

(من الجامع الصغير عن ابن عمر)

فالزوج الذي لا يعبأ بزوجته، ولا يقيم لها وزناً، ولا يطلعها على شيء، إنه يجعلها إنساناً ليس شريكاً لحياة الزوج، هذا الأمر يؤدّي إلى الشقاق، ففي موضوع البنات قال عليه الصلاة والسلام:

((آمروا النساء في بناتهن))

فاستشارة الزوجة يرفع من قيمتها ومن مكانتها، وتشعر بأهميتها عند زوجها.

7 – غض الطرف عن الهفوات:

يا أيها الإخوة الأكارم... شيءٌ آخر، غَضّ النظر عن هفوات الزوجة، هذا الزوج الذي يحاسب زوجته عن كل غلطٍ مهما دَق ليس زوجاً ناجحاً، لأنه لم يجد هذه المرأة الكاملة، سيقضي حياته في العيب . كما يقولون . في الأخذ والرد، في المعاتبة، في الشطط، يصبح البيت مشحوناً بالبغضاء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

(مسلم)

يجب أن تغض الطرف عن تسعة أغلاط لتحاسب عن الغلط العاشر، يجب أن تكون في البيت واحداً من أهل البيت، أما أن تُنَصِّبَ نفسك للمحاسبة الدقيقة، فهذا مما يُتعب الحياة الزوجية.

8 – المعاشرة بالمعروف:

أيها الإخوة المؤمنون... بقي شيءٌ آخر من أجل أن نتلافى المشاحنة والبغضاء، وأن نتلافى الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: من آية " 19 ")

الآن غير الطعام والشراب، غير أداء الحقوق، يجب أن تكون في البيت مَقْبولاً، يجب أن تكون مُحَبَّباً، يجب أن يفتقدك أهلك، يجب أن يكون وجودك في البيت مُسْعِداً، هذا يحتاج إلى خبرةٍ، وإلى خُلُقٍ عالٍ، وإلى وداعةٍ، وإلى لطفٍ، وإلى نفسيةٍ رضيةٍ، لذلك قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

(سورة النساء: من آية " 19 ")

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

(الترمذي)

الحديث الآخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا))

(الترمذي)

والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا دخل بيته بسَّاماً ضحَّاكاً، كان مؤنساً، كان يسابق زوجته السيدة عائشة، يسابقها، هو في هذا المقام العظيم، هو سيد الخلق، الرسول الأول، إمام الرُسُل، قائد الأمة، وفي البيت كان يسابق زوجته عائشة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ:

((فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ))

(الترمذي)

أي تعادل، هذه نفسية النبي في البيت، تقول له:

. كيف حبك لي ؟

. يقول لها: كعقدة الحبل.

. تقول له من حين لآخر: كيف العقدة ؟

. يقول: على حالها.

جوٌ من المَرح البريء، من المداعبة اللطيفة، بسَّاماً ضحَّاكاً مؤْنِساً، حتى إن سيدنا عمر كان يقول: **<< ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالطفل، أي في الإنس والسهولة، فإذا كان مع القوم كان رجلاً >>**، أيْ الرجولة خارج البيت، لا كما يفعل معظم الرجال ؛ كل رجولتهم، وقوتهم، وعنفهم في البيت، فإذا خرج من البيت صار طفلاً وديعاً، ليس هذا هو المطلوب العكس هو المطلوب، أن تكون في البيت وديعاً مؤْنساً.

9 – مساعدة الزوج زوجتَه:

شيءٌ آخر يَلفت النظر، السيدة عائشة سُئلت: ماذا كان يفعل الرسول في البيت ؟ سؤال غريب...

فقالت: كان يقيم على خدمته ؛ كان يرفو ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويعجن عجينه، وكان في مهنة أهله.



هذا كان النبي، لذلك إذا صلح البيت صلح المجتمع، إذا كان الود والمحبة بين الزوجين، وبين الزوجين وأولادهما كان هذا البيت قطعةٌ من الجنة ؛ ولو كان بيتاً صغيراً، ولو كان أثاثه خَشِناً، ولو كان الطعام يسيراً، الإنسان يحيا بالود، أكثر مما يحيا بالطعام والشراب، كم من بيتٍ فخمٍ واسعة أرجاؤه، نفيسةٍ أثاثاته، ومع ذلك هذا البيت مشحونٌ بالبغضاء والخصومات لأن الزوجين ما أقاما فيه حقَّ الله، إذا أطاع الزوج والزوجة ربَّهما، تولى ربهما عنهما التوفيق بينهما، فإذا بُني هذا الزواج على معصية، تولى الشيطان التفريق بين الزوجين.

أيها الإخوة الأكارم... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

إصلاح ذات البين:

أيها الإخوة المؤمنون... تطبيقاً لموضوع هذه الخطبة: على كلٍ منا أن يحرص على إصلاح ذات البين، على أن تكون العلاقة الزوجية وعلاقته بأولاده في أعلى مستوى، وهذا يحتاج إلى مُراجعةٍ للسُنَّة، أيْ أنك حينما تنفذ أمر الله عز وجل، أو تنفذ أمر النبي عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالبيت، ما تفعل أكثر من الذي يطبق تعليمات الصانع في آلةٍ غالية جداً، فأنت تلك الآلة الغالية، والأهل تلك الآلة الغالية، والأولاد تلك الآلة الغالية، فطبِّق تعليمات الصانع تقطف الثمار، وتؤتي أكلها مرتين.

الدعاء

اللهمَّ اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارِك اللهمَّ لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك.

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا.

اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلّغنا بها جنَّتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبْلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم هَب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرَّة أعين، واجعلنا للمتقين إماما.

اللهمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك مولانا رب العالمين.

اللهم استر عيوبنا، واغفر ذنوبنا، واقبل توبتنا، وفكَّ أسرنا، وأحسن خلاصنا، وبلّغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا، مولانا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء مولانا رب العالمين.

اللهمَّ بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعزَّ المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنه على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : أحكام الطلاق

الفصل الخامس : أحكام الطلاق

الدرس (1 – 5) : مقدمة عن الطلاق – متى يكون واجباً ، محرماً ، مباحاً ، مندوباً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علَّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الطلاق :

أيها الأخوة الأكارم... تعودتم أن يطرح في هذا الدرس موضوعات نحن جميعاً في أمسّ الحاجة إليها، والحقيقة كيف أعرف أنا الموضوعات التي أنتم في أمس الحاجة إليها؟ هناك طريقةٌ تعرف بها هذه الموضوعات، عددُ الأخوة الأكارم الذين يسألونني في موضوعٍ واحد، فكل عشرة أخوة كرام يطرحون عليّ أسئلةً فقهيةً، نصفهم أو أكثر في موضوع الطلاق، لأن كل إنسانٍ لا بد له من زوجة، ولا بد في العلاقة الزوجية من مشادات أحياناً، فحينما يتصرَّف الزوج في هذه المشاحنة، تصرفاً ينقله إلى دائرة الطلاق، عندئذٍ تقع المشكلة الكبيرة التي لا حل لها.

والشيء المؤسف أن إخوةً كرام من طلاب العلم الشرعي، من روَّاد المساجد، في حالة في غضبهم يطلِّقون، فإذا طلقوا صاروا تحت رحمة المفتين، وتحت رحمة من يسألونهم، فتارةً يسألونهم، وتارةً يصدقونهم، وتارةً يشككون في فتاويهم، على كلِّ هذا الذي يطلِّق من دون أسبابٍ جوهريةٍ، دخل في منطقة الشك، وحالة الشك حالةٌ صعبةٌ جداً، هذا الكلام لمن؟ أولاً للمتزوجين، لمن وقع في مثل هذه الحالات علاجاً، ولمن لم يقع وقايةً، ولمن لم يتزوج تعليماً، الأخ الشاب الذي لم يتزوج هذا تعليم له، والذي تزوج وقاية، والذي وقع هذا علاج.

الطلاق من أدق الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها :

الشيء الثابت أن عدد الذين يطرحون عليّ أسئلةً في موضوع الطلاق كثيرون جداً من دون شك، وعدد الذين يطرحون عليّ سؤال الطلاق من بين رواد العلم، وطلاَّب العلم أيضاً كثيرون، معنى ذلك هذا مقياسٌ أعرف به أن موضوع الطلاق من أدق الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها.

فضلاً عن أن الإنسان أحياناً حينما يتطلع إلى دقائق الشرع، لو لم يكن محتاجاً لهذا الحكم، إن دقائق الشرع وحدها وفي حدّ ذاتها يمكن أن تكون طريقاً له لمعرفة الله عزَّ وجل فأحكام الشرع لها وظيفتان؛ وظيفةٌ تطبيقية، ووظيفةٌ تعريفية، فأحكام الشرع تعرفنا بربنا، وأحكام الشرع تفيدنا في حياتنا.

من بديهيات الأمور أنه عندما يصل الإنسان إلى شيءٍ ثمين، هناك مهمةٌ لا تقل خطورةً عن مهمة الوصول إليه، أنا حينما أصل إلى منصب، إلى أن وصلت بذلت جهداً كثيراً لكن بعد أن أصل هناك جهدٌ من نوعٍ آخر، ما هو هذا الجهد؟ الحفاظ عليه، أنا حينما أنتصر في الحرب، بذلت جهداً كثيراً، ولكن حينما أنتصر هناك جهدٌ آخر، أن أحافظ على هذا النصر، قياساً على هذا، أنا حينما أسعى، وأكد، وأتعب كي أصل إلى زوجة، والزوجة من نعم الله على الإنسان في الدنيا.

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[النسائي عن عمرو بن العاص]

فالزوجة نعمة، فمن الكفر بالنعمة عدم المحافظة عليها، ومن عدم المحافظة عليها أن يوقع الإنسان يمين الطلاق لسببٍ وجيه أو لغير وجيه، هذا الذي يطلق لأتفه الأسباب، هذا يكفر بنعمة الله عليه، كانت حلالاً له فأصبحت حراماً عليه، كانت حلالاً له وهو مطمئن فأصبحت حلالاً وهو متشكك، هذا رأي فلان، لكن فلان قال لي: طلقت.

فأنا لا أرى أشد عذاباً من إنسان تورَّط في يمين طلاق، وصار موزعاً مشتتاً بين المفتين، المتشددون طلقت فوراً مع السلامة، لا تغلِّب نفسك، والمتساهلون، يا أخي من أين جاؤوا بهذا المذهب؟ إذا تساهل العلماء معه يشك في

فتواهم، وإذا تشددوا يضيق منهم، والله شيء يحير، أليس من الأولى أن تبتعد عن هذه المنطقة كلها؟! أليس من الأولى أن تعيش ناعم البال؟! أليس من الأولى أن تعالج قضايا الزوجية في أية طريقةٍ إلا موضوع الطلاق !.

إذاً نحن في أمس الحاجة لهذا الموضوع، أنا كلما رأيت أخاً راجح العقل، رأيته يبتعد عن موضوع الطلاق، يبتعد عن أن يعالج امرأته بأسلوب الطلاق، هناك آلاف المعالجات؛ لك أن تعظ، لك أن تبيّن، لك أن تهجر، لك أن تُعَنِّف، لك أن تتغافل، لك أن تُكْرِم، لك أن تعرض، استخدم أي طريق إلا طريق الطلاق، لأن هذا الطريق نتائجه ليست في صالحك وليست مريحةٌ.

الزواج عقدٌ مقدس من لوازم قدسيته المحافظة عليه :

الطلاق أيها الأخوة... مأخوذٌ من الإطلاق، أطلق صراحه، الطلاق مأخوذٌ من الإطلاق، وهو الإرسال والترك، معناها المرأة مقيدةٌ بك، محبوسةٌ من أجلك، مرتبطةٌ بك، فإذا طلَّقتها فقد أرسلتها، وتركتها، تقول: أطلقت الأسير، إذا حللت قيده وأرسلته، وفي الشرع حلُّ رابطة الزواج، وإنهاء العلاقة الزوجية، أنا لا أبالغ حينما أقول إن أقدس عقدٍ في الحياة الإنسانية هو عقد الزواج، وليس هذا من عندي، ولكن هذا من القرآن الكريم، فالله جلَّ جلاله يقول في سورة النساء في الآية الواحدة والعشرين:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

[سورة النساء : 21]



هذا الميثاق الغليظ هو عقد الزواج، ميثاق غليظ، فقد أفضى بعضكم إلى بعض ،يرى الزوج من زوجته ما لا يستطيع أحدٌ على وجه الأرض أن يراه منها، وترى منه ما لا تستطيع امرأةٌ على وجه الأرض أن تراه منه.

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

[سورة النساء : 21]

هذا عقدٌ مقدس، ومن لوازم قدسيته المحافظة عليه، ومن لوازم قدسيته أنه يجب أن يكون على التأبيد، لا يصحُّ عقد الزواج إلا إذا كان على التأبيد، هذا رأي الإمام الأوزاعي: " إن لم يكن عقد الزواج على التأبيد فهو باطل" زواج، وإنجاب أولاد، شريكة حياة، تربية أولاد، مستقبل أولاد، أنت الآن ستكون سبباً لإنجاب مخلوق من بني البشر، إنسان أكرم مخلوقٍ على الله، فإذا لم تحسن اختيار الزوجة، وأنجبت مولوداً ثم طلَّقت أمه، فضاع بين أمه وأبيه، ضاع بين أمه المطلَّقة وأبيه المبغض، فشوهت شخصيته، وحطمت مكانته، وشعر بالضياع، فأنت السبب.

فقد سألني البارحة أخ وكان مضمون السؤال: أن عنده زوجة وهي جيدة جداً، لكنها لا تعامل ابنته التي من غيرها كما تعامل الأم ابنتها، قلت له: هذا هو الشيء الطبيعي، هذا الذي تفعلّه زوجتك مع ابنتك التي من غيرها شيء طبيعي، ليست ابنتها، قلت له فيما أذكر: هذه هي أحد سلبيات الطلاق، حينما تطلِّق فهذه الفتاة الوديعة سوف تعيش مع امرأةٍ ليست أمها، كلُّ العواطف كلُّ المحبة ليست موجودة عند هذه المرأة.

كلّ عقد زواجٍ لا يُلمح فيه التأبيد هو عقدٌ باطل :

لذلك إن لم يكن عقد الزواج على التأبيد، فهو عند الإمام الأوزاعي عقدٌ باطل على التأبيد، لك أن تطلق ولكن بعد أن بدا لك شيءٌ جديد، أما حينما تعقد عقد الزواج، إن أردت أن تعقد هذا العقد وفي نيتك أن تطلق، فلن تنجو من عذاب الله، لكن تنجو من البشر، العلامات كلّها صحيحة، ماذا يفعل القاضي معك؟ جئت القاضي وقلت:

تزوجت فلانة، وقبلت وهي قبلت بك زوجاً، فتوافر الإيجاب والقبول ووليٌ وشاهدا عدلٍ، هذه هي أركان عقد الزواج أما من الذي يتطلع على قلب الإنسان؟ الله جلَّ جلاله، لذلك الفقهاء يحكمون على ذلك العقد بأنه صحيح، ولو أنك تنوي التوقيت، هذا لا يعلمه الفقهاء، ولا يعلمه القاضي الشرعي، ولكن الله يعلمه، الله وحده يعلم ما إذا كنت ناوياً التأبيد أم ناوياً التوقيت.

على كلٍّ أنا أميل إلى رأي الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى، في أن كلَّ عقد زواجٍ لا يُلمح فيه التأبيد فهو عقدٌ باطل، لماذا؟ لأنه أقدس عقدٍ في الحياة الإنسانية، عقد اقتران رجل بإمرأة لإنجاب أولاد، من يربيهم؟ من يعنى بهم؟ من يهتم بشؤونهم؟

هذه الزوجة تمر بأطوار، في الطور الأول مقبولة جداً ومرغوبة جداً، أما هناك طور آخر كما قالت هذه المرأة التي اشتكت إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت قد اشتكت إلى الله، وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، اشتكت وقالت: " إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهلٍ ومال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرَّق أهلي، وذهب مالي، قال: أنت عليَّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا"

فبكى النبي عليه الصلاة والسلام، هذه وهي شابة مرغوب فيها، بعد أن استمتعت بشبابها تطلّقها وقد زوى جمالها، الآن أصبحت أم أولاد، أصبح لها مكانة أخرى في الأسرة؛ مكانة الموجهة، مكانة المرأة الحكيمة، المرأة الحصيفة، توجِّه بناتها، تهديهم، ترعاهم، فلذلك أنا وقفت هذه الوقفة لأبين لكم أن عقد الزواج يجب أن يكون على التأبيد.

أيّ سلوكٍ يباعد بين الزوجين سلوك محرم :

الآن أي سلوكٍ من شأنه أن يفصم هذه العلاقة، أو أن يباعد بين الزوجين، أو أن يفرّق بينهما، أو أن يلقي بينهما العداوة والبغضاء، أي سلوك، هذا سلوك محرم في الإسلام، ما الدليل ؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ))

[رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

معنى خبب أي أفسد، وهذا الحديث وحده أيها الأخوة يمكن أن تنعقد عليه مجلدات، آلاف الكلمات، آلاف التعليقات، آلاف المواقف، يمكن أن تفسد العلاقة بين الزوج وزوجته، وأنتم لا يخفى عليكم ذلك.

أي إذا قالت لها إنسانة خبيثة شيطانة: والله يليق فيك إنسان أحسن من هذا، ماذا قلنا؟ هذه الزوجة كانت غافلة، والله أنا مرغوبة، وهذا الذي أنا تزوجته غير راكز، أصبح في إعراض، أو يقول أحد للزوج ولتكن أمه أحياناً اتركها وسنخطب لك أجمل منها.

أي سلوكٍ يفعله رجلٌ أو امرأة من شأنه أن يفسد زوجةً على زوجها أو زوجاً على زوجته، هذا سلوك يبغضه الله عزَّ وجل، فانتبه إلى كثير من الكلمات والتعليقات، البيت صغير يليق بك إنسان أحسن منه، يليق بك إنسانة أحسن منها، أي تعليقٍ شيطاني هذا الذي يقول هذا الكلام شيطانٌ ناطق، إبليس لعين، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من فرَّق))

[الجامع الصغير]

المؤمن دائماً يوفِّق، المؤمن على مستوى أخواته المتزوجات دائماً يمتِّن علاقتهن بأزواجهم، عن طريق ترغيب أخته بزوجها، يمتن علاقة زوج بزوجته عن طريق ترغيبه بزوجته، النبي عليه الصلاة والسلام كان يحسِّن الحسن ويقبح القبيح، فالإنسان إذا زار ابنته، أو زار أخته، أو زار امرأة من محارمه، قبل أن يتكلّم ويعلِّق يعد للمليون، لأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، كان هناك مودة بينهما، كان هناك وئام، كان هناك سرور، كان هناك احترام متبادل، كان هناك رضا باليسير، كان هناك عش إسلامي كله سعادة، فلما جاءت هذه المرأة الخبيثة الشيطانة فألقت في أُذن هذه المرأة كلاماً حزنتها على حالتها، فلما جاء زوجها نفرت منه، فلما نفرت منه نفر منها، تلاسنا تصايحا، تشاتما، حلف يمين طلاق، هذا درس اليوم، ساعة غضب شيطاني حلف بالطلاق لأن عقد الزواج أقدس عقدٍ في الحياة الإسلامية، لأن عقد الزواج هو العقد الغليظ المُقدس، لذلك أية محاولةٍ لفصم هذه العلاقة، أية محاولةٍ لإضعاف هذه العلاقة، أية محاولةٍ لتحريك هذه العلاقة تحريكاً سلبياً، هذا التصرُّف مُحرمٌ في الشرع الإسلامي.

الطلاق صمام أمان للعلاقة الزوجية :

لذلك ليس في الطلاق إلا هذا الحديث:

((أَبْغَضُ الْحَلالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلاقُ))

[أبو داود عن ابن عمر]

أي طنجرة بُخار فيها صمَّام أمان لئلا تنفجر، نستخدم هذا الصمام لحالات نادرة لئلا تنفجر، لئلا تنفجر فتحرق من في البيت نستخدم هذا الصمام الذي هو الطلاق، أي حينما تغدو علاقة الرجل بامرأته علاقةً مستحيلة، علاقةً سيئة، حينما تغدو الحياة بينهما حياةً شقية، حينما لا يستطيع كلٌ منهما أن يعيش مع الآخر، حينما نخاف على الزوجين أن يفسدا، حينما نخشى عليهما الزنا، حينما نخشى عليهم التحوُّل عن طريق الإيمان، عندئذٍ يأتي الطلاق كصمام أمان لهذه العلاقة الزوجية، لذلك حينما طلب النبي عليه الصلاة والسلام من امرأةٍ أن تراجع زوجها، قالت له: "يا رسول الله إني أكره الكفر بعد الإيمان، فلما قالت له ذلك قال: إذاً طلّقها تطليقة وردي له الحديقة".

هذه هي المخالعة، مادمت لا تستطيعين أن تعيشي معه، والحياة لا تطاق، حياة مستحيلة، حياة متفجِّرة، كل يوم مشكلة، تنافر في الطباع شديد والوفاق مستحيل، عندئذٍ يأتي الطلاق كصمَّام أمان، يأتي الطلاق كحلٍ لا بدَّ منه، لكن هذا الحل أبغض الحلول إلى الله.

الصلح بين الزوجين :

لهذا حينما ذكر الله عزَّ وجل موضوع الصلح بين الزوجين قال:

﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

[سورة النساء: 128]

وحينما ذكر الله عزَّ وجل أن ابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها قال:

﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾

[سورة النساء: 35]

أي أن التوجه في موضوع التحكيم في الزواج توجه نحو المصالحة، لذلك من أفضل الأعمال أن يمكنك الله عزَّ وجل من أن توفِّق بين زوجين، من أن تصلح بين زوجين، أنا أقول الكلام لمن؟ للشباب أو الرجال الذين لهم أخوات متزواجات.

مرة شكا لي أخ فقال لي: كنت أشكو همي لأخ زوجتي، أتكلم له عن طباعها وعن تقصيرها، فقال لي: طلقها، فهذا سكت دهراً ونطق كفراً.. سكت، وسكتُ وسكت وقال له: طلقها وارتح منها، فهل هذا هو الحل؟

فكل واحد له أخوات بنات، ومن الأعمال الجليلة – أنا أقول كلاماً دقيقاً جداً – من الأعمال الجليلة أن يتفقد أخواته البنات، فإذا كان هناك مشكلة بينها وبين زوجها يصلح بينهما، هو المؤهَّل، فهذه أخته وهذا صهره، هو المؤهل أن يصلح بينهما، فهذا الموقف: ما هذا العي؟ لا أريد وجعاً لرأسي، هذا موقف المنافقين، هذا موقف أهل الدنيا، أما المؤمن فيسعى للإصلاح بين الزوجين، ولا سيما إن كانت الزوجة أخته، من باب أولى، فكل إنسان عنده أخوات متزوجات، لماذا الزيارة؟ زرها من حين إلى آخر، تفقد أحوالها اسألها عن زوجها، عن علاقتهم، إن شاء الله تكوني مسرورة وهناك وفاق و مودة؟

ذكر لي أخ قصة لا أنساها له، قال لي: مرة دخلت على أختي فوجدت خصومة بينها وبين زوجها، والخصومة على مبلغ ثلاثمئة ليرة في الشهر والقصة قديمة، فقام هذا الأخ بالتبرع بالمبلغ، فهي تريد مبلغاً من راتبه للكسوة، وهو ليس معه، ودخله لا يكفي للطعام، هي تريد مبلغاً وهو رفض، ويظهر أنهم تصايحا وتلاسنا في وقت دخول هذا الأخ، فأراد حسماً لهذه المشكلة، قال لها: يا أختي هذا المبلغ خذيه مني، فانتهت المشكلة، قال لي: والله في كل شهر أطرق الباب وأعطها ثلاثمئة ليرة، يقول لي: في الشهر السادس، طلبت منه أخته أن يلقي عليهم درساً، عليها وعلى أخواتها وعلى بناتها، فصار مجلس علم، فحضَّر لهم آية قرآنية يفسرها، وحديثاً شريفاً، وحكماً فقهياً، وقراءة قرآن، وحفظ قرآن، فالأخوات تحجبن، بناتهن كذلك تحجبن، وقال لي: الله أكرمني وزوَّجت عدة بنات من بنات أخواتي لأصهار مؤمنين، فكان هذا المبلغ الذي حلَّ به مشكلة في البيت سبباً للهدى، وأصبح توجه أسرتين أو ثلاث توجهاً دينياً، والله أكرمهم بأزواج مؤمنين، فأنا هذا الكلام أقوله لأنه لا يوجد إنسان ليس عنده أخوات متزوجات، أما كلمة ليس لي دخل، هذا كلام شيطان، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، هناك قول: "من

مشى بتزويج رجلٍ بامرأةٍ، كان له بكل كلمةٍ قالها وبكل خطوةٍ خطاها عبادة سنةٍ قام ليلها وصام نهارها " وهناك قول آخر: "امش بجنازة ولا تمشي بزواجة"

أيهما أصح؟ أن يقول الإنسان قولاً يقطر حكمةً، ويقطر إحساناً، ويقطر رحمةً، أم أن يقول قولاً كلّه كلام شيطاني إذاً:

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا))

[أبو داود عن أبي هريرة]

انتبه، في زياراتك لأقربائك، أحياناً يكون لك خالة زوجها فقير تشكي لك فقره، أنت كن ذكياً، بيّن قيمة الصحة، بيّن أخلاقه العالية، بيّن أنه ورع، فهي تطمئن وتقول لك: الله يجزيك الخير طمأنتني، والله ارتحت الآن، فأنت بهذا العمل أرحتها، لك خالة وعمة، وبنت أخ وبنت أخت، أخوات بنات، ليس منا من فرق..

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا))

[أبو داود عن أبي هريرة]

أية امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس حرمت الجنة :

الآن سنأخذ الطرف الآخر، امرأةٌ سألت زوجها الطلاق من غير بأسٍ، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ثوبان عن رسول الله أنه قال:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[الترمذي عن ثوبان]

الآن أقل كلمة تقولها المرأة :تضرب هذه العيشة.

لو صار معها مشكلة بكليتيها تصيح و تصرخ، ولو صار معها مشكلة بجسمها تصيح وتستريح، فهذه الكلمة فيها كفر، كفر بنعمة الله عزَّ وجل.

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[الترمذي عن ثوبان]



كأن تقول له: طلقني، أنا أنتظر أن تطلقني، لا يوجد داع لذلك، فأنت ساكنة في بيت، والأمور ميسرة كلُّها، وهذا التنافر في الطباع بسيط، ولأسباب تافهة تقول رأساً: طلقني، فهذا حمق، حمق من جهة، وكفر بالنعمة من جهة أخرى.

أتمنى وأرجو الله عزَّ وجل ألا تقول امرأةٌ مؤمنةٌ في كل حياتها لزوجها: طلقني، أرجو الله عزَّ وجل أن يلهم الأخوات المؤمنات الحكمة، كلمة طلقني كلمة فيها كفر بنعمة الزواج، أحياناً امرأة ترى امرأةً أخرى لها زوج ولها أولاد قد تتألم، قد تتمنى أن يكون لها زوج، فهذه امرأةٌ حُرمت نعمة الزواج لحكمةٍ أرادها الله، ولعلها أرقى عند الله من هذه المتزوجة، فالدنيا فانية ومؤقتة، لكن الشيء محبب، فالمرأة التي حرمت نعمة الزواج لا ينبغي لامرأةٍ أكرمها الله بنعمة الزواج أن تكفر بهذه النعمة، أن تقول لسببٍ أو لغير سبب: طلقني، انتبهوا، علموا بناتكم، علموا زوجاتكم، كلمة (الطاء واللام والألف والقاف) هذه كلمةٌ ملغيةٌ في قاموس المؤمن (الطاء واللام والألف والقاف) لا يوجد بيت لا يوجد فيه مشكلة حتى نكون واقعيين، لا يوجد زوجان لا يتشاحنان، شيء طبيعي يتشاحنان، يتحاربان، يتصالحان، يزْورها، تزْوره وهكذا، يتكلم ولكن خلال يومين ينتهي الأمر، أما الطلاق فاذهب لعند المشايخ، تدق عليه بابه فيقولوا لك: ليس هنا، فتسألهم عن موعد مجيئه؟ سيحضر في اليوم الثاني، ترجوهم وتسألهم وتأخذ فتواهم، هذا قال لك: طلقت، لا حول الله، وهذا يقول لك: لم تطلق أنت كنت غاضباً، وذهبت عند الأول قلت له: أنا غضبان، قال لك: ماذا تعني كلمة غضبان هل أنت مجنون؟ الغضب الذي نص عليه الفقهاء هو: ألا تعرف السماء من الأرض، والطول من العرض، أي غضب هذا، فهذا الشيخ قال لك: غضبان، لا لمْ تطلق، والآخر قال لك: لا لم تكن غضبان، اقعد وحدد مقدار الغضب الذي ينطبق عليك حكم الغضب.

أنا أتمنى على الأخ ألا يتصرف هذا التصرف فيصبح نُهبة وعُرضة لفتاوي العلماء لذلك:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[الترمذي عن ثوبان]

بالمقابل زوج، تعبت، وجهدت، وصمدت، حتى اشتريت هذا البيت وفرشت هذا البيت وحتى خطبت هذه الإنسانة وحتى استقريت معها، لأنه أصبح في مشكلة في البيت ولم تلبِّ لك طلباتك فوراً تقول لها: طالق بالثلاثة، بالثلاثة فوراً، إن حللك شيخ يحرمك عشرة، هذه يقولونها كثيراً، ما هذا الكلام الفارغ؟ أنا لا أنطلق من هراء، أنا أنطلق من حالات أستمع إليها دائماً، مشكلات أُعانيها، هذا واقع مجتمعنا المسلم يوجد تقصير وهناك جهل أيضاً.

نهي النبي عن أن تكيد امرأة لأُختها حتى تُطلق لتحل محلها :

الآن:

((لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح، فإنما لها ما قدر لها))

[البخاري عن أبي هريرة]

النبيّ الكريم نهى، وهذه مؤامرات، تجد إنسانة متزوجة، امرأة أُخرى تكيد لهذه المتزوجة حتى تسبب طلاقها من زوجها، بعد أن يُطلقها تعرض نفسها عليه، هذا شيء واقع، واقع بكميات كبيرة جداً، بحالات كثيرة، أن امرأة تكيد لأُختها حتى تُطلق من زوجها لتحل محلها، فالنبي عليه الصلاة والسلام نهى أيضاً عن هذا السُلوك الشائن، والسلوك الذي لا يرضي الله عزّ وجل.

حتى الآن الموضوع حول أن أقدس عقدٍ في الحياة الإنسانية هو عقد الزواج:

﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

[سورة النساء : 21]

الزوج ليس له الحق أن يُطلق لسببٍ تافه، وفي هذا التطليق كفرٌ بنعمة الزواج، والزوجة ليس لها الحق أن تسأل زوجها الطلاق لسببٍ تافهٍ، ولا يحق أيضاً لمرأةٍ أن تخبب امرأةٍ على زوجها، أو أن تخبب زوجاً على امرأته، كما أنه لا يحق لرجلٍ أن يخبب امرأةٍ على زوجها ليتزوجها، كذلك لا يحق لامرأةٍ أن تخبب زوجاً على زوجته لتحل محلها، هذا حرام وذاك حرام.

الحاجة الماسة التي تُبيح الطلاق :



العلماء والفقهاء اختلفوا في حكم الطلاق، وأصح من هذه الآراء، رأي الذين ذهبوا إلى حظره إلا لحاجة، أصح الآراء في هذا الموضوع أن طائفةً من العلماء حظروا هذا الحكم إلا لحاجةٍ ماسة، أي أن الطلاق لا بد له من سببٍ وجيه، لا بد له من عُذرٍ بالغ، لا بد له من حالةٍ مستعصية، في الحالات المستعصية، في الأسباب الخطيرة، في العذر البالغ، يمكن أن نوافق على الطلاق، من أين استنبط هؤلاء العلماء هذا الحكم أنه محظورٌ؟ الطلاق محظور إلا لحاجةٍ ماسة، هذا عند الأحناف والحنابلة، استدلوا بقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لعن الله كل ذواقٍ مِطلاق))

[فقه السنة]

كلمة لعن تفيد أن هذا الشيء من الكبائر، لعن، أبعد، مطلاق على وزن مفعال أي كثير الطلاق، يتزوج ويُطلق، الأحناف والحنابلة رأوا أن الطلاق حكمه محظورٌ إلا لحاجةٍ ماسة، استنباطاً من قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لعن الله كل ذواقٍ مِطلاق))

ما هذه الحاجة الماسة التي تُبيح الطلاق ؟ العلماء قالوا: أن يرتاب الزوج بسلوك زوجته، أي ليس مطمئناً لعفة زوجته، ليس مطمئناً لطهارتها، يخاف إذا غاب عن البيت أن يدخل عليها رجل، يخاف أن تنجب طفلاً من غيره، هذه الأسباب الوجيهة في الطلاق هكذا نص العلماء، من هذه الضرورة التي تبيح الطلاق أن يرتاب الرجل من سلوك زوجته، ليس مطمئناً، تزيغ، هذا سبب وجيه.

يوجد سبب آخر وهذا السبب أخشى أن أقوله ببساطة، لئلا يفهم فهماً ما أردته، أي إذا خاف على نفسه أن يقع في الزنا في بقائه مع هذه الزوجة حلّ له طلاقها، أي زوجة لا يمكن أن تُحصنه، وفهمكم كفاية، إذا استحال أن يحصن بهذه الزوجة أي مادامت عنده، يخشى على نفسه أن يزني، هذه حالة أُخرى العلماء جعلوها سبباً موجباً أو مبرراً أو مقبولاً في الطلاق، إما أنه يشك في أخلاقها، في سلوكها، يشك في عفتها، لا تردُّ يدَ لامسٍ كما سئل عليه الصلاة والسلام، قال له: " إن امرأتي لا ترد يدَ لامس " شك في طهارتها، في عفتها، في استقامتها، يخشى أن يأتيه ولدٌ من غيره، هذا سبب وجيه من أسباب الطلاق، وقد ورد في الحديث الشريف:

((لا تطلق النساء إلا من ريبة))

[الطبراني عن أبي موسى]

أو أنه لا يستطيع أن يكون محصناً مع هذه المرأة، الطلاق مقبولٌ أيضاً إذا أقر الحكمان أن بين الزوجان شقاقاً ليس له حل، وحله الطلاق، أحياناً الحكمين، حكمٌ من أهله وحكمٌ من أهلها، هذان الحكمان يُقرران أن الطلاق هو الحل.

أنواع الطلاق :

الطلاق الواجب، إذا أقرّ الحكمان أن الشقاق بين الزوجين لا يزول، وأنه يتفاقم، وأن هذا الشقاق ربما أدى إلى مفسدة كبيرة، ربما أدى إلى انحراف خطير، فعندئذٍ الطلاق واجب، أما الطلاق المحرم فقال: هو الطلاق من غير حاجةٍ إليه، وإنما كان حراماً لأنه إيقاع الضرر بنفس الزوج ونفس الزوجة، هذا الطلاق لا يوجد أسباب موجبة، فهي مقبولة عنده ومقبول عندها، وينفق عليها، ويسكنها في بيت وحدها، انتهى الأمر، مقبولةٌ ومقبول، وينفق عليها، وهي في بيتٍ مستقلةٍ به، لأسباب مشادة ومشاحنة تنفصم هذه العلاقة، يُحرم منها، وتُحرم منه، ويشرد الأولاد هذا طلاقٌ محرم.

الواجب هو حينما يرى الحكمان أن الطلاق خيرٌ من البقاء، حكمان عدلان منصفان متبصران، فهما جلية الأمر، فهما أبعاد المشكلة، رأيا أن هذا الزواج لا يمكن أن يستمر، هذا الطلاق الواجب، الطلاق المحرم طلاقٌ من غير حاجة، لأنه إتلاف للمال، إضرار للنفس؛ بنفس الزوج ونفس الزوجة، وتضييعٌ للأولاد، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ))

[ابن ماجة عن ابن عباس]

وفيما رواه أبو داود عَنْ مُحَارِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا أَحَلَّ اللَّهُ شَيْئًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّلاقِ))

[أبو داود عن محارب]

الواجب عرفناه، والمحرم عرفناه، أما الطلاق المباح الذي يكون عند الحاجة كما قلت قبل قليل، فحينما يشك في سلوكها، حينما يشك في عفتها، حينما يخشى أن تنجب من غيره، أو حينما لا تحصنه إطلاقاً، بل ربما دفعته إلى الانحراف، أما المباح إذاً لسببٍ مقبولٍ في نظر الشرع.

وهناك طلاق مندوب قال: الطلاق الذي يكون عند تفريط المرأة في حقوق الله الواجبة عليها، سافرة، لا تُصلي، لا تحب الدين إطلاقاً، تُهاجم الدين، تُربي أولادها تربيةً فاسدة، تُبعدهم عن بيوت الله، هذا الطلاق المندوب، أصبح عندنا طلاق واجب، وطلاق مباح، وطلاق محرم، وطلاق مندوب.

أنا أرى أن موضوع الطلاق موضوع يجب أن يقف على دقته وأبعاده كل الشباب، وأكمل شيء في الطلاق أن تتزوج امرأةً لا تحتاج أن تُطلقها، كيف؟ عليك أن تتزوج امرأةً لا تحتاج إلى تطليقها، أي ادرس الأمر جلياً، اسأل عن أخلاقها، عن أسرتها، عن والدتها، عن والدها، عن مستواها، مستواهم الديني، الدين عندهم مقبول، غير مقبول، يوجد تربية طيبة، يوجد فهم، أي عُدّ كثيراً، عُدّ للآلاف قبل أن توافق، أي أن تتزوج امرأةً لا تحتاج معها أن تُطلقها، هذا هو أكمل شيءٍ في موضوع الطلاق.

الطلاق من حق الرجل وحده :



قال: الطلاق من حق الرجل وحده، قد يجد الإنسان هناك من يُهاجم الدين فالبعيدون عن الله عزّ وجل، المتمسكون بالشرائع الوضعية لا يُعجبهم ذلك، الزوج تكلف، مادام هو المنفق، هو المتضرر بإنفاق المال الكثير لتحقيق هذا النفع في الزواج، فمن حقه وحده أن يطلق، فالشرع الحنيف جعل حق الطلاق بيد الرجل وحده، لماذا؟ أيهما أحرص على بقاء الزواج؟ الزوج أم الزوجة من الوجهة المادية؟ الزوج لأنه أنفق، المنفق هو الأحرص على بقاء الشيء، مادام الزوج أنفق، وتجشم المتاعب حتى حصل على هذا الزواج، وهو المتضرر مادياً، إذاً من حقه هو أن يُطلقها، أما هي مزاجية فلسببٍ أو لآخر لو كان الطلاق بيدها لا يبقى زواج ولا في المئة واحد، فلحكمةٍ أرادها الله عزّ وجل وهو الخالق الخبير جعل الطلاق من حق الرجل وحده، فإذا أراد تطليق امرأته عليه أن يعطيها مؤخر المهر، ومتعة الطلاق، وأن ينفق عليها مدة العِدة "

دائماً الزوج لأنه أنفق فهو أصبر على ما ينغِّص الزواج، والزوجة لأنها لم تنفق أقرب إلى أن تفصم عُرى هذا الزواج، فلذلك الشرع الحكيم جعل حق التطليق بيدِ الرجلِ وحده، أما الزوجة فيوجد لها صمام أمان، أي حينما الزوجة تجد أن الحياة معه مستحيلة، بإمكانها أن تفتدي نفسها منه، أي أن تسامحه بكل مالها عنده، عندئذٍ تكون المخالعة، قال له:" طلقها تطليقة وردِي له الحديقة "

فنحن عندنا قاعدة، إذا أمر القاضي بالتفريق بين الزوجين فهذا التفريق طلاقٌ أوقعه القاضي، وإذا أراد الزوج إنهاء هذه العلاقة فهو الطلاق، وإذا أرادت الزوجة إنهاء هذه العلاقة، فهي المخالعة، يوجد عندنا مخالعة، وطلاق، وتفريق، التفريق من طرفٍ ثالث وهو القاضي، والطلاق من طرف الزوج، والمخالعة من طرف الزوجة.

تفاصيل في الطلاق :

الآن دخلنا في تفاصيل الطلاق، يقع الطلاق من الزوج العاقل، فالمجنون لا يقع طلاقه عند معظم العلماء، البالغ الصغير لا يقع طلاقه، يجب أن يقع الطلاق من العاقل والبالغ والمختار، أما المُكره فلا يقع طلاقه، إذا أُكره إنسان تحت قوة السلاح أن يطلق، طلاقه لا يقع، طلاق المجنون والصبي والمكره طلاقٌ يعد لغواً لا أثر له في فصم هذه العلاقة، فقد ورد في سنن لأبي داود عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلام عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ))

[أبو داود عن علي]

وفيما رواه الترمذي والبخاري:

((كُلُّ طَلاقٍ جَائِزٌ إِلا طَلاقَ الْمَعْتُوهِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ))

[الترمذي و البخاري عن أبي هريرة]

وفي درسٍ آخر إن شاء الله أتحدث عن طلاق المُكره، وعن طلاق السكران، وعن طلاق الغضبان، وعن طلاق الهازل، وعن طلاق المخطئ، وعن طلاق الغافل والساهي، وعن طلاق المدهوش، ثم ننتقل إلى المرأة التي يقع عليها الطلاق، ونتابع هذا الموضوع إن شاء الله، على أن ننهيه في درسين أو ثلاثة، لأن هذا الموضوع يجب أن يكون عند الأخوة الكرام موضوعاً أساسياً، المتزوج وقايةً، والمتزوج الذي تورَّط في طلاق علاجاً، والشاب تعلماً.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2 - 5) : طلاق المكره والسكران والغضبان والهازل والمخطئ والمدهوش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الطلاق :

أيها الأخوة الأكارم... قلت لكم من درسين سابقين، إن الموضوعات التي نحن في أمسّ الحاجة إليها هي التي أختارها لكم بفضل الله عزّ وجل، ولماذا اخترت موضوع الطلاق؟ لأن كل خمسة سائلين، أربعةٌ منهم أو ثلاثةٌ منهم سؤالهم متعلقٌ بالطلاق، ولأنني أُفاجأ أحياناً أن أخاً كريماً مؤمناً من طلاب العلم الشرعي يتورَّط ويحلف يمين طلاق، ولشدة ما أرى من معاناة المطلقين، وضياعهم بين المفتين، وقلقهم، وحيرتهم، وطمأنينتهم تارةً إلى بعض الفتاوى، وقلقهم من بعض الفتاوى، اخترت هذا الموضوع.



شيءٌ آخر، هو أن الإنسان ينجح في حياته العامة، كل واحد له مهنة، له حرفة، له وظيفة، له صنعة، له اختصاص، قد تنجح نجاحاً باهراً في حياتك العملية، وقد تُخفِق إخفاقاً ذريعاً في زواجك، وكما تعلمون الزواج والعمل شيئان لاصقان بحياة الإنسان، فإذا نجحتم في أعمالكم، أو في تجارتكم، أو في صنعاتكم، أو في اختصاصكم، أو في دراساتكم، أو في وظائفكم، لا بد من أن تكملوا هذا النجاح بنجاحكم في بيوتكم، بل إني لا أُبالغ إذا قلت: إذا نجح الإنسان في بيته انعكس نجاحه في بيته على عمله طمأنينة، وراحة بال، والله سبحانه وتعالى رفع صلاح البال إلى مستوى الهدى حينما عطف صلاح البال على

الهدى، والمتعاطفان من لوازهما التجانس، سيهديهم ويصلح بالهم، وهل من صلاح بالٍ أعظم من سعادة الإنسان في بيته؟ هذا الكلام لا يعني أن الإنسان لا يعاني من بعض المشكلات ، فمن الطبيعي جداً أن يتباين طباع الزوج والزوجة تبايناً مقبولاً بحدود معينة، في حدود عشرة بالمئة مقبول، أما إذا اختار المؤمن امرأة لدينها فالتباين يقل، الخلاف يقل، على كل لم أطرح هذا الموضوع على أسماعكم إلا لاعتقادي ويقيني أننا في أمس الحاجة إليه.

البحث عن أمر الله أهمّ ما يميز المؤمن :

قد يقول شاب: أنا لم أتزوج بعد، وقاية، لكنك إذا أقدمت على الزواج توجد عندك ذخيرة، ومعلومات دقيقة جداً فقهية متعلقة بشأن الزواج والطلاق، وقد يقول الناجح في حياته الزوجية: أنا لست بحاجةٍ إلى هذه الموضوعات، نقول له: الشرع الإسلامي إن لم تكن بحاجةٍ إليه يمكن أن تهتدي إلى الله من خلاله، فالشرع له وظيفتان، وظيفةٌ نفعيةٌ تطبيقية، ووظيفةٌ إرشاديةٌ دلالية، وإذا إنسان واقع في مشكلة فالحل موجود، على كل يؤلمني أشد الألم أن أرى المسلم طالب العلم الشرعي الذي يرتاد المساجد، يعاني من مشكلاتٍ مشابهةٍ مما يعاني عامة الناس، فأين إيمانك ؟ وأين فضل إيمانك ؟ فهل الإسلام يا ترى صلاة وصوم فقط عبادات، وفيما سوى العبادات نحن سواء، يا ترى الفاجر في بيته كالمسلم في بيته ؟ علاقة تارك الصلاة بأهله كعلاقة المُصلي ؟ بيت المسلم كبيت غير المسلم ؟ شيء غير معقول إطلاقاً أن تجد تشابه بين مسلم وغير مسلم، إذا كان هناك تشابه فالإسلام ليس له فائدة، الإسلام أصبح عبئاً على الإنسان، أصبح المسلم عليه أن يُصلي، وعليه أن يصوم، وعليه أن يُزكي، حياته الخاصة الداخلية، وعمله، وتجارته، وبيعه وشراؤه، وسُكناه، مشابهة لغير المسلم، يعاني ما يعاني أي إنسان فإن لم يكن هناك فرقٌ جوهري بين حياة المسلم وحياة غير المسلم، بين حياة المؤمن وحياة غير المؤمن، بين حياة الملتزم وحياة غير الملتزم، فهذا الدين عندئذٍ لا جدوى منه، والإنسان وقته ثمين جداً، لكن نحن حين نرتاد المساجد ونطلب العلم الشرعي، من أجل ماذا ؟ من أجل أن نعيش حياةً كما أرادها الله، من أجل أن نربي أولادنا كما أراد الله، من أجل أن نحقق ذواتنا، من أجل أن نكون على الصراط المستقيم الذي أراده الله عزّ وجل.

فأنا قناعتي أن المؤمن أهم ما يميزه عن غير المؤمن أنه يبحث عن أمر الله، يبحث عن الأمر والنهي، يبحث عن الحكم، فالله عزّ وجل في هذا الموضوع ماذا يريد ؟ في كل بيت يوجد ملايين المشكلات، يا ترى إذا دخلت إلى البيت وجدت مشكلة، كيف تتصرف ؟ وفق ما يمليه الهوى ؟ وفق ما يمليه المزاج العصبي ؟ وفق عاداتٍ

باليةٍ أخذتها عن أُمك وأبيك ؟ وفق نزوات الجاهلية ؟ وفق آراء أصدقائك ؟ يجب أن تتصرف وفق ما يمليه الشرع عليك ، هذا الذي أتمنى عليك.

أنا والله أسعد أيها الأخوة جداً حينما يبلغني أن أحدكم سعيدٌ في بيته، ونحن أُسرة واحدة، لا أظن أن أحدكم قد يكون شقياً في بيته ومزعوجاً في بيته وأنا أكون مرتاحاً، لأنه سوف يقول لي: هكذا صار معي ومزعوج، هكذا تفعل معي، ماذا أفعل أُطلقها ؟ أبقيها ؟ فعندما يكون الأخ ناجحاً في زواجه، سعيداً في بيته، أنا أعدُّ هذا دليلاً على صحة إيمانه، دليلاً أنه متمثِّل لأوامر الشرع.

فالنبي عليه الصلاة والسلام، جاء ليعلمنا كيف نعيش ؟ كيف نتزوج؟ كيف نحافظ على زوجاتنا ؟ لذلك الموضوعات التي وردت في الدرس الماضي، والتي سوف ترد في هذا الدرس، هي موضوعاتٌ في أمس الحاجة إليها.

الطلاق لا يكون إلا بحالاتٍ قاهرة :

في الدرس الماضي بيَّنت لكم أن الطلاق منه ما هو واجب، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مندوب، ومنه ما هو حرام، والطلاق لا ينبغي أن يكون إلا لحالاتٍ قاهرة، كأن تشك في سلوكها، كأن تشك أن أولادك ليس منك، هذه حالة الارتياب بسلوك الزوجة، كما ورد في الحديث الشريف:

((لا تطلق النساء إلا من ريبة))

[كشف الأستار عَنْ أَبِي مُوسَى]

أو لا تستطيع الزوجة أن تكون مُحصنة لك، هذه حالة ثانية، وما سوى ذلك فالطلاق مكروه كراهة تحريم، لأن فيه إتلاف للمال، وفيه إيذاء للمرأة، وفيه ضياع للأولاد، وأتمنى على كل أخ كريم قبل أن يفكر في الطلاق أن يتصور أولاده عند امرأة غريبة لا تحبهم ولا ترعى شأنهم، وتفعل كل شيءٍ بحيث تؤذيهم، أو تبعدهم عن أبيهم.

أنواع الطلاق :

1 . طلاق المكره :

أكثر شيء ورد في الموضوع طلاق المكره، وطلاق السكران، وطلاق الغضبان وطلاق الهازل والمخطئ، وطلاق المدهوش.

طلاق المكره لا يقع، لماذا ؟ قال: لأن المُكره ليس له إرادة، ليس له حرية، والإرادة أساس التكليف، ما لم تكن حراً فلست مكلفاً، فإذا انتفت عنك حرية الإرادة إذاً كل شيءٍ يترتب على إكراهك باطل، أنت مسلوب الإرادة، فقد ورد في سنن ابن ماجة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أن النبيّ عليه الصلاة والسلام قال:

((إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ))

[ابن ماجة عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ]



لو أن أحداً أجبرك على كلمة الكفر، لا تكفر، لقوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾

[سورة النحل: 106]

إذاً انتبه الآن إلى حكم دقيق، هو أن كل عملٍ يقع منك اختياراً، بمحض اختيارك، بإرادتك، برضاك، دون ضغط، أو دون إكراه، هذا العمل مسؤول عنه مسؤوليةٌ تامة، أما إذا نُفيت الإرادة، فصار هناك إكراه، وأصبح هناك ضغط، عندئذٍ سُلبت إرادتك، وبالتالي لا يقع منك نتائج هذا التصرُّف، لكن الإمام أبا حنيفة وحده قال: طلاق المكره واقع ، ويبدو أن الأئمة الثلاث حجتهم أقوى، عند الأحناف طلاق المُكره واقع.

أي لا يستغرب أحدكم لو سأل أول شيخ، وثاني شيخ، وثالث شيخ، ورابع شيخ دون أن يعلم خلفيات هؤلاء المشايخ، ومذاهبهم الفقهية، وطريقتهم في معالجة هذه الأسئلة، إذا لم يعلم الخلفيات يُصعق من اختلافهم في الفتوى، أي لو سألت مُفتياً حنفياً متشدداً في حنفيته، أو متعصباً لها، لأعطاك فتوى في الطلاق تختلف عن مفتٍ آخر ليس متعصباً لحنفيته، أو أفتى لك على مذهبٍ آخر، فالأحناف وحدهم يرون أن طلاق المُكره يقع، ويقول بعض العلماء: ولا حجة لهم فيما ذهبوا إليه، فضلاً عن أنهم خالفوا جمهور الصحابة .

المُكره لو كفر، لا يكفر لو نطق بالكفر لا يكفر، الكفر أهم من الطلاق أليس كذلك؟ وفي آية كريمة:

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾

[سورة النحل: 106]

النبيّ الكريم قال له :

((وإن عادوا فعد ولا شيء عليك))

أنساب الأشراف للبلاذري عَنْ عَبْدِ الْحَكِيمِ بْنِ صُهَيْبٍ]

إذا كان المكره لا يؤاخذ بكلمة الكفر، فلأن يؤاخذ بيمين الطلاق من باب أولى، هذا موضوع طلاق المكره، ورفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

2 . طلاق السكران :

أما طلاق السكران، الآن اختلف الأمر، ذهب جمهور الفقهاء إلى أن طلاق السكران يقع فلماذا ؟ نريد الدليل؟ العقل مغذ يغذي الإنسان. مرة أخ قال لي كلمة، روى لي حديثاً شريفاً، والحديث معروف وصحيح أنه:

((إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

أي لو قال الإنسان: لو أن الله عزَّ وجل تكرم علينا و تركهم موثقين طوال السنة ألا يريحنا بذلك؟ كنا سندخل جميعاً إلى الجنة، ونرتاح من الوساوس، ومن المعاصي والذنوب والآثام، فلماذا فك قيدهم في شوال ؟ هؤلاء الشياطين قد أهلكونا !! في شوال أفلتهم علينا، إحدى عشر شهراً و هم غير مقيدين وربطهم في شهر واحد والحديث صحيح؟ هناك فرق كبير بين أن تفسر حديثاً تفسيراً غير معقول، وبين أن تفسر حديثاً تفسيراً معقولاً، ما معنى : إذا جاء رمضان صفدت الشياطين أي قيدت ؟ وقد ضربت مثالاً لذلك: إذ كان هناك محل لبيع الخمور، ضمن حي فيه مئة شاب وهؤلاء المئة شاب تابوا كلهم، هذا المحل ألا يغلق؟ فأنت حينما تتوب إلى الله، وحينما تغض البصر، وحينما تؤدي زكاة مالك، وحينما تقرأ القرآن، وحينما ترضي الله الشيطان ألغيت له عمله، وكأنك قيدته، فيمكن أن يفسر الحديث تفسيراً غير معقول، معنى الحديث أن الإنسان إذا تاب إلي الله عزَّ وجل قيَّد الشيطان حكماً.

الآن أنت يمكن أن تذهب إلى بائع تقول له: أغلق دكانك، أو كأن تمسك الغلق وتنزله، ويمكنك أن تمنع أحداً أن يقف أمامه، أول مرة أغلقته قهراً، الثاني أغلقته حكماً أليس كذلك؟ إذا منعت أي إنسان أن يدخل إلى هذا المحل، وعملت حرساً على منافذ المحل التجاري، فكأنك أغلقته حكماً . إذاً السكران لماذا يقع طلاقه ؟ لأنه سكر باختياره، المكره ليس باختياره، المكره واجه شخصاً معه سلاح قال له: احلف على زوجتك بالطلاق، فحلف ونجا بحياته، نقول: طلاقه لا يقع على رأي جمهور الصحابة وعلى رأي الأئمة الثلاث، لكن طلاق السكران لماذا يقع؟

لأن السكران اختار السُكر باختياره، هو الذي اختاره، لكن انظر لدقة العلماء.

بالمناسبة أي موضوع تسأل عنه مفتياً، أو عالماً، أو طالب علم، أحياناً أنا أبدأ بكلمة واحدة، يسألني أحد سؤالاً، فأقول له: هذا الموضوع خلافي، ما معنى خلافي ؟ أي يوجد علماء أجازوا، و علماء منعوا، لهؤلاء أدلة، ولهؤلاء أدلة، فهذا الموضوع خِلافي، وكل موضوع خِلافي فيه بحبوحة، أي إذا أخذت بالذين أجازوا معك الدليل، وإذا أخذت بالذين منعوا معك الدليل، وأية عبادةٍ، أو أي سلوكٍ يغطيه أحد المذاهب الأُصولية فهو صحيح عن علمٍ أو عن غير علم، إذاً حينما تسأل طالب علمٍ ويقول لك: هذا الموضوع خِلافي، فانتبه، إذا قال لك: خِلافي، معنى هذا فيه بحبوحة، لهذا قيل: الأئمة الأربع رحمهم الله تعالى اجتماعهم حُجةٌ قاطعة.

أحياناً في كتب الفقه يقول لك: ما اتفق عليه الأئمة الأربع ، وهذا شيء خطير جداً، أربع علماء اتفقوا على شيء، وأحياناً يقول لك: في الموضوع خلافٌ على تفصيل المذهب، إذاً صار هذا موضوع خِلافي، طلاق السكران الجمهور، ليس جمهور الناس بل جمهور الفقهاء، لأن الله عزّ وجل قال:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

[سورة الأنعام: 116]

هذا يقول لك :أنا مع الناس، معنى هذا أنه على ضلال، مرة عالم كان بحضرة خليفة، والخليفة مختلف مع عالم آخر على قضية، فجاء بهذا العالم الثاني وجعله حكماً، وقال له: ما قولك ؟ هنا خليفة، وهنا عالم، قال له:

الأكثرون مع رأيك يا سيدي، لم ينتبه وفرح الخليفة أنه على حق، فلما خرج قال له: أي على باطل، قال له:

كيف؟ قال له: ألم يقل الله عزّ وجل:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

[سورة الأنعام: 116]

الأكثرية معك يا سيدي، معناه ليس على حق، على كل طلاق السكران الجمهور قالوا: إن طلاق السكران يقع، لأنه تسبب بإدخال الفساد على عقله بإرادته، فأحياناً الإنسان يفعل الشيء بإرادته، الآن كل شيء نتج عن هذه الإرادة يتحملها، لو فرضنا قال لك: ابق هذا الجهاز مشتعلاً طوال الليل، أصبح في البيت حريق وهو المسؤول، نتج حريقاً لإبقاء الجهاز مشتعلاً، الحريق من نتائج اختياره، يا أخي: أنا اخترت إبقاءه فقط مشتعلاً، لا، وعليك أن تتحمل نتائج اختيارك، فطلاق السكران جمهور الفقهاء على أنه يقع، قال: وقال قومٌ لا يقع، لأنه لهوٌ لا عبرة به، لأن السكران والمجنون سواء، إذ أن كل منهما فاقد العقل الذي هو مناط التكليف، ولأنه سبحانه يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

[سورة النساء: 43]

معناها السكران لا يعلم ما يقول ، الآن سؤال وهو محرج: السكران لا يعلم ما يقول، إذاً الذي يصلي ولا يعلم ما يقول ؟ في حكم السكران، السكران الذي لا يعلم ما يقول والذي لا يعلم ما يقول ولا يشرب الخمر فهو في حكم السكران، لذلك:

﴿**الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾

[سورة الماعون: 5]

قال أحد العلماء: إن الله تفضل علينا بهذه الآية، لو قال: والذين هم في صلاتهم ساهون، لهلكنا جميعاً . انظر بين كلمة في و كلمة عن، عن صلاتهم ساهون، يوجد لوم كبير، أما لو قال: في صلاتهم ساهون، معناها أن الصلاة لا تقبل إلا إن كنت حاضر القلب مع الله، وبعض الأئمة المتشددين قالول: "الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها بل من فرائضها" لقوله تعالى:

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾

[سورة المؤمنون: 1-2]

يوجد رأي أنا رأيته وجيهاً، يوجد عندنا مبدأ في القوانين، أن الإنسان لا يُعاقب مرتين لذنبٍ واحد، بينما السكران إذا ضبط متلبساً بالسُكر يُعاقب بأن يُجلد ثمانين جلدة، أليس كذلك ؟ نعاقبه مرتين، مرةً بجلده ثمانين جلدة، ومرةً بأن يقع طلاق امرأته منه، يكون قد عاقبناه مرتين، لأنه وهو ينطق يمين الطلاق سكران، لا يعلم ما يقول، نحن سوف نعاقبه على سُكره بثمانين جلدة، وفوق ذلك نعاقبه مرةً ثانية بتطليق امرأته منه ؟! هذا رأي آخر.

لاحظتم كيف أن طلاق السكران موضوع خِلافي، ما معنى خِلافي؟ أي يوجد علماء قالوا بشيء ومعهم أدلتهم، وعلماء قالوا بشيء ومعهم أدلتهم، إذاً هو موضوع خِلافي ومعنى موضوع خِلافي نحن في بحبوحة، لنا أن نقلد هذا العالم فنوقع طلاق السكران، ولنا ألا نقلد، نقلد هذا العالم مع أدلته فلا يقع طلاقه، أحياناً نستأنس بالقوانين النافذة في الأحوال الشخصية، قانون الأحوال الشخصية مستنبط من الفقه، أساساً القانون المدني أساسه من الفقه.

وأزيد عليكم أن القانون الفرنسي مأخوذٌ من الفقه الحنفي، عندما كان نابليون في مصر وجد موسوعات فقهية كبيرة جداً كلها ترجمت، هناك قوانين يُعمل بها في بلاد الغرب أساسها إسلامي، وهم لا يدرون عن ذلك شيئاً، لأن هذا تشريع إلهي فيه دقة بالغة، بقانون الأحوال الشخصية لا يقع طلاق السكران والمُكره.

وأنا أنصح كل أخواننا الكرام إذا سُئِلوا، افتِ لنفسك بأشد الفتاوى، وافتِ للآخرين بأيسرها، العكس لا يليق بالمؤمن، يوجد أشخاص يعطون لأنفسهم كل الرُّخص، ويلزمون الناس بكل العزائم، الأكمل أن تلزم نفسك بكل العزائم، وأن تعطي الناس الرخص تيسيراً لهم.

الآن لو سألت مئة شخص، يقولون له: لماذا يا أخي لا تديرها حنبلية؟ لماذا؟ فهل كان المذهب الحنبلي صعباً ؟

يقول لك : الآن أصبح حنبلياً، لا تديرها حنبلية، يا ترى هذا الكلام ما أصله؟ هل تصدقون أن أهون مذهب هو الحنبلي ؟ إذاً من أين جاء هذا الكلام ؟ قال: لأن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كان يأخذ نفسه بالعزائم، أي كان شديداً على نفسه فقط، أما في الفتاوى فكان ييسر ولا يُعسر، يسدد ويقارب، يبشِّر ولا يُنفر، أحياناً الإنسان يكون المفتي بحاجة إلى حكمة بالغة، أحياناً يجيء لك سؤال، السائل لا يقصد الزواج، يقصد شيئاً آخر، فهناك مفت وهناك مرشد، وهناك حكيم، وهناك مربّ.

3 . طلاق الغضبان :

طبعاً طلاق السكران قلما يأتيني هذا الموضوع، والمُكره هذه حالة نادرة الآن، أن يجيئوا بشخص، ويكتفوه ويأمروه: طلق زوجتك، والله لم أسمعها، هذه قليلة، لكن أكثر سؤال كان يجيء لي، أكثر سؤال يكاد يكون بالمئة مئة، طلاق الغضبان، والغضبان مثل المطاطة، لم أسمع أحداً طلق امرأته إلا وقال: كنت غضبان، أرجوك أي غضب هذا ؟ طلاق الغضبان موضوع دقيق جداً، وله تفصيلات كثيرة جداً قد لا يتسع هذا الدرس لها وحدها.



أولاً الغضبان الذي لا يقع طلاقه هو إنسان لا يدري ما يقول، ولا يدري ما يصدر عنه، مثل هذا الغضبان لا يقع طلاقه لأنه مسلوب الإرادة، وقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال:

((لا طَلاقَ وَلا عَتَاقَ فِي إِغْلاقٍ))

[أبو داود عن عائشة]

كأن الغضب يُغلق على الإنسان فكره، لم أعرف ماذا تكلمت ؟ لم أر بعيوني ، هذه كلمات العوام، العلماء زخرفوها، قالوا : الغضبان الذي لا يقع طلاقه هو لا يعرف السماء من الأرض، ولا الطول من العرض ، تقول له: أين السماء ؟ يقول لك: هذه السماء، لكن يوجد إنسان حزين وواع يقول: هذه السماء. حتى يقع طلاقه، أما هو فعلاً يعرف أين السماء، الذي لا يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض هذا هو الغضبان الذي لا يقع طلاقه، بل إن كل عملٍ يفعله الغضبان إذا كان القانون يحاسبه عليه فطلاقه يقع.

قال : وحقيقة الإغلاق أن يُغلق على الرجل قلبه، فلا يقصد الكلام ولا يعلم به، كأنه انغلق عليه قصده وإرادته ، هذا الإنسان بهذه الظروف، نقول له: أنت غضبان، وغضبك لا يقع، وقد انطبق عليك قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا طَلاقَ وَلا عَتَاقَ فِي إِغْلاقٍ))

[أبو داود عن عائشة]

الآن إذا كان الغضب سبباً في أن يزول العقل كليةً فلا يشعر صاحبه بما قال، هذا لا يقع طلاقه بإجماع العلماء، ليس فيه خلاف، أما إذا كان في أوائل الغضب، قال: هذا يعرف في أوائل الغضب ماذا يقول، ويعرف مؤدَّى كلامه، قال: هذا يقع طلاقه بلا نزاع أيضاً ، أين الخِلاف إذاً ؟ أين العلماء اختلفوا ؟ قال: هو الذي

يغضب، ويستحكم به الغضب ويشتد به الغضب، لكن لا يزول عقله كليةً، لكن يحول بينه وبين نيته، بحيث يندم على ما فرَّط، إذا زاد فهذا محل نظر ، في البدايات وأنت واعٍ، العلماء اتفقوا على أن الطلاق يقع وفي النهايات العلماء اتفقوا على أن الطلاق لا يقع، لكن إذا اشتد بك الغضب، وندمت على ما فعلت، وفي أثناء الغضب ما نويت على الذي وقع منك، فهذه الحالة الوسطى هذه محل نزاعٍ وخلافٍ بين العلماء. الأفضل من هذا كله ألا تغضب، وألا تُطلِّق، والله من أعماقي أقول لإخواننا كلهم المؤمنين الطيبين موضوع الطلاق يجب ألا يرِد إطلاقاً ما دام هناك ثقة في الزوجة، وما دام الزوجة جملةً مقبولة، فكل شيء مقبول جملةً لا تفصيلاً، فلا يوجد امرأة كاملة، ولا يوجد زوج كامل، والنبيّ الكريم قال:

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كَرِهِ منها خُلُقاً رضي منها آخَرَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

لكن حينما تكون المرأة مقبولةً جملةً لا تفصيلاً، انتهى الأمر، يجب أن تنزع من نفسك موضوع الطلاق كلياً.

4 . طلاق الهازل :

الآن طلاق الهازل والمُخطئ، قال: يرى جمهور الفقهاء أن طلاق الهازل يقع كما أن نِكاحه يصح ، فقد روى الإمام أحمد وابن ماجة والترمذي والحاكم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلَّم يقول:

((ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ النِّكَاحُ وَالطَّلاقُ وَالرَّجْعَةُ))

[أحمد عن أبي هريرة]



فالبعض أحياناً يمزح ويقول: والله أنا ناوي أن أتزوج فلانة، جالس إنسان فحكى إلى أُخته، الأخت حكت إلى أُمها، الأُم حكت للجارة، الجارة حكت لبيت عمتها، عمتها حكت لها بعد أسبوع، فقالت لها: فلان يريد أن يأخذك، وهي أجابت قائلة " والله على سلامته هذا الشاب والله معقول أن يأخذني؟ أنا أقبل

فيه والله، لم يجيئها نوم أول ليلة من فرحها، حكت إلى أُمها فقالت لها الأم: والله جيد يا ابنتي، والله نحن نتمنى، والأم حكت إلى أبيها، فقال الأب: عنده بيت ؟ والرجل كان يمزح، النبي الكريم نهى عن أن يكون المِزاح في موضوع الزواج، لأن فيه كسر خاطر، فيه إساءة، فيه إحباط شديد جداً، والذي نبَّه عليه النبي عليه الصلاة والسلام " أن أخفوا الخِطبة "، لعل هذه الخِطبة لم تتم، " اخفوا الخِطبة، وأعلنوا النكاح " النكاح معلن، لكن الشيء الواقع الآن تجد كلمة نحكت، لم يبق إنسان إلا وعرف أن فلاناً خاطب فلانة، الآن إذا كان الخِطبة لم تتم لماذا ؟ ماذا سمع عنها يا ترى؟ لماذا لم تعجبه ؟ يا ترى أخلاقها ليست جيدة؟ والناس يريدون أن يتسلوا، ناقصهم معلومات، الآن يعتبوا لماذا لم تبلغونا أنكم خطبتم فلانة ؟ أنتم عرفتم دون أن نبلغكم، كيف إذا بلغناكم ؟

السنة أن تُخفى الخِطبة، وأن يُعلن النِكاح:

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم ولولا الحبة السوداء لم نأت نناديكم

***

هكذا النبي علمهم ماذا يقولون، معنى هذا أن العراضة و التزمير من السنة .

أنا مرة قلت لكم أن لي صديقاً قال لي: طُرق باب بيتي الساعة الرابعة والنصف فجراً فاستغربت، ففتحت لم أر أحداً، فحانت مني نظرة نحو الأسفل فوجدت سكاً، أعوذ بالله فتحه، مولودٌ ولِدَ حديثاً، عرفوا أنه صاحب دين، هذا الطفل أغلب الظن أنه ابن زنا وضعوه بهذه الحقيبة، ووضعوه أمام بيته، قفز إلى ذهني فجأةً لو أن إنساناً تزوج زواجاً شرعياً ، و حملت زوجته، تجد أن الكل يهنئها، وتجدهم قد هيؤوا الغرفة، وهيؤوا الأدوات، وأحضروا ملابس المولود، والأُسرة كلها انشغلت والزوج فرح، وبعد ذلك عندما ولدت صار الفرح، والمباركة، وجهزوا الكراوية، وقدمت الهدايا، وعملت مباركة للنساء، ومباركة لهؤلاء، شيء جميل جداً، لأن هذا طريق مشروع.

أحياناً الإنسان يذهب مع زوجته ومعه ابنه الصغير، لا يستحي أمام الناس، فهذه زوجته وهذا ابنه، يفتخر، بالعكس يوجد أماكن إذا كنت مع زوجتك أكمل، يعدونك إنساناً محترماً، أنت مع زوجتك، أما إذا امرأة ليست زوجته، تجد قلبه مقطوعاً وهبط من الداخل لو أن أحداً مشى وراءه.

فطلاق الهازل، وطلاق المُخطئ، قال: هذا طلاقٌ يقع، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ النِّكَاحُ وَالطَّلاقُ وَالرَّجْعَةُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

الرجعة، إذا راجعها زوجها المُطلق، وتوجد رواية: والعِتاق أي عتق العبد.

أنا أنصح أخواننا الكرام، إذا كان هناك شيء يترتب عليه نتائج خطيرة، لا يمزح فيه أبداً، مثلاً عنده صانع يقول له: أريد أن أُشاركك في المستقبل، يظن أنه بذلك يطيب له خاطره فهذا الصانع ذكر ذلك إلى والده، فالأب قال له: والله معقول يا بني، هذا الرجل آدمي، إذا سمح لك أن تكون شريكه فهذا ممتاز، الأب مشى في هذا الاتجاه، وتكلم إلى زوجته وفرحوا، ابننا الحمد لله فلان سوف يشاركه، لكن يا ترى بالجهد فقط أم بالمال؟ يا ترى هل يريد مالاً؟ نسأله أي شيء يحب ؟ المعلم فكر أن يمزح مع هذا الصانع بأن قال له: أريد أن أعملك شريكاً بالمستقبل، فكل أمر خطير ممنوع أن تمزح فيه إطلاقاً، إذا لم يكن عندك استعداد أن تنفذ، أصبح وعداً عليك له، ووعد الحر دين، وإن لم تنفذ عملت له إحباطاً، عملت له صدمة، الآن كثير من الأمراض النفسية أساسها صدمة شديدة، لم يتحمل، يصبح الإنسان معه انفصام في الشخصية، الآن أكثر مرض شائع هو انفصام الشخصية، قال إنسان لطبيب نفسي: أريد أن تعمل لي انفصام شخصية، قال له: لماذا ؟ قال له: والله ضائق خلقي لوحدي، انفصام الشخصية أساسه صدمة، أي منّيته بشيء ولم يتحقق، جعلته يطمع بشركة ولم تتحقق، أو بشراء بيت ولم تؤمنه له.

الآن بعضهم قال: وذهب بعض أهل العلم إلى عدم وقوع طلاق الهازل ، وهؤلاء بالطبع قلة، لقوله:

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: 227]

فعزم الطلاق أي فكر، وجمع، وطرح، وقسَّم، وقال: يجب أن أطلقها لم أعد أتحملها، وما هو متأخرها؟ أدِّبر نفسي، أي كله دخل في نفسه، فكر بمتأخِرها، وفكر بالنتائج، والمضاعفات، وأخذ قراراً بالطلاق قال:

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: 227]

يوجد أحاديث لطيفة جداً، روى ابن عباس فيما رواه البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((... الطَّلاقُ عَنْ وَطَرٍ...))

[البخاري عن ابن عباس]

إذاً طلاق الهازل يقع، لأنه ينطبق عليه قول النبيّ:

((ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ النِّكَاحُ وَالطَّلاقُ وَالرَّجْعَةُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

5 . طلاق المخطئ :

طلاق المخطئ، الإنسان أحياناً يقول: زيد ويقصد عُبيد، أحياناً الأم يكون ابنها اسمه أحمد، تقول له: سعيد تعال إلى هنا، وتكون عينها على عينه، ما حكم هذا ؟ خطأ هذا هي أرادت أحمد وأخطأت باسمه، فبعضهم قال: طلاق المخطئ يقع ، وبعضهم قال: إنه يقع قضاءً ولا يقع ديانةً ، كيف هذه، فهي دقيقة ؟ لو أردنا أحداً من الناس لك معه مئة ألف، جاء إليك ودفعها لك، وكاتب لك سنداً، قال لك: أين السند ؟ والله ليس تحت يدي الآن، يا أخي نحن قبضناهم منك، فهل سنأكلهم عليك؟ فاستحى وذهب، توفي هذا الشخص، حتى لا نسيء الظن فيه، فتحوا أولاده خزانته فوجدوا سنداً بمئة ألف، ذهبوا فأقاموا دعوى على هذا المدين، يا أخي أنا دفعتهم لأبيكم، نحن ليس لدينا علم بدفعهم، نحن وجدنا سنداً بمئة ألف، فقال: هذا عند الله بريء، لكن القضاء يدينه أحياناً، القضاء يجعله يدفعهم، فنقول: هذا السند وقع قضاءً ولم يقع ديانةً، فهو عند الله بريء.

قال: طلاق المخطئ وقع قضاءً، وعند الله هذه زوجته وهي حلالٌ له، أما لو عرضت الأمر على قاض، أو على مفت، وقع الطلاق لوجود اللفظ، وهناك شيء يشبهه، إنسان ذهب إلى أوربا قال: والله سأتزوج امرأة لسنتين أو ثلاث بدلاً من أكون وحيداً، وهذا الأمر هنا سهل، فكلهم يعرضون أنفسهم، وأنا سأتزوجها زواجاً شرعياً، أنا لا أريد أن أرتكب الحرام، أقوم بعمل زواج لمدة ثلاث سنوات أثناء دراستي، ذهب إلى المركز الإسلامي وجد فيه فقيهاً وعالماً وخطيباً، هذا العمل حرام في الإسلام ولكنه لم يقل: سأتزوج زواجاً مؤقَّتاً، بل قال: أنا أريد أن أتزوج زواجاً إسلامياً، وجرت مراسم الزواج، إيجاب، وقبول، ومهر، وشاهدا عدل، ماذا يقول له الخطيب أو الإمام أو

الشيخ؟ ليس عنده غير الظاهر، ليس عنده إمكانية أن يعرف بواطن هذا الشاب، بالظاهر أنه اختارها زوجةً لها، وهي وافقت، أجاب وقبلت، وأجابت وقبل، ولها ولي وأتي معها أبوها، والمهر مسمى، معجل ومؤجل، وهناك شاهدان وأخذ توقيعهم وهوياتهم، هذا الزواج وقع قضاءً ولا شيء عليه، لكن ديانةً ؟ يا لطيف هذا ديانةً باطل لأنه نوى التوقيت، والزواج على التأبيد، في رأي جمهور العلماء، فأحياناً تفرق بين ما وقع قضاءً وما وقع ديانةً، أنت قد تكون بريئاً أمام الله، ولكنك لست بريئاً أمام الناس، لذلك العاقل والموفق يبحث عن براءته عند الله وعند الناس معاً، هل عندكم شاهد من السيرة ؟

النبي كان يمشي مع زوجته، فقال لأحد الصحابة: هذه زوجتي فلانة، فقال له: أفيك نشك ؟ قال: لئلا يدخل الشيطان بينكم، هذه زوجتي ، هنا النبي جمع بين براءته أمام الله، وبراءته أمام الناس.



إذاً لا يكفي أن تكون عند الله بريئاً، الآن لاحظ أن أكثر إخواننا يكون هو صافي النية مع الله، مستقيم، لكن أهمل مظاهر، هذه المظاهر جعلته مداناً عند الناس، لهذا يقول الإمام علي كرم الله وجهه: " من دخل مداخل التهم فلا يلومنَّ إلا نفسه" جلست عند رفيقك، عنده محل قال لك: سوف أصلي العصر وأرجع، اجلس في المحل حتى أعود، قلت له: حاضر، وفتحت الدرج فوجدت أوراقاً نقدية ذات الخمسمئة والمئة وأنت تتسلى، والله أنا معي خمسمئة سأصرف هذه الخمسمئة، فسحبت عدداً من الأوراق ذات الخمسمئة، وعددتهم، ووضعتهم في جيبتك، أو بالعكس أكمل، أخرجت الخمسمئة وضعتها في الدرج، وسحبت خمسمئة خمس قطع، ودخل صديقك، أنت عند الله بريء، لكن عنده أصبحت غير بريء، لذلك اجهد أن تكون عند الله وعند الناس بريئاً، فكلمة النبي: هذه زوجتي والله أيها الأخوة هذا الموقف لرسول الله يحمل عليه مئة مئة ألف حالة. عليك دين؟ فتقول: أخي انتهينا، لست بريئاً عنده، عند الله بريء، لكنه شك، فقال في نفسه: لي معه ثلاثة آلاف، كل هذا العمل كلف ألف ليرة فكيف تقول انتهينا؟ الرجل أسعاره من عشر سنوات ولا يعرف، أحياناً شخص يكون بانياً له بيتاً من عشرين سنة، بعيد عن جو السوق، هذه يكفي فقط دفع خمس ليرات فيها ويكون سعرها خمسمئة ليرة، تعتقد أن هذه سعرها خمسة آلاف،

ويكون ثمنها أصبح ثمانية آلاف، فإذا شخص بعيد عن جو الأسعار، أخي: أنا لي عنده مبلغ، فقال لي: أنت عند الله بريء، لكن عنده لست بريئاً قال: رحم الله عبداً جب المغيبة عن نفسه ، فأنت لو كنت بريئاً هذا لا يكفي، فالنبي قال : رحم الله عبداً جب المغيبة عن نفسه .

مرة قال لي أخ و هو مدرس: هناك بائع للأحذية في سوق مغلق، وفي آخر السوق يوجد سينما، و هذا البائع متقن جداً، فلا يوجد حذاء مثل صنعته، فقال له كلمة أنا والله أعجبتني: مهما كان متقناً، مهما كان رخيصاً، دخولي لهذا المكان أمام طلابي فيه مظنة أن يقولوا: أستاذنا دخل إلى السينما، إنما هو دخل إلى محل لكي يشتري حذاء، لكن هذا المدخل فيه شبهة لهذا لا تضع نفسك موضوع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموك، هذه قاعدة في الحياة مأخوذة من: هذه زوجتي.

كنايات الطلاق :

عندنا طلاق باللفظ، فالعلماء اجتمعوا على ثلاثة ألفاظ للطلاق: الطلاق، والفراق، والسراح، إذا قال: فارقتك، أو طلقتك، أو سرَّحتك سراحاً جميلاً، هذا الطلاق وقع، ولا يلتفت إلى نية المطلِّق، أما أي لفظ آخر فيحتاج إلى نية. مثلاً، من كنايات الطلاق، لو قال لها: أمرك بيدك، قالت له: ماذا نطبخ اليوم ؟ قال لها: أمرك بيدك، معنى ذلك أنها لم تطلق زوجتك، أنت قاصد أنها هي حرة في اختيار نوع الطبخة، يوجد في الثلاجة كل شيء وعندك لحمة، أمرك بيدك، أما لو قال لها هذه الكلمة وفي نيته أن يُطلقها أصبحت طالقاً، إذاً الكناية تحتاج إلى نية، أما كلمة طلقتك، وكلمة سرحتك، وكلمة فارقتك، فهذه الكلمات الثلاث تقع بلا نية، هذه أمرك بيدك، لو قال لها: أنت عليّ حرام، تحتمل أنه طلاق، أو أنه حرامٌ إيذائها، أي إن شاء الله حرام أُؤذيك، أنت عليّ حرام تعني أنه طلاق بالكناية يحتاج إلى نية، قالت له: والله إن أبي مريض، قال لها: الحقي بأهلك. هذا ليس طلاقاً، أما لو أراد من هذا طلاق فهو طلاق، الحقي بأهلك، أمرك بيدك، أنت عليّ حرام، هذه كلها كناياتٌ لا يقع بها طلاقٌ إلا إذا توافرت لها نية التطليق، أما طلاق، وفِراق، وتسريح، هذه كلماتٌ صريحةٌ فلو تلفظ بها الإنسان وقع الطلاق، لا تعلق مع المفتين ابعد عن الطلاق، وعن كلمة فراق، وعن كلمة سراح، وعن كلمة طلاق، أفضل.

من باب الطرفة كنت أقول لإنسان يسألني عن الطلاق: أنت تريدها؟ يقول لي: نعم والله. إذاً فلان يفتيها لك، وإذا كنت لا تريدها اذهب لفلان يقول لك: طلقت. فهناك الكثير من الاتجاهات المتعددة، فأنت من الأفضل لك أن تبتعد عن هذا كله.

سؤال: النبيّ طلق؟ طلَّق امرأة واحدة، لأنها ضعيفة التفكير إلى درجة غير معقولة أخوتها نصحوها أنها حينما تلتقي بالنبي تقول: أعوذ بالله منك، فلما قالت للنبي هذا الكلام، قال: عُذتِ بعظيم الحقي بأهلك. ستصبح مبلغة للدين، وليس موضوعاً مزاجياً، هو موضوع خطير جداً، هذه أُم المؤمنين، يقول لك مثلاً: روى فلان عن أم المؤمنين – اسمها ابنة الجون – مادام تفكيرها ضعيفاً إلى درجة أنها لم تفكر فيما قيل لها، والنبيّ سيد العالمين، أعوذ بالله منك، قال لها: الحقي بأهلك لقد عُذتِ بعظيم، معك حق لكن الحقي بأهلك، ليس لك عندي نصيب إطلاقاً، هذا طلاق بالكناية لكن النبيّ ماذا قصد به؟ قصد الفِراق.

سيدنا كعب بن مالك عندما أمره النبيّ الكريم أن يعتزل امرأته فقال: أُطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها فلا تقربنها، فقال لامرأته: الحقي بأهلك، فهل طلقها يا ترى؟ لم يطلقها سيدنا كعب لأنه قال لها: اذهبي إلى بيت أهلك.

أحياناً أخواننا أسمع منهم قصة غريبة، كأن تكون أعصابه متوترة جداً، فيقول لزوجته: غيبي يومين عند أهلك ولا شيء عليك، لا ترضى، تظل مصممة حتى يُطلقها، هذه القصة أسمعها كثيراً، إذا توتر الإنسان أو غضب فليجلس، إذا غضب فليتوضأ، إذا غضب فليسكت، إذا غضب فليخرج من البيت، فأحياناً يكون الجو متوتراً متفجراً، فإذا الإنسان ركب رأسه، وأصرّ على ما هو عليه، قد يؤدي الأمر إلى وضع لا تُحمد عُقباه.

والأحناف يرون أن كنايات الطلاق يقع بها الطلاق بالنية، وأنه يقع بها أيضاً بدلالة الحال، فأشد المذاهب بالطلاق الأحناف، فإذا وقع أحد في مشكلة، وذهب إلى بعض المُفتين المتشددين والمتعصبين لحنفيتهم، الجواب معروف قبل إن يذهب إليهم، فإذا كان بينهم شِجار وقال لها: الحقي بأهلك، هذا طلاق عند الأحناف، مادام على أثر شِجار قال لها: الحقي بأهلك، نحن نقول له ماذا نويت؟ لعله نوى أن تكف مغيباً لمدة يومين، لا يريد أن يطلقها، أما عند الأحناف فمادام هناك شِجار وقال لها: الحقي بأهلك، أصبحت طالقة منه ونحن أحناف طبعاً، لكن يوجد الأحناف المتعصبين لحنفيتهم الذين يرفضون أي اجتهاد آخر.

الطلاق بالكتابة :

والله يوجد موضوعات مهمة جداً، إن شاء الله نتابع الحديث في درسٍ آخر، وآخر موضوع صغير الطلاق بالكتابة، الطلاق يقع بالكتابة، لكن لا يقع إلا في حالتين، إذا نسب الطلاق إلى زوجة المطلق، ووجهت رسالة إليها، إلى زوجتي فلانة: طلقتك بالثلاث، هذا الطلاق يقع لأنه كتابةً، أي مكتوب والزوجة مضافة للزوج، والرسالة موجهة إلى الزوجة والآن هذا يفعله بعضهم، قال: الأخرس أحياناً يقع طلاقه بالإشارة، أحياناً الخُرسان لهم لغة خاصة، قال: إلا أن الأخرس إذا كان يُحسن الكتابة وهو قادرٌ عليها طلاقه بالإشارة لا يقع لقدرته على أن يكتب كتابة، والإشارة لغة غير واضحة، أما الكتابة فأوضح، وأحياناً يقع الطلاق عن طريق الرسول، أي يبعث الإنسان أي شخص إلى زوجته، بلغ فلانة أنها طالق، هذا الطلاق يقع أيضاً، فإذا كنت تمزح وقع الطلاق، الطلاق وقع عن طريق رسول، ويقع وكالةً، إذا إنسان عمل وكالة عامة فرضاً، فوجد المحامي أن الزوجة معها خمسة ملايين، يطلقها منه إذا أراد، الوكالة العامة تطلق بها الزوجة، فالوكالة العامة خطيرة أيضاً، عن طريق الرسول تطلق المرأة، وعن طريق الإشارة تطلق، وعن طريق الكتابة تطلق، وعن طريق الوكالة أيضاً تطلق. توجد موضوعات نحن في حاجة إليها وسنتابعها في الدرس القادم، وكما قلت في أول الدرس: الشباب يأخذون احتياطاً، والذين لم يتزوجوا الأمر دقيق جداً، والمتزوجون سعداء مع زوجاتهم هذه وقاية، والغير سعداء علاج، وإذا إنسان ليس له علاقة بالموضوع إطلاقاً يتعرف إلى الله من خلال تشريعه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3 – 5) : التنجيز والتعليق والطلاق السني والطلاق البدعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الإنسان في كل طورٍ من أطوار حياته يهتم بموضوع معين :

أيها الأخوة الأكارم... لا زلنا في موضوع الطلاق، وقد بينت لكم في دروسٍ سابقة أن حاجة المسلمين إلى الموضوعات الفقهية متفاوتة، فهناك موضوعاتٌ تشتد الحاجة إليها، وكيف أشعر أنا أن هذه الموضوعات تشتد الحاجة إليها ؟



من عدد الأسئلة التي تطرح علي في الأسبوع، فإذا طُرحت عليَّ عشرة أسئلةٍ، فنصفها متعلقٌ بالطلاق، وكنت أظن أن هذا يقع به الجهلة من الناس، ولكن الشيء المؤسف هو أن رواد المساجد، وطلاب العلم أحياناً، في ساعة غضبٍ يحلفون بالطلاق وعندئذٍ يقعون في حرجٍ شديد، فانطلاقي من اختيار هذا الموضوع هو أن الواقع يفرض علينا معالجته. وهناك شيء آخر سوف أوضحه إن شاء الله تعالى هو كيف أن الإنسان في كلِّ طورٍ من أطوار حياته هناك موضوعات يهتم بها، فالشاب يهتم بتأمين مستقبله، فكلُّ خواطره، وكلُّ أفكاره، واهتماماته منصبة على اختيار الفرع في الجامعة، أو اختيار حرفته، فإذا اختار حرفةً واستقر فيها، يقفز إلى ساحة شعوره موضوع الزواج، فإذا هو لسنواتٍ طويلة يبحث عن شروط الزوجة الصالحة، ويبحث عن زوجةٍ صالحة، وبعد الزواج يهتم بالأولاد، يهتم بتعليم أولاده وبتزويج بناته، ثم بعد ذلك يهتم بصحته

كثيراً، فهذه الآلة قد تعبت، عندئذٍ إلى العناية بصحته وما إلى ذلك، لهذا في كل طورٍ من أطوار حياته يهتم بموضوع.

في الدين طوران طور معرفة الله وطور معرفة شرعه :

أما في موضوع الدين فهناك طوران ليسا متمايزين لكنهما متداخلين، طور معرفة الله وطور معرفة شرعه، كيف ؟ إنسان في الصحراء تائه، صحراء موحشة، قاحلة جرداء، لا ماء ولا نبات ولا طعام، بل وحوش مفترسة، أخطار، بردٌ مميت، حرٌ مميت، عطشٌ مميت، وبهذه الصحراء واحة فيها كلُّ شيء، فيها الماء العذب النمير، فيها الطعام الوفير، فيها البيت المريح، فالداعية إن رأى شخصاً تائهاً في الصحراء ليس من الحكمة أن يتحدث له عن تفاصيل القصر، من الحكمة أن يدعوه إلى القصر، اذهب إلى هذه الواحة ؟ فإذا دخل هذه الواحة وذاك القصر، الآن ممكن أن تحدثه عن التفاصيل في هذا البناء، وعن أماكن الراحة، وأماكن الطعام، وأماكن الاستجمام، وأماكن اللعب، وأماكن المطالعة، ففي كل مرحلة هناك موضوعٌ يجب أن تهتم به.

فالإنسان قبل أن يعرف الله عزَّ وجل، لا يعنى بدقائق التشريع، لا يعنى بدقائق الفقه، هو في واد والفقه في وادٍ آخر، هو شارد، ضائع، متحيّر، مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إذاً موضوع الدعوة إلى الله في طورٍ من أطوار حياة الإنسان يجب أن يتجه إلى تعريفه بالله، وهذا ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن المؤمن إذا عرف الله، الآن ينشأ عنده حاجة ملحة في معرفة أمره، استقرت نفسه، آمن بالله، وإن كان الإيمان ليس له حدٌ، له بداية وليس له نهاية، ولكن هذا المؤمن بلغ من الإيمان درجةً استقرت نفسه بها، استقرت نفسه، ارتاحت نفسه، عرف أنه لا إله إلا الله، عرف وحدانية الله عزَّ وجل، عرف كماله، عرف وجوده، فنحن في طور أن نبحث عن أمره ونهيه، لذلك في البدايات النفس تتوق إلى معرفة الله بعد أن تعرف جانباً من عظمته تتوق النفس إلى أن تعرف أمره ونهيه، فأرجو الله سبحانه تعالى أن يكون أكثركم قد تجاوز مرحلة معرفة الله عزَّ وجل، لا بمعنى أنه قد أحاط، لا يعرف الله إلا الله، ولكن استقرت نفسه، أي اطمأن بالإيمان، إيمانه أصبح ثابتاً، حمله إيمانه على طاعة الله عزَّ وجل، الآن هو في مجال معرفة الأمر والنهي.

أنواع الطلاق :

1 . الطلاق المنجز :

نحن في الطلاق، تحدثنا في الدرس الماضي عن الطلاق بالكتابة، والطلاق عن طريق الرسول، وطلاق الأخرس، وعن موضوعاتٍ أخرى، وعن ألفاظ الطلاق الصريحة، وعن ألفاظ الكناية في الطلاق، وتحدثنا عن حكم الطلاق العام والخاص، واليوم نتحدث عن موضوعاتٍ مهمة في الطلاق، التنجيز، والتعليق، والطلاق السني، والطلاق البدعي، وهذان الموضوعان من أهم موضوعات الطلاق.

فالطلاق أيها الأخوة... قد يقول قائل: أنا وزوجتي متفاهمان تماماً، ما شأني وهذا الموضوع ؟ أقول لكم أيها الأخوة الأكارم: يمكن أن تعرف الله من خلال خلقه، ويمكن أن تعرفه من خلال تشريعه، ويمكن أن تعرفه من خلال أفعاله، أفعاله تدل عليه، وتشريعه يدل عليه، وخلقه يدل عليه، فإن لم تستخدم هذا الموضوع، إن لم تكن بحاجةٍ إلى أن تطلق، فأنت بحاجةٍ إلى أن تعرف.

فهناك طلاقٌ منجز، الصيغة المنجزة أن يقول الرجل لامرأته: أنت طالق، هذا الطلاق ليس متعلقاً لا بزمن ولا بشرط، هذا الطلاق المنجز، ليس معلقاً على شرط، وليس مضافاً إلى زمن، بل قصد الذي لفظه أن يقع الطلاق في الحال، كأن يقول الزوج لزوجته: أنت طالق، وبهذا القول تكون قد طلقت، وهذا أخطر أنواع الطلاق.

2 . الطلاق المعلق :

لكن الطلاق الآخر هو الطلاق المعلَّق، أي أن الزوج جعل وقوع الطلاق معلقاً على شرط، فإن ذهبت إلى مكان كذا فأنت طالق، إن ذهبتِ إلى بيت أختك فلانة فأنت طالق، إن خرجتِ من البيت قبل مضي شهرٍ فأنت طالق، إن فعلتِ كذا فأنت طالق، هذا طلاقٌ معلق، الطلاق المنجز يقول: أنت طالق، لم يُعلِّق الطلاق على شرط، ولم يضفه إلى زمن، أما الطلاق المعلق فهو أن يجعل وقوع الطلاق مرتبطاً بشرطٍ، أو مضافاً إلى زمنٍ.

شروط الطلاق المعلق :

قال: الطلاق المعلق له ثلاثة شروط، أول شرط: أن يكون الشرط الذي علَّقه به معدوماً، إن قال لزوجته: إن طلعت الشمس فأنت طالق، والشمس طالعة، هذا الطلاق ليس له معنى، يجب أن يكون الشرط معدوماً حين التلفظ بالطلاق.

لو فرضنا شخصاً قال لامرأته: إذا جاء رمضان فأنت طالق ونحن في رمضان فقال بعض العلماء: هذا الطلاق لا يقع، لأن الشرط لم يكن وقت التلفُّظ به معدوماً، وبعضهم قال: يقع، هو طلاقٌ منجز في صيغة طلاقٍ معلق. ويوجد عندنا شيء آخر، الشرط إذا كان مستحيلاً فهذا الطلاق يعد لغواً، إنسان قال: إن دخل هذا الجمل في سم الخياط فأنت طالق، مع أن القرآن الكريم ذكر هذا الشرط:

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الأعراف : 40]



وقد حيرت هذه الآية العلماء، والحقيقة القضية سهلة جداً، هذه صورة رمزية، أي أن هذا الإنسان المتكبر الذي هو كالجمل، لا تُفَتَّح له أبواب السماء، ولا يسمح الله له بالإقبال عليه، ولا يتجلى على قلبه، حتى يخرج من كبره، ومن بعبعته، ومن تطاوله، ومن شعوره بالتفوق، فإذا صغر وصغر وصغر وانكمش وصغر وصغر حتى أمكنه أن يدخل في سم الخياط عندئذٍ تفتح له أبواب السماء، عندئذٍ يتجلى الله على قلبه، عندئذٍ يكشف الله عن بصيرته، فنحن في الآية الكريمة هكذا فسرها المفسرون، ليس شرطاً تعجيزياً ولكنه شرطٌ متعلقٌ بنفسية الإنسان، فكلما كبرت نفسه، ونظرت إلى نسبها أو حسبها أو غناها أو شكلها، كانت هذه النظرة المستعلية حجاباً بينه وبين الله عزَّ وجل.

الشرط الأول: أن يكون الشرط الذي علقت عليه الطلاق معدوماً حين إيقاع الطلاق فإن كان موجوداً أو كان مستحيلاً الطلاق لا يقع.

الشرط الثاني: أن تكون المرأة حين صدور العقد محلاً للطلاق بأن تكون في عصمته، لو فرضناه قال: إن جاء رمضان فأنت طالق، طلقها في شيء آخر، جعلها تفترق عنه قبل رمضان، إذاً يجب أن تكون محلاً للطلاق حين إيقاع الطلاق، ويجب أن تكون محلاً للطلاق حين وقوع الشرط الزمني، فأكثر الأسئلة التي تأتيني في الطلاق من الطلاق المُعلق، لكن المنجز بحالات الغضب الشديد، بحالات أن يرغب الزوج بمنع زوجته من فعلٍ ما، أو حملها على فعلٍ ما يستخدم الطلاق المعلق، وفي حالات الغضب الشديد يستخدم الطلاق المنجز.

الآن التعليق قسمان، القسم الأول يقصد به الحمل على الفعل أو الترك، أي وكأنه يمين.

أنواع الطلاق المعلق :

الآن أصبح الموضوع دقيقاً، أحياناً تجد الإنسان يحب زوجته ويكره فراقها، وهي تعجبه وهو يعجبها، وهو سعيدٌ بها وسعيدةٌ به، لكنه يكره أن تزور أختها، لأن أختها كلما زارتها رجعت بوضعٍ لا يرضي، رجعت متأففةً، رجعت منتقدةً، رجعت تحمل عليه، رجعت تطالبه بما لا يطيق، فقد تكون الأخت بحالة مادية جيدة جداً، وسيدنا عمر قال: " من دخل على الأغنياء – طبعاً غير المؤمنين – خرج من عندهم وهو على الله ساخط "، فهذا الزوج والله معه حق، كلما بعثها عند أختها ترجع متغيرة، لم تكوني كذلك، ذهبت مبسوطة مسرورة، ترجع تجدها منزعجة، متبرمة من هذه العيشة، لم تكوني تتكلمين بهذا الكلام، فالزوج انزعج، فإذا به يحلف عليها يمين طلاق: أنك إذا ذهبت إلى بيت أختكِ فأنت طالق، هذا الذي يحصل أكثر الأسئلة بهذا الموضوع، يكره الزوج بيتاً من البيوت، قد يكون أحد البيوت به غنى فاحش مع ضعف في الإيمان، وفيه كبر واستعلاء، فهذه المرأة الساذجة إذا ذهبت إلى هذا البيت تشعر أنها محرومة من كل شيء، خرج من عندهم وهو على الله ساخط فقد ورد في سنن الترمذي:

((إِذَا أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بِي فَلْيَكْفِكِ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ، وَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ، وَلا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ))

[الترمذي عَنْ عَائِشَةَ]

أحياناً تجد بيتاً متفلتاً من الدين، النساء سافرات كاسيات عاريات مائلات مميلات، أجهزة لهو، اختلاط، لا يوجد فيه انضباط، فهذه الزوجة تذهب إلى هذا البيت تعود متأثرة، إيمانها ضعيف، فهو كلما رآها ذهبت إلى هذا البيت انزعج، لذلك وهذا من باب الإحصاء أكثر الأزواج يحلفون على زوجاتهم يمين طلاقٍ معلقٍ، بألا يزرن زيداً أو عبيداً، أو فلانة أو علانة، أو بيت أختها، أو بيت أمها، إلى آخره، لكنه يحبها وتحبه، ويسعد بها وتسعد به، ويكره فراقها كفراق دينه، هذا طلاقٌ معلقٌ سماه العلماء طلاقاً قسمياً أي حينما حلف بالطلاق كأنه أقسم عليها، ما أراد الطلاق إطلاقاً، لكنه كأنه استخدم يميناً مغلظةً، أي إن فعلت كذا فأنت طالق.

ويوجد عندنا طلاق معلق من نوع آخر، هذا الطلاق يقصد من تلفَّظ بالطلاق أن يقع الطلاق لو حصل هذا الشرط، أي هو يضيِّق عليها حتى تبرؤه من متأخرها، إن سامحتني في متأخرك فأنت طالق، هذا طلاق ليس قسمياً، إن ضبطك مع فلان، نبهها مرة واثنتين أنت طالق إن دخل ابن عمك من دون إذنٍ مني، هذا من نوع آخر.

الطلاق المعلق ؛ طلاق قسمي، وطلاق انجازي، بمعنى إن وقع هذا الشرط فهو يريد أن يقع الطلاق.

رأي العلماء في هذين الموضوعين من الطلاق، عند جمهور العلماء هذان الطلاقان المعلقان الأول المقصود منه القسم، والثاني المقصود منه الوقوع، يقعان عند جمهور العلماء وعند ابن حزمٍ يرى أنه لا يقع، وعند بعض العلماء هناك تفصيلات فقال: إن الطلاق المعلق الذي فيه معنى اليمين غير واقع، وتجب فيه كفارة اليمين، وهي إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام .

أما الطلاق الشرطي، أي إن فعلتِ كذا فأنت طالق، والزوج يريد أن يقع الطلاق إن فعلت كذا، هذا رأي العلماء في موضوع الطلاق المعلق.

المحاكم في العالم الإسلامي أخذت بالرأي المعتدل، وهو أن الطلاق المعلق الذي فيه معنى اليمين لا يقع، وكفارته كفارة يمين، وأما الطلاق الذي فيه معنى الشرط فيقع ولو كان معلقاً، فأصبح عندنا طلاق منجز وطلاق معلق، الطلاق المنجز يقع فوراً، والطلاق المعلق إن كان فيه معنى اليمين، إن أراد بهذا الطلاق أن يحملها على فعلٍ ما، وأن يمنعها من فعلٍ ما، وكان يكره فراقها كفراق دينه، فإن هذا الطلاق لا يقع، لأنه ما أراد الطلاق، ولقول الله عزَّ وجل:

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة: 227]

لكن عندنا شيء آخر، لو قال إنسان لزوجته: إذا جاء عيد الأضحى فأنت طالق، بعض العلماء قال: هذا ما فعله النبي أبداً، فلا يوجد في السنة إطلاقاً طلاق مضاف للمستقبل، لذلك بعضهم قال: هذا لا يقع، والإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وهو من المتشددين جداً في موضوع الطلاق قال: يقع في الحال، لو أضفت الطلاق إلى وقتٍ قادم، عند أبي حنيفة يقع في الحال، وبعض العلماء قال: هذا الطلاق الذي أضيف إلى المستقبل، يقع في وقت إضافته في المستقبل الذي يأتي، هذا الطلاق المنجز، والطلاق المعلق، والمعلق نوعين، نوع فيه معنى اليمين، ونوع فيه معنى الشرط.

3 . الطلاق السني و الطلاق البدعي :

الآن إلى الطلاق السني، والطلاق البدعي، الطلاق السني هو الطلاق الذي شرعه الله عزَّ وجل، وبينه النبي عليه الصلاة والسلام، فملخص الملخص أن الإنسان أحياناً يأتيه طور استثنائي، يغضب، يتألم، يحزن، في ساعة من ساعات الغضب لا يحب هذه الزوجة يتمنى فراقها، فربنا عزَّ وجل هو خالق الإنسان، ويعرف طبيعته المتقلبة، وطبيعته التي تنطلق في فورانٍ شديد ثم تهمد شيئاً فشيئاً، فلئلا يذهب الأطفال ضحية هذا الأمر الذي ملكه الزوج جعل الله سبحانه وتعالى الطلاق مرتان، قال تعالى:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾

[سورة البقرة: 229]

فكل إنسان طلق زوجته ثلاث مرات بمرة واحدة، هذا طلاق بدعي أراد الله عزَّ وجل وهو خالقنا في موضوع فصم هذه العلاقة الزوجية أن نتريَّث، فأجمل آية في هذا الموضوع هي الآية التي يقول الله عزَّ وجل فيها:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

[سورة الطلاق : 2]

فهذه الآية لو نزعتها من سياقها، لكتب عليها مجلدات:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

[سورة الطلاق : 2]

أي من يتق الله في تجارته يجعل الله له مخرجاً من الأزمات الطاحنة التي تسحق التجّار، فقد يشتغل بعشرة أضعاف رأس ماله، ويشتري بضاعة بالدين، وهناك علاقات ربوية، و مشكلات فيفلس، لو أنه اتقى الله في تجارته لما وقع في هذه الإشكال، فالآية عجيبة، عجيبة جداً.

إنسان اتقى الله في اختيار زوجته، اختارها من ذوات الدين، فلا يوجد عنده مشكلة معها، يجعل الله له مخرجاً من المآسي التي تصيب الأزواج الذين اختاروا زوجاتهم على أساسٍ آخر غير دينٍ.

إنسان اتقى أن يشرك بالله، جعل الله له مخرجاً من خوف الشرك، فأصبح لا يخاف، فالآية عظيمة جداً يمكن أن يكتب عنها مجلدات، لكن سبحان الله هذه الآية لو أعدتها إلى سياقها وهي حول الطلاق، لو نزعتها من سياقها، معانيها واسعةٌ جداً، تنطبق على موضوع الشرك والتوحيد، والطاعة والمعصية، واختيار العمل، والزوجة، والتوكل، فهي واسعة جداً، أي إيجاز غني كما يسمونه، أما لو قرأتها في سياق آيات الطلاق، لرأيتها متعلقةً بالطلاق، أي ومن يتق الله في تطليق زوجته يجعل الله له مخرجاً إلى عودتها إليه، طلقها طلاقاً سنياً في ساعة من ساعات الغضب، أو أخذ قراراً بتطليقها، طلقها طلاقاً سنياً طلقة واحدة، هي في بيته، تبقى عنده ثلاثة قروء، اليوم غضبه في أوجه، فاض به الكيل، فغضبه اليوم مئة درجة، غضبه في اليوم الثاني تسع و تسعون، في اليوم الثالث ثمان و تسعون، ثم تجده يقول: والله أنا تسرعت، والله لابأس بها، طبخها جيد، نظيفة، أهلها جيدون، فكل يوم يجد لها ميزة، أول يوم لا أريدك، لا يريد أن يراها، في اليوم الثاني يجد لها خمس ميزات أو ست، تجد هذا العداد نزل ثم نزل، أصبح ثمانين، ستين، خمسين، أربعين، ثلاثين، بعد أسبوعين والله لماذا أنا فعلت هكذا بنفسي؟ فهو طلق طلاقاً سنياً، إذاً إن قال لها: راجعتك، انتهى الأمر، لفظةٌ واحدة، يا فلانة لقد راجعتك، وفي بعض المذاهب إن وضع يده على يدها فقد راجعها، فهو عندما طلق طلاقاً سنياً، سهل جداً أن يسترجعها، لا مهر ولا عقد، سهل جداً أن يسترجعها، هذا معنى الآية:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

[سورة الطلاق : 2]

لكن لو قال لها: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، أو طالقٌ بالثلاثة، وكل ما يحللك شيخ يحرمك عشرة، حاول أن تحلها، لأنه خالف السنة، فأصبح الطريق إلى إرجاعها صعباً جداً.

فلذلك الطلاق السني أنت لا تندم، الآن قررت أن تطلقها، لكن بعد أن قررت خف الغضب، العداد نزل ونزل، بردت، فلما ذهب عن موسى الغضب، والله تطليقها فيه خطأ كبير عندك أولاد مثل الورد في البيت، وهي ليس لها هذه الإساءة البالغة، أنت طلقت طلاقاً سنياً فهذا جيد، راجعها حتى لو انقضت عدتها، أول شهر، وثاني شهر، وثالث شهر، أو أول قرء والثاني والثالث، فإذا أرادت أن تغتسل من الحيضة الثالثة، أول نقطة من الماء تضعها على جسمها، ملكت نفسها، انتهت العدة، فأسرع قبل أن تسكب على نفسها الماء، فقد ملكت نفسها.

وأيضاً يمكن أن ترجع، سهلة، بعقدٍ جديد، ومهرٍ جديد، هذا التسلسل السني، صارت بينكما مشكلة، حلفت عليها يمين طلاق، وقع الطلاق، ولكن وقع طلقة واحدة، تمضي عدتها في بيتك، ولها أن تتزين، ولها أن تلبس ما تشاء، ولها أن تتزين لك، فإن لم تراجعها في هذه القروء الثلاث، أو في هذه الأشهر الثلاث، واغتسلت من الدورة الثالثة، ملكت نفسها ومع ذلك بإمكانك أن تسترجعها بعقدٍ وبمهرٍ، قد يكون المهر درهماً من الفضة ممكن، لكن الآن ملكت نفسها.

الفرق بين من يراجع امرأته في أيام العدة و من يراجعها خارج أيام العدة :

أيها الأخوة... الفرق بين أن تراجعها في أيام عدتها، وبين أن تعقد عليها عقداً جديداً بعد عدتها، فرق كبير جداً، من يعرفه؟ الفرق إذا انقضت عدتها، العقد الذي ينعقد عليها بعد انقضاء عدتها من شروطه أن ترضى هي، فإن لم ترض طارت من عندك وذهبت، أما إذا راجعتها قبل انقضاء عدتها فليس لها خيار، إن طلقتها وراجعتها في أثناء العدة، هل لها خيار في أن تقبل أو لا تقبل؟ لا ليس لها خيار، وليس هناك مهر، ولا عقد، أما إذا انقضت عدتها ملكت نفسها، كلمة ملكت نفسها أي أن الأمر لها عائد، إما أن توافق على أن تعود لك زوجة وإما ألا توافق، فإن وافقت تأخذ مهراً، إن وافقت لا بدَّ من عقدٍ ومهر، أما إن لم توافق ملكت نفسها وانتهى الأمر، فهذا الكلام دقيق جداً، فإن طلقت وهي في العدة لك أن تراجعها، إذاً الله عزّ وجل قال:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾

[سورة البقرة: 229]

فالطلاق السني أي الذي تتبع فيه سنة رسول الله الطلاق مرتان، وكيف إذاً الثالثة؟

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

[سورة البقرة: 229]

أما الطلاق البدعي فثلاث طلقات في طلقة واحدة، في مجلس واحد، ولموضوعٍ واحد، ولمشكلةٍ واحدة، دقق في هذه الآيات:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

[سورة البقرة: 229]

المرة الأولى طلقت، ودخلت في العدة، تبقى في بيتك، وتتزين لك، فإن ندمت على هذا التطليق، لك أن تُراجعها، فإن انقضت العدة ولم تراجعها لك أن تعيد العقد والمهر، فإن قبلت استرجعتها، ولك أن تُطلق مرةً ثانية، تدخل في العدة، ولك أن تراجعها وهي في العدة، فإن انقضت عدتها تعقد عليها عقداً ثانياً ومهراً ثانياً وتسترجعها، ولك أن تطلقها مرةً ثالثة، لكن الثالثة ملكت نفسها ولا يحل لها أن تسترجعها حتى تنكح زوجاً آخر، هذه هي المشكلة.

الحكمة من الزوج الآخر :

لكن سبحان الله في موضوع الزوج الآخر هناك حكمة رائعة جداً، أحياناً المرأة تكون سيئة جداً وتظن أن زوجها سيئ، فهذه لو طلقها زوجها الأول وتزوجها آخر، والآخر كرهها إلى أن طلقها ثانيةً، عندئذٍ توقن أنها هي السبب، وأنها هي السيئة، فزوجها الآخر محك للأول، وزوجها الثاني إن كرهها كالأول فالعلة فيها، وإن أحبها فالعلة في زوجها الأول، هذا مؤشر دقيق، طلقها الأول، وتزوجها الثاني، إن كرهها الثاني فالعلة فيها، وإن رضي بها فالعلة في زوجها الأول، فأصبح زواجها الثاني مشعراً يشعرك أن سبب الطلاق إن كان من الزوجة فالثاني سيطلقها، وإن كان من الزوج فالثاني سيرضى بها.

مثل آخر: عندك في المحل موظف سيئ جداً، لكنه أوهم الناس أن معلمه ظالم، يا أخي ليس عنده رحمة، معاش قليل، عمله كثير، لا أحد يتحمل هذا المعلم، استقال، فالموظف الذي أوهم الناس جميعاً أن الخطأ من المعلم هو السيئ، الراتب قليل فلما التحق بوظيفة أُخرى وشاهدوا أخطاءه، وانحرافاته، وتقصيراته، وكسله، صرفوه كذلك، فإذا صرفته الشركة الثانية فالعلة في الموظف، أما إذا قبلته واستفادت منه جداً فالعلة في الأول.

موضوع دقيق جداً، حكمة أنه لا يجوز أن تعود إلى زوجها الأول إلا بعد أن تنكح زوجاً آخر، الزوج الآخر إن لم يطلقها فالعلة من زوجها الأول، وينبغي ألا تعود إليه، وإن طلقها الثاني فالعلة منها عندئذٍ لعلها تراجع نفسها، وتصلح من نفسها، الآية الثانية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾

[سورة الطلاق : 1]

يوجد عدة، يجب أن تدخل في العدة، أما لو قال لها: طالق بالثلاث، فلم يعد هناك عدة، لأنه في الثالثة لا يوجد عدة، بالأولى يوجد عدة، وبالثانية يوجد عدة، أما بالثالثة فلا يوجد عدة، بالثالثة:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

[سورة البقرة: 229]

الثالثة بينونة كبرى، أما لو أنك طلقتها أول تطليقة، ودخلت في العدة، وانقضت العدة، ملكت نفسها، فهذه بينونة صُغرى، سميت صغرى لأنك تستعيدها من دون أن تحتاج أن تنكح زوجاً آخر، لا بد من عقدٍ ومهرٍ جديدين، هذه نقطة، هذا هو نظام الطلاق السُني، سوف نعيده بشكل مختصر.

طلقت، ودخلت في العدة، يوجد اختياران، إما أن يراجعها وهي في العدة، لا يدفع شيئاً، ولا يعقد عقداً، وليس لها أن ترفض، ولا تحتاج إلى عقد، ولا إلى مهر، وإن طلقها وانقضت العدة ملكت نفسها، وأصبحت هي في الخيار، فإن وافقت تعود إليك بعقدٍ ومهرٍ جديد، الآن طلقتها تطليقةً ثانية، ودخلت في العدة الثانية، إن راجعتها في أثناء العدة عادت إليك بلا مهر وبلا عقد وبلا اختيار، فإن انقضت العدة ملكت نفسها، فإن قبلت أن تعود إليك فبعقدٍ جديد وبمهرٍ جديد، أما إن طلقتها التطليقة الثالثة، فقد ملكت نفسها ولن تستطيع أن تسترجعها إلا أن تنكح زوجاً

آخر، والزوج الآخر هو الحل، إن كانت هي السبب يطلقها الثاني، وإن كنت أنت السبب فالثاني لا يطلقها، هذا الطلاق السُني مأخوذ من قوله تعالى:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

[سورة البقرة: 229]

والأريح من كل هذا إن كانت تعجبك جملةً مقبولة، بنت حلال، أُم أولادك، ألفتها وألفتك، الأفضل أن تبتعد كلياً عن موضوع الطلاق، الآية الثانية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾

[سورة الطلاق : 1]

أنواع الطلاق البدعي :

الآن مشكلتنا مشكلة المسلمين في الطلاق البدعي، ما أنواع الطلاق البدعي؟

معنى الطلاق البدعي أي طلاقٌ ابتدعه المسلمون خلافاً للشرع، من هذا الطلاق كأن يطلقها ثلاثاً في مجلسٍ واحد، إما ثلاث طلقات متفرقات في مجلس واحد، أو أن يقول: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، أي رشاً، هذا طلاقٌ بدعي.

الحالة الثانية أن يطلقها في حيض أو في نفاس، هذا طلاق بدعي آخر، لأن الطلاق السُني يجب أن تطلقها في طُهرٍ لم تمسها فيه بالضبط، فإن طلقتها في حيضٍ فهذا طلاقٌ بدعي، وإن طلقتها في طُهرٍ مسستها فيه فهذا طلاقٌ بدعيٌ أيضاً.

أجمع العلماء على أن الطلاق البدعي حرام، أنت حينما تطلق ترتكب شيئاً محرماً، و تكون آثماً، ومعنى حرام أي يُعاقب فاعله، كل إنسان يطلق زوجته ثلاث تطليقات في آنٍ واحد فقد ارتكب حراماً، وهو آثم وسوف يعاقب عند الله عزّ وجل.

لكن السؤال الآن: الطلاق البدعي يقع ؟ هنا المشكلة، حرام حرام، لا يوجد شك أنه حرام، ولا يوجد شك أن فاعله آثم، لكن السؤال هل يقع هذا الطلاق ؟ هذه قضيةٌ خلافية، هناك من ذهب إلى أن طلاق البدعة لا يقع، ثلاث تطليقات في واحدة بدعي، طلقها في حيضٍ أو نفاسٍ بدعي، طلقها في طهرٍ مسها فيه بدعي، بعضهم ذهب إلى أن طلاق البدعة لا يقع، من هؤلاء عبد الله بن معمر، سعيد بن المسيب، طاوس من أصحاب ابن عباس، ابن عقيل من أئمة الحنابلة، أئمة آل البيت، الظاهرية، أحد الوجهين في مذهب الإمام أحمد، ابن تيمية هؤلاء جميعاً يرون أن الطلاق البدعي لا يقع، وبعضهم قال: يقع ولو أنه حرام، أي الطلاق البدعي موضوع خلافي بين العلماء، بعضهم يوقعه ومعهم أدلته، وبعضهم لا يوقعه ومعهم أدلته، أي أنك دخلت في منطقة شك، ومنطقة قلق، ومنطقة حيرة، إن أردت أن تُطلق فطلق طلاقاً سُنياً، والطلاق السني ميزته لك مخرجٌ أن تعيدها إليك:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

[سورة الطلاق : 2]

جمهور العلماء رأوا أن من يطلق ثلاث مرات في مجلس واحد هذا الطلاق يقع ويرى بعضهم عدم وقوعه، والذين رأوا وقوعه اختلفوا، فقال بعضهم : يقع مرةً واحدة، فكم اتجاه يوجد؟ ثلاث طلقات في مرة واحدة، بعضهم قال: لا يقع إطلاقاً، بعضهم قال: يقع، والذين قالوا يقع انقسموا قسمين، بعضهم قال: يقع ثلاث طلقات، وبعضهم قال: يقع طلقةً واحدة.

يوجد عندنا شيء آخر أن هذه المرأة إن طلقها الإنسان ولم يراجعها، لم يستعيدها، فإذا طلقها تطليقةً ثانيةً قبل أن يراجعها التطليقة الثانية لا تقع لأنه لم يتملكها، ليست محلاً للطلاق، القضية دقيقة، طلَّق أول مرة ودخلت في العدة ولم يراجعها، الآن هي ليست زوجته، هي زوجته في البيت، لكن مطلقة، مطلقة وهي في العدة، فإن طلقها تطليقةً ثانية وهي في العدة قبل أن ينهي الأولى إرجاعاً أو إمضاءً فالطلقة الثانية لا تقع لأن الزوجة ليست محلاً للطلاق.

حاجة الطلاق إلى شهود ليقع :



هناك رأي وهذا الرأي دقيق، أسمعكم الآية التي اعتمد عليها أصحابها، هذا الرأي أن الطلاق يحتاج إلى شهود، الآية الكريمة، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

[سورة الطلاق : 2]

فالأشهاد في عقد القِران وفي إنهاء العلاقة، إذاً نضيف إلى شرط الطلاق السُني أن يشهد عليه شاهدان، أصبح الطلاق في المحكمة، أي إذا طلق إنسان زوجته من رأسه إلى رأسها في ساعة غضب تطلق ويضيع الأولاد؟ يوجد رأي وهذا الرأي يراه الإمام عليٌّ كرم الله وجهه، والإمام جعفر الصادق، قال : من طلق بغير شهود فليس بشيء . هذا الرأي جيد ومنطقي، أنه كيف تم هذا الزواج ؟ لم ينعقد العقد إلا بشاهدين وهذا العقد لا ينفصم إلا بشاهدين، والدليل:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

[سورة الطلاق : 2]

إذاً لابد من أن يشهد ذوا عدلٍ على هذا الطلاق، فالطلاق إذاً الذي لا يكون مع شاهدين طلاقٌ لا يقع، في رأي الإمام سيدنا علي، والإمام جعفر الباقر، والإمام جعفر الصادق، كل هؤلاء يرون أن هذا الطلاق لا يقع.

تلخيص لما سبق :

الطلاق البدعي كملخص، من يعيد أنواع الطلاق البدعي ؟ ثلاث طلقات في مجلس واحد، أو طلقها في حيضٍ أو نفاس، أو في طُهرٍ مسها فيه، أو طلقها ولم يراجعها، فليست محلاً للطلاق، أو طلقها من غير شهود، أو اختلف مع شريكه، قال له: هذا الصوف ثلاثون بالمئة بوليستر، قال له: غلطان ثمانون بالمئة بوليستر، تشاجروا، تعاركوا، عليه بالطلاق أن بالمئة ثلاثين بوليستر، فما ذنب زوجته القاعدة في البيت ؟ التي عندها خمسة أولاد، ما ذنبها هذه ؟ قال: هذا الطلاق أيضاً بدعي، هذا يدخل في باب تأكيد الأيمان، اختلفوا على موضوع فحلف بالطلاق، فممكن أن نجمعهم، ثلاث تطليقات في طلقة في مجلس واحد، طلقها في حيضٍ أو نفاس، طلقها في طهرٍ مسها فيه، طلقها قبل أن يراجعها، طلقها بلا شهود، طلقها وهي ليست طرفاً في الموضوع، ليس لها علاقة أبداً، قاعدة في بيتها، فهو قد اختلف مع شريكه، هذه أنواع الطلاق البدعي، هذه كلها محرمة، وفاعلها آثم، أما وقوعها ففيه خلاف، بعض العلماء أوقع هذا الطلاق البدعي، وبعضه لم يوقع هذا الطلاق البدعي، لذلك الإنسان يحتار إذا ذهب إلى بعض المفتين يصعق، هنا قال: طلقت نهائياً، وهنا قال:

أرجعها يا بني، عليك كفارة يمين، المسافة بينهما كبيرة جداً، إن اتبعت الأول طلقت والأولاد شُرِدوا، وإن اتبعت الثاني فعليك كفارة يمين فقط، فهذه المسافة الكبيرة في آراء العلماء في موضوع الطلاق أسبابها أن الطلاق البدعي بعضهم أوقعه، وفي مقدمتهم الأحناف، وهم من أشد المذاهب في موضوع الطلاق، والإمام ابن تيمية وابن قيم الجوزية هم الذين جعلوا الطلاق المعلق والطلاق البدعي لا يقع.

أصبح موضوع درسنا اليوم الطلاق المعلق والمنجز والبدعي والسني، والأصح من هذا وذاك لا تطلق لا معلق ولا منجز ولا بدعي ولا سني، أليس من الأفضل لك هكذا؟ يا أخي لا تتكلم معها عدة أيام، اصرخ لا شيء عليك، أو أغلق الباب بشدة ، لكن لا تطلق، فالواحد أحياناً يعبر عن غضبه بأشياء كثيرة جداً، اترك الطلاق يا أخي، هذا الموضوع اتركه قليلاً، أنت لا تمر عند أهلها لكن لا تطلقها، لا تتكلم معها شهراً لكن لا تطلقها، شيء سهل، لأنك إذا دخلت في الطلاق دخلت في الشك، لأني أنا أُعاني هذا الشيء، أعاني من إخواننا الكرام، يذهب من عالم إلى عالم، يقع في تناقض عجيب، يقول لك: كم دين يوجد؟ هنا قال: رأساً طلقها، هنا قال: ادفع كفارة، لا يوجد معك صم ثلاثة أيام وانتهت المشكلة، فيه مرونة، حتى لا تدخل في هذه المتاهة يا أخي، لا تدخل في هذا القلق، أنا أرى موضوع الطلاق، لا بدعي ولا معلق ولا سنة ولا منجز، ولا طاء ولا لام ولا ألف ولا قاف، ولا

حرف إذا كلمة فيها كلمة طاء ابتعد عنها أريح لك وإلى هذه الدرجة، وهذا أكمل، إذا كانت الزوجة مقبولة جملةً، أم أولادك وعشت معها ثلاث عشرة سنة أعرف إنساناً طلق بعد سبع وثلاثين سنة، والله قد تأخر في ذلك.

إعادة لأنواع الطلاق :

يوجد عندنا الطلاق الرجعي والبائن، المنجز والمعلق، والبدعي والسني، فالرجعي والبائن أول طلقة هذه طلقة رجعية، أي يمكن أن تراجعها بلا مهر وبلا عقد، إن انقضت العدة ملكت نفسها، إن أرادت أن ترجع إليك، هي إن أرادت فبعقدٍ ومهرٍ جديدين، هذا الطلاق الرجعي، وتعريفه الفقهي: هو الطلاق الذي يوقعه الزوج على زوجته التي دخل بها حقيقةً إيقاعاً مجرداً عن أن يكون في مقابلة مال.

المخالعة :

إيقاع الطلاق مقابل مال هذا ماذا يسمونه؟ هذه مخالعة، كرهته، فقال لها النبي: طلقها تطليقة وردي له الحديقة .
الآن إذا إنسان مثلاً تزوج امرأة تعب جداً حتى وصل إليها، واشترى البيت و الأثاث، وجلب لها الهدايا، والذهب والألماس، والملابس، ويوم العرس قالت له: أنا أهلي جبروني عليك أنا لا أُريدك، كرهته إلى درجة غير معقولة، بإمكانها أن تفتدي نفسها منه، فتسامحه بكل شيء، قال لها: طلقها تطليقة وردي له الحديقة .

فإذا إنسانة كرهت زوجها، له الحق أن يسترد منها كل هديةٍ قدمها لها، حتى لو كانت كنزة، هذا هو الحق، ليس له ذنب، إذا كرهته فهذه هي المخالعة، قلنا لكم سابقاً: إذا كان الطلاق بسبب الزوجة فهذه مخالعة، ومن طرف الزوج هذا طلاق، من طرف القاضي هذا تفريق، توجد دعوى تفريق، ودعوى طلاق، ودعوى مخالعة، الطلاق الرجعي: هو الطلاق الذي يوقعه الزوج على زوجته التي دخل بها حقيقةً إيقاعاً مجرداً عن أن يكون في مقابلة مال. لأن الخلع ليس له مراجعة، قال له: طلقها تطليقة وردي له الحديقة .

المخالعة لها أحكام خاصة، طلقة واحدة وبينونة مع الطلقة، ولم يكن مسبوقاً بطلقةٍ أصلاً، لو مسبوق بطلقةٍ أو كان مسبوقاً بطلقةٍ واحدة، إذا كان لا يوجد أي طلقة فهو رجعي، إذا كان هناك طلقة واحدة فهو رجعي، طلقتان لم يعد رجعياً، أصبح بينونة، إذاً الطلاق الرجعي ليس مقابل مال، ولم يسبقه أي طلقة، أو سبقه طلقة واحدة، أما إذا كان مقابل مال أصبح مخالعة، إن سبقه طلقتين أصبح بينونة.

الآن البينونة أيضاً نوعين، كبرى وصغرى، الكبرى: إذا ملكت نفسها بعد تطليقتين وانقضاء عدتين دون أن يراجعها فيهما، الصغرى: إذا انقضت عدتها من طلقةٍ رجعيةٍ ولم يراجعها فيه، هذا بينونة صغرى. كأن الله عزّ وجل يريد منا إذا نشب خلافٌ بيننا وبين زوجاتنا، نظراً لقدسية هذا العقد، ولحرمة الأولاد الصغار الذين أناط الله بالوالدين تربيتهم، كأن الله عزّ وجل أراد أن يعطيك فرصاً إن كنت نادماً.

من يتق الله يجعل له مخرجاً :

ومجمل الموضوع ملخصٌ في قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾

[سورة الطلاق : 2]

ومن يتق الله في تطليق زوجته يجعل الله مخرجاً في العودة إليها. والذي أنا أراه أن أكثر المطلقين بعد مضي زمن طويل يندمون على عملهم، فلا يوجد حكم شرعي يهتز له عرش الرحمن كالطلاق، طفل مثل الوردة، هذه أمه وهذا أبوه، أمه في جهة وأبوه في جهة إن ذهب عند أمه مشكلة، و إن ذهب لعند أبيه مشكلة، لأن النبي الكريم بكى مرة عندما جاءته امرأة وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، قالت له: " يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق عني أهلي، وذهب مالي، قال: أنت علي كظهر أُمي ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا" .

تجد مع الأب لا يوجد تربية ولكن يوجد نقود، مع الأم توجد التربية ولكن لا يوجد نقود، فلذلك الإنسان قبل أن يلفظ يمين الطلاق يعد للمليون، لا يوجد شيء يؤلم الزوج والزوجة كأن يرى أولاده مشردين في الطرقات، ولو أذكر لكم بعض ما تعامل به المرأة أولاد زوجها من القسوة والحقد أحياناً والإيقاع فيوجد أولاد يهيمون على وجوههم كرهاً بزوجات آبائهم، فالأم لها ترتيب خاص، الأم أودع الله فيها رحمةً وعطفاً وشفقةً لحدٍ غير معقول، أما الخالة زوجة الأب فليست كذلك، يوجد فرق كبير، قد سمعت قصة عن رجل توفيت والدته وهو يحبها حباً جماً، يقول هذا الرجل: إه رآها في المنام مرَّات عديدة لكن بأحوال مزعجة، رآها مسودة الوجه، رآها تلتهب بالنار ويبدو أنه رجل صالح، ومناماته واضحة تماماً، كأنها إعلام، أن أُمك في هذه الحالة، فرآها بعد ثماني سنوات بحالةٍ حسنة، هكذا وجهها منير وتلبس البياض، قال لها: ما فعل الله بك يا أمي؟ قالت له: كأس الحليب فقط،

كان لها أولاد زوج، فكانت تطعم أولادها حليباً كامل الدسم، وأولاد زوجها حليباً نصفه ماء ونصفه حليب، لأن هذا ابن زوجها تعطيه النصف، أي خمسون بالمئة، أما هذا ابنها فتعطيه حليباً كامل الدسم، لم تفعل غير هذا الذنب، وهذه الرواية ظنية وغير قطعية لكن القصة لها دلالة قوية، أنه عندما الأم ترتكب مثل هذا التفريق بين أولاد زوجها وأولادها فالله بالمرصاد، على كل نحن إذا ابتعدنا عن الطلاق ليس لنا دخل في كل هذه المتاهات وهذه المشكلات.

فالطلاق كما قلت قبل درسين أو ثلاثة الطلاق له أسباب جوهرية نص عليها العلماء في حالتين فقط، شككت في سلوكها، أي إذا شككت أن أولادك ليسوا منك مثلاً، هذه حالات نعوذ بالله منها وهي نادرة جداً، هذه حالة توجب الطلاق، أو لا يمكن أن تكفك عن الحرام، هاتان الحالتان نادرتان، أما الباقي فالحالات كلها مقبولة، الحقيقة أوحى ربك إلى الدنيا أن تشددي وتمرري وتكدري وتضيقي على أوليائي حتى يحبوا لقائي .

الكمال المطلق ليس في الدنيا، الكمال المطلق في الآخرة، لو أنه في الدنيا لأعرضت عن الآخرة، فهذه الزوجة المثالية قال: إنسان أراد أن يخطب، أعطى أمه ثمانية عشر شرطاً ؛ الشكل والطول واللون والنسب والحسب والذكاء والثقافة والمال والغنى إلخ، ذهبت ودارت سنة لم تجد، مستحيل لأن هذه الشروط كلها شروط تعجيزية، بحثت سنة ولم تجد شيئاً مناسباً، فتخلى عن شرط، السنة الثانية تخلى عن شرط ثان، الثالثة عن شرط، بعدها بقي على شرط واحد هو أن تقبل فيه واحدة من النساء. فهذا الكمال المطلق غير موجود يا أخواننا، وأنت لست كاملاً، إذاً هي ليست كاملة، كن واقعياً تعيش حياة سعيدة، عندما تكون غير واقعي هذا شيء مستحيل، فهذه الدنيا ليست دار مقر، بل دار ممر، فقد أمرنا الله تعالى بأن نعاشرهن بالمعروف فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة النساء: 19]

وقال:

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة النساء: 19]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4 – 5) : التفريق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علَّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الطلاق :

أيها الأخوة الأكارم... لا زلنا في موضوعات الفقه، والموضوعات كما بينت لكم من قبل موضوعاتٌ أشعر أننا في أمس الحاجة إليها، من خلال توقعٍ أو واقع، أكثر الأسئلة التي تردُ من إخوةٍ كرام أربعة أخماسها أو أقل بقليل تتعلق بالطلاق.

فالإنسان علاقته مع زوجته هذه علاقة واقعة وقائمة، وهذه العلاقة قد تتعثرها بعض المشكلات، أي حينما يلجأ الزوج إلى حل مشكلته عن طريق يمين الطلاق، فهذا طريقٌ فيه خطأٌ كبير، وقد بينت في الدرس الماضي كيف أن هناك الطلاق السُني، والطلاق البدعي، طلاقٌ ثلاث مرات في مجلس واحد، ولموضوع واحد، هذا طلاق بدعي، طلاق الزوجة وهي في حيضٍ طلاقٌ بدعي، طلاق الزوجة في طُهرٍ مسها فيه طلاقٌ بدعي، طلاق الزوجة لموضوعٍ لا علاقة لها به هذا طلاقٌ بدعي، طلاق الزوجة قبل أن تراجعها تطليقةً ثانية هذا طلاقٌ بدعي، طلاقٌ بلا شهود طلاق بدعي.

هذا الموضوع تمّ عرضه في الدرس الماضي، وبينت أن الطلاق البدعي عند جمهور العلماء يقع، ولو أنه بدعي، وعند بعض العلماء لا يقع، إذاً يوجد مخاطرة كبيرة، لو أنك خالفت السنة في تطليق زوجتك فإن الطلاق يقع عند جمهور العلماء.

والطلاق كما أراده الله عزّ وجل صمام أمان، والطلاق فيه مراحل يمكن للرجل إذا ندم على فعلته أن يتلافى الندم، حينما جعل الطلاق تطليقة أولى وعِدة، تطليقة ثانية و عدة، ثم البينونة الكبرى، كل هذا تم في درسٍ ماض.

التفريق :

واليوم ننتقل إلى موضوعٍ آخر ألا وهو التفريق، يوجد عندنا تطليق، وتفريق، وخلع، التطليق من حق الزوج، والتفريق من حق القاضي، والخلع من حق الزوجة، الزوجة في بعض الحالات تتطلب أن تخلع من زوجها مقابل أن تسامحه بكل شيء.



والقاضي أحياناً حينما ترفع له قضية امرأة سافر عنها زوجها ولم يعد، وظل مسافراً سنتين أو ثلاث، لا تعلم عن أخباره شيئاً، القاضي يصدر قراراً بالتفريق، وحكمه نافذ، وبإمكانها أن تتزوج بعد قرار التفريق، فالدرس اليوم عن التفريق والخلع، ولكن قبل أن نخوض في تفاصيل أحكام التفريق والخلع لابد من مقدمة.

الإيمان بالله و العمل الصالح :

أيها الأخوة الأكارم... الإنسان يوجد عنده شيئان أساسيان، الإيمان بالله والعمل الصالح، لأن الله عزّ وجل يقول:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر: 1-2]



أي الزمن يستهلكه، كلما مضى يومٌ انقضى بضعٌ منه، يستطيع أن يتلافى الخسارة في حالةٍ واحدة، أن يستهلك وقته في الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالكون، الإيمان بالكتاب – القرآن الكريم والسُنة – الإيمان بالأحداث أي أفعال الله عزّ وجل، فأنت من خلال الأحداث تؤمن، ومن خلال القرآن الكريم والسُنة تؤمن، ومن خلال الكون تؤمن، ولكن إذا آمنت، إذا آمنت من خلال هذه المصادر الثلاث، وصدقت بما جاء النبيّ عليه الصلاة والسلام، الآن شرط الإيمان أن تنعقد صلةٌ لك بالله عزّ وجل، هذه الصلة أساس إشراق الحقيقة في النفس، يقول لك: فلان مستنير، فلان يمشي على هدى، وربنا عزّ وجل قال:

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة الملك: 22]

يا أخوان إن حال المؤمن حال عجيب، المؤمن مستنير، قبل قليل أخ حدثني كلمة تأثرت بها، قال: إنه تنبأ لفلان بشيء فوقع، المؤمن هل يعلم الغيب؟ لا والله لا يعلم الغيب لكن المؤمن يعلم قوانين الله عزّ وجل، يعلم هذه السُنن التي سنها الله عزّ وجل، فغير المؤمن يظن نفسه شاطراً عندما يأكل مالاً حراماً، ويقتنص اللذائذ المُحرمة، ويعتدي على حقوق الآخرين، فهو يعد نفسه ذكياً بهذا الشيء، فيأتي العقاب الإلهي فيسحقه سحقاً، أما المؤمن فمستنير، يعرف أن العباد لهم رب، وحقوق العباد محفوظة عند الله عزّ وجل، إذاً عندما الإنسان يؤمن بوجود الله وكماله وأسمائه الحُسنى ووحدانيته، من خلال الكون أو القرآن أو الحوادث، وتنعقد مع الله صلة، تشرق الحقيقة في نفسه.

ثمار الإيمان بالله :

1 . إشراق الحقيقة في نفس المؤمن :

الآن ثمار الإيمان ثلاث؛ ثمار كبرى، أول ثمرة: إشراق الحقيقة في نفسه، المؤمن مستنير، وكل ما يجري حوله له تفسير عنده، تفسير واضح تماماً، فلان كان ورعاً فأكرمه الله، فلان أكل مالاً حراماً فأتلف الله ماله، فلان ظلم الآخرين فظلموه، فلان أحسن فأُحسن إليه، تجده كلما سمع قصةً، أو عاين واقعةً، شعر أن هذه الواقعة تندرج في منظومة الإيمان.

لذلك أنا قلت لإخواننا البارحة: إذا سمعت قصة تقوي الإيمان فاروِها، إنسان كان ورعاً فأكرمه الله، إنسان تعفف عن الحرام فأكرمه الله، إنسان أكل مالاً حراماً فأتلف الله ماله، هذه قصص تُقوي، كما قلت في درس الجمعة: الله عزّ وجل قال:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى﴾

[سورة يوسف: 111]

إذاً بالقصة يوجد عبرة، وهناك شيء ثان في القصة:

﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

[سورة هود: 120]

أحياناً القصة الصادقة الواقعية تعطيك دعماً، تعطيك بالتعبير الحديث زخماً، قوة معنوية عالية، أن الله عزّ وجل موجود، والله كبير، والله كريم، والله لا يتخلى عن المؤمنين وسينصرهم، فلذلك أول ثمرة بالإيمان هي إشراق الحقيقة في النفس، فلان مستنير، فلان يمشي على هدى، معه مفاتيح النجاح، معه قوانين النجاح، يعرف أسباب الهلاك، يعرف أسباب الدمار، يعرف أسباب الشقاء الزوجي، أسباب السعادة الزوجية، يعرف أسباب النجاح بالعمل التجاري، يعرف أسباب الإخفاق بالعمل التجاري، يعرف أسباب السعادة النفسية الداخلية، كل هذا يعرفه،

كلها من خلال كتاب الله عزّ وجل، من خلال دروس العلم، من خلال السُنة النبوية، إذاً أول ثمرةِ من ثمار الإيمان: إشراق الحقيقة في النفس، المؤمن صاحب بصيرة.

2 . اصطباغ النفس بالكمالات الإنسانية :

الثمرة الثانية بعد إشراق الحقيقة وهي: اصطباغ النفس بالكمالات الإنسانية، لا تصدق أن هناك مؤمناً كذاباً، لا تصدق، هذا ليس مؤمناً، المؤمن صادق، المؤمن أمين، المؤمن كريم، المؤمن عنده نفسية متواضعة، المؤمن عفو، المؤمن متسامح، المؤمن مُنصف، المؤمن يحاسب نفسه حساباً شديداً، المؤمن تحت قدمه كل العنعنات الجاهلية، مرة قال لي أخ: سكنت في بناء أغلب سكانه من أُسرة واحدة، واحد منهم قال له: من أنت ؟ قال لي: قد جرحني، وهذه عنعنة جاهلية، عندما تعرفون أن أحد الصحابة في ساعة غضب غضِب من سيدنا بلال فقال له: يا بن السوداء، فالنبي عليه الصلاة والسلام غضب غضباً شديداً، فقال له:

((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ...))

[متفق عليه عن الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ]

عندما تقول أنا ابن فلان، أنا أتكلم بكذا ألف، أو أنا حجمي المالي كذا، عندما تقول من هو فلان؟ أو ما معه فلان؟ حينما تنطلق انطلاقاً عنصرياً فهناك جاهلية، أما المؤمن فمتواضع أولاً، ويحترم جميع الخلق من دون استثناء، إذاً أول ثمرة من ثمار الإيمان: إشراق الحقائق في النفس، المؤمن مستنير، أحياناً تجلس مع إنسان ابن صنعة، يقول لك: هذه إذا فعلت ذلك يصير معك هكذا، إذا لم تغسل القماش ينكمش على التفصيل، إذا لم يكن القماش مكوياً على الطريقة الفلانية يعمل لك مشاكل، من هو صاحب الخبرة؟ يوجد عنده آلاف الحقائق، كلها متراكمة عنده، فكل غلطة لها نتيجة، كل غلطة لها ثمن، كل جهد زائد في الصنعة له ثمن أيضاً، فكيف أن أصحاب الصنعات يعرف ويتنبأ بما سيكون لا من باب علم الغيب، ولكن من باب معرفة القوانين، كذلك المؤمن تشرق الحقائق في نفسه، يعرف مثلاً من عَقّ والديه سيأتيه أولادٌ يعقونه، يعرف أن من كسب مالاً حلالاً يبارك الله له فيه، يكون دخله قليلاً لكن فيه البركة، وأنا أُؤمن بالبركة، تجده يأكل، ويشرب، ويلبس، وحجم دخله لا يكفيه ثلاثة أيام حسب مقاييس الناس، كيف كفاه؟ الله عزّ وجل بارك له فيه لأنه مالٌ حلال، والمال الحرام كثير جداً لكنه يذهب بطريقةٍ أو بأُخرى تؤلم صاحبها، لأن الله أتلفه، والنتيجة أن الإنسان إذا آمن بوجود الله وبكماله

وبوحدانيته من خلال الكون أو الأفعال أو القرآن، وعقد مع ربه صلةً محكمةً، أشرقت الحقيقة في نفسه أولاً، وثانياً اصطبغ بالكمال الإنساني، المؤمن محبوب، وإن لم يكن محبوباً فهو ليس مؤمناً، لماذا لا يُحب وهو الصادق الذي لا يكذب؟

قلت لكم مرة: إنسان كان له عمل لا يُرضي الله إطلاقاً، فاصطلح مع الله وتاب واعتزل العمل الذي لا يرضي الله، فسُئل: ما الذي جعلك تؤمن؟ قال له: أنا أعيش في جو كذب، وجو نِفاق، وجو خِداع ومؤامرات، وفي النهاية كلنا أشقياء، فلما خالطت أهل الإيمان قبل أن يصطلح مع الله قال: رأيت الصدق والوفاء، رأيت التعاون، رأيت السعادة. فأنت اجلس مع المؤمنين، هذا شيء مريح جداً، الإنسان أولاً: طيب القلب صاف إذاً من ثمار الإيمان إشراق الحقائق في النفس، واصطباغ النفس بالكمالات الإنسانية.

3 . الانغماس في السعادة الروحية :

الشيء الثالث: الانغماس في السعادة الروحية، اليوم في الفجر قلت لإخواننا كلمة، أجد نفسي حريصاً على إعادتها، وحتى لا نضيع الوقت يوجد نقطة وهي: يجب أن تصل إلى الله، وإن لم تصل إليه، يوجد في الدين نشاطات كثيرة جداً ؛ ممكن تستمع إلى دروس علم، ممكن تساهم في عمل خيري، ممكن تحفظ كتاب الله وهذا شيء عظيم، ممكن تؤلف كتباً، ممكن تنشر علماً، لكن من أجل أن تصل إلى الله لا بد من إحكام استقامتك، لابد من طاعته طاعةً تامة، لابد من بذل شيءٍ ثمينٍ في سبيله، إذا أطعته إطاعة تامة، وبذلت شيئاً ثميناً تصل إليه، فإذا وصلت إليه أنزل على قلبك السكينة، ذكرت هذا في صلاة الفجر اليوم، لأن الله عزّ وجل يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ﴾

[سورة الفتح: 4]

أي المؤمن متمسِّك بدينه، متمسك بمجلس العلم، لأن نفسه انتشت بالقرب من الله عزّ وجل، عندما أقبل على الله واتصل به شعر بالطمأنينة، شعر بالسعادة، لذلك السكينة التي يلقيها الله على قلوب المؤمنين هي التي تشدهم إلى الدين، بالإضافة إلى إيمانهم بوحدانية الله وبعظمته وبأسمائه وبكمالاته.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

[سورة الفتح: 4]

الاستقامة سلبية والعمل الصالح إيجابي :

فيا أخواننا الكرام إذا نحن تمكنا، ضبطنا أُمورنا، ضبطنا استقامتنا، بذلنا مما أكرمنا الله به من علم، من مال، أهل الغنى عليهم أن يُنفقوا مما أفاء الله عليهم، أهل العلم عليهم أن يُنفقوا من علمهم، أهل الجاه عليهم أن يُنفقوا من جاههم، الاستقامة سلبية، والعمل الصالح إيجابي، أنت عندما تنضبط تلزم سبيل الاستقامة تماماً، لا تحيد عنها، في بيتك، في عملك، في نشاطاتك، في لهوك، في كسب مالك، في إنفاق مالك، في علاقاتك بأهلك وأولادك وبوالديك، أي حينما تلتزم أمر الله عزّ وجل، وحينما تبذل مما أفاء الله عليك، عندئذٍ تنعقد مع الله الصلة، عندئذٍ تصل إلى الله، ومن ذاق عرف، ومن وصل عرف، والقصة التي تعرِفونها جميعاً: أن إنساناً خطب ابنة أحد الشيوخ، فهذا الشيخ يظهر أن الله فاتح له بصيرته، قال له: يا بني هذه مهرها غال جداً، قال له: ما هو مهرها ؟ قال: أن تحضر عندي، قال: نرضيه ونعمل له عدداً من الدروس ما هذا المهر العظيم؟!

يوجد أخ من أخواننا أحضر لي خطيباً إلى البيت وقال لي: هذا خاطب ابنتي، قلت له: أهلاً وسهلاً، لكن نحن أخواننا لهم التزامهم بالدرس، فقال لي: أحضر ولا شيء في ذلك، قلت له: أهلاً وسهلاً، فأصبحت أُلاحظه أثناء الدرس جالساً و متضايقاً، أصبح الدرس ضريبة بالنسبة له، وأشعر أنه ليس معنا إطلاقاً، صدقوني بعد شهر أو شهرين أو ثلاثة انقلبت أحواله كلها واندمج، فقال: سبحان الله مثلما قال الإمام الغزالي: " أردنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله ".

أنت أحياناً يستحي منك شخص فيأتي معك إلى الدرس، فأول الأمر جاء ليرضيك، وبعدها أقبل فأشرق الإيمان في قلبه، فلا تزهد، فأنا أردت من هذه المقدمة أن الإيمان أولاً فيه إشراق حقيقة، ثانياً بالإيمان يوجد شيء ثمين وهو الاصطباغ بالكمالات الإنسانية، المؤمن وفي.

فقد حدثني اليوم أخ يعطي دروساً خاصة، قال لي: والله إذا لم أفد الطالب أحس أني أكلت مالاً حراماً، قلت له: بارك الله بك، وقلت له: والله التدريس الخاص ممكن ألف مدرس يأخذ منك على الدرس خمسمئة ليرة ولا يعلم ابنك، يجلس معه ساعة، يعطيه عدداً من التمرين و يقول له: حلهم، وإذا لم يعرف حلهم يحلهم له هو، لكن لم يعلمه كيف يحل التمرين، ولكنه جلس ساعة وأخذ خمسمئة ليرة، لكن المؤمن لا يأخذ خمسمئة ليرة حتى يعلمه فعلاً، حتى يعلمه كيف يحل مسألة، كيف يعرب، كيف يكتب موضوع تعبير، إذا لم يقدم له شيئاً ثميناً لا يأخذ مبلغ، إذاً الإيمان فيه إشراق، وفيه كمالات، وفيه انغماس بسعادة روحية. يا أخوان إن لم تشعر بهذه السعادة فهناك مشكلة، أي إذا لم تشعر أنك قريب من الله وسعيد، راجع نفسك، ولا تقل: أنا أذهب إلى الدروس، أنا أُصلي، أنا حججت خمس حجج، أنا عملت ثلاث عمرات، أنا أدفع زكاة مالي، إذا لم تصل إلى الله عزّ وجل وأخذت من الله السكينة هذه راجع حساباتك، كن واعياً، واعرف قيمة الحياة، إن الحياة ثمينة جداً، هذه النقطة الثانية، إذاً الذين آمنوا، آمنا بالله خالقاً ومربياً ومسيراً، آمنا بوجوده ووحدانيته وكماله، آمنا من خلال الكون والقرآن والأحداث، عندما آمنا انعقدت مع الله صلة وعلى أساس هذه الصلة الحقيقة بالنفس أشرقت، اصطبغت بالكمال، أصبحت إنساناً أخلاقياً يشار لك بالبنان، هذا لا يكذب، هذا لا يغش، المؤمن يحاسب نفسه حساباً عسيراً، حتى في كل الحِرف، تجد نفسك ترتاح لصاحب الحِرف المؤمن، أي معقول صاحب حِرفة مؤمن يغشك؟

يقول لك: والله وضعنا قطعة من الوكالة وهي قديمة؟ يقول لك: هذه غيرناها وهو لم يغيرها معقول ؟ لا هذه مستحيلة، مستحيل، لأنه يعرف أن الله موجود ويراقب، الشيء الثالث انغماس بالسعادة الروحية، إشراق الحقيقة بالنفس، الاصطباغ بالكمالات البشرية.

تحرك الإنسان نحو العمل الصالح في اللحظة التي تستقر حقيقة الإيمان في نفسه :

الآن توجد فكرة دقيقة تكلمت عنها في خطبة الجمعة، في اللحظة التي تستقر حقيقة الإيمان في النفس يتحرك الإنسان نحو العمل الصالح، إيمان سكوني لا يوجد يا أخوان، لا تغشوا أنفسكم، إنسان نواياه طيبة مؤمن، فهذا إيمان مُزيف .

الإيمان حركي، مثلاً: أب ويوجد مدفأة مشتعلة، وابنه صغير جداً وماشي باتجاه المدفأة، فهل يظل الأب ساكتاً ؟ هذا مستحيل، لا يتكلم بل يقفز ويمسكه من يده، أي مادام يوجد في قلب الأب رحمة، والطفل صغير جاهل بأخطار النار يندفع الأب للحركة، فتقول لي: مؤمن، فالمؤمن يتحرك نحو العمل الصالح، هذا معنى:



﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة العصر : 3]

تنمية الحق و صيانته :

لكن:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾

[سورة العصر : 3]

الحق يوجد عنده طريقة ذاتية للنمو، الحق إذا لم ينمُ، الباطل يحاصره، الحق إن لم ينمُ فهو يتراجع، فأنت كفرد عليك أن تؤمن وتعمل صالحاً، أما كفرد في مجتمع فعليك أن تتواصى بالحق، لذلك: مؤمن ساكت لا يوجد، المؤمن علامة إيمانه أنه يسعى، كل واحد منكم له أقرباء، له جيران، له زملاء عمل، له أصدقاء، له رفقاء ما قبل الإيمان، هؤلاء كلهم في ذمته، دققوا في: "إن الله يسأل العبد عن صحبة ساعة" لك رفيق بالابتدائي، لك رفيق بالعسكرية، لك رفيق بالبيت القديم، بالحارة القديمة، لك رفيق عندما كنت تعمل في القماش، لك صديق مثلاً رافقته مرة في رحلة طويلة، صاحبته ساعة، مادام لك مع أخ صحبة ساعة، إن الله يسأل العبد عن صحبة ساعة، إنسان تزوج، دخل إلى بيت أهل زوجته، فرأى حماته طبعاً أصبحت من محارمه وله أصهر هم أخوة الزوجة، عندما صار بينه وبينهم معرفة هؤلاء أصبحوا في مسؤوليته، فإذا وجد انحرافاً عليه أن يهديهم، أن يدلهم على الله، أن يدعوهم إلى مجلس العلم، فالحق كيف ينمو؟ ينمو بالتواصي بالحق، هذا التواصي ينمي الحق، هذا

النمو إن لم يكن كان الانكماش، الباطل ينمو، فالحق إذا لم ينمُ الباطل حاصره، وحتى الحق لا يتحاصر ويُحاصره الباطل فلابد من التواصي، كلمة تنمية كلمة يقولها العالم كله اليوم، كل شيء ينمو، الشركات تنمو، الاقتصاد ينمو، الإنتاج القومي ينمو، والحق يجب أن ينمو، فإن لم ينم الحق يتراجع، لذلك حاسب نفسك هذا الحساب، عندما تجد نفسك لا يهمك أحد، فقط يهمك دخلك، وبيتك، ومصالحك الشخصية، ونجاح مصلحتك، ولا يوجد شيء تشتهيه إلا وأكلته، وعلى الدنيا السلام، هذه الحياة كلها، لا تغضب من نفسك، كن صريحاً معها، قل: أنا لا يوجد بي إيمان، كلمة إيمان تعني التحرك نحو خدمة الخلق:

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر : 3]

عندما كنا صغاراً كان يوجد خط قطار إلى بيروت، وكان يستغرق اثنتي عشرة ساعة، كان يلفت نظري بهذا الخط عند بعض الجبال يوجد ضمن السكة خط ثالث مسنن، سألت عنه فقيل لي: هذا مسنن لأن القطار عندما يصعد لسبب أو لآخر ويتوقف عن الحركة حتى لا يتراجع، لأن الحديد على الحديد يولد انزلاقاً، يوجد أسنان، والأسنان مربوطة بالقاطرة الأساسية، فهذا المثل ترك في نفسي أثراً أن الإنسان يصعد ولكن يجب ألا يرجع، التواصي بالحق أي ينهض بالحق، أما التواصي بالصبر فأي مسننات تمنع التراجع، فالصبر لئلا تتراجع، لئلا تنتكس، لئلا تضعف، لئلا تهون على الناس، اصبر وما صبرك إلا بالله، فهذه الآية في سورة العصر كانت محور الخطبة السابقة، أنك كفرد عليك أن تؤمن وتعمل صالحاً، وكفرد في مجموع عليك أن تدعو إلى الله، وأن تتحمل كل المتاعب، الدعوة إلى الله تنمية للحق، وتحمُّل المتاعب صيانة للحق من أي تراجع.

المرأة تطلق في حالتين نادرتين :

الآن ما علاقة هذه المقدمة بهذا الدرس؟ يوجد علاقة وشيجة، المؤمن يعيش لرسالة، يعيش لهدف كبير، فيكون مسيئاً لزوجته التي هي أقرب الناس إليه ؟!! هذا مستحيل.

وتكلمنا في الدرس الماضي أن المرأة تطلق في حالتين نادرتين، حينما يشك في سلوكها، أي حينما يشك أنها زانية يطلقها، وحينما تفقد قيمتها أي حينما لا تحصنه، فأصل الزواج أن تحصنه عن الحرام، فإن لم تكن محصنةً له هذه حالة ثانية، لكن ما سِوى الحالات فأنا أحياناً أسمع عشرات الشكاوى، وأن كل هذا الكلام لا يوجب الطلاق، مهما تكلمت، لو ذكرت لي مئة علة لها، كل هذه العلل بمجموعها لا ترقى إلى مستوى أن تطلق، ومع التطليق تشريد الأولاد، والأصح إن سألتموني هذا السؤال: المؤمن لماذا لا يطلق والطلاق مباح؟ أنا لي جواب خاص: لا يطلق لأنه حينما تزوج، تزوج وفق الشرع، اختارها مؤمنة، مادام اختارها مؤمنة إذاً لا يحتاج إلى تطليقها، هذه نقطة.

حالات التفريق بين المرأة و زوجها :

1 . إذا امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته :

درس اليوم أنه إذا فرضنا إنساناً ترك زوجته وسافر، يوجد عندنا موضوع اسمه التفريق، أول حالة قال: " الزوجة لها الحق أن تطلب من القاضي التطليق من زوجها إذا امتنع عن الإنفاق عليها "، نحن يوجد عندنا قاعدة أساسية في الزواج:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

[النساء: 34]



فالزوج حينما ينفق على زوجته له حق القوامة، فإذا امتنع ، فهو حبسها له، حبسها لصالحه، أعطاه الله حقوقاً كثيرةً عليها، أي له عليها، مقابل هذه الحقوق عليه أن يُنفق عليها، فإذا امتنع عن الإنفاق عليها فالزوجة لها الحق أن تطلب التفريق من قِبل القاضي، هذا الموضوع خلافي، دائماً وأبداً إذا قلت: هذا الموضوع خلافي أي أن هناك فقهاء أجابوا بوجوب التطليق، وهناك فقهاء منعوا التطليق، لهؤلاء

حجج، ولهؤلاء حجج، الذين رأوا أن الزوج إذا امتنع عن الإنفاق على زوجته لها الحق أن تطالبه بالتطليق، قال: إن هؤلاء حجتهم أن الزوج مكلفٌ أن يمسك زوجته بالمعروف، أو يسرحها بإحسان لقوله تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

[سورة البقرة: 229]

الإمساك بالمعروف من أُولى شرائطه أن تنفق عليها، فإن لم تنفق عليها أنت أمسكتها بغير معروف، هذه أول حجة، الحجة الثانية، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا﴾

[سورة البقرة: 231]

فهي تكون مربوطة لك، وموقوفة لخدمتك، وهي محصورة فيك وهي جائعة!! ليس لها مسكن، ليس لها طعام تأكله، يدخل مع الامتناع عن الإنفاق البخل، لا يوجد صفة تمتّن علاقة الزوج بزوجته كالإكرام، فالبخل عامل مهدّم للسعادة الزوجية، ليس منا من وسَّع الله عليه ثم قتر على عياله .

((لا ضرر ولا ضرار))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

فالإنسان إذا امتنع عن الإنفاق عن زوجته فقد أضر بها، وبعض العلماء قال: لا، الله عزَّ وجل قال:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾

[سورة الطلاق : 7]

معناها إذا كان هناك تقطير، والزوج معسر فعلاً هناك حكم، وإذا الزوج ميسور الحال ويمتنع عن الإنفاق إضراراً بالزوجة أصبح هناك حكم آخر، فقد اختلف الوضع، فهناك معسر وهناك ممتنع، الممتنع له حل، والمعسر له الصبر، لكن سبحان الله يوجد نظام، الزوج مكلف أن يطعم زوجته مما يأكل، لا يكلِّفه الله فوق ذلك، لماذا؟ حتى لا يكون هناك ضغط من الزوجات على أزواجهن من أجل أن يكسبوا مالاً حراماً لينفقوا عليهن، كانت الصحابية الجليلة تقول لزوجها: " اتق الله بنا نحن بك، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام " أي نحن إقبالنا على الله أساسه أنت، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام، هكذا كانوا الزوجات الصالحات، فهذه الآية تبين إذا كان الزوج معسراً فيجب أن نصبر، وما دام الزوج يطعمنا مما نأكل لم يعد هناك ظلم، لكن متى الظلم ؟ إذا كان هو يأكل ما لذَّ وطاب ويحرم أهله.

سئل إمام كبير عن رجل عاجز عن الإنفاق على زوجته: أيفرق بينهما؟ قال: " نستأني به ولا يفرق بينهما، وتلا الآية الكريمة، الآية:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾

[سورة الطلاق : 7]

يوجد عندنا استنباط آخر أن الصحابة الكرام فيهم الغني وفيهم المعسر، وما ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام طلق امرأةً من صحابيٍ لأنه معسر، هذا الحكم لم يكن على عهد النبي موجوداً .

ولما نساء رسول الله ﷺ سألنه شيئاً لا يملّكه، عوقبوا من قبل الله عزَّ وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾

[سورة الأحزاب : 28]

والآية معروفة، فالحكم الوسط إذا الزوج يمتنع إضراراً، وكيداً، وإيقاعاً للأذى بزوجته، فلها الحق عندئذٍ أن تطالب القاضي أن يفرق بينهما، أما إذا الزوج معسور، الزوجة المؤمنة تصبر حتى يكرمه الله عزَّ وجل.

2 . إذا كان الزوج غائباً غيبةً قريبة :

الآن عندنا حالة ثانية، القاضي يفرق بين الزوجين قال: " إذا كان الزوج غائباً غيبةً قريبة، غاب ولم يترك شيئاً قال: " إن كان له مالٌ ظاهر أي له دكان وفيها موظفون، له مثلاً أموال مستثمرها عند أشخاص، إن كان له مال ظاهر القاضي يحكم بأن يؤخذ من المال شيئاً للإنفاق على زوجته، وإذا لم يكن هناك مال ظاهر فالقاضي يوجه له إنذاراً بالطرق المعروفة، الآن بالصحف يوجه له إنذار، ويضرب له أجلاً، فإن لم يرسل نفقة زوجته على نفسها، أو لم يحضر للإنفاق عليها، طلق القاضي هذه الزوجة بعد مضي الأجل.

3 . الإيذاء الذي يجيز للزوجة المطالبة بالفراق مما لا يحتمل ولا يطاق :

أنا اليوم سمعت قصة آلمتني جداً قال لي: إنسان تزوج فتاة وأنجب منها ولدين وتركها وسافر، وأصبح غائباً ثلاث سنوات، أبوها أنفق عليها حتى عجز، وأبو الزوج أنفق حتى عجز، فرفعت أمرها إلى القاضي فطلّقها منه، إذاً إذا إنسان غاب ولم ينفق على زوجته ، القاضي يحق له أن يحكم بالتفريق بينهما.

أحياناً الزوجة تطلب من القاضي التفريق إذا ادعت أن زوجها يوقع بها ضرراً بالغاً لا يستطاع تحمُّله، أخبرني أحد الأخوة وهو من إخواننا الكرام ومن رواد هذا المسجد عن قصة سوف أقولها لكم لأنها تفيدنا وهي مؤثرة: شاب في ريعان الشباب، وعنده معمل وغني، وله مقصف جميل في سهل الزبداني، وفيلا فخمة، فهو من أهل اليسار أي الغنى، خطب فتاة من أسرةٍ محافظة، وأيضاً هذا تعبير شائع، يبدو أن الأب علمها تعليماً جيداً، والفتاة صالحة، ودينة، وتحفظ كتاب الله عزَّ وجل، لكن هذا الشاب عقيدته عقيدة تفلت، فبعدما تزوجها زاره رفاقه فقال لها: أحضري لنا القهوة، قالت له: أنا لا أدخل على رفاقك، وكلما طلب منها طلباً طبعاً الطلب من خلاف الشرع ترفضه، وإذا طلب منها أن يسهرا معاً في الفندق في عيد رأس السنة، تقول له: أنا لا أذهب معك، هو متفلِّت جداً من الدين، يريد أن يعيش حياة عصرية؛ اختلاط ونزهات وحفلات ونواد، وهي لا تتجاوب معه، فوقع في مشكلة، فهو يريد فتاة تتجاوب معه، وهذه الفتاة تربيتها إسلامية، وترفض كل طلب خلاف الشرع، فالأب اقترح أن يطلقها، قال له: مادامت خلاف رغبتك طلقها، الأم قالت: لا لماذا تطلقها نحن لنا ترتيب آخر فلا تطلقها، هي تطلب الفراق، تطلب الطلاق أو الفراق من دون أن تأخذ شيئاً، فالقصة أن كان متأخرها كبيراً جداً ويهز الأسرة، فالأم رسمت خطة أن يؤذيها، يغيب للساعة الثانية كلُّ يوم، كلامه يكون معها قاسياً جداً، يستخدم السباب الجارح، يهينها أمام أهله، يحرمها من كل طلباتها، فبعد شهر أو شهرين طلبت المخالعة وتسامحه بكل

شيء، الخطة نجحت، والدته رسمت خطة ونجحت، فبدلاً من أن تضع لها مئتين أو ثلاثمئة ألف متأخر، فهذه الطريقة أفضل، كلام قاس، ضرب أحياناً، إهانة، سباب، إذلال، طبعاً بعد أسبوعين أو ثلاثة أو شهر لم تتحمل يقولون: إنها خرجت من عنده بثيابها فقط، حتى ثيابها الأخرى لم تأخذها، وسامحته بكل شيء وخلعها عن عصمته، وانتهى الأمر، ثم خطب فتاة تروق له، تستقبل رفاقه بغيابه، ممكن أن تدخل معه إلى الفنادق، ممكن أن تسهر معه، فهذا الشاب كلما وقع بورطة ونفد منها، يقول: والله خلصنا من الورطة مثلما خلصنا من متأخر فلانة أصبحت فلانة التي تزوجها وضارها إلى أن سامحته بكل شيء، أصبحت هذه القصة عند هذا الشاب قصة للتسلية، فمرة كان له فيلا بمضايا بأعلى السهل ولها إطلالة جميلة جداً، نازل على الشام بسيارته، فانظر إلى ترتيب ربنا، فركبت زوجته الجديدة بجانبه طبعاً، وركبت والدته خلفه، وركب والده خلف زوجته بالمقعد الخلفي، والده على اليمين، ووالدته على اليسار، وهو السائق، وزوجته على اليمين، يبدو أنه طائش في سوقه السيارة، كلما دخل بين سيارتين يقول له والده: يا بني على مهلك، يقول له: نفدنا مثلما نفدنا من متأخر فلانة، وصل إلى منطقة واجه سيارةً فقصت سيارته نصفين، مات هو وأمه لتوه، قطعوا قطعاً قطعاً، والزوجة والأب عاشا، قال:

لأن الأب دائماً يلوم هذا الوضع، يقول لهم: لا يجوز يا جماعة، هذه بنت آدمية، أخذتموها أنتم من عائلة محافظة راقية، فهذا سلوك فيه ظلم، فالأب كان دائماً ينكر تصرف زوجته حماة الفتاة، وهذه الحماية هي التي تخطط، فربنا عزَّ وجل قطعهم إرباً إرباً، فالمؤمن لماذا يستقيم على أمر الله؟ لأنه يؤمن برب كبير، أحياناً العوام يقولون: الله كبير ، هذه الكلمة مهما قلتها فلا شيء عليك لأن الله بالفعل كبير، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ:

((اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عباس]

وأكثر إنسان ينتقم الله له الضعيف، ليس له أحد وظلمته، إنسان ضعيف، أحياناً الإنسان يشهّر بمؤمن، يكون المؤمن ليس له سند، هناك أشخاص إذا شهرت بهم فلن تنام في البيت مساءً، أما هناك مؤمن ضعيف ليس له سند، مستضعف، وهو يشهّر فيه، فالله عزَّ وجل ينتقم أشد الانتقام، فعندما يحاول الإنسان أن يوقع الضرر بزوجته من أجل أن تسامحه بما لها عنده، فالله عزَّ وجل ينتقم منه أشد الانتقام، لكن هذه الدعوى لا تسمح إلا

في حالتين، إذا كان مع الزوجة بينة، أو اعترف الزوج بذلك، أما إذا لم يكن معها بينة والزوج لم يعترف، تشطب دعواها بالقضاء، طبعاً الإيذاء الذي يجيز للزوجة أن تطالب بالفراق مما لا يحتمل ولا يطاق.

4 . إذا حمل الزوج زوجته على علاقة محرمة في الشرع :

بالمناسبة وإن كان الكلام سابقاً لأوانه، إذا أراد الزوج من زوجته عملاً لا يرضي الله أي في علاقته معها، إذا حملها على علاقةٍ محرمةٍ في الشرع لها الحق أن تطالب بالتفريق بينها وبينه، لكن دائماً القضاء يلجأ إلى تحكيم رجلين من أهله وأهلها، أي من أهل المروءة والشرف والواجهة والرجاحة والحكمة فلعلهما يصلحان ما فسد بينهما.

5 . غيبة الزوج :

الآن التطليق لغيبة الزوج .



طبعاً عندنا غياب قصير، وغياب طويل، وغياب معروف، وغياب غير معروف، لو فرضنا إنساناً غاب لطلب العلم هذا العذر مقبول، أو غاب لممارسة تجارة في بلدٍ آخر عذر مقبول، غاب لكونه موظفاً خارج بلدته عذر مقبول، أو غاب لكونه مجنداً ملتحقاً بقطعة خارج بلده عذر مقبول، هذه أعذار مقبولة للزوج، فالزوجة ليس لها الحق أن تطلب التفريق في هذه الغيابات، أما غاب إلى مكان لا تعرفه ولا يوجد سبب ظاهر ولا أعلمها أين هو، فهذا الغياب الذي يجيز للزوجة أن تطالب بالتفريق، العلماء اختلفوا في الفترة التي تكفي، والله هناك زوجات زوجهم غائب عنهم عشر سنوات، ولم يفكروا في التفريق، وهناك زوجات لسنة واحدة تطلب التفريق، العلماء قالوا: لها الحق بعد ستة أشهر، أو بعد عام، أو بعد ثلاثة أعوام، لكن الإحسان شيء، والعدل شيء:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[سورة النحل: 90]

العدل قسري، أما الإحسان فطوعي، الأسير طبعاً، الأسير أو المحبوس نفس الشيء.

الخلع :

الآن الخلع، وملخص الخلع بسيط، هو أن هذه الزوجة لم تحب هذا الزوج، الزوج يسَّر لها مسكناً شرعياً، وأنفق عليها، وكل شيء تام، إلا أن الزوجة لم تحبه، فلها الحق أن تطالب القاضي أن يخلعها منه، لكن مقابل أن تسامحه بكل شيءٍ كتبه لها أو أعطاها إياه، هذا الذي أخذ من قول النبي:

((اقبل الحديقة وطلقها تطليقة))

[النسائي عن ابن عباس]

هذا هو الخلع، الخلع من طرف الزوجة، والتفريق من طرف القاضي، والطلاق من طرف الزوج، طلاقٌ وتفريقٌ وخلعٌ، لكن بالمناسبة يوجد عندنا بالخلع مشكلة أن أكثر الأزواج يحاول أن يوقع الضرر بزوجته إلى أن تطالبه بالخلع، هذا عدوان، وهذا ظلم يهتز له عرش الرحمن، أما أنت لم تؤذها، لها ابن عم طمعانة فيه فرضاً وقد وعدها أن يتزوجها، وأهلها زوجوها من هذا الشاب بالضغط، فجلست معه وهي متألمة، فمادامت غير راغبة به، قالت له: " يا رسول الله إني أكره الكفر بعد الإيمان "، أي أنا إذا عشت عند هذا الزوج أكفر، ولن أتحمله، قال لها: لو تراجعيه؟ قالت له: أتأمرني ؟ قال: لا، قال: إنما أنا شفيع.

فمرّ بالسيرة النبوية مواقف مماثلة، على كل الخلع أحكامه بسيطة، أن الزوجة لسببٍ أو لآخر لم ترض بهذا الزوج، والزوج ليس له ذنب، وهو زوج مقبول، والعقد شرعي، والمسكن شرعي، وأنفق عليها، لكنها كرهته، فإذا كرهته قلنا له: طلقها وأعطها المتأخر نكون قد ظلمناه، أصبح هناك ظلم للزوج، لكن حينما يطالب الزوج الذي طُولب أن تختلع منه زوجته، أن تعطيه أكثر مما أعطاها قال: هذا منهي عنه في الشرع، صار هذا ابتزاز، كقوله لزوجته: أطلقك لكن أريد مئتي ألف، وكل متأخرها مئة ألف ، أصبح الموضوع فروغاً، إذا طالب الزوج بأكثر مما دفع للزوجة هذا أصبح ظلماً كبيراً، طبعاً بعض علماء قالوا: يجوز على أساس أن الآية الكريمة:

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

[سورة البقرة: 229]

إذا كانت ميسورة جداً، لكن العلماء بعضهم يرى أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ منها أكثر مما أخذت منه، فالأكمل أن يكون هناك سقف، وسقف المطالبة بما أعطاها لا بأكثر مما أعطاها.

مرة قال لي أخ: جاء شاب ليخطب ابنته، فقالوا: اقرؤوا الفاتحة، ضع يدك بيد عمك، قال له: زوجتك، قالوا: أحضرنا رجلاً آخر أيضاً، التمثيلية مهيئة ومرتبة، قال لي: رأيت نفسي زوجت ابنتي من أول جلسة، ولم أعرف ما هي القصة، ثم قال لي: لم يعجبني هذا كله، قلت له: ماذا تقول لم تعجبك؟ أصبحت زوجته، أصبح هناك إيجاب وقبول، انتبهوا أيها الأخوان.

الإيجاب و القبول :

سوف أقول لكم قصة وقعت في الشام، هذه القصة يجب أن يكون الإنسان منتبهاً ويقظاً، عدة أشخاص يجلسون في محطة وقود بالشام بالأزبكية، بعد العصر يشربون النرجيلة ، وهم يتسلون ويتكلمون ويتنادمون، فقال أحدهم لصاحب الكازية: تبيع هذه الكازية؟ قال له: أبيعها، قال له: بكم؟ قال له: بستمئة ألف، قال له: اشتريت، وانتهت الجلسة ولم يطلع منها شيء، ولا أحد جاد بكلامه، ولا البائع بائع، ولا الشاري شاري، وضحكوا وانبسطوا وذهبوا، حدثني بهذه القصة محامي وقد مضى عليها اثنتا عشرة سنة، سمعها محامي فقال له: هذه الكازية لك، فقال:

كيف لي؟ قال له: ألم يقل لك بعت، قال له: بلى، قال له: إذاً الكازية لك، أقاموا دعوة، وهناك شهود، ألم يقل لك: تشتري؟ قال له: نعم، ألم تقل له: بعت؟ قال له: نعم، لكن لم يدفع لي ثمن الكازية، فقال له القاضي ثمن الكازية في ذمته وأنت لم تطالبه به. إنسان صعد إلى قطار جلس، فوجد محله مشغولاً بمحفظة كبيرة وأمامه شخص قال له: هلا أخذت هذه المحفظة؟ قال له: لن آخذها، فسأله: لماذا؟ تلاسنوا وتشاددوا اشتكوا، صفر شرطي القطار، وقف القطار لماذا لا تريد أن تأخذها؟ قال له: لأنها ليست لي، قال له لمن؟ قال: لهذا، قال له:

لماذا لم تأخذها؟ قال: لم يقل لي أن آخذها، هذه القصة يا أخوان واقعية، كازية أصبح ثمنها اثني عشر مليون ضاعت عليه بستمئة ألف، لأنه قال له: بعت، فانتبه بعت أي بعت، الشرع لا يحتاج إلى ورق، فقط يحتاج الشرع إلى إيجاب وقبول في حالات البيع والزواج، قال لي: دخلوا عليه وقالوا: زوج زوج، ضع يدك بيد عمك زوجتك، قال: أنا قبلت وعلى مهر، اقرؤوا الفاتحة، أصبحت زوجته فأين تسير؟!! الآن تطلب المخالعة، مثلما زوج تطلب الآن الخلع.

فيا أخوان دققوا في موضوع الإيجاب والقبول، ممكن إذا أنت قلت: أنا بعت تخسر البيت بربع ثمنه، أخي أنا لم أقبض، لا تقبض، دفع الثمن شيء آخر غير البيع، البيع إيجاب وقبول، ودفع الثمن له شيء آخر، فكازية بيعت بستمئة ألف أصبح ثمنها اثني عشر مليوناً، طبعاً المحامي تمكن أن يستدعي الشخص ويحلف يميناً، أتى بشهود، ومادام هناك إيجاب وقبول وهناك شهود انتهى وأصبحت الكازية ملكه، لكنه لم يدفع ثمنها، أنت لم تطالبه، لو طالبني أعطيه لكن هو لم يطالبني فجزاه الله الخير، وموضوع الحياء هذا موضوع ثان، ما أخذ بالحياء فهو حرام، لكن إذا إنسان قال: بعت أي باع، زوجت أي زوَّج، هذا هو الشرع، يجب أن تحتاط قبل أن تقول: نعم أو بعت أو وافقت أو زوجت أو تزوجت، هناك مسؤولية، فالخلع هكذا.

على كل أرجو الله جلَّ جلاله ألا نحتاج جميعاً لا إلى خلع، ولا إلى تفريق، ولا إلى طلاق، المؤمن حينما اختار زوجته مؤمنةً صالحةً أغلب الظن أنها تعيش معه، أغلب الظن أنها ترعى حقه، أغلب الظن أنها وفيةٌ له، هو حينما كان مؤمناً إذاً بقلبه رحمة، وبقلبه إنصاف، و بقلبه عطف، القلب القاسي بعيد عن الله عزَّ وجل.

الطلاق إيقاع للأذى و إتلاف للمال :

هناك شيء آخر نادر الحدوث، وهناك حالات نادرة جداً لا تقع بالمئة ألف، حالة واحدة هذه حينما تقع نسأل عنها، لكن أردت من هذه الدروس الثلاث التوجيهات الدينية العامة، أن الإنسان عليه أن يحفظ هذه النعمة التي أكرمه الله بها، يا أخوان الزوجة نعمة، ويا أيتها الأخوات المؤمنات الزوج أيضاً نعمة، فالتي تسارع وتقول له: طلقني، هذه امرأةٌ لا تروح رائحة الجنة لأنها كفرت هذه النعمة، والزوج الذي يطلق امرأته لأتفه الأسباب هذا كفر بنعمة الزوجة، لأنها نعمة.

أولاً: الطلاق من قبل الزوج أو المخالعة من قبل الزوجة عملية إيقاع الأذى بالطرف الآخر، أليس كذلك؟ وإيقاع الأذى حرام، ثانياً: إتلاف للمال، الإنسان بعدما تزوج ودفع مهراً ودفع هدايا خلال سنتين أو ثلاث وتكلف، كل هذه المبالغ التي دفعت أصبحت مهدورة بالطلاق، فالطلاق إيقاع أذى وإهدار للمال، والأهم من هذا وذاك كفرٌ بنعمة الزوجة، والمخالعة أيضاً إيقاع الأذى بالزوج، قبل أن تقولي: وافقت، ادرسي الأمر، أما بعدما وافقت والرجل هيأ نفسه وجهز البيت واشترى وتكلف وينتظر هذه الساعة بفارغ الصبر، تقول: لا أريدك ولا أحبك، طلقني وأنت مسامح بكل شيء، فالسرعة بتطليق الزوجة كفرٌ بنعمة الزوجة، والسرعة بمخالعة الزوج أيضاً كفرٌ بنعمة الزوج، فإذا إنسان أكرمه الله بزوجة تحصنه، وترعى حقوقه، وتعرف قيمته، هذه ليحافظ عليها.

ليس الذكر كالأنثى :

النقطة الدقيقة أنه لا يوجد إنسانة كاملة، ولا يوجد زوج كامل:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

[البخاري عن أبي هريرة]



لكن بعض الأذكياء فسروا هذا الحديث تفسيراً رائعاً، قال: الضلع هذا لو كان مستقيماً كان يخرج من البطن من الأمام، يصبح مثل الشوكة، أما جماله فيمكن بأنه معوج، ماشي مع البطن، الآن عظام الصدر كلها معوجة، ولولا أنها معوجة لما احتملتها أساساً، سر نجاح الأضلاع أنها كلها معوجة، فالاعوجاج كمالٌ فيها، الاعوجاج كمالٌ في الضلع، لو كان غير معوج لا يرضيك، إذا إنسان أريد امرأة لها عقلٌ راجح لكنها مقصرة في حقه، فهل يهمك أن تسمع منها محاضرة بالفلسفة ولا يوجد طبخ مثلاً؟ ماذا تريد

من هذه المحاضرة؟ الله عزَّ وجل أعطاها إمكانيات خدمة البيت، والعناية بالأولاد، لو هي لها عقل راجح مثل عقل الرجل، لا تقبل أن تصبح زوجة لك من الأصل، لكن هي عندها عاطفة راجحة، هي ترجح عليه في عاطفتها وفي أحاسيسها، ويرجح عليها في إدراكه.

يذكر أنه كان هناك ملك شديد الذكاء، قام بجولة ليتفقد رعيته، فدخل إلى بستان فرأى حصاناً معصوب العينين، فلم يفهم لماذا، وكان بعنقه جلجل أي جرس، وكان الحصان يدور ليخرج الماء من البئر، وهذه معروفة، فهذا الملك فكر فقال لصاحب الحصان: لماذا عصبت عينيه ؟ قال له: لئلا يصاب بالدوار، إذاً لماذا وضعت هذا الجلجل في رأسه؟ قال له: حتى إذا وقف أعرف ذلك، الملك وقف وقال له: فإذا وقف وهز رأسه ؟ فأجابه الفلاح إجابة ذكية جداً: وهل له عقلٌ كعقلك ؟

أحياناً تنشأ المشكلة بالبيت تريد أن يكون عقل زوجتك كعقلك، لا هي ليس عقلها كعقلك، فهذه لها عالم آخر، وطالما تريد أن يكون تفكيرها كتفكيرك فلن تنجح معها، فالله قد جهزها تجهيزاً آخر، جهزها الله تجهيزاً انفعالياً، تجهيزاً عاطفياً، تجهيزاً رقيقاً، وأنت أعطاك رجاحة عقل، وأعطاك قلباً متماسكاً، وأعطاك نظرة بعيدة، فانظر لما ربنا قال:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾

[سورة الليل : 1-3]

فما علاقة الذكر والأنثى بالليل إذا تجلى؟ قال: كيف أن الليل للسكن، لا ترتاح إلا بالليل، لماذا جعله الله سكناً وجعلنا النوم لباساً؟ وكيف النهار لكسب المال؟ فالنهار والليل متناقضان لكنهما متكاملان؟ وقد تجد الرجل له خصائص تختلف عن المرأة، والدليل قال تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

[سورة آل عمران: 36]

فقد درسنا في الجامعة كتاباً لأشهر عالم نفس طفولة اسمه " بياجيه" هذا الكتاب يدرَّس في معظم جامعات العالم، والكتاب ثمانمئة صفحة ملخصه في هذه الآية: وليس الذكر كالأنثى.

القدرات الخاصة عند الأناث، والقدرات الخاصة عند الذكور، الذاكرة، والمحاكمة، والقدرة الرياضية، والقدرة اللغوية، والقدرة التنظيمية، والقدرة الإدارية، كلّها عبارة عن إحصاءات دقيقة جداً تنتهي بملخص أن الذكر ليس كالأنثى، إذاً يجب أن نعلم أن الزوجة لها خصائص، كما أن الليل للسكن، والنهار لكسب المال، كذلك الزوجة والزوج لو اختلفا في الصفات لكنهما متكاملان كالليل والنهار.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : الخلع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الواعد الأمين، اللهمّ لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم ، اللهمّ علِّمنا ما ينفعنا ، وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدنا علمًا ، وأرِنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتِّباعه ، وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجْتِنابه ، واجْعلنا مِمَّن يستمعون القَوْل فيتَّبِعون أحْسَنَهُ ، وأدْخِلنا بِرَحمتِكَ في عبادك الصالحين .

أمراض الإنسان متأتية من بعده عن الله عز وجل :

أيها الأخوة المؤمنون ، ربّنا سبحانه وتعالى في سورة البقرة يخاطب سيّدنا آدم عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام ، قال تعالى :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة : 38]



عندنا هُدَى بالزواج ، فمن طبَّق شرع الله بالزواج لا خوفٌ عليه ولا هو يحزن ، والعلماء فرّقوا بين الخوف والحزن ، الخوف ممّا سيكون والحزن عمّا مضى ، فلو جاء ملك الموت لا يخاف ممّا بعد الموت ، ولا يحزن على ترك الدنيا ، وهل في الدنيا حالةٌ أرقى وأشرف وأبعث على الطمأنينة من أن تواجهَ شيئاً لا تخاف ممّا سيليه ؟ ولا تخاف ممّا كان ؟ فهذه الحالة النفسيّة تغطّي ما كان وما سيكون ، أحيانًا الإنسان يخاف ممّا سيكون يكاد قلبهُ ينخلع ، أو يحزن على ما كان ، فإذا عرف الإنسان الله عز وجل لا يحزن على ما فاته من الدنيا ، ولا يهلع لما سيُصيبُه في المستقبل ، لأنّ الله عز وجل طَمأنهُ ، فهذه الأبحاث الفقهيّة في

الزواج، والطلاق ، والمخالعة ، و أبحاث البيوع ، والعلاقات الشخصيّة ، وعلاقات الإنسان مع الله عز وجل ، علاقاته مع جيرانه وزوجته وأولاده ، كأنّه قطار ماشٍ على سِكَّةٍ في سلامة ، فإذا خرج عن هذه السكَّة تعرّض هذا القطار للتَّدَهْوُر ، تمامًا حينما يخرج الإنسان عن خطّ الله عز وجل يتدَهْوَر ، فالأمراض النفسيّة كثيرة جدًّا ، ما هي الأمراض ؟ هي شعور بالاختلال الداخلي ، هذا الدِّين دين الفطرة أحيانًا تمشي بالسيارة على الزّفت ، تقول : هذه السيارة مصنوعة لهذا الطريق ، وهذا الطريق لهذه السيارة ، أما إن مشَيت بها في طريق وعِرة فتشعر أنّ الوضع غير طبيعي فهذه الطرق ليسَت لهذه السيارة .

الباخرة بالبحر هذا مكانها الطبيعي ، السَّمَك بالماء مكانه الطبيعي ، لمَّا الإنسان يعرف الله عز وجل تستقرّ نفسهُ، ربّنا عز وجل في آيات كثيرة قال:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الروم: 30]

أي هذا الدِّين بِتَشريعاته ، وعلاقاته العامّة والخاصّة ، العبادات والمعاملات ، كلّ هذه العلاقات تنطبق انْطِباقًا تامًّا على فطرة الإنسان ، فالإنسان دائمًا يحسّ أنَّه مخلوق بهلع شديد ، الدِّين يُزيل هذا الهلَع ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[سورة المعارج: 19-22]

ذهب الهلَع ، وذهب الحسَد:

ملك الملوك إذا وهب لا تسألنَّ عن السَّبب
الله يعطي من يشاء فقِفْ على حدّ الأدب

***

أكثر أمراض الإنسان مُتأتِّيَة من بعده عن الله ، سأقول كلمة الآن : الإنسان لو جُمِعَت له الدنيا من أطرافها ، لو جمع مالها إلى سلطانها إلى ملاذِّها إلى مباهجها إلى العمْر الطويل إلى الزواج الناجح وكان بعيدًا عن الله عز وجل فهو أشقى الناس ، وإن وجدْتم في علاقاتكم ، وفي خبراتكم ، وفي معارفكم ، أو من يلوذ بكم إنساناً بعيداً عن الله تعالى وسعيداً فهذا الدّين يكون باطلاً ، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه: 124]

قانون ؛ مَنْ اسم شرط جازم ، تعريف الشّرط في اللّغة : حدَثان لا يقع الثاني إلا بوقوع الأوَّل ، فإذا وقع الإعراض فجزاء الشرط حَتميَّة وقوع الجواب بالمئة مئة ، كأن تقول : إذا لمَسْت المدفأة وهي مشتعلة تحترق يدك، احتراق اليد شيءٌ لازِم ؛ أيْ حَتْمي ، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه: 124]

كلّ الأبحاث الفقهيّة الهدف منها الإنسان يسلك طريق الإيمان .

الخلع :

نحن في دروس سابقة تحدَّثنا عن الخلع ، أو المخالعة ، كما أنَّ الزَوْج الله سبحانه وتعالى أعطاه الطَّلاق ، هو الذي عقد الزواج ، يستطيع الزَّوْج لأسباب قاهرة أن يستخدم حقَّه فإما العلاقة الزوجيّة وهي الطلاق ، ولكن الذي يستخدم هذا الحقّ للطَّرَف الآخر تنشأ حقوق واجبة ؛ المهر ، وكذلك الزوجة ، كأنَّ ربّنا عز وجل جعل الطلاق والمخالعة صمّام أمان في هذا الوعاء البخاري ، ففي الوعاء البخاري مادام محكم الإغلاق هناك منطقة يضعون لها قطعة بلاستيك ، فإذا كان الإحكام شديداً والضغط صعد وكان هناك احتمال لانفجار الوعاء تذوب هذه القطعة وتفتح البخار ، ويتلافى الانفجار تمامًا ، في الزواج هناك صمَّام لسلامة هذا الزواج ، فإذا كانت العلاقة بين الزَّوجين بِشَكل متفجِّر يأتي الطلاق من طرف الزَّوج ، وتأتي المخالعة من طرف الزوجة ، ولكنّ الزَّوج إذا طلَّق عليه المهر ، أما الزوجة فتطلب المخالعة فعليها أن تفتدي نفسها بما قدَّم لها .

الخلْعُ كما سبق إزالة مُلْك النِّكاح في مقابل المال ، فالعِوَض جزءٌ أساسي في مفهوم الخلْع ، أي لا يوجد خلْع من دون عِوَض ، لأنّ الزَّوْج تكلّف ودفع ، دفع خمسين ألفًا ، وكتب عليه خمسين ألفًا ، وأسّس البيت وفرش ، ووضع كلّ شيء جمَّعه بهذا الزواج ليَسْتقرّ ، ليجد طبخة مطبوخة عند الرجوع ، وليجد امرأة تنتظرهُ ، ليُحْصِن نفسهُ ، فإذا لم ترغب به المرأة وجب عليها أن تدفعَ له كلّ التكاليف ، لا خلْعَ بلا عِوَض ، فهذا جزء أساسي في مفهوم الخلع فإذا لم يتحقق العِوَض لم يتحقّق الخلع ، وهو باطل .

الفرْق بين النِّكاح الفاسد والنِّكاح الباطل :

نحن تكلمنا سابقًا عن الفرْق بين النِّكاح الفاسد والنِّكاح الباطل ، النِّكاح الفاسد يُصحَّح ، أما النِّكاح الباطل فلا يُصحّح ، فإذا قال الزوج لزوجته : خالعْتك وسكت لم يكن ذلك خلعًا ، خلع باطل ولا يسمَّى ذلك خلعًا ، خالعْتك على ماذا ؟ على أن تردِّي إليّ ما أعطيتك إيّاه!! هنا الخلْع صحيح .

ثمّ إنَّه إن نوى الطلاق كان طلاقًا رجعيًّا ، بالمناسبة إذا الإنسان استخدم ألفاظ الطلاق ليْسَت النيَّة شرطًا في الطلاق ، أما إذا استخدم عبارات أخرى غير عبارات الطلاق فعندئذٍ تُشترط النيّة ، إذا الإنسان قال : وهبتك هذا الكتاب بمئة ليرة ، ما دام قال : بمئة ليرة فهو ينوي البيع فهذا عقد بيع ، أما إذا قال : بعتك هذا الكتاب بلا ثمن، هو قال : بلا ثمن فهو يعني هديّة ، فالإنسان عندمًا يغيّر الألفاظ النيّة شرط أساسي ، أما إذا لم يغيّر الألفاظ من دون نيّة ، إذا قال لآخر بعِنِ هذا القلم ؟ فقال: بعتكه بِلَيرة ! انوِ ما شئت ، أما إذا قلت له : هَبني وخذ ليرة فكأنّك تريد البيع .

أحيانًا تدخل إلى مكتبة عند بائع ، تقول له: كم ثمن المصحف ؟ يقول لك: أعوذ بالله ، هذا وهبه خمسون ليرة ! فقط خمسون !! أنا الذي أراه الأمور بمقاصدها ، أنت تدفع ثمنه فلا تقل له بيعه بخمسين ، قل: وهبه على خمسين ليرة ، من أجل الشرع ، لأن الألفاظ هذه شيء غير طبيعي .

إذًا : فإذا قال الزوج لزوجته : خالعْتك وسكت ، لم يكن ذلك خلعًا ، أما إذا قال: خالعتك ونوى الطلاق ، هذا أصبح طلاقًا وليس مخالعة ، وكان طلاقًا رجعيًّا ، كما تحدّثنا من قبل عن الطلاق الرجعي ، وإن لم ينو شيئًا لم يقع شيء ، إذا قال: خالعتك وسكت ، وما نوى الطلاق هذا كلام لا معنى له لا يقع شيئًا إطلاقًا ، لأنَّه من ألفاظ الكناية التي تفتقر إلى نيّة .

الشافعيّة قالوا : لا فرْق في جواز الخلع بين أن يخالع على الصداق أو على بعضه أو على مال آخر سواء أكان أقلّ من الصداق أو أكثر ، ولا فرق بين العَين والدَّيْن والمنفعة ، ربّنا عز وجل أطلق ، والمطلق على إطلاقه ربّنا عز وجل بالمخالعة ، وفي آية المخالعة يقول تعالى:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

[سورة البقرة: 229]

بالآية لا يوجد تخصيص أنَّ المهر بالذات مال آخر ، قدَّم لها المهر مثلاً أساور بأربعين ألفاً ، وهي معها نقدي، فدفعت له ثلاثون ألف ليرة سورية ، هذا ممكن ، افْتَدَت به فكما يقول الشافعيّة : لا فرق في جواز الخلع بين أن يخالع على الصداق نفسه ؛ دفع لها أربعين ألفاً بشكل أساور ذهبيّة ، ممكن أن تعطيه الأساور نفسها أو على بعضه خمسة أساوِر من ستّة ، ثلاثة من ستّة ، أو على مال آخر كأن تقول له : خذ الدكان وخلّصني ، سواء أكان أقلّ من الصداق أو أكثر ، ولا فرق بين العَين والدَّيْن والمنفعة ، وضعت له سنداً ، تأخذ أجرة بيت بعد سنة ثلاثة آلاف هذا ممكن دَين ، أو منفعة من دون مقابل ، أو عَين كأن تقدّم له قطعة ذهبيّة أو سيارة . وضابطه - أي الشيء الذي يضبطه - أنّه كلّ ما جاز أن يكون صداقًا جاز أن يكون عِوَضًا ، كلّ شيء يمكن أن يكون صداقًا يمكن أن يكون عوضًا ، الصحابة على درع ، أو على تحفيظ القرآن ، أو على إسوارة من ذهب، أو قطعة من فضة ، أو على عين ، أو على جمل ، أو زيتون ، كلّ ما جاز أن يكون صداقًا جاز أن يكون عوضًا في الخلع لِعُموم قوله تعالى:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

[سورة البقرة: 229]

هذا الشيء العام في موضوع الخلع .

جواز أن تدفع الزوجة للزوج أكثر مما أخذت :

لكنّ جمهور الفقهاء ذهبوا إلى أنّه يجوز أن يأخذ الزوج من الزوجة زيادة على ما أخذت منه ، المهر خمسون ألفًا قالتْ له : خُذْ ستِّين ألفًا وخلِّصْني ، فجمهور الفقهاء قالوا : يجوز لقول الله تعالى:

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

[سورة البقرة: 229]

لكنّ بعضهم قال : لا يجوز ، أي عندنا شخص العِوَض هو المهر ، لماذا ؟ هل هذه تجارة ؟ تزوَّج ثمّ أصبح يقسو عليها ، حتى عافَت المهر ، وأصبح الزواج تجارة .

روى البيهقي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: " كانت أختي تحت رجل من الأنصار فارتفعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال: أتردّين حديقته ؟ قالت : وأزيد عليها – معناها متألّمة كثيرًا – فردَّت عليه حديقته وزادته " ومن هنا أخذ العلماء أنَّه يجوز أن تدفع الزوجة أكثر مما أخذت ورأى بعض العلماء أنّه لا يجوز للزوج أن يأخذ منها أكثر مما أخذت منه ، لما رواه الدارقطني بإسناد صحيح أنّ أبا الزبير قال : " إنّه كان أصدقها حديقةً فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أتردّين عليه حديقته التي أعطاك ؟ قالت : نعم ، وزيادة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أما الزيادة فلا ! ولكن حديقته " عندنا روايتان لحديث واحد ، رواية فيها زيادة ورواية من غير الزيادة ، بعض العلماء أخذ الزيادة ، وبعضهم الآخر أكتفي بعدمها ، واختلاف الفقهاء رحمة واسعة ، واتفاقهم حجّة قاطعة، كأنّ – سبحان الله – اختلاف الفقهاء الكبار توسعة على الناس ، ممكن لواحدة أن تكون متألّمة كثيرًا ، الزوج دفع مبلغًا زهيدًا ، وهي في بحبوحة فوهبَت له على أن يتركها ، في بعض المذاهب يجوز ، وعلى بعضها الآخر لا يجوز ، وكنت أقول لكم : إنّ التقليد يجوز ، والتلفيق لا يجوز ، وهناك حالات يسعها الشرع .

طريقة الفقهاء الكبار في استنباط الأحكام :

هنا الخلاف في أصول الفقه ، ما معنى أصول الفقه ؟ طريقة الفقهاء الكبار في استنباط الأحكام ، هل يجوز أن يأتي حديث فيُخصِّص آية ؟ بعضهم قال : يجوز ، والبعض الآخر قال : لا يجوز ، الأصل في الخلاف تخصيص عموم الكتاب بالأحاديث الأحاديّة ، فمن رأى أنّ هموم الكتاب يُخصَّص بأحاديث الآحاد مثلاً ، إذا

قلنا : أعلى راتب في الدولة خمسة آلاف ليرة هذه مادة الدستور ، وسيصْدر قانون يفصّل ذلك القانون ؛ ألا يستطيع أن يقول أعلى راتب ثمانية آلاف ؟ الدستور وضع حدّاً أعلى ، فالقانون إذا أراد أن يفسّر ويوضّح راتب الموظّفين وأنواع التعويضات عليه أن يتقيّد بهذا السقف ، من الألف إلى الخمسة ، وبعضهم قال: يجوز و للتفسير أن يتجاوَز السقف ، وهو رأي ضعيف ، ربّنا عز وجل بالقرآن الكريم وضع حدودًا أحيانًا يأتي حديث مفرد يتجاوز هذا السقف ، هناك من الفقهاء مَن قال : لا يجوز لأحاديث الآحاد أن تخصِّص عموم الكتاب ، وبعضهم قال : يجوز .

هناك توجيه لطيف جمع بين الرأييْن ، قال : فمن رأى أنّ القدْر راجع فيه إلى الرضا يجوز ، هي راضِيَة ، أما إذا كان هناك نوع من الابتزاز ، لا أخلعك حتى تعطيني هذا البيت ، دفع لها خمسين ألفًا ، وأراد أن يأخذ منها مئتي ألف ! فهذا ابتزاز ، هنا يأخذ الفقهاء بظاهر النصّ ، وعموم الآية ، وبحديث الآحاد الذي يمنع أن تردّ الزوجة أكثر ممّا أخذت ، أما إذا كانت المرأة في بحبوحة ويُسر ، ووهبَت له شيئًا من مالها ، فنأخذ بظاهر الآية وعمومها .

عظمة الشرع الإسلامي :

الخلْع في العادة يكون بتراضي الزوج والزوجة ، فإذا لم يتمّ التراضي منهما فللقاضي إلزام الزوج بالخلْع ، كثير من يسألني : سامحني فهل يؤاخذني الله تعالى ؟ الله يؤاخذ إذا لم تكن هناك مسامحة .



إذا كانت هناك علاقة ماليّة بين شخصين ، وأحد الشخصين سامح ، هنا انتهى الأمر ولا يوجد شيء ، إلا في بعض الحالات هناك حق عام ، وحقّ خاص، أحيانًا يحصل القتل الخطأ ، سائق السيارة دعس إنساناً يظهر أنّ أهل المقتول ورعون ، ويخافون من الله ، ووجدوا أنّ هذا السائق فقير ، ثمّ الأمر قضاء وقدر ، ولم يرتكب خطأً في السواقة ، حينها يتنازل الأهل عن حقوقهم ، هنا بالقرآن الكريم هناك حقّ عامّ ولو تنازلت ، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾

[سورة النساء: 36]

الديّة هذه هي الحق الخاص ، أما تحرير رقبة مؤمنة فهذا في الحق العام يعني أنت بهذا الحادث أزْهقْت نفسًا مؤمنة ، المجتمع الإسلامي كان هناك مليون مؤمن فنقصهُ واحد ، ولو تنازل لك الأهل عن هذا الحق ، فأنت أنقصْت من المجتمع شخصًا قد يكون طبيبًا ، أو مهندسًا ، أو إنسان داعيَة ، أو طالب يُنتظر منه مستقبلاً باهرًا، فأنت أفقدْت المجتمع الإسلامي عنصرًا طيِّبًا فالأهل تنازلوا ؛ هذا حقّهم الشخصي أسقطوه ، ولكن هناك حقّاً عاماً وهو إعتاق رقبة مؤمنة وهي أن تدخل لهذا المجتمع إنسانًا مؤمًنا كان عبْدًا تُحرِّرهُ ، دِقَّة الشَّرع ، فهنا الآن في المحاكم ولو أنت تنازلت عن الحقّ الخاص هناك حقّ عام ، فلو سرق إنسان وقال له المسروق : تنازلت عن حقّي الشخصي ، يُلاحق السارق بالحق العام ، من أين أُخذ الحق العام؟ من هذه الآية:

﴿ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾

[سورة النساء: 36]

هذه هي عظمة الشرع الإسلامي .

من كان متوازناً مع الآخرين أصبح محبوباً عندهم :

قال : فإذا لم يتِمّ التراضي منهما ، فللقاضي إلزام الزوج بالخَلْع ، لأنّ ثابتًا وزوجته رفعَا أمرهما إلى النبي صلى الله عليه وسلّم ، وألْزمهُ النبي بأن يقبل الحديقة ، اللهمّ صلِّ عليه دخل وسيطًا بين زوجين ، يبْدو أنَّ الزوجة تكرهُ زوْجها ، فقال عليه الصلاة و السلام : لو تُراجعينهُ ؟ قالتْ : يا رسول الله ؛ أَتأْمُرُني ؟ قال: لا ، إنَّما أنا شفيع ، لو أمرتُكِ لوَجَب أن تنفِّذي الأمر إنَّما أنا شفيع ، فالإنسان أحيانًا تكون له مكانة بأُسرة إذا رأى الأمر صعبًا لا يفرض الحلّ فرضًا ولكن يجعل الحلّ باختيار الطَّرفَيْن ، لأنّ مكانته الكبيرة تقتضي الإلزام ، وإذا كان هناك إلزام كان هناك ظلم ، قالتْ : يا رسول الله أَتأْمُرُني ؟ قال : لا ، إنَّما أنا شفيع ، أنا لا آمرك أنت حرَّة ، فالإنسان عندمّا تكون له مكانة بمُجتمعه لا يستخدم هذه المكانة لطرف دون آخر ، ولكن عليه أن يوازن موازنة دقيقة ، كلّما كان الإنسان متوازنًا مع الآخرين يصبح محبوبًا عند الأطراف جميعًا أما ينحاز إلى فئة من دون فئة فلا

تصبح له مكانة عاليَة ، من عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه ما من صحابيّ جليل عاملَهُ إلا ظنَّ نفسهُ أنه أقربَ الناس إليه .


يكسب الإنسان مكانته من عدم الانحياز لطرف دون آخر

هل عندك هذه الإمكانيَة التي تستطيع أن تعاشر مئتي رجل أو أكثر كلّ واحد يظنّ نفسه أقرب إليك؟؟ صلى الله عليه وسلّم من رآه بديهةً هابهُ ، له هيبة ، ومن عاملهُ أحبَّه ، عظماء العالم يجلس معهم طفل صغير فيستأنس فيهم ، وشابّ يستأنس ، وكبير ومتقدّم في السنّ يستأنس ، فالذي عنده هذه النفس الشابة والنّفس المتطلّعة لمعرفة الله عز وجل عنده مرونة فائقة ، إذا جلس مع طفل صغير ، قال له يا عُمَير ماذا فعل النُّغَير ؟ طفل له عصفور يداعبه ، فكلّما رآه النبي صلى الله عليه وسلّم يقول له يا عمير ما فعل النُّغَير ؟ سيّدنا الحسن والحُسَين كانا يركبان على ظهره الشريف أثناء الصلاة فكان يقول : نعم الجمل جملهما ، ونعم الحِمل أنتما ، كان يضع الحسن والحسين على ركبتيه ويقبلهما ويقول : " اللّهم إنّي أحبّهما فأحِبّهما " هكذا المؤمن ، من كان له صبيًّا فلْيتصاب له ، إذا الواحد دخل إلى بيته وكانت له مكانة كبيرة خارج البيت ، إذا دخل ولاعب ابنه الصغير وضاحكه ومزح معه ، ونزل إلى مستواه هذه سنَّة مطهَّرة ، كان عليه الصلاة والسلام يُسلِّم على الصِّبْيان ، أحيانًا يدخل صبيّ للمسجد فإذا بالمؤمنين يرحِّبون به ، ويضعونه بينهم ، ومرَّةً تجد أخًا آخر يسيء الكلام معه ، ويردّه إلى الوراء ، لا يوجد عندنا أحد أحسن من الآخر ، سيّدنا مالك بن أنس هذا إمام دار الهجرةِ يقولون إنّ هارون الرشيد كان في عمرة أو حجّ فبعث له خبرًا وقال له : يا مالك لو جئتنا إلى بيتنا لِتُعلِّمنا ؟ هارون الرشيد الخليفة، فبعث له جوابًا قال له : يا هارون العِلْم يُؤْتى ولا يأتي ، فلمَّا سمع هذا القول قال: هذا صحيح وهذا هو الحق ، أنا سآتي ، ثمَّ بعث له خبرًا آخر : وإذا أتَيْتني فلا أسمح لك بِتَخطِّي رِقاب المسلمين ، عليك أن تجلس حيث ينتهي إليك المجلس !! قال: صحيح ، ثمّ جاء الخليفة ودخل إلى المسجد فوضعوا له كرسيًّا فقال هذا الإمام : من تواضع لله رفعَه ، ومن تكبَّر وضعه !! كم كان للعلم قيمة في ذلك الزمان ، نعم الحاكم في باب العالم ، وبئس العالم في باب الحاكم ، فالإسلام لا يوجد أحد خير من الآخر لو جاء طفل صغير مبكِّرًا ، وجلس في أوَّل المجلس لكان هذا مقبولاً ، ويُثنى عليه ، أما أن تضعه آخر

الصفّ فهذا غير مقبول ، اِجْلس حيث ينتهي بك المجلس ، قال: لو علم الناس ما في الصفّ الأوّل لكان قرعةً ، لو علم الناس كم في الصفّ الأوّل من الخير الكبير لكان قُرْعةً .

تحريم إيذاء الزوجة بِمَنْع حقوقها حتى تضجر و تخلع نفسها :

آخر موضوع بالخلع ، يُحرَّم على الرجل أن يؤذيَ زوجته بِمَنْع بعض حقوقها حتى تضجر ، وتخلعَ نفسها ، وهذا هو الظلم بِعَينه ، يأتي كلّ يوم الساعة الثالثة ليلاً ، ولا يحضر لها أكلاً ، يُعنّفها أمام والدته ، ويضربها أحيانًا ، يجعلها ترى الجنَّة بِفراقِهِ ، لو كان مهرها المتأخِّر مئة ألف لفضَّلت الخلع ، حكى لنا شخص من المسجد أنَّ أحدهم تزوّج امرأةً صالحة بنت عالم ، يظهر أنَّه ما حصل تحقّق بالزواج ، فهذه مُربَّاة تربيةً دينيّة ، وهذا الشاب يريد أن يفلت على هواه ، يريد اختلاطاً ، ويستقبل رفاقه ، فأمرها بِمَعاص كبرى فرفضَت ، متأخِّرها مئة ألف ، وهذا الزوج أساء إليها إساءة بالغة ، يتأخّر ويهينها ويضربها ، وهي صابرة ، وخلال سنة يئسَت ، وبعدها استسْلَمَت وقالَتْ له : لا أريد شيئًا فقط الخلْع ، فعلاً خلَعَها وخلص منها ، ولكن كيف خلعها ؟ لأنَّه ضارَّها ، بعدما خلعها وكان هذا الخلْع بِتَوجيه والدَتِهِ ، اخْلُصْ منها وأنا أزوِّجك أحسن منها ، وهو كلام معروف ، فالنتيجة خلعها ، وتزوَّج أخرى وبعدما مضى على زواجه فترة طويلة ، ذهب إلى الزبداني في نزهة ، ورجع يوم الجمعة عصرًا ، والظاهر كان هناك ازدحام بالسير ، وهو ماهر بالسواقة ، فكان يمر ويخرج من هنا ويدخل من هناك فكأنَّها خافَت ، فقالت له : على رِسْلك ! فقال: أنته منك كما انتهَيت من فلانة ، فالأب كان غير راض على عمل ابنه ، هذه التي أخذتها صاحبة دين ، وأنت الذي تظلمها ، وهذه بنت عالم والأم توجِّه ابنها وتحرّضه على طلاقها ، وخلعها ، ومضايقتها ، والأب ينهاه على ذلك فركب الابن وراء المِقوَد ، وزوجته جنبه ، وأمّه وراءه ، وأبوه وراء زوجته ، النتيجة أنّه دخل في سيارة شحن كبيرة أقْسمَ بالله الأخ الذي حكى لنا القصّة قال : انقسم الابن وأمّه إلى قطعتين !!! فالأب خرَّ لله ساجدًا وقال: يا رب أنا أشهد أنَّهم ظلموا ، الأم لقِيَت جزاء عملها ، والأب لقي نتيجة عمله إذْ نجَّاه ، والزوجة ما حدث لها شيء ، وكذا الأب ، والأبناء ، من الذي قُتِلَ ؟ الابن الظالم والأم المحرِّضة ، فالواحد إذا كانت له زوجة ، ولو كان لها الحق أن تخلع نفسها منه إذا لم يعجبهُ شكلها ، أما أن يُضايِقَها في أنصاف الليالي ، ويظلمها ، ويهينها ، ويحرمها ، ويقسو عليها إلى أن تفدي نفسها منه ، فهذا أبشع أنواع الظلم ، والله سبحانه وتعالى يقتصّ منه ، فكما قلت سابقًا : فويل لقاضي الأرض من قاضي السماء، أحيانًا القاضي يجور ولكن ربّنا عز وجل كلّ شيء عنده بِحِسابٍ دقيق .

هذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل طويل ، موضوع الإساءة إلى الزوجة حتى تخلع نفسها، وإن شاء الله نرجئه إلى موضوع قادم ، والخلع فيه موضوعات كثيرة .

الذي لا يخاف من الله تعالى أحمق ، وكلّ إنسان يظنّ إذا أكل حقوق الآخرين ، أو ظلم زوجته، أو ظلم جيرانه ، وتعدَّى على الناس أنَّه ذكيّ يكون في حضيض الغباء ، أما الذكاء فله قِمَّة ، كلّ إنسان يظنّ أنَّه إذا لعب على الناس ، وأكل حقوقهم هو ذكيّ بهذا العمل يكون في غاية الحمق والغباوة .

* * *

الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن :

والآن إلى بعض الأحاديث الشريفة ، يقول عليه الصلاة والسلام:

((الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن . . .))

[كنز العمال عن أبي هريرة]



ائتني بواحدٍ مؤمن بالقضاء والقدر إيمانًا صحيحًا ، أنّ لكلّ شيءٍ حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه ، وأنَّ ما أخطأهُ لم يكن لِيُصيبهُ ، إنسانٌ بهذا المستوى أنا أضْمنُ له بأن لا يحْزَن ، عظمة الإيمان أنَّك ترى يد الله فوق أيدي الناس ، وترى أنّ الله عز وجل لا يمكن أن يقع في الكون حادث إلا بعِلْمه وأمره وقوَّته وقدرته وانتهى الأمر .

تجد المؤمن مطمئنّاً ؛ الحمد لله على كلّ حال ، إذا أقْبلت الدنيا ، أو أدْبرت ، وإذا كثر ماله ، أو قلَّ ، إذا تزوَّج فلانة هذه نصيبي ، أحدهم جاء عند رسول الله وقال له : أُدع الله أن يرزقني زوجة صالحة ؟ فتبسَّم عليه الصلاة والسلام ، فقال : والله يا أخي لو دعوتُ لك أنا رسول الله وجبريل وميكائيل ما تزوَّجْت إلا التي كتبها الله لك ، لأنَّ هذا الزواج أخطر حادث بحياة الإنسان ، وستعيش مع إنسانة طوال حياتك ، فالله عز وجب يتدخَّل ، ويبعث الطِّيب للطَّيِّبة ، قال تعالى:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ﴾

[سورة النور :26]

والزاني لا ينكح إلا زانية ، لك أنت تجربة قبل الزواج ، ولها هي أيضًا تجربة قبل الزواج ، ولك عِفَّة بالغة قبل الزواج تأخذ واحدة مثل الألماس ؛ عفيفة ، لك تطلّعات ، تجدها هي أيضًا لها تطلّعات ، لك مغازلات ، لها مغازلات ، كلّ شيء بِثَمنه ، تجد بالأخير الله عز وجل أنّ التي كتبها الله لك هي التي سوف تأخذها ، هذه هي شريكتك بالضَّبْط ، هذا الكلام أقوله للشباب : حسِّنْ نفسك ، رقِّ إيمانك ، وجدِّد إيمانك حتى يسمح الله لك بزوجة صالحة ، تسرّك إذا نظرت إليها ، وتحفظك إن غبت عنها ، وتطيعك إذا أمرتها ، لا تقل : أمِّي تفهم كثيرًا بالخطبة ! تجد نفسك وقعْت على رأسك رغم خبرة أمِّك ، ولا تقل حتى أراه أوَّل مرَّة وثاني مرَّة ، أنت تجدها بالخطبة كالملائكة ، تقول : أنا أرى ملكًا وليس امرأة !! طوِّل بالك الكلام بعد الزواج!!! والله تظهر لك نجوم الظُّهر ، لذا موضوع الزواج موضوع خطير جدًّا ، ليس لك خيار فيه ، لذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : "

أفضل شيء بعد التقوى زوجة صالحة " إذا صاحب تقوى يستحقّ الزوجة الصالحة ، وإن كان قليل التقوى يستحقّ زوجة مشابهة له .

الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن ، هذا البيت لم يكن من نصيبي ، الحمد لله رب العالمين ، أنا أسعى ولا أتواكَل، لكن رأيته مناسباً ، وسعره مناسب ، والمبلغ موجود ، ثمّ ذهبنا فقيل لنا: والله بيع !! نقول: هذا من سوء حظّنا ، ليس لا ننام طوال الليل ! انظر ما أجمل المؤمن ، خطب فلانة والبنت مناسبة ، والعمر مناسب ، وثقافتها مناسبة ، ذهبنا للخطبة فقيل لنا خطبت ، لا ننتحِر ، لا يوجد نصيب وانتهى الأمر .

علامة قارىء القرآن أنَّه لا يحزن :

لذلك قال عليه الصلاة والسلام : "لا يحزن قارىء القرآن . . ." علامة قارىء القرآن أنَّه لا يحزن يعلم أنَّه توجد آيات دقيقة :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: 216]



أحدهم حمل أواني زجاجية ، تزحلق فانكسروا كلّهم ، صار يبكي بكاء مراً ، ويقول: يا رب ، أريد أن آتي لأهلي بأكل ، ذهب كلّ رأس ماله ، قال له : يا رب ، ذهبت مني قطعة ذهب ثمنها مئة وسبعون ليرة وما غضبتُ ، أما الآن فليس عندي إلا هذه ، وعندي الآن عائلة ، فُتِحَ الشباك وقال له : تعال ، أنت الذي ضاع منك الذَّهَب ؟ فقال : نعم ، قال له : خُذْ هذه وجدتها منذ سبع عشرة سنة ، وها أنا أردّها لك !!

أين انكسرت الأواني؟ أمام من وجد ذهبه ، قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: 216]

هذه الآية وحدها لو لم يكن في كتاب الله غيرها لكفَتْ ، كلّ شيء بِقَدر تمكّنت من الذهاب مع هذه البِعْثة أم لا ، قل : الحمد لله رب العالمين وبعدها ذهب ! شرّ أذهبه الله عنك ، هل كان الله غافلاً ؟ قال تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

[سورة الحديد: 22]

قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور:48]

قال تعالى

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

[سورة هود : 123]

عندما تُوَحِّد ترتاح ، لذلك الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن ، حرامٌ على مؤمن يحزن، أموره كلّها بيَدِ أرْحم الراحمين ، وبيَدِ كريم وعليم وقدير هل يخاف الإنسان من أمّه ؟ كم يشعر بمحبَّة تّجاه أمّه ؟ كلّها رحمة له .

النبي عليه الصلاة والسلام رأى امرأة تقبّل ابنتها ، فقال: " أتُلقي هذه بولدها إلى النار . . . .لله أرحم بعبده من هذه بولدها . . ." لمَّا الإنسان يتذوّق القرآن الكريم ، هناك آية وحدها تكفي قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[سورة آل عمران: 158]

إلى أين تذهب ؟ إذا كانت لك زوجة فيها رحمة ، لم تغضبني أبدًا ، مرَّةً عزَّيت صديقًا لي بوفاة والدته ، عمر والدته ثمانون سنة ، أثناء التعزية بكى الأب بكاءً مُرًّا ، بعد التعزية حاوَل الأصدقاء التخفيف عنه ، فصار يبكي أكثر ، فقال : والله عشت معها خمساً أربعين سنة ما نمت ولا ليلة غضبان منها ! هذه زوجة فيها إخلاص

ومحبّة فتأثّر ، فأنت ذاهب إلى من هو أرحم ، عليم حكيم ، ربّنا عز وجل لمّا يتجلّى على قلبك تذوب ذوباناً محبَّةً ، تُوفِّيَت امرأة صالحة رأتْها ابنة ابنتها بالرؤيا بِمَكان يشبه أماكن جميلة جدًّا كلّها جبال خضراء وسواحل ، وقالت لها : أنا مفتوح من قبري نافذة مباشرة لهذه المناظر ! تعيش في الجنَّة ، ورأتْها بنتٌ أخرى في بيت فخْم جدًّا مثل القصر ، فقالت لها : هذا بيتي ! وبيتها في الدنيا كان متواضعًا ، أنت لا تعرف الإنسان إذا مات على الإيمان أين يذهب ؟ إذا مات الواحد يقولون : مسكين !! ليس هو المسكين أنت المسكين ، إذا الواحد غير مستقيم في حياته هذا هو المسكين ، ذاك في قمَّة السعادة ، لا كرب على أبيك بعد اليوم ، فالإنسان إذا رزقه الله موتةً على الإيمان ، ماذا فيها الدنيا ؟

الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن ، والإيمان بالقدر نظام التوحيد ، إذا أردت أن تناقش ناقش ، هذا فعل معك هكذا ، هل هذا بعِلْم الله أم لا ؟ إذا قلت : ليس بعلمه أشْركت ، وإذا قلت : بعلمه ، فكيف سمح الله له ؟ الله تعالى حكيم ، إذًا للحكمة حكمة ، والله عليك ، فهو يعلم ما في النفوس ، الله قدير ، والله لطيف ، والله جبّار ، فأنت إذا قلت : ليس بعلم الله ؛ هذه مشكلة وإذا قلت بعلمه : معنى هذا أنك أشركت ، لذلك ممَّا أثر عن رسول الله ﷺ أنَّه إذا أصابتْه مصيبة كان يقول : لا إله إلا الله العليم الحكيم ، لا إله إلا الله الرحمن الرحيم ؛ انظر دقَّة الكلام كلّ شيء بيَدِهِ هو العليم الحكيم ، وكلّ شيء بيدِه هو الرحمن الرحيم ، الحديثان دقيقان ؛ الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحَزَن ، والإيمان بالقدر نظام التوحيد ، وما تعلَّمت العبيد أفضل من التوحيد ، ما من عثرة ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود إلا بما قدَّمَت أيديكم وما يعفو الله أكثر .

الإيمان والعمل قرينان متلازمان :

الإيمان والعمل قرينان لا يصلح كلّ واحد منهما إلا مع صاحبه ، إيمان بلا عمل كالشّجر بلا ثمر . المؤمن عفيف عن المحارم ، عفيف عن المطامع ، الغنى غنى النفس ،الأمْن والعافية نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، ما معنى الأمن ؟ لسْتَ مُلاحقاً ، شيء جميل ، تنام ملء عينيك ، إذا دقّ الهاتف الساعة الثانية عشرة ليلاً لا تخاف ، إذا الباب طرق الساعة الواحدة لا تخاف ، قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنعام : 81]

هذه النعمة العظمى من الله عز وجل ، تجد قلب المؤمن كلّه أمن وطمأنينة بحيث له من الطمأنينة لو وزَّعَها على مليون من الناس لاطمأنُّوا ، هذه نعمة الله الكبرى ، والكافر يلْقي في قلبه الرعب ، قال تعالى:

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾

[سورة الحشر: 2]

تجد في قلوبهم فزعًا شديدًا .

الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر :

آخر حديث :

((الأمانة تجلب الرزق ، والخيانة تجلب الفقر))

[الديلمي عن جابر]

هذا قانون من قوانينه صلى الله عليه وسلّم ؛ الأمانة تجلب الرزق ، والخيانة تجلب الفقر ، إذا الصانع سرق ، وأراد أن يطلب عملاً يسأل صاحب العمل صاحب الدكان الأوّل ، فإذا قال له : يده خفيفة يصرفه عنه ، ثمّ تجده ينصرف من محلّ لآخر ، جميع الأبواب مغلّقة في وجهه ، لذلك في الأمن يُشاركونك ، ويعطونك أموال استثمار ، ويقدِّمون لك أثْمن ما عندهم، ويعطونك محلاّت وبيوت ، فقط أن تكون أمينًا لذلك سأل أحد الشعراء الإمام الشافعي ، قال له: يد بعشر مئين عسجد وديت ، اليد هذه إذا قطعت بحادث خطأً ديَّتها عشر مئات دينار ذهبي ، الدينار الذهبي الآن ثمنه سبعمئة ليرة أو أكثر ، عشر مئات ، أي ألف دينار ذهبي .

ما بالها قطِعَت في ربْع دينار ، إذا الواحد سرق ربع دينار يقطعون له يده ؟ وإذا قطعَت خطأً يدفع المتسبِّب بالحادث ألف دينار ذهبي ، وهي سرقت ربع دينار فقطعت ؟

فقال الإمام الشافعي:

عِزُّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذلّ الخيانة فافْهم حكمة الباري

***

لمّا كانت أمينة كانت ثمينة ، فلمّا خانَت هانَتْ ، سائق تاكسي من المطار إلى الشام وجد بالمقعد الخلفيّ خمسين ألف ليرة ، أخذها عند مدير مكتبة التاكسي ، هذا الإنسان جاء من الكويت ، وقعت له بطريقة أو أخرى ، وصل عند بيت عمّه فوجد خمسين ألفًا مفقودة ، انخلعت روحهُ ، فقال له أحدهم : أخي لا تزعج نفسك فقد ذهبت دراهمك ! أصابه كمد منقطع النظير ، طرق الباب صديقه فرآه على هذه الحال ، فقال له : دعنا نذهب إلى المطار ، راحوا إلى هذا المطار وسألوا أنّهم ركبوا سيارة تاكسي ، وضاعت منا دراهم ، فقال لهم : نعم هناك سائق وجد دراهم أين هو ؟ قالوا: الآن نزل إلى الشام ، نزلوا على مكتب الشام سألوا فقالوا لهم : أعطاهم لمدير المكتب ، راحوا على البيت ، فأعطاهم خمسين ألفًا ، سحب خمسة آلاف وقال له هذه هديّة له ، فقال له : لا ، سنقيم له لقاء صحفياً نثني على أمانته ! شيءٌ جميل ، وأنا كنت راكبًا تاكسي آتٍ من بيروت إلى الشام ، والسائق ربح بضاعة وركّاباً ، ركب معه جندي ، وضع في الخلف علب سردين ، وقف هذا السائق في محلّ ، نزلت كي أرى أغراضي ، السائق لم ينتبه لي ، رأيته يأخذ علب سردين ويضعها وراء الدولاب ، هذه سرقة ، قلتُ : سبحان الله ، هذا عند الله سائق وذاك سائق ؟ ظفره بمليون .

عِزُّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذلّ الخيانة فافْهم حكمة الباري

ربحت ألفي ليرة ، وسيارتك ملك لك ، وهذا جندي فقير ، تخبّؤهم وراء الدولاب !! وذاك خمسون ألفًا سلّمهم لصاحبها ، الأمانة تذهب الرزق ، والخيانة تجلب الفقر .

* * *

الربيع بن خثيم :

والآن إلى بعض حياة التابعين ، الربيع بن خثيم حينما حضرته الوفاة – من آخر القصّة – جعَلَت ابنتهُ تبكي ، فقال لها: ما يُبْكيك يا بنيتيّ وقد أقبلَ على أبيك الخير ؟!

ها قد جاء الخير ، هل نحن الآن نعدّ لأنفسنا هذا الإعداد ؟ الموت حق ، نعدّ أنفسنا كي نجد كلّ خير في هذه الساعة ، قمَّة السعادة عرس ، الموت عرس المؤمن وتحفة المؤمن ، نهاية القصّة بكت فقال لها : ما يبكيك وقد جاء على أبيك الخير ؟ هذا الرجل الربيع بن خثيم أصيب بالفالج ، فقال هلال لضيفه منذر الثوري ألا أمضي

بك يا منذر إلى الشيخ لعلَّنا نؤمن ساعة ؟ بعض الصحابة كان يقول : اجلس بنا نؤمن ساعة ، إذا جلست مع أخيك وحدَّثك وحدَّثتهُ هي ساعة إيمان .



فقال منذر : بلى فوالله ما أقْدَمَني الكوفة إلا الرَّغبة في لقاء شيْخِك الرَّبيع بن خُثَيْم والحنين في عَيْش ساعة في رِحاب إيمانه ، ولكن هل استأذنت لنا عليه ؟ فقد قيل لي : إنَّهُ منذ أُصيب بالفالج لزِمَ بيتهُ وانْصرفَ إلى ربّه ، وعزف عن لقاء الناس ، فقال هلال : إنّه كذلك منذ عرفته ، وإنّ المرض لم يغيّر منه شيئًا !! هذه هي البطولة ، حكَيتُ لكم عن قصّته لمّا قطعت رجله حملها وبكى ، وقال : والله يا رب ما مشيْت بها إلى معصية قطّ ، وأنا أحتسبها عندك ، أصيب بالفالج فما غيَّرَ المرض منه شيئًاً ، فقال منذر : لا بأس ، ولكِنَّك تعلم أنَّ لِهَؤلاء الأشياخ أمْزِجَةً رقيقة ، فهَلْ ترى أن نُبادِر الشَّيْخ فنسْألهُ عمَّا نريد أم نلْتزمُ الصَّمْت فنَسْمعُ منه ما يريد ؟ فقال هلال : لو جلست مع الربيع عامًا بأكمله فإنَّه لا يكلّمك إلا إذا كلّمته ، ولا يبادرك إلا إذا سألته ، فهو قد جعل كلامه ذكرًا وصمته فكرًا ، فقال منذر : فلنمض إليه إذًا على بركة الله ، مضيا إلى الشيخ ، فلمَّا صارا عنده سلَّمَا وقالا : كيف أصبح الشيخ ؟ فقال: أصبح ضعيفًا مذنبًا يأكل رزقهُ ، وينتظر أجله ، فقال له هلال : لقد أمّ الكوفة طبيب حاذق ، أفتأذن بأن أدعوه لك ؟ قال: يا هلال ، إنِّي لأعلم أنَّ الدواء حقّ ، ولكنِّي تأمَّلتُ عادًا وثمود وأصحاب الرسّ وقرون بين ذلك كثيرة ، ورأيت حرصهم على الدنيا ، ورغبتهم في متاعها ، وقد كانوا أشدَّ منَّا بأْسًا ، وأعظمَ قدرةً، وقد كان فيهم أطبَّاء ومرضى ، فلا المُداوي ولا المُدَاوَى ، ثمَّ تنهَّدَ تنْهيدةً عميقةً وقال: ولو كان هذا هو الداء لتداوَيْنا منه ، فاسْتأذن منذر وقال: فما الداء إذًا يا سيّدي الشيخ ؟ قال: الداء الذنوب ، قال منذر : وما الدواء ؟ قال : الاستغفار ، قال منذر : وكيف يكون الشفاء ؟ قال: بأن تتوب ثمّ لا تعود ! ثمَّ حدَّق فينا وقال : السرائر السرائر ، أي عليكم بالسرائر تكون نقيّة طاهرة ، قال تعالى

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء:88-89]

قال: عليكم بالسرائر التي تخفى على الناس وهنّ على الله بوادر ، هذه النوايا الخفيّة عند الله تعالى مكشوفة ، قال منذر فما الدواء ؟ قال: التوبة النصوح ، ثمّ بكى حتّى بلّت دموعه لحيتَهُ ، ثمَّ بكى حتى بلّلَتْ دُموعه لِحْيتهُ ، ثمّ قال له منذر أَتبكي وأنت أنت ؟ قال: هيهات لِمَ لا أبكي وقد أدْركتُ قومًا نحن في جنبهم لُصوص ، أي عظمة الصحابة واستقامتهم وعملهم الصالح وتضحياتهم ، نحن إلى جانبهم كأنّنا لصوص .

قال له : لقد أدركْت قومًا نحن في جَنبِهم لُصوص ، فقال هلال : وإذْ نحن كذلك دخل علينا ابن الشيخ فحَيّا وقال: يا أبت إنَّ أمّي قد صنَعَت لك خبيصًا وجوَّدَتهُ ، نوعٌ من الحلْوَة، وإنَّه ليَجْبر قلبها أن تأكل منه ، فهل آتيك به ؟ فقال: هاتِهِ ، فلمَّا خرج لِيُحضرهُ طرق سائلٌ فقال : أدْخلوه ، ولمَّا صار بِصَحن الدار نظرتُ إليه فإذا هو رجل كهْلٌ مُمَزَّق الثِّياب ، قد سال لُعابهُ على ذقنه ، وبدا من ملامح وجهه أنَّه معتوه ، فما كِدْتُ أرفعُ بصري عنه حتى أقبل ابن الشيخ بِصَحبة الخبيص فأشار إليه أبوه أن ضَعها بين يدي السائل ، مَعتوه لُعابهُ على لحيته مُمَزَّق الثياب ، وهذا الطعام صنَعَتْهُ الزَّوجة ليأكل زوجها منه فوضَعَها بين يديه ، فأقبل عليها الرجل وجعل يلتهم ما فيها الْتِهامًا ، ولعابهُ يسيل فوقها ، فما زال يأكل حتى أتى على ما في الصَّحفة كلّها ، فقال له ابنه : رحمك الله يا أبي ، لقد تكلَّفت أُمّي وصنعت لك هذا الخبيص ، وكنا نشتهي أن تأكل منه فأطْعمْتهُ لهذا الرجل الذي لا يدري ما أكل ، فقال : يا بني إذا كان هذا الرجل لا يدري ماذا يأكل فإنّ الله يدري ، ثمّ تلا قوله عز وجل:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

[سورة آل عمران: 92]

وفيما هو كذلك إذْ دخل عليه رجل من ذوي قُرْبة ، وقال : يا أبا يزيد ! قُتِلَ الحُسَيْن بن عليّ كرَّم الله وجهه ، وابن فاطمة عليها وعليه السلام ، فقال الربيع : إنا لله وإنا إليه راجعون ثمّ تلا قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

[سورة الزمر : 46]

ولكنَّ الرجل لم يشْفه كلامه ، فقال له : ما تقول في قتله ؟ قال: أقول إلى الله إيابهم وعلى الله حسابهم ! قال هلال : ثمَّ إنِّي رأيتُ وقت الظهر قد اقترب فقلتُ للشيخ أوْصِني ؟ قال: لا يَغُرَّنَك يا هلال كثرة ثناء الناس عليك، فإنَّ الناس لا يعلمون منك إلا ظاهرك ، واعْلم أنَّك صائرٌ إلى عملك ، وأنَّ كلّ عملٍ لا يُبْتغى به وجْه الله يضْمحِلّ – والله كلمات تكتب بماء الذهب – فقال المنذر : وأوْصني أنا أيضًا جُزيت خيرًا ؟ قال : يا منذر اتَّق الله فيما علمْت ، وما اسْتأثر عليك بعلمه فَكِلْهُ إلى عالمه ، لا تقل فيما لا تعلم ، يا منذر لا يقل أحدكم : اللهمّ إني أتوب إليك ، ثمّ لا يتوب ثمّ تكون كِذْبة ، ولكن قلْ : اللهمّ تُب عليّ ، فيكون دُعاءً ، واعْلم يا منذر أنَّه لا خَير في كلامٍ إلا في تهليل الله أي التوحيد ، وتحميد الله أي الحمْد ، وتسبيح الله في التنزيه ، وسؤالك من الخير، وتعوُّذك من الشرّ ، وأمرِكَ بالمعروف ، ونَهْيِكَ عن المنكر ، وقراءة القرآن ، فقال المنذر : قد جالسْناك فما سمعناك تتمثَّل بالشِّعر ، وقد رأينا بعض أصحابك يتمثَّلون به ؟ فقال : ما من شيءٍ تقوله هناك إلا كتِبَ وقرأ عليك هناك يوم القيامة ، وأنا أكرهُ أن أجد في كتابي بيت شِعْر يقرأ عليَّ يوم يقوم الحساب ثمّ الْتفتَ إلينا جميعًا وقال : أكْثروا من ذِكْر الموت فهو غائبكم المُرتقب ، كلّنا ينتظرنا الموت ، والمطابع جاهزة ، وإنّ الغائب إذا طالتْ غَيبَتُه أوْشكَتْ أوْبَتُه ، ثمَّ اسْتعْبَر أيْ بكى ، وقال : ماذا نصْنعُ غدًا إذا دُكَّت الأرض دكًّا دكًّا وجاء ربّك والملك صفًّا صفًّا وجيء يومئذٍ بِجَهَنَّم ؟ قال هلال : وما كاد الربيع أن ينتهي من كلامه حتى أُذِّن للظُّهر فأقْبل على ابنه وقال : هيَّا نُجِبْ داعيَ الله ؟ فقال ابنهُ : أعينوني على حَمْلهِ إلى المسجد جُزيتُم خيرًا ؟ فرفعناهُ ووضعَ يمناهُ على كتف ابنه ، ويُسْراه على كتفي وجعل يتهادى بيننا ، ورجلاه تخطان على الأرض خطا ، فقال المنذر :

يا أبا يزيد لقد رخَّص الله لك ، فلو صلَّيْت في بيتك ! فقال : إنَّه كما تقول : ولكنَّني سمعتُ المنادي ينادي حيّ على الفلاح ، فمَن سَمِع منكم المنادي ينادي إلى الفلاح فلْيُجِبْهُ ، ولو حَبْواً .

الربيع بن خثيم علمٌ من أعلام التابعين ، لا أريد أن أطيل عليكم ، نأخذه في درس آخر ، ولكن آخر كلمة تركت في نفسي أثرًا : لقد ظلَّ الربيع حياته كلّها يترقَّب الموت ويستعدّ للقائه ، هذا الذي أريده من الإخوة الأكارم ، من الآن إلى عند الموت استعدّ له ، وهذا مكسب لك وتكون أذكى الناس وأعقلهم ، استعدّ ، وأكثر من العمل الصالح، وابذل من مالك ، كن ورعًا، ادفع مالك أمامك ، إذا دفعته أمامك سرَّكَ اللَّحاق به ، وإذا خلَّفْتهُ وراءك أزْعجَكَ تركَهُ ، ما هو المال ؟

وسائل راحة ، زوجة ، أولاد ، وأموال طائلة ، إذا تركته في الدنيا ، والله خروجك منها تمزيق ، أما إذا دفعته أمامك فأسهل شيء أن تسافر عند مالك ، لذلك استعدُّوا للموت منذ الآن بالعمل الصالح ، والاستقامة ، وحضور مجالس العلم ، والقرآن الكريم بقراءته ، وفهمه، وتطبيقه .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس